تلخيص شرح

فتوح الغيب

للإمام الربّاني الشّيخ عبد القادر الجيلاني

المتوفّى سنة ٥٦١ هجريّة رحمه الله تعالى

تأليف

الشّيخ عطاء الله البتلادي الكجراتي

الدّراسة والتحقيق والتعليق

الأستاذ محمود علي المشاهدي المصباحي

أستاذ الجامعة الأشرفية مباركفور، أعظم جراه

تهذيب وتبييض

العلّامة رياض أحمد السّعيدي حفظه الله







فتوح الغيب

للإمام الرَّبَّانِي الشَّيخ عَبدالقَادِر الجِيلَانِي
رَحِمَهُ اللّٰهُ تَعَالى (المتوفى ٥٦١ھ)

تَلخِيص شَرح فتُوحِ الغَيب
للشيخ عطاء الله البتلادي الكجراتي

دراسة وتحقيق وتخريج
محمود علي المشاهدي المصباحي
الأستاذ بالجامعة الأشرفية مبارك فور، الهند

تهذيب وتبييض
العلامة رياض احمد السعيدي حفظه الله

عني بطبعه ونشره

جماعت رضائے مصطفیٰ، یو.کے

رقم المنشور

شرح فتوح الغيب

للإمَامِ الرَّبَّانِيْ الشَّيْخ عَبْدالقَادِر الجِيْلَانِيْ

رَحِمَهُ اللهُ تَعَالىٰ (المتوفى ٥٦١هـ)

تَلخِيْص شَرْحِ فتُوْحِ الغَيْب

للشيخ عطاءالله البتلادي الكجراتي

دراسة وتحقيق وتخريج

محمودعلي المشاهدي المصباحي

الأستاذ بالجامعة الأشرفية مبارك فور، الهند

تهذيب و تبييض

العلامة رياض احمد السعيدى حفظه الله

عني بطبعه ونشره

جماعت رضاے مصطفیٰ، یو۔کے

SHARHE FUTOOHULGAIB

AUTHER:

SHAIKH ABDULQADIR JEELANI RAHMATULLAH

SUMMARY:

SHAIKH ATTAULLAH PATLADI (GUJRATI)

EDITEDBY:

MAULANA MAHMOOD ALI MUSHAHIDI MISBAHI

PUBLISHEDBY:

JAMATE RAZAYE MUSTAFA (U.K)

TOKEN OF THANKS

This book would not have been possible to publish were it not for the financial help extended by the following individuals for the Isal al-Thawab of their beloved ones:

Members of **Jama'at Raza-e-Mustafa**, UK:

1. Hazrat Allama Muhammad Iqbal Noori Misbahi-Chief head
2. Mawlana Maqsud Misbahi
3. Mawlana Ibrahim Misbahi
4. Mawlana Muhammad Mohsin Razawi
5. Mawlana Muhammad Nizamuddin Misbahi
6. Mawlana Muhammad Sultan - Holland
7. Mawlana Muhammad Shafi' Nabipuri
8. Qazi Mushtaq
9. Haji Shafiq Bhai Assuriawala- Bolton
10. Haji Musa Bhai Natha - Blackburn

Also, special thanks to **Ali Sagheer (Preston)** who has helped us publish this book for the isaal e thawab of **Sagheer** family's marhumin.

May Allah Most Exalted send the reward of this book to all their deceased [*marhum*] relatives, and may He grant them the loftiest station in *Jannah*...Ameen

شارح فتوح الغيب الشيخ عبد العزيز قدس سره

اسمه : هو الشيخ **عبد العزيز بن ولي محمد** المخالدي الفتني قدس سره

مولده و مسكنه : ولد الشيخ – رحمه الله تعالى – في مدينة فتن [PATTAN] وهي بلدة شهيرة من ولاية كجرات [GUJRAT] ، ثم ارتحل إلى بلدة أحمدآباد، والتحق بالمدرسة العلوية التي أسسها أستاذ الهند **الشيخ وجيه الدين** – رحمه الله تعالى – و تلمذ على الشيخ العلوي قدس سره، واشتغل بتحصيل العلوم العقلية والنقلية وفتح الله تعالىٰ عليه أبواب العلوم حتى تعمق و أتقن فيها.

إن **الشيخ عبد العزيز** – رحمه الله تعالى – لازم عتبة شيخه مدة الحياة، وجعله شيخه مدرسا في مدرسته لكمال ذكاوته و مهارته في العلوم و الفنون فأفاد خلقا كثيرا من العلماء والفضلاء، واشتغل طول حياته في نشر العلم والدين، والتصنيف والتأليف، وبعد ما مضت أيام أجلسه شيخه على مسند الإفتاء و جعله مُجازا للفتوى فما زال الشيخ – رحمه الله تعالى – يفتي إلى آخر حياته.

له مصنفات كثيرة تدل على غزارة علمه و سعة إطلاعه في العلوم والفنون، هكذا ذكره **الشيخ ملك أحمد الفاروقي** – قدس سره – في رسالته خلاصة الوجيه

تأليفاته: توجد مصنفاته في صورة المخطوطات في المكتبات الهندية، مثلا :

•المكتبة پير محمد شاه بأحمدآباد • المكتبة خدا بخش پٹنه، وغيرها.

نذكر ههنا أسماء بعض مؤلفاته، والمقصود هو المثال لا حصر جميع مؤلفاته، وهي فيما تلي:

شرح فتوح الغيب •آداب اللحية• شرح حقيقت محمدية •شرح مولود

للجزري• الفتوحات العزيزية • ذريعة المقبول في بيان صلاة إلى حضرة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم •شرح رسالة جنات عدن.

أثنى عليه علماء عصره و اعترف بفضائله و كمالاته و سعة إطلاعه في العلوم والفنون .

وفاته: توفي الشيخ عبد العزيز – رحمه الله تعالى – ٨ / شعبان المعظم ١٠٣٠ الهجري – سقى الله تعالى ثراه وجعل الجنة مثواه، ونفعنا ببركاته–

شرح فتوح الغيب: الآن هو بين أيديكم صنفه الشيخ – رحمه الله تعالى – بعد استخارة كما ذكر في خطبة الكتاب حيث قال :

يقول الفقير إلى الله الرب العلي **عبد العزيز بن ولي محمد** رزقه الله تعالى الرضا، وشرفه باللقاء من الأسلاف والأحباء في داريي الفناء والبقاء: إن بعض أعزة الإخوان وهو الأخ الصالح معدن المروة و الإخلاص، مخزن المحبة والاختصاص، كامل الحياء، عامل الوفاء، جامع الفضل والكمال أعني **الشيخ جمال الجونفوري** في الأصل، وكجراتي الحال، وطالب الإقامة بالمدينة المشرفة في المآل – ثبتني الله تعالى و إياه في تجليات الجلال والجمال، وأوصلني واياه إلىٰ ذروة الكمال – أشار إلى أن أتصدى لحل عبارات كتاب جليل الشأن بلا ريب المسمى بـــ **"فتوح الغيب"** المنسوب إلى المحقق العارف الكامل المكمل العالم المخاطب بـــ شيخ السالكين موصل الطالبين القطب الرباني الغوث الصمداني المحبوب السبحاني **السيد عبد القادر الجيلاني** – رضي الله تعالى عنه وأرضاه عنا – فتفكرت في نفسي أنه أمر عظيم الخطر، مشوب بالنفع والضرر، وصرت أقدم رجلا و أؤخر أخرى، واستخرت الله تعالى في إلهام الصواب وذٰلك دأبي في كل باب أياما متتالية مع لياليها، متضرعا إليه و إلى رسوله عليه أفضل الصلاة والسلام من الملك العلام، وإلى روح شيخي المحقق الكامل العامل أستاذ العالمين سيد العارفين **الشيخ وجيه الدين والحق** – قدس الله تعالى سره و رزقنا فتوحه و رفع في الملأ الأعلى ذكره –، و إلى روح شيخي موصل الطالبين سلطان المحققين

برهان العاشقين مغبوط المعشوقين من أفاضل بني آدم **السيد محمد** المخاطب من عند الله تعالى بـ **"شاه عالم"** - قدس سره و أوصل إلينا بره - و إلى روح الشيخ المحقق صاحب الكتاب قائل الصواب مقبول العالم الغوث الأعظم محيي الحق والدين السيد عبدالقادر الحسني والحسيني - رضي الله تعالى عنه، نفعنا الله تعالىٰ من بركاته، ورزقنا من فتوحاته -.

وذلك في أيام الخلوة التي التزمت فيها على الأربعين، وشرطت أن لا أشرع إلا يوما أرسل الله تعالى فيه فتوح الغيب حتى تحقق القبولية بلا ريب، فجاء الفتوح المشروح شيئا حلوا مرغوبا ليلة الخميس السابعة والعشرين من شعبان من شهور السنة السادس عشر على الألف، فشرعت صبيحة ذلك بعد صلاة الضحى مستعينا بالله الكريم و متوكلا عليه سائلا منه و متوجها إليه. [المخطوطة، ص : ١، ٢]

النسخة الخطية لهذا الشرح محفوظة عندي، وجدتها بعد تفحص كثير من المكتبة پير محمد شاه بأحمدآباد لكن الأسف كل الأسف قد محت عبارات النسخة من أكثر الصفحات، و فيها بياض في مواضع لا تعد ولا تحصى لذا لا يمكن لنا الاعتناء بنشره، وما وجدت إلى الآن نسخة أخرى وقد بذلت أقصى مجهوداتي في هذا السبيل.

مرة ذهبت إلى الهند قبل سنتين لعيادة والدتي لكن الأسف أنها توفيت خلال سفري من يو،کے إلى الهند - رحمها الله تعالى و أدخلها الجنة برحمته - و أقمت هناك أياما وفي تلك الأيام سافرت إلى عدة بلاد كجرات حتى ذهبت يوما إلى مكتبة پير محمد شاه بأحمدآباد كجرات فوجدت هناك تلخيص هذا الشرح **للشيخ عطاء الله البتلادي** - رحمه الله تعالى -، وقد لخصه الشيخ لولده الأعز المدعو بـ **محمد** - رحمه الله تعالى - فالتمست لمدير المكتبة **الشيخ محي الدين المعروف بـ "بمبئى والا"** أن يعطيني صورة المخطوط؛ لأني أريد نشره بعد تحقيق و تصويب فقبل المدير التماسي ففرحت غاية الفرح و قلت لمولانا **المقري عباس** -

حفظه الله – أن يأخذ من المدير صورة المخطوط ويرسلها إلي عاجلا ، ثم رجعت إلى يو،كے، حتى أرسلها **المقري عباس** إلي بعد شهر، فلله الحمد وله الشكر.

لما وجدت هذه النسخة الشريفة شاورت بعض أخلائي الخلص حتى جمع رأيهم على العلامة **رياض أحمد السعيدي** - حفظه الله – ثم التمست منه أن يعمل عليها فتقبل كلامي و شمر ذيله لهذا العمل حتى أرسلتها إليه للتبييض والتهذيب فقام بتخطيطه و تهذيبه بكل رغبة ولهفة وبعد ما تم العمل منه أرسلتها إلى الشيخ المحقق **محمود علي المشاهدي المصباحي** - حفظه الله تعالى – الأستاذ بالجامعة الأشرفية بمبارك فور، الهند للتحقيق والتخريج والتصحيح مما بقي من الأخطاء فعمل الشيخ كما هو دأبه في التحقيق، وقرأها بإمعان النظر، وبذل قصارى جهده في التصحيح مع هذا يمكن أن يكون هناك شيء من الخطأ؛ لأنه غير مأمون من الخطأ والنسيان، والله الموفق للصواب.

أخيرا نشكر كل من ساعدني في هذا المجال ومد إلينا يد التعاون سيما العلامة **رياض أحمد السعيدي** و**الشيخ المحقق محمود علي المشاهدي**، والأخ **المقري عباس**، والشيخ **محي الدين** مدير المكتبة پير محمد شاه، والأخ **الحاج علي صغير** الذي حمل على عاتقه نفقات الطبع والنشر – حفظهم الله تعالى -

أدعو الله تعالى أن يجزي كل من ساهم في تخريج هذا السفر العلمي، ويوفقهم للمزيد.

محمد نظام الدين المصباحي

رئيس هيئة التدريس بدار العلوم الغوثية الرضوية يو كے.

ترجمة الباز الأشهب
الشيخ عبد القادر الجيلاني
- رحمه الله تعالى -

الإعداد : محمود علي المشاهدي المصباحي
الأستاذ : بالجامعة الأشرفية، بمبارك فور، الهند

نسبه الطاهر :

هو محيي الدين أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح موسى بن عبدالله بن يحيى الزاهد ابن الإمام محمد ابن الإمام داؤد ابن الإمام موسى ابن الإمام عبدالله ابن الإمام موسى الجون ابن الإمام عبدالله المحض يلقب بالمبجل ابن الإمام الحسن المثنى ابن الإمام الحسن السبط ابن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف معدن الجود والعفاف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك ابن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان [١]

أمـه :

أمه رضي الله عنها، أم الخير أمة الجبار فاطمة بنت أبي عبدالله الصومعي الزاهد بن أبي جمال الدين محمد بن محمود بن محمود بن ظاهر بن أبي العطاء عبدالله بن كمال الدين عيسى بن أبي علاء الدين محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين ابن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.[٢]

نقل عنها أنها كانت تقول غير مرة : لما وضعت ابني عبد القادر كان لايرضع

(1) هذا النسب الحسني الطاهر، وثقته المراجع والمصادر القديمة والحديثة
(2) ذكر هذا النسب في كتاب في فتوح الغيب في طبعته القديمة ١٢٨٣هـ في مصر.

ثديي في نهار رمضان وغم على الناس هلال رمضان، فأتوني تسألوني عنه، فقلت لهم : إنه اليوم لم يلقم لي ثديا، ثم اتضح أن ذلك اليوم من رمضان، واشتهر ذلك ببلاد جيلان أنه ولد للأشراف ولد لايرضع في نهار رمضان.

حكى الشيخ العارف البيساني قال : كنت بمجلس شيخنا محيي الدين عبد القادر -رضي الله عنه- ببغداد، وكان يتكلم على الناس فقطع كلامه، ودمعت عيناه، فقيل له في ذلك : فقال : الآن ماتت أمي بجيلان، قال : فأرخنا ذلك اليوم، ثم بعد مدة قدم إلى بغداد ركب من العجم فيه جماعة من أهل جيلان، وأخبروا بموتها في ذلك الوقت الذي أرخناه.

نسبته :

هو منسوب بجيل - بكسر الجيم وسكون الياء ولام آخر الحرف - وهي بلاد متفرقة وراء طبرستان، وبها ولد بقصبة منها، ويقال فيها : جيلان، وكيلان على دجلة مما يلي طريق واسط.

ولادته :

قال العارف أبو بكر عبد الرزاق ابن الشيخ محيي الدين عبد القادر -رضي الله عنه-: سألت والدي عن مولده، فقال : لا أعلمه حقيقة لكن قدمت إلى بغداد في السنة التي مات فيها التميمي وعمري إذ ذاك ثماني عشرة سنة.

طفولته :

قال الشيخ عبد القادر -رضي الله عنه-: لما كنت صغيرا في بلد أهلي كلما هممت أن ألعب مع الصبيان أسمع قائلا يقول لي : يا مبارك! فأهرب فزعا منه و ألقي نفسي في حجر أمي، وإني لأسمع الآن هذا في خلوتي.

وقال رضي الله عنه : ولما كنت صغيرا في المكتب كنت أتعلم في كل يوم ما لايتعلمه غيري في أسبوع.

مناقبه :

إن مناقبه كثيرة، و قد ذكر الشيخ عبد العزيز - رحمه الله تعالى - في مقدمة شرح

فتوح الغيب نبذا من مناقبه، أنا أذكر مقتبسا منها حذرا من طول الكلام ، و تبركا و تيمنا بشرحه، و هو مخطوط إلى الآن، و موجود في مكتبة پير محمد شاه بأحمدآباد، كجرات و قد تلاعبت به أيدي النساخ، و ذهبت بأكثرها ديمة مع كر الدهور و مر النهار، ولا يمكن الاعتناء بنشره كاملا، و إني رأيت مقدمته فظننت أن كلامه أخصر و أجمع في مناقب الشيخ عبدالقادر جيلاني -رحمة الله تعالىٰ- فنقلت منه ما أمكن لي، وها هو ذا، قال الشيخ - رحمه الله تعالى - :

أما المناقب فهي وإن كانت خارجة عن الحصر والعد، كيف وقد نقل الشيخ العارف الكامل الأجل الأمجد المخدوم الشيخ أحمد المغربي أن مناقبه -رضي الله عنه- جلية لا يسعها أوراق الرياحين، ولا تكملها أغصان البساتين، ومراتبه علية لا يكاد يعثر عليها صناديد العارفين، أو تحيط بها أساليب الواصفين، لو زبرتها ألسن الأقلام لقصرت، ولو نمقتها أنملة الأنام لأعيت لكن نذكر هنا شيئا من جذورها وقطرة من بحورها، وهو ما جاء من شيخنا الكبير شعيب المغربي أنه قال :

لقيت الخضر عليه السلام فسألته عن مشائخ المشرق والمغرب في عصرنا، وسألته عن الشيخ عبد القادر، فقال : هو إمام الصديقين، وحجة على العارفين، وهو روح في المعرفة و شأنه عظيم بين الأولياء، و أنا أحرك مراتب الأولياء من وراء إشارته. ثم حكى واقعة نفسه، وقال : إني رأيت رؤيا وقعت في ليلة سابعة من ربيع الآخر خلت سنة ثمان و ثلاثين و ثمان مائة أن شيخا جاءني من جانب القبلة و في إحدى يديه طاقية و على الأخرى عمامة، فقلت : من أنت؟، قال : أنا الشيخ عبد القادر الجيلاني، فأعطاني الطاقية، فوضعتها على رأسي، ثم أعطا أحد جانبي العمامة بيدي، وأخذ جانبه الأخرى بيده فكورت العمامة كلها على رأسي، فاستيقظت، فحمدت الله تعالى، هذا كلامه.

ونقل عنه [أي الشيخ عبد القادر رحمه الله تعالى] أنه قال : كنت صغيرا وقد خرجت يوم عرفة إلى الصحراء في عقب بقرة للحراثة، فتوجه إلي البقرة وتكلم معي، و قالت : يا عبد القادر! ما لهذا خلقت، ولا بهذا أمرت فخفت و رجعت، و

صعدت على ظهر قصر بيتي فكشف لي، فرأيت وقوف الحجاج في العرفات، فنزلت و ذهبت إلى أمي، وقلت لها :

كليني إلى الله تعالى و رخصيني أن أروح إلى بغداد ، و أشتغل بالعلم، و ألاقي الصلحاء، و أزور الأولياء، فسألتني عن سبب هذه الداعية، فقلت لها خبر البقرة و رؤية الحجاج، فبكت و قامت و أخرجت ثمانين دينارا كانت من ميراث أبي، فأعطاني منها أربعين دينارا، و أبقت لأخي أربعين، و خاطت تلك الدينار في ثوب لبسته، و أذنت لي بالسفر، و عاهدتني بالصدق في جميع الأحوال، و قالت : قل صدقا البتة، ولا تكذب أصلا، و خرجت معي للوداع، و قالت : رح يا ولدي قطعت منك لله، ولا أريك إلى يوم القيامة.

فسافرت مع قافلة قليلة متوجها إلى بغداد، فلما جاوزت همدان ظهر ستون راكبا من قطاع الطريق و أخذوا القافلة و نهبوها، و لم يتعرض لي أحد فبينماهم في نهب وغارة إذ مر علي واحد منهم، و قال : يا فقير! هل معك شيء؟، قلت : أربعون دينارا، قال : فأين هي؟، قلت : خطت في ثوبي تحت إبطي، فظن أني أستهزأ معه فتركني و راح، فجاء آخر و سألني [مثل الأول]، و قلت له ما قلت للأول، فذهبا و أخبرا بهذه الواقعة لأميرهم، فطلبني و سألني، و قلت له ما قلت لهما، بأمر بتفحص الثوب، فوجدوا ما قلت لهم، فقال : ما حملك على إفشاء هذا السر، قلت : عهدت إلى أمي بصدق المقال في جميع الأحوال فأنا لا أخون في عهدها، فبكى أميرهم و قال: هذا الصغير الفقير لا يخون في عهد أمه في ضرر، و أنا قد خنت مذ سنين في عهد ربي فتاب على يدي، فتابعه جميع أتباعه، و قالوا : كنت رئيسا لنا في قطع الطريق فكن لنا رئيسا في التوبة و إصلاح الطريق، فتابوا جميعا على يدي، و أعطوا القافلة ما أخذوا منها – و كان ذلك سنة ثمان و ثمانين و أربع مائة، وكان عمره إذ ذاك سبعا و عشرين– فوصل بغداد واشتغل بتحصيل العلوم أولا بقراءة القرآن ثم بالفقه والحديث والفنون الأدبية حتى فاق على الأولين في قليل من الأيام وامتاز بين أهل الزمان، و في سنة إحدى وعشرين و خمس مائة عقد مجلس الوعظ، و توالت منه

ظهور الكرامات، و كشفت له المقامات، واشتهر في الآفاق، واستفاد منه الخلائق.

و من مناقبه : ما أخبره بنفسه جلست أحد عشر سنين خلوة في برج و عهدت مع الله تعالى أن لا آكل حتى أؤكل و وضع اللقمة في فمي، و لا أشرب حتى أشرب، وهكذا جرت العادة حتى مرت علي مدة أربعين يوما ما أكلت شيئا ولا شربت، فجاءني شخص بطعام و تركه عندي، و راح، ومالت إليه النفس حتى كادت أن تقع عليه لكثرة الجوع، قلت : والله لا أخالف العهد الذي عهدته مع الله تعالى، فسمعت من باطني صيحة الجوع الجوع، فبينما في تلك الحالة إذ مر علي الشيخ أبو سعيد المخزومي - رحمه الله تعالى - و سمع تلك الصيحة، فقال : ما هذا، يا عبد القادر؟، قلت : هذا قلق النفس و اضطرابها، فأما الروح فهي على قرار من مشاهدة الرب تعالى، فقال: جئ إلى بيتي و راح، وقلت في نفسي : أنا لا أخرج إذ جاءني أبو العباس خضر عليه السلام و قال : قم إلى أبي سعيد، فجئته فرأيته قائما على الباب ينتظرني، وقال : يا عبد القادر! ما يكفيك قولي حتى احتجت إلى قول خضر - عليه السلام - فأدخلني في البيت فجاء بطعام، و وضع في فمي لقمة لقمة حتى شبعت ثم ألبسني خرقة فلازمت صحبته.

وذكروا في طريقة خرقة خلافته - قدس سره - أنه لبس الخرقة من يد الشيخ أبي سعيد المبارك بن علي المخزومي، وهو لبس من يد الشيخ أبي الحسن علي بن محمد بن يوسف القرشي، وهو لبسها من يد الشيخ أبي الفرج الطرسوسي، وهو من يد الشيخ أبي الفضل عبد الواحد التميمي، وهو من يد الشيخ أبي بكر الشبلي، وهو من يد الشيخ أبي القاسم جنيد البغدادي، وهو من يد خاله الشيخ السري السقطي، وهو من يد الشيخ المعروف الكرخي، وهو من يد الشيخ داؤد الطائي، وهو من يد الشيخ حبيب العجمي، وهو من يد سيد التابعين الشيخ أبي الحسن البصري، وهو من يد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه، وهو من يد سيد الخلق كله محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وهو من يد جبرئيل بأمر الله تعالى خالق الكل.

و منها ما نقل عن الشيخ أبو محمد عبد الرحمن الطفسونجي - رحمه الله تعالى- أنه قال يوما على المنبر : أنا بين الأولياء كالكركي بين الطيور أطولهم عنقا، و في جماعته الشيخ أبو الحسن علي بن أحمد من أصحاب الغوث الأعظم، فقام و أخرج دلقه ، وقال : دعني أصارع معك، فسكت الشيخ عبد الرحمن عن جوابه، وقال لأصحابه : ما رأيت فيه شعرة خالية من عنايات الله تعالى، وقال : البس جبتك، فقال : أنا لا أعود إلى ما خرجت عنه، وصرف وجهه إلى قرية، ونادى امرأته، يا فاطمة! هات الثوب لألبسه فسمعت زوجته من هناك فخرجت بثوب فلقيته في الطريق.

و سأله الشيخ عبد الرحمن من شيخك؟، فقال : شيخي الشيخ عبد القادر، فقال : أسمع ذكر الشيخ عبد القادر في الأرض، و أنا منذ أربعين سنة في الدرجات بباب القدرة فما رأيته هناك أصلا، وقال لجماعة من أصحابه : روحوا إلى بغداد إلى الشيخ عبد القادر، وقولوا له : عبد الرحمن يبلغك السلام، ويقول : منذ أربعين سنة أنا في الدركات بباب القدرة فما رأيتك هناك لا داخلا و لاخارجا. والغوث الأعظم قال في ذلك الوقت لبعض أصحابه: روحوا إلى طفسونج و يلاقيكم في الطريق أصحاب الشيخ عبد الرحمن الطفسونجي أرسلهم إلي برسالة فارجعوهم معكم إلى الشيخ عبد الرحمٰن، فإذا حضرتم عنده قولوا له : عبد القادر يبلغك السلام و يقول : أنت في الدركات و من هو في الدركات لا يرى من هو في الحضرة، ومن هو في الحضرة لا يرى من هو في المخدع، و أنا في المخدع أدخل وأخرج من باب السر من حيث لا تراني، بإمارة أن خرجت لك الخلعة الفلانية في الوقت الفلاني على يدي خرجت لك وهي خلعة الرضا، و بإمارة خروج التشريف الفلاني في الليلة الفلانية على يدي خرج لك وهو تشريف الفتح، [و بإمارة أن خلع عليك في الدركات بمحضر اثني عشر ألف ولي الله تعالى خلعة الولاية، وهي فرجية خضراء طرازها سورة الإخلاص على يدي خرجت لك، فانتهوا إلى نصف الطريق فوجدوا أصحاب الشيخ عبد الرحمن فردوهم و أتوهم إليه، وبلغوه رسالة الشيخ عبد

القادر، فقال : صدق الشيخ عبد القادر سلطان الوقت صاحب التصريف فيه].[١]

ثناء العلماء عليه :

قال الإمام النووي: ما علمنا فيما بلغنا من التفات الناقلين و كرامات الأولياء أكثر مما وصل إلينا من كرامات القطب شيخ بغداد محيي الدين عبد القادر الجيلاني كان شيخ السادة الشافعية والسادة الحنابلة ببغداد، و انتهت إليه رياسة العلم في وقته، و تخرج بصحبته غير واحد من الأكابر، و انتهى إليه أكثر أعيان مشايخ العراق وتتلمذ له خلق لا يحصون عدداً من أرباب المقامات الرفيعة وانعقد عليه إجماع المشايخ والعلماء بالتبجيل والإعظام والرجوع إلى قوله والمصير إلى حكمه وأُهرع إليه أهل السلوك - التصوف - من كل فج عميق. وكان جميل الصفات، شريف الأخلاق، كامل الأدب والمروءة، كثير التواضع، دائم البشر، وافر العلم والعقل، شديد الاقتفاء لكلام الشرع وأحكامه، معظما لأهل العلم، مُكرِّماً لأرباب الدين والسنة، مبغضاً لأهل البدع والأهواء، محبا لمريدي الحق مع دوام المجاهدة، ولزوم المراقبة إلى الموت. وكان له كلام عال في علوم المعارف، شديد الغضب إذا انتهكت محارم الله سبحانه وتعالى، سخي الكف، كريم النفس على أجمل طريقة، وبالجملة لم يكن في زمنه مثله.[٢]

قال الإمام العز بن عبد السلام : إنه لم تتواتر كرامات أحد من المشايخ إلا الشيخ عبد القادر فإن كراماته نقلت بالتوتر.[٣]

قال الذهبى: الشيخ عبد القادر الشيخ الإمام العالم الزاهد العارف القدوة، شيخ الإسلام، علم الأولياء، محيي الدين، أبو محمد، عبد القادر بن أبي صالح عبد

---

(1) هكذا في مقدمة شرح فتوح الغيب المخطوط للشيخ عبد العزيز - رحمه الله تعالى - ص: ٢/ ٣/ ٤ ، وما بين معكوفتين مأخوذ من نزهة الخاطر الفاتر الملا علي القاري ص ٢١٢/ ٢١٣، وفى المخطوط هناك بياض.

(2) قلائد الجواهر، تأليف: محمد بن يحيى التادفي، ص: ١٣٧ نقلا عن بستان العرافين، تأليف: النووى

(3) سير أعلام النبلاء، تأليف: الذهبي ج : ٢٠، ص : ٤٤٣

الله ابن جنكى دوست الجيلى الحنبلى، شيخ بغداد.(١)

قال الإمام ابن حجر العسقلاني الكناني : كان الشيخ عبد القادر متمسكاً بقوانين الشريعة يدعو إليها وينفر عن مخالفتها ويشغل الناس فيها مع تمسكه بالعبادة والمجاهدة ومزج ذلك بمخالطة الشاغل عنها غالبا كالأزواج والأولاد ومن كان هذا سبيله كان أكمل من غيره؛ لأنها صفة صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم.(٢)

قال ابن قدامة المقدسى: دخلنا بغداد سنة إحدى وستين وخمس مائة، فإذا الشيخ عبد القادر بها، انتهت إليه بها علما وعملا وحالا واستفتاء وكان يكفى طالب العلم عن قصد غيره من كثرة ما اجتمع فيه من العلوم والصبر على المشتغلين وسعة الصدر. كان ملئ العين، وجمع الله فيه أوصافاً جميلة وأحوالاً عزيزة وما رأيت بعده مثله ، ولم أسمع عن أحد يحكى من الكرامات أكثر مما يحكى عنه، ولا رأيت أحداً يعظمه الناس من أجل الدين أكثر منه.(٣)

قال ابن رجب الحنبلى: عبد القادر بن أبي صالح الجيلى ثم البغدادي، الزاهد شيخ العصر وقدوة العارفين وسلطان المشايخ وسيد أهل الطريقة محيى الدين ظهر للناس، وحصل له القبول التام، وانتصر أهل السنة الشريفة بظهوره، وانخذل أهل البدع والهواء، واشتهرت أحواله وأقواله وكراماته ومكاشفاته، وجاءته الفتاوى من سائر القطار، وهابه الخلفاء والوزراء والملوك فمن دونهم.(٤)

قال الحافظ ابن كثير : الشيخ عبد القادر الجيلى، كان فيه تزهد كثير وله أحوال صالحة ومكاشفات.(٥)

قال الإمام اليافعى : قطب الأولياء الكرام، شيخ المسلمين والإسلام ركن الشريعة وعلم الطريقة، شيخ الشيوخ، قدوة الأولياء العارفين الأكابر أبو محمد عبد

(1) سير أعلام النبلاء، تأليف: الذهبى. ج : ٢٠، ص : ٤٣٩
(2) قلائد الجواهر، تأليف: محمد بن يحيى التادفى، ص : ٢٣
(3) قلائد الجواهر، تأليف: محمد بن يحيى التادفي، ص : ٦
(4) الطبقات، تأليف: ابن رجب الحنبلي.
(5) البداية والنهاية، تأليف: ابن كثير.

القادر بن أبي صالح الجيلي قدس سره ونور ضريحه، تحلى بحلى العلوم الشرعية، وتجمل بتيجان الفنون الدينية، وتزود بأحسن الآداب وأشرف الأخلاق، قام بنص الكتاب والسنة خطيبا على الأشهاد، ودعا الخلق إلى الله سبحانه وتعالى فأسرعوا إلى الانقياد، وأبرز جواهر التوحيد من بحار علوم تلاطمت أمواجها، وأبرأ النفوس من أسقامها وشفى الخواطر من أوهامها وكم رد إلى الله عاصياً، تتلمذ له خلق كثير من الفقهاء .[1]

قال الإمام الشعراني : طريقته التوحيد وصفاً وحكما وحالا، وتحقيقه الشرع ظاهرا وباطناً.[2]

قال الإمام أحمد الرفاعي : الشيخ عبد القادر من يستطيع وصف مناقبه ومن يبلغ مبلغه ذاك رجل بحر الشريعة عن يمينه وبحر الحقيقة عن يساره من أيهما شاء اقترف لا ثاني له في وقتنا هذا. (١١)[3]

وفاته: ولد قدس سره سنة إحدى و سبعين و أربع مائة، و وفاته سنة إحدى و ستين و خمس مائة، وعمره كان تسعين سنة. و تاريخ ولادته: عشق. وعمره: كمل. و وفاته: عشق كمل.[4]

شرح فتوح الغيب وتلخيصه : قد بين أخونا الفاضل الشيخ **محمد نظام الدين المصباحي - حفظه الله تعالى** – في ترجمة الشيخ عبد العزيز بن ولي محمد – رحمه الله تعالى – المخالدي الفتني بوضاحة تامة بأنه شرح مغلقات كتاب فتوح الغيب للشيخ الكامل عبد القادر الجيلاني - رحمه الله تعالى -، ثم لخصه الشيخ عطاء الله البتلادي - رحمه الله تعالى –

إن هذا الشرح يمتاز من غيره؛ لأن الشارح هو إمام جمع بين العلم الشرعي والسلوك الصوفي فتمت له الحسنى من الجهتين. وقد أتى الإمام

(1) قلائد الحو اهر ، تألىف: محمد بن بحيى التادفى، ص : ١٣٦
(2) الطبقات الكبرى، تألىف: الشعراني، ج : ١، ص : ١٢٩
(3) قلائد الجواهر، تأليف: محمد بن يحيى التادفي، ص : ٦٦
(4) هكذا في مخطوطة شرح الشيخ عبد العزيز قدس سره ص : ٣

الموصوف في مبدأ شرحه بفهرسة الكتاب أنقلها بتمامها من المخطوطة كي يعم نفعها، وهي فيما تلي :

أما الفهرست فأقول : قد ذكر في هذا الكتاب إحدى و ثمانون مقالة و مقدمة، ثمانية وسبعون مقالة في أصل الكتاب، و ثلاث مقالات حكاه ولده الشريف من أحوال وفاته - قدس سره - :

المقدمة: في بيان كثرة نعم الله تعالى، والعجز عن أداء شكرها. **الأولى:** فيما لابد للمؤمن في سائر أحواله. **الثانية** : في الاتباع بالسنة وترك البدعة. **الثالثة** : في بيان المعالجة حين الابتلاء. **الرابعة** : في بيان مراتب الموت عن الخلق والهوى والإرادة. **الخامسة** : في تشبيه حال الدنيا و اشتغال أهلها بها. **السادسة** : في بيان الفناء عن الخلق بحكم الله تعالى، وعن الهوى بأمره، وعن الإرادة بفعله تعالى. **السابعة** : في بيان خروج السالك عن نفسه و ملكه و تسليم الكل إلى الله تعالى. **الثامنة** : في نفي الاختيار عن نفسه في جميع حالاته و التسليم لفعل الله تعالى. **التاسعة** : في الكشف والمشاهدة في الأفعال. **العاشرة** :في بيان مخالفة النفس. **الحادية عشر** :في بَيَانِ ما يفعل حين إلقاء الله تعالى شهوة النكاح حال الفقر. **الثانية عشر** : في بَيَانِ ما يفعل حال الغنا. **الثالثة عشر** : في المنع عن جلب النعماء و عن دفع البلاء، و حاصله التفويض والتسليم. **الرابعة عشر** : في المنع عن ادعاء حالة القوم لصاحب الهواء. **الخامسة عشر** : في بَيَانِ واقعة نفسه الشريفة في رؤية المنام مع جماعة المنقطعين إلى الله تعالى و تعليمه إياهم حقيقة الانقطاع. **السادسة عشر** : في المنع عن الاعتماد على الأسباب. **السابعة عشر** : في بَيَانِ معنى الوصول إلى الله تعالى. **الثامنة عشر** : في بَيَانِ معنى الرضا. **التاسعة عشر:** في بَيَانِ وفاء ما وعد الله تعالى البتة للعبد حين ضعف إيمانه والانتقال منه إلى ما هو أشرف منه حين قوة إيمانه و كمال يقينه. **العشرون** : في بَيَانِ معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: دع ما يريبك إلى ما لا يريبك. **الحادية والعشرون** : في رؤيته قدس سره إبليس اللعين في منامه. **الثانية والعشرون** : في بَيَانِ ابتلاء الله تعالى المؤمنين بقدر

إيمانهم. **الثالثة والعشرون** : في بَيَانِ القناعة. **الرابعة والعشرون** : في الحذر عن معصية الله عز وجل. **الخامسة والعشرون** : في تسكين الفقير المهان بألطاف الملك المنان. **السادسة والعشرون** : في تفريغ القلب عما سوى الله تعالى بالكلية. **السابعة والعشرون** : جعل الله القدر شجرة والخير والشر ثمرتين حلوا و مرا. **الثامنة والعشرون** : في المجاهدة والرياضة. **التاسعة والعشرون** : في بَيَانِ قول النبي صلى الله عليه وسلم كاد الفقر أن يكون كفرا. **الثلاثون** : في الجواب عن طلب العمل و الحيلة في حالة الجزع والفزع. **الحادية والثلاثون** : في دفع البغض عن القلب. **الثانية والثلاثون** : في الجواب عن شبهة عدم بقاء الصحبة والمودة و فناء المال. **الثالثة والثلاثون** : في بَيَانِ أنواع الرجال بأنها أربعة عديم اللسان والقلب جميعا، و لسان بلا قلب، وقلب بلا لسان، والجامعة لهما، والأولان شران، و الأخيران خيران. **الرابعة والثلاثون** : في دفع السالك سخطه على الرب تعالى و التهمة له والتشكي عنه تعالى. **الخامسة والثلاثون** : في الورع بترك الرخصة و اختيار العزيمة. **السادسة والثلاثون** : في جعل الآخرة رأس المال والدنيا ربحه. **السابعة والثلاثون** : في المنع عن الحسد. **الثامنة والثلاثون** : في الصدق مع الله تعالى . **التاسعة والثلاثون** : في بَيَانِ حكم أخذ السالك مع الهواء أو أخذه بدون الهواء. **الأربعون** : في المنع عن إدخال السالك نفسه في الروحانيين مع بقاء بشريته. **الحادية والأربعون** : في بَيَانِ المثل للغني والفقير. **الثانية والأربعون** : في بَيَانِ أن للنفس حالتين لا ثالث لهما :حالة العافية و حالة البلاء. **الثالثة والأربعون** : في بَيَانِ أن منشأ السؤال الجهل، و منشأ العفة وفور العلم بالله تعالى. **الرابعة والأربعون** : في بَيَانِ عدم استجابة المسؤل للعارف. **الخامسة والأربعون** : في بَيَانِ حال المنعم عليه و حال المبتلى. **السادسة والأربعون** : في بَيَانِ قول النبي صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله تعالى: من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين. **السابعة والأربعون** : في سؤال شيخ عنه قدس سره عن سبب التقرب إلى الله تعالى. **الثامنة والأربعون** : في بَيَانِ كيفية السلوك بالاشتغال

بالفرائض أولا ثم بالسنن ثم بالنوافل ثم بالفضائل. **التاسعة والأربعون** : في بَيَانِ حال من اختار النوم على السهر. **الخمسون** : في بَيَانِ القرب والوصول والغيبة عن القرب. **الحادية و الخمسون** : في بَيَانِ حال الزهد. **الثانية والخمسون** : في بَيَانِ سبب ابتلاء الله تعالى الأحباب. **الثالثة والخمسون** : في الرضا بالقضاء. **الرابعة والخمسون** : في بَيَانِ الزهد في الدنيا والآخرة. **الخامسة والخمسون** : في ترك الحظوظ. **السادسة والخمسون** : في بَيَانِ أن الوصال إنما هو بعد الفناء عن الخلق والنفس والهوى. **السابعة والخمسون** : في بَيَانِ أن الأحوال كلها قبض. **الثامنة والخمسون** : في الأمر بتعامي السالك عن الجهات كلها حتى يصلح لفضل الله تعالى و فيضه. **التاسعة والخمسون** : في بَيَانِ التصبر والصبر والرضا والموافقة والفناء. **الستون** : في بَيَانِ أن البداية هي الخروج من المعهود إلى المشروع ثم إلى المقدور ثم الرجوع إلى المعهود بشرط حفظ الحدود. **الحادية والستون** : في بَيَانِ أن كل مؤمن مكلف بالتوقف والتفتيش، وبيان قول النبي صلى الله عليه وسلم: إن المؤمن فتاش والمنافق لقاف. **الثانية والستون** : في بَيَانِ ترك الشكاية عن الله عز وجل. **الثالثة والستون** : في بَيَانِ حال منامه. **الرابعة والستون** : في بَيَانِ حال نفسه الشريفة و ضيق الأمر بها يوما و ما جرى فيه. **الخامسة والستون** : النهي عن التسخط على الرب تعالى بسبب التأخير في استجابة الدعاء. **السادسة والستون** : في النهي عن التقول بـ لا أدعو الله تعالى شيئا بعلة أن المطلوب إن كان مقسوما يأتيني بلا طلب، و إن لم يكن مقسوما لا ينفعه السؤال. **السابعة والستون** : في بَيَانِ المجاهدة مع النفس و قتلها بسيف المخالفة و إحياء الله تعالى بعد ذلك. **الثامنة والستون** :في بَيَانِ أن إجابة الله تعالى مسؤل العبد و إعطاءه لمطلوبه لا يدفع إرادته تعالى و لا ما جف به القلم. **التاسعة والستون** : في الحث على أن لا يطلب من الله تعالى إلا مغفرة الذنوب الماضية، والعصمة عليها في الاستقبال، والتوفيق للطاعة، والرضا بالقضاء، والشكر على النعماء، والصبر على البلاء. **السبعون** : في النهي عن العجب في الأعمال و رؤية النفس فيها و طلب العوض عليها. **الحادية**

والسبعون : في بَيَانِ حال السالك بأن لا يخلو إما أن يكون مريدا أو مرادا، و بيان ما يليق بكلا الحالين. **الثانية والسبعون :** في بَيَانِ أقسام المشتغلين بالدنيا. **الثالثة والسبعون :** في بَيَانِ أن الله يطلع وليه على عيوب غيره من الكذب والشركة في أفعاله و أحواله و دعواه و إضماره و نيته. **الرابعة والسبعون :** في الوصية بتقوى الله تعالى و طاعته و لزوم ظاهر الشرع و بمحاسن الأخلاق، **و فيها :** بيان حقيقة الفقر و حقيقة الغنا و حقيقة التصوف. **الخامسة والسبعون :** أيضاً في الوصية في صحبة الأغنياء والفقراء و كيفية السلوك في المبدأ والمعاد. **السادسة والسبعون :** أيضاً في الوصية في الكون مع الله تعالى بدون الخلق، و مع الخلق بدون النفس. **السابعة والسبعون :** في وصيته لابنه عبد الوهاب بعد سؤاله في مرض موته قدس سرهما و أوصل إلينا برهما. **الثامنة والسبعون :** في بَيَانِ اِحَاطَةِ قَلْبِ الْعَارِفِ بِجَمِيْعِ الْاَشْيَاءِ حِيْنَ صَحَّ مَعَ الله تعالى. **التاسعة والسبعون:** في بَيَانِ فَضِيْلَةِ نَفْسِهِ الشَّرِيْفَةِ. **الثمانون :** أيضاً في بَيَانِ فَضِيْلَةِ نَفْسِهِ الشَّرِيْفَةِ في مرضه ومنع السؤال عن حاله في ذلك الوقت بعد ما سأله ولده عبد العزيز قدس سره. **الحادية والثمانون :** في بَيَانِ سؤال ولده عبد العزيز عن مرضه و بيان حاله.

مجموع المقالات المذكورة في هذا الكتاب إحدى و ثمانون مقالة في أصل الكتاب ، و ثلاث مقالات ألحقها ولده السيد محمد على ما قيل، والله سبحانه وتعالى أعلم بحقيقة الحال في تحقيق المقال، وحان أن أشرع في المقصود متوكلا على الرب المعبود، و سائلا منه أن يرزقني الصدق والصواب في القول والعمل، و أن يحفظ قدمي من الزلل، و قلمي من الخلل، أنه على كل شيء قدير و بالإجابة جدير، وهو حسبي و نعم الوكيل و بجميع أمور عبده كفيل.[١]

القراء الكرام! نتشرف بغرض هذا العمل بين أيديكم، وقد حققت مخطوطة تلخيص الشرح، و بذلت ما في وسعي في التصحيح والتصويب لتخريج هذه الدرة المكنونة من صدفها، و تيسيرها للطالبين لكن لا يخلو عمل من نقص، و لايبرأ جهد من هنات هنا أو هناك، فالمرجو من القارئ أن ينصرف انتباهه إلى

(1) هكذا في مخطوط شرح فتوح الغيب للشيخ عبد العزيز رحمه الله تعالى، ص : ٧ / ٨ / ٩

ما في هذا الكتاب من محاسن ليتحقق الانتفاع بها فيه، و يطلعني على ما فيه من الخطأ ليمكن لنا التصحيح و التصويب فيها بعد. والحمد لله والمنة له.

٢٥ من ذي الحجة ١٤٤٠هـ
٢٧ /٨/ ٢٠١٩ م
يوم الثلثاء

محمود علي المشاهدي المصباحي
الأستاذ بالجامعة الأشرفية
بمبارك فور، الهند

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

الحمد لله رب العالمين. والصلوة والسلام على رسوله محمد سيد الأولين والآخرين، و على إخوانه من النبيين والمرسلين، و على آله و أصحابه أجمعين، و على من تبعهم إلى يوم الدين.

و بعد فيقول أفقر العباد إلى رحمة الله الَّذِيْ رجاء ه من ربه كاسمه عطاء الله، و ملاذه شفاعة حبيبه محمد ابن عبدالله عليه وعلى آله أفضل الصلوات و أزكى تحيات الله. اللّٰهم اغفرله و لوالديه و لمن استفاد من عنده و لديه و للمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات، فرحمتك يا أكرم الأكرمين وسعت كل شيء و أنت أرحم الراحمين:

هذا شرح مختصر انتخبته من الشرح للفاضل المحقق مولانا عبد العزيز قدس الله سره العزيز تسهيلا على الطالبين، و تيسيرا على الراغبين سيما الولد العزيز، الموفق لطلب العلم من ربه الكريم، سمي نبيه الَّذِيْ هو بالمؤمنين رؤوف رحيم، متنه "فتوح الغيب" مشهور في الأطراف والجوانب، مصنفه معروف كالشمس في المشارق والمغارب الَّذِيْ هو سيد السادات، و منبع الكرامات، القطب الرباني، الغوث الصمداني، المحبوب السبحاني،الشيخ محيي الدين السيد عبدالقادر الجيلاني قدس الله تعالىٰ روحه، و أوصل إلينا فتوحه.

قال رضي الله تعالىٰ عنه و أرضاه عنا:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ. اَلْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِيْنَ اَوَّلًا وَّ آخِرًا وَظَاهِرًا وَّ بَاطِنًا عَدَدَ خَلْقِهٖ وَ مِدَادَ كَلِمَاتِهٖ وَ زِنَةَ عَرْشِهٖ وَ رِضَا نَفْسِهٖ وَ عَدَدَ كُلِّ شَفْعٍ وَّ وَتْرٍ وَ رَطْبٍ وَّ يَابِسٍ وَ جَمِيْعَ مَا خَلَقَ رَبُّنَا.

«بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْم»

روي عن الحسين رضى الله تعالٰى عنه أنه قال: "بسم الله"منك بمنزلة "كن" من الله، فإذا أحسنت أن تقول بسم الله تحققتِ الأشياء بقولك "بسم الله" كما تحقق بقوله عزوجل "كن".

«اَلْحَمْدُ» هو ثناء الذات بمحاسن الصفات «لله» هو اسم عربي جامد علم للذات المستجمعة لجميع الصفات «رَبِّ الْعَالَمِيْنَ» رَبّٰى كُلًّا من عالم الأعيان الثابتة، و عالَمِ الأرواح، و عالم المثال، و عالم الأجسام الأفلاكي والعناصري المعادني و النباتي والحيواني مع أنواعها المتعددة، و أصنافها المتكثرة، و أشخاصها الخارجة عن الحصر والعدّ «اَوَّلًا وَّ آخِرًا» على الإيجاد و الإبقاء الأوْلٰى الدنيوي، و الإيجاد والإبقاء الثانوي الأخروي كما علّمنا بقوله: فله الحمد في الأولٰى والاٰخرة «وَظَاهِرًا» على نعمه الظاهرية «وَ بَاطِنًا» على نعمه الباطنية «عَدَدَ خَلْقِهٖ» الَّذِيْ لايعلمه إلا هو «وَ مِدَادَ كَلِمَاتِهٖ» الخارجة عن الحصر كما نطق به:

قُلْ لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمٰتِ رَبِّيْ لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ اَنْ تَنْفَدَ كَلِمٰتُ رَبِّيْ وَ لَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهٖ مَدَدًا. [الكهف رقم السورة:١٨، رقم الآية:١٠٩]

«وَ زِنَةَ عَرْشِهٖ» الذي لا يعلم عظمته إلا هو «وَرِضَا نَفْسِهٖ» فإن حسن الحمد إنما هو بقبول المحمود «وَ عَدَدَ كُلِّ شَفْعٍ وَّ وَتْرٍ وَ رَطْبٍ وَّ يَابِسٍ» خلقه بل «وَ جَمِيْعَ مَا خَلَقَ رَبُّنَا»

وَذَرأَوَ بَرأَدَائِمًا اَبَدًا سَرْمَدًا طَيِّبًا مُبَارَكًا الَّذِيْ خَلَقَ فَسَوّٰى وَ قَدَّرَ فَهَدٰى وَ اَمَاتَ وَ اَحْيٰى وَ اَضْحَكَ وَ اَبْكٰى وَ قَرَّبَ وَ اَدْنٰى وَ رَحِمَ وَ اَخْزٰى وَ اَطْعَمَ وَ اَسْقٰى.

«وَ ذَرَأَ وَ بَرَأَ» أَهُمَا بمعنى خلق «دَائِمًا اَبَدًا سَرْمَدًا» قال في القاموس: السرمد الدايم، فالألفاظ الثلثة الظرفية للتاكيد كالثلثة الأُوَل الفعلية «طَيِّبًا» يطيبه المحمود

«مُبَارَكًا» كثير الخير على الحامد من الله تعالىَ «الَّذِيْ» صفة لله «خَلَقَ» كل شيء «فَسَوّٰى» خلقه بمقتضى حكمته «وَقَدَّرَ» أي جعله على مقدار معين «فَهَدٰى» فَوَجَّهَهٗ إليه كما نطق به قوله تعالىٰ: اِنْ مِّنْ شَىْءٍ اِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهٖ وَ لٰكِنْ لَّا تَفْقَهُوْنَ تَسْبِيْحَهُمْ.[سورة الإسراء رقم السورة:١٧، رقم الآية:٤٤] فهذه الهداية عامّة لجميع المخلوقات، يعلم كلُّ شيء ربَّه بمقتضى اسمه الَّذِيْ رباه، و به يتوسل إلى الله تعالىٰ في جلب النفع و دفع الضرسوى الإنسان، فإنه مظهر جامع يعرف ربه بجميع أسمائه، و مع ذلك فالغالب لكل فرد اسم خاص من أسمائه تعالىٰ، و يظهر فيه خاصيته و إن كانت الهداية الإيمانية مختصةً بالمؤمنين، والعرفانية بالعارفين.

«وَ اَمَاتَ» من يصلح للإماتة في وقت قدرها فيه «وَ اَحْيٰى» لمن يصلح للإحياء بتمام استعداده ظاهرا و باطنا «وَاَضْحَكَ» الفرحين «وَاَبْكٰى» المحزونين «وَ قَرَّبَ» المقربين في علمه الأزلى بصلاح استعدادهم و قابليتهم للقرب «وَ اَدْنٰى» أي زاد في القرب لمن يصلح لذلك من الكاملين المقربين «وَ رَحِمَ» من يصلح للرحمة في علمه «وَ اَخْزٰى» من يصلح لذلك في علمه «وَ اَطْعَمَ» جميع ذوي الأرواح «وَ اَسْقٰى» جميعها كلا على قدر قابليته أطعم الروحانيين بما يليق والجسمانيين بما يليق بهم، و سقى المحبين من كأس المحبة، والشائقين من الشوق، والعارفين من المعرفة، والعالمين من العلم و سائر الحيوانات بما يقوتهم.

وَ اَسْعَدَ وَ اَشْقٰى وَ مَنَعَ وَ اَعْطٰى الَّذِيْ بِكَلِمَتِهٖ قَامَتِ السَّمٰوَاتُ السَّبْعُ الشِدَادُ، وَبِهَا رُسَّتِ الرَّاوَاسِي وَالْاَوْتَادُ وَ اُسْتُقِرَّتِ الْاَرْضُ الْمِهَاد، فَلَا مَقْنُوْطًا مِنْ رَحْمَتِهٖ وَ لَا مَامُوْنًا مِنْ مَكْرِه وَ غِيَرِتِهٖ وَ اِنْفَاذِ اَقْضِيَتِهٖ وَ فِعْلِهٖ وَ اَمْرِهٖ.

«وَ اَسْعَدَ» من يصلح للسعادة «وَ اَشْقٰى» من يصلح للشقاوة «وَ مَنَعَ» من يصلح للمنع «وَ اَعْطٰى» من يصلح للعطاء «الَّذِيْ بِكَلِمَتِهٖ» أي بحكمه «قَامَتِ السَّمٰوَاتُ السَّبْعُ» وراءالعرش والكرسي «الشِّدَادُ» المحكمات «وَ بِهَا»

أي بكلمته «رُسَّتِ» استحكمت «الرَّوَاسِيْ» أي الجبال الشامخات، أي العظيمات المرتفعات من رَسَا الأمر أي ثبت، و رَسَّاه أي أثبته «وَالْاَوْتَادُ، وَ اُسْتُقِرَّتِ الْاَرْضُ الْمِهَاد» الفراش بمعنى المفروش.

قَالَ اللہ تَعَالٰی:

اَلَمْ نَجْعَلِ الْاَرْضَ مِهَادًا. وَ الْجِبَالَ اَوْتَادًا.(النبا رقم السورة: ٧٨،رقم الآية:٦-٧)

و إذا كان الله تعالٰى فعل هذه الأفعال التي بلغت في اللطف والقهر «فَلَا مَقْنُوْطًا مِنْ رَحْمَتِهٖ» اَحَدٌ «وَ لَا مَامُوْنًا مِنْ مَكْرِه» أحد فيكون "لا" بمعنى ليس، و اسمه و هو لفظ أحد في الموضعين محذوف، و ذلك شائع، في النحو، أو فلا تجد أحدا مقنوطا من رحمته، و لا تجد أحدا مأمونا من مكره، فيكون لا النافية الداخلة على الفعل، و الأول أظهر «وَ» من «غِيَرِتِهٖ» أي و لا مأمونا أحد من غيرته أو تغييراته «وَ إِنْفَاذِ أَقْضِيَتِهٖ» على مخلوقاته بما ير يد «وَ فِعْلِهٖ وَ اَمْرِهٖ» بما يشاء فإنه يفعل مايشآء و يحكم ما ير يد، كل شيء مخلوقه، فأيّ منه يزاحم خالقه.

وَلَا مُسْتَكِفًا عَنْ عِبَادَتِهٖ وَ لَا مَخْلُوًّا مِنْ نِعْمَتِهٖ فَهُوَ الْمَحْمُوْدُ بِمَا حَنَا، الْمَشْكُوْرِ بِمَا زَوٰى.

«وَلَا»أحد «مُسْتَنْكِفًا عَنْ عِبَادَتِهٖ» الاستنكاف التكبر مع أنِفَةٍ «وَلَا» أحد «مَخْلُوًّا» أي خاليا «مِنْ نِعْمَتِهٖ» لأن الوجود نعمة، والحياة نعمة، والصحة نعمة، والرزق نعمة، والتخليص عن الآلام والأوجاع والأمراض والأسقام نعمة، و أي مخلوقٍ يخلو منها، و إذا كان الكل مُنْعَمًا عليه بهذا الاعتبار من الله تعالٰى، و هو تعالٰى بكل نعمة يستحق الحمدَ «فَهُوَ الْمَحْمُوْدُ» بكل لسان وعلى كل حال «بِمَا حَنَا» الباء متعلق بالحمد على معنى السببية، و ما مصدر ية، والمعنى: الحمد لله الموصوف بما ذكرنا بسبب عطفه و شفقته، ف "حنا" بمعنى عطف.

و في القاموس: حناه حنوا و حنّاه: عطفه، و حنت على ولدها حنوا كعلوّ: عطفت، ك أحَنَّتْ «الْمَشْكُوْر» صفة لله، أي الحمد لله المشكور «بِمَا زَوٰى» بمعنى صرف و جمع. في القاموس زواه ز يًّا و زُوِ يًّا: نَحَّاه، و زوى الشيءَ: جمعه و قبضه، انتهي.

وفي الحديث "وَ مَا زَوَيْتَ عَنِّيْ مِمَّا أُحِبُّ"[1] أي صَرَفْتَهُ مِنِّيْ. "وَ زُوِيَتْ لِيَ الْأَرْضُ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَ مَغَارِبَهَا"[2] أي جُمِعَتْ. من شرح مولانا عبدالعزيز.

والأول يعدى بعن، والثاني باللام. والمناسب للمقام باعتبار مقابله هو المعنى الأول، إذ فيه تأسيس فائدة، وفي الثاني تأكيد، والتأسيس خير من التأكيد، اهـ. "ش"

والحاصل: أن الله تعالىٰ محمود بكل ما أعطى من النعم التي لا تحصى عاجلا و آجلا رحمة من عنده، و مشكور بما صرف من المضارّ والبلاياء عاجلا و آجلا، أو مشكور بما جمع من النعم الدنيوي والأخروي.

ثُمَّ الصَّلٰوةُ وَالسَّلَامُ عَلٰى نَبِيِّهٖ مُحَمَّدِ نِالْمُصْطَفٰى الَّذِيْ مَنِ اتَّبَعَ مَا جَآءَ بِهٖ اهْتَدٰى وَ مَنْ صَدَفَ عَنْهُ ضَلَّ وَارْتَدٰى، النَّبِيِّ الصَّادِقِ الْمُصَدَّقُ الزَّاهِدُ فِي الدُّنْيَا الطَّالِبُ الرَّاغِبُ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلٰى الْمُجْتَبٰى مِنْ خَلْقِهٖ، وَالْمُنْتَخَبُ مِنْ بَرِيَّتِهٖ الَّذِيْ جَآءَ الْحَقُّ بِمَجِيْئِهٖ، وَ زَهَقَ الْبَاطِلُ بِظُهُوْرِهٖ، وَ اَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُوْرِهٖ.

«ثُمَّ الصَّلٰوةُ وَالسَّلَامُ» من الله تعالىٰ و منا «عَلٰى نَبِيِّهٖ» أي منبائه «مُحَمَّدِ نِالْمُصْطَفٰى» المختار «الَّذِيْ مَنِ اتَّبَعَ مَا جَآءَ بِهٖ» من الشريعة «اهْتَدٰى وَ مَنْ صَدَفَ» أي أعرض «عَنْهُ ضَلَّ» طريق الحق «وَارْتَدٰى» أي رجع عن طريق الحق «النَّبِيِّ» المنبيء للخلق بما أنباه به الحق فلا تكرار، فتأمل.

«الصَّادِقِ» في أقواله و أفعاله و أحواله «الْمُصَدَّقُ» الَّذِيْ صدقه المفلحون

---

(1) أخرجه الإمام الترمذي في جامعه، كتا ب الدعوات، باب ماجاء في عقد التسبيح باليد، برقم: ٢٤٩١، وحسنه، ونصه بتمامه هكذا: "اللهم ارزقني حبك، وحب من ينفعني حبه عندك، اللهم مارزقتني مما أحب فاجعله قوة لي فيما تحب، اللهم مازويت عني مما أحب فاجعله فراغالي فيما تحب. وهكذا في مصنف ابن أبي شيبة برقم: ٣٠٢٠٨. محمود على المشاهدي

(2) أخرجه ابن ماجه في سننه، أبواب الفتن، باب مايكون من الفتن، برقم: ٣٥٥٢. وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، برقم: ٢٨٨٩. ونصه: "إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها و مغاربها"، والحديث في مسند الإمام أحمد، برقم: ٢٢٣٩٥، وصحيح ابن حبان، برقم: ٧٢٣٨. أيضاً. المشاهدي

في علم الله تعالىٰ «الزَّاهِدُ فِي الدُّنْيَا» المعرِض عن لذّاتها.في القاموس: زَهَدَ فيه، كمَنَعَ و سَمِعَ و كَرُمَ ضِدُّ رَغِبَ، اهـ. "ش" «الطَّالِبُ» لمولاه «الرَّاغِبُ فِي الرَّفِيقِ الْاَعْلٰى» الذين هم سكان حريم القُدس، و هم الملأ الأعلى، أعني الملائكة المهيمنين، أو المراد به: ذاتُ الحق تعالىٰ و تقدس.

عن عائشة رضى الله عنها قالت: فكأنت اٰخر كلمة تكلم بها رسول الله صلى الله عليه و على اٰله و صحبه و سلم قوله: "اَللّٰهُمَّ الرَّفيقَ الْأَعْلٰى" أي أطلب الرَّفيقَ الْاَعْلٰى.(١)

«الْمُجْتَبٰى» بمعنى المصطفى والمختار «مِنْ خَلْقِهِ» مخلوقاته كافَّةً.لكمال المحبة و ختم الرسالة، و جعله مظهرا جامعا لجميع المظاهر، و حاملا لجميع الأسرار، و محلا لجميع الأنوار. «الْمُنْتَخَبُ» المختار من انتخبه اختاره «مِنْ بَرِيَّتِهِ» أي خلقه ذوي الأرواح من بَرَأَ بمعنى خلق «الَّذِيْ جَآءَ الْحَقُّ» أي ظهر دين الإسلام «بِمَجِيْئِهِ، وَ زَهَقَ» أي هلك و محى «الْبَاطِلُ» الشرك «بِظُهُوْرِهِ» الشريف في هذا العالَم «وَ اَشْرَقَتِ الْأَرْضُ» أرض العالم «بِنُوْرِهِ» الظاهر وأرض قلوب العارفين بنوره الباطن.

ثُمَّ الصَّلَوَاتُ الْوَافِياتُ، وَالْبَرَكَاتُ الطَّيِّبَاتُ الزَّاكِيَاتُ الْمُبَارَكَاتُ عَلَيْهِ ثَانِيًا، وَ عَلَى الطَّيِّبِيْنَ مِنْ اٰلِهِ وَ اَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِيْنَ لَهُمْ بِالْإِحْسَانِ الْأَحْسَنِيْنَ لِرَبِّهِمْ فِعْلًا، وَالْأَقْوَمِيْنَ لَهُ قِيْلًا، وَالْأَصْوَبِيْنَ إِلَيْهِ طَرِيْقًا وَ سَبِيْلًا.

«ثُمَّ» أي بعد الصلوة و السلام من الله تعالىٰ عليه على قدر مقامه لديه «الصَّلَوَاتُ الْوَافِياتُ» المتكاثرات الخارجات عن الحصر «وَالْبَرَكَاتُ» الخيرات الكثيرة «الطَّيِّبَاتُ» المرضيات «الزَّاكِيَاتُ» الناميات من زكى زكوا نمى و زاد «الْمُبَارَكَاتُ» المقبولات الثابتات الدائمات «عَلَيْهِ ثَانِيًا» أي مكررا تكرارا متواليا إلى الأبد «وَ عَلَى الطَّيِّبِيْنَ مِنْ اٰلِهِ وَ اَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِيْنَ لَهُمْ» أي للآل والأصحاب

(1) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب آخرماتكلم به النبي صلى الله عليه وسلم، برقم:٤٤٦٣

«بِالْإِحْسَانِ» بطريق مرضي لله تعالىٰ و لرسوله صلى الله عليه و آله و سلم «الْاَحْسَنِيْنَ لِرَبِّهِمْ فِعْلًا» يعنى يفعلون ما يحسنه ربهم «وَالْاَقْوَمِيْنَ لَهٗ» أي للرب «قِيْلًا» أي مقالا، أي يقولون لملاحظة ربهم قولًا عدلًا «وَالْاَصْوَبِيْنَ اِلَيْهِ» تعالىٰ «طَرِيْقًا وَ سَبِيْلًا» أي يسلكون إلى الله بالطريق الأصوب المختار المرضي عنده تعالىٰ.

ثُمَّ تَضَرُّعُنَا وَ دُعَآئُنَا وَ رُجُوْعُنَا إِلَيْهِ رَبُّنَا وَمُنْشِئُنَا وَ خَالِقُنَا وَ رَازِقُنَا وَ مُطْعِمُنَا وَ مُسْقِيْنَا وَ نَافِعُنَا وَ حَافِظُنَا وَ كَالِؤُنَا وَ مُحْيِيْنَا وَ الذَّابُّ وَالدَّافِعُ عَنَّا جَمِيْعَ مَا يُؤْذِيْنَا وَ يَسُؤنَا كُلُّ ذٰلِكَ بِرَحْمَتِهٖ وَ تَحِيَّتِهٖ وَ مِنَّتِهٖ.

«ثُمَّ» أي بعد حمدنا لله تعالىٰ، والصلوة على نبيه مع الآل والأصحاب والتابعين نقول: «تَضَرُّعُنَا» أي تذللنا و خضوعنا في الخلاص عنا «وَدُعَآئُنَا» أي مسأَلتنا للخيرات، و دفع المضرات «وَرُجُوْعُنَا» في جميع أمورنا في السراء والضراء من جميع ماسواه «اِلَيْهِ» أي إلى الله تعالىٰ الموصوف بتلك الصفات الجليلة «رَبُّنَا» بدل من ضمير إليه، و يحتمل الرفع على الخبرية لمبتدأٍ محذوف، أي هو ربنا «وَ مُنْشِئُنَا» أي مبدأ خلقنا «وَ خَالِقُنَا» أي موجدنا «وَ رَازِقُنَا» الرزق عندأهل السنة و الجماعة ماساقه الله تعالىٰ إلى الحيوان ليؤكل حلالا كان أو حراما، و يحتمل أن يراد ما يعم المأكولات والمشروبات والملبوسات و المملوك مطلقا، وهو معنى لغوي فعلى هذا قوله «وَ مُطْعِمُنَا وَ مُسْقِيْنَا» تخصيص بعد تعميم أي معطي لنا ما نأكله و نشربه «وَ نَافِعُنَا» بإفاضة الخيرات الدنيوية و الأخروية «وَحَافِظُنَا» عن المكروهات الدينية «و الدنيوية وَ كَالِؤُنَا أي حارسنا من كلأَ كمنع بمعنى حرس، عطف تفسيري «وَ مُحْيِيْنَا» بحيوة القالب والقلب «وَ الذَّابُّ» من الذب بمعنى الدفع «وَالدَّافِعُ عَنَّا» هو أيضا عطف تفسيري «جَمِيْعَ مَا يُؤْذِيْنَا» في أمور ديننا و دنيانا «وَ يَسُؤنَا» منا أو من غيرنا «كُلُّ ذٰلِكَ» المذكور فعله بنا ربنا «بِرَحْمَتِهٖ» الذاتيه «وَ تَحِيَّتِهٖ» أي تعطفه وتلطفه الذاتي «وَ مِنَّتِهٖ» أي عطائه و إحسانه

بِالْحِفْظِ الدَّائِمِ فِي الْاَقْوَالِ وَالْاَفْعَالِ فِي السِّرِّ وَالْاِعْلَانِ وَالْكِتْمَانِ وَالْاِظْهَارِ وَالشِّدَّةِ وَالرِّخَآءِ وَالنِّعْمَةِ وَالْبَاسَاءِ وَالسَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ اِنَّهٗ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيْدُ. وَالْحَاكِمُ لِمَا يَشَآءُ، الْعَالِمُ بِمَا يَخْفِيْ، الْمُطَّلِعُ عَلَى الشُّيُوْنِ وَالْاَحْوَالِ مِنَ الزَّلَّاتِ وَالطَّاعَاتِ وَالْقُرُبَاتِ، السَّامِعُ لِلْاَصْوَاتِ، الْمُجِيْبُ لِلدَّعْوَاتِ لِمَنْ شَاءَ وَ اَرَادَ مِنْ غَيْرِ مُنَازِعٍ وَ لَا تَرَادٍ.

«بِالحِفْظِ الدَّائِمِ فِي الْاَقْوَالِ وَالْاَفْعَالِ» الصادرة عنا بخلق الله تعالٰى و بكسبنا «فِي السِّرِّ وَالْاِعْلَانِ وَالْكِتْمَانِ» الإخفاء «وَالْاِظْهَارِ وَالشِّدَّةِ وَالرِّخَآءِ» الرخاء سعة العيش «وَالنِّعْمَةِ» الظاهرية والباطنية «وَالْبَاسَاءِ» الخوف «وَالسَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ» في القاموس: الضراء: الشدة والنقص في الأموال والأنفس «اِنَّهٗ» أي الله تعالٰى

فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيْدُ. [هود رقم السورة:١١، رقم الآية:١٠٧]

من الأفعال والأحكام لايزاحمه شيء «وَالْحَاكِمُ لِمَا يَشَآءُ» لا دافع لحكمه «الْعَالِمُ بِمَا يَخْفىٰ» من أمور خلقه «الْمُطَّلِعُ عَلَى الشُّيُوْنِ» جمع شأن بمعنى الخطب و الأمر و الحال «وَالْاَحْوَالِ» عطف تفسيري «مِنَ الزَّلَّاتِ» البشرية «وَالطَّاعَاتِ» التي وفقه الله تعالٰى بها «وَالْقُرُبَاتِ» الحاصلة بفيضه و فضله «السَّامِعُ لِلْاَصْوَاتِ» من كافة البريات مع اختلاف اللغات «الْمُجِيْبُ لِلدَّعْوَاتِ لِمَنْ شَاءَ وَ اَرَادَ» بما شاء و أراد «مِنْ غَيْرِ مُنَازِعٍ» لإجابته «وَ لَا تَرَادٍ» أي لارادّ لإفاضته على من أفاض و منعه لمن منع.

اَمَّا بَعْدُ فَاِنَّ نِعْمَ اللهِ عَلَى العِبَادِ كَثِيْرَةٌ مُتَوَاتِرَةٌ فِي اٰنَاءِ اللَّيْلِ وَ اَطْرَافِ النَّهَارِ وَ السَّاعَاتِ وَاللَّحظَاتِ وَالْخَطَرَاتِ وَ جَمِيْعِ الْحَالَاتِ كَمَا قَالَ عَزَّ وَ جَلَّ: ﴿وَ اِنْ تَعُدُّوْا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوْهَا﴾(النحل، رقم السورة:١٦ .رقم الآية:١٨) وَ قَوْلُهٗ عَزَّ وَ جَلَّ: وَ مَا بِكُمْ مِّنْ

نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ[النحل رقم السورة:١٦، رقم الآية:٥٣]

«اَمَّا بَعْدُ» أي الحمد والصلوة «فَإِنَّ نِعَمَ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ» بل على جميع المخلوقات «كَثِيْرَةٌ» خارجة عن الحصر «مُتَوَاتِرَةٌ» لا يختص فيضانها بوقت دون وقت و إن كانت خصوصياتها مختصةً بأوقاتها «في أَنَاءِ اللَّيْلِ وَ اَطْرَافِ النَّهَارِ وَ السَّاعَاتِ» من الليل والنهار عطف تفسير للآناء والأطراف «وَاللَّحَظَاتِ وَالْخَطَرَاتِ» من العباد، اللحظات جمع لحظة و هي: النظر بشق العين الَّذِيْ يلي الصدغ، والمراد هنا: مطلق النظر، والخطرة جمع خطرات و هي ما يخطرفي القلب من حديث النفس، «وَ جَمِيْعِ الْحَالَاتِ» الحاصلة للعباد «كَمَا قَالَ عَزَّ وَ جَلَّ» في محكم كتابه المنزل على حبيبه خطابا لأمته تعليما و إرشادا، و لما كان قوله قدس سره: "فإن نعم الله تعالىٰ على العباد كثيرة" مشتملاعلى حكمين:- كون النعم كثيرةً، و كونها من الله تعالىٰ لا من الأسباب كما يتوهم الجهال استدل عليهما بكلام الله تعالىٰ بقوله: «وَ اِنْ تَعُدُّوْا» أيها العباد «نِعْمَةَ اللهِ» التي أنعم عليكم بها في كل حين و زمان و منزل و مكان «لَا تُحْصُوْهَا» بل بعضها مما لم تعرفوها، فكيف بعدِّها و إحصائها، وَ ليس نعمة عند عبد إلا من فيض مولاه المنعم كما أخبر به «وقَوْلُهٗ عَزَّ وَ جَلَّ: وَ مَا بِكُمْ» أيها العبيد، قوله قدس سره: "قوله عز و جل: وَ مَا بِكُمْ" إلخ عطفا على ما المصدرية في قوله "كما قال"«مِّنْ نِّعْمَةٍ» عرفتموهاأو لم تعرفوا «فَمِنَ اللهِ» تعالىٰ فائضة عليكم فدل على أنها كثيرة و على أنها مع كثرتها من الله تعالىٰ فثبت أن نعم الله تعالىٰ على العباد كثيرة و إذا فات الحصر عن نعم الله تعالىٰ.

فَلَا يَدَانِ لِيْ وَ لَاجَنَانَ لِيْ وَ لَا لِسَانَ لِيْ فِي اِحْصَائِهَا وَ اِعْدَادِهَا فَلَا يُدْرِكُهَاالتَّعْدَادُ وَ لَا تَضْبُطُهَا الْعُقُوْلُ وَالْاَذْهَانُ وَ لَا يُحْصِيْهَا الْجَنَانُ وَ لَا يُعَبِّرُ عَنْهَا اللِّسَانُ فَمِنْ جُمْلَةِ مَا اَمْكَنَ مِنْ تَعْبِيْرِهَااللِّسَانَ وَ اِظْهَارِهَاالْكَلَامَ وَ كَتْبَهَا الْبَنَانَ وَ تَفْسِيْرِهَا الْبَيَانَ كَلِمَات بَرَزَتْ وَ ظَهَرَتْ لِيْ مِنْ فُتُوْحِ الْغَيْبِ فَحَلَّتْ فِي الْجِنَانِ فَاشْتَغَلَتِ الْمَكَانَ.

«فَلَا يَدَانِ لِيْ، وَ لَا جَنَانَ لِيْ، وَ لَا لِسَانَ لِيْ فِيْ إِحْصَائِهَا وَ إِعْدَادِهَا» فإذا لم يحط بها الحصر فكيف يؤدي شكرها.

«فَلَا يُدْرِكُهَاالتَّعْدَادُ» مني لا باليد و لا باللسان و لا بالجنان بل، «وَ لَا تَضْبُطُهَا الْعُقُوْلُ وَالْأَذْهَانُ، وَ لَا يُحْصِيْهَا الْجَنَانُ، وَ لَا يُعَبِّرُ عَنْهَا اللِّسَانُ» من أي شخص كان «فَمِنْ جُمْلَةِ مَا» أي نعم الله تعالىٰ التي «اَمْكَنَ مِنْ تَعْبِيْرِهَااللِّسَانَ» جعل أمكن ههنا بمعنى أقدر، واللسان مفعوله والفاعل ضمير الله تعالىٰ، في الصحاح: مكَّنه الله من الشيء وأمكنه بمعنًى فالمعنى من جملة ماأقدر الله تعالىٰ اللسان من تعبيرها «وَ» من «اِظْهَارِهَاالْكَلَامَ، وَ كَتَبَهَا» أي كتابتها «الْبَنَان» أطراف الأصابع التي تؤخذ القلم بها «وَ» من «تَفْسِيْرِهَا الْبَيَانَ» الكلام «كَلِمَات» مبتدأ خبره "من جملة" «بَرَزَتْ» أي ظهرت بعدالخفاء. في القاموس: برز بروزا ظهر بعد الخفاء «وَ ظَهَرَتْ لِيْ مِنْ فُتُوْحِ الْغَيْبِ» من عند الله تعالىٰ بإفاضته عليّ بمحض فضله و إحسانه «فَحَلَّتْ» تلك الكلمات «فِي الْجِنَانِ فَاشْتَغَلَت» تلك الكلمات بعد حلولها «الْمَكَانَ» أي مكان حلولها و هو القلب بأن تقررت و تمكنت لا كالخيال حلت و راحت، و ذلك علامة حقّيَّتها عند أهل الاعتبار، فإن الباطل لايستقرعند أهل الحق؛ و لذا قال تعالىٰ:

اِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوْقًا.[بنى اسرآء يل، رقم السورة:١٧، رقم الآية:٨١]

فَأَنْتَجَهَا وَ اَبْرَزَهَا صِدْقُ الْحَالِ فَتَوَلّٰى اِبْرَازَهَا لُطْفُ الْمَنَّانِ وَ رَحْمَةُ رَبِّ الْاَنَامِ فِي قَالِبِ صَوَابِ الْمَقَالِ مُحَجَّةً لِمُرِيْدِيْ الْحَقِّ وَالطُّلَّابِ، فَمِنْ ذٰلِكَ اَنْ قَالَ اَوْلَى الْمَقَالَات،

«فَأَنْتَجَهَا» أي أظهر تلك الكلمات «وَ أَبْرَزَهَا» بعد رسوخها في القلب «صِدْقُ الْحَالِ» فاعل "أنتج و أبرز" أي حال المصنف روَّح الله روحه، و أوصل إلينا فتوحه الَّذِيْ فتح الله تعالىٰ عليه «فَتَوَلّٰى إِبْرَازَهَا لُطْفُ الْمَنَّانِ» ذي الإحسان «وَ رَحْمَةُ رَبِّ الْاَنَامِ» الَّذِيْ منه التعليم والإعلام، أي صار لطف المنان و رحمة رب

الأنام متوليا لإبرازها بريئةً من الريب، خاليةً من العيب ليعلم أنها من فتوح الغيب، و ليستفيد كل طالب صادق إصلاح الظاهر والباطن منها «فِيْ قَالِبِ صَوَابِ الْمـَقَالِ» ليدل على حقية تلك الحال، أي في قالب المقال الصواب؛ فإن الألفاظ قوالب المعاني «مُحَجَّةً» أي حال كونه طريقا واضحا «لِمُرِيْدِيْ الْحَقّ» أي الشيء المطابق للواقع، أوالحق هو الله تعالىٰ «وَالطُّلَّابِ» أي طالب الحق «فَمِنْ ذٰلِكَ» المذكور من الكلمات التي برزت و ظهرت من فتوح الغيب «اَنْ قَالَ» إنما ذكر بصيغة "قال" التفاتا من التكلم في قوله "ظهرت لي" إلى الغيبة، أي من ذلك المذكور من الكلمات مقالة هي «اُوْلَى الْمـَقَالَات» و هوقوله رضى الله تعالىٰ عنه و أرضاه عنا:

اَلْمَقَالَةُ الاُوْلٰى

فِيْمَا لَا بُدَّ لِكُلِّ مُؤمِنٍ

قَالَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ: لَا بُدَّ لِكُلِّ مُؤمِنٍ فِي سَائِرِ اَحْوَالِهِ مِنْ ثَلَاثَةِ اَشْيَاءَ: أَمْرٌ يَمْتَثِلُهُ، وَ نَهي يَجْتَنِبُهُ وَ قَدْرٌ يَرْضٰى بِهٖ، فَاَقَلُّ حَالِهٖ لَا يَخْلُو الْمُؤمِنُ فيهَا مِنْ اَحَدِ هٰذِهِ الْاَشْيَاءِ الثَّلَاثَةِ فينْبَغِيْ لَهٗ اَنْ يَلْزِمَ هَمَّهَا قَلْبَهٗ وَ لْيُحدِّثْ بِهَا نَفْسَهٗ وَ يُؤاخُذُ الْجَوَارِحَ بِهَا فِي سَائِرِ اَحْوَالِهٖ.

«قَالَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ: لَا بُدَّ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ فِي سَائِرِ اَحْوَالِهٖ» من خلواته و جلواته «مِنْ ثَلَاثَةِ اَشْيَاءَ:- أَمْرٌ» من الله تعالٰى و رسوله عليه الصلوة والسلام «يَمْتَثِلُهٗ» أي يفعله العبد امتثالًا و انقيادا لأمرالشرع «وَ نَهي» من جانب الله تعالٰى و رسوله عليه الصلوة و السلام «يَجْتَنِبُهٗ» العبد و يتركه «وَقَدْرٌ» من الله تعالٰى خيرا كان أو شرا نفعا كان أو ضرا «يَرْضٰى» العبد «بِهٖ» بذلك القدرمن حيث أنه من الله تعالٰى «فَاَقَلُّ حَالِهٖ» أي حال العبد أن «لَا يَخْلُو الْمُؤْمِنُ» هو من إقامة الظاهر مقام المضمر «فيهَا» أي في سائر أحواله «مِنْ اَحَدِ هٰذِهِ الْاَشْيَاءِ الثَّلَاثَةِ» المذكورة من امتثال الأمر، و اجتناب المنهي، والرضاء بالقدر.

"فَاَقَلُّ حَالِهٖ" مبتدأ و "لَا يَخْلُو" خبره. إما بحذف أن كما قدرنا، أو بإقامة الفعل مقام المصدر بدون ارتكاب حذف الحرف المصدري كما صرح به النحاة في "تسمع بالمعيد ي خيرمن أن تراه"، وحينئذٍ يكون المعنى: فأقل حال المؤمن من عدم خُلوّه من أحد هذه الأشياء الثلاثة. و لما كان هذا منع الخلو لا ينافي بجواز تلبس المؤمن باثنين أوثلاثة، فتأمل.

«فينْبَغِيْ لَهٗ» أي للمؤمن «اَنْ يَلْزِمَ هَمَّهَا» أي هم الأشياء الثلاثة المذكورة «قَلْبَهٗ» بإيقاعها فيه، وتوطينه عليها «وَلْيُحَدِّثْ» المؤمن «بِهَا» أي الأمور

المذكورة «نَفْسَهُ» بأن لا يخلو عن ملاحظتها حينا ما «وَ يُؤاخُذُ الْجَوَارِحَ بِهَا» أي بتلك الأشياء بإتيان أفعالها موافقا لهذه الأمور «فِي سَائِرِ أَحْوَالِهِ» مسرة و مضرة إلزاما حتما، و تحديثا متواليا، و أخذا صدقا.

اَلْمَقَالَةُ الثَّانِيَةُ

فِي الْاِتِّبَاعِ بِالسُّنَّةِ وَ تَرْكِ الْبِدْعَةِ

قَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: اِتَّبِعُوْا وَ لَا تَبْتَدِعُوْا، وَ اَطِيْعُوْا، وَ لَا تَمَرَّقُوْا وَ وَحِّدُوْا وَ لَا تُشْرِكُوْا بِهٖ، وَ نَزِّهُوا وَ لَا تَتَّهِمُوْا، وَ صَدِّقُوا.

«قَالَ: رَضِيَ اللهُ تعالى عَنْهُ: اِتَّبِعُوْا كتاب الله تعالى و سنة رسوله صلى الله عليه وعلى أله وصحبه وسلم و طريق السنة والجماعة، فإن النجاة فيها «وَلَا تَبْتَدِعُوْا» بدعة من عند أنفسكم من غير دليل شرعي في جميع معتقداتكم، و قواعدِ دينكم، و أصولِ سلوككم، و في موارد طاعاتكم، و صوادر عباداتكم، و عاداتكم ظاهرا و باطنا سرا و جهرا يحصل لكم كمال سعادة الدارين، وزبدة لباب الخيرين؛ لأن يسر المتبوع و تأثير بركاته في الاتباع تتجلى مرآة القلوب، و يتحلى بها جمال المحبوب، و يحصل بذلك غاية أسرار المطلوب.

«وَ اَطِيْعُوْا» لله تعالى و رسولِه عليه الصلوة و السلام وأصحابِه رضي الله تعالى عنهم الذين مضوا على طريقه عليه الصلوة والسلام «وَ لَا تَمَرَّقُوْا» أي لا تخرجوا بتسويل النفس و تضليل الشيطان عن الطريق المرضي للرحمن «وَ وَحِّدُوْا» لله تعالى توحيدا خالصا «وَ لَا تُشْرِكُوْا» بِهٖ شيئا في الألوهية إن كنتم من أهل الإيمان، و في الوجود إن كنتم من أهل العرفان «وَ نَزِّهُوا»الْحَقَّ تعالى عما لا يليق به معتقدات أهل التشبيه والضلال، و خافوا من صفات الجلال «وَ لَا تَتَّهِمُوْا» الله تعالى و رسوله و لا أحدا من الناس بشيء «وَ صَدِّقُوا» الله و رسلَه فيما أخبركم من وعده و وعيده و قِصَصِه و عِبَره.

وَ لَا تَشْكُوْا، وَ اصْبِرُوْا وَ لَا تَجْزِعُوْا، وَاثْبُتُوْا وَ لَا تَنْفِرُوْا، وَ اسْأَلُوْا وَ لَا تَسْأَمُوْا، وَ انْتَظِرُوْا وَ تَرَقَّبُوْا وَ لَا تَيَاَسُوْا، وَ تُوَاخُوْا وَ لَا تُعَادُوْا وَاجْتَمِعُوْا عَلَى الطَّاعَةِ وَ لَا تَتَفَرَّقُوْا.

«وَ لَا تَشْكُوْا» في إخبار الله تعالىٰ رسوله «وَ اصْبِرُوْا» على ما قضى الله تعالىٰ عليكم و إن كان فيه شدة و محنة لكم «وَ لَا تَجْزِعُوْا» بوقوع ما كرهتها نفوسكم في أمر دنياكم من فوات نفس و مال و منال «وَاثْبُتُوْا» في الشدة والرخاء والسراء والضراء «وَ لَا تَنْفِرُوْا» عما قضى الله عليكم «وَ اسْأَلُوْا» الله فضله و خيره وكشف الضر عنكم، فإن ذلك سنة أنبيائه تعالىٰ عليهم الصلوة والسلام، و قد قال تعالىٰ لنبيه:

أُولٰئِكَ الذينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ. (الأنعام،رقم السورة:٦، رقم الآية:٩٠)

فالاقتداء بهم يوجب الفلاح في الدارين «وَ لَا تَسْأَمُوْا» عن المسئلة و الدعاء بسبب التأخير؛ فان التأخير بعد الدعاء قد وقع للأنبياء عليهم السلام «وَ انْتَظِرُوْا» رحمة الله «وَ تَرَقَّبُوْا»[1] بترك المعاصي، والاشتغال بالطاعة، والإخلاص في الدعاء والإلحاح فيه، فإنها أدخل في القبول «وَ لَا تَيَأَسُوْا» من روح الله «وَ تُوَاخُوْا» مع أهل الإيمان؛ فإن الصداقة والأخوة بين المسلمين مما يوجب الراحة للجميع، والرحمة من الله تعالىٰ «وَ لَا تُعَادُوْا» بينكم؛ فإن العداوة موجب لتشو يش الخاطر و تسخط من الله تعالىٰ «وَاجْتَمِعُوْا عَلَى الطَّاعَةِ» فإن للاجتماع بركةً و أثرا في القبولية «وَ لَا تَتَفَرَّقُوْا» فإن الشيطان يتسلط على المتفرقين وَ يَدُ الله عَلى الْجَمَاعَةِ.

– به ورد الحديث– (٢)وَ تَحَابُّوْا وَ لَا تَبَاغَضُوْا وَ تُطَهِّرُوْا عَنِ الذُّنُوْبِ وَ بِهَا لَا تَتَدَنَّسُوْا وَ لَا تَتَلَطَّخُوْا وَ بِطَاعَةِ رَبِّكُمْ فَتَزَيَّنُوْا، وَ عَنْ بَابِ مَوْلَاكُمْ فَلَا تَبْرَحُوْا، وَ عَنِ الْإِقْبَالِ إِلَيْهِ فَلَا تَتَوَلَّوْا، وَ بِالتَّوْبَةِ فَلَا تُسَوِّفُوْا

«وَ تَحَابُّوْا» بينكم؛ فإن في المحبة تنشيط الخواطر، و أنها سبب لمحبة الله تعالىٰ

(١) مراقبه كنيد من الشارح على هامش المخطوطة

(٢) أشار إلى حديث أخرجه الإمام الترمذى في جامعه، أبواب الفتن عن رسول الله صلى الله تعالىٰ عليه وسلم، باب ماجاء في لزوم الجماعة، برقم:٢١٦٦

و رسوله عليه الصلوة والسلام «وَ لَا تَبَاغَضُوْا» فان للبغض نكتةً سوداءَ على القلب إذا استولى على القلب اسودَّ القلبُ كله فلا ينزل عليه الرحمة «وَ تُطَهِّرُوْا» طهارة كاملة «عَنِ الذُّنُوْبِ» سواء كانت ذنوب الله تعالٰى و ذنوب رسوله، أو ذنوب العباد، فإن كانت ذنوب الله تعالٰى و ذنوب رسوله عليه الصلوة والسلام فبالتوبة والندامة، و إن كانت ذنوب العباد فبالإرضاء إن كان حيا، و بالدعاء الخيرله من الله تعالٰى والتصدق عنه إن كان ميتا «وَ بِهَا» أي بالذنوب «لَا تَتَدَنَّسُوْا» التدنس: التوسخ، والدنس: الوسخ «وَ» بِهَا «لَا تَتَلَطَّخُوْا» التلطخ: التلوث «وَ بِطَاعَةِ رَبِّكُمْ» الَّذِيْ رباكم أولا بالوجود، ثم بالحيوة، ثم بالسلامة، ثم بالصحة، ثم بالعزة، ثم بالرزق، ثم بالقابلية و غير ذلك «فَتَزَيَّنُوْا» تزينا حسنا، و هذه الفاء للشرط كأنه قيل: إن تتزينوا بشيء فبطاعة ربكم تزينوا، و هكذا في المعطوفات الاٰتية و نظيره قوله تعالٰى:-

فَبِذٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوْا [يونس،رقم السورة:١٠، رقم الآية:٥٨]

وَ اِيَّایَ فَارْهَبُوْنِ. [البقرة، رقم السورة:٢، رقم الآية:٤٠]

وَ اِيَّایَ فَاتَّقُوْنِ.[البقرة، رقم السورة:٢، رقم الآية:٤١]

«وَ عَنْ بَابِ مَوْلَاكُمْ» الَّذِيْ لا مولى سواه «فَلَا تَبْرَحُوْا» أي لا تزالوا و لا تذهبوا عن بابه إلٰى باب مخلوقاته «وَ عَنِ الْاِقْبَالِ اِلَيْهِ» أي إلٰى مولاكم «فَلَا تَتَوَلَّوْا» التولي الإعراض، فإن الإعراض عن الإقبال إليه تعالٰى موجب لسخطه الَّذِيْ لا يطيقه أحد «وَ بِالتَّوْبَةِ» عن الذنوب إن كنتم من العوام، ومن الأخلاق الذميمة إن كنتم من الصالحين، و من الغفلة إن كنتم العارفين المحبين بل من وجودكم أيضًا.

نقل عن الجنيد قدس سره أنه قال: ما نفعني شيء مثل ما نفعني هذا البيت ـ

إذا ما قلت ما أذنبت قالت مجيبةً

وجودك ذنب لا يقاس بها ذنب

«فَلَا تُسَوِّفُوْا» أي لاتؤخروا؛ فإن التأخير في التوبة من إغواء الشيطان

يقول: إن الله تعالىٰ كريم رحيم، والعمر طويل فتب إلى الله تعالىٰ في اٰخره، و ذلك ضلال محض؛ فإن الموت ربما يأتي بغتة لا يعلم وقته حتى يتوب قبله و لا تخافوا من عودكم إلىٰ ذلك الذنب؛ فان من تاب إلى الله بالخلوص يقبل الله تعالىٰ توبته و إن عاد في اليوم سبعين مرة صرح به رسول الله صلى الله عليه وعلى اٰله و صحبه وسلم في أحاديث متعددة.[1]

وَ عَنِ الْاِعْتِذَارِ إِلىٰ خَالِقِكُمْ فِي اٰنَاءَ اللَّيْلِ وَ اَطْرَافِ النَّهَارِ وَالسَّاعَاتِ كُلِّهَا فَلَا تَمَلُّوْا، فَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُوْا وَ تُسْعَدُوْا، وَ عَنِ النَّارِ تُبْعَدُوْا، وَ فِي الْجَنَّةِ تُحْبَرُوْا، وَ إِلى الله تُوْصَلُوْا، وَ بِالنَّعِيْمِ وَافْتِضَاضِ الْاَبْكَارِ فِي دَارِ السَّلَامِ تُشْتَغَلُوْا، وَ عَلىٰ ذٰلِكَ تُخْلَدُوْا، وَ عَلَى النَّجَائِبِ تُرْكَبُوْا، وَ بِحُوْرِ الْعِيْنِ وَ اَنْوَاعِ الطِّيْبِ وَ صَوْتِ الْقِيَانِ مَعَ ذٰلِكَ النَّعِيْمِ تُجْزَوْا، وَ مَعَ الْاَنْبِيَاءِ وَالصِّدِّيْقِيْنَ وَ الشُّهَدَآءِ وَالصَّالِحِيْنَ فِي الْعِلِّيِّيْنَ تُرْفَعُوْا.

«وَ عَنِ الْاِعْتِذَارِ إِلىٰ خَالِقِكُمْ فِي اٰنَاءَ اللَّيْلِ وَ أَطْرَافِ النَّهَارِ، وَالسَّاعَاتِ كُلِّهَا فَلَا تَمَلُّوْا» أي لا تسأموا، و لا تضجروا، فإنه تعالىٰ باعتذاركم إليه يرحمكم و إن لم

(1) فى الصحيح لمسلم في كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة، برقم:٢٧٥٨، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله تعالىٰ عليه وسلم، فيما يحكي عن ربه عزوجل، قال: "أذنب عبدذنبا، فقال: اللّٰهم اغفرلي ذنبي، فقال تبارك وتعالىٰ: أذنب عبدي ذنبا، فعلم أن له ربا يغفرالذنب، ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب، فقال أي رب اغفرلي ذنبي، فقال تبارك و تعالىٰ: أذنب عبدي ذنبا، فعلم أن له ربا يغفرالذنب، ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب فقال:أي رب اغفرلي ذنبي، فقال تبارك و تعالىٰ: أذنب عبدي ذنبا، فعلم أن له ربا يغفرالذنب اعمل ماشئت فقد غفرت لك". وكذا في صحيح البخاري، في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالىٰ (يريدون أن يبدلوا كلام الله) الفتح:٥١، برقم:٧٥٠٧. قال الإمام النووي في "المنهاج شرح الصحيح لمسلم ابن الحجاج: وفي الحديث أن الذنوب لوتكررت مائة مرة بل ألفا و أكثر، وتاب في كل مرة قبلت توبته، أوتاب عن الجميع توبة واحدة صحت توبته، وقوله في الحديث: "اعمل ماشئت" معناه: مادمت تذنب فتتوب غفرت لك، انظر نفس الكتاب والباب. محمود على المشاهدي المصباحي.

تعلموا «فَلَعَلَّكُمْ» بتلك الخصال الحميدة الثلاثة والثلاثين المذكورة من الاتباع إلى الاعتذار من جانب الله تعالىٰ «تُرْحَمُوْا رحمةً» كاملةً «وَ تُسْعَدُوْا» بتلك الأفعال إسعادًا أبديًا «وَ عَنِ النَّارِ تُبْعَدُوْا» إبعادًا لاقربَ منها بعدها «وَ فِي الْجَنَّةِ تُحْبَرُوْا» أي تنعّموا و تكرّموا و تسروا من الحبور بمعنى السرور «وَ إلى الله» تعالىٰ «تُوْصَلُوْا» إيصالا هي أجلّ النعم و أعظمها «وَ بِالنَّعِيْمِ» الدائم المقيم «وَافْتِضَاضِ الْاَبْكَارِ فِي دَارِ السَّلَامِ» في جوار رب الأنام «تُشْتَغَلُوْا» أي تجعلوا مشتغلين بها، و الافتضاض فتح البكارة و رفع خطامها[1] «وَ عَلٰى ذٰلِكَ» الفرح والسرور أبدا «تُخَلَدُوْا» إخلادا لا زوالَ و لا خروجَ و لا موتَ بعدها أصلا «وَ عَلَى النَّجَائِبِ» جمع النجيب و هوالإبل الكريم، والمراد هنا: المركوب المستحسن مطلقا «تُرْكَبُوْا وَ بِحُوْرِالْعِيْنِ» الحور: النساء النقيات البيض المستحسنة؛ و إنما وصفت بالعِين لضخامة أعيُنِها، والتركيب من قبيل إضافة الموصوف إلى الصفة.

«وَ اَنْوَاعِ الطِّيْبِ وَ صَوْتِ الْقِيَانِ» جمع القينة، قال أبو عمرو: كل عبد عند العرب قين والأمة قينة. و في القاموس: القينة الأمة المغنية أو أعم، انتهي. فظهر أنه استعمل في الكلام بالمعنى الأعم والأخص كليهما، والمراد هنا: الأخص. «مَعَ ذٰلِكَ النَّعِيْمِ» التي ذكرت «تُجْزَوْا» تفضلا من الله الكريم «وَ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ وَالصِّدِّيْقِيْنَ» الذين هم أعلى رتبة في المؤمنين بعد النبيين «وَ الشُّهَدَآءِ» بعدهم «وَالصَّالِحِيْنَ فِي الْعِلِّيِّيْنَ» و في التفاسير عن كثير من السلف: أن العليين هي السماء السابع و فيها أرواح المؤمنين، أو لوح من زبرجد خضراء، معلق تحت العرش، أعمالهم مكتوبة فيها، أو قائمة العرش اليمنى «تُرْفَعُوْا» رفعة أبدا.

---

(1) من الخطام يعني مهار ستر در بينى وے مى اندازند. من الشارح

اَلْمَقَالَةُ الثَّالِثَةُ

فِي بَيَانِ الْمُعَالَجَةِ حِيْنَ الْاِبْتِلَاءِ

قَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إِذَا ابْتُلِيَ الْعَبْدُ بِبَلِيَّةٍ تَحَرَّكَ اَوَّلًا فِي نَفْسِهٖ بِنَفْسِهٖ، فَاِنْ لَّمْ يَتَخَلَّصْ مِنْهَا اسْتِعَانَ بِغَيْرِهٖ مِنَ الْخَلْقِ كَالسَّلَاطِيْنِ وَ أَرْبَابِ الْمَنَاصِبِ وَ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا وَ أَصْحَابِ الْأَمْوَالِ وَ أَهْلِ الطِّبِّ فِي الْأَمْرَاضِ وَالْأَوْجَاعِ، فَإِنْ لَّمْ يَجِدْ فِي ذٰلِكَ خَلَاصَهُ رَجَعَ إِلٰى رَبِّهٖ عَزَّ وَ جَلَّ بِالدُّعَاءِ وَ التَّضَرُّعِ وَالثَّنَاءِ فَمَا دَامَ يَجِدُ عِنْدَ نَفْسِهٖ نُصْرَةً لَمْ يَرْجِعْ إِلَى الْخَلْقِ.

«فِيْ بَيَانِ المعَالَجَةِ حِيْنَ الاِبتِلَاءِ» يعني أن من طرق الوصول إلى الله تعالى طريق البلاء «قَالَ رَضِيَ اللهُ تَعَالٰى عنه:إِذَا ابْتُلِيَ الْعَبْدُ بِبَلِيَّةٍ» مالية أو جاهية أو بدنية «تَحَرَّكَ اَوَّلًا» أي تحرك العبد المبتلى أولا بالسعي والتفكر «فِي نَفْسِهٖ» لأجل دفعها «بِنَفْسِهٖ» أي برأيه من غير استعانة الغير «فَاِنْ لَّمْ يَتَخَلَّصْ» بسعي نفسه «مِنْهَا» أي من تلك البلية، و رآى نفسه عاجزة في دفعها «اسْتِعَانَ» في دفعها «بِغَيْرِهٖ مِنَ الْخَلْقِ كَالسَّلَاطِيْنِ وَ أَرْبَابِ الْمَنَاصِبِ، وَ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، وَ أَصْحَابِ الْأَمْوَالِ» إن كانت مالية أوجاهية «وَ اَهْلِ الطِّبِّ فِي الْاَمْرَاضِ وَالْاَوْجَاعِ» البدنية إن كانت بدنية «فَاِنْ لَّمْ يَجِدْ فِي ذٰلِكَ» المذكور من الاستعانة بهؤلاء «خَلَاصَهُ» من تلك البلية «رَجَعَ إِلٰى رَبِّهٖ عَزَّ وَ جَلَّ بِالدُّعَاءِ وَ التَّضَرُّعِ» لنفسه «وَالثَّنَاءِ» والمدح على الله بذكر آلائه وإحسانه السابق و عموم مغفرته و سعة رحمته. «فَمَا دَامَ يَجِدُ» العبد «عِنْدَ نَفْسِهٖ نُصْرَةً لَمْ يَرْجِعْ إِلَى الْخَلْقِ» للحمية والاستنكاف[1] بالالتجاء والافتقار إلى الغير من جنسه.

(1) الحمية والاستنكاف: العار، يعني ننگ. من الشارح

وَ مَا دَامَ يَجِدُ عِنْدَ الْخَلْقِ نُصْرَةً لَمْ يَرْجِعْ إِلَى الْخَالِقِ عَزَّ وَ جَلَّ ثُمَّ إِذَا لَمْ يَجِدْ عِنْدَ الْخَلْقِ نُصْرَةً إِسْتَطْرَحَ بَيْنَ يَدَيْهِ مُدِيْمًا لِلسُّؤَالِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ وَالثَّنَاءِ وَالْإِفْتِقَارِ مَعَ الْخَوْفِ مِنْهُ تَعَالَى وَالرَّجَآءِ، ثُمَّ يُعْجِزُهُ الْخَالِقُ عَزَّ وَ جَلَّ عَنِ الدُّعَاءِ وَ لَمْ يُجِبْهُ حَتّٰى يَيْئَسَ وَ يَنْقَطِعَ عَنْ جَمِيْعِ الْاَسْبَابِ فَحِيْنَئِذٍ يَنْفُذُ فِيهِ الْقَدْرُ وَ يَفْعَلُ فِيهِ الْفِعْلَ فَيُفْنِي الْعَبْدَ عَنْ جَمِيْعِ الْاَسْبَابِ وَ الْحَرَكَاتِ فَيَبْقٰى رُوْحًا فَقَطُّ.

«وَ مَا دَامَ يَجِدُ عِنْدَ الْخَلْقِ نُصْرَةً» في الخلاص من تلك البلية «لَمْ يَرْجِعْ إِلَى الْخَالِقِ عَزَّ وَ جَلَّ» لكثرة إلفه بالأسباب و غفلته عن مُسبِّبها «ثُمَّ إِذَا لَمْ يَجِدْ عِنْدَ الْخَلْقِ نُصْرَةً إِسْتَطْرَحَ» أي ألقى نفسه «بَيْنَ يَدَيْهِ» تعالىٰ لإظهار عجزه ليرحم عليه بدفع البلاء «مُدِيْمًا لِلسُّؤَالِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ وَالثَّنَاءِ وَالْإِفْتِقَارِ مَعَ الْخَوْفِ مِنْهُ تَعَالَى وَالرَّجَاءِ» كما هو مقتضى الإيمان «ثُمَّ» إن أراد الله تعالىٰ تقريبه إليه، و جذبه بالإفناء فيه، والإبقاء به «يُعْجِزُهُ الْخَالِقُ عَزَّ وَ جَلَّ عَنِ الدُّعَاءِ» بإبطاء الإنجاز[1] لمطلوبه، والتأخير لمسئوله «وَ لَمْ يُجِبْهُ حَتّٰى يَيْئَسَ» عن القبول «وَ يَنْقَطِعَ عَنْ جَمِيْعِ الْأَسْبَابِ فَحِيْنَئِذٍ يَنْفُذُ» أي يجري الله تعالىٰ «فِيهِ الْقَدْرُ» أي حكم الله الَّذِيْ حكم به في حق ذلك المبتلى.

«وَ يَفْعَلُ» الله تعالىٰ «فِيهِ» أي العبد المبتلى «الْفِعْلَ» الَّذِيْ أراد في حقه «فَيُفْنِي الْعَبْدَ عَنْ جَمِيْعِ الْأَسْبَابِ» فلايتوجه إلى سبب وَ يفني عن جميع «الْحَرَكَاتِ» فلا يتحرك في دفع بلاء «فَيَبْقٰى» العبد «رُوْحًا فَقَطُّ» و يتخلص عن شوائب النفس و كدورات البدن.

فَلَا يَرٰى إِلَّا فِعْلَ الْحَقِّ عَزَّ وَ جَلَّ فَيَصِيْرُ مُوْقِنًا مُوَحِّدًا ضَرُوْرَةً فَيَقْطَعُ اَنْ لَّا فَاعِلَ عَلَى الْحَقِيْقَةِ إِلَّا الله عَزَّ وَ جَلَّ وَ لَا مُحَرِّكَ وَ لَا مُسْكِنَ إِلَّا الله وَ لَا خَيْرَ وَ لَا شَرَّ وَ لَا ضَرر وَ لَا نَفْعَ وَ لَا مَنْعَ وَ لَا

(1) الإبطاء: التأخير. الإنجاز: رواں کردن. من الشارح

عَطَاءَ وَ لَا فَتْحَ وَ لَا غَلْقَ وَ لَا مَوْتَ وَ لَاحَيٰوةَ وَ لَا عَزَّ وَ لَا ذُلَّ وَ لَاغِنَاءَ وَ لَا فَقْرَ اِلَّا بِيَدِ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ.

«فَلَا يَرٰى إِلَّا فِعْلَ الْحَقِّ عَزَّ وَ جَلَّ» بجذب الله تعالىٰ إياه إليه بهذا التعجيز «فيصِيْرُ» العبد حينئذ «مُوْقِنًا» بأنه لا مؤثرإلا الله سبحانه «مُوَحِّدًا» عن اشتراك التأثير والوجود لغير الله تعالىٰ «ضَرُوْرَةً» إذ لم يرإلا فعلَه «فيقْطَعُ» العبد المبتلى حينئذ بأن «لَا فَاعِلَ عَلَى الْحَقِيْقَةِ اِلَّا اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ وَ لَا مُحَرِّكَ» إلى تدبير النفس و إلى الاسباب الخارجية «وَ لَا مُسْكِنَ» عن ذلك التدبير، أو إلى مطلق الحركة و عن مطلقها «اِلَّا اللهُ» الواحد القهار الَّذِيْ قهر الغير عن الاشتراك في الوجود و صفاته فاضمحل الغير عن البين.

و إليه يشيرقول بعض العارفين بالفارسية ۔

غيرتش غير درجهان نگذاشت

لا جرم عين جمله اشياء شد

و حكم العين في هذا البيت من سكر الحال، و التحقيق أن العالم ليس عينه و لا غيره عند المحققين من العرفاء وإن كان غيرا عند العلماء «وَ لَا خَيْرَ وَ لَا شَرَّ وَ لَا ضَرَر وَ لَا نَفْعَ وَ لَا مَنْعَ وَ لَا عَطَاءَ وَ لَا فَتْحَ» لشيء من الفتوحات «وَ لَا غَلْقَ» عنها «وَ لَا مَوْتَ» لموجود ظاهري «وَ لَاحَيٰوةَ» له «وَ لَا عَزَّ» لعزيز «وَ لَا ذُلَّ» لذليل «وَلَاغِنَاءَ» لغني «وَ لَا فَقْرَ إِلَّا بِيَدِ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ» و قدرته و مشيئته وتصرفه.

فيصِيْرُ حِيْنَئِذٍ فِي الْقَدْرِ كَالطِّفْلِ الرَّضِيْعِ فِي يَدِ الظِّئْرِ وَالْمَيِّتِ الْغَسِيْلِ فِي يَدِ الْغَاسِلِ وَالْكُرَةِ فِي صَوْلَجَانِ الْفَارِسِ يُقَلِّبُ وَ يُغَيِّرُ وَ يُبَدِّلُ وَ يُكَوِّنُ وَ لَا حَرَاكَ بِهٖ فِي نَفْسِهٖ وَ لَا فِي غَيْرِهٖ فَهُوَ غَائِبٌ عَنْ نَفْسِهٖ فِي فِعْلِ مَوْلَاهُ فَلَا يَرٰى غَيْرَ مَوْلَاهُ وَ فِعْلِهٖ.

«فيصِيْرُ» العبد المبتلى الَّذِيْ جذبه الله تعالىٰ إليه بالطريق المذكورة «حِيْنَئِذٍ» حين جذبه الله تعالىٰ بهذا الطريق «فِي الْقَدْرِ» الَّذِيْ هوحكم الله تعالىٰ

على ذلك العبد المبتلى المجذوب «كَالطِّفْلِ الرَّضِيْعِ فِي يَدِ الظِّئْرِ» أي المرضعة «وَالْمَيِّتِ الْغَسِيْلِ» أي المغسول بمعنى الَّذِيْ يغسل لا الَّذِيْ غسل «فِي يَدِ الْغَاسِلِ وَالْكُرَةِ فِي» تصرف «صَوْلَجَانِ الْفَارِسِ» كما قيل بالفارسية بيت ؎

من ہمچو کوہ بمیدان چوگان بدست یاراست

او می کشد بہرسو ما را چہ اختیار است

«يُقَلِّبُ» الظئرالمرضعة للصغير،والغاسل للميت، والصوجان للكرة «وَ يُغَيِّرُ»كل منها للمذكورين «وَ يُبَدِّلُ» كل من هؤلاء لهؤلاء من حال إلى حال «وَ يُكَوِّنُ» أي يحدث هؤلاء في هؤلاء أفعالهم على مقتضى إرادتهم «وَلَا حَرَاكَ بِهٖ» أي لا حركة بالعبد «فِي نَفْسِهٖ، وَ لَا فِي غَيْرِهٖ» أي لا يظهرمنه حركة و سكون في نفسه، و لا تصرف منه في غيره بشيء من نفسه بهواه «فَهُوَ» أي العبد المبتلى المجذوب بتلك الطريق «غَائِبٌ عَنْ نَفْسِهٖ» لا يراها في البين «فِي فِعْلِ مَوْلَاهُ» الَّذِيْ جذبه إليه «فَلَا يَرٰى» ذلك العبد «غَيْرَ مَوْلَاهُ وَ فِعْلِهٖ» أي غير فعل مولاه الَّذِيْ فعل به ما فعل.

وَلَا يَسْمَعُ وَ لَا يَعْقِلُ مِنْ غَيْرِهٖ، اِنْ اَبْصَرَ فَلِصُنْعِهٖ اَبْصَرَ، وَ اِنْ سَمِعَ وَ عَلِمَ، فَلِكَلَامِهٖ سَمِعَ، وَ بِعِلْمِهٖ عَلِمَ، وَ بِنِعْمَتِهٖ فَتَنَعَّمَ، وَ بِقُرْبِهٖ اَسْعَدَ، وَ بِتَقْرِيْبِهٖ تَزَيَّنَ، وَ تَشَرَّفَ، وَ بِوَعْدِهٖ طَابَ وَ سَكَنَ، وَ بِهٖ اِطْمَاَنَّ، وَ بِهٖ وَبِحَدِيْثِهٖ اَنَسَ، وَ عَنْ غَيْرِهٖ اِسْتَوْحَشَ وَ نَفَرَ، وَ اِلٰى ذِكْرِهٖ اِلْتَجَاَ وَ رَكَنَ، وَ بِهٖ وَثَقَ، وَ عَلَيْهِ تَوَكَّلَ، وَ بِنُوْرِ مَعْرِفَتِهٖ اِهْتَدٰى وَ تَقَمَّصَ وَ تَسَرْبَلَ.

«وَلَا يَسْمَعُ» ذلك العبد شيئا «وَ لَا يَعْقِلُ» شيئا «مِنْ غَيْرِهٖ» أي من غير مولاه «إِنْ اَبْصَرَ» ذلك العبد في نفسه أو في الاٰفاق شيئا «فَلِصُنْعِهٖ» أي صنع ربه «اَبْصَرَ، وَ اِنْ سَمِعَ» شيئا «وَ عَلِمَ» شيئا «فَلِكَلَامِهٖ» أي الرب تعالٰى «سَمِعَ وَ بِعِلْمِهٖ» أي الرب تعالٰى «عَلِمَ وَ بِنِعْمَتِهٖ» أي الرب تعالٰى «فَتَنَعَّمَ، وَ بِقُرْبِهٖ» تعالٰى

«أَسْعَدَ» العبد «وَ بِتقْرِيْبِهٖ» تعالٰى «تَزَيَّنَ» العبد «وَ تَشَرَّفَ، وَ بِوَعْدِهٖ» تعالٰى «طَابَ» العبد «وَ سَكَنَ» سكونا لا اضطراب، و لا تردد، و لا حركة معه.

«وَ بِهٖ» تعالٰى «اِطْمَانَّ» العبد فلايتحرج بقبض، و لا يفرح ببسط؛ فإن كل ذلك عمل الاضطراب «وَ بِهٖ وَ بِحَدِيْثِهٖ» تعالٰى «اَنَسَ» اُنْسَةً رُوْحِيَّةً و قلبية «وَ عَنْ غَيْرِهٖ» أي غير الله تعالٰى «اِسْتَوْحَشَ» استيحاشا ذاتيا «وَ نَفَرَ» نفرة ذاتية «وَ إِلٰى ذِكْرِهٖ» تعالٰى «اِلْتَجَأَ» عن ذلك الاستيحاش والنفرة «وَ رَكَنَ» أي مال «وَ بِهٖ» عزوجل «وَثَقَ» في جميع أموره «وَ عَلَيْهِ تَوَكَّلَ» في جميع أموره فلايتوجه إلى غير الله تعالٰى «وَ بِنُوْرِ مَعْرِفَتِهٖ» تعالٰى «اِهْتَدٰى وَ» بذلك النور «تَقَمَّصَ» العبد «وَ تَسَرْبَلَ» فحفظ ذلك العبد بذلك النور الحَافِّ فيصير من قرنه إلى قدمه فلا يجد الشيطان إليه سبيلا، و لا الخذلان إليه دليلا.

وَ عَلٰى غَرَائِبِ عُلُوْمِهٖ اِطَّلَعَ، وَ عَلٰى اَسْرَارِ قُدْرَتِهٖ تَعَالٰى اَشْرَفَ، وَ مِنْهُ سَمِعَ وَ وَعىٰ ثُمَّ عَلٰى ذٰلِكَ حَمِدَ وَ شَكَرَ وَ دَعَا.

«وَ عَلٰى غَرَائِبِ عُلُوْمِهٖ» تعالٰى «اِطَّلَعَ» العبد بإطلاع الله تعالٰى إياه «وَ عَلٰى اَسْرَارِ قُدْرَتِهٖ تَعَالٰى اَشْرَفَ» فيعلم حال نفسه و غيره «وَ مِنْهُ» عز و جل «سَمِعَ» ما سمع «و وعىٰ» أي حفظ ذلك المسموع «ثُمَّ عَلٰى ذٰلِكَ» اللطف الَّذِيْ جذبه تعالٰى به إلى ذاته و إنعامه «حَمِدَ» الله تعالٰى «وَ شَكَرَ» على تلك النعمة «وَ دَعَا» إظهارا للعبودية والخشوع.

اَلْمَقَالَةُ الرَّابِعَةُ

فِي بَيَانِ مَرَاتِبِ الْمَوْتِ عَنِ الْخَلْقِ وَالْهَوٰى وَالْإِرَادَةِ

قَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَ: إِذَا مُتَّ عَنِ الْخَلْقِ قِيْلَ لَكَ: رَحِمَكَ اللهُ وَ اَمَاتَكَ عَنْ هَوَاكَ، وَ إِذَا مُتَّ عَنْ هَوَاكَ قِيْلَ لَكَ: رَحِمَكَ اللهُ، وَ اَمَاتَكَ عَنْ إِرَادَتِكَ وَ مُنَاكَ فَإِذَا مُتَّ عَنْ إِرَادَتِكَ قِيْلَ لَكَ: رَحِمَكَ اللهُ وَ حَيَّاكَ اللهُ فَحِيْنَئِذٍ تُحْيٰى حَيٰوةً لَا مَوْتَ بَعْدَهَا، وَتَغْنٰى غِنًى لَا فَقْرَ بَعْدَهٗ.

«قَالَ رَضِيَ اللهُ تعالٰى عنه: إِذَا مُتَّ عَنِ الْخَلْقِ» بإماتة الله تعالٰى إياك عنه بستره عنك، و قطع نظر بصيرتك عنه بإظهار قيوميته لكل شيء، و معيته مع كل شيء فما ترى الخلقَ إلا قائما بالحق، يتصرف فيه بما يشاء، و لا تأثير له في شيء «قِيْلَ لَكَ» من سرادقات ملكوت الله تعالٰى «رَحِمَكَ الله» تعالٰى رحمة أغناك بها عن الخلق «وَ اَمَاتَكَ» الله «عَنْ هَوَاكَ» بحيث لايزاحم قَدَرَ الله تعالٰى في شيء، و لا يخالفه فيه «وَ إِذَا مُتَّ عَنْ هَوَاكَ» بإماتة الله تعالٰى إياك عنها «قِيْلَ لَكَ:» من أستار جبروت الله تعالٰى «رَحِمَكَ الله» تعالٰى رحمةً خَلَصَك بها عنها «وَ اَمَاتَكَ عَنْ إِرَادَتِكَ وَ مُنَاكَ» فلا يخطر بقلبك شيء سوى ذكر الله تعالٰى «فَإِذَا مُتَّ عَنْ إِرَادَتِك» بإماتة الله تعالٰى إياك عنها بفضله وكرمه «قِيْلَ لَكَ:» من سرادقات اللاهوت «رَحِمَكَ اللهُ» تعالٰى رحمة خلصك بها عنها «وَ حَيَّاكَ» الله تعالٰى حيوة طيبة.

«فَحِيْنَئِذٍ» أي حين حيّاك الله تعالٰى بعد الإماتة عن هذه الثلاثة «تُحْيٰى حَيٰوةً لَا مَوْتَ بَعْدَهَا» أبدًا «و تَغْنٰى» عن الغير مطلقا «غِنًى لَا فَقْرَ بَعْدَهٗ» و لا احتياجإلى شيء مماوسم بالسوى و يسمى بالغير.

وَ تُعْطٰى عَطَاءً لَا مَنْعَ بَعْدَهٗ، وَ تُرَاحُ بِرَاحَةٍ لَا شِقَاءَ بَعْدَهَا، وَ

تُنَعَّمُ بِنَعِيْمٍ لَا بُؤْسَ بَعْدَهٗ، وَ تُعَلَّمُ عِلْمًا لَا جَهْلَ بَعْدَهٗ، وَ تُؤْمَنُ اَمْنًا فَلَا تُخَافُ بَعْدَهٗ، وَ تُسْعَدُ فَلَا تُشْقٰى، وَتُعَزُّ فَلَا تُذَلُّ، وَ تُقَرَّبُ فَلَا تُبْعَّدُ، وَ تُرْفَعُ فَلَا تُوْضَعُ، وَ تُعَظَّمُ فَلَا تُحَقَّرُ، وَ تُطَهَّرُ فَلَا تُدَنَّسُ، فيتَحَقَّقُ فيكَ الْأَمَانِيُّ وَ تُصَدَّقُ فِيْكَ الْاَقَاوِيْلُ، فَتَكُوْنُ كِبْرِيْتًا أَحْمَرَ فَلَا تُكَادُ تُرٰى.

«وَ تُعْطٰى عَطَاءً لَا مَنْعَ بَعْدَهٗ» أبدا «وَ تُرَاحُ» بلطف الله تعالٰى «بِرَاحَةٍ لَا شِقَاءَ بَعْدَهَا، وَ تُنَعَّمُ» بكرم الله تعالٰى «بِنَعِيْمٍ لَا بُؤسَ» أي السكرة والفقر «بَعْدَهٗ» أبدا «وَتُعَلَّمُ» من علم الله تعالٰى «عِلْمًا لَا جَهْلَ بَعْدَهٗ» أبدا «وَ تُؤْمَنُ اَمْنًا فَلَا تُخَافُ» إخافة «بَعْدَهٗ» أبدا «وَ تُسْعَدُ» بعناية الله تعالٰى إسعادا أبديا «فَلَا تُشْقٰى» شقاوة أصلا «وَ تُعَزُّ» بفضل الله تعالٰى عزة «فَلَا تُذَلُّ» بذُلٍّ أبدا «وَ تُقَرَّبُ» على بساط القرب والحضور «فَلَا تُبَعَّد» بعده إبعادا«وَ تُرْفَعُ» على مراتب الإعزاز والإجلال «فَلَا تُوْضَعُ» بعده على الذُل والهَوان أبدا «وَ تُعَظَّمُ» تعظيما ربانيا «فَلَا تُحَقَّرُ» حقارة أصلا «وَ تُطَهَّرُ» من الأدناس القلبية والقالبية «فَلَا تُدَنَّس فيتَحَقَّقُ فيكَ الْأَمَانِيُّ» أي يقضي بك حاجات الخلائق «وَ تُصَدَّقُ» فيكَ» أي في حقك «الْأَقَاوِيْلُ» أي مقولات الخلق بأنك قطب أو غوث أو ولي أو صاحب وقت «فَتَكُوْنُ كِبْرِيْتًا اَحْمَرَ» الكبريت الأحمر: هو الَّذِيْ يجعل غيرالذهب ذهبا،والمراد هنا: أنك تصيرشيخا مكملا تجعل غيرالعارف عارفا و غيرالواصل واصلا. «فَلَا تُكَادُ تُرٰى» أي لايقرب أن يَراك الخلق بإدراك كنه حقيقتك كما لم يعرف أكثر الخلق حقيقةَ رسول الله صلى الله عليه و على اٰله و صحبه و سلم.

وَ عَزِيْزًا فَلَا تُمَاثَلُ، وَ فَرِيْدًا فَلَا تُشَارَكُ، وَتَكُوْنَ وَحِيْدًا فَلَا تُجَانَسُ، وَتَكُوْنُ فَرْدًا لِفَرْدٍ وَوِتْرًا لِوِتْرٍ وَغَيْبَ الْغَيْبِ وَسِرَّالسِّرِّ فَحِيْنَئِذٍ تَكُوْنُ وَارِثَ كُلِّ رَسُوْلٍ وَ نَبِيٍّ وَ صِدِّيْقٍ.

«وَ عَزِيْزًا» أي فتكون عزيزا غريبا نادرا أو قويا غالبا «فَلَا تُمَاثَلُ» فلا

يوجد لك في العالم مثال «وَ فَرِيْدًا فَلَا تُشَارَكُ» أي لا يكون لك من هذا العالم شريك «وَ وَحِيْدًا فَلَا تُجَانَسُ» أي لا يوجد لك جنسية بهذا العالم فكأنك صرت ماهيةً أخرى غيرَ مشارك لنوع الإنسان.

«وَ تَكُوْنُ فَرْدًا لِفَرْدٍ وَوِتْرًا لِوِتْرٍ وَغَيْبَ الْغَيْبِ وَسِرَّالسِّرِّ» أي تكون منفردا عن جميع الأغيار لله تعالىٰ الَّذِيْ هو فرد لا ضد له والند، و لا شبه له و لا مثل له، و لا وزير له و مشير له، كل شيء يحتاج إليه، و لا يحتاج هو إلى شيء ليس كمثله شيء، و هو السميع العليم، و بهذا المعنى فُسر الفردانية و هكذا قوله: «وتراً لوتر»، و يحتمل هذه الصيغ الثلاثة أن تكون منوّنة منصوبة على خبرية تكون و هوالظاهر، و يحتمل أن يكون مضافة كما أعرب في بعض النسخ، و معناها: ما ذكرنا، فتأمل.

وأما قوله «وَغيبُ الغيب وَ سرَالسر» فيحتمل أن يكون معناه فانيافي الله تعالىٰ، فإن الفناء غيب والله تعالىٰ أيضًا غيب، و كذا الفناء سر أي خفي، والله تعالىٰ أيضًاسر، فظهرأن غيب الغيب و سرالسر هو الفناء في الله «فَحِيْنَئِذٍ» أي حين صرت موصوفا بهذه الصفات «تَكُوْنُ وَارِثَ كُلِّ رَسُوْلٍ وَ نَبِيٍّ وَ صِدِّيْقٍ» لأن الوراثة المعنوية هو معرفة الله تعالىٰ و قد وصلت إليك فصرت وارثا لهم.

بِكَ تُخْتَمُ الْوَلَايَةُ وَ اِلَيْكَ تُصْدَرُ الْاَبْدَالُ وَ بِكَ تُنْكَشَفُ الْكُرُوْبُ وَ بِكَ تُسْقَى الْغُيُوْثُ وَ بِكَ تُنْبَتُ الزُّرُوْعُ وَ بِكَ تُرْفَعُ الْبَلَايَا وَ الْمِحَنُ عَنِ الْخَاصِ وَالْعَامِ وَ اَهْلِ الثُّغُوْرِ وَ الرَّاعِيْ وَالرِّعَايَا وَالْاَئِمَّةِ وَ الْاُمَّةِ وَ سَائِرِ الْبَرَايَا فَتَكُوْنُ شِحْنَةَ الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ.

«بِكَ تُخْتَمُ الْوَلَايَةُ» في زمانك، و أما ختم الولاية المطلقة؛ فإنما هي بالمهديّ الموعود «وَ اِلَيْكَ تُصْدَرُ الْأَبْدَالُ» أي ترجع في جميع أمورهم «وَ بِكَ تُنْكَشَفُ الْكُرُوْبُ» أي تقضي الحاجات «وَ بِكَ تُسْقَى الْغُيُوْثُ» أي الامطار جمع غيث بمعنى المطر «وَ بِكَ تُنْبَتُ الزُّرُوْعُ» أي الزراعات يعنى ببركة وجودك و بشفاعتك رفع الله تعالىٰ عن خلقه جدب البلاد، و قحط العباد «وَ بِكَ تُرْفَعُ الْبَلَايَا» عن جميع

خلق الله تعالىٰ «وَ الْمِحَنُ» سواء كانت بدنية أونفسية أو مالية أو جاهية أو توقفا في مرتبة أو وقوع حجاب أوكدروة في صفاء الوقت «عَنِ الْخَاصِ» بما ذكر أخيرا «وَالْعَامِ» بما ذكر أولاً، «وَ» كَذَا عن «اَهْلِ الثُّغُوْرِ» جمع الثغر، في القاموس: هي ما يلي دارالحرب، و موضع المخافة من فروج البلدان «وَ الرَّاعِيْ وَالرِّعَايَا وَالْاَئِمَّةِ» أي الرؤساء «وَ الْاُمَّةِ» أي عوام الناس «وَ سَائِرِ الْبَرَايَا» أي جميع الخلق من ذوي الأرواح و غيره «فَتَكُوْنُ شِحْنَةَ الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ» أي ضابط أمورهما و كا في مهماتهما.

و في القاموس: الشحنة بالكسر ما يقام للدواب من العلف الَّذِيْ يكفيهايومها و ليلها، و في البلد من فيه الكفاية يضبطها من جهة السلطان.

فَتَنْطَلِقُ إِلَيْكَ الْأَرْجُلُ بِالسَّعْيِ وَالتِّرْحَالِ، وَ الْأَيْدِيْ بِالْبَذْلِ وَالْعَطَاءِ وَالْخِدْمَةِ بِإِذْنِ خَالِقِ الْأَشْيَاءِ فِي سَائِرِالْأَحْوَالِ، الْأَلْسُنُ بِالذِّكْرِ الطَّيِّبِ وَالْحَمْدِ وَ الثَّنَاءِ فِي جَمِيْعِ الْمِحَالِّ، وَ لَا يَخْتَلِفُ فِيكَ اِثْنَانِ مِنْ أَهْلِ الْإِيْمَانِ، يَا خَيْرَ مَنْ سَكَنَ الْبَرَارِيْ وَالعِمْرَانَ وَ حَالُ ذٰلِكَ فَضْلٌ مِّنَ اللهِ تَعَالىٰ وَاللهُ ذُوالْفَضْلِ وَالْإِمْتِنَانِ.

«فَتَنْطَلِقُ إِلَيْكَ الْأَرْجُلُ» جمع رجل بكسر الراء بمعنى القدم «بِالسَّعْيِ وَالتِّرْحَالِ» أي يسعى الخلق إليك بالمشي السريع على الأقدام، و يرتحل إليك أفاضل الأنام «وَ الْأَيْدِىْ بِالْبَذْلِ وَالْعَطَاءِ وَالْخِدْمَةِ» أي يخدمك جميع الخلق بمشي الأقدام و الأيدي ذهابا و مجيئا و بذلا و عطاء و قياما و قعودا، و صرت أنت رئيس الكل «بِإِذْنِ خَالِقِ الْأَشْيَاءِ»و مدبرها و مصرفها بأي تصرف يريد «فِي سَائِرِالْاَحْوَالِ» في كل حين و زمان و منزل و مكان.

«وَ» تَنْطَلِقُ اِلَيْك «الْاَلْسُنُ بِالذِّكْرِ الطَّيِّبِ وَالْحَمْدِ وَ الثَّنَاءِ فِي جَمِيْعِ الْمِحَالِّ، وَ لَا يَخْتَلِفُ فِيكَ» أي في حقك و عظمتك و جلالة قدرك و رفعة شأنك و علو مكانك لظهور برهانك، و وضوح سلطانك «اِثْنَانِ» أي شخصان «مِنْ أَهْلِ

الْإِيْمَانِ» و لا يوجد نقصك أحد من أهل الإيقان «يَا خَيْرَ مَنْ سَكَنَ الْبَرَارِيْ» جمع برية بالياء بمعنى المفازة والميدان «وَالْعِمْرَانَ» أي القرى والبلدان، والمراد: خيرالأنام من الإنس والجانّ؛ فإن ذوي الأرواح لا يخلو من سكون البراري والعمران «وَ حَالُ ذٰلِكَ» أي شأن وجدان تلك المراتب، و حصول تلك المناقب «فَضْلٌ مِّنَ الله تَعَالٰى» لا نتيجة كسب الإنسان؛ فإن الكسب لا يبلغ هذا الشأن «وَالله ذُوالْفَضْلِ وَالْإِمْتِنَانِ» يعطي الفضلَ لمن يريد، و يفيض المنة على من يشاء.

اَلْمَقَالَةُ الْخَامِسَةُ

في تَشْبِيْهِ حَالِ الدُّنْيَا وَ اِشْتِغَالِ أَهْلِهَا بِهَا

قَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: اِذَا رَاَيْتَ الدُّنْيَا فِي اَيْدِىْ اَرْبَابِهَا وَ اَبْنَائِهَا بِزِيْنَتِهَا وَ اَبَاطِيْلِهَا وَ خِدَعِهَا وَ مَصَائِدِهَا وَ سُمُوْمِهَا الْقَاتِلَةِ مَعَ لِيْنِ مَسِّ ظَاهِرِهَا وَ ضَرَارَةِ بَاطِنِهَا وَ سُرْعَةِ اِهْلَاكِهَا وَ قَتْلِهَا لِمَنْ مَسَّهَا وَ اغْتَرَّ بِهَا وَ غَفَلَ عَنْ رَاهِيتِهَا وَ غِيَرِهَا بِاَهْلِهَا وَ نَقْضِ عَهْدِهَا.

«قَالَ رَضِيَ اللهُ تَعَالٰى عَنْهُ: اِذَا رَأَيْتَ الدُّنْيَا فِي أَيْدِيْ أَرْبَابِهَا وَ أَبْنَائِهَا» أي أصحابها الطالبين لها، المشتغلين بها «بِزِيْنَتِهَا» أي مع زينتها «وَ اَبَاطِيْلِهَا» و مزخرفاتها و خطامها «وَ خِدَعِهَا» و مكرها بأهلها «وَ مَصَائِدِهَا» جمع مصيد، و هي ما يصيد من أهلها بجعلهم مشتغلين بها، عاكفين عليها لايقدرون على الانفكاك و الخلاص عنها أصلاً «وَ سُمُوْمِهَا الْقَاتِلَةِ» من الغفلة والغرور و الاشتغال بجمع حطامها «مَعَ لِيْنِ مَسِّ ظَاهِرِهَا» لأنها مشتهاة النفس فتميل إليها بجِبِلّتها و طبعها «وَ ضَرَارَةِ بَاطِنِهَا» فإنها مُضِرّة في الباطن إذا لم يكن السلوك معها على قانون الشرع، و قَلَّما يكون ذلك «وَ سُرْعَةِ إِهْلَاكِهَا وَ قَتْلِهَا لِمَنْ مَسَّهَا» أي طَلَبَها واشتغل بها على خلاف قانون الشرع «وَ اغْتَرَّ بِهَا» فلم يعمل بما فيها إلا بما يقتضيه الهوى «وَ غَفَلَ عَنْ رَاهِيتِهَا» خالطته لإهلاكه بحبها «وَ غِيَرِهَا» أي تغييراتها «بِاَهْلِهَا» فإنها ما وَفَتْ بأحد «وَ» غفل عن «نَقْضِ عَهْدِهَا» بأهلها فإذا رأيت حال الدنيا و أهلها المشتغلين بها.

فَكُنْ كَمَنْ رَاٰى اِنْسَانًا عَلَى الْغَائِطِ بِالْبَرَازِ بَادِيَةٌ سَوْءَتُهٗ فَائِحَةٌ رَائِحَتُهٗ فَاِنَّكَ تَغُضُّ بَصَرَكَ عَنْ سَوْاٰتِهٖ وَ تَسُدُّ عَلَى اَنْفِكَ مِنْ رَائِحَتِهٖ وَ نَتْنِهٖ فَهٰكَذَا كُنْ فِي الدُّنْيَا اِذَا رَاَيْتَهَا بِنَضَارَتِهَا غُضَّ بَصَرَكَ عَنْ

زِ يْنَتِهَا، وَ سُدَّ عَلٰى اَنْفِكَ بِمَا يَفُوْحُ مِنْ رَوَائِحِ شَهْوَاتِهَا وَ لَذَّاتِهَا لِتَنْجُوْ مِنْهَا وَ مِنْ اٰفَاتِهَا وَ يَصِلُ اِلَيْكَ قِسْمُكَ مِنْهَا.

«فَكُنْ» أنت أيها الحاذق الصائب هذا جواب شرط «كَمَنْ رَاٰى إِنْسَانًا» جالسا «عَلَى الْغَائِطِ بِالْبَرَازِ» أي الصحراء «بَادِيَةً سَوْءَتَهٗ» ظاهرة عورته و عيبه «فَائِحَةً رَائِحَتَهٗ» منتشرة نتنه، فَإِذَا كُنْتَ أنت مثل ذلك الرائي، و مررت على ذلك الإنسان «فَإِنَّكَ» البتة بمقتضى لطافة طبعك «تَغُضُّ بَصَرَكَ عَنْ سَوْاٰتِهٖ» الكريهة «وَ تَسُدُّ عَلٰى اَنْفِكَ مِنْ رَائِحَتِهٖ وَ نَتْنِهٖ فَهٰكَذَا» أي بمثل هذه الحالة من غض البصر من تلك السوءة و سد الأنف من تلك الرائحة الكريهة «كُنْ» أنت «فِي الدُّنْيَا» في جميع أحوالك «اِذَا رَاَيْتَهَا» أي الدنيا «بِنَضَارَتِهَا» في أيدي أهلها «غُضَّ بَصَرُكَ عَنْ زِ يْنَتِهَا، وَ سُدَّ عَلٰى اَنْفِكَ بِمَا يَفُوْحُ» و ينتشر «مِنْ رَوَائِحِ شَهْوَاتِهَا» الرزيلة الزائلة سريعةً «وَ لَذَّاتِهَا» الخسيسة الفانية قريبة «لِتَنْجُوْ» أنت «مِنْهَا وَ مِنْ اٰفَاتِهَا» العاجلة والاٰجلة المفضحة عند الخلق والخالق، «وَ» لا تظننّ أن بسعيك يزداد رزقك الَّذِيْ قسم الله تعالٰى لك في تقديره الأزلي، و بالامتناع عنها ينقص شيء من ذلك؛ فإن ذلك محال بل مع قرارك و إعراضك عنها «يَصِلُ إِلَيْكَ» البتة «قِسْمُكَ» الَّذِيْ جعل الله تعالٰى نصيبك في سابق علمه «مِنْهَا» بغير تعمد منك و اضطراب و تفكر و تردد.

وَاَنْتَ مُهَنَّاءٌ، قَالَ اللّٰهُ تَعَالٰى: ﴿وَ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ اِلٰى مَا مَتَّعْنَا بِهٖۤ اَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ نختبرهم فيهط وَ رِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَّ اَبْقٰى﴾[سورة طه،رقم السورة:٢٠،رقم الآية:١٣١]

«وَ»الحال أنك «اَنْتَ مُهَنَّاءٌ» أي جُعِلَ لك ما أعطاك ربك مباركا لا تعب فيه، و لا عيب لك من الخلق، و لا حساب، و لا عقاب من الخالق تعالٰى و تقدس «قَالَ اللّٰهُ تَعَالٰى» في القران الكريم نهيا لنبيه أفضل المخلوقات عليه أزكى السلام وأسنى الصلوات:

«وَ لَا تَمُدَّنَّ» نظر «عَيْنَيْكَ اِلٰى مَا مَتَّعْنَا بِهٖ» أي نعم التي أعطيناها «اَزْوَاجًا مِّنْهُمْ» أصنافا من الكفرة نظر استحسان و غبطة إعجابا به و ميلا أن يكون مثله لك لا نظر عبرة «زَهْرَةَ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا» بهجتها و ز ينتها و نضارتها الزائلة الفانية «لِنَفْتِنَهُمْ» نختبرهم «فيهِ» و نجعل ذلك فتنة لهم و بلاء و وبالا عليهم «وَ رِزْقُ رَبِّكَ» أي الَّذِيْ أعطاك ربك من العلم والنبوة في الدنيا، والثواب الجميل في الآخرة أوالحلال الكافي في الدنيا، والرتبة العظيمة في الآخرة «خَيْرٌ» لك «وَّ اَبْقٰى» بخلاف حطام الدنيا فإنها أشرو أفنى.

ولقد شددالمتقون في وجوب غض البصر أبنية الظـمة وعُـدَدِ الفسـقة، فبملا بسهم ومراكبهم، حتى قال رئيس الصوفية الحسن البصرى: لا تنظروا إلى دقدقة هماليج[1] الفسقة، ولكن انظروا كيف يلوح ذل المعصية من تلك الرقاب، اهـ.ش

(١) هما ليج جمع هملج، وهوالبرذون. من الشارح١٢

اَلْمَقَالَةُ السَّادِسَةُ

في بَيَانِ الْفَنَاءِ عَنِ الْخَلْقِ بِحُكْمِ الله تَعَالٰى
وَ عَنِ الْهَوٰى بِاَمْرِهٖ وَ عَنِ الْاِرَادَةِ بِفِعْلِهٖ

قَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: اِفْنِ عَنِ الْخَلْقِ بِحُكْمِ الله، وَ عَنْ هَوَاكَ بِاَمْرِ الله، وَ عَنْ إِرَادَتِكَ بِفِعْلِ الله.

«قَالَ رَضِيَ اللهُ تعالٰى عَنْه اِفْنِ» أنت أيها السالك «عَنِ الْخَلْقِ» بأن لا تراه في الخير والشر سببا مستقلا «بِحُكْمِ اللهِ» تعالٰى أي برؤ ية حكم الله و ملاحظته، والعلم بأن حكم الله تعالٰى جرى على الخلق فيما يفعلونه بك أو بغيرك في جميع أمورهم «وَ» افن «عَنْ هَوَاكَ بِاَمْرِ اللهِ» تعالٰى أي اجعل هواك تابعا لأمر الله تعالٰى و رسوله عليه الصلاة والسلام، قال الله تعالٰى في ذم الهوى:

اَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ اِلٰهَهٗ هَوَاهُط اَ فَأنت تَكُوْنُ عَلَيْهِ وَكِيْلًا. اَمْ تَحْسَبُ اَنَّ اَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُوْنَ اَوْ يَعْقِلُوْنَط اِنْ هُمْ اِلَّا كَالْاَنْعَامِ بَلْ هُمْ اَضَلُّ سَبِيْلًا.[الفرقان، رقم السورة:٥، رقم الآية:٤٤-٤٥]

و قال رسول الله صلى الله عليه و على أله و صحبه و سلم:
لَا يُؤْمِنُ اَحَدُكُمْ حَتّٰى يَكُوْنَ هَوَاهُ تَابِعًا لِّمَا جِئْتُ بِهٖ.[١]

«وَ» افن «عَنْ اِرَادَتِكَ بِفِعْلِ الله» تعالٰى أي ليكن رؤ ية فعل الله تعالٰى في كل حين و زمان حالك فتصير إرادتك فانيةً مضمحلةً في أفعال الله تعالٰى بك و بغيرك.

فَحِيْنَئِذٍ تَصْلَحُ اَنْ تَكُوْنَ وِعَاءً لِعِلْمِ الله تَعَالٰى فَعَلَامَةُ فَنَائِكَ عَنْ خَلْقِ الله تَعَالٰى اِنْقِطَاعُكَ عَنْهُمْ وَ عَنِ التَّرَدُّدِ اِلَيْهِمْ وَالْيَاسُ مِمَّا فِي اَيْدِيْهِمْ، وَ عَلَامَةُ فَنَائِكَ عَنْ هَوَاكَ تَرْكُ التَّكَسُّبِ وَالتَّعَلُّقِ بِالسَّبَبِ

(١) روح البيان، سورة النساء، رقم الآيت: ٦٤

فِي جَلْبِ النَّفْعِ وَ دَفْعِ الضَّرَرِ فَلَا تَتَحَرَّكْ فيكَ بِكَ وَ لَا تَعْتَمِدْ عَلَيْكَ وَ لَا تَذُبَّ عَنْكَ وَ لَا تَنْصُرْ نَفْسَكَ بِشَيْءٍ لٰكِنْ تَكِلْ ذٰلِكَ كُلَّهٗ اِلى اللهِ تَعَالٰى، لِأَنَّهٗ تَوَلَّاهُ اَوَّلًا فيتَوَلَّاهُ اٰخِرًا ذٰلِكَ مَوْكُوْلًا اِلَيْهِ تَعَالٰى فِي حَالِ كَوْنِكَ مُغِيَّبًا فِي الرَّحِمِ وَ كَوْنِكَ رَضِيْعًا طِفْلًا فِي مَهْدِكَ.

«فَحِيْنَئِذٍ» أي حين أفنيتَ عن إرادتك و هواك المانعين عن التوجه التام إلى الله تعالٰى، الحاجبين عن الانكشاف التام «تَصْلَحُ» أنت «أَنْ تَكُوْنَ وِعَاءً لِعِلْمِ الله تَعَالٰى» أفاض الله تعالٰى عليك علم الأسرار، و يصب عليك الأنوار «فَعَلَامَةُ فَنَائِكَ عَنْ خَلْقِ الله تَعَالٰى» بحكم الله تعالٰى «اِنْقِطَاعُكَ عَنْهُمْ» في الباطن «وَ عَنِ التَّرَدُّدِ اِلَيْهِمْ، وَالْيَاسُ مِمَّا فِي أَيْدِيْهِمْ» في الظاهر فإذا حصل لك هذا الانقطاع ظاهرا و باطنا تحقق لك الفناء عن الخلق.

«وَ عَلَامَةُ فَنَائِكَ عَنْ هَوَاكَ تَرْكُ التَّكَسُّبِ وَالتَّعَلُّقِ بِالسَّبَبِ فِي جَلْبِ النَّفْعِ وَ دَفْعِ الضَّرَرِ» فإن التعلق بالأسباب، و الاشتغال بالكسب في ابتداء السلوك إنما هو بالهوٰى؛ فإذا خلصت عن هواك «فَلَا تَتَحَرَّكْ فيكَ» في جميع أمورك النفسية والبدنية «بِكَ» أي بتدبيرك و تصرفك «وَ لَا تَعْتَمِدْ عَلَيْكَ» فيما ينفع لك «وَ لَا تَذُبَّ» أي لا تدفع «عَنْكَ» شيئا برأيك «وَ لَا تَنْصُرْ نَفْسَكَ بِشَيْءٍ» بهواك «لٰكِنْ تَكِلْ ذٰلِكَ» من جلب المنافع و دفع المضار «كُلَّهٗ إِلَى الله تَعَالٰى لِاَنَّهٗ تَوَلَّاهُ» أي جميع أمورك «اَوَّلًا» من بدأ فطرتك حين كونك نطفة جنينا،و طفلا رضيعا غيرعاقل إلى أن كمل لك عقلك «فيتَوَلَّاهُ» أي جميع أمورك «اٰخِرًا» أي حالا و استقبالا «كَمَا كَانَ ذٰلِكَ» أي جميعُ أمورك «مَوْكُوْلًا[1] اِلَيْهِ تَعَالٰى فِي حَالِ كَوْنِكَ مُغِيَّبًا فِي الرَّحِمِ، وَ كَوْنِكَ رَضِيْعًا طِفْلًا فِي مَهْدِكَ»

قال سيد الطائفة الشيخ أبوالحسن الشاذلي في بعض مناجاته: كن لي الاٰن كماكنت لي قبل، والسلام.

وَ عَلَامَةُ فَنَائِكَ عَنْ اِرَادَتِكَ بِفِعْلِ الله تَعَالٰى اَنَّكَ لَا تُرِيْدُ

(1) تاريخ بغدادللخطيب البغدادي، ج:٦، ص:٢٠، برقم:٢٥٠٧.

مُرَادًا قَطُّ، وَ لَا يَكُوْنُ لَكَ غَرَضٌ، وَ لَا يَبْقٰى لَكَ حَاجَةٌ وَ لَا مَرَامٌ لِاَنَّكَ لَا تُرِيْدُ مَعَ اِرَادَةِ اللهِ سِوَاهَا بَلْ يَجْرِىْ فيكَ فِعْلُ اللهِ تَعَالٰى فَتَكُوْنُ أنت اِرَادَةَ اللهِ وَ فِعْلَهٗ سَاكِنَ الْجَوَارِحِ مُطْمَئِنَّ الْجَنَانِ مَشْرُوْحَ الصَّدْرِ مُنَوَّرَالْوَجْهِ عَامِرَ الْبَاطِنِ غَنِيًّا عَنِ الْاَشْيَاءِ بِخَالِقِهَا.

«وَعَلَامَةُ فَنَائِكَ عَنْ إرَادَتِكَ بِفِعْلِ اللهِ تَعَالٰى اَنَّكَ لَا تُرِيْدُ مُرَادًا قَطُّ وَ لَا يَكُوْنُ لَكَ غَرَضٌ» في شيء «وَ لَا يَبْقٰى لَكَ» إلي شيء «حَاجَةٌ وَ لَا مَرَامٌ» من عند نفسك «لِاَنَّكَ» إذا أفْنَيْتَ إرادتَك في إرادة الله تعالٰى «لَا تُرِيْدُ بِنَفْسِكَ مَعَ إرَادَةِ الله تعالٰى سِوَاهَا» أي سوى إرادته تعالٰى «بَلْ يَجْرِيْ فيكَ» في حالاتك «فِعْلُ اللهِ تَعَالٰى» الَّذِيْ أراد في حقك قبل وجودك «فَتَكُوْنُ أنْتَ» لفنائك في إرادة الله تعالٰى كأنك «اِرَادَةَ الله» تعالٰى «وَ فِعْلَهٗ»تعالٰى «سَاكِنَ الْجَوَارِحِ» لا تحركها في شيء «مُطْمَئِنَّ الْجَنَانِ» غير مائل إلى شيء «مَشْرُوْحَ الصَّدْرِ» لعدم مزاحمة مطلوب و مقصود فيه «مُنَوَّرَالْوَجْهِ» بنور الله تعالٰى «عَامِرَ الْبَاطِنِ» بذكر الله تعالٰى «غَنِيًّا عَنِ الْاَشْيَاءِ» كلها «بِخَالِقِهَا» أي بالتوجه إلى خالق الأشياء، و تفويض الأمر إليه تعالٰى.

تُقَلِّبُكَ يَدُ الْقُدْرَةِ، وَ يَدْعُوْكَ لِسَانُ الْاَزَلِ وَ يُعَلِّمُكَ رَبُّ الْمُلْكِ، وَ يَكْسُوْكَ اَنْوَارًا مِنْهُ وَ يَلْبَسُكَ الْحُلَلَ، وَ يُنْزِلُكَ مَنَازِلَ مَنْ سَلَفَ مِنْ أُولِي الْعِلْمِ الْاُوَلِ فَتَكُوْنُ مُنْكَسِرًا اَبَدًا فَلَا يَثْبُتُ فيكَ شَهْوَةٌ وَ لَا اِرَادَةٌ كَالْاِنَاءِ الْمُنْثَلِمِ الَّذِيْ لَا يَثْبُتُ فيهِ مَائِعٌ وَ لَا كَدْرٌ فَتَتَبَرَّؤْ عَنِ الْاَخْلَاقِ الْبَشَرِيَّةِ فَلَنْ يَقْبَلَ بَاطِنُكَ شَيْئًا غَيْرَ اِرَادَةِ اللهِ تَعَالٰى فَحِيْنَئِذٍ يُضَافُ اِلَيْكَ التَّكْوِيْنُ وَ خَرْقُ الْعَادَاتِ

«تُقَلِّبُكَ يَدُ الْقُدْرَةِ» و تصرف فيك مؤيدا بالنصرة «وَ يَدْعُوْكَ لِسَانُ الْاَزَلِ» بما يليق بحالك من الخطاب، و يحفظك عن الزلل والعتاب «وَ يُعَلِّمُكَ رَبُّ الْمُلْكِ» علما لَدُنّيا تَعلَمُ به ما في الأرض، و ما تحتها إلى أسفل السافلين، و ما عليها، و ما على الفلك إلى أعلى عليين «وَ يَكْسُوْكَ» الرب تعالٰى «اَنْوَارًا مِنْهُ» أي من

عنده مختصة به تعالىٰ «وَ يَلْبَسُكَ» الرب تعالىٰ «الْحُلَلَ» المزينة بالصفات الجميلة «وَ يُنْزِلُكَ» ربك «مَنَازِلَ مَنْ سَلَفَ مِنْ أُولِى الْعِلْمِ» الكامل الشامل «الْأُوَلِ» و هي و إن كان جمع أُوْلىٰ مؤنث أول كأُخْرىٰ و أُخَرَ لكن جاء و صفا لجماعة الرجال من حيث التأنيث صرح به في الصحاح.

«فَتَكُوْنُ» أنت بذهاب هواك و إرادتك «مُنْكَسِرًا اَبَدًا» فلا يبقيان ولا يرجعان إليك «فَلَا يَثْبُتُ فيكَ» لانكسارك «شَهْوَةٌ» و اشتهاء إلى شيء من حظوظ النفس «وَ لَا اِرَادَةٌ» أي ميل و إن لم يبلغ الاشتهاء «كَالْاَنَاءِ الْمُنْثَلِمِ» من ثلمته فانثلم إذا كسرته فانكسر «الذي لَا يَثْبُتُ فيهِ مَائِعٌ» أي سائل من ماع يميع إذا جرى على وجه الأرض، كذا في الصحاح، لكن المراد به هنا: صاف بقرينة قوله: «وَ لَا كَدْرٌ فَتَنْبَؤْ» أي تباعد، قال في الصحاح: نَبَأَ الشيء عَنّى يَنْبَؤْ أي تجاف و تباعد، و أنبيتُه أي دفعته عن نفسي، انتهي. «عَنِ الْاَخْلَاقِ الْبَشَرِيَّةِ» فإذا زالت عنك الصفات البشرية «فَلَنْ يَقْبَلَ بَاطِنُكَ» أي روحك الَّذِيْ ارتقى إلىٰ ذروة الكمال «شَيْئًا» من الأمور الدنيوية والأخروية «غَيْرَ اِرَادَةِ الله تَعَالىٰ» في حقك أيًّامًا كان «فَحِيْنَئِذٍ» أي حين صرتَ بهذه الصفة «يُضَافُ إلَيْكَ» من الله تعالىٰ عند أرباب الطريقة «التّكوِيْنُ» أي جعل الاشياء كائنا و موجودا «وَ خَرْقُ الْعَادَاتِ» والكرامات.

فَيُرىٰ ذٰلِكَ مِنْكَ في ظَاهِرِ الْعَقْلِ وَالْحُكْمِ وَ هُوَ فِعْلُ الله تَعَالىٰ وَ اِرَادَتُهٗ تَعَالىٰ حَقًّا في الْعِلْمِ فَتَدْخُلُ حِيْنَئِذٍ في زُمْرَةِ الْمُنْكَسِرَةِ قُلُوْبُهُمْ الذينَ اِنْكَسَرَتْ اِرَادَتُهُمُ الْبَشَرِيَّةُ وَ اُزِيْلَتْ شَهْوَاتُهُمُ الطَّبْعِيَّةُ فَاسْتَوْفَتْ لَهُمْ اِرَادَةٌ رَبَّانِيَّةٌ وَ شَهْوَاتٌ وَظِيْفيةٌ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ عَلىٰ اٰلِهٖ وَ صَحْبِهٖ وَ سَلَّمَ:

حُبِّبَ إلى مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلٰثٌ: اَلطِّيْبُ وَالنِّسَاءُ وَ جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِىْ في الصَّلٰوةِ.

«فَيُرىٰ ذٰلِكَ» أي التكوين و خرق العادات «مِنْكَ فِي ظَاهِرِ الْعَقْلِ وَالْحُكْمِ» يعني ينسب ذلك برؤية ظاهر العقل والحكم، و ليس منك في الحقيقة؛ لأنك ما بقيتَ بنفسك «وَ هُوَ فِعْلُ الله تَعَالٰى وَ إِرَادَتُهُ تَعَالٰى حَقًّا» أي محققا «فِي الْعِلْمِ» المطابق للواقع «فَتَدْخُلُ حِيْنَئِذٍ فِي زُمْرَةِ» الطائفة العلية «الْمُنْكَسِرَةِ قُلُوْبُهُمْ» الذين ورد في شأنهم في الحديث القدسي:

أنا عند المنكسرة قلوبهم.[1]

و هم «الذينَ اِنْكَسَرَتْ اِرَادَتُهُمُ الْبَشَرِيَّةُ» أي ذهبت وانمحت «وَ اُزِيْلَتْ شَهْوَاتُهُمُ الطَّبْعِيَّةُ» واضمحلت «فَاسْتَوْفَتْ لَهُمْ» أي أخذتهم بالكلية «إِرَادَةٌ رَبَّانِيَّةٌ وَ شَهْوَاتٌ وَظِيْفيةٌ» أي ما جعلها الله تعالى لهم وظيفة معينة من عنده فبتلك الإرادة والشهوات يريدون شيئا و يشتهون شيئا، و بها يستريحون لا بإرادة نفسانية، و لا بشهوات حيوانية.

«كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ عَلٰى اٰلِهٖ وَ صَحْبِهٖ وَ سَلَّمَ:

حُبِّبَ إِلَي مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلٰثٌ: اَلطِّيْبُ، وَالنِّسَاءُ، وَ جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِيْ فِي الصَّلٰوةِ.[2]

و على ظاهر الحديث أوردوا إشكالًا، و هو أنه صلى الله عليه و على اٰله و سلم أضاف الأمور الثلاثة إلى الدنيا ثم عدها، والثالث أعني "قرة عيني في الصلوة" ليس من أمور الدنيا.

وأجابوا عنه بوجوه:

أحدها: أن المراد بقرة العين القيلولة فإنها سبب الراحة في التهجد.

وثانيها: أن المراد به سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء و كانت وقت التكلم في الصلوة فكأنه عليه الصلوة والسلام قال قرة عيني الكائنة في الصلوة.

---

(1) انظر إحياء العلوم للإمام الغزالي في كتاب آداب الألفة والأخوة والصحبة، ونصه: قال موسى: إلهي أين أبغيك؟ قال "عندالمنكسرة قلوبهم"

(2) انظرمسند الإمام أحمد، مسند أنس، برقم: ١٤٠٣٧ــ وسنن النسائي ، باب حب النساء برقم:٣٩٣٩.ـ وسنن الكبرىٰ للبيهقى، برقم:١٣٤٥٤.

وثالثها: أنه صلى الله عليه وعلى اٰله وسلم لَمَّا وقع في ذكر حظوظ الدنيا لم ترض نفسه القدسية الاشتغال بها فأعرض عنها إلى الأمر الأخروي، لكن الصحيح الَّذِيْ عليه المحققون من أصحاب الحديث هو أن لفظ ثلث لم يثبت من الحديث و على هذا فلاإشكال. والمقصود بالذكرهنا هو لفظ "حبب" الدال على أنه كان من الله تعالىٰ لا من نفسه صلى الله عليه و سلم.

فَاُضِيْفَ ذٰلِكَ اِلَيْهِ صلى الله عليه و اٰله وسلم بَعْدَ اَنْ خَرَجَ مِنْهُ وَ زَالَ عَنْهُ تَحْقِيْقًا لِمَا اَشَرْنَا اِلَيْهِ وَ تَقَدَّمَ. قَالَ الله تَعَالىٰ: "اَنَا عِنْدَ الْمُنْكَسِرَةِ قُلُوْبُهُمْ مِنْ اَجَلِيْ" فَاللهُ تَعَالىٰ لَا يَكُوْنُ عِنْدَكَ حَتّٰى تَنْكَسِرَ جُمْلَتُكَ وَ هَوَاكَ وَ اِرَادَتُكَ فَاِذَا اِنْكَسَرَتَ بِجُمْلَتِكَ وَ لَمْ يَثْبُتْ فيكَ شَيْءٌ وَ لَمْ تَصْلَحْ لِشَيْءٍ سِوَاهُ اَنْشَاكَ الله تَعَالىٰ فَجَعَلَ فيكَ اِرَادَةً فَتُرِيْدُ بِتِلْكَ الْاِرَادَةِ فَاِذَا وُجِدْتَ في تِلْكَ الْاِرَادَةِ الْمُنْشَاَةِ فيكَ كَسَرَهَا الرَّبُّ تَعَالىٰ لِوُجُوْدِكَ فيهَا فَتَكُوْنُ مُنْكَسِرَ الْقَلْبِ اَبَدًا فَهُوَ عَزَّ وَ جَلَّ لَا يَزَالُ يُجَدِّدُ فيكَ اِرَادَةً ثُمَّ يُزِيْلُهَا عِنْدَ وُجُوْدِكَ فيهَا هٰكَذَا اِلىٰ اَنْ يَبْلُغَ الْكِتَابُ اَجَلَهٗ.

«فَاُضِيْفَ ذٰلِكَ» المحبة «اِلَيْهِ» صلى الله عليه و اٰله وسلم «بَعْدَ اَنْ خَرَجَ» المحبة النفسانية بإرادته «مِنْهُ وَ زَالَ» الشهوة البشرية «عَنْهُ تَحْقِيْقًا لِمَا اَشَرْنَا اِلَيْهِ» في بيان المنكسرة قلوبهم «وَ» لما «تَقَدَّمَ» في أول المقالة، و هذا الانكسار أعلى مراتب الطالبين المفيد لكون الله تعالى عندهم كما «قَالَ الله تَعَالىٰ: "اَنَا عِنْدَ الْمُنْكَسِرَةِ قُلُوْبُهُمْ مِنْ اَجَلِيْ" فَاللهُ تَعَالىٰ لَا يَكُوْنُ عِنْدَكَ حَتّٰى تَنْكَسِرَ جُمْلَتُكَ» أي جميع صفاتك خصوصا أعظمها «وَ» هو «هَوَاكَ وَ اِرَادَتُكَ فَاِذَا اِنْكَسَرَتَ بِجُمْلَتِكَ وَ لَمْ يَثْبُتْ فيكَ شَيْءٌ وَ لَمْ تَصْلَحْ» أنت «لِشَيْءٍ سِوَاهُ» تعالى «اَنْشَاكَ الله تَعَالىٰ» انشاء. آخر «فَجَعَلَ» الله تعالى «فيكَ» حين فناء «إرادتك اِرَادَةً» من عنده «فَتُرِيْدُ» الأشياء حينئذ «بِتِلْكَ الْاِرَادَةِ» التي أحدث الله تعالى فيك «فَاِذَا وُجِدْتَ» بصيغة المجهول بأن يظهر وجودك «فِي تِلْكَ الْاِرَادَةِ الْمَنْشَاَةِ فيكَ كَسَرَهَا» أي تلك

الإرادة المخلوطة بك «الرَّبُّ تَعَالٰى» لكمال لطفه بك «لِوُجُوْدِكَ فيهَا» أي في تلك الإرادة «فَتَكُوْنُ» بكسر الله تعالٰى إياك «مُنْكَسِرَ الْقَلْبِ اَبَدًا فَهُوَ» أي الله «عَزَّ وَ جَلَّ لَا يَزَالُ يُجَدِّدُ فيكَ اِرَادَةً» من عنده «ثُمَّ يُزِ يْلُهَا» أي تلك الإرادة «عِنْدَ وُجُوْدِكَ فيهَا هٰكَذَا» في كل مرّة «إلٰى اَنْ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهٗ» والمراد به والله تعالٰى أعلم: الفناء المطلق حتى لا يظهر وجودك في البين أصلا.

فيحْصُلُ لَكَ اللِّقَاءُ فَهٰذَا مَعْنٰى: "اَنَا عِنْدَ الْمُنْكَسِرَةِ قُلُوْبُكُمْ مِنْ اَجَلِيْ" وَ مَعْنٰى قَوْلِنَا عِنْدَ وُجُوْدِكَ فيهَا هُوَ رَكُوْنُكَ وَطَمَانِيْنَتُكَ اِلَيْهَا. قَالَ عَزَّ وَ جَلَّ فِي بَعْضِ مَا يَذْكُرُهٗ نَبِيُّهٗ عَلَيْهِ الصَّلٰوةُ وَالسَّلَامُ:

مَا يَزَالُ عَبْدِيْ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتّٰى أُحِبَّهٗ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهٗ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهٖ، وَ بَصَرَهُ الَّذِيْ يُبْصِرُ بِهٖ، وَ يَدَهُ الَّتِيْ يَبْطِشُ بِهَا، وَ رِجْلَهُ الَّتِيْ يَمْشِيْ بِهَا.

وَ فِي لَفْظٍ اٰخَرَ: فَبِيْ يَسْمَعُ، وَبِيْ يَبْصُرُ، وَ بِيْ يَبْطِشُ، وَ بِيْ يَعْقِلُ.

«فيحْصُلُ لَكَ اللِّقَاءُ» أي لقاء الله تعالٰى في كل مشاهد و معقول، و تدخل في زمرة من قال: مارأيت شيئاإلا و قد رأيت الله قبله أو فيه أو بعده «فَهٰذَا» الَّذِيْ ذكر من الكسر كل مرّة حتى لا يبقى شائبة وجودك «مَعْنٰى» العندية في قوله تعالٰى في الحديث القدسى «اَنَا عِنْدَ الْمُنْكَسِرَةِ قُلُوْبُكُمْ مِنْ اَجَلِيْ»[1] وَ مَعْنٰى قَوْلِنَا عِنْدَ وُجُوْدِكَ فيهَا» أي في الإرادة المنشأة فيك «هُوَ رَكُوْنُكَ وَ طَمَانِيْنَتُكَ إِلَيْهَا» أي ميلك إلى تلك الإرادة المنشأة، و قرارك فيها «قَالَ» الله «عَزَّ وَ جَلَّ فِي بَعْضِ مَا» أي الأحاديث القدسية التي «يَذْكُرُهٗ نَبِيُّهٗ عَلَيْهِ الصَّلٰوةُ وَالسَّلَامُ:»

«مَا يَزَالُ عَبْدِيْ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتّٰى أُحِبَّهٗ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهٗ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِيْ يَسْمَعُ بِهٖ، وَ بَصَرَهُ الَّذِيْ يُبْصِرُ بِهٖ، وَ يَدَهُ الَّتِيْ يَبْطِشُ بِهَا، وَ رِجْلَهُ الَّتِيْ يَمْشِيْ بِهَا.[2]

---

(1) مر تخرجه

(2) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب التواضع، برقم:٦٥٠٢، وأخرجه أيضا ابن حبان:٢/ ٥٨، برقم:٣٤٧، وأبونعيم في الحلية:١/ ٤.

وَ فِي لَفْظٍ اٰخَرَ: فَبِيْ يَسْمَعُ، وَ بِيْ يَبْصُرُ, وَ بِيْ يَبْطِشُ, وَ بِيْ يَعْقِلُ». [(١)]

هذا الحديث أورده البخاري بعبارة أبسط مماهنا ففيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و على اٰله وسلم:

اِنَّ الله تَعَالٰى قَالَ مَنْ عَادَى لِيْ وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَ مَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَ مَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتّٰى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِيْ يَسْمَعُ بِهٖ، وَ بَصَرَهُ الَّذِيْ يُبْصِرُ بِهٖ، وَ يَدَهُ الَّتِيْ يَبْطِشُ بِهَا، وَ رِجْلَهُ الَّتِيْ يَمْشِيْ بِهَا، وَ إِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِيْ لَأُعِيْذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِيْ عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الموْتَ وَ أَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ وَ لَا بُدَّ لَه مِنهُ. [(٢)]

و هذه المرتبة تسمى في اصطلاح الصوفية بقرب النوافل، و هو أن يكون السالك فاعلا، والحق تعالٰى فيه بمنزلة الاٰلة وٍ جوارحه كما دل عليه الحديث الصحيح، و هذا معناه عند أرباب التوحيد والعرفان، و أما عند أرباب العلم و البرهان فمعناه: كنت أسرع إلى قضاء حوائجه في سمعه في الاستماع، ومن بصره في النظر، و يده في البطش، و رجله في المشي.

والحاصل أن حوائج العبد كما يقضى بجوارحه فأنا أقضيه كذلك بل أسرع منه، و هو كناية عن تولي الله تعالٰى لجميع أموره، و هو أدنى المراتب، و سواها ثلاث مراتب بعضها أعلٰى من بعض، و قد دل الحديث على أن قرب الفرائض أعظم و أحب عندالله تعالٰى من قرب النوافل.

وَ هٰذَا اِنَّمَا يَكُوْنُ حَالَةُ الْفَنَاءِ لَا غَيْرَ فَإِذَا اَفْنَيْتَ عَنْكَ وَ عَنِ الْخَلْقِ، وَالْخَلْقُ اِنَّمَا هُوَ خَيْرٌ وَّ شَرٌّ وَ كَذٰلِكَ أنت خَيْرٌ وَ شَرٌّ فَلَمْ تَرْجُ خَيْرَهُمْ وَ لَا تَخَافُ شَرَّهُمْ بَقِيَ الله وَحْدَهٗ كَمَا كَانَ قَبْلَ اَنْ يَخْلُقَكَ فَفِي قُدْرَةِ الله خَيْرٌ وَّ شَرٌّ فيؤمِنُكَ مِنْ شَرِّهٖ وَ يَغْرِقُكَ فِي بِحَارِ خَيْرِهٖ

(1) أورده ابن حجر في الفتح ١١/ ٣٤٤، نقلا عن الطوخي، ولم يعزها إلى أي مصدر

(2) مر تخريجه سابقا

فَتَكُوْنَ وِعَآءً لِكُلِّ خَيْرٍ وَ مَنْبِعًا لِكُلِّ نِعْمَةٍ وَّ سُرُوْرٍ وَّ حَبُوْرٍ وَ نُوْرٍ وَ ضِيَاءٍ وَ اَمْنٍ وَ سَكُوْنٍ فَالْفَنَاءُ هُوَالْمُنٰى وَالْمُبْتَغٰى وَالْمُنْتَهٰى وَ حَدٌّ وَ مَرَدٌّ يَنْتَهِي اِلَيْهِ سَيْرُ الأولِيَاءِ.

«وَ هٰذَا» أي بلوغ السالك إلى مرتبة السماع بالله والإبصاروالبطش و غيرهما بالله تعالٰى «اِنَّمَا يَكُوْنُ حَالَةُ الْفَنَاءِ لَا غَيْرَ فَإذَا أفْنَيْتَ عَنْكَ وَ عَنِ الْخَلْقِ» بلطف الله تعالٰى بك «وَالْخَلْقُ اِنَّمَا هُوَ خَيْرٌ وَّ شَرٌّ» بتقدير الله تعالٰى على مقتضى حكمته فلم ترج خيرهم، و لا تخاف شرهم «وَ كَذٰلِكَ أنت خَيْرٌ» في بعض أفعالك و أقوالك و أحوالك و نيّاتك «وَ شَرٌّ» في بعضها «فَلَمْ تَرْجُ خَيْرَهُمْ، وَ لَا تَخَافُ شَرَّهُمْ» فإن ذلك علامة الفناء عنهما «بَقِيَ الله» تعالٰى «وَحْدَهٗ» و بهذا المعنى قالوا: المسافة إلى الله تعالٰى بقدمين ضع أحدهما عليك، والآخر على الخلق، و صِلْ بالله تعالٰى «كَمَا كَانَ» الله تعالٰى باقيا وحده «قَبْلَ أنْ يَخْلُقَكَ» و ما ترى موجودا غيرك «فَفي قُدْرَةِ الله» تعالٰى أيضًا «خَيْرٌوَّشَرٌّ» فإنهما من اٰثار كمال القدرة و مقتضى الحكمة «فيؤْمِنُكَ» ربك بكمال لطفه بك «مِنْ شَرِّهٖ» أي من شرمخلوقٍ خَلَقَهٗ أو مقدور قدره «وَ يَغْرِقُكَ فِي بِحَارِ خَيْرِهٖ فَتَكُوْنَ» أنت حينئذ «وِعَآءً» و محلا «لِكُلِّ خَيْرٍ وَ مَنْبِعًا» و عينا «لِكُلِّ نِعْمَةٍ وَّ سُرُوْرٍ وَّ حَبُوْرٍ» بمعنى سرور، به صرح في القاموس «وَ نُوْرٍ» هو المستضيء بالغير «وَ ضِيَاءٍ» هو المستضيء بالذات كما قال تعالٰى:

هُوَالذي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَآءً وَّ الْقَمَرَ نُوْرًا. (يونس.رقم السورة: ١٠، رقم الآية: ٥)

«وَ اَمْنٍ» من المكاره «وَ سَكُوْنٍ» أي قرار من الاضطراب إلى وجد شيء أو عن فقد شيء «فَالْفَنَاءُ» المطلق «هُوَالْمُنٰى» أي المطلوب «وَالْمُبْتَغٰى» أي المقصود «وَالْمُنْتَهٰى وَ حَدٌّ» له «وَ مَرَدٌّ» مرجع «يَنْتَهِي اِلَيْهِ سَيْرُ الْاَوْلِيَاءِ»

وَ هُوَ الْاِسْتِقَامَةُ التي طَلَبَهَا مَنْ تَقَدَّمَ مِنَ الْاَوْلِيَاءِ وَ الْاَبْدَالِ اَنْ يَفْنُوْا عَنْ اِرَادَتِهِمْ فَتَبَدَّلَ بِاِرَادَةِ الْحَقِّ عَزَّ وَ جَلَّ فيرِيْدُوْنَ بِاِرَادَةِ

الْحَقِّ اَبَدًا إِلَى الْوَفَاةِ فَلِهٰذَا سُمُّوْا اَبْدَالًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ فَذُنُوْبُ هٰؤُلَاءِ السَّادَاتِ اَنْ يُشْرِكُوْا اِرَادَةَ الْحَقِّ بِإِرَادَتِهِمْ عَلٰى وَجْهِ السَّهْوِ وَالنِّسْيَانِ وَ غَلَبَةِ الْحَالِ وَالدَّهْشَةِ فيدْرِكُهُمُ اللهُ تَعَالٰى بِرَحْمَتِهٖ بِالْيَقْظَةِ وَالتَّذْكِرَةِ فيرْجِعُوْنَ عَنْ ذٰلِكَ وَ يَسْتَغْفِرُوْنَ رَبَّهُمْ عَزَّ وَ جَلَّ اِذْ لَا مَعْصُوْمَ عَنِ الْإِرَادَةِ اِلَّا الْمَلٰئِكَةُ.

«وَهُوَ» أي الفناء المطلق «الْإِسْتِقَامَةُ» أي الاعتدال بين مقام العبودية والربوبية؛ فإن الإفراط منه زيادة، و التفريط تقصير «التي طَلَبَهَا مَنْ تَقَدَّمَ مِنَ الْاَوْلِيَاءِ وَ الْاَبْدَالِ اَنْ يَفْنُوْا» بدل من ضمير المفعول في طلبها «عَنْ اِرَادَتِهِمْ» البشرية فإذا فنوا عن إرادتهم «فَتَبَدَّلَ بِإِرَادَةِ الْحَقِّ عَزَّ وَ جَلَّ» فيهم مكان إرادتهم «فيرِيْدُوْنَ بِإِرَادَةِ الْحَقِّ اَبَدً إِلَى الْوَفَاةِ» أي الموت «فَلِهٰذَا سُمُّوْا» أي الأبدال «أَبْدَالًا» و في القاموس: رجل بَدِل بالكسر و يحرك: شريف كريم، جمعه أبدال «رَضِيَ اللهُ تعالى عَنْهُمْ» لتبدل إرادتهم بإرادة الحق تعالىٰ و تقدس.

«فَذُنُوْبُ هٰؤُلَاءِ السَّادَاتِ» جمع سيد «أَنْ يُشْرِكُوْا اِرَادَةَ الْحَقِّ بِإِرَادَتِهِمْ عَلٰى وَجْهِ السَّهْوِ وَالنِّسْيَانِ وَ غَلَبَةِ الْحَالِ وَالدَّهْشَةِ فيدْرِكُهُمُ اللهُ تَعَالٰى بِرَحْمَتِهٖ بِالْيَقْظَةِ» أي التيقظ عن غلبة الحال والدهشة «وَالتَّذْكِرَةِ» عن السهو والنسيان «فيرْجِعُوْنَ عَنْ ذٰلِكَ» المذكور من الأحوال الأربعة «وَ يَسْتَغْفِرُوْنَ رَبَّهُمْ عَزَّ وَ جَلَّ اِذْ لَا مَعْصُوْمَ عَنِ الْإِرَادَةِ اِلَّا الْمَلٰئِكَةُ».

فَالْمَلَائِكَةُ عُصِمُوْا عَنِ الْإِرَادَةِ وَالْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عُصِمُوْا عَنِ الْهَوٰى وَ بَقِيَّةُ الْخَلْقِ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ الْمُكَلَّفِينَ لَمْ يُعْصَمُوْا مِنْهُمَا غَيْرَ اَنَّ الْاَوْلِيَاءَ يُحْفَظُوْنَ عَنِ الْهَوٰى وَالْاَبْدَالَ عَنِ الْإِرَادَةِ وَ لَا يُعْصَمُوْنَ مِنْهُمَا عَلٰى مَعْنٰى اَنَّهٗ يَجُوْزُ فِي حَقِّهِمُ الْمَيْلُ اِلَيْهِمَا فِي الْاَحْيَانِ ثُمَّ يَتَدَارَكُهُمُ اللهُ بِالْيَقْظَةِ بِرَحْمَتِهٖ.

«فَالْمَلَائِكَةُ عُصِمُوْا» هم معصومون «عَنِ الْإِرَادَةِ، وَالْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

عُصِمُوْا عَنِ الْهَوٰى، وَ بَقِيَّةُ الْخَلْقِ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ الْمُكَلِّفِينَ لَمْ يُعْصَمُوْا مِنْهُمَا» أي الإرادة والهوى «غَيْرَ أَنَّ الْأَوْلِيَاءَ يُحْفَظُوْنَ عَنِ الْهَوٰى وَالْأَبْدَالَ عَنِ الْإِرَادَةِ وَ لَا يُعْصَمُوْنَ» بصيغة المجهول «مِنْهُمَا عَلٰى مَعْنٰى أَنَّهُ» أي الشأن «يَجُوْزُ فِي حَقِّهِمُ الْمَيْلُ اِلَيْهِمَا» أي الإرادة والهوى «فِيْ» بعض «الْأَحْيَانِ ثُمَّ يَتَدَارَكُهُمُ اللهُ بِالْيَقْظَةِ» أي التيقظ عن ذلك الميل المستلزم للسهو والنسيان، و غلبة الحال والدهشة «بِرَحْمَتِهٖ» تعالىٰ.

اَلْمَقَالَةُ السَّابِعَةُ

في بَيَانِ خُرُوْجِ السَّالِكِ عَنْ نَفْسِهٖ وَ مُلْكِهٖ وَ تَسْلِيْمِ الْكُلِّ إلى الله تَعَالٰى

قَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أُخْرُجْ مِنْ نَفْسِكَ، وَ تَنَحَّ عَنْهَا، وَ انْعَزِلْ مِن مِلْكِكَ، وَ سَلِّمِ الْكُلَّ فَكُنْ بَوَّابَهُ عَلٰى بَابِ قَلْبِكَ، وَامْتَثِلْ اَمْرَهٗ في اِدْخَالِ مَنْ يَأمُرُكَ بِإدْخَالِهٖ، وَانْتَهِ بِنَهْيِهٖ في صَدِّ مَنْ يَأْمُرُكَ بِصَدِّهٖ، فَلَا تَدْخُلِ الْهَوٰى قَلْبَكَ بَعْدَ اَنْ خَرَجَ مِنْهُ، فَإخْرَاجُ الْهَوٰى مِنَ الْقَلْبِ بِمُخَالَفَتِهٖ وَ تَرْكِ مُتَابَعَتِهٖ في الأحْوَالِ كُلِّهَا، وَ اِدْخَالُهٗ في الْقَلْبِ بِمُتَابَعَتِهٖ وَ مُوَافَقَتِهٖ.

«قَالَ رَضِيَ اللهُ تعالٰى عَنْهُ: أُخْرُجْ مِنْ نَفْسِكَ وَ تَنَحَّ عَنْهَا» خروجا و تنحية لا رجوع بعدها أصلا «وَ انْعَزِلْ مِن مِلْكِكَ» انعزالا بالكلية «وَ سَلِّمِ الْكُلَّ» نفسك و ملكك «إلَى اللهِ تعالٰى فَكُنْ» أنت «بَوَّابَهُ» أي حاجب الله «عَلٰى بَابِ قَلْبِكَ» لئلا يدخل فيه غيرالله «وَامْتَثِلْ اَمْرَهٗ تعالٰى في اِدْخَالِ مَنْ يَأْمُرُكَ» الله تعالٰى «بِإدْخَالِهٖ وَانْتَهِ بِنَهيِهٖ» أي منهيه «في صَدِّ مَنْ» أي في دفع «يَأْمُرُكَ بِصَدِّهٖ» أي بدفعه و كلمة من وقع تغليبا للعاقل على غيره، و المراد به: ما التي يعم العاقلَ و غيره «فَلَا تَدْخُلِ الْهَوٰى قَلْبَكَ بَعْدَ أنْ خَرَجَ مِنْهُ» بفضل الله تعالٰى «فَإخْرَاجُ الْهَوٰى مِنَ الْقَلْبِ بِمُخَالَفَتِهٖ، وَ تَرْكِ مُتَابَعَتِهٖ في الأحْوَالِ كُلِّهَا» خيرا كان أو شرا؛ فإن خيره شر في الباطن «وَ إدْخَالُهٗ» أي الهوى «في الْقَلْبِ بِمُتَابَعَتِهٖ» في مأموراته «وَ مُوَافَقَتِهٖ» لمشتهياته.

فَلَا تُرِدْ إرَادَةً غَيْرَ اِرَادَتِهٖ وَ غَيْرَ ذٰلِكَ مِنْكَ تَمَنٍّ وَ هُوَ وَادِي الْحُمَقٰى، وَ فيهِ حَتْفُكَ وَ هَلَاكُكَ وَ سَقُوْطُكَ مِنْ عَيْنِهٖ عَزَّ وَ جَلَّ وَ حِجَابُكَ عَنْهُ تَعَالٰى، اِحْفَظْ اَبَدًا أمْرَهٗ وَ انْتَهِ أبَدًا بِنَهْيِهٖ، وَ سَلِّمْ اِلَيْهِ

مَقْدُوْرَهٗ، وَ لَا تُشْرِكْهُ بِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِهٖ فَإِرَادَتُكَ وَ هَوَاكَ وَ شَهْوَاتُكَ خَلْقُهٗ فَلَا تُرِدْ وَ لَا تَهْوِ وَ لَا تَشْتَهِ لِئَلَّا تَكُوْنَ مُشْرِكًا، قَالَ اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوْ لِقَآءَ رَبِّهٖ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَّ لَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهٖ اَحَدًا﴾ [الكهف، رقم السورة:١٨،رقم الآية:١١٠]

«فَلَا تُرِدْ» أنت أيها العاقل «إِرَادَةً غَيْرَ اِرَادَتِهٖ» عز و جل «وَ غَيْرَ ذٰلِكَ» أي والحال أن غيرإرادة الله تعالىٰ «مِنْكَ تَمَنٍّ» لشيء محال «وَ هُوَ» تمني المحال «وَادِي الْحُمَقٰى» فإن من طلب وقوع ما لا يصح وقوعه يُعَدُّ أحمق.

«وَ فيهِ» أي تمني المحال أو وادي الحمقى «حَتْفُكَ» أي موتك، و في الصحاح: يقال مات فلان حتف أنفه، إذا مات من غير قتل و لا ضرب، و لا يبنى منه فعل «وَ هَلَاكُكَ وَ سَقُوْطُكَ مِنْ عَيْنِهٖ عَزَّ وَ جَلَّ» أي تقع عن رتبتك التي عند الله تعالىٰ «وَ حِجَابُكَ عَنْهُ تَعَالىٰ» فلا تشاهده «اِحْفَظْ» أن تُرد خيرك «اَبَدًا اَمْرَهٗ» تعالىٰ «وَ انْتَهِ اَبَدًا بِنَهْيِهٖ، وَ سَلِّمْ إِلَيْهِ تعالىٰ مَقْدُوْرَهٗ وَ لَا تُشْرِكْهُ» أي الله تعالىٰ «بِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِهٖ» تعالىٰ «فَإِرَادَتُكَ» لمراد من مراداتك «وَ هَوَاكَ» لمَهْوِيٍّ من مَهْوِيَّاتِكَ «وَ شَهْوَاتُكَ» لمشتهياتك «خَلْقُهٗ» تعالىٰ «فَلَا تُرِدْ» إرادتك «وَ لَا تَهْوِ» هواك «وَ لَا تَشْتَهِ» اشتهاءك «لِئَلَّا تَكُوْنَ مُشْرِكًا» لله تعالىٰ بهذه الأمور في الطريقة «قَالَ اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ: فَمَنْ كَانَ يَرْجُوْ لِقَآءَ رَبِّهٖ» مشاهدة قلبية في الدنيا و عيانا عَينيّا في الآخرة «فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا» في الشريعة والطريقة والحقيقة «وَّ لَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهٖ» شركا جليا ولا خفيا «أحدا» من خلقه حتى هواك وإرادتك.

لَيْسَ الشِّرْكُ فِي عِبَادَةِ الْاَصْنَامِ فَحَسْبُ بَلْ هُوَ اَيْضًا مُتَابَعَتُكَ لِهَوَاكَ، وَ اَنْ تَخْتَارَ مَعَ رَبِّكَ عَزَّ وَ جَلَّ شَيْئًا سِوَاهُ مِنَ الدُّنْيَا وَ مَا فِيهَا وَالْاٰخِرَةِ وَ مَا فِيهَا، فَمَا سِوَاهُ عَزَّ وَ جَلَّ غَيْرُهٗ فَإِذَا رَكَنْتَ إِلىٰ غَيْرِهٖ فَقَدْ اَشْرَكْتَ بِهٖ عَزَّ وَ جَلَّ غَيْرَهٗ فَاحْذَرْ وَ لَا تَرْكُنْ وَ خَفْ وَ لَا تَأْمَنْ وَ فَتِّشْ وَ لَا تَغْفَلْ فَتَطْمَئِنْ.

«لَيسَ الشِّرْكُ في عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ فَحَسْبُ بَلْ هُوَ» أي الشرك «أيْضًا» في الطريقة والحقيقة «مُتَابَعَتُكَ لِهَوَاكَ وَ أَنْ تَخْتَارَ» بنفسك و هواك «مَعَ رَبِّكَ عَزَّ وَ جَلَّ شَيْئًا سِوَاهُ مِنَ الدُّنْيَا وَ مَا فيهَا، وَالْآخِرَةِ وَ مَا فيهَا» و إنما تكون باختيارك الدنيا والآخرة مشركا في الطريقة والحقيقة؛ لأنهما مما سوى الله تعالىٰ لا في الشريعة. فإذا تحققت ذلك «فَمَا سِوَاهُ عَزَّ وَ جَلَّ غَيْرُهٗ» فيهما و في الشرعية «فَإذَا رَكَنْتَ» أي مِلْتَ «إلىٰ غَيْرِهٖ فَقَدْ اَشْرَكْتَ» بذلك الميل «بِهٖ» أي بالله «عَزَّ وَ جَلَّ غَيْرَهٗ» في التوجه و صرف الهمة إلى الواحد الأحد، و بهذا المعنى قال المشائخ رحمهم الله تعالىٰ: كل ما شغلك عن الحق فهو صنمك «فَاحْذَرْ» من شركك «وَ لَا تَرْكُنْ» إلى غير الله تعالىٰ «وَ خَفْ» من الله تعالىٰ أن يسقطك عن رتبتك «وَ لَا تَأْمَنْ» بلطفه بك و كرمه عليك «وَ فَتِّشْ» بأن لا يدخل الغير في قلبك «وَ لَا تَغْفَلْ» عن تسويل النفس و مكر الشيطان «فَتَطْمَئِنْ» قلبك عن خداعها.

وَلَا تُضِفْ إلىٰ نَفْسِكَ حَالًا وَّ لَا مَقَامًا، وَ لَا تَدَّعِ شَيْئًا مِّنْ ذٰلِكَ فَإنْ اُعْطِيْتَ حَالًا اَوْ اُقِمْتَ فِي مَقَامٍ اَوْ اُطْلِعْتَ عَلىٰ سِرٍّ فَلَا تُخْبِرْ اَحَدًا شَيْئًا مِنْ ذٰلِكَ فَإنَّ اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ فِي تَغْيِيْرٍ وَّ تَبْدِيْلٍ يَحُوْلُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ قَلْبِهٖ فَلَعَلَّ اللهَ تَعَالىٰ يُزِيْلُكَ عَمَّا اَخْبَرْتَ بِهٖ وَ يُغَيِّرُكَ عَمَّا تَخَيَّلْتَ ثَبَاتَهٗ وَ بَقَاءَهٗ فَتُخْجِلُ عِنْدَ مَنْ اَخْبَرْتَهٗ بِذٰلِكَ بَلْ اِحْفَظْ ذٰلِكَ فِيْكَ، وَلَا تُعَدِّهٖ إلىٰ غَيْرِكَ.

«وَلَا تُضِفْ إلىٰ نَفْسِكَ حَالًا» من حالاتك التي أفاضه الله تعالىٰ عليك «وَّ لَا مَقَامًا» وهبه الله تعالىٰ لك «وَ لَا تَدَّعِ شَيْئًا مِّنْ ذٰلِكَ» المذكور من الحال والمقام، فإن ادعاء ذلك يؤدي إلى نفسانيتك و تقع في الشرك. نعوذ بالله من الحور بعد الكور.

«فَإنْ اُعْطِيْتَ» بصيغة المجهول أي فإن أعطاك الله تعالىٰ «حَالًا أوْ اُقِمْتَ» أي أقامك الله تعالىٰ «فِي مَقَامٍ اَوْاُطْلِعْتَ» أي أطلعك الله تعالىٰ «عَلىٰ سِرٍّ» من أسراره «فَلَا تُخْبِرْ» بحالك و مقامك و إطلاعك «أحَدًا» من أحبابك «شَيْئًا مِنْ

ذٰلِكَ » أي الحال و المقام و الإطلاع، فإنك لاتعلم أن الله تعالىٰ يبقيك على ذلك «فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَ جَلَّ» كما قال في سورة الرحمن:

«كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ [الرحمن، رقم السورة:٥٥، رقم الآية:٢٩]

فِي تَغْيِيْرٍ وَّ تَبْدِيْلٍ»وَ اِنَّهٗ تعالىٰ قال في سورة الأنفال

وَاعْلَمُوْآ اَنَّ اللهَ يَحُوْلُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ قَلْبِهٖ[الأنفال رقم السورة:٨،رقم الآية: ٢٤]

حتى لا يستطيع أن يعزم على شيء و لا يبقى على حالة إلا بما أراد «فَلَعَلَّ اللهَ تَعَالٰى يُزِ يْلُكَ عَمَّآ اَخْبَرْتَ بِهٖ» من الحال و المقام و الإطلاع على الأسرار «وَ يُغَيِّرُكَ عَمَّا تَخَيَّلْتَ ثَبَاتَهٗ وَ بَقَاءَ هٗ فَتُخْجِلُ عِنْدَ مَنْ اَخْبَرْتَهٗ بِذٰلِكَ بَلْ اِحْفَظْ ذٰلِكَ»المطعي «فيكَ» ولا تخبز أحداً بذلك «وَ لَا تُعَدِّهٖ» أي لاتجاوز ذلك المعطي «اِلٰى غَيْرِكَ» وإن كان صديقك.

فَاِنْ كَانَ اَلثَّبَاتَ وَالْبَقَاءَ فَتَعْلَمُ اَنَّهٗ مَوْهَبَةٌ وَ تَسْاَلُ التَّوْفِيقَ لِلشُّكْرِ وَ اِسْتِزَادَتَهٗ وَ اِنْ كَانَ غَيْرُ ذٰلِكَ كَانَ فيهِ زِ يَادَةُ عِلْمٍ وَ مَعْرِفَةٍ وَ نُوْرٍ وَ تَيَقُّظٍ وَتَأْدِيْبٍ. قَالَ اللهُ تَعَالٰى:﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ اٰيَةٍ اَوْ نُنْسِهَا نَاْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ اَوْ مِثْلِهَاط اَ لَمْ تَعْلَمْ اَنَّ اللهَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ﴾ [البقرة، رقم السورة:٢، رقم الآية:١٠٦]

«فَاِنْ كَانَ» حال الحال و المقام و الإطلاع «اَلثَّبَاتَ وَالْبَقَاءَ فَتَعْلَمُ اَنَّهٗ» أي ما أعطاه الله إياك «مَوْهَبَةٌ» من الله تعالىٰ فتشكر على نعمائه تعالىٰ «وَ تَسْاَلُ التَّوْفِيقَ لِلشُّكْرِ» فإن الشكر أيضًا نعمة من الله تعالىٰ، و جالب لمزيد النعمة «وَ» تسأل «اِسْتِزَادَتَهٗ» أي زيادة النعمة. في القاموس: استزاده استقصره، و طلب منه الزيادة «وَ اِنْ كَانَ» حال الحال و المقام و الإطلاع «غَيْرُ ذٰلِكَ» المذكور من الثبات والبقاء «كَانَ فيهِ» أي زوال المعطى و عدم ثباته «زِ يَادَةُ عِلْمٍ» بتصرف الله تعالىٰ بالإبقاء والإفناء «وَ مَعْرِفَةٍ» بخصوص الجزئيات «وَنُوْرٍ» من الله تعالىٰ «وَ تَيَقُّظٍ» بقدرة الله على المنع والعطاء «وَ تَأْدِيْبٍ» من الله تعالىٰ فراعِ الأدبَ مع الله

تعالىٰ في جميع أحكامه فلعل الله تعالىٰ أزال ذلك المعطى عنك ليعطيك أفضل منه كيف لا و قد «قَالَ اللهُ تَعَالىٰ:»

«مَا نَنْسَخْ مِنْ اٰيَةٍ» أعطيناها لأحد من خلقنا الَّذِيْ اصطفيناه «اَوْ نُنْسِهَا» نمحها عن القلوب «نَاْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَاۤ اَوْ مِثْلِهَا ؕ اَ لَمْ تَعْلَمْ اَنَّ اللهَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ» فيقدر على إبطال حكم ما أعطى، أو محوها والإتيان بخير منها أو مثلها

فَلَا تُعْجِز اللهَ تَعَالىٰ فِي قُدْرَتِهٖ و لَا تَتَّهِمَهٗ فِي تَدْبِيْرِهٖ وَ تَقْدِيْرِهٖ وَ لَا تَشُكَّ فِي وَعْدِهٖ فَلْيَكُنْ لَكَ فِيْ رَسُوْلِ اللهِ اُسْوَةٌ حَسَنَةٌ نُسِخَتِ الْاٰيَاتُ وَالسُّوْرُ النَّازِلَاتُ عَلَيْهِ اَلْمَعْمُوْلَهُ بِهَا، الْمَقْرُوَّةُ فِي الْمَحارِيْبِ الْمَكْتُوْبَةُ فِي الْمَصَاحِفِ وَ رُفِعَتْ وَ بُدِّلَتْ وَ اُثْبِتَتْ غَيْرُهَا مَكَانَهَا وَ نُقِلَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اِلٰى غَيْرِهَا هٰذَا فِي ظَاهِرِ الشَّرْعِ، وَ اَمَّا فِي الْبَاطِنِ وَالْعِلْمِ وَالْحَالِ فِيمَا بَيْنَهٗ و بين الله تعالىٰ.

«فَلَا تُعْجِز اللهَ تَعَالىٰ» أي لا تخيله عاجزا «فِي قُدْرَتِهٖ، و لَا تَتَّهِمَهٗ فِي تَدْبِيْرِهٖ وَ تَقْدِيْرِهٖ» فإنه تعالىٰ عالم بمايَنْفَعك و يَصْلَحُك «وَ لَا تَشُكَّ فِي وَعْدِهٖ» أنه يعطيه أم لا «فَلْيَكُنْ لَكَ» في جميع حالاتك «فِيْ رَسُوْلِ اللهِ اُسْوَةٌ حَسَنَةٌ» أي اقتداء جميل فانظر كيف «نُسِخَتِ الْاٰيَاتُ وَالسُّوْرُ النَّازِلَاتُ عَلَيْهِ» صلى الله عليه و على اٰله وسلم «اَلْمَعْمُوْلَةُ بِهَا» في مدة «الْمَقْرُوَّةُ فِي الْمَحارِيْبِ، الْمَكْتُوْبَةُ فِي الْمَصَاحِفِ، وَ رُفِعَتْ» بعضها بالكلية «وَ بُدِّلَتْ» بعضها «وَاُثْبِتَتْ غَيْرُهَا مَكَانَهَا وَ نُقِلَ» ذات رسول «صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ اِلٰى غَيْرِهَا» من الاٰيات الأخرخير منها أو مثلها «هٰذَا» المذكور من انتقال حال رسول الله صلى الله عليه و على اٰله و سلم من تبديل الايات و إثبات أُخرى مكانها، أو رفعها بالكلية «فِي ظَاهِرِ الشَّرْعِ، وَ اَمَّا فِي الْبَاطِنِ» أي انتقال حال رسول الله صلى الله عليه و على اٰله وسلم في الباطن «وَالْعِلْمِ وَالْحَالِ» الَّذِيْ كان «فِيمَا بَيْنَهٗ» عليه الصلوة والسلام «وَ بَيْنَ اللهِ تَعَالىٰ» فهو أصرح ما في ظاهر الشرع.

فَكَانَ يَقُوْلُ مُخْبِرًا: "اِنَّهٗ لَيُغَانُ عَلٰى قَلْبِيْ فَأَسْتَغْفِرُاللهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِيْنَ مَرَّةٍ. وَرُوِيَ مِاَئَةَ مَرَّةٍ".[1] كَانَ صلى الله عليه و على اٰله و سلم يُنْقَلُ مِنْ حَالَةٍ اِلٰى حَالَةٍ اُخْرٰى وَ يُسَارُ بِهٖ فِي مَنَازِلِ الْقُرْبِ وَ مَيَادِيْنِ الْغَيْبِ وَ تُغَيَّرُ عَلَيْهِ الْخِلَعُ فَتَبَيَّنَ الْحَالَةُ الْاُوْلٰى عِنْدَ مَا يَلِيْهَا ظُلْمَةً وَ نُقْصَانًا وَ مِنْهُ تَقْصِيْرًا فِي حِفْظِ الْحُدُوْدِ.

«فَكَانَ» صلى الله عليه و على اٰله وسلم «يَقُوْلُ مُخْبِرًا» عما يجد من التغيير في الباطن والعلم والحال «اِنَّهٗ» أي الشأن «لَيُغَانُ» أي يُغَطّٰى «عَلٰى قَلْبِيْ فَاَسْتَغْفِرُالله فِي كُلِّ يَوَمٍ سَبْعِيْنَ مَرَّةً، وَ رُوِيَ مِاَئَةَ مَرَّةً» و ليس هذا الغَيْن بالرجوع إلى البشرية و وجدان صفاته في ذاته الشريف بل «كَانَ صلى الله عليه و على اٰله و سلم يُنْقَلُ مِنْ حَالَةٍ» موهوبة له في كل وقت «إلٰى حَالَةٍ اُخْرٰى» أي أعلٰى منها «وَ يُسَارُ بِهٖ» عليه الصلوة و السلام أي يجعله الله تعالٰى سائراً «فِي مَنَازِلِ الْقُرْبِ، وَ مَيَادِيْنِ الْغَيْبِ» فإن روحه المقدسة كان تعرج إلى المعارج العلية في كل حين و اٰنٍ «وَ تُغَيَّرُ عَلَيْهِ الْخِلَعُ» أي اللباس النورية، والتشريف السريّة، والْأَنْوَارِ الأسمائية والصفاتية والذاتية «فَتَبَيَّنَ الْحَالَةُ الْاُوْلٰى عِنْدَ مَا يَلِيْهَا» من الحالة الأعلى «ظُلْمَةً وَ نُقْصَانًا» تمييز عن الفاعل أي ظَهَرَ ظلمة الحالة الأولى و نقصانهاإن جعل من التغفل و حينئذ يشكل عطف قوله: "و منه تقصيرا".

والظاهر أن يجعل من الإبانة فإنه جاء متعد يا و لا زما و يحمل هناعلى الأول، أي يُظْهِر و يرى صلى الله عليه و سلم الحالة الأولٰى عند الحالة الأخرى بحسب ذاتها ظلمةً و نقصانًا؛ فإن ذلك شأن الأدنى عند وجود الأعلى و بحسب التوقف فيها «وَ مِنْهُ» أي من نفسه الشريفة «تَقْصِيْرًا فِي حِفْظِ الْحُدُوْدِ» التي تقتضيه الحالة الأخرى.

فَيَدْ مِنُ الْاِسْتِغْفَارُ، لِأَنَّهٗ اَحْسَنُ حَالِ الْعَبْدِ، وَالتَّوْبَةُ فِي

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه. برقم:٢٧٠٢.

سَائِرِالْاَحْوَالِ لِاَنَّ فِيْهَا اِعْتِرَافًا بِذَنْبِهٖ وَ قُصُوْرِهٖ وَ هُمَا صِفَتَا الْعَبْدِ فِي سَائِرِالْاَحْوَالِ، فَهُمَا وَرَاثَةٌ مِنْ اَبِي الْبَشَرِ اٰدَمَ الْمُصْطَفٰى حِيْنَ اِعْتَوَرَتْ صَفَاءَ حَالِهٖ ظُلْمَةُ النِّسْيَانِ بِنِسْيَانِ الْعَهْدِ وَالْمِيْثَاقِ وَ اِرَادَةِ الْخُلُوْدِ فِيْ دَارِالسَّلَامِ وَ مُجَاوَرَةُ الْحَبِيْبِ الرَّحْمٰنِ الْمَنَّانِ وَ دُخُوْلِ الْمَلَائِكَةِ الْكِرَامِ عَلَيْهِ بِالتَّحِيَّةِ وَالسَّلَامِ فَوُجِدَتْ هُنَاكَ نَفْسُهٗ وَ مُشَارَكَةُ اِرَادَتِهٖ اِرَادَةَ الْحَقِّ عَزَّ وَ جَلَّ تِلْكَ الْاِرَادَةُ وَ زَالَتْ تِلْكَ الْحَالَةُ، وَانْعَزَلَتْ تِلْكَ الْوِلَايَةُ فَانْهَبَطَتْ تِلْكَ الْمَنْزِلَةُ وَ اَظْلَمَتْ تِلْكَ الْاَنْوَارُ وَ تَكَدَّرَتْ ذٰلِكَ الصَّفَاءُ.

«فيدْمِنُ» أي يديم «الْإِسْتِغْفَارُ لِاَنَّهٗ» أي الاستغفار «اَحْسَنُ حَالِ الْعَبْدِ» إذ فيه ظهور عجز العبودية و عظمة الربوبية. «وَالتَّوْبَةُ» عطف على الاستغفار «فِي سَائِرِالْأَحْوَالِ؛ لِاَنَّ فِيْهَا اِعْتِرَافًا بِذَنْبِهٖ وَ قُصُوْرِهٖ وَ هُمَا» أي الاعترافان «صِفَتَا الْعَبْدِ فِي سَائِرِالْأَحْوَالِ فَهُمَا وَرَاثَةٌ» للعبد «مِنْ أَبِي الْبَشَرِ اٰدَمَ الْمُصْطَفٰى» عليه الصلوة والسلام الَّذِيْ اصطفاه الله تعالٰى على الملائكة والجن و سائر خلقه «حِيْنَ اِعْتَوَرَتْ» أي نَاوَبَتْ و أخذت «صَفَاءَ حَالِهٖ ظُلْمَةُ النِّسْيَانِ بِنِسْيَانِ الْعَهْدِ وَالْمِيْثَاقِ» كما قال الله تعالٰى.

وَ لَقَدْ عَهِدْنَآ اِلٰٓى اٰدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَ لَمْ نَجِدْ لَهٗ عَزْمًا.(طٰهٰ، رقم السورة:٢٠، رقم الآية:١٥٥)

«وَ اِرَادَةِ الْخُلُوْدِ» عطف على نسيان العهد أي أخذت صفاءَ حاله ظلمةُ النسيان بنسيان العهد، و بإرادة الخلود «فِيْ دَارِالسَّلَامِ وَ» إرادة «مُجَاوَرَةِ الْحَبِيْبِ الرَّحْمٰنِ الْمَنَّانِ» أي المتصف بكمال الرحمةِ والمنةِ «وَ» إرادة «دُخُوْلِ الْمَلَائِكَةِ الْكِرَامِ عَلَيْهِ بِالتَّحِيَّةِ وَالسَّلَامِ» فإنه أكل الشجرة إرادة هذه الأمور «فَوُجِدَتْ هُنَاكَ» في تلك الإرادات المذكورة «نَفْسُهٗ» أي نفس آدم «وَ مُشَارَكَةُ اِرَادَتِهٖ» أي اٰدم «إِرَادَةَ الْحَقِّ عَزَّ وَ جَلَّ» إرادته إرادة الله تعالٰى «تِلْكَ الْإِرَادَةَ» النفسية «وَ زَالَتْ» عن اٰدم

عليه السلام «تِلْكَ الْحَالَةُ» التي أعطاها الله تعالى عليه السلام «وَانْعَزَلَتْ» عنه «تِلْكَ الْوِلَايَةُ» الكاملة «فَانْهَبَطَتْ» عنه «تِلْكَ الْمَنْزِلَةُ» العالية «وَ أَظْلَمَتْ» عليه «تِلْكَ الْأَنْوَارُ» الْمَفَاضَةُ «وَ تَكَدَّرَتْ ذٰلِكَ الصَّفَاءُ» الموهوبة.

ثُمَّ نُبِّهَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ ذُكِّرَ صَفي الرَّحْمٰنِ فَعُرِّفَ الْاِعْتِرَافَ بِالذَّنْبِ وَالنِّسْيَانِ وَ لُقِّنَ الْاِقْرَارَ بِالْقُصُوْرِ وَالنِّسْيَانِ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلٰوةُ وَالسَّلَامُ: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ اَنْفُسَنَا وَ اِنْ لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَ تَرْحَمْنَا لَنَكُوْنَنَّ مِنَ الْخٰسِرِيْنَ﴾ [الأعراف:٢٣] فَجَاءَتْهُ اَنْوَارُالْهِدَايَةِ وَ عُلُوْمُ التَّوْبَةِ وَ مَعَارِفُهَا وَالْمَصَالِحُ الْمَدْفُوْنَةُ فيهَا مَا كَانَ غَائِبًا مِنْ قَبْل فَلَمْ تَظْهَرْ اِلَّابِهَا فَبُدِّلَتْ تِلْكَ الْاِرَادَةُ بِغَيْرِهَا وَ الْحَالَةُ الْأُوْلٰى بِأُخْرٰى وَ جَاءَتْهُ الْوِلَايَةُ الْكُبْرٰى وَالسُّكُوْنُ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ فِي الْعُقْبٰى.

«ثُمَّ نُبِّهَ» اٰدم «عَلَيْهِ السَّلَامُ» على خطائه تنبيها ربانيّا «وَ ذُكِّرَ صَفِيُّ الرَّحْمٰنِ» تذكيرا بليغا رحمانيا «فَعُرِّفَ الْاِعْتِرَافَ بِالذَّنْبِ وَالنِّسْيَانِ» تعريفا رحيميا «وَ لُقِّنَ الْاِقْرَارَ بِالْقُصُوْرِ وَالنِّسْيَانِ» تلقينًا كَرَمِيًّا وُجوديًّا، و جميع هذه الأمور مذكورة في التفاسير، «فَقَالَ» اٰدم «عَلَيْهِ الصَّلٰوةُ وَالسَّلَامُ» بعد تنبيه الله تعالٰى إياه و تذكيره و تعريفه و تلقينه.

رَبَّنَا ظَلَمْنَآ اَنْفُسَنَا وَ اِنْ لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَ تَرْحَمْنَا لَنَكُوْنَنَّ مِنَ الْخٰسِرِيْنَ.[الأعراف، رقم السورة:٧، رقم الآية:٢٣]

«فَجَاءَتْهُ» أي اٰدم بعد توبته «أَنْوَارُالْهِدَايَةِ» الربانية «وَ عُلُوْمُ التَّوْبَةِ» أي لوازمها المفضية إلى القبول «وَ مَعَارِفُهَا» أي معارف التوبة و هي شروطها«وَالْمَصَالِحُ الْمَدْفُوْنَةُ» أي المستورة «فيهَا» أي في التوبة «مَا كَانَ غَائِبًا» بدل من أنوار الهداية «مِنْ قَبْل» أي قبل توبته «فَلَمْ تَظْهَرْ» تلك المراتب «إِلَّابِهَا» أي بالتوبة «فَبُدِّلَتْ تِلْكَ الْإِرَادَةُ» الربانية التي شاركتها فيها إرادته النفسية «بِغَيْرِهَا» من الإرادة التي لا يشوبها إرادة نفسية أصلا، «وَ» بدلت

«الْحَالَةُ الْأُوْلٰى» التي أعطاها الله تعالٰى أدم عليه السلام قبل التوبة «بِ»حالة «أُخْرٰى» أعلٰى منها «وَ جَاءَتْهُ الْوِلَايَةُ الْكُبْرٰى» و الخلافة العظمٰى التي خلق الله تعالٰى أدم لأجلها كما أخبر به ملائكته

اِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ اِنِّيْ جَاعِلٌ فِي الْاَرْضِ خَلِيْفَةً ؕ. [البقرة، رقم السورة:٢، رقم الآية:٣٠]

«وَالسُّكُوْنُ فِي الدُّنْيَا» ليحصل له الذرية، و يتحقق الخلافة والكسب و العمل والعلم والمعرفة و تهذيب الأخلاق و تبديل الأوصاف؛ فإن الدنيا دار التكليف و تحصيل القرب «ثُمَّ» السكنى «فِي الْعُقْبٰى» على وجه الجزاء والقرار.

فَصَارَتِ الدُّنْيَا لَهٗ وَ لِذُرِّيَّتِهٖ مَنْزِلًا، وَالْعُقْبٰى لَهُمْ مَوْئِلًا وَ مَرْجِعًاوَ خُلْدًا فَلَكَ بِرَسُوْلِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ مُحَمَّدِ الْحَبِيْبِ الْمُصْطَفٰى وَ اَبِيْهِ اٰدَمَ صَفي الله عُنْصَرِ الْاَحْبَابِ وَالْاَخِلَّاءِ اُسْوَةٌ فِي الْاِعْتِرَافِ بِالْقُصُوْرِ وَ الْاِسْتِغْفَارِ فِي الْاَحْوَالِ كُلِّهَا وَالذِّلَّةِ وَالْاِفْتِقَارِ فِيهَا.

«فَصَارَتِ الدُّنْيَا لَهٗ» لآدم «وَ لِذُرِّيَّتِهٖ مَنْزِلًا» في السير إلى الله تعالٰى والارتحال عنها «وَالْعُقْبٰى لَهُمْ مَوْئِلًا وَ مَرْجِعًا» عطف تفسيري «وَ خُلْدًا» في القاموس: الخلد بالضم البقاء والدوام كالخلود والجنة انتهي. والمراد هنا: الأول بحذف المضاف، أي دار البقاء والدوام، أو الثاني باعتبار معناه، أي محل السرور. فإذا عرفت أيها السالك المنتقل من حال إلى حال، والمبدَّل من مقام، إلٰى مقام وَالمغَيَّر من اطلاع إلى اطلاع حالَ رسول الله صلى الله عليه و سلم في الانتقال، و حالَ أدم عليه السلام في التغيير و التبديل «فَلَكَ بِرَسُوْلِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ مُحَمَّدٍ الْحَبِيْبِ الْمُصْطَفٰى، وَ اَبِيْهِ اٰدَمَ صَفي الله عُنْصَرِ الْأَحْبَابِ وَالْأَخِلَّاءِ» أي أصلهم و منشأَهم؛ فإن جميع الأحباب من البشر إنما نشأَ من صلب أدم عليه السلام «اُسْوَةٌ» مبتدأ و قوله: فَلَكَ خبره، أي اقتداء بالأب والجد «فِي الْاِعْتِرَافِ بِالْقُصُوْرِ» عن

نفسك «وَالْإِسْتِغْفَارِ» عن زَلَّتك عند ربك «فِي الْأَحْوَالِ كُلِّهَا» فإن البشر في مدرج التقصير «وَالذِّلَّةِ وَالْإِفْتِقَارِ» أي الأحتياج «فِيْهَا» أي في الأحوال كلها، فإنها مما يقتضيه العبودية والألوهية و المخلوقية والخالقية.

و بهذا المعنى قال المشائخ رحمهم الله تعالىٰ: كلما ازداد العبد معرفة بالله زاد افتقارا إلى الله تعالى. و قالوا: رتبته بقدر افتقاره.

و أما ما قالوا: إن الفقير لا يحتاج إلى الله تعالىٰ فهو في حال سكره، و استغراقه، و مشاهدة الفناء فيه، و عدم وجدان نفسه في البين، فأين الافتقار والشين، و بهذا المعنى قالوا: الفقر إذا تم فهو الله.

اَلْمَقَالَةُ الثَّامِنَةُ

في نَفي الْإِخْتِيَارِ عَنْ نَفْسِهِ فِي جَمِيْعِ حَالَاتِهِ وَالتَّسْلِيْمِ لِفِعْلِ اللهِ تَعَالٰى

قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إِذَا كُنْتَ فِي حَالَةٍ لَا تَخْتَرْ لَكَ غَيْرَهَا اَعْلٰى مِنْهَا، وَ لَا اَدْنٰى مِنْهَا فَإِذَا كُنْتَ بِبَابِ دَارِ الْمَلِكِ لَا تَخْتَرْ لِنَفْسِكَ الدُّخُوْلَ إِلَى الدَّارِ حَتّٰى تُدْخَلَ اِلَيْهَا جَبْرًا لَا اِخْتِيَارًا، اَعْنِيْ بِالْجَبْرِ اَمْرًا عَنِيْفًا مُتَاَكِّدًا مُتَكَرِّرًا وَ لَا تَقْنَعْ بِمُجَرَّدِ الْإِذْنِ فِي الدُّخُوْلِ لِجَوَازِ اَنْ يَكُوْنَ ذٰلِكَ مَكْرًا وَ خَدِيْعَةً مِنَ الْمَلِكِ لٰكِنْ اِصْبِرْ حَتّٰى تُجْبَرَ عَلَى الدُّخُوْلِ فَتُدْخَلُ الدَّارَ جَبْرًا مَحْضًا وَ فِعْلًا مِنَ الْمَلِكِ.

«قَالَ» رَضِيَ اللهُ تعالٰى عَنْهُ: إِذَا كُنْتَ» أيها السالك «فِيْ حَالَةٍ» من حالات القرب من الله تعالٰى «لَا تَخْتَرْ لَكَ» باختيار منك «غَيْرَهَا» أي غير تلك الحالة «أَعْلٰى مِنْهَا» أي من تلك الحالة الموهوبة لك «وَ لَا أَدْنٰى مِنْهَا، فَإِذَا كُنْتَ بِبَابِ دَارِ الْمَلِكِ لَا تَخْتَرْ لِنَفْسِكَ الدُّخُوْلَ إِلَى الدَّارِ حَتّٰى تُدْخَلَ» بصيغة المجهول «إِلَيْهَا» إلى دار الملك «جَبْرًا» من الملك «لَا إِخْتِيَارًا» منك «أَعْنِيْ بِالْجَبْرِ أَمْرًا عَنِيْفًا مُتَأَكِّدًا مُتَكَرِّرًا، وَ لَا تَقْنَعْ بِمُجَرَّدِ الْإِذْنِ فِي الدُّخُوْلِ لِجَوازِ أَنْ يَكُوْنَ ذٰلِكَ» الإذن «مَكْرًا وَ خَدِيْعَةً مِنَ الْمَلِكِ لٰكِنْ اِصْبِرْ» أنت على مقامك «حَتّٰى تُجْبَرَ» بصيغة المجهول «عَلَى الدُّخُوْلِ فَتُدْخَلُ الدَّارَ جَبْرًا مَحْضًا وَ فِعْلًا مِنَ الْمَلِكِ» لا طلبا منك.

فَحِيْنَئِذٍ لَا يُعَاقِبُكَ الْمَلِكُ عَلٰى فِعْلِهِ، وَ اِنَّمَا تَطْرُقُ الْعَقُوْبَةُ نَحْوَكَ لِشُوْمِ تَخَيُّرِكَ وَ شَرَهِكَ وَ قِلَّةِ صَبْرِكَ وَ سُوْءِ اَدَبِكَ وَ تَرْكِ الرِّضَا بِحَالَتِكَ الَّتِي اُقِمْتَ فِيهَا، فَإِذَا اُدْخِلْتَ فِي الدَّارِ عَلٰى هٰذَا الْوَجْهِ فَكُنْ مُطْرِقًا غَاضًّا لِبَصَرِكَ مُتَاَدِّبًا مُحَافِظًا لِمَا تُؤْمَرُ بِهِ مِنَ الشُّغْلِ وَالْخِدْمَةِ فِيهَا غَيْرَ طَالِبٍ لِلتَّرَقِّيْ إِلَى الذُّرْوَةِ الْعُلْيَاء قَالَ اللهُ تَعَالٰى لِنَبِيِّهِ

الْمُصْطَفٰى صلى الله عليه و على اٰله وسلم :
﴿وَ لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ اِلٰى مَا مَتَّعۡنَا بِهٖۤ اَزۡوَاجًا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ الۡحَيٰوةِ الدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فيهِط وَ رِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٌ وَّ اَبۡقٰى﴾ [طٰه، رقم السورة:۲۰،رقم الآية:۱۳۱]

«فَحِيْنَئِذٍ» أي حين أدخلك الملك جبرا من غير اختيار منك «لَا يُعَاقِبُكَ الْـمَلِكُ عَلٰى فِعْلِهٖ» أي فعل نفسه «وَ اِنَّمَا تَطْرُقُ الْعَقُوْبَةُ» من جانب الملك «نَحْوَكَ لِشُوْمِ تَخَيُّرِكَ» أي اختيارك «وَ شَرْهِكَ» أي حرصك «وَ قِلَّةِ صَبْرِكَ» على مقامك «وَ سُوْءِ أَدَبِكَ» مع الملك في دفع إرادة الملك معك «وَ تَرْكِ الرِّضَاء بِحَالَتِكَ الَّتِي اُقِمْتَ» بصيغة المجهول «فيهَا فَإِذَا اُدْخِلْتَ في الدَّارِ عَلٰى هٰذَا الْوَجْهِ» أي وجه الجبر «فَكُنْ» أنت «مُطْرِقًا» أي خافضًا لرأسك «غَاَضًّا لِبَصِرِكَ مُتَاَدِّبًا» لحرم الملك «مُحَافِظًا لِمَا تُؤْمَرُ بِهٖ» أي لما أمر الملك به «مِنَ الشُّغْلِ وَالْخِدْمَةِ فيهَا»أي في تلك الحالة الموهوبة لك «غَيْرَ طَالِبٍ لِلتَّرَقِّيْ» من تلك المرتبة الموهوبة لك، «إِلَى الذُّرْوَةِ الْعُلْيَا. قَالَ الله تَعَالٰى لِنَبِيِّهِ الْمُصْطَفٰى صلى الله عليه و على اٰله وسلم»:

«وَ لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ اِلٰى مَا مَتَّعۡنَا بِهٖۤ اَزۡوَاجًا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ الۡحَيٰوةِ الدُّنۡيَا» «لا لِنَفۡتِنَهُمۡ فيهِط وَ رِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٌ وَّ اَبۡقٰى». [طه: ۲۰/ ۱۳۱]

فَهٰذَا تَأدِيْبٌ مِنْهُ عَزَّ وَ جَلَّ لِنَبِيِّهِ الْمُخْتَارِ في حِفْظِ الْحَالِ وَالرِّضَا بِالْعَطَاءِ بِقَوْلِهٖ: ﴿وَ رِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٌ وَّ اَبۡقٰى﴾[طٰه،رقم السورة:۲۰،رقم الآية:۱۳۱] أي مَا اَعْطَيْتُكَ مِنَ الْخَيْرِ وَالنُّبُوَّةِ وَالْعِلْمِ وَالْقَنَاعَةِ وَالصَّبْرِ وَ وِلَايَةِ الدِّيْنِ وَالْغَزْوَةِ فيهِ اَوْلٰى مِمَّا اَعْطَيْتُ غَيْرَكَ وَ اَحْرٰى فَالْخَيْرُ كُلُّهٗ في حِفْظِ الْحَالِ وَالرِّضَا بِهَا وَ تَرْكِ الْاِلْتِفَاتِ اِلٰى مَا سِوَاهَا؛ فَاِنَّهٗ لَا يَخْلُوْ اِمَّا اَنْ يَكُوْنَ قِسْمَكَ في عِلْمِ الله تَعَالٰى اَوْ قِسْمَ غَيْرِكَ اَوْ اَنَّهٗ لَا قِسْمَ لِاَحَدٍ بَلْ اَوْجَدَهُ الله تَعَالٰى فِتْنَةً،

فَاِنْ كَانَ قِسْمَكَ فَهُوَ وَاصِلٌ اِلَيْكَ شِئْتَ اَمْ اَبَيْتَ.

«فَهٰذَا» النهي من الله تعالٰى لنبيه صلى الله عليه و اٰله و سلم «تَأْدِيْبٌ مِنْهُ عَزَّ وَ جَلَّ لِنَبِيِّهِ الْمُخْتَارِ فِي حِفْظِ الْحَالِ» التي أعطاه الله تعالٰى إياها «وَالرِّضَاءِ بِالْعَطَاءِ» الموهوب له صلى الله عليه و اٰله و سلم «بِقَوْلِهٖ» تعالٰى:

«وَ رِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَّ اَبْقٰى.[طٰهٰ،رقم السورة:٢٠،رقم الآية:١٣١] أي مَا اَعْطَيْتُكَ مِنَ الْخَيْرِ وَالنُّبُوَّةِ وَالْعِلْمِ وَالْقَنَاعَةِ وَالصَّبْرِ وَ وِلَايَةِ الدِّيْنِ وَالْغَزْوَةِ فيهِ» أي الجهاد في الدين «أَوْلٰى مِمَّا اَعْطَيْتُ غَيْرَكَ وَ أَحْرٰى» فاشكر على ما أعطيتك «فَالْخَيْرُ كُلُّهٗ فِي حِفْظِ الْحَالِ وَالرِّضَاء بِهَا وَ تَرْكِ الْإِلْتِفَاتِ اِلٰى مَا سِوَاهَا؛ فَاِنَّهٗ» أي ما سوى الموهوب لك «لَا يَخْلُوْ» في علم الله تعالٰى من الأقسام الثلثة، و هي «اِمَّا أَنْ يَكُوْنَ» ذلك القسم الَّذِيْ تطلبه «قِسْمَكَ فِي عِلْمِ اللهِ تَعَالٰى أَوْ قِسْمَ غَيْرِكَ، أَوْ أَنَّهٗ» أي ما سوى الموهوب «لَا قِسْمَ لِأَحَدٍ» من مخلوقات الله لا يريد أن يعطيه أحدا «بَلْ أَوْجَدَهُ اللهُ تَعَالٰى فِتْنَةً» أي امتحانا بأن يطلبه منه أحد أو يصبر عنه بقطع الالتفات إليه.

«فَاِنْ كَانَ» ذلك القسم الَّذِيْ تطلبه «قِسْمَكَ» في علم الله تعالٰى «فَهُوَ وَاصِلٌ إِلَيْكَ» و لو بعد حين «شِئْتَ أنت ذلك القسم «أَمْ أَبَيْتَ» عنه و إنما أخّره عنك لعلمه بمصلحة و منفعة في إيصاله في وقت مخصوص.

فَلَا يَنْبَغِيْ اَنْ يَظْهَرَ مِنْكَ سُوْءُالْاَدَبِ وَالشَّرَهُ فِي طَلَبِهٖ فَإِنَّ ذٰلِكَ غَيْرُ مَحْمُوْدٍ فِي قَضِيَّةِ الْعَقْلِ وَالْعِلْمِ، وَ إِنْ كَانَ قِسْمَ غَيْرِكَ فَلَا تَتْعَبْ فِيمَا لَا تَنَالُهٗ، وَ لَا يَصِلُ إِلَيْكَ اَبَدًا، وَ إِنْ كَانَ لَيْسَ بِقِسْمٍ لِأَحَدٍ بَلْ هُوَ فِتْنَةٌ فَكَيْفَ يَرْضَى الْعَاقِلُ وَ يَسْتَحْسِنُ اَنْ يَطْلُبَ لِنَفْسِهٖ فِتْنَةً وَ يَسْتَجْلِبَ بِهَا لَهَا فَقَدْ ثَبَتَ اَنَّ الْخَيْرَ كُلَّهٗ وَالسَّلَامَةَ فِي حِفْظِ الْحَالِ.

«فَلَا يَنْبَغِيْ اَنْ يَظْهَرَ مِنْكَ سُوْءُالْأَدَبِ» في الاستعجال بالوصول في غير أوانه «وَالشَّرَهُ» أي الحرص «فِي طَلَبِهٖ فَاِنَّ ذٰلِكَ» أي طلب الشيء في غير وقته، و إظهار الحرص في وقوعه مع العلم بتحقق وصوله، والمصلحة في تأخيره «غَيْرُ مَحْمُوْدٍ» بل

مذموم عند العقلاء «فِي قَضِيَّةِ الْعَقْلِ وَ» عند العلماء في «الْعِلْمِ، وَ إِنْ كَانَ» ذلك القسم الَّذِيْ تطلبه أنت «قِسْمَ غَيْرِكَ» و أنت تعلم أن قسم غير لا يصل إليك «فَلَا تَتْعَبْ» أنت «فِيمَا لَا تَنَالُهُ» بطلبك و حرصك «وَ لَا يَصِلُ إِلَيْكَ أَبَدًا» و لو سعيت كل السعي، «وَ اِنْ كَانَ» ذلك القسم الَّذِيْ تطلبه «لَيْسَ بِقِسْمٍ لِأَحَدٍ» من مخلوقاته «بَلْ هُوَ» أي ذلك القسم «فِتْنَةٌ» في طلبها مضرة «فَكَيْفَ يَرْضَى الْعَاقِلُ وَ يَسْتَحْسِنُ أَنْ يَطْلُبَ لِنَفْسِهِ فِتْنَةً وَ يَسْتَجْلِبَ بِهَا» أي الفتنة «لَهَا» لنفسه.

فإذا تبين لك حال ذلك القسم الَّذِيْ تطلبه لا يصح لك طلبه على أي حال، و أي وجه «فَقَدْ ثَبَتَ اَنَّ الْخَيْرَ كُلَّهُ» لك «وَالسَّلَامَةَ» من كل مكروه «فِي حِفْظِ الْحَالِ» الَّذِيْ وهب لك الملك من عنده بلطفه بك.

فَإِذَ رُقِيْتَ إِلَى الْغُرْفَةِ ثُمَّ رُقِيْتَ إِلى السَّطْحِ فَكُنْ كَمَا ذَكَرْنَا مِنَ التَّحَفُّظِ وَالْإِطْرَاقِ وَالْأَدَبِ بَلْ يَتَضَاعَفُ ذٰلِكَ مِنْكَ لِأَنَّكَ اَقْرَبُ إلى الْمَلِكِ وَ اَدْنٰى مِنَ الْخَطَرِ فَلَا تَتَمَنّ الْإِنْتِقَالَ مِنْهَا إِلى اَعْلَى مِنْهَا وَ لَا إِلى اَدْنٰى وَ لَا ثُبَاتَهَا وَ بَقَاءَ هَا وَ لَا تَغَيُّرَ وَصْفِهَا وَ أنت فيهَا، وَ لَا يَكُوْنُ لَكَ فِي ذٰلِكَ اِخْتِيَارٌ اَلْبَتَّهَ.

«فَإِذَ رُقِيْتَ» أي أرقاك الملك بعد إدخالك في الدار جبرا «إِلَى الْغُرْفَةِ» و هو المكان المرتفع في الدار «ثُمَّ رُقِيْتَ» من تلك الغرفة «إِلَى السَّطْحِ فَكُنْ» أنت «كَمَا ذَكَرْنَا» لك «مِنَ التَّحَفُّظِ» لحالك الموهوب لك «وَالْإِطْرَاقِ» أي خفض الرأس «وَالْأَدَبِ» من غيرالتفات إلى ما في الدار من النفائس، و من غير طلب لما فيها «بَلْ يَتَضَاعَفُ ذٰلِكَ» الَّذِيْ ذكرنا لك من التحفظ و الإطراق والأدب «مِنْكَ لِأَنَّكَ» حين أدخلك الملك في الدار، وأرقاك إلى الغرفة ثم إلى السطح صرت «أَقْرَبُ إلى الْمَلِكِ» من حيث الرتبة «وَ أَدْنٰى مِنَ الْخَطَرِ» أي أقرب إلى المخطور،فإن المقربين يؤخذ عليهم بأدنى زلة، و لهذا ورد: اِنَّ حَسَنَاتِ الْاَبْرَارِ

سَيِّئَاتُ الْمُقَرَّبِيْن.[١]

و أن المحرم بنقطة واحدة يصير مجرما «فَلَا تَتَمَنّ» أنت بأيِّ حال «الْإِنْتِقَالَ مِنْهَا» من الحال الموهوبة لك «إِلٰى» حال أُخرى «أَعْلٰى مِنْهَا» أي من الوهوبة «وَ لَا» تتمن الانتقال من الموهوبة «إِلٰى أَدْنٰى» منها بل «وَ لَا» تطلب «ثُبَاتَهَا» أي حال الموهوبة «وَ بَقَاءَ هَا» بل «وَ لَا» تطلب «تَغَيُّرَ وَصْفِهَا» أي وصف ذلك الحال وكيفيتها إلى وصف وكيفية أُخرى «وَ أنت فيهَا» جملة حالية مقيدة بعدم الطلب «وَ لَا يَكُوْنُ لَكَ فِي ذٰلِكَ» أي في الانتقال منها والثبات والبقاء فيها، و تغير وصفها «اِخْتِيَارٌ» منك «اَلْبَتَّهَ»

فَإِنَّ ذٰلِكَ كُفْرٌ لِنِعْمَةِ الْحَالِ وَالْكُفْرُ بِالنِّعْمَةِ يُحِلُّ لِصَاحِبِهِ الْهَوَانَ فِي الدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةِ فَاعْمَلْ عَلٰى مَا ذَكَرْنَا أَبَدًا حَتّٰى تَرْقٰى إِلٰى حَالَةٍ تَصِيْرُ لَكَ مَقَامًا تُقَامُ فِيهِ فَلَا تُزَالُ عَنْهُ فَتَعْلَمُ حِيْنَئِذٍ إِنَّهُ مَوْهِبَةٌ بِعَلَامَاتٍ وَ اٰيَاتٍ فَتُمْسِكَهُ وَ لَا تَزَلْ عَنْهُ إِلٰى شَيْءٍ فَاعْلَمْ أَنَّ الْاَحْوَالَ لِلْأَوْلِيَاءِ وَالْمَقَامَاتِ لِلْأَبْدَالِ.

«فَإِنَّ ذٰلِكَ» أي اختيارك لشيء مما ذكرنا «كُفْرٌ لِنِعْمَةِ الْحَالِ» لعدم الرضاء بالمعطي، والاستخفاف به، و هو المعنى بكفران النعمة «وَالْكُفْرُ بِالنِّعْمَةِ يُحِلُّ» من الحلول أي ينزل «لِصَاحِبِهِ الْهُوَانَ» من جانب الملك المنعم، لأن استخفاف نعمة يوجب غضبه، و غضبه يوحب هوانه من جانب الملك «فِي الدُّنْيَا» إما بسلب تلك النعمة نفسها أو سلب لذتها «وَالْاٰخِرَةِ» بالعتاب أو العقاب «فَاعْمَلْ» أنت «عَلٰى مَا ذَكَرْنَا» من التسليم والحفظ «أَبَدًا حَتّٰى تَرْقٰى إِلٰى حَالَةٍ تَصِيْرُ» تلك الحالة «لَكَ مَقَامًا تُقَامُ فيهِ» أي في ذلك المقام؛ فإن الحال عندهم ما ينتقل منه السالك، والمقام ما يملك له «فَلَا تُزَالُ عَنْهُ فَتَعْلَمُ حِيْنَئِذٍ» أي حين تصير تلك الحالة مقاما لك «أَنَّهُ» أي ذلك المذكور من المقام لك «مَوْهِبَةٌ» من الملك المنعم لا يز يله عنك

(١) مفاتيح الغيب للرازي، سورة آل عمران، ٣/ ٢٥٩ .الجزء:٩، ص:٤٠٨

«بِعَلَامَاتٍ» ظاهرة «وَ أيَاتٍ» باهرة «فَتُمْسِكَهُ» فإن إمساكه بعد العلم بأنه موهبة غير مذموم «وَ لَا تَزَلْ» أنت «عَنْهُ إلَىٰ شيء» آخرطالبا له، و إذا عرفت الفرق بين الحال والمقام في هذه المقالة، و بين الأولياء والأبدال في المقالة السادسة، و علمت أن الأخير أعلى من الأول «فَاعْلَمْ أنَّ الْأحْوَالَ لِلْأوْلِيَاءِ وَالْمَقَامَاتِ لِلْأبْدَالِ» في تحقيق الحال والمقام على ما يقتضيه الحال والمقام تفصيل هو في أصل الشرح مسطور.[1]

(١) أي في شرح الشيخ العلامة عبدالعز يزرحمه الله، وهذا تلخيصه والأسف كل الأسف لم نجدله نسخة يمكن لنا أن نقدمها إلى القراء، وماوجدنا فهو في غاية الرداءة، لايمكن الاستفادة منها بل لايصلح للقراءة لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا. المشاهدي

اَلْمَقَالَةُ التَّاسِعَةُ

فِي بَيَانِ الْكَشْفِ وَالْمُشَاهَدَةِ فِي الْأَفْعَالِ

قَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: فِي الْكَشْفِ، وَالْمُشَاهَدَةِ فِي الْأَفْعَالِ يُكْشَفُ لِلْأَوْلِيَاءِ وَالْأَبْدَالِ مِنْ أَفْعَالِ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ مَا يَبْهَرُ الْعُقُوْلَ وَ يَخْرُقُ الْعَادَاتِ وَ الرَّسُوْمَ وَ هِي عَلَى قِسْمَيْنِ: جَلَالٌ، وَ جَمَالٌ فَالْجَلَالُ وَالْعَظَمَةُ يُوْرِثَانِ الْخَوْفَ الْمُقْلِقَ وَالْوَجِلَ الْمُزْعِجَ وَالْغَلْبَةَ الْعَظِيْمَةَ بِمَا يَظْهَرُ عَلَى الْجَوَارِحِ كَمَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهٖ وَ سَلَّمَ "كَانَ يُسْمَعُ مِنْ صَدْرِهٖ اَزِيْزٌ، كَأَزِيْزِ الْمِرْجَلِ فِي الصَّلٰوةِ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ"(١) لِمَا يَرٰى مِنْ جَلَالِ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ يَنْكَشِفُ لَهٗ مِنْ عَظَمَتِهٖ تَعَالٰى، وَ نُقِلَ مِثْلُ ذٰلِكَ عَنْ اِبْرَاهِيمَ خَلِيْلِ الرَّحْمٰنِ وَ عُمَرَ الْفَارُوْقِ.

«قَالَ رَضِيَ اللهُ تعالى عَنْهُ: فِي الْكَشْفِ، وَالْمُشَاهَدَةِ فِي الْأَفْعَالِ» أي أفعال الله تعالى متعلق بقوله: «يُكْشَفُ لِلْأَوْلِيَاءِ وَالْأَبْدَالِ مِنْ أَفْعَالِ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ مَا يَبْهَرُ الْعُقُوْلَ» أي يغلبه بحيث لا يدرك حقيقته «وَ يَخْرُقُ الْعَادَاتِ وَ الرَّسُوْمَ، وَ هِيَ» أي ما يغلب العقول، و يخرق العادات من أفعال الله تعالى «عَلَى قِسْمَيْنِ: جَلَالٌ وَ جَمَالٌ» لكل منهما أثار «فَالْجَلَالُ وَالْعَظَمَةُ يُوْرِثَانِ» على قلب أولياء الله تعالى وأبداله «الْخَوْفَ» من الله تعالى «الْمُقْلَقَ» أي الْمُزْعِجَ من أقلقه بمعنى أَزْعَجَهُ أي جعله مضطر با «وَالْوَجِلَ الْمُزْعِجَ، وَالْغَلْبَةَ الْعَظِيْمَةَ» والهيبة التامة «بِمَا يَظْهَرُ عَلَى الْجَوَارِحِ» يعني الجلال والعظمة يورثان لأوليائه الخوف المقلق بمرتبة يظهر اثره على

(١) أخرجه النسائى في السنن الكبرىٰ، كتاب الصلاة، البكاء في الصلاة، الجزء الأول،ص:٢٩٢، برقم:٥٥٠

الجوارح «كَمَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ كَانَ يُسْمَعُ مِنْ صَدْرِهٖ اَزِيْزٌ» أي صوت من البكاء «كَاَزِيْزِالْمِرْجَلِ» أي كصوت غليان القدر، والمرجل قدر من نحاس «فِي الصَّلٰوةِ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ، لِمَايَرٰى» و ينكشف عليه «مِنْ جَلَالِ الله عَزَّ وَ جَلَّ، وَ يَنْكَشِفُ لَهٗ مِنْ عَظَمَتِهٖ تَعَالٰى وَ نُقِلَ مِثْلُ ذٰلِكَ» المذكور من حال نبينا عليه الصلوة والسلام «عَنْ اِبْرَاهِيمَ خَلِيْلِ الرَّحْمٰنِ» عليه صلوات الملك المنان «وَ» كذا نقل مثله عن أمير المؤمنين «عُمَرَ الْفَارُوْقِ» رضي الله تعالٰى عنه، فهذا حال من كشفت له مشاهدة الجلال.

وَاَمَّا مُشَاهَدَةُ الْجَمَالِ: فَهُوَ التَّجَلِّيْ لِلْقُلُوْبِ بِالْاَنْوَارِ وَالسُّرُوْرِ وَ الْاَلْطَافِ وَالْكَلَامِ اللَّذِيْذِ وَالْحَدِيْثِ الْاَنِيْسِ وَالْبَشَارَةِ بِالْمَوَاهِبِ الْجِسَامِ وَالْمَنَازِلِ الْعَالِيَةِ وَ الْقُرْبِ منه عَزَّ وَ جَلَّ مِمَّا سَيَؤُلُ اَمْرُهُمْ اِلَيْهِ وَ جَفَّ بِهِ الْقَلَمُ مِنْ اَقْسَامِهِمْ فِي سَابِقِ الدُّهُوْرِ فَضْلًا مِّنْهُ وَ رَحْمَةً، وَ اِثْبَاتًا مِّنْهُ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا اِلٰى بُلُوْغِ الْاَجَلِ وَ هُوَ الْوَقْتُ الْمُقَدَّرُ لِئَلَّا تَفْرُطَ بِهِمُ الْمَحَبَّةُ مِنْ شِدَّةِ الشَّوْقِ اِلَيْهِ عَزَّ وَ جَلَّ فتَنْفَطِرُ مَرَائِرُهُمْ فيهْلِكُوْا اَوْ يَضْعُفُوْا عَنِ الْقِيَامِ بِالْعَبُوْدِيَّةِ اِلٰى اَنْ يَاتِيَهُمُ الْيَقِيْنُ الَّذِيْ هُوَ الْمَوْتُ.

«وَ أَمَّا مُشَاهَدَةُ الْجَمَالِ: فَهُوَ التَّجَلِيُ لِلْقُلُوْبِ» أي ظهور من الله تعالٰى لقلوب أوليائه «بِالْأَنْوَارِ وَالسُّرُوْرِ وَ الْاَلْطَافِ» الربانية «وَالْكَلَامِ اللَّذِيْذِ، وَالْحَدِيْثِ الْأَنِيْسِ، وَالْبَشَارَةِ بِالْمَوَاهِبِ الْجِسَامِ» أي العظام «وَ» بشارة «الْمَنَازِلِ الْعَالِيَةِ، وَ» بشارة «الْقُرْبِ مِنْهُ عَزَّ وَ جَلَّ مِمَّا سَيَؤُلُ أَمْرُهُمْ» أي الأولياء والأبدال «اِلَيْهِ» من حصول المرتبة القربية، والكرامات العندية، والدولة السرمدية «وَ جَفَّ بِهِ الْقَلَمُ» في علمه الأزلي «مِنْ أَقْسَامِهِمْ فِي سَابِقِ الدُّهُوْرِ» أي الأزمان جمع دهر، و هو الزمان، و سابق الأزمان: هوالأزل «فَضْلًا مِّنْهُ» تعالٰى عليهم «وَ رَحْمَةً» بهم بلغهم إلى تلك المنازل العلية «وَ اِثْبَاتًا مِّنْهُ» أي من الله تعالٰى «لَهُمْ» أي للأوليا

«فِي الدُّنْيَا إِلٰى بُلُوْغِ الْأَجَلِ، وَ هُوَ الْوَقْتُ الْمُقَدَّرُ» أي مدة عمرهم الَّذِيْ قدر الله تعالٰى لهم تسكينا لهم و تسلية بهم «لِئَلَّا تَفْرُطَ بِهِمُ الْمَحَبَّةُ» أي عجلت بهم محبتهم بالله تعالٰى «مِنْ شِدَّةِ الشَّوْقِ إِلَيْهِ عَزَّ وَ جَلَّ فَتَنْفَطِرُ» أي تنشق، يقال: فطره فانفطر أي شقه فانشق «مَرَائِرُهُمْ» جمع مرير بمعنى عزيمة،و في الصحاح والقاموس: المرير والمريرة العزيمة جمعه مرائر أي ينشق عزائمهم «فيهْلِكُوْا» هلاكا بالكلية «أَوْ يَضْعُفُوْا عَنِ الْقِيَامِ بِالْعَبُوْدِيَّةِ إِلٰى أَنْ يَاتِيَهُمُ الْيَقِيْنُ الَّذِيْ هُوَ الْمَوْتُ». تفسير اليقين بالموت في قوله تعالٰى

وَ اعْبُدْ رَبَّكَ حَتّٰى يَأْتِيَكَ الْيَقِيْنُ.[الحجر،رقم السورة:١٥، رقم الآية:٩٩]

في جميع التفاسير نقلا عن رسول الله صلى الله عليه و على أله و سلم فلا تمسك للملاحدة على أن العبادة إنما تكون إلى حصول اليقين، و هو الكشف الذاتي فإذا حصل فلا حاجة إلى العبودية.

فَيَفْعَلُ ذٰلِكَ بِهِمْ لُطفًا مِنْهُ وَرَحْمَةً وَمُدَاوَةً وَ تَرْبِيَةً لِقُلُوْبِهِمْ وَ مُدَارَاةً لَهَاء اَنَّهٗ حَكِيْمٌ عَلِيْمٌ لَطِيْفٌ رَؤُوْفٌ رَحِيْمٌ وَ لِهٰذَا رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه و على أله و سلم اَنَّهٗ كَانَ يَقُوْلُ لِبِلَالِ الْمُؤَذِّنِ: "اَرِحْنَا يَا بِلَالُ"[1] يَعْنِيْ بِالْاِقَامَةِ لِنَدْخُلَ فِي الصَّلٰوةِ لِمُشَاهَدَةِ مَا ذَكَرْنَا مِنَ الْجَمَالِ. وَ لِهٰذَا قَالَ صلى الله عليه و على أله و سلم: "وَ جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِيْ فِي الصَّلٰوةِ"

---

(1) أخرجه أبوداؤدفي سننه، وأحمد في مسنده، والطحاوي في شرح مشكل الآثار، والطبراني في المعجم الكبير، وأبونعيم في معرفة الصحابة، كلهم باختلاف يسير، ولفظ أحمد في المسند هكذا، عن عبدالله بن محمد ابن الحنفية قال: دخلت مع أبي على صهر لنا من الأنصار فحضرت الصلاة، فقال: ياجارية ائتني بوضوء لعلي أصلي، فأستريح، فرآنا أنكرنا ذاك عليه، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: قم يا بلال، فأرحنا بالصلاة، [انظر مسند الإمام أحمد برقم: ٢٣١٥٤، باب أحاديث رجال من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم] وفي موضع من هذا اللباب برقم:٢٣٠٨٨، هكذا: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يا بلال، أرحنا بالصلاة. المشاهدي

«فيفْعَلُ» الله تعالىٰ «ذٰلِكَ» أي إعطاء المشاهدة بالجمال مع ما فيها من المراتب، و إثباتهم في الدنيا إلى بلوغ الأجل «بِهِمْ» بهٰؤلاء الأولياء والأبدال «لُطْفًا مِنْهُ» تعالىٰ «وَ رَحْمَةً» منه بهم «وَ مُدَاوَةً» منه تعالىٰ إياهم أي معالجة «وَ تَرْبِيَةً لِقُلُوْبِهِمْ» بأن لا تتقلع في المحبة «وَ مُدَارَاةً لَهَا» أي موافقة بحسن المعاملة مع القلوب من دارى يداري أي يوافق و لا يخالف «اَنَّهُ» تعالىٰ «حَكِيْمٌ» يفعل بكل ما يقتضيه الحكمةُ «عَلِيْمٌ» بالخير والشر فيوصل إليهم الخير، و يدفع عنهم الشر أي شر كان «لَطِيْفٌ» بِهِمْ في كل حال و كل مقام «رَؤُوْفٌ» كامل المرحمة «رَحِيْمٌ، وَ لِهٰذَا» أي لأجل أن الله تعالىٰ يكشف لهم في الصلوة تجليات الجمال بما يشرح صدورهم.

«رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه و على اٰله و سلم أَنَّهُ كَانَ يَقُوْلُ لِبِلَالِ الْمُؤَذِنِ أَرِحْنَا يَا بِلَالُ يَعْنِيْ» أرحنا يا بلال «بِالْإِقَامَةِ لِنَدْخُلَ فِي الصَّلٰوةِ لِمُشَاهَدَةِ مَا ذَكَرْنَا مِنَ الْجَمَالِ» المفضي إلى ذروة الكمال «وَ لِهٰذَا» المعنى الَّذِيْ ذكرنا من حصول المشاهدة الجمالية في الصلوة «قَالَ» رسول الله «صلى الله عليه و على اٰله و سلم» في حديث.

حبب إلي من دنياكم الطيب والنساء وَ جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِىْ فِي الصَّلٰوةِ[1] فإن قرة عينه صلى الله عليه و على اٰله و سلم في الصلوة لحصول المشاهدة الجمالية الربانية.

---

(1) قدمر تخريجه، المشاهدي

اَلْمَقَالَةُ الْعَاشِرَةُ

فِي بَيَانِ مُخَالَفَةِ النَّفْسِ

قَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إِنَّمَا هُوَ اللهُ تَعَالٰى وَ نَفْسُكَ وَ أنت الْمُخَاطَبُ، وَالنَّفْسُ ضِدٌّ اللهِ وَ عَدُوَّتُهُ وَالْاَشْيَاءُ كُلُّهَا تَابِعَةٌ لله تَعَالٰى وَالنَّفْسُ لله تَعَالٰى خَلْقًا وَ مِلْكًا حَقِيْقَةً، وَ لِلنَّفْسِ اِدِّعَاءٌ وَ تَمَنٍّ وَ شَهْوَةٌ وَ لَذَّةٌ بِمُلَابَسَتِهَا.

«قَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ «إِنَّمَا» الْأمر لك «هُوَ اللهُ تَعَالٰى» بلسان رسوله عليه الصلوة والسلام؛ فإنَّه أمرك بما فيه خيرك في الدارين «وَ نَفْسُكَ» أمرتك بما فيه هلاكك في الدارين «وَ أَنْتَ» أيها السالك «الْمُخَاطَبُ» بخطاب الله تعالٰى وبخطاب نفسك «وَالنَّفْسُ» كل أحد يعلم أنها «ضِدٌّ اللهِ» تعالٰى بمعنى أنها تأمر بخلاف ما أمر الله تعالٰى به، و تميل إليه «وَ عَدُوَّتُهُ» أي عدو الله تعالٰى بالإشارة إلى خلاف أمره «وَالْاَشْيَاءُ كُلُّهَا تَابِعَةٌ لله تَعَالٰى» فالحق في اتباع أمره تعالٰى بل «وَالنَّفْسُ لله تَعَالٰى خَلْقًا وَ مِلْكًا حَقِيْقَةً».

و قد قال رسول الله صلى الله عليه وعلى اٰله و سلم:

لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوْقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ.[1]

فالحذر الحذر من اتباع أمر النفس التي هي عدو الله تعالٰى و عدوك بل إن تأملت فليس لها أمر في الحقيقة، و لذا قال: «وَ لِلنَّفْسِ اِدِّعَاءٌ» إلى مشتهاها «وَ تَمَنٍّ» لحصولها «وَ شَهْوَةٌ» إلى وصولها «وَ لَذَّةٌ بِمُلَابَسَتِهَا» أو لذة لك بمشتهياتها بملابستها.

---

(1) أخرجه أحمد في مسنده، مسند علي بن أبي طالب، الجزء:٢، ص:٣٣٣.رقم الحديث: ١٠٩٤، والحاكم في المستدرك، الحكم بن عمرو الغفاري، رقم الحديث ٥٨٧٠

فإِذَا وَافَقْتَ الْحَقَّ عَزَّ وَ جَلَّ فِي مُخَالَفَةِ النَّفْسِ وَ عَدَاوَتِهَا فَكُنْتَ للهِ تَعَالٰى خَصْمًا عَلٰى نَفْسِكَ كَمَا قَالَ اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ لداوٗد عليه السلام "اَنَا بُدُّكَ اللَّازِم فَالْزِمْ بُدَّكَ اَلْعُبُوْدِيَّةُ اَنْ تَكُوْنَ لِيْ خَصْمًا عَلٰى نَفْسِكَ" فَتَحَقَّقَتْ حِيْنَئِذٍ مُوَالَاتُكَ لله وَ عُبُوْدِيَّتُكَ لَهٗ عَزَّ وَ جَلَّ وَ اَتَتْكَ الْاَقْسَامُ هَنِيْئًا مَرِيْئًا. مُطَيَّبًا وَ أَنتَ عَزِيْزٌ مُكَرَّمٌ وَ خَدَمَتْكَ الْاَشْيَاءُ وَ عَظَّمَتْكَ لِاَنَّهَا بِاَجْمَعِهَا تَابِعَةٌ لِرَبِّهَا مُوَافِقَةٌ لَهٗ تَعَالٰى اِذْ هُوَ خَالِقُـهَا وَ مُنْشِئُهَا وَ هي مُقِرَّةٌ لَهٗ بِالْعَبُوْدِيَّةِ، قَالَ اللهُ عَـزَّ وَ جَلَّ: ﴿وَ اِنْ مِّنْ شيء اِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهٖ وَ لٰكِنْ لَّا تَفْقَهُوْنَ تَسْبِيْحَهُمْ﴾ [الإسراء، رقم السورة:١٧، رقم الآية:٤٤] أَيْ يَذْكُرُهٗ وَ يَعْبُدُهٗ.

«فَ» اعلم أنت أيها الحاذق في الأمور «إِذَا وَافَقْتَ الْحَقَّ عَزَّ وَ جَلَّ فِي مُخَالَفَةِ النَّفْسِ وَ عَدَاوَتِهَا» في جميع الأمور «فَكُنْتَ» أنت بهذه الموافقة «لله تَعَالٰى» أي من جانبه «خَصْمًا عَلٰى نَفْسِكَ» دافعا لمكرهاو تسو يلها «كَمَا قَالَ اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ لداوٗد عليه السلام اَنَا بُدُّكَ اللَّازِمِ» أي نصيبك اللازم من كل شيء، و في القاموس: اَلْبُدُّ العوض، والصنم، و بيت الصنم، والنصيب من كل شيء «فَالْزِمْ بُدَّكَ» يعني أنا مقصود ك الَّذِيْ لا بد لك منه فاقطع عن كل شيء، و توجه إلى العبودية فكأنه قال: ما حقيقة العبودية؟ فقال: «اَلْعُبُوْدِيَّةُ اَنْ تَكُوْنَ لِيْ» أي من جانبي «خَصْمًا عَلٰى نَفْسِكَ» و محارِبًا معها فإذا كنت محار با لله تعالٰى مع نفسك «فَتَحَقَّقَتْ حِيْنَئِذٍ» أي حين خاصمت مع نفسك «مُوَالَاتُكَ لله» و محبتك معه «وَ عَبُوْدِيَّتُكَ لَهٗ عَزَّ وَ جَلَّ وَ اَتَتْكَ» من جانب الله تعالٰى بتحقق موالاتك معه «الأَقْسَامُ» الَّذِيْ قدّر الله تعالٰى في سابق علمه الأزلي «هَنِيْئًا مَرِيْئًا» أي سايغا حميدا صفتان من هَنُؤَالطعام، وَ مَرأَ إذا كان سايغا لا تقيص فيه، وهما وصفا مصدر أي إتيانا مباحا من غير تبعة، فهذه عبارة عن. المبالغة في الإباحة، وإزالة التبعة «مُطَيَّبًا وَأَنْتَ عَزِيْزٌ» معزز «مُكَرَّمٌ» عند الخالق والخلق «وَ خَدَمَتْكَ الْأَشْيَاءُ» كلها بإذن خالقها «وَ عَظَّمَتْكَ» جميع الأشياء

وَ فَخَّمَتْكَ[1] جميعها «لِأَنَّهَا» أي الأشياء «بِأَجْمَعِهَا تَابِعَةٌ لِرَبِّهَا» في أمره «مُوَافِقَةٌ لَهٗ تَعَالٰى» في إرادته «إِذْ هُوَ» تعالٰى «خَالِقُهَا وَ مُنْشِئُهَا وَ هِيَ» أي الأشياء «مُقِرَّةٌ لَهٗ بِالْعَبُوْدِيَّةِ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ»:

«وَ اِنْ مِّنْ شيءٍ» أي ما من شيء» اِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهٖ وَ لٰكِنْ لَّا تَفْقَهُوْنَ تَسْبِيْحَهُمْ.

إجماع السلف على أن للأشياء تسبيحات حقيقية لَا يَسْمَعُ اِلَّا مَنْ يُسْمَعُ «أي يَذْكُرُهٗ وَ يَعْبُدُهٗ» أي كل شيءٍ يذكر الله تعالٰى.

وَ قَالَ عَزَّ وَ جَلَّ: ﴿قُلْ اَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُوْنَ بِالذي خَلَقَ الْاَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَ تَجْعَلُوْنَ لَهٗ اَنْدَادًا ذٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِيْنَ. وَ جَعَلَ فيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَ بَارَكَ فيهَا وَ قَدَّرَ فيهَآ اَقْوَاتَهَا فِيْٓ اَرْبَعَةِ اَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِيْنَ. ثُمَّ اسْتَوٰى إِلَى السَّمَآءِ وَ هي دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَ لِلْاَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا اَوْ كَرْهًا قَالَتَآ اَتَيْنَا طَآئِعِيْنَ فَقَضٰهُنَّ سَبْعَ سَمٰوٰتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَ اَوْحٰى فِي كُلِّ سَمَآءٍ اَمْرَهَا وَ زَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيْحَ وَ حِفْظًا ذٰلِكَ تَقْدِيْرُ الْعَزِيْزِ الْعَلِيْمِ فَاِنْ اَعْرَضُوْا فَقُلْ اَنْذَرْتُكُمْ صٰعِقَةً مِّثْلَ صٰعِقَةِ عَادٍ وَّ ثَمُوْدَ﴾ [فصلت، رقم السورة: ٤١، رقم الآية: ٩ إلى ١٣]

«وَقَالَ» اللهُ «عَزَّ وَ جَلَّ»: «قُلْ» يا محمد لهؤلاء الكفرة «اَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُوْنَ بِالذي خَلَقَ الْاَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ» الأحد و الاثنين «وَ تَجْعَلُوْنَ لَهٗ اَنْدَادًا ذٰلِكَ» القادر العظيم «رَبُّ الْعَالَمِيْنَ» فما فيها إلا مخلوقُه، فكيف يصلح أن يكون له ندا «وَ جَعَلَ فيهَا» في الارض «رَوَاسِيَ» جبالًا ثوابتَ «مِنْ فَوْقِهَا» مرتفعة لتظهر للناظرين «وَ بَارَكَ» فيهَا بخلق المنافع «وَ قَدَّرَ فيهَآ اَقْوَاتَهَا» أقوات أهلها جمع قوت «فِيْٓ اَرْبَعَةِ اَيَّامٍ» في تتمة أربعة، و هو يومان بعد الأولين الثلثاء والأربعاء «سَوَآءً» أي استوت استواء بلا زيادة و لا نقصان، و الجملة صفة أيام «لِّلسَّآئِلِيْنَ» هذا الحصر للسائلين

(١) بمعنى عظمتك، من الشارح

عن مدة خلقها، أو متعلق بقدّر أي قدر فيها للمحتاجين أقواتها «ثُمَّ اسْتَوٰى إلى السَّمَآءِ» أي قصد نحوها «وَ هِيَ دُخَانٌ» ارتفع من الماء الَّذِيْ عليه عرشه «فَقَالَ لَهَا» للسماء «وَ لِلْاَرْضِ ائْتِيَا» ما آمركما أي افعلاه واستجيبا لأمري.

و عن ابن عباس رضي الله تعالىٰ عنه أَطْلِعِيْ شَمْسَكِ وَ قَمَرَكِ وَ نُجُوْمَكِ يَا سَمَاءُ وَ شَقِّقِيْ أَنْهَارَكِ وَ أَخْرِجِيْ ثِمَارَكِ وَ نَبَاتَكِ يَا اَرْضُ.[1]

«طَوْعًا اَوْ كَرْهًا» طائعتين أو كارهتين أي شِئتما أو أبيتما ذلك «قَالَتَآ اَتَيْنَا طَآئِعِيْنَ» استجبنا لك منقادين، لما أجراها مجرى العقلاء خاطبهما، و أقدرهما على الجواب، و أثبت لهما الطوع و الكره و قال "طائعين" بالتذكير «فَقَضٰهُنَّ» أي السماء «سَبْعَ سَمٰوٰتٍ فِي يَوْمَيْنِ» أخرين بعداليومين السابقين و هما الخميس و الجمعة، فتم خلق مجموع العالم في ستة أيام كما أخبر به في قوله:

اِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِيْ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ فِي سِتَّةِ اَيَّامٍ. [الأعراف، رقم السورة:٧،رقم الآية:٥٤]

«وَ اَوْحٰى فِي كُلِّ سَمَآءٍ اَمْرَهَا» بما لايعلمه إلا هو «وَ زَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيْحَ» بالكواكب زينة «وَ حِفْظًا» من كل شيطان مارد لا يسمعون إلى الملأ، و يقذفون من كل جانب دحورا «ذٰلِكَ تَقْدِيْرُ الْعَزِيْزِ الْعَلِيْمِ فَاِنْ اَعْرَضُوْا فَقُلْ اَنْذَرْتُكُمْ صٰعِقَةً مِّثْلَ صٰعِقَةِ عَادٍ وَّ ثَمُوْدَ».

والمقصود من إيراد هذه الآية أن مثل هذه الأجرام العظام مأمورون بامتثال الأمر و مخالفة النفس بقوله: "ائْتِيَا طَوْعًا اَوْ كَرْهًا" و هم امتثلوا أمر الرب طوعا فأنت أولى بامتثال أمر الرب رغبة و طوعا، والاجتهاد في عبادته سرورا و حضورا.

فَالْعِبَادَةُ كُلُّ الْعِبَادَةِ فِي مُخَالَفَةِ نَفْسِكَ وَ هَوَاكَ، قَالَ اللهُ تَعَالٰى: ﴿وَ لَا تَتَّبِعْ الْهَوٰى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيْلِ اللهِ﴾ [سورة:ص، رقم السورة:٣٨، رقم الآية:٢٦] وَ قَالَ تَعَالٰى لِدَاوُدَ عَلَيْهِ الصَّلٰوةُ وَ السَّلَامُ: ﴿اُهْجُرْ هَوَاكَ فَاِنَّهٗ لَا مُنَازِعَ يُنَازِعُنِيْ فِي مُلْكِيْ غَيْرُ الْهَوٰى﴾

(١) تفسير مفاتيح الغيب للرازي ،الجزء:٢٧، ص:٥٥٠،سورة فصلت:٤١ ،آيت:١٣

وَالْحِكَايَةُ الْمَشْهُوْرَةُ عَنْ اَبِيْ يَزِيْدَ الْبِسْتَامِيِّ رَضِيَ الله تَعَالٰى عَنْهُ رُوِيَ اَنَّهُ لَمَّا رَاٰى رَبَّ الْعِزَّةِ فِي الْمَنَامِ فَقَالَ لَهٗ: كَيْفَ الطَّرِيْقُ اِلَيْكَ يَا بَارِخُدَا؟ قَالَ: اُتْرُكْ نَفْسَكَ وَ تَعَال، فَقَالَ: فَانْسَلَخْتُ مِنْ نَفْسِيْ كَمَا تَنْسَلِخُ الْحَيَّةُ مِنْ جِلْدِهَا.

«فَالْعِبَادَةُ كُلُّ الْعِبَادَةِ فِي مُخَالَفَةِ نَفْسِكَ وَ هَوَاكَ» و استدل على مخالفة النفس والهوى بالقران فقال:

«قَالَ الله تَعَالٰى» في سورة صٓ لنبيه داوٗد عليه السلام:

يٰدَاوٗدُ اِنَّا جَعَلْنٰكَ خَلِيْفَةً فِي الْاَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ «وَ لَا تَتَّبِعْ الْهَوٰى فيضِلَّكَ» ذلك الاتباع «عَنْ سَبِيْلِ الله» الَّذِيْ جاء به رسل الله تعالٰى و أخبروا بها ثم بيَّن ثمرة الضلالة بقوله:

اِنَّ الذين يَضِلُّوْنَ عَنْ سَبِيْلِ الله لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيْدٌ ۢ بِمَا نَسُوْا يَوْمَ الْحِسَابِ. [صٓ،رقم السورة:۳۸، رقم الآية:۲۶]

فينبغي قلع هذه الشجرة المثمرة لهذه الثمرة «وَ» بالحديث القدسي «قَالَ تَعَالٰى» لنبيه دَاوٗدَ عَلَيْهِ الصَّلٰوةُ وَ السَّلَامُ «اُهْجُرْ هَوَاكَ فَإِنَّهٗ لَا مُنَازِعَ يُنَازِعُنِيْ فِي مُلْكِيْ غَيْرُالْهَوٰى» إذ لا يميل مائل من الاستقامة إلى الإعْوِجَاج كفرا كان بأنواعها، أو معصية بأقسامها إلا بالهوى.

«وَ» بواقعات المشائخ الكبار فمنها «الْحِكَايَةُ الْمَشْهُوْرَةُ عَنْ أَبِيْ يَزِيْدَ الْبِسْتَامِيِّ رَضِيَ الله تَعَالٰى عَنْهُ رُوِيَ اَنَّهُ لَمَّا رَاٰى رَبَّ الْعِزَّةِ فِي الْمَنَامِ» سأله الشيخ عن الوصول إليه «فَقَالَ» الشيخ «لَهٗ» تعالٰى «كَيْفَ الطَّرِيْقُ إِلَيْكَ يَا بَارِخُدَا، قَالَ» الله تعالٰى للشيخ «اُتْرُكْ نَفْسَكَ» يا أبا يزيد «وَ تَعَال،فَقَالَ» الشيخ أبو يزيد قدس سره «فَانْسَلَخْتُ» أي خرجت «مِنْ نَفْسِيْ كَمَا تَنْسَلِخُ» أي تخرج «الْحَيَّةُ مِنْ جِلْدِهَا»

فَإِذَا ثَبَتَ اَنَّ الْخَيْرَ كُلَّهٗ فِي مُعَادَاتِهَا فِي الْجُمْلَةِ فِي الْاَحْوَالِ

كُلِّهَا، فَإِنْ كُنْتَ فِي حَالِ التَّقْوٰى فَخَالِفِ النَّفْسَ بِاَنْ تَخْرُجَ مِنْ حَرَامِ الْخَلْقِ وَ شُبُهِهِمْ وَ مِنَنِهِمْ وَالْاِتِّكَالِ عَلَيْهِمْ وَالثِّقَةِ بِهِمْ وَالْخَوْفِ مِنْهُمْ وَالرَّجَاءِ لَهُمْ وَالطَّمْعِ فِيمَا عِنْدَهُمْ مِنْ حُطَامِ الدُّنْيَا فَلَا تَرْجُ عَطَاءَهُمْ عَلٰى طَرِيْقِ الْهَدْيَةِ اَوِالصَّدَقَةِ اَوِالزَّكٰوةِ اَوِالْكَفَّارَةِ اَوِ النَّذْرِ فَاقْطَعْ هَمَّكَ مِنْهُمْ مِنْ سَائِرِ الْوُجُوْهِ وَ الْاَسْبَابِ حَتّٰى اِنْ كَانَ لَكَ نَسِيْبٌ ذُوْ مَالٍ لَا تَتَمَنَّ مَوْتَهٗ لَتَرِثَ مِنْهُ مَالَهٗ فَاخْرُجْ مِنَ الْخَلْقِ جِدًّا وَاجْعَلْهُمْ كَالْبَابِ يُرَدُّ وَ يُفْتَحُ وَ شَجَرَةٍ تُوْجَدُ فِيهَا ثَمْرَةٌ تَارَةً وَ تُخْتَلُّ اُخْرٰى وَ كُلُّ ذٰلِكَ بِفِعْلِ حَكِيْمٍ وَ تَدْبِيْرِ مُدَبِّرٍ عَلِيْمٍ قَدِيْرٍ وَ هُوَ اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ لِتَكُوْنَ مُوَحِّدًا لِلرَّبِّ عَزَّ وَ جَلَّ.

«فَاِذَا ثَبَتَ» بما ذكرنا و نقلنا من الدلائل الدالة على ترك النفس والهوى «اَنَّ الْخَيْرَ كُلَّهٗ» للسالك «فِي مُعَادَاتِهَا» أي النفس «فِي» أي في جملة الأمور بمعنى مجموعها في «الْاَحْوَالِ كُلِّهَا، فَاِنْ كُنْتَ» أيها السالك «فِي حَالِ التَّقْوٰى فَخَالِفِ النَّفْسَ بِاَنْ تَخْرُجَ مِنْ حَرَامِ الْخَلْقِ» أي ما هو معلوم حرمته «وَ شُبُهِهِمْ» أي ما لم يعلم حرمته يقينا «وَ مِنَنِهِمْ» بالأخذ منهم تذلُّلا و إظهاراً للحاجة «وَالْاِتِّكَالِ» أي الاعتماد «عَلَيْهِمْ، وَالثِّقَةِ بِهِمْ» بأن يوصلوا إليك الخيرالبتة «وَالْخَوْفِ مِنْهُمْ» بكثرة شوكتهم «وَالرَّجَاءِ لَهُمْ، وَالطَّمْعِ فِيمَا عِنْدَهُمْ مِنْ حُطَامِ الدُّنْيَا» و مشتهيات الأنفس؛ فإن الطمع منشأالذلة «فَلَا تَرْجُ عَطَاءَهُمْ» بأيِّ طريق كان «عَلٰى طَرِيْقِ الْهَدْيَةِ أوِالصَّدَقَةِ أوِالزَّكٰوةِ أوِالْكَفَّارَةِ أوِ النَّذْرِ» فإن وصل إليك منهم بغيرطمع منك فلاضررفيما تحتاج، و أما الزائد من قدرالاحتياج؛ فإن رأيت المصلحة فيه فخذه و إلا اترك «فَاقْطَعْ هَمَّكَ» و قصدك وتوجه باطنك «مِنْهُمْ مِنْ سَائِرِ الْوُجُوْهِ وَ» سائر «الْاَسْبَابِ حَتّٰى اِنْ كَانَ لَكَ نَسِيْبٌ» أي ذو نسب و قرابة «ذُوْ مَالٍ لَا تَتَمَنَّ مَوْتَهٗ لَتَرِثَ مِنْهُ مَالَهٗ فَاخْرُجْ مِنَ الْخَلْقِ جِدًّا» في جميع الأمور، و جميع الأحوال «وَاجْعَلْهُمْ كَالْبَابِ» لقضاء الله تعالى و قدره «يُرَدُّ» بِرَدِّ الله تعالى فيغلق «وَ

يُفْتَحُ» بفتحِ الله تعالىٰ إياه «وَ شَجَرَةٍ تُوْجَدُ فيهَا ثَمَرَةٌ تَارَةً» في عام «وَ تُخْتَلُّ» في سنة «أُخْرٰى وَ كُلُّ ذٰلِكَ بِفِعْلِ حَكِيْمٍ وَ تَدْبِيْرِ مُدَبِّرٍ عَلِيْمٍ قَدِيْرٍ وَ هُوَ الله عَزَّ وَ جَلَّ لِتَكُوْنَ» أنت علة للأمر بالخروج أو غاية للخروج، والمعنى: إنما أمرك بالخروج لتكون، أو اخرج كي تكون أنت بتركك الخلقَ من سائر الوجوه والأسباب «مُوَحِّدًا لِلرَّبِّ عَزَّ وَ جَلَّ» توحيدا حقيقيا كما أنك بتركك الشرك كنت مؤحدا شرعيا لكن لا تظن بخروجك عن الخلق أنه عبث، و أن الأفعال لا يسند إليه أصلا.

وَ لَا تَنْسَ مَعَ ذٰلِكَ كَسْبَهُمْ لِتَخْلُصَ مِنْ مَذْهَبِ الْجَبْرِيَّةِ وَاعْتَقِدْ اَنَّ الْاَفْعَالَ مِنَ الْخَلْقِ لَا تَتِمُّ بِهِمْ دُوْنَ الله تَعَالٰى لِكَيْلَا تَعْبُدَهُمْ وَ تَنْسَى الله تَعَالٰى وَ لَا تَقُلْ لِفِعْلِهِمْ: اِنَّهٗ دُوْنَ فِعْلِ الله تَعَالٰى فَتَكْفُرَ فَتَكُوْنَ قَدْرِيًّا.

«وَ لَا تَنْسَ مَعَ ذٰلِكَ» أي الخروج عن الخلق «كَسْبَهُمْ لِتَخْلُصَ مِنْ مَذْهَبِ الْجَبْرِيَّةِ» فإنهم زعمواأن ذوي الأرواح في صدور الأفعال عنهم بمنزلة الجمادات لا يسند الأفعال إليهم لا خلقاكما مذهب المعتزلة، و لا كسبا كما ذهب إليه أهل السنة والجماعة «وَاعْتَقِدْ أَنَّ الْأَفْعَالَ مِنَ الْخَلْقِ لَا تَتِمُّ بِهِمْ» أي أنفس الخلق «دُوْنَ الله تَعَالٰى» أي وارءه تعالىٰ كما هو مذهب أهل الاعتزال «لِكَيْلَا تَعْبُدَهُمْ» رجاءَ و صول الخير منهم إليك «وَ تَنْسَى الله تَعَالٰى» بظن أنه لا تأثير له تعالىٰ في أفعالهم «وَ لَا تَقُلْ لِفِعْلِهِمْ: إِنَّهٗ» فعلهم أي فعل الخلق «دُوْنَ فِعْلِ الله تَعَالٰى فَتَكْفُرَ» بإثبات الشركة في الخالقية «فَتَكُوْنَ قَدْرِيًّا» مثبتا لذوي الأرواح قدرة على الاستقلال في أفعالهم بدون تأثير قدرة الله تعالىٰ، و ذلك ضلال كما أن سلب القدرة عنهم أصلا و رأسا و جعلهم جمادات لا حركة لها إلا من الغير أيضًا ضلال، فالصواب هو أمرٌ بين الأمرين. و إنما حكم قدس سره بكفرالقدرية والكتب الكلامية شاهدة بخلافها تغليظا و تشديدا في الصد عن الميل إلى أهل الزيغ والأهواء.

لٰكِنْ قُلْ هِيَ لله تَعَالٰى خَلْقًا وَ لِلْعِبَادِ كَسْبًا كَمَا جَاءَتْ بِهِ الْاٰثَارُ

لِبَيَانِ مَوْضِعِ الجَزَاءِ مِنَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ وَ امْتَثِلْ اَمْرَ اللهِ تَعَالٰى فيهِمْ وَ خَلِّصْ قِسْمَكَ مِنْهُمْ بِاَمْرِهٖ تَعَالٰى وَ لَا تُجَاوِزْهُ فَحُكْمُ اللهِ تَعَالٰى قَائِمٌ يَحْكُمُ عَلَيْكَ وَ عَلَيْهِمْ فَلَا تَكُنْ أَنْتَ، الحَاكِمُ وَكَوْنُكَ مَعَهُمْ قَدْرٌ وَالْقَدْرُ ظُلْمَةٌ.

«لٰكِنْ قُلْ هِيَ» أي أفعال الخلق «لله تَعَالٰى خَلْقًا وَ لِلْعِبَادِ كَسْبًا كَمَا جَاءَتْ بِهِ الْاٰثَارُ» القرآنية و النبوية «لِبَيَانِ مَوْضِعِ الجَزَاءِ مِنَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَ امْتَثِلْ اَمْرَ اللهِ تَعَالٰى فيهِمْ» أي افعل بهم ما أمر الله تعالٰى به إياك من السلوك مع الخلق «وَ خَلِّصْ قِسْمَكَ مِنْهُمْ بِأمْرِهٖ تَعَالٰى وَ لَا تُجَاوِزْهُ» أي أمر الله تعالٰى «فَحُكْمُ اللهِ تَعَالٰى قَائِمٌ يَحْكُمُ عَلَيْكَ وَ عَلَيْهِمْ» في جميع الأمور «فَلَا تَكُنْ أَنْتَ الحَاكِمُ» في أمر من الأمور، فإنه إشراك به تعالٰى أي؛ فإن كونك حاكما مع قيام حكم الله تعالٰى إشراك به تعالٰى، و ذلك ضلال محض «وَكَوْنُكَ مَعَهُمْ قَدْرٌ وَالْقَدْرُ ظُلْمَةٌ» أي كونك مع الخلق، وإضافة الأفعال إليهم على وجه الاستقلال ورؤية النفع والضرر والخير والشر منهم مستلزم لإثبات خلق الأفعال، والقدرة لهم والحال أن اعتقاد االقدر و دعوىٰ إسناد الخالقية والقادرية للخلق سبب الدخول في ظلمة الشرك والخروج من نور التوحيد.

فَادْخُلْ في الظُّلْمَةِ بِالْمِصْبَاحِ وَهُوَ الحَاكِمُ كِتَابُ اللهِ تعالٰى و سُنَّةُ رَسُوْلِهٖ، لَا تَخْرُجْ عَنْهُمَا فَإِنْ خَطَرَ خَاطِرٌ، اَوْ وُجِدَ في قلبك إلْهَامٌ فَاَعْرِضْهُمَا عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَإِنْ وَجَدْتَّ فيهِمَا تَحْرِيْمَ ذٰلِكَ مِثْلَ اَنْ تُلْهَمَ بِالزِّنَا اَوِ الرِّبَا اَوْ مُخَالَطَةِ اَهْلِ الْفِسْقِ وَالْفُجُوْرِوَ غَيْرِ ذٰلِكَ مِنَ المَعَاصِيْ فَادْفَعْهُ عَنْكَ وَاهْجُرْهُ وَ لَا تَقَبَّلْهُ وَ لَا تَعْمَلْ بِهٖ وَاقْطَعْ بِاَنَّهٗ مِنَ الشَّيْطَانِ اللَّعِيْنِ.

فإذا كان القدر ظلمة لاتعرف أنت سره فإن أردت الدخول «فَادْخُلْ فِي الظُّلْمَةِ بِالْمِصْبَاحِ وَ هُوَ» أي المصباح «الحَاكِمُ» الفاصل بين الحق والباطل، و هو

مثل الشمس نسبة إلى الظلمة والنور «كِتَابُ الله تعالىٰ، و سُنَّةُ رَسُوْلِهٖ» صلى الله تعالىٰ عليه و علىٰ اٰله و صحبه و سلم «لَا تَخْرُجْ عَنْهُمَا» فإن الهداية فيهما، والضلالة فيما سواهما «فَإِنْ خَطَرَ» لك «خَاطِرٌ» أي فكر «أَوْ وُجِدَ» في قلبك «إِلْهَامٌ» في أي أمركان دينيا أو دنياويا، نفعا كان أو ضرا «فَاعْرِضْهُمَا» أي تلك الخاطر والإلهام «عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَإِنْ وَجَدْتَّ فيهِمَا» أي في الكتاب والسنة «تَحْرِيْمَ ذٰلِكَ» الخاطر والإلهام، أوكراهته؛ فإن المكروه في حكم الحرام سيما عند أهل التقوى «مِثْلَ أَنْ تُلْهَمَ بِالزِّنَا اَوِ الرِّبَا» أي بأكله «أَوْ مُخَالَطَةِ أَهْلِ الْفِسْقِ وَالْفُجُوْرِوَ غَيْرِ ذٰلِكَ مِنَ الْمَعَاصِيْ» التي بُيِّن في الكتاب والسنة حرمتها أوكراهتها «فَادْفَعْهُ» أي ذلك الإلهام «عَنْكَ» بالاستعاذة بالله الكريم المنان في كل حين و زمان؛ فإن طريق دفع الوسوسة الشيطانية عند بعض المحققين هو الاستعاذة كما يشيرإليه قوله تعالىٰ:

وَ قُلْ رَّبِّ اَعُوْذُ بِكَ مِنْ هَمَزٰتِ الشَّيٰطِيْنِ وَ اَعُوْذُ بِكَ رَبِّ اَنْ يَّحْضُرُوْنِ [المؤمنون، رقم السورة:٢٣، رقم الآية:٩٧-٩٨]

و قوله تعالىٰ:

وَ اِمَّا يَنْزَ غَنَّكَ مِنَ الشَّيْطٰنِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ.[الاعراف، رقم السورة:٧، رقم الآية:٢٠٠]

«وَاهْجُرْهُ» أي اترك ذلك الإلهام «وَ لَا تَقَبَّلْهُ وَ لَا تَعْمَلْ بِهٖ وَاقْطَعْ» قطعا يقينيا «بِأَنَّهٗ» أي ذلك الإلهام «مِنَ الشَّيْطَانِ اللَّعِيْنِ» و مخالفته واجب كما قال الله تعالىٰ:

اِنَّ الشَّيْطٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوْهُ عَدُوًّا.[فاطر، رقم السورة:٣٥، رقم الآية:٦]

وَ اِنْ وَجَدْتَّ فيهِمَا اِبَاحَتَهٗ كَالشَّهَوَاتِ الْمُبَاحَةِ مِنَ الْاَكْلِ وَالشُّرْبِ وَاللُّبْسِ وَالنِّكَاحِ فَاهْجُرْهُ اَيْضًا وَ لَا تَقَبَّلْهُ وَاعْلَمْ اَنَّهٗ مِنْ اِلْهَامِ النَّفْسِ وَ شَهَوَاتِهَا وَ قَدْ اُمِرْتَ بِمُخَالَفَتِهَا وَ عَدَاوَتِهَا، وَ اِنْ لَّمْ تَجِدْ

فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ تَحْرِيْمَهٗ وَ لَا اِبَاحَتَهٗ بَلْ هُوَ اَمْرٌ لَا تَعْقِلُهٗ مِثْلُ اَنْ يُّقَالَ لَكَ: اِئْتِ مَوْضِعَ كَذَا وَ كَذَا، اِلْقَ فُلَانًا صَالِحًا وَ لَا حَاجَةَ لَكَ هُنَاكَ وَ لَا فِي ذٰلِكَ الصَّالِحِ لِاسْتِغْنَائِكَ عَنْهُ بِمَا اَوْلَاكَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ مِنْ نِعْمَةٍ مِنَ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ فَتَوَقَّفْ فِي ذٰلِكَ وَ لَا تُبَادِرْ اِلَيْهِ فَتَقُوْلَ: هَلْ هٰذَا الْاِلْهَامُ مِنَ الْحَقِّ فَاَعْمَلَ بِهٖ بَلْ انْتَظِرِ الْخِيَرَةَ فِي ذٰلِكَ وَ فِعْلَ الْحَقِّ عَزَّ وَ جَلَّ بِاَنْ يَّتَكَرَّرَ ذٰلِكَ الْاِلْهَامُ وَ تُؤمَرُ بِالسَّعْيِ اَوْ تَكُوْنَ عَلَامَةٌ يَعْقِلُهَا الْعُقَّلُ مِنَ الْاَوْلِيَاءِ وَالْمُؤَيَّدُوْنَ مِنَ الْاَبْدَالِ.

«وَ اِنْ وَجَدْتَّ فيهِمَا» أي في الكتاب والسنة «إبَاحَتَهٗ» أي إباحة ذلك الإلهام «كَالشَّهَوَاتِ المُبَاحَةِ مِنَ الْأَكْلِ» رغدا واسعا متعددا «وَالشُّرْبِ» أنواعا مختلفة «وَاللُّبْسِ» أصنافاكثيرة «وَالنِّكَاحِ» حرة كانت أو أمة «فَاهْجُرْهُ أَيْضًا، وَ لَا تَقَبَّلْهُ، وَاعْلَمْ اَنَّهٗ» أي ذلك الإلهام «مِنْ اِلْهَامِ النَّفْسِ» اللوامة «وَ شَهَوَاتِهَا» فإنها تميل إلى ما فيه حظها مع ملاحظة الشرع بخلاف النفس الأمارة؛ فإنها تميل إلى مشتهياتها كيف كانت حراما أو حلالا «وَ قَدْ أُمِرْتَ» أنت في الكتاب والسنة «بِمُخَالَفَتِهَا وَ عَدَاوَتِهَا، وَ إِنْ لَّمْ تَجِدْ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ تَحْرِيْمَهٗ وَ لَا إبَاحَتَهٗ» لا صريحا و لا إشارة «بَلْ هُوَ أَمْرٌ لَا تَعْقِلُهٗ مِثْلُ أَنْ يُّقَالَ لَكَ اِئْتِ مَوْضِعَ كَذَا وَ كَذَا اِلْقَ فُلَانًا صَالِحًا وَ لَا حَاجَةَ لَكَ هُنَاكَ» أي في ذلك الموضع الملهم بالذهاب إليه «وَ لَا فِي ذٰلِكَ الصَّالِحِ» المأمور بملاقاته «لِاسْتِغْنَائِكَ عَنْهُ» أي عن كل منهما «بِمَا أَوْلَاكَ» أي أعطاك «اللهُ عَزَّوَجَلَّ مِنْ نِعْمَةٍ» الكثيرة المتوالية «مِنَ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ فَتَوَقَّفْ» أنت «فِيْ» أداء «ذٰلِكَ» الإلهاما «وَ لَا تُبَادِرْ إِلَيْهِ» أي إلى إمضاء ذلك الإلهام و إيقاعه «فَتَقُوْلَ:» بالنصب جواب لقوله فتوقف و جواب الأمر بالفاء نصب و بغيرها جزم «هَلْ هٰذَا الْإِلْهَامُ مِنَ الْحَقِّ فَأَعْمَلَ بِهٖ» أم لا فَأَتْرُكه «بَلْ انْتَظِرِ الْخِيَرَةَ» أي الخير للترقي من قوله فتوقف «في ذٰلِكَ» الإلهام «وَ» انتظر «فِعْلَ الْحَقِّ عَزَّ وَ جَلَّ» من الإمضاء أو المنع «بِأَنْ يَّتَكَرَّرَ ذٰلِكَ الْإِلْهَامُ وَ تُؤْمَرُ» مرّة أخرى «بِالسَّعْيِ

أَوْ تَكُوْنَ عَلَامَةٌ» في ذلك الإلهام لأهل العلم بالله عزوجل «يَعْقِلُهَا العُقَّلُ» أي الكمَّل «مِنَ الْأَوْلِيَاءِ وَالْمُؤَيِّدُوْنَ مِنَ الْأَبْدَالِ» فإنهم يجدون في مكاشفاتهم وإلهاماتهم مايعرفون به حقيقة تلك المكاشفة، والإلهام بأن يخلق الله تعالىٰ فيهم علما ضروريا بحيث لا يجدون للنفس إلى إنكاره و رده سبيلا، و ربما لا يقدرون على بيانه و تقريره، ولذا لا يكون الكشف والإلهام حجة على الغير.

وَاِنَّمَا لَمْ تُبَادِرْ إِلى ذٰلِكَ؛ لِأَنَّكَ لَا تَعْلَمُ عَاقِبَتَهٗ وَمَا يَؤُوْلُ الْاَمْرُ اِلَيْهِ، وَ مَا كَانَ فيهِ فِتْنَة وَ هَلَاك وَ مَكْر مِنَ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ اِمْتِحَان فَاصْبِرْ حَتّٰى يَكُوْنَ هُوَ عَزَّ وَ جَلَّ الْفَاعِلُ فيكَ فَإِذَا تَجَرَّدَ الْفِعْلُ وَ حُمِلْتَ إِلى هُنَاكَ وَاسْتَقْبَلَتْكَ فِتْنَةٌ كُنْتَ مَحْمُوْلًا مَحْفُوْظًا فيهَا؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالىٰ لَا يُعَاقِبُكَ عَلىٰ فِعْلِهٖ، وَ إِنَّمَا تَتَطَرَّقُ الْعَقُوْبَةُ نَحْوَكَ لِكَوْنِكَ فِي الشَّيْءِ.

«وَ اِنَّمَا لَمْ تُبَادِرْاِلىٰ» إمضاء «ذٰلِكَ» الإلهام «لِاَنَّكَ لَا تَعْلَمُ عَاقِبَتَهٗ» أي عاقبة ذلك الإلهام من الخير والشر، «وَ مَا يَؤُوْلُ الْاَمْرُ» في ذلك الإلهام «إِلَيْهِ» من النفع والضرر «وَ مَا كَانَ» عطف على مايؤول «فيهِ فِتْنَة وَ هَلَاك وَ مَكْر مِنَ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ اِمْتِحَان فَاصْبِرْ» أنت «حَتّٰى يَكُوْنَ هُوَ عَزَّ وَ جَلَّ الْفَاعِلُ فيكَ» في تلك الأمور الملهمة «فَإِذَا تَجَرَّدَ الْفِعْلُ» أي فعل الله تعالىٰ «وَ حُمِلْتَ» بصيغة المجهول أي حملك الله تعالىٰ «إِلىٰ هُنَاكَ» أي إلى ما هو المعلوم لك بلا إلهام «وَاسْتَقْبَلَتْكَ فِتْنَةٌ كُنْتَ مَحْمُوْلًا مَحْفُوْظًا» من جانب الله تعالىٰ «فِيْهَا» أي في تلك الفتنة «لِأَنَّ اللهَ تَعَالىٰ لَا يُعَاقِبُكَ عَلىٰ فِعْلِهٖ، وَ إِنَّمَا تَتَطَرَّقُ» أي تعرض «الْعَقُوْبَةُ نَحْوَكَ» أي جانبك «لِكَوْنِكَ» أي لظهور وجودك بإرادتك و اختيارك «فِي الشَّيْءِ» الَّذِيْ فعلته بالقلب أوالجوارح؛ فإذا خرجت عن الاختيار خلصت عن الإضرار كما قيل: إن أقامك ثبتَّ، و إن قمت بنفسك سقطتَّ.

اعلم أن الإلهام المصطلح هو إلقاء معنى في القلب بطريق الفيض، والمراد بما

هوالمذكور في هذا الكتاب أعم من أن يكون بطريق الفيض أولا؛ لأنه نسب إلى الشيطان والنفس، و ما يكون بطريق الفيض لا مدخل لهما فيه.

ثم اعلم أن في القلب خواطر ستة: أحدها خاطر النفس.

والثاني: خاطر الشيطان.

والثالث: خاطر الروح.

والرابع خاطر الملك.

والخامس: خاطر العقل.

والسادس: خاطر اليقين.

فخاطر النفس يأمر بتناول الشهوات و متابعة الهوى المباح منه والجناح، و خاطر الشيطان يأمر في الأصل بالكفروالشرك والشكوى والتهمة لله عز و جل في وعده، و في الشروع بالمعاصي و التسويف بالتوبة، و ما فيه هلاك النفس في الدنيا والآخرة، فالخاطران مذمومان محكوم لهما بالسوء، و هما لعموم المؤمنين.

و خاطر الروح و خاطر الملك يردان بالحق والطاعة، و مايكون عاقبته سلامة الدنيا والآخرة، و مايوافق العلم فهما محمودان لا يعدمها خصوص الناس.

و أما خاطر العقل فتارة يأمر بما تأمر به النفس والشيطان، و تارة يأمر بما تأمر به الروح والملك، وذلك حكمة من الله عزوجل وإتقان لصنعه ليدخل العبد في الخير والشر بوجودِ معقول وصحةِ شهودٍ و تمييز، فيكون عاقبة ذلك من الجزاء والعقاب عائدا له و عليه؛ لأن الله تعالى جعل الجسم مكانا لجريان أحكامه، و محلا لإنفاذ مشيته كذلك جعل العقل مطية الخير والشر يجري معهما في خزانة الجسم.

وأما خاطر اليقين و هو روح الإيمان، و مورد العلم يرد من الله تعالى و يصدرعنه، و هو مخصوص بخواص من الأولياء الموقنين الصديقين والشهداء والأبدال لا يرد إلا بالحق و إن خفي وروده و دقَّ مجيئُه.

وَإِنْ كُنْتَ فِي حَالَةِ الْحَقِيْقَةِ وَ هِيَ حَالَةُ الْوِلَايَةِ فَخَالِفْ هَوَاكَ

وَاتَّبِعِ الْأَمْرَ فِي الْجُمْلَةِ. وَ اِتِّبَاعُ الْأَمْرِ عَلَى قِسْمَيْنِ: اَحَدُهُمَا اَنْ تَأْخُذَ مِنَ الدُّنْيَا الْقُوْتَ الَّذِيْ هُوَ حَقُّ النَّفْسِ، وَ تَتْرُكَ الْحَظَّ وَ تُؤَدِّيَ الْفَرْضَ وَ تَشْتَغِلَ بِتَرْكِ الذُّنُوْبِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَ مَا بَطَنَ.

«وَ اِنْ كُنْتَ» أيهاالسالك «فِي حَالَةِ الْحَقِيْقَةِ» عطف على "فإن كنت في حال التقوى" «وَ هِيَ» أي حالة الحقيقة «حَالَةُ الْوِلَايَةِ» و هي القرب من الله تعالٰى بالرتبة «فَخَالِفْ هَوَاكَ، وَاتَّبِعِ الْأَمْرَ» أي أمر الله، تعالٰى و أمر رسوله صلى الله تعالٰى عليه وعلى آله وصحبه وسلم «فِي الْجُمْلَةِ» أي في جملة الأمور بمعنى مجموعها و جميعها «وَ اِتِّبَاعُ الْأَمْرِ» مطلقا سواء كان في مرتبة الولاية أو التقوى «عَلَى قِسْمَيْنِ أَحَدُهُمَا» و هو الكائن في مرتبة التقوى «أَنْ تَأْخُذَ» لنفسك «مِنَ الدُّنْيَا الْقُوْتَ» و هو ما يقوم به بدن الإنسان من الطعام والشراب الَّذِيْ يحصل منه القيام بطاعة الله تعالٰى «اَلَّذِيْ هُوَ حَقُّ النَّفْسِ».

قال رسول الله صلى الله تعالٰى عليه وعلى آله وصحبه وسلم: "إن للنفس عليك حقا"[1] و منع النفس عن القوت تعريض لها إلى الهلاك و هو منهي شرعا، قال الله تعالٰى: **وَ لَا تُلْقُوْا بِاَيْدِيْكُمْ اِلَى التَّهْلُكَةِ**.[البقرة، رقم السورة:٢،رقم الآية:١٩٥]

والمسئلة الفقهية أن الاكل فرض إن دفع به هلاكه، و مأجور عليه إن مكنه من صلوته قائما و من صومه، و مباح إلى الشبع لتزيد قوّته، و حرام فوقه إلا لقصد قوّته صوم الغد، و لئلا يستحيي ضيفه كذا في الوقاية و شرحه و غيرهما «وَ تَتْرُكَ الْحَظَّ» النفساني بكثرة التنعم والتلذذ بالأطعمة الشهية، واللباس البهية؛ فإنها و إن كانت مباحة في الشرع لكنها متروكة في التقوى «وَ تُؤَدِّيَ الْفَرْضَ» وكذا السنن و إن لم تقدر بالاكتفاء على ذلك القوت على كثرة النوافل «وَ تَشْتَغِلَ بِتَرْكِ الذُّنُوْبِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا» كالزنا والربا والشتم والغضب و نحو ذلك مما بين في علم الفقه «وَ مَا

(1) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب صنع الطعام والتكلف للضيف، برقم: ٦١٣٩، ونصه: لنفسك عليك حقًا.

بَطَنَ» من الرياء والعجب والسمعة ونحو ذلك مما بين في علم الأخلاق.

وَالْقِسْمُ الثَّانِيْ مَا كَانَ بِأَمْرٍ بَاطِنٍ وَهُوَ أَمْرُالْحَقِّ يَأْمُرُعَبْدَهُ وَيَنْهَاهُ

«وَالْقِسْمُ الثَّانِيْ» من اتباع الأمر، وهو الكائن في مرتبة الولاية «مَا كَانَ بِأَمْرٍ بَاطِنٍ» مستور عن الخلائق لا يعرفه إلا أهله «وَهُوَ» أي الأمر الباطن «اَمْرُالْحَقِّ» عزوجل «يَأْمُرُعَبْدَهُ» نبيا كان أو وليا بأمر سري بفعل أشياء «وَيَنْهَاهُ» كذلك عن أشياء؛ ولهذا قال الكاشفون: الخلافة والخليفة على نوعين:-

أحدهما: خلافة الحق عز شانه بغير الواسطة المسمى صاحبه باصطلاح الشرع بخليفة الله تعالٰى، وهو من يأخذ المعارف والأحكام الناموسي من الله سبحانه بغير الواسطة كالأنبياء والمرسلين، والملائكة المقربين، وبعض الأولياء من أصحاب العلوم اللدنية الذين لم يتعلموا أشيئا من غير الله تعالٰى.

وثانيهما: خلافة الرسول وهو من يأخذ تلك المعارف والأحكام بنقل صريح من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

وقالوا: من يأخذ الأحكام والمعارف من[1] الأولياء بغير واسطة فهو خليفة الله سبحانه وخليفة الرسول أيضا؛ لأن تلك الأحكام والمعارف هي أحكام الرسل ومعارفهم وصلت إليهم لإيمانهم بهم، واتباعهم لهم، ومايترآى في الظاهر من مخالفتهم الشرايع في بعض الأحكام فذلك إنما عرض لهم لعدم صحة المنصوص المظنون عندهم، أو لعدم فهم العوام ذلك، وحصل لهم ذلك العلم إما بتعليم الله تعالٰى إياهم بلاواسطة أو بواسطة عروج أرواحهم إلى روح الرسول صلى الله تعالٰى عليه وعلى آله وصحبه وسلم، أو تجلى لهم الرسول عليه الصلوة والسلام بصورة من صور عالم المثال.

وَاِنَّمَا يَتَحَقَّقُ هٰذَا الْاَمْرُ فِي الْمُبَاحِ الَّذِيْ لَيْسَ لَهُ حُكْمٌ فِي الشَّرْعِ عَلٰى مَعْنٰى اَنَّهُ لَيْسَ مِنْ قَبِيْلِ النَّهْيِ وَلَا مِنْ قَبِيْلِ الْاَمْرِ الْوَاجِبِ بَلْ

(1) بيان مَنْ ـ من الشارح

هُوَ مُهمَلٌ تُرِكَ الْعَبْدُ يَتَصَرَّفُ فيهِ بِاِخْتِيَارِهِ فَسُمِّيَ مُبَاحًا فَلَا يُحْدِثُ لِلْعَبْدِ الْمُخْتَارِفيهِ شَيْئًامِنْ عِنْدِهِ بَلْ يَنْتَظِرُ الْأَمْرَ فيهِ فَإِذَا أُمِرَ اِمْتَثَلَ فتَصِيْرُحَرَكَاتُهُ وَ سَكَنَاتُهُ بالله عَزَّ وَجَلَّ، مَا في الشَّرْعِ حُكْمُهُ فَبِالشَّرْعِ، وَ مَا لَيْسَ لَهُ حُكْمٌ في الشَّرْعِ فَبِالْأَمْرِ الْبَاطِنِ فَحِيْنَئِذٍ يَصِيْرُ مُحِقًّامِنْ أَهْلِ الْحَقِيْقَةِ، وَ مَا لَيْسَ فيهِ أَمْرٌ بَاطِنٌ فَهُوَ مُجَرَّدُ الْفِعْلِ حَالَةَ التَّسْلِيْمِ.

ثم هذا الأمر والنهي الباطنيان ليسا بمطلقين؛ و لذا قال رضي الله تعالىٰ عنه: «وَ اِنَّمَا يَتَحقَّقُ هٰذَا الْأَمْرُ في الْمُبَاحِ الَّذِيْ لَيْسَ لَهُ حُكْمٌ في الشَّرْعِ» يحكم بفعله وجوبا أو استحسانا، أو بتركه كذلك «عَلىٰ مَعْنىٰ أَنَّهُ» أي ذلك المأمور بالأمر الباطني «لَيْسَ مِنْ قَبِيْلِ النَّهْيِ» أي مما ورد النهي عن فعله وجوبا كما في الحرام، أو استحسانا كما في المكروه «وَ لَا مِنْ قَبِيْلِ الْأَمْرِ الْوَاجِبِ» حتما كما في الواجب، أو استحسانا كما في المندوب «بَلْ هُوَ» أي ذلك المأمور «مُهْمَلٌ» لم يبين في الشرع فعله و لا تركه بل «تُرِكَ الْعَبْدُ يَتَصَرَّفُ فيهِ بِاِخْتِيَارِهِ» فعلا و تركا إن شاء فعل، و إن شاء ترك «فَسُمِّيَ مُبَاحًا فَلَا يُحْدِثُ لِلْعَبْدِ الْمُخْتَارِفيهِ» أي في ذلك المباح «شَيْئًا» من الفعل أو الترك «مِنْ عِنْدِهِ» أي باختيار نفسه كما يفعله العوام؛ فإنهم يتصرفون في المباح باختيارهم فعلا و تركا لحصول الرخصة الشرعية، والخواص لم يعملوا بالرخص «بَلْ يَنْتَظِرُ» العبد المختص «الْأَمْرَ»الإلهي «فيهِ» أي في ذلك المباح «فَإِذَا أُمِرَ» العبد بطريق من الطريق الثابتة لأهل الله تعالىٰ إما بفعله أو تركه «اِمْتَثَلَ» العبد ذلك الأمر «فتَصِيْرُحَرَكَاتُهُ» جمعيها «وَ سَكَنَاتُهُ» أيضا جمعيها «بالله عَزَّ وَ جَلَّ» لا باختياره إذ هو فانٍ عن صفات البشرية «مَا» أي الأمرالذي «في الشَّرْعِ» المطهر المحمدي «حُكْمُهُ» وجوبا و ندبا و حرمة وكراهة «فَبِالشَّرْعِ» أي فذلك العبد المختص بعمله فعلا و تركا باتباع الشرع «وَ مَا» أي الأمرالذي «لَيْسَ لَهُ حُكْمٌ في الشَّرْعِ» من الوجوب والندب والحرمة و الكراهة «فَبِالْأَمْرِ

الْبَاطِنِ» أي فيعمله العبد فعلا و تركا بالأمر الباطن «فَحِيْنَئِذٍ» أي حين يعمل في الواجبات والمندوبات والمحرمات والمكروهات باتباع أمر الشرع، و في المباح باتباع الأمر الباطن «يَصِيْرُ» ذلك العبد «مُحِقًّامِنْ أَهْلِ الْحَقِيْقَةِ، وَ مَا» أي الأمر الَّذِيْ «لَيْسَ فيهِ» حكم شرعي ولا «أَمْرٌ بَاطِنٌ فَهُوَ» أي ذلك الأمر لا يتصور فيه للعرفاء إلا «مُجَرَّدُ الْفِعْلِ» بالقدر و «حَالَةَ التَّسْلِيْمِ» للقضاء؛ فإن ساقه القضاء والقدر إلى الفعل يفعل، وإن ساقه إلى الترك يترك من غير اختيار من نفسه.

وَإِنْ كُنْتَ فِي حَالَةِ حَقِّ الْحَقِّ، وَ هِيَ حَالَةُ الْمَحْوِ وَالْفَنَاءِ، وَ هي حَالَةُ الْأَبْدَالِ الْمُنْكَسِرِي الْقُلُوْبِ لِأَجلِ الْحَقِّ عَزَّ وَ جَلَّ الْمُوَحِّدِيْنَ الْعَارِفِينَ أَرْبَابِ الْعُلُوْمِ وَ الْعُقَّلِ السَّادَةِ الْأُمَرَاءِ وَالشُّحَّنِ خُفَرَاءِ الْخَلْقِ خُلَفَاءِ الرَّحْمٰنِ وَ أَخِلَّائِهِ وَ أَعْيَانِهِ وَ أَحِبَّائِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَاتِّبَاعُ الْأَمْرِ فيهَا بِمُخَالَفَتِكَ إِيَّاكَ بِالتَّبَرِّيْ مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ، وَ أَنْ لَّا يَكُوْنَ لَكَ إِرَادَةٌ وَ هِمَّةٌ فِي شَيْءٍ اَلْبَتَّةَ دُنْيَا وَ أُخْرٰى فَتَكُوْنُ عَبْدَالْمَلِكِ لَا عَبْدَ الْمُلْكِ، عَبْدَ الْأَمْرِ لَا عَبْدَ الْهَوٰى كَالطِّفْلِ مَعَ الظِّئْرِ، وَالْمَيِّتِ الْغَسِيْلِ مَعَ الْغَاسِلِ، وَالْمَرِيْضِ الْمَغْلُوْبِ عَلٰى حِسِّهٖ مَعَ الطَّبِيْبِ فِيمَا سِوَى الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ.

«وَ إِنْ كُنْتَ» أيهاالسالك «فِي حَالَةِ حَقِّ الْحَقِّ، وَ هي حَالَةُ الْمَحْوِ وَالْفَنَاءِ» المطلق «وَ هِيَ حَالَةُ الْأَبْدَالِ» الذين فنوا في الله و بقوا به «اَلْمُنْكَسِرِي الْقُلُوْبِ» أبدا «لِأَجلِ الْحَقِّ عَزَّ وَ جَلَّ الْمُوَحِّدِيْنَ» لله تعالى في الوجود المطلق «الْعَارِفِينَ» لأسراره تعالى في السماء والأرض بل في المخلوقات بأسرها «أَرْبَابِ الْعُلُوْمِ» اللدنية التي لانهاية لها «وَ الْعُقَّلِ» الكمل «السَّادَةِ» جمع سيد و قد مر تحقيقه «الْأُمَرَاءِ» على العباد «وَالشُّحَّنِ» للبلاد جمع شحنة بالكسر، الضابط الكافي لأمور البلد «خُفَرَاءِ الْخَلْقِ» بالخاء المعجمة مع الفاء جمع خفير، ففي الصحاح: الخفير المجير، و في القاموس: خفره و به و عليه يخفِر ويخفُر خَفرًا أجاره و منعه و

آمنه، و في النهاية: خفرت الرجل أجرته و حفظته، و خَفَّرتُه إذاكنت له خفيرا أي حاميا وكفيلا[١] انتهى. و كل ذلك معنى ملائم لتعريف هولاء السادات «خُلَفَاءِ الرَّحْمٰنِ» في خلقه «وَ أخِلَّائِهٖ» أي أحبائه جمع خليل «وَأعْيَانِهٖ» أي كبراءه و نظراء ه جمع عين بمعنى الناظر «وَ اَحِبَّائِهٖ» اختارهم للخلة والمحبة من بين خلقه «عَلَيْهِمُ السَّلَامُ» من الملك العليم العلام على الدوام إلى يوم القيام «فَاتِّبَاعُ الْأمْرِ» أي الأمرالباطن «فِيْهَا» أي في هذه الحالة أعني حالة حق الحق «بِمُخَالَفَتِكَ إيَّاكَ» أي نفسك و هواك «بِالتَّبَرِّيْ» أي الخروج بالكلية «مِنَ الْحَوْلِ» أي الحيلة «وَالْقُوَّةِ» أي الطاقة «وَ أنْ لَّا يَكُوْنَ لَكَ» عطف تفسيري لما قبله «إرَادَةٌ وَ هِمَّةٌ» أي طمع و قصد «فِي شَيْءٍ» مما سمي بالغير و وسم بالسوى «اَلْبَتَّةَ دُنْيَا وَ اُخْرٰى فَتَكُوْنُ» حينئذ «عَبْدَالمَلِكِ» الَّذِيْ كان العالم ملكه يتصرف فيه بما يشاء «لَا عَبْدَ المُلْكِ» هو بضم الميم و ما قبله بفتحها؛ لأنك خرجت عنه «عَبْدَ الْأمْرِ لَا عَبْدَ الْهَوٰي» لأنك تبرأت منها و صرت «كَالطِّفْلِ» الرضيع الَّذِيْ لا شعور له و لا اختيار «مَعَ الظِّئْرِ» التي ترضعه «وَالْمَيِّتِ الْغَسِيْلِ» أي المغسول الَّذِيْ لا حِسَّ له و لا حركة «مَعَ الْغَاسِلِ، وَالْمَرِيْضِ الْمَغْلُوْبِ عَلٰى حِسِّهٖ» أي الَّذِيْ غلب المرضُ على حسّه فأذهبها «مَعَ الطِّبِيْبِ» فأحوال هؤلاء الاَوَّلِ مع هؤلاء الأخير معلوم لك فكن أنت كذلك مع إرادة الله و قضائه و قدره يفعل الله ما يشاء، و يحكم مايريد.

ثم اعلم أن اتباعك في الأمرالباطن كذلك في هذه الحالة إنما هو «فيمَا سَوِى الْأمْرِ وَالنَّهْيِ» الشرعيين الواردين من جانب الشرع أما فيهما فكن تابعا لها على ما تقرر في الشريعة المطهرة المحمدية؛ فإن الكمال إنما هو فيها؛ فإن الكل من العرفاء لا يتركون شيئا من جزئيات الشريعة، و يرون الكمال في الحقيقة في كمال اتباع الشريعة.

---

(١) انظر النهاية باب الخاء مع الفاء. المشاهدي

اَلْمَقَالَةُ الْحَادِيَةُ عَشَرَ

فِي الصَّبْرِ وَالشَّهْوَةِ

قَالَ رَضِيَ اللهُ تَعَالٰى عَنْهُ وَ اَرْضَاهُ: اِذَا اُلْقِيَتْ عَلَيْكَ شَهْوَةُ النِّكَاحِ فِي حَالَةِ الْفَقْرِ، وَ عَجِزْتَ عَنْ مُؤْنَتِهٖ فَصَبَرْتَ عَنْهُ مُنْتَظِرًا لِلْفَرَجِ مِنَ الْبَارِيْ عَزَّ وَ جَلَّ، إِمَّا بِزَوَالِهَا وَ إِقْلَاعِهَا عَنْكَ بِقُدْرَتِهِ الَّتِيْ اَلْقَاهَا عَلَيْكَ، وَ اَوْجَدَهَا فِيكَ فَيُعِيْنُكَ وَ يَصُوْنُكَ عَنْ حَمْلِ مُؤْنَتِهَا اَيْضًا، اَوْ بِإِيْصَالِهَا إِلَيْكَ مَوْهِبَةً مُهَنَّأً مُكَفِّيًا مِنْ غَيْرِ ثِقْلٍ فِي الدُّنْيَا وَ لَا تَعْبٍ فِي الْعُقْبٰى وَ سَمَّاكَ عَزَّ وَ جَلَّ صَابِرًا شَاكِرًا لِصَبْرِكَ عَنْهَا وَ رَاضِيًا بِقِسْمِهٖ وَ زَادَكَ عِصْمَةً وَ قُوَّةً.

«قَالَ رَضِيَ اللهُ تَعَالٰى عَنْهُ وَ أَرْضَاهُ: اِذَا اُلْقِيَتْ» بصيغة المجهول «عَلَيْكَ شَهْوَةُ النِّكَاحِ فِي حَالَةِ الْفَقْرِ، وَ عَجِزْتَ عَنْ مُؤْنَتِهٖ» أي النكاح «فَصَبَرْتَ عَنْهُ مُنْتَظِرًا لِلْفَرَجِ» والسعة «مِنَ جانب الْبَارِئْ عَزَّ وَ جَلَّ، إِمَّا بِزَوَالِهَا» أي زوال تلك الشهوة «وَ إِقْلَاعِهَا عَنْكَ بِقُدْرَتِهِ الَّتِي» بها «أَلْقَاهَا» أي تلك الشهوة «عَلَيْكَ، وَ أَوْجَدَهَا فِيكَ فَيُعِيْنُكَ وَ يَصُوْنُكَ عَنْ حَمْلِ مُؤْنَتِهَا أَيْضًا، أَوْ بِإِيْصَالِهَا» أي شهوة النكاح «إِلَيْكَ مَوْهِبَةً» منه تعالٰى «مُهَنَّأً» مباركا لاتعب لك فيه و لاعيب «مُكَفِّيًا» بكفاية الله تعالٰى «مِنْ غَيْرِ ثِقْلٍ» عليك «فِي الدُّنْيَا وَ لَا تَعْبٍ» و مؤاخذة «فِي الْعُقْبٰى وَ سَمَّاكَ عَزَّ وَ جَلَّ» جواب إذا ألقيت «صَابِرًا شَاكِرًا لِصَبْرِكَ عَنْهَا» أي عن شهوة النكاح لعدم محلها «وَ رَاضِيًا بِقِسْمِهٖ» تعالٰى «وَ زَادَكَ عِصْمَةً وَ قُوَّةً» في يقينك على الله تعالٰى في قلع الشهوة، وإعطاء مؤنتها بكمال قدرته، قوله: عصمة و قوة منصوبان على التميز.

فَإِنْ كَانت قِسْمًا لَكَ سَاقَهَا اِلَيْكَ مُكَفِّيًا مُهَنَّأً فينْقَلِبُ

الصَّبْرُ شُكْرًا وَهُوَ عَزَّ وَجَلَّ وَعَدَ الشَّاكِرِيْنَ بِالزِّيَادَةِ فِي الْعَطَاءِ، قَالَ جَلَّ وَ عَلَا:

﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيْدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم:١٤/ ٧]

وَ اِنْ لَّمْ تَكُنْ قِسْمًا لَكَ فَالْغِنَاءُ عَنْهَا بِقَلْعِهَا مِنَ الْقَلْبِ اِنْ شَاءَتِ النَّفْسُ اَوْ اَبَتْ، فَلَازِمِ الصَّبْرَ وَ خَالِفِ الْهَوٰى وَ عَانِقِ الْاَمْرَ وَارْضَ بِالْقَضَاءِ وَارْجُ بِذٰلِكَ الْفَضْلَ وَالْعَطَاءَ وَ قَدْ قَالَ جَلَّ وَ عَلَا:﴿اِنَّمَا يُوَفَّى الصّٰبِرُوْنَ اَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر:٣٩/ ١٠]

«فَإِنْ كَانَتْ» أي تلك الشهوة «قِسْمًا لَكَ» في علمه تعالٰى «سَاقَهَا إِلَيْكَ مُكفِّيًا مُهَنَّأً فينْقَلِبُ الصَّبْرُ» الَّذِيْ كان لك لعدم محل الشهوة «شُكْرًا» بإعطاء مؤنتها «وَ هُوَ عَزَّ وَ جَلَّ وَعَدَ الشَّاكِرِيْنَ بِالزِّيَادَةِ فِي الْعَطَاءِ» من جنس المشكور و غيره حيث «قَالَ جَلَّ وَ عَلَا:لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيْدَنَّكُمْ». [إبراهيم،رقم السورة:١٤، رقم الآية:٧]

«وَ إِنْ لَّمْ تَكُنْ» تلك الشهوة «قِسْمًا لَكَ فَالْغِنَاءُ عَنْهَا بِقَلْعِهَا مِنَ الْقَلْبِ» سواء «إِنْ شَاءَتِ النَّفْسُ» قلعها «أَوْ أَبَتْ» عنه فإذا عرفت هذا المذكور «فَلَازِمِ الصَّبْرَ» في جميع أمورك، و لا تضطرب لعدم الحصول على وفق إرادتك «وَ خَالِفِ الْهَوٰى، وَ عَانِقِ الْأَمْرَ» أي أمر الله تعالٰى سواء كان موافقا لإرادتك أو لا معانقة راض «وَارْضَ بِالْقَضَاءِ، وَارْجُ بِذٰلِكَ» المذكور من الصبر و مخالفة الهوى و معانقة الأمر والرضا بالقضاء «الْفَضْلَ وَالْعَطَاءَ» وكيف لا ترجو، «وَ قَدْ قَالَ جَلَّ وَ عَلَا: اِنَّمَا يُوَفَّى الصّٰبِرُوْنَ اَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ» [الزمر، رقم السورة:٣٩، رقم الآية:١٠]

اَللّٰهُمَّ اجْعَلْنَا صَابِرِيْنَ فِيمَا قَضَيْتَ وَ شَاكِرِيْنَ فِيمَا اَعْطَيْتَ.

اَلْمَقَالَةُ الثَّانِيَةُ عَشَرَ

في النَّهْيِ عَنْ حُبِّ الْمَالِ

وَ قَالَ رَضِيَ الله تَعَالٰى عَنْهُ وَ اَرْضَاهُ: إِذَا أَعْطَاكَ اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ مَالًا فَاشْتَغَلْتَ بِهٖ عَنْ طَاعَتِهٖ حَجَبَكَ بِهٖ عَنْهُ دُنْيَا وَ أُخْرٰى، وَ رُبَمَا سَلَبَكَ إِيَّاهُ وَ غَيَّرَكَ وَ أَفْقَرَكَ عَقُوْبَةً لَّكَ لِاشْتِغَالِكَ بِالنِّعْمَةِ عَنِ الْمُنْعِمِ، وَ اِنِ اشْتَغَلْتَ بِطَاعَتِهٖ عَنِ الْمَالِ جَعَلَهُ لَكَ مَوْهِبَةً وَ لَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ حَبَّةً وَاحِدَةً كَانَ الْمَالُ خَادِمُكَ وَ أنت خَادِمُ الْمَوْلٰى فَتَعِيْشُ فِي الدُّنْيَا مُدَلَّا وَ فِي الْعُقْبٰى مُكَرَّمًا مُطَيَّبًا فِي جَنَّةِ الْمَاْوٰى مَعَ الصِّدِّيْقِيْنَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِيْنَ.

«وَ قَالَ رَضِيَ الله تَعَالٰى عَنْهُ وَ أَرْضَاهُ: إِذَا أَعْطَاكَ اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ مَالًا فَاشْتَغَلْتَ» أنت «بِهٖ» أي أعرضت أنت بذلك المال «عَنْ طَاعَتِهٖ» أي طاعة الله تعالٰى بأن لم تصرف ذلك المال في المصرف الَّذِيْ أُمِرْتَ به «حَجَبَكَ» الله تعالٰى «بِهٖ» أي بذلك المال «عَنْهُ» أي عن قربه و قبوله «دُنْيَا وَ أُخْرٰى» فلاتعرف الله تعالٰى لا في الدنيا و لا في الآخرة بل «وَ رُبَمَا سَلَبَكَ» الكاف منصوب بنزع الخافض كما في قوله تعالٰى:

«وَاخْتَارَ مُوْسٰى قَوْمَهٗ» أي من قومه «سَبْعِيْنَ رَجُلًا». [الأعراف،رقم السورة:٧، رقم الآية: ١٥٥]

أي سلب عنك «إِيَّاهُ» أي ذلك المال الَّذِيْ أعطاك، أو بدل اشتمال نحو سلب زيد ثوبه «وَ غَيَّرَكَ» الله تعالٰى عن حالك «وَ اَفْقَرَكَ» أي جعلك فقيرا «عَقُوْبَةً لَّكَ لِاشْتِغَالِكَ» وإعراضك «بِالنِّعْمَةِ عَنِ الْمُنْعِمِ» الحقيقي «وَاِنِ اشْتَغَلْتَ» أنت في ذلك المال «بِطَاعَتِهٖ» أي طاعة الله المنعم عز و جل معرضا «عَنِ» ذلك

«الْمَالِ» المعطى لك «جَعَلَهُ» أي ذلك المال «لَكَ مَوْهِبَةً، وَ لَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ حَبَّةً وَاحِدَةً، كَانَ الْمَـالُ» عطف على جعله بحذف العاطف، و ذلك شايع «خَادِمُكَ وَ أنت خَادِمُ الْمَوْلٰى» المنعم «فَتَعِيْشُ» أنت «فِي الدُّنْيَا مُدَلًّا» من أدلّ يدلّ إدلالا إذا تبختر «وَ فِي الْعُقْبٰى» عند الله تعالٰى«مُكَرَّمًا مُطَيَّبًا» بالطيب الأبدي «فِي جَنَّةِ الْمَاوٰى مَعَ الصِّدِّيْقِيْنَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِيْنَ» و حسُن أولئك رفيقا، ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما.

اللّٰهم ارزقنا الاشتغال بما تحب وترضى، ووفقنا التوجه إلى مانسلك به سبل الهدى بحرمة نبيك محمد المصطفيٰ صلى الله عليه و على آله و سلم و اٰله و أصحابه خيرالورى.

اَلْمَقَالَةُ الثَّالِثَةُ عَشَرَ

في التَّسْلِيْمِ لِأَمْرِ الله

قَالَ رَضِيَ الله تَعَالٰى عَنْهُ وَ اَرْضَاهُ: لَا تَخْتَرْ جَلْبَ النَّعْمَاءِ وَ لَا دَفْعَ الْبَلْوٰى اِذِ النَّعْمَاءُ وَاصِلَةٌ اِلَيْكَ اِنْ كَانت قِسْمَكَ اِسْتَجْلَبْتَهَا أَمْ كرِهْتَهَا.

«قَالَ رَضِيَ الله تَعَالٰى عَنْهُ وَ اَرْضَاهُ: لَا تَخْتَرْ» أيها السالك بنفْسك «جَلْبَ النَّعْمَاءِ» الغير الحاصلة لك «وَ لَا دَفْعَ الْبَلْوٰى» الحالّة بك؛ لأنك لا تعلم الخيروالشر في وصول النعماء، و دفع الضراء، و هو عزوجل عالم بعواقب الأمور كلها كما قال في القرآن المجيد والفرقان الحميد:

وَ عَسٰى اَنْ تَكْرَهُوْا شَيْئًا وَّ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَ عَسٰى اَنْ تُحِبُّوْا شَيْئًا وَّ هُوَ شَرٌّ لَّكُمْ.[البقرة، رقم السورة:٢،رقم الآية:٢١٦]

ففوّض الأمورَ كلها، و سَلِّمْ نفسك مع ما لَها و عليها إليه تعالٰى كما فوض رسول الله صلى الله تعالٰى عليه و على آله و أصحابه و سلم.

أسلمتُ نفسى إليك، و وجهت وجهي إليك، و فوَّضْتُ أمري إليك و ألجاءت ظهري إليك رغبةً و رهبة لاملجأ و لا منجأ منك إلا إليك آمنت بكتابك الَّذِيْ أنزلت و بنبيك الَّذِيْ أرسلت.

وكن ملازما لهذا الدعاء مع الالتزام والتوجه إلى معناه، و لا تظن أن التفو يض يُفَوِّت حصول النعماء و دفع البلوى «اِذِ النَّعْمَاءُ وَاصِلَةٌ اِلَيْكَ» البتة من غير تردد «إنْ كَانت قِسْمَكَ» في علمه الأزلي سواء «اِسْتَجْلَبْتَهَا» بالطلب والسعي «اَمْ كَرِهْتَهَا» وأعرضت عنها.

وَالْبَلْوٰى حَالَّةٌ بِكَ اِنْ كَانت قِسْمَكَ مَقْضِيَّةٌ عَلَيْكَ سَوَاءٌ

كَرِهْتَهَا اَوْ دَفَعْتَهَا بِالدُّعَاءِ، اَوْ صَبَرْتَ وَ تَجَلَّدْتَّ لِرِضَى الْمَوْلٰى بَلْ سَلِّمْ فِي الْكُلِّ فيفْعَلُ الْفِعْلَ فيكَ فَاِنْ كَانت النَّعْمَاءُ فَاشْتَغِلْ بِالشُّكْرِ وَ اِنْ كَانت الْبَلْوٰى فَاشْتَغِلْ بِالتَّصَبُّرِ وَالصَّبْرِ وَالْمُوَافَقَةِ اَوِ التَّنَعُّمِ بِهَا اَوِالْعَدَمِ وَالْفَنَاءِ فيهَا عَلٰى قَدْرِ مَا تُعْطٰى وَ تُنْقَلُ فيهَا وَ تُسَيَّرُ في الْمَنَازِلِ في طَرِيْقِ الْمَوْلَى الَّذِيْ اُمِرْتَ بِطَاعَتِهٖ وَالْمُوَالَاةِ لِتَصِلَ اِلى الرَّفِيقِ الْاَعْلٰى فَتُقَامُ حِيْنَئِذٍ مَقَامَ مَنْ تَقَدَّمَ وَ مَضٰى مِنَ الصِّدِّيْقِيْنَ وَالشُّهَدَاءِ قُرْبَ الْعُلَى الْاَعْلٰى لِتُعَايِنَ مَقَامَ مَنْ سَبَقَكَ اِلى الْمَلِيْكِ وَ مِنْهُ دَنٰى وَ وَجَدَ عِنْدَهٗ كُلَّ طَرِيْفَةٍ وَ حَزْبًا وَ سُرُوْرًا وَ اَمْنًا وَ كَرَامَةً وَ نِعَمًا.

«وَالْبَلْوٰى حَالَةٌ بِكَ إِنْ كانت قِسْمَكَ مَقْضِيَّةً عَلَيْكَ سَوَاءٌ كَرِهْتَهَا اَوْ دَفَعْتَهَا» عنك «بِالدُّعَاءِ» والد واء «أَوْ صَبَرْتَ وَ تَجَلَّدْتَّ» أي تكلفت في الجلادة في الصبر «لِرِضَى الْمَوْلٰى» الَّذِيْ ابتلاك بها «بَلْ سَلِّمْ» نفسك «في الْكُلِّ» أي في جميع ما لهَاو عليها إلى مولاك الَّذِيْ أوجدك و ربَّاك و أنعمك كثيرا، و ابتلاك قليلا «فيفْعَلُ» مولاك تعالٰى و تقدس «الْفِعْلَ» الَّذِيْ أراد في علمه الأزلي «فيكَ» أي في حقك، ثم الضمير في قوله قدس سره، «فَإِنْ كَانَتْ» يحتمل أن يعود إلى الواصل المفهوم من فحوى الكلام، أو إلٰى مفعول يفعل والتأنيث باعتبار الخبر و هو النعماء، أو كانت تامة «وَالنَّعْمَاءُ» فاعله «فَاشْتَغِلْ بِالشُّكْرِ» لمولاك فإن من شكر على النعمة قيَّدها، و من بطر بها ضيَّعها «وَ إِنْ كانت الْبَلْوٰى فَاشْتَغِلْ بِالتَّصَبُّرِ» أي التكلف بالصبر «وَالصَّبْرِ» و هو حبس النفس على المكروه طبعا، فإن الصبر على المحن والبليات يستجلب المطالب والمرادات كما قيل: خزائن المنى على قناطر المحن والبلوى «وَالْمُوَافَقَةِ» لإرادة المولى والرِّضاءِ بها إن كنتَ مبتديا «أَوِ التَّنَعُّمِ بِهَا» إن كنتَ في مقام المحبة والرضا «اَوِالْعَدَمِ وَالْفَنَاءِ فيهَا» إن كنتَ وَاصِلًا مقام الفناء «عَلٰى قَدْرِ مَا تُعْطٰى مِنَ الْحَالَاتِ وَ تُنْقَلُ فيهَا» أي تلك الحالات.

«وَ تُسَيَّرُ في الْمَنَازِلِ في طَرِيْقِ الْمَوْلَى الَّذِيْ اُمِرْتَ» أنت «بِطَاعَتِهٖ وَالْمُوَالَاةِ»

أي المحبة في سرك و علنك «وَ تُقَطَّعُ بِكَ الفَيَافِي والمَفَاوِز والبَرَارِي» كلها بمعنى واحد إلى المقامات أي حال كونك منتهيا إليها «لِتَصِلَ إلى الرَّفيقِ الْأَعْلىٰ» و هم الروحانيون من الأنبياء عليهم السلام، والأولياء عليهم الرضوان، و حسن أولئك رفيقا «فَتُقَامُ» أنت «حِيْنَئِذٍ» أي قطعت المراحل كلها بلطف الله و عنايته «مَقَامَ مَنْ تَقَدَّمَ وَ مَضٰى مِنَ الصِّدِّيْقِيْنَ وَالشُّهَدَاءِ» أعني به أي بإقامتك في مقام من تقدم «قُرْبَ الْعُلَى الْأَعْلىٰ» وإنما تقام مقامهم «لِتُعَايِنَ» بالعين اليقين «مَقَامَ مَنْ سَبَقَكَ» من الأولياء الكمل «إلى الْمَلِيْكِ» كما قال تعالىٰ في كلامه المجيد:

اِنَّ الْمُتَّقِيْنَ فِي جَنّٰتٍ وَّ نَهَرٍ. فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيْكٍ مُّقْتَدِرٍ. [القمر،رقم السورة:٥٤،رقم الآية:٥٥]

«وَ مِنْهُ» أي من المليك «دَنٰى» أي قرب إليه كمال القرب «وَ وَجَدَ» من سبقك «عِنْدَهٗ» أي عند المليك «كُلَّ طَرِيْفَةٍ» أي حسنة و جميلة «وَ حَزِيًا» أي نصيبا «وَ سُرُوْرًا وَ اَمْنًا وَ كَرَامَةً وَ نِعَمًا» لا تعد و لا تحصى كما قال جل وعلا:

وَ اِنْ تَعُدُّوْا نِعْمَتَ اللهِ لَا تُحْصُوْهَا.[إبراهيم،رقم السورة:١٤،رقم الآية:٣٤]

وَ دَعِ الْبَلِيَّةَ تَزُوْرُكَ خَلِّ عَنْ سَبِيْلِهَا، وَلَا تَقِفْ بِدُعَائِكَ فِي وَجْهِهَا وَ لَا تَجْزَعْ مِنْ مَجِيْئِهَا وَ قُرْبِهَا فَلَيْسَ نَارُهَا اَعْظَمَ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ وَ لَظٰى، وَ قَدْ ثَبَتَ فِي الْخَبَرِ الْمَرْوِيِّ عَنْ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ وَ خَيْرِمَنْ اَقَلَّتْهُ الْاَرْضُ وَ اَظَلَّتْهُ السَّمَاءُ مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفي الْمُخْتَارِ اَنَّهٗ قَالَ: "اِنَّ نَارَ جَهَنَّمَ تَقُوْلُ لِلْمُؤْمِنِ جُزْ يَا مُؤْمِنُ فَقَدْ اَطْفَأَ نُوْرُكَ لَهَبِي."[1] فَهَلْ كَانَ نُوْرُ الْمُؤْمِنِ الَّذِيْ اَطْفَأَ لَهَبَ النَّارِ فِي اللَّظٰى اِلَّا الَّذِيْ صَحِبَهٗ فِي الدُّنْيَا الَّذِيْ تَمَيَّزَ بِهٖ مَنْ اَطَاعَ اللهَ وَ عَصٰى فَلْيُطْفِي هٰذَا النُّوْرُ الَّذِيْ صَحِبَهٗ لَهَبَ الْبَلْوٰى وَ لْيُخْمِدْ بَرْدُ صَبْرِكَ وَ مُوَافَقَتِكَ لِلْمَوْلٰى وَ هَجَّ مَا حَلَّ بِكَ مِنْ ذٰلِكَ وَ مِنْكَ دَنٰى.

(1) رواه الطبراني في المعجم الكبير من طريق خالد بن الدُّريك، برقم:٦٦٨.

«وَ دَعِ الْبَلِيَّةَ تَزُوْرُكَ خَلِّ» أي اترك «عَنْ سَبِيْلِهَا» أي طريق مجيئها «وَ لَا تَقِفْ» أنت «بِدُعَائِكَ فِي وَجْهِهَا، وَ لَا تَجْزَعْ مِنْ مَجِيْئِهَا وَ قُرْبِهَا فَلَيْسَ نَارُهَا» أي نار تلك البلية «اَعْظَمَ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ وَ لَظٰى» علم للنار منقول من اللظى بمعنى اللهب، و يجوز أن يراد اللهب كما في الكشاف يعني أن إيذاء البلية الدنيوية ليس مثل إيذاء النار الجهنمي و لهبها، فإنها نَزَّاعَة للشوى والأطراف، و إنها لا تقدرعلى إيذاء المؤمنين فكيف يؤذيهم هذه البليلة الخفيفة بالنسبة إلى تلك النار الموقدة التي تطلع على الأفئدة، وَ ذلك لأنه «قَدْ ثَبَتَ فِي الْخَبَرِ الْمَرْوِيِّ عَنْ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ» أي الخلق كلهم «وَ خَيْرِمَنْ أَقَلَّتْهُ» و حملته «الْاَرْضُ وَأَظَلَّتْهُ السَّمَاءُ» هذا تخصيص بعد التعميم، لأن البرية شامل لكل مخلوق تحت السماء كان أو فوقه، و ما أحسن قول من قال في نعته.

سلام على خيرالأنام و سيد	حبيب إلـه العالمين محمدٍ
بشير نذير هاشمي مكرّمٍ	عطوفٍ رؤوفٍ من يسمى بأحمد
هدانا به الرحمن من ظلمة الردى	ولولاه ماكنا إلى الحق نهتدي
نسيمَ الصبا اِن زرتَ أرضَ مدينة	فَبَلِّغْ تحياتي إلى الأرض واسجدي
و قَبِّلْ مقاما حلَّ فيه نبيُّنا	و سيدُّنا و خير قبر و مرقد
سلام على الترب الّذِيْ ضم جسمه	فيانعم مشهود و يا طيب مشهد

«مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفي الْمُخْتَارَ» صلى الله عليه رب السماء «أَنَّهُ» عليه الصلاة السلام «قَالَ: إِنَّ نَارَ جَهَّنَمَ تَقُوْلُ لِلْمُؤْمِنِ جُزْ يَا مُؤْمِنُ فَقَدْ اَطْفَاَ نُوْرُكَ لَهَبِيْ» والاستفهام في قوله «فَهَلْ كَانَ» إنكاري أي ما كان «نُوْرُالْمُؤْمِنِ الَّذِيْ أَطْفَأَ لَهَبَ النَّارِ فِي اللَّظٰى إِلَّا» النور «الَّذِي صَحِبَهُ فِي الدُّنْيَا الَّذِيْ تَمَيَّزَ بِهِ» أي بذلك النور «مَنْ أَطَاعَ اللهَ وَ عَصٰى فَلْيُطْفي هٰذَا النُّوْرُ الَّذِيْ صَحِبَهُ» في الدنيا «لَهَبَ الْبَلْوٰى» التي حلَّت به في الدنيا «وَ لْيُخْمِدْ بَرْدُ صَبْرِكَ» على البلوى «وَ مُوَافَقَتِكَ لِلْمَوْلٰى، وَ هَجَّ مَا حَلَّ بِكَ مِنْ ذٰلِكَ البلوى «وَ مِنْكَ دَنٰى» أي قرب، في الصحاح: الوهج بالتحريك حرُّالنار، والمراد به هنا إيذاء البلوى يعنى ليخمد برد صبرك و موافقتك

حرارةَ نار البلوى اللاحقة بك، والقريبة منك.

> **فَالْبَلِيَّةُ لَمْ تَأتِكَ لِتُهْلِكَك وَ لٰكِنَّهَا تَأْتِيْكَ لِتَخْتَبِرَكَ وَتُحَقِّقَ صِحَّةَ اِيْمَانِكَ وَ تُؤَيِّدَ قَاعِدَةَ يَقِيْنِكَ وَ يُبَشِّرُكَ بَاطِنُهَا مِنْ مَوْلَاكَ بِمُبَاهَاتِهٖ بِكَ، قَالَ اللهُ تَعَالٰى: ﴿وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتّٰى نَعْلَمَ الْمُجٰهِدِيْنَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِيْنَ وَ نَبْلُوَا اَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد، رقم السورة:٤٧، رقم الآية:٣١]**

«فَالْبَلِيَّةُ لَمْ تَأتِكَ» من مولاك «لِتُهْلِكَك وَ لٰكِنَّهَا تَأْتِيْكَ لِتَخْتَبِرَكَ، وَتُحَقِّقَ صِحَّةَ اِيْمَانِكَ وَ تُؤَيِّدَ قَاعِدَةَ يَقِيْنِكَ وَ يُبَشِّرُكَ بَاطِنُهَا» أي باطن تلك البلية و هو كونها من الله، و أما ظاهرها فهو أسبابها الظاهرية التي جعلها الله تعالىٰ أسبابا عاديا «مِنْ مَوْلَاكَ بِمُبَاهَاتِهٖ» أي افتخار المولى «بِكَ» على ملائكته بأن يقول: انظروا إلى عبدي كيف يصبر على بلائي، و يرضى بقضائي، و لا يطلب سوائي قَالَ الله تَعَالٰى: «وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ» أي لنعاملكم معاملة المختبر بالأمر بالجهاد و سائر التكاليف الشاقة «حَتّٰى نَعْلَمَ الْمُجٰهِدِيْنَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِيْنَ وَ نَبْلُوَ اَخْبَارَكُمْ» عن إيمانكم أنه عن صدق القلب أو عن اللسان فقط، أو تختبر أعمالكم وأحوالكم في سائر حالاتكم بمواطاة الظاهر والباطن أم بالظاهر فقط، و هذه سنة الله تعالىٰ في عباده مع علم بحقائق الأمور و وقايعها أن يعامل بعبيده و إمائه معاملة المختبر ليظهر على محك الصدق عيارهم.

> **فَإِذَا ثَبَتَ مَعَ الْحَقِّ اِيْمَانُكَ وَ وَافَقْتَهُ فِي فِعْلِهٖ بِيَقِيْنِكَ كُلُّ ذٰلِكَ بِتَوْفِيقٍ مِّنْهُ وَ مِنَّةٍ فَكُنْ حِيْنَئِذٍ اَبَدًا صَابِرًا مُوَافِقًا مُسَلِّمًا لَا تُحْدِثُ فِيكَ وَ لَا فِي غَيْرِكَ حَادِثَةً مَّا خَرَجَ مِنَ الْاَمْرِ وَالنَّهْيِ فَإِذَا كَانت اَمْرَهٗ عَزَّ وَ جَلَّ فَتَسَامَعْ وَ تَسَارَعْ وَ تَجَلَّدْ وَ تُقَاوَّ وَ تَحَرَّكْ وَ لَا تَسْكُنْ وَ لَا تُسَلِّمْ لِلْقَدْرِ وَ الْفِعْلِ بَلْ اِبْذِلْ طَوْقَكَ وَ مَجْهُوْدَكَ لِتُوَدِّى الْاَمْرَ فَإِنْ عَجِزْتَ فَدُوْنَكَ وَالْاِلتِجَاءَ اِلٰى مَوْلَاكَ فَالْتَجِىءْ اِلَيْهِ وَ تَضَرَّعْ وَاعْتَذِرْ وَ فَتِّش**

عَنْ سَبَبِ عَجْزِكَ عَنْ اَدَاءِ اَمْرِهٖ وَ صَدِّكَ عَنِ التَّشَرُّفِ بِطَاعَتِهٖ لَعَلَّ ذٰلِكَ بِشُؤْمِ دَوَاعِيْكَ وَ سُوْءِ اَدَبِكَ فِي طَاعَتِهٖ وَ رَعُوْنَتِكَ وَاتِّكَالِكَ عَلٰى حَوْلِكَ وَ قُوَّتِكَ. وَ اِعْجَابِكَ بِعِلْمِكَ وَ شِرْكِكَ اِيَّاهُ بِنَفْسِكَ وَ بِخَلْقِهٖ فَصَدَّكَ عَنْ بَابِهٖ وَ عَزَلَكَ عَنْ طَاعَتِهٖ وَ خِدْمَتِهٖ وَقَطَعَ عَنْكَ مَدَدَ تَوْفِيقِهٖ وَوَلّٰى عَنْكَ وَجْهَهُ الْكَرِيْمَ وَ مَقَتَكَ وَ قَلَاكَ وَ شَغَلَكَ بِبَلَائِكَ دُنْيَاكَ وَ هَوَاكَ وَ اِرَادَتكَ وَ مُنَاكَ.

«فَإِذَا ثَبَتَ مَعَ الْحَقِّ إِيْمَانُكَ وَ وَافَقْتَهُ» أي الحق «فِي فِعْلِهٖ» إعطاءً و منعا «بِيَقِيْنِكَ» معه تعالىٰ «كُلُّ ذٰلِكَ» المذكور من الصبر على البلية، والإيمان به تعالىٰ، والموافقة له في فعله «بِتَوْفِيقٍ مِّنْهُ» سبحانه لك و فضل «وَ مِنَّةٍ» عليك «فَكُنْ حِيْنَئِذٍ اَبَدًا صَابِرًا» على ما أصابك «مُوَافِقًا» له تعالىٰ في جميع أفعاله «مُسَلِّمًا» نفسه إليه تعالىٰ «لَا تُحْدِثْ» أنت لا «فِيكَ وَ لَا فِي غَيْرِكَ حَادِثَةً مَّا» أي أمرًا مَّا «خَرَجَ مِنَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ» يعني أن الممنوع منك هو إحداث ما لم يثبت بالأمر والنهي، أما إذا ثبت بهما فإحداثه فيك و في غيرك بمقتضاهما واجب، و إليه أشار قدس سره بقوله: «فَإِذَا كَانَتْ» الحادثة الحالة بك «أَمَرَهٗ عَزَّ وَ جَلَّ فَتَسَامَعْ» أي بادر إلى سماعه بقبوله «وَ تَسَارَعْ» في حصوله «وَ تَجَلَّدْ» أي تكلف الجلادة «وَ تُقَاوَّ» أي زد في القوة لفعله من تقاوى يتقاوى، في النهاية: يتقاوَوْن المتاعَ بينهم حتى يبلغوا غاية ثمنها أي يز يدون في ثمنها. و في القاموس: التقاوى تزايد الشيء «وَ تَحَرَّكْ» لفعله حركة سريعة «وَ لَا تَسْكُنْ» عنه سكونا مَّا «وَ لَا تُسَلِّمْ» ذلك الأمر «لِلْقَدْرِ» بأن تتوقف في إتيانه منتظرا إلى ما يظهر من القدر كما تسلم المباحَ إلى القدر «وَ الْفِعْلِ» أي و لا تسلم ذلك الأمر إلى فعل الله تعالىٰ بأن يظهر ما ير يد «بَلْ اِبْذِلْ طَوْقَكَ» أي طاقتك «وَ مَجْهُوْدَكَ لِتُؤَدِّي الْأَمْرَ؛ فَإِنْ عَجَزْتَ» عن إتيان أمره بعذر شرعي أو آفة سماوي «فَدُوْنَكَ» اسم فعل بمعنى خذ التضرع «وَالْاِلْتِجَاءَ إِلٰى مَوْلَاكَ عَزَّوَجَلَّ» بأن تقول: يا رب إنك تعلم أني عبد ضعيف حَلَّ بي ما يمنعني عن

إتيان ما أمرتني به فاغفرلي بفضلك و كرمك «فَالْتَجِىءْ اِلَيْهِ تعالٰى وَ تَضَرَّعْ وَاعْتَذِرْ وَ فَتِّشْ عَنْ سَبَبِ عَجْزِكَ عَنْ اَدَاءِ اَمْرِهٖ» عزوجل وَ «صَدِّكَ» و منعك «عَنِ التَّشَرُّفِ بِطَاعَتِهٖ» و عبادته التي خلقت لها كما قال تعالٰى:

وَ مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْاِنْسَ اِلَّا لِيَعْبُدُوْنِ.[الذّٰريٰت،رقم السورة:٥١، رقم الآية:٥٦]

«لَعَلَّ ذٰلِكَ» الحرمان عن الإتيان «بِشُوْمِ دَوَاعِيْكَ» الناشية من نفسك و هواك «وَ سُوْءِ أَدَبِكَ فِي طَاعَتِهٖ تعالٰى وَ رَعُوْنَتِكَ» أي حماقتك و تكاسلك. في الصحاح: الرعونة الحمق والاسترخاء «وَاتِّكَالِكَ» أي اعتمادك «عَلٰى حَوْلِكَ وَ قُوَّتِكَ» في أفعالك «وَ اِعْجَابِكَ بِعِلْمِكَ وَ شِرْكِكَ إِيَّاهُ» أي معه تعالٰى «بِنَفْسِكَ وَ بِخَلْقِهٖ» تعالٰى «فَصَدَّكَ» ربك «عَنْ بَابِهٖ، وَ عَزَلَكَ عَنْ طَاعَتِهٖ وَ خِدْمَتِهٖ» التي هي أصل السعادات و منبع الكرامات «و قَطَعَ عَنْكَ مَدَدَ» أي زيادة «تَوْفِيقِهٖ» لك في مرضياته «وَوَلّٰى عَنْكَ وَجْهَهُ الْكَرِيْمَ وَ مَقَتَكَ» و غضبك «وَ قَلَاكَ» و تركك «وَ شَغَلَكَ» عن طاعته «بِبَلَائِكَ» و ذلك البلاء «دُنْيَاكَ وَ هَوَاكَ وَ اِرَادَتكَ وَ مُنَاكَ».

اَمَّا تَعْلَمُ اَنَّ ذٰلِكَ شُغْلٌ عَنْ مَوْلَاكَ وَ سَقْطُكَ عَنْ عَيْنِ الَّذِيْ خَلَقَكَ وَ رَبَّاكَ وَ خَوَّلَكَ وَ اَعْطَاكَ وَ حَيَّاكَ. اِحْذَرْ لَا يُلْهِيْكَ عَنْ مَوْلَاكَ غَيْرُ مَوْلَاكَ وَكُلٌّ مَنْ سِوٰى مَوْلَاكَ غَيْرُهٗ فَلَا تُؤْثِرْ عَلَيْهِ غَيْرَهٗ فَاِنَّهٗ خَلَقَكَ لَهٗ فَلَا تَظْلِمْ نَفْسَكَ فَتَشْتَغِلَ بِغَيْرِهٖ فيدْخِلَكَ نَارَهُ التي وَقُوْدُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ فَتَنْدِمَ فَلَا يَنْفَعُكَ النَّدَمُ، وَ تَعْتَذِرَ فَلَاتُعْذَرُ، وَ تَسْتَغِيْثَ فَلَا تُغَاثُ، وَ تَسْتَعْتِبَ فَلَا تُعْتَبُ، وَ تَسْتَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا لِتَسْتَدْرِكَ وَ تُصْلِحَ فَلَا تُرْجَعْ.

«اَمَّا تَعْلَمُ اَنَّ ذٰلِكَ» أي الدنيا والإرادة والهوى والمنى «شُغْلٌ» إعراض «عَنْ مَوْلَاكَ وَ سَقْطُكَ» أي انحطاطك، و في بعض النسخ: مشغلك و مسقطك، و

أما النسخة الأولٰى ففيه مبالغة حيث جُعِل نفسَ الشغل والسقط كما في قوله: إنما هي إقبال و إدبار «عَنْ عَيْنِ الَّذِيْ خَلَقَكَ» من العدم بعد أن لم تكن شيئا مذكورا «وَ رَبَّاكَ» من المهد إلى اللحد «وَ خَوَّلَكَ» تفسيره «وَ أَعْطَاكَ» سلامة الأعضاء و حسن الهيئة و الصحة والعزة والجاه في خلقه «وَ حَيَّاكَ» يحتمل أن يكون بالوحدة و أن يكون بالياء التحتانية لكن الأول مخفف، والثاني مشدد، و قال في الصحاح: حباه حَبْوَةً أي أعطاه، والحباء: العطاء. و قال حباك الله أي ملكك، و في القاموس: حبا فلانا أعطاه بلا جزاء وَلا منّ، و حيَّاك الله أبقاك و ملكك.

«اِحْذَرْ» أيها العاقل «لَا يُلْهِيْكَ عَنْ مَوْلَاكَ غَيْرُ مَوْلَاكَ، وَ» لا تظنَّ أن غيره إنما يصدق على شيء دون شيء بل «كُلُّ مَنْ سِوٰى مَوْلَاكَ» فهو «غَيْرُهٗ، فَلَا تُؤْثِرْ» و لا تختر «عَلَيْهِ غَيْرَهٗ، فَإِنَّهٗ» أي مولاك «خَلَقَكَ» من العدم «لَهٗ» أي لعبادته و معرفته «فَلَا تَظْلِمْ نَفْسَكَ» بذلك الإيثارالسوء، و إنما كان ظلما؛ لأنَّ الظلم وضع الشيء في غير موضعه و هنا كذلك؛ لأنك وضعت غير الخالق في موضع الخالق بالاختيار «فَتَشْتَغِلَ بِغَيْرِهٖ» معرضا عن أمره «فيدْخِلَكَ نَارَهُ الَّتِيْ وَقُوْدُهَا» و هو ما ترفع به النار يعني الحطب «النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ» يعني أنها نار ممتازة عن غيرها من النيران بأنها تُتَّقَدُ بالناس و الحجارة، و هي حجارة الكبريت و هي اَشَدُّ تَوَقُّدًا، و أبطأ خُمُوْدًا وَ أَنْتَنُ رائحةً، وألصق بالبدن «فَتَنْدِمَ» على نفسك حين تحقق دخولك في النار المذكور «فَلَا يَنْفَعُكَ النَّدَمُ» إذ ليس ذلك المحلُّ موضعَ نفع الندم كما قال تعالىٰ: **يَوْمَئِذٍ يَّتَذَكَّرُ الْاِنْسَانُ وَ اَنّٰى لَهُ الذِّكْرٰى**.[الفجر،رقم السورة:٨٩، رقم الآية:٢٣]

«وَ تَعْتَذِرَ فَلَاتُعْذَرُ» أي فلا يُقبلُ عذُرك إذ ليس ذلك أوانه «وَ تَسْتَغِيْثَ» من ذلك العذاب الهون «فَلَا تُغَاثُ، وَ تَسْتَعْتِبَ» تعبا شديدا «فَلَا تُعْتَبْ» أي فلا يُرفع عنك تعبك «وَ تَسْتَرْجِعَ إلى الدُّنْيَا لِتَسْتَدْرِكَ وَ تُصْلِحَ» ما أفسدته «فَلَا تُرْجَعْ» فتُشبِهُ حالُك بحال الكفار الذين أدخلهم الله تعالىٰ في النار، و قد أخبرعن حالهم بقوله:

وَ لَوْ تَرٰى اِذْ وُقِفُوْا عَلَى النَّارِ فَقَالُوْا يٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَ لَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَ نَكُوْنَ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ.بَلْ بَدَا لَهُمْ مَّا كَانُوْا يُخْفُوْنَ مِنْ قَبْلُ ؕ وَ لَوْ رُدُّوْا لَعَادُوْا لِمَا نُهُوْا عَنْهُ وَ اِنَّهُمْ لَكَاذِبُوْنَ.[الأنعام،رقم السورة:٦، رقم الآية:٢٦-٢٨]

اِرْحَمْ نَفْسَكَ، وَ اَشْفِقْ عَلَيْهَا، وَاسْتَعْمِلِ الْآلَاتِ وَالْاَدْوَاتِ اَلَّتِيْ اُعْطِيْتَهَا فِي طَاعَةِ مَوْلَاكَ مِنَ الْعَقْلِ وَالْاِيْمَانِ وَ الْمَعْرِفَةِ وَالْعِلْمِ. وَاسْتَضِيءْ بِأَنْوَارِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْاَقْدَارِ وَ تَمَسَّكْ بِالْاَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَسِرْ بِهِمَا فِي طَرِيْقِ مَوْلَاكَ، وَ سَلِّمْ مَا سِوَاهُمَا إِلَى الَّذِيْ خَلَقَكَ وَ اَنْشَاكَ فَلَا تَكْفُرْ بِالذي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ وَ رَبَّاكَ، ثُمَّ خَلَقَكَ مِنْ نُطْفَةٍ، ثُمَّ رَجُلًا سَوَّاكَ وَ لَا تُرِدْ غَيْرَ اَمْرِهٖ وَ لَا تَكْرَهْ غَيْرَ نَهْيِهٖ. اِقْتَنِعْ مِنَ الدُّنْيَا وَالْاُخْرٰى بِهٰذَا الْمُرَادِ، وَاكْرَهْ فِيْهِمَا هٰذَا الْمَكْرُوْهَ، فَكُلُّ مَا يُرَادُ تَبَعٌ لِهٰذَا الْمُرَادِ، وكل ماتبعٌ لهٰذَا الْمَكْرُوْهِ، إِذَا كُنْتَ مَعَ اَمْرِهٖ كَانَتِ الْاَكْوَانُ فِي أَمْرِكَ وَ اِذَا كَرِهْتَ نَهْيَهُ فَرَّتْ مِنْكَ الْمَكَارِهُ اَيْنَ كُنْتَ وَ حَلَلْتَ. قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فِي بَعْضِ كُتُبِهٖ: يَا ابْنَ اٰدَمَ اَنَا اللهُ الَّذِيْ لَآ اِلٰهَ اِلَّا اَنَا اَقُوْلُ لِلشَّيْءِ كُنْ فيكُوْنُ اَطِعْنِيْ اَجْعَلْكَ تَقُوْلُ لِلشَّيْءِ كُنْ فيكُوْنُ، وَقَالَ عَزَّوَجَلَّ: يَا دُنْيَا مَنْ خَدَمَنِيْ فَاخْدِمِيْهِ وَمَنْ خَدَمَكِ فَاتْعَبِيْهِ.

«اِرْحَمْ نَفْسَكَ، وَ اَشْفِقْ عَلَيْهَا وَاسْتَعْمِلِ الْآلَاتِ وَالْاَدْوَاتِ» كلاهمابمعنًى «اَلَّتِيْ اُعْطِيْتَهَا» بصيغة المجهول «فِي طَاعَةِ مَوْلَاكَ مِنَ الْعَقْلِ» السليم الَّذِيْ هو حجة من حجج الله تعالٰى، و هو مدار التكليف «وَالْإِيْمَانِ» بالله تعالٰى، و ملائكته، وكتبه و رسله، واليوم الآخر، والقدرخيره و شره عن الله تعالٰى، والبعث بعد الموت «وَالْمَعْرِفَةِ» بأنه خلقك و ربّاك و أنعم عليك نعما لا تعد و لا تحصى «وَالْعِلْمِ» بأنك محتاج في جميع أمورك حتى التنعُّل والترجُّل إليه، و بأنه تعالٰى قادر على إنجاح كل ما تريد فإذا استعملت هذه الأدوات على مقتضياتها علمتَ و عرفتَ أن ليس

لك عذرمع هذه الأدلة الظاهرة والحجج الباهرة في ترك طاعته فلاتغفُل عن استعمال هذه الأدوات.

«وَاسْتَضِىءْ بِأَنْوَارِهَا» أي بمقتضياتها «فِي ظُلُمَاتِ الْأَقْدَارِ» أي التقديرات الأزلية التي قُدرت في حقك في علمه الأزلي، و لا يبلغ فيها عقلك و لا تدرك.

كنهها بعلمك و معرفتك «وَتَمَسَّكْ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَ سِرْ بِهِمَا» على مقتضاهما «فِي طَرِيْقِ مَوْلَاكَ» و هو أداءُ حق العبوديه والألوهية «وَ سَلِّمْ مَا سِوَاهُمَا» و هوالإباحة «اِلَى» مولاك «الَّذِيْ خَلَقَكَ» من العدم «وَ أَنْشَاكَ فَلَا تَكْفُرْ» في الشريعة والطريقة والحقيقة «بِالَّذِيْ خَلَقَكَ» أي خلق أباك آدم عليه السلام الَّذِيْ هو أصلك «مِنْ تُرَابٍ، وَ رَبَّاكَ» أي ربّى أباك بتسوية خلقه و نفخ الروح فيه، و زَوَّجَه بأمِّك حواء عليها السلام «ثُمَّ خَلَقَكَ» نفسك «مِنْ نُطْفَةٍ» خرجت من صلب أبيك، واستقرت في رحم أمك إلى قدر معلوم «ثُمَّ رَجُلًا» ذكرًا بالغا مبلغَ الرجال «سَوَّاكَ» جعلك معتدل الخلق والقامة «وَ لَا تُرِدْ» أنت أيها المسكين «غَيْرَ أَمْرِهِ» أي أمرمولاك «وَ لَا تَكْرَهْ» أنت بنفسك «غَيْرَ نَهْيِهِ» أي منهيّه «اِقْتَنِعْ مِنَ الدُّنْيَا وَالْأُخْرٰى بِهٰذَا الْمُرَادِ» أي إرادة أمره تعالىٰ «وَاكْرَهْ فيهِمَا» أي الدنيا والأخرى «هٰذَاالْمَكْرُوْهَ» أي كراهة ما نهى الله عزوجل عنه «فَكُلُّ مَا» أي مراد دينيا كان أو دنياويا «يُرَادُ تَبَعٌ لِهٰذَا الْمُرَادِ» و هو إرادة أمره تعالىٰ «وَ كُلُّ مَا» أي مكروهٍ كذلك يكره «تَبَعٌ لِهٰذَا الْمَكْرُوْهِ» و هو كراهة ما نهى الله تعالىٰ عنه، و عليك هذا المكروه ففيه سر عظيم كما أشار إليه قدس سره بقوله: «إِذَا كُنْتَ» أيهاالمريد «مَعَ اَمْرِهٖ» أي أمر مولاك «كَانت الْاَكْوَانُ» أي المخلوقات كلها «فِي اَمْرِكَ» و إطاعتك «وَ إِذَا كَرِهْتَ نَهْيَهُ فَرَّتْ مِنْكَ الْمَكَارِهُ» الدينية و الدنياوية «أَيْنَ كُنْتَ» أي وجدت «وَ حَلَلْتَ» أي نزلت «قَالَ اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ فِي بَعْضِ كُتُبِهِ» الْمنزلة على بعض أنبيائه عليهم الصلوة والسلام:

«يَا ابْنَ اٰدَمَ اَنَا اللهُ الَّذِيْ لَآ اِلٰهَ إِلَّا أَنَا اَقُوْلُ لِلشَّيْءِ كُنْ فيكُوْنُ اَطِعْنِيْ اَجْعَلْكَ» بالسكون جوابا للأمر «تَقُوْلُ لِلشَّيْءِ كُنْ فيكُوْنُ» هو من كان التامة أي اُحْدُثْ

فيحْدُثُ، و هذا مجاز عن سرعة التكوين، و لا قولَ ثَمَّ فإنما المعنى أنَّ ما قضاه من الأمور و أراد كونَه؛ فإنما يَتَكَوَّنُ و يدخل تحت الوجود من غير امتناع و لا توقُّف كالمأمور المطيع الَّذِيْ يُؤمر فيمتثل و لا يكون منه الإباء.

و ورد في الفتوحات في الخبر في أهل الجنة أن الملك يأتي إليهم [فيقول لهم] بعد أن يستأذن في الدخول عليهم فإذا دخل ناوَلَهم كتابا من عندالله تعالى بعد أن يُسَلِّم عليهم من الله تعالى فإذا في الكتاب: من الحي القيوم [الذي لايموت] إلى الحى القيوم،[الذي لايموت] أما بعد! فإني أقول للشيء كن فيكون، و قد جعلتك اليوم تقول للشيء كن فيكون، فقال صلى الله تعالى عليه و على آله و صحبه و سلم فلا يقول أحد من أهل الجنة لشيء كن إلا و يكون،[1] انتهى كلامه.

«وَ قَالَ عَزَّ وَ جَلَّ» في بعض كتبه المنزلة: «يَا دُنْيَا مَنْ خَدَمَنِيْ فَاخْدِمِيْهِ وَ مَنْ خَدَمَكَ» بالطلب لك والسعي إليك «فَاتْعَبِيْه» أي ولا تحصلي له بالسهولة.

قال الشيخ المحقق العارف الشيخ أبومدين شعيب[2] المغربي قدس سره: أبناء الدنيا يخدمهم العبيد والإماء، و أبناء الآخرة يخدمهم الأحرار والكرماء.

فَإِذَا جَاءَ نَهْيُهُ عَزَّ وَ جَلَّ فَكُنْ كَأَنَّكَ مُسْتَرْخِي الْمَفَاصِلِ، مُسَكَّنُ الْحَواسِّ، مُتْجَزَعُ الْجَنَانِ، مُضَيَّقُ الدِّرْعِ، مُتَهَاوَتُ الْجَسَدِ، زَائِلُ الْهَوٰى، مُنْطَمِسُ الرُّسُوْمِ، مُمْتَحِيُ الْوُسُوْمِ، مُنْسِيُّ الْأَثَرِ، مُظْلِمَ الْفِنَاءِ، مُنْهَدِمُ الْبِنَاءِ، خَاوِي الْبَيْتِ، سَاقِطُ الْعَرْشِ لَا حِسَّ وَ لَا أَثَرَ.

«فَإِذَا جَاءَ نَهْيُهُ عَزَّ وَ جَلَّ فَكُنْ كَأَنَّكَ مُسْتَرْخِي الْمَفَاصِلِ، مُسَكَّنُ الْحَواسِّ، مُتْجَزَعُ الجَنَانِ، مُضَيَّقُ الدِّرْعِ» أي الصدر «مُتَهَاوَتُ الْجَسَدِ» أي منقطعه، و هذه الصيغ الخمس المذكورة كلها على أوزان مفاعيل، «زَائِلُ الْهَوٰى، مُنْطَمِسُ

(1) انظر الفتوحات باب الواحدوالستين وثلاث مائة.

(2) هوالشيخ شعيب بن الحسن الأندلسي التلمساني من مشاهير الصوفية، أصله من اشبيلية بالأندلس ولدفي اشبيلية سنة ٤٩٢هـ الموفق ١٠٩٨م، وتوفي سنة ٥٧٣هـ الموافق لسنة ١١٧٧م. المشاهدي

الرُّسُوْمِ» العادي والطبعي أي ماحيها «مُمْتَحِي الْوُسُوْمِ» اسم فاعل من امتحى لغة قليلة في انمحى صرح به في القاموس والصحاح، والوسوم جمع وسم بمعنى العلامة، أي ماحي العلامات العادية والطبيعية «مُنْسِيُّ الْاَثَرِ» أي أثرالمنهي فلا يخطر ذلك المنهي ببالك «مُظْلِمُ الْفِنَاءِ» بكسر الفاء الميدان، والمراد أن ميدان صدرك أيها السالك ينبغي أن يكون مُظلما بالنسبة إلى ذلك المنهي فلا تجده في ساحة قلبك و ميدان خاطرك «مُنْهَدِمُ الْبِنَاءِ» حتى لا يسكن ذلك المنهي فيه «خَاوِي الْبَيْتِ» أي خالي البيت عن ذلك المنهي «سَاقِطُ الْعَرْشِ» أي السقف «لَا حِسَّ» لك «وَ لَا اَثَرَ» في إتيان ذلك المنهي.

فَلْيَكُنْ سَمْعُكَ كَاَنَّهٗ اَصَمُّ وَ عَلٰى ذٰلِكَ مَخْلُوْقٌ، وَ بَصَرُكَ كَاَنَّهٗ مُعَصَّبٌ مَرْمُوْدٌ، وَ اَكْمَه مَطْمُوْسٌ، وَ شَفَتَاكَ كَاَنَّ بِهِمَا قُرْحَةً وَ ثُبُوْرًا، وَ لِسَانُكَ كَاَنَّ بِهٖ خَرَسًا وَ كُلُوْلًا، وَ اَسْنَانُكَ كَاَنَّ بِهَا ضَرَبَانًا وَآلَامًا وَ ثُبُوْرًا، وَ يَدَاكَ كَاَنَّ بِهِمَا شَلَلًا وَ عَنِ الْبَطْشِ قُصُوْرًا، وَ رِجْلَاكَ كَاَنَّ بِهِمَا رَعْدَةً وَ اِرْتِعَاشًا وَ جُرُوْحًا، وَ فَرْجُكَ كَاَنَّ بِهٖ عُنَّةً وَ بِغَيْرِ ذٰلِكَ الشَّانِ مَشْغُوْلٌ، وَ بَطْنُكَ كَاَنَّ بِهٖ اِمْتِلَاءً وَ اِرْتِوَاءً، وَ مِنَ الطَّعَامِ غِنًى، وَ عَقْلُكَ كَاَنَّكَ مَجْنُوْنٌ وَ مَخْبُوْلٌ، وَ جَسَدُكَ كَاَنَّكَ مَيِّتٌ وَ اِلَى الْقَبْرِ مَحْمُوْلٌ فَالتَّسَامُعُ وَالتَّسَارُعُ فِي الْاَمْرِ وَالتَّقَاعُدُ وَالتَّجَاعُدُ وَ التَّقَاصُرُ فِي النَّهْيِ وَالتَّمَاوُتُ وَالتَّعَادُمُ وَالتَّفَانِيْ فِي الْقَدَرِ فَاشْرَبْ هٰذِهِ الشَّرْبَةَ وَ تَدَاوِ بِهٰذِهِ الدَّوَاءِ وَ تَغَذَّ بِهٰذَا الْغِذَاءِ تَنْجَعْ وَ تُشْفَ وَ تُعَافَ مِنْ اَمْرَاضِ الذُّنُوْبِ وَ عِلَلِ الْاَهْوَاءِ بِاِذْنِ اللّٰهِ تَعَالٰى اِنْ شَاءَ اللّٰهُ.

ثم بيّن قدس سره عدَم الحس والأثر بقوله «فَلْيَكُنْ سَمْعُكَ كَأَنَّهٗ أَصَمُّ» أي ما يسمع شيئا بل «وَ عَلٰى ذٰلِكَ» الأصمية «مَخْلُوْقٌ، وَ بَصَرُكَ كَأَنَّهٗ مُعَصَّبٌ مَرْمُوْدٌ» أي مربوط بالعصابة لأجل الرمد فلا تفتح إلى ذلك المنهي و لا تبصره أصلا «وَ أَكْمَهُ» الَّذِيْ يولد أعمى «مَطْمُوْسٌ» ذاهب البصر «وَ شَفَتَاكَ كَأَنَّ بِهِمَا قُرْحَةً»

أي جراحة تمنعها عن الافتتاح بذلك المنهي «وَ ثُبُوْرًا» أي هلاكا و حبسا[١] «وَ لِسَانُكَ كَأَنَّ بِهٖ خَرَسًا» لا يقدر على التكلم بذلك المنهي «وَ كُلُوْلًا» قال في الصحاح: الكل الثقل والجمع كلول. «وَ أَسْنَانُكَ كَأَنَّ بِهَا ضَرْبَانًا» في الصحاح ضرب الجُرح ضربانا حجر عليه، أي منعه من التصرف «وَآلَامًا وَ ثُبُوْرًا، وَ يَدَاكَ كَأَنَّ بِهِمَا شَلَلًا» هو فساد في البدن بذهاب قوته و حسه «وَ عَنِ الْبَطْشِ» أي الأخذ «قُصُوْرًا، وَ رِجْلَاكَ كَأَنَّ بِهِمَا رَعْدَةً» الرعدة اسم من الارتعاد و هو الاضطراب «وَ اِرْتِعَاشًا» بمعنى الارتعاد «وَ جُرُوْحًا» جمع جُرح بالضم اسم من الجَرح بالفتح، قال في الصحاح: جَرَحَه جَرحا والاسم الجُرح بالضم والجمع جروح، و لم يقولوا إجراح إلا في الشعر «وَ فَرْجُكَ كَأَنَّ بِهٖ عُنَّةً» أي امتناعا من موافقة النساء، في الصحاح: عُنِنَ الرجل عن امرأته إذا حكم القاضي بذلك عليه، أو مُنِعَ عنها بالسحر والاسم منه العُنَّة، وكذا في القاموس أيضا «وَ بِغَيْرِ ذٰلِكَ الشَّانِ مَشْغُوْلٌ» المراد به غير فعله الَّذِيْ اختص به أي عن فعله فلا يصدر عنه ذلك «وَ بَطْنُكَ كَأَنَّ بِهٖ اِمْتِلَاءً وَ اِرْتِوَاءً، وَ مِنَ الطَّعَامِ غِنًى، وَ عَقْلُكَ كَأَنَّكَ مَجْنُوْنٌ» لا شعورلك «وَ مَخْبُوْلٌ» الخبل بالسكون الفساد «وَ جَسَدُكَ كَأَنَّكَ مَيِّتٌ، وَ إِلَى الْقَبْرِ مَحْمُوْلٌ» و هذه الأمور المذكورة كلها كناية عن عدم إتيان المنهي بجميع الوجوه.

«فَالتَّسَامُعُ وَالتَّسَارُعُ فِي الْأَمْرِ، وَالتَّقَاعُدُ وَالتَّجَاعُدُ» أي التحبس «وَ التَّقَاصُرُ فِي النَّهْيِ وَالتَّمَاوُتُ» أي الانقطاع «وَالتَّعَادُمُ وَالتَّفَانِيْ» أي جعلك نفسك مَيِّتا و معدوما و فانيا «فِي الْقَدَر فَاشْرَبْ» أيها السالك «هٰذِهِ الشَّرْبَةَ» التي بيّناك «وَ تَدَاوِ» لمرض قلبك «بِهٰذِهِ الدَّوَاءِ» التي فسرناك «وَ تَغَذَّ» لتقوية روحك «بِهٰذَا الْغِذَاءِ» التي ذكرناك «تَنْجَعْ» هو مع ما بعده بالجزم جوابا للأمر أي يهنأ أكلك من نجع الطعام ينجع نجوعا هنأ أكله «وَ تُشْفَ وَ تُعَافَ مِنْ أَمْرَاضِ الذُّنُوْبِ» الظاهرة والباطنة «وَ عِلَلِ الْأَهْوَاءِ» المروية المهلكة، كل ذلك «بِإِذْنِ اللهِ» الَّذِيْ خلقك و ربّاك ثم سوّاك رجلا «إن شاء الله» تعالىٰ.

(١) ابله شدن، يعنى لفظ ثبور مصدر است. من الشارح

اللّٰهم اذهب عن ساحة قلوبنا أكدار الغفلة، و أَخْرِج نفوسنا عن أشباك الغِرَّةِ، واجعل جوارِحَنا مطيعةً لأمرك، و قلوبنا مَمْلُوَّةً بذكرك، و أرواحنا مشحونةً بشكرك، واجعلنا من الراضين بقضائك، والصابرين على بلائك، والشاكرين على نعمائك، و أدخلنا في زمرة خدماء أوليائك الذين سبقت لهم منك الحسنى، والذين لا خوف عليهم و لا هم يحزنون لا في الدنيا و لا في العقبى.

اَلْمَقَالَةُ الرَّابِعَةُ عَشَرَ

فِي الْـمَنْعِ لِصَاحِبِ الْهَوٰى عَنْ اِدِّعَاءِ حَالَةِ الْقَوْمِ الْكَامِلِيْنَ

قَالَ رَضِيَ الله تَعَالٰى عَنْهُ وَ اَرْضَاهُ عَنَّا: لَا تَدَّعِ حَالَةَ الْقَوْمِ يَا صَاحِبَ الْهَوٰى؛ أنت تَعْبُدُ الْهَوٰى وَ هُمْ عَبِيْدُ الْمَوْلٰى، أَنْتَ رَغْبَتُكَ فِي الدُّنْيَا وَ رَغْبَةُ الْقَوْمِ فِي الْعُقْبٰى، أَنْتَ تَرَى الدُّنْيَا وَ هُمْ يَرَوْنَ رَبَّ الْاَرْضِ وَالسَّمَاءِ، أَنْتَ اُنْسُكَ بِالْـخَلْقِ وَ اُنْسُ الْقَوْمِ بِالْحَقِّ، أَنْتَ قَلْبُكَ مُتَعَلِّقٌ بِمَنْ فِي الْاَرْضِ، وَ قُلُوْبُ الْقَوْمِ مُتَعَلِّقَةٌ بِرَبِّ الْعَرْشِ أَنْتَ يَصْطَادُكَ مَنْ تَرٰى وَ هُمْ لَا يَرَوْنَ مَا تَرٰى بَلْ يَرَوْنَ خَالِقَ الْاَشْيَاءِ وَمَايرىٰ فَإِنَّ الْقَوْمَ حَصَلَتْ لَهُمُ النَّجَاةُ، وَ بَقِيَتَ أنت مُرْتَهِنًا بِمَا تَشْتَهِيْ مِنَ الدُّنْيَا وَ تَهْوٰى.

« قَالَ رَضِيَ الله تَعَالٰى عَنْهُ وَ أَرْضَاهُ عَنَّا: لَا تَدَّعِ حَالَةَ الْقَوْمِ» الكاملين العارفين «يَا صَاحِبَ الْهَوٰى» المقيَّد بسلاسلها و أغلالها، لأنك «أنت تَعْبُدُ الْهَوٰى» أي محكوم بحكمها، مأمور بأمرها تذهب بك شاءت «وَ هُمْ» أي ذلك القوم الكاملون «عَبِيْدُ الْمَوْلٰى» الَّذِيْ هو خالق الهوى، فالفرق بينك و بينهم من الأرض والسماء؛ فإنك عبدالهوى و هم عبد خالقها بل معبودك المردود عبد لهولاء العرفاء.

قال أبو عثمان المغربي: العاصي خيرمن المدعي؛ لأن العاصي أبدا يطلب طريق توبته، والمدعي يخبط أبدا في خيال دعواه «أَنْتَ» صاحب الهوى «رَغْبَتُكَ فِي» تحصيل «الدُّنْيَا» الدنية «وَ رَغْبَةُ الْقَوْمِ فِي» تحصيل «الْعُقْبٰى» السنية، و هو العمل بمرضيات المولى «أَنْتَ تَرَى الدُّنْيَا» و لا يتجاوز نظرك عنها «وَ هُمْ يَرَوْنَ رَبَّ الْاَرْضِ وَالسَّمَاءِ» لا يتجاوزنظرهم عنه إلى شيء من الأشياء «أَنْتَ» يا

صاحب الهوى «أُنسُكَ بِالْخَلْقِ وَ أُنْسُ الْقَوْمِ بِالْحَقّ» تعالٰى و تقدس فشتان ما بين الإنسين والأُنسين، و رتبة كل إنس على قدر أُنسه كما قيل: إن أردت أن تعرف قدرك عند عالِم الأسرار فانظر فيما ذا يقيمك الليل والنهار فطوبى لمن كان له قلب مشحون بلآلي أنس الحق المتعالي. اللّٰهم ارزقنا أنسك و خلصنا من جنتك و أنسك، «اَنْتَ» يا صاحب الهوى «قَلْبُكَ مُتَعَلِّقٌ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ» الفرش من الأهل والولد والعبيد والإماء، و من يتعلق به حاجتك «وَ قُلُوْبُ الْقَوْمِ مُتَعَلِّقَةٌ بِرَبِّ الْعَرْشِ» فتفاوت الرتبتين تفاوت العرش من الفرش. «اَنْتَ» يا صاحب الهوى «يَصْطَادُكَ» أي يقيدك «مَنْ تَرٰى» من المخلوقات «وَ هُمْ لَا يَرَوْنَ» بالنظر القلبي بل العيني «مَا تَرٰى بَلْ يَرَوْنَ خَالِقَ الْاَشْيَاءِ وَ» خالق «ما يرىٰ».

ذكر سيد الطائفة الشيخ جنيد البغدادي قدس الله تعالٰى سره، و أوصل إلينا بره في كتاب "معالي الهمم". حكي عن أبي يزيد البسطامي رحمه الله تعالٰى قال: منذ ثلثين سنة عُرِضَ عليّ الجنةُ بما فيها فما نظرت إليها طرفة عين إجلالا لله عز و جل، و يوما من الأيام نظرت إلى بعض الحوراء فأُحْرِمْتُ الفائدة عشرة أيام.

«فَإِنَّ الْقَوْمَ حَصَلَتْ لَهُمُ النَّجَاةُ» بِكَرَم خالق الأرض والسموات «وَ بَقِيَتَ اَنْتَ» يا صاحب الهوى «مُرْتَهِنًا بِمَا تَشْتَهِيْ مِنَ الدُّنْيَا وَ» بما «تَهْوٰى» منها

فَالْقَوْمُ فَنَوْاعَنِ الْخَلْقِ وَالْهَوٰى وَالْإِرَادَةِ وَالْمَنٰى فَوَصَلُوْا إِلَى الْمَلِيْكِ الْاَعْلٰى فَاَوْقَفَهُمْ عَلٰى غَايَةِ مَا رَامَ مِنْهُمْ مِنَ الطَّاعَةِ وَالْحَمْدِ وَ الثَّنَاءِ.ذٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيْهِ مَنْ يَّشَآءُ.فَلَازَمُوْا ذٰلِكَ وَ وَاظَبُوْا بِتَوْفِيْقٍ مِّنْهُ وَ تَيْسِيْرٍ بِلَا عَنَاءٍ

«فَالْقَوْمُ فَنَوْاعَنِ الْخَلْقِ وَالْهَوٰى وَالْإِرَادَةِ وَالْمَنٰى فَوَصَلُوْا إِلَى الْمَلِيْكِ الْأَعْلٰى» فلم يشهدوا غيره، و لذا قالوا: ليس في الدار غيره ديار «فَأَوْقَفَهُمْ عَلٰى غَايَةِ مَا رَامَ» أي قصد المليك الأعلى «مِنْهُمْ» في علمه الأزلي أن يفعلوه «مِنَ الطَّاعَةِ وَالْحَمْدِ وَ الثَّنَاءِ. ذٰلِكَ» المعطى لهم «فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيْهِ مَنْ يَّشَآءُ». «فَلَازَمُوْا ذٰلِكَ» المقام

الَّذِيْ أعطى لهم «وَ وَاظَبُوْا» عليه «بِتَوْفيقٍ مِّنْهُ» تعالىٰ «وَ تَيْسِيْرٍ بِلَا عَنَاءٍ» و مشقَّةٍ فلا يعسر عليهم أمر من الأمور المرضية للمولىٰ كما قال تعالىٰ:

فَاَمَّا مَنْ اَعْطٰى وَاتَّقٰى.وَ صَدَّقَ بِالْحُسْنٰى. فَسَنُيَسِّرُهٗ لِلْيُسْرٰى. وَ اَمَّا مَنْ م بَخِلَ وَاسْتَغْنٰى. وَكَذَّبَ بِالْحُسْنٰى. فَسَنُيَسِّرُهٗ لِلْعُسْرٰى. [الليل، رقم السورة:٩٢،رقم الآية:٥ إلى ١٠]

و قال صلى الله تعالىٰ عليه وعلى آله وصحبه و سلم:

"اعملوا فكل ميسر لما خلق له"[1] فيسر الله عزوجل للقوم تحصيل نفحات الجذبات، و زكَّاهم من كدورات الصفات، و حلَّاهم بأجمل الحلا، و أحياهم بعد فناءهم بعين البقاء و سقاهم شراب الوداد، و أسكرهم بحقيقة المراد، وكشف لهم الأستار، و أطلع عليهم شموس الأسرار فلا يشاهدون في الملك و الملكوت إلا جمال ذي العزة و الجبروت.

فَصَارَتِ الطَّاعَةُ لَهُمْ رُوْحًا وَ غِذَاءً وَ صَارَتِ الدُّنْيَا اِذْ ذَاكَ فِيْ حَقِّهِمْ نِعْمَةً وَ جِزْيًا فَكَاَنَّهَالَهُمْ جَنَّةُ الْمَاْوٰى اِذْ مَا يَرَوْنَ شَيْئًا مِنَ الْاَشْيَاءِ حَتّٰى يَرَوْا قَبْلَهٗ فِعْلَ الَّذِيْ خَلَقَ وَ اَنْشَأَ فيهِمْ ثُبَاتُ الْاَرْضِ وَالسَّمَاءِ وَ قَرَارُ الْمَوْتٰى وَالْاَحْيَاءِ اِذْ جَعَلَهُمْ مَلِيْكُهُمْ اَوْتَادًا لِلْاَرْضِ التي دَحٰى فَكُلٌّ كَالْجَبَلِ الَّذِيْ رَسٰى، فَتَنَحَّ عَنْ طَرِيْقِهِمْ وَ لَا تُزَاحِمْ مَنْ لَمْ يُقَيِّدْهُ عَنْ قَصْدِهِ الْآبَاءُ وَالْاَبْنَاءُ فَهُمْ خَيْرُ مَنْ خَلَقَ رَبِّيْ وَ بَثَّ فِي الْاَرْضِ وَ ذَرَأَ، فَعَلَيْهِمْ سَلَامُ الله وَ تَحِيَّاتُهٗ وَ بَرَكَاتُهٗ مَا دَامَتِ الْاَرْضُ وَ السَّمَاءُ.

«فَصَارَتِ الطَّاعَةُ لَهُمْ رُوْحًا» إن كان بفتح الراء فبمعنى الراحة، و إن كان بضمها فبمعنى الحيٰوة «وَ غِذَاءً» أي قوتا بها بقاء حياتهم «وَ صَارَتِ الدُّنْيَا اِذْ

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، في كتاب التفسير، باب فسنيسره للعسرى، برقم:٤٩٤٩، والإمام مسلم أيضا في صحيحه، في كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه إلخ، وفي هذا المعنى أحاديث كثيرة، المشاهدي

ذَاكَ» أي وقتَ بلوغهم هذا المقام «فِي حَقِّهِمْ نِعْمَةً وَ حِزْيًا» أي سرورا لا كما كانت لعبد الهوى محنةً و ثبورا «فَكَاَنَّهَا» أي الدنيا «لَهُمْ» أي لهولاءالعارفين «جَنَّةُ الْمَاوٰى؛ اِذْ مَا يَرَوْنَ شَيْئًا مِنَ الْاَشْيَاءِ حَتّٰى يَرَوْا قَبْلَهٗ» أي قبل الشيء المرئي «فِعْلَ الَّذِيْ خَلَقَ، وَ اَنْشَأَ» الأشياء من العدم «فيهِمْ» أي بهٰؤلاء السادات «ثُبَاتُ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، وَ قَرَارُ الْمَوْتٰى وَالْأَحْيَاءِ» لأن الإنسان الكامل للعالَم بمنزلة الروح للبدن فكما أنَّ قِوام البدن بالروح فكذلك قوام العالم بالإنسان الكامل، فكيف لا يكون بهم ثباتُ الأرض والسماء و قرار الموتى والأحياء «اِذْ جَعَلَهُمْ مَلِيْكُهُمْ أَوْتَادًا لِلْاَرْضِ الَّتِيْ دَحٰى» أي بسطها المليك فراشا لعباده «فَكُلٌّ» من هولاء العرفاء «كَالْجَبَلِ الَّذِيْ رَسٰى» أي ثبت واستقر واستحكم فإذا كان هذا حال القوم المذكور بتلك الصفات العُلٰى فأين أنت منهم ياصاحب الهوى «فَتَنَحَّ» أي بَعِّدْ «عَنْ طَرِيْقِهِمْ وَ لَا تُزاحِمْ مَنْ» أي الَّذِيْ «لَمْ يُقَيِّدْهُ» و لم تشغَله «عَنْ قَصْدِهِ» أي توجهه إلى جناب الباري عزوعلا، «الآبَاءُ وَالْاَبْنَاءُ فَهُمْ خَيْرُ مَنْ خَلَقَ رَبِّيْ» عز و جل «وَ بَثَّ» في الصحاح بث الخير و اَبَثَّه أنشره «فِي الْاَرْضِ، وَ ذَرَأَ» بمعنى خلق «فَعَلَيْهِمْ سَلَامُ اللهِ وَ تَحِيَّاتُهُ وَ بَرَكَاتُهٗ مَا دَامَتِ الْاَرْضُ وَ السَّمَاءُ».

اللّٰهم اجعلنا ممن أكرمتهم بهذا الإكرام، و أنعمت عليهم بهذا الإنعام بحرمة نبيك محمد عليه الصلوة والسلام إلى يوم القيام.

اَلْمَقَالَةُ الْخَامِسَةُ عَشَرَ

في الْخَوْفِ وَالرَّجَاء

قَالَ رَضِيَ الله تَعَالَى عَنْهُ وَ اَرْضَاهُ: رَاَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنِّيْ فِي مَوْضِعٍ شِبْهِ مَسْجِدٍ وَ فِيهِ قَوْمٌ مُنْقَطِعُوْنَ، فَقُلْتُ: لَوْ كَانَ لِهٰؤُلَاءِ فُلَانٌ يُؤَدِّبُهُمْ وَ يُرْشِدُهُمْ وَ اَشَرْتُ اِلٰى رَجُلٍ مِنَ الصَّالِحِيْنَ فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ حَوْلِيْ فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ: فَأنت اَيْش لِمَ لَا تَتَكَلَّمُ؟ فَقُلْتُ: اِنْ رَضِيْتُمُوْنِيْ لِذٰلِكَ، ثُمَّ قُلْتُ: اِذَا انْقَطَعْتُمْ عَنِ الْخَلْقِ اِلَى الْحَقِّ عَزَّ وَ جَلَّ فَلَا تَسْاَلُوا النَّاسَ شَيْئًا بِاَلْسِنَتِكُمْ، فَاِذَ ا تَرَكْتُمْ ذٰلِكَ فَلَا تَسْاَلُوْهُمْ بِالْقَلْبِ فَاِنَّ السُّؤالَ بِالْقَلْبِ كَالسُّؤالِ بِاللِّسَانِ.

«قَالَ رَضِيَ الله تَعَالَى عَنْهُ وَ اَرْضَاهُ: رَأيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنِّيْ فِي مَوْضِعٍ شِبْهِ مَسْجِدٍ وَ فيهِ» أي في ذلك الموضع «قَوْمٌ مُنْقَطِعُوْنَ» سواه تعالى، و كان فيهم نوع قصور عن حقيقة الانقطاع «فَقُلْتُ: لَوْ كَانَ لِهٰؤُلَاءِ» المنقطعين «فُلَانٌ» كناية عن شيخ كامل «يُؤَدِّبُهُمْ» برعاية آداب الانقطاع «وَ يُرْشِدُهُمْ» إليها «وَ أَشَرْتُ» بفلان «إِلٰى رَجُلٍ» كامل «مِنَ الصَّالِحِيْنَ» الكاملين العاملين فإذا سمع القوم مني تلك الحالة «فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ حَوْلِيْ، فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ:» أي من ذلك القوم إشارةً إليّ «فَأنت اَيْش لِمَ لَا تَتَكَلَّمُ» بما ينفعنا في أمر الانقطاع؛ فإنك لا تنقص من الَّذِيْ تشير إليهم «فَقُلْتُ» لهم: بلى أتكلم «إِنْ رَضِيْتُمُوْنِيْ لِذٰلِكَ» التكلم، قالوا: نعم «ثُمَّ» بعد رضاهم «قُلْتُ» لهم: «اِذَا انْقَطَعْتُمْ» يا معشر العرفاء «عَنِ الْخَلْقِ إِلَى الْحَقِّ عَزَّ وَ جَلَّ فَلَا تَسْاَلُوا النَّاسَ شَيْئًا» من حوائجكم «بِأَلْسِنَتِكُمْ فَإِذَا تَرَكْتُمْ ذٰلِكَ فَلَا تَسْاَلُوْهُمْ بِالْقَلْبِ» و في نسخة: بقلوبكم «فَإِنَّ السُّؤالَ بِالْقَلْبِ كَالسُّؤالِ بِاللِّسَانِ» في الذُّل والهوان بل السؤال القلبي أشد مذلة من اللساني، و هو

منظرالحق عز و جل؛ و لذا لا يسقط الأمور المتعلقة بالقلب كالتصديق القلبي بخلاف الإقرار باللساني حتى لو أظهر السؤال لمصلحة دفع العجب عن النفس و غير ذلك مع استغناء لا يكون مذموما كما يدل عليه حديث: إن الله لا ينظر إلى صوركم و أموالكم و لكن ينظر إلى قلوبكم و أعمالكم.[١]

ثم صفة القلب أعلى من أن يدخل في حيز البيان.

قال أبو يزيد رضي الله تعالى عنه: لو وقع العالم ألف ألف مرة في زاوية من زوايا قلب العارف مَا اَحَسَّ به.

ثُمَّ اِعْلَمُوْا اَنَّ الله تَعَالٰى كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأنٍ، فِي تَغْيِيْرٍ وَّ تَبْدِيْلٍ وَ رَفْعٍ وَ خَفْضٍ فَقَوْمٌ يَرْفَعُهُمْ اِلٰى عِلِّيِّيْنَ وَ قَوْمٌ يَحُطُّهُمْ اِلٰى اَسْفَلِ السَّافِلِيْنَ فَخَوْفَ الَّذِيْنَ رَفَعَهُمْ اِلٰى عِلِّيِّيْنَ أن يَحُطَّهُمْ اِلٰى اَسْفَلِ السَّافِلِيْنَ وَ رَجَّاهُمْ اَنْ يُّبْقِيَهُمْ وَ يَحْفَظَهُمْ عَلٰى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الرَّفْعِ، وَ خَوَّفَ الَّذِينَ حَطَّهُمْ اِلٰى اَسْفَلِ السَّافِلِيْنَ اَنْ يُّبْقِيَهُمْ وَ يَحْفَظَهُمْ عَلٰى مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْحَطِّ وَ رَجَّاهُمْ اَنْ يَّرْفَعَهم ثُمَّ انْتَبِهْتُ.

«ثُمَّ اِعْلَمُوْا أنَّ الله تَعَالٰى كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأنٍ فِي تَغْيِيْرٍ وَّ تَبْدِيْلٍ» من حال إلى حال «وَ رَفْعٍ» القوم من خفض «وَ خَفْضٍ» من رفع لآخرين.

و في الحديث: من شأنه أن يغفر ذنبا، و يُفَرِّجَ كربا، و يرفع قوما، و يخفض آخرين[٢] «فَقَوْمٌ يَرْفَعُهُمْ اِلٰى عِلِّيِّيْنَ» بفضله وكرمه «وَ قَوْمٌ يَحُطُّهُمْ اِلٰى اَسْفَلِ السَّافِلِيْنَ» بعدله «فَخَوْفَ الَّذِيْنَ رَفَعَهُمْ اِلٰى عِلِّيِّيْنَ أن يَحُطُّهُمْ اِلٰى اَسْفَلِ السَّافِلِيْنَ وَ رَجَّاهُمْ» أي القوم المرفوعين «أنْ يُّبْقِيَهُمْ» في مرتبتهم العلية و حالتهم السنية «وَ يَحْفَظَهُمْ عَلٰى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الرَّفْعِ» الرتبي فضلا «وَ خَوَّفَ الَّذِيْنَ حَطَّهُمْ إلٰى اَسْفَلِ السَّافِلِيْنَ أنْ يُّبْقِيَهُمْ» في مرتبتهم الخسيسة و حالتهم الرزيلة «وَ يَحْفَظَهُمْ عَلٰى مَا

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب البروالصلة، باب تحريم ظلم المسلم إلخ، برقم:٢٥٦٤

(2) أخرجه ابن ماجه في سننه، المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية، برقم:٢٠٢

هُمْ فيهِ مِنَ الْحَظِّ» الرتبي «وَ رَجَّاهُمْ» أي القوم المخفوضين «أنْ يَّرْفَعَهم إلى عِلِّيِّيْنَ» بفضله و إحسانه.

فلما تم هذه الواقعة الشريفة قال قدس سره «ثُمَّ انْتَبَهْتُ» من المنام بعد إرشادهم بذلك بفضل الملك العليم العلام.

اعلم أيها السالك أن الترجية والتخو يف صفتان لله عز و جل كما ينبيء عنه قوله تعالىٰ:

نَبِّئْ عِبَادِيَ اَنِّيْ اَنَا الْغَفُوْرُ الرَّحِيْمُ. وَ اَنَّ عَذَابِيْ هُوَ الْعَذَابُ الْاَلِيْمُ. [الحجر، رقم السورة:١٥، رقم الآية:٤٩–٥٠]

فبمقتضى هذا المذكور ينبغي للمؤمن أن يعيش بين الخوف والرجاء كما هو مقتضى الإيمان برب الأرض والسماء، و ينبغي أن يواظب على هذا الدعاء: يا من لا يشغله سمع عن سمع، و لا تشتبه عليه الأصوات، و يا من لا تغلط المسائل، و لا تختلف عليه اللغات، و يامن لا يبرمه إلحاح الملحين، و لا تضجره مسئلة السائلين أذقنا برد عفوك، و حلاوة رجاءك بحرمة أنبيائك و أولياءك عليهم الصلوة والسلام و التحيات من واهب العطيات.

اَلْمَقَالَةُ السَّادِسَةُ عَشَرَ

في التَّوَكُّلِ وَ مَقَامَاتِهِ

قَالَ رَضِيَ الله تَعَالٰى عَنْهُ وَ اَرْضَاهُ: إِنَّمَا حُجِبْتَ عَنْ فَضْلِ الله تَعَالٰى وَ الْبِدَاءَة بِنِعْمِهِ لِاتِّكَالِكَ عَلَى الْخَلْقِ وَالْأَسْبَابِ، وَالصَّنَائِعِ وَالْإِكْتِسَابِ، فَالْخَلْقُ حِجَابُكَ عَنِ الْأَكْلِ بِالسُّنَّةِ وَ هُوَ الْكَسْبُ فَمَا دُمْتَ قَائِمًا مَعَ الْخَلْقِ، رَاجِيًا لِعَطَائِهِمْ وَ فَضْلِهِمْ، سَائِلًا لَهُمْ مُتَرَدِّدًا إِلٰى اَبْوَابِهِمْ فَأَنت مُشْرِكٌ بِالله خَلْقَهُ فيعَاقِبُك بِحِرْمَانِ الْأَكْلِ بِالسُّنَّةِ الَّذِيْ هُوَ الْكَسْبُ مِنْ حَلَالِ الدُّنْيَا.

«وَ قَالَ رَضِيَ الله تَعَالٰى عَنْهُ وَ اَرْضَاهُ: إِنَّمَا حُجِبْتَ» أيها الطالب بصيغة المجهول «عَنْ فَضْلِ الله تَعَالٰى، وَ» عن «الْبِدَاءَةِ بِنِعْمِهِ» التي فاضت على كثير من خلقه «لِاتِّكَالِكَ عَلَى الْخَلْقِ وَالْأَسْبَابِ» وَالصَّنَائِعِ وَالْإِكْتِسَابِ» و لعدم توجهك إلى رب الأرباب الَّذِيْ هو مسبب الأسباب، الكريم الوهاب، الرحيم التواب «فَالْخَلْقُ حِجَابُكَ عَنِ الْأَكْلِ بِالسُّنَّةِ» التي سنها الله تعالٰى لأنبيائه «وَ هُوَ الْكَسْبُ» فإن داوٗد و ابنه سليمانَ- عليهما السلام من الرحيم الرحمن- مع ما أعطاهما الملك الديَّانُ من المال والملك والسلطان على الإنس والجان لا يأكلان إلا من عمل يديهما الكريمتان «فَمَا دُمْتَ» أنت «قَائِمًا مَعَ الْخَلْقِ» متكلا عليهم «رَاجِيًا لِعَطَائِهِمْ، وَ فَضْلِهِمْ سَائِلًا لَهُمْ، مُتَرَدِّدًا إِلٰى اَبْوَابِهِمْ» ظنًّا منك أن المقصود لا يصل إليك إلا بهذا «فَأَنْتَ مُشْرِكٌ بِاللهِ خَلْقَهُ فيعَاقِبُكَ» ربك بفعلك هذا «بِحِرْمَانِ الْأَكْلِ بِالسُّنَّةِ الَّذِيْ هُوَ الْكَسْبُ مِنْ حَلَالِ الدُّنْيَا» الَّذِيْ لا مؤاخذة فيه.

ثُمَّ إِذَا تُبْتَ عَنِ الْقِيَامِ مَعَ الْخَلْقِ وَ عن شِرْكِكَ رَبَّكَ بِهِمْ وَ رَجَعْتَ إِلَى الْكَسْبِ فَتَأْكُلُ بِالْكَسْبِ بَلْ تَتَوَكَّلُ عَلَى الْكَسْبِ وَ

تَطْمَئِنُّ اِلَيْهِ وَ تَنْسٰى فَضْلَ الرَّبِّ تَعَالٰى فَأَنْتَ مُشْرِكٌ اَيْضًا اِلَّا اَنَّهٗ شِرْكٌ خَفِي اَخْفٰى مِنَ الْاَوَّلِ فيعَاقِبُكَ اللهُ تَعَالٰى وَ يَحْجُبُكَ عَنْ فَضْلِهٖ وَالْبِدَاءَةِ بِهٖ، فَإِذَا تُبْتَ عَنْ ذٰلِكَ وَ اَزَلْتَ الشِّرْكَ عَنِ الْوَسَطِ وَ رَفَعْتَ اِتِّكَالَكَ عَنِ الْكَسْبِ وَالْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ وَ رَاَيْتَ اللهُ تَعَالٰى هُوَ الرَّزَّاقُ وَ هُوَ الْمُسَبِّبُ الْمُسَهِّلُ، وَالْمُقَوِّيْ عَلَى الْكَسْبِ، وَالْمُوَفِّقُ لِكُلِّ خَيْرٍ، وَالرِّزْقُ بِيَدِهٖ تَارَةً يُوَاصِلُكَ بِطَرِيْقِ الْخَلْقِ عَلٰى وَجْهِ الْمَسْئَلَةِ لَهُمْ فِي حَالَةِ الْاِبْتِلَاءِ وَ الرِّيَاضَةِ، اَوْ عِنْدَ سُؤَالِكَ لَهٗ عَزَّ وَ جَلَّ وَ اُخْرٰى مِنْ فَضْلِهٖ مُبَادَاةً مِنْ غَيْرِ اَنْ تَرَى الْوَاسِطَةَ وَالسَّبَبَ فَرَجَعْتَ اِلَيْهِ وَاسْتَطْرَحْتَ بَيْنَ يَدَيْهِ عَزَّ وَ جَلَّ فَرَفَعَ اللهُ تَعَالَى الْحِجَابَ بَيْنَكَ وَ بَيْنَ فَضْلِهٖ وَ بَادَاكَ وَ غَذَّاكَ بِفَضْلِهٖ عِنْدَ كُلِّ حَاجَةٍ عَلٰى قَدْرِ مَا يُوَافِقُ حَالَكَ كَفِعْلِ الطَّبِيْبِ الشَّفِيقِ الرَّفِيقِ الْحَبِيْبِ بِالْمَرِيْضِ.

«ثُمَّ اِذَا تُبْتَ» أيها السالك «عَنِ الْقِيَامِ مَعَ الْخَلْقِ، وَ عن شِرْكِكَ رَبَّكَ بِهِمْ، وَ رَجَعْتَ إِلَى الْكَسْبِ فَتَاْكُلُ بِالْكَسْبِ» على الوجه المشروع، و لكن ما عرفتَ أن المؤثر في الحقيقة ليس إلا الله الواحد القهار الجليل الجبار «بَلْ تَتَوَكَّلُ عَلَى الْكَسْبِ» بأنه سبب وصول رزقك «وَ تَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ وَ تَنْسٰى فَضْلَ الرَّبِّ تَعَالٰى» و تقدس «فَأَنْتَ» في هذا الفعل «مُشْرِكٌ أَيْضًا» كما كنت كذلك حين اعتمادك على الخلق «اِلَّا أَنَّهٗ» أي الاعتماد على الكسب «شِرْكٌ خَفي اَخْفٰى مِنَ الْأَوَّلِ» لأن الأوّل شرك الذوات، و هذا شرك الأفعال «فيعَاقِبُكَ الله تَعَالٰى، وَ يَحْجُبُكَ عَنْ فَضْلِهٖ وَالْبِدَاءَةِ بِهٖ» أي بالفضل بأن لايعطي لك إلابالسكب «فَإِذَا تُبْتَ عَنْ ذٰلِكَ» الاعتماد «وَ اَزَلْتَ الشِّرْكَ عَنِ الْوَسَطِ» أي وسط القلب «وَ رَفَعْتَ اِتِّكَالَكَ عَنِ الْكَسْبِ وَالْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ، وَ رَاَيْتَ اللهَ تَعَالٰى هُوَ الرَّزَّاقُ» يصل إليك رزقك بفضله لا بكسبك كما أخبر برزاقيته في كتابه العزيز:

اِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِيْنُ. [الذاريات، رقم السورة: ٥١، رقم الآية: ٥٨]

«وَ هُوَ الْمُسَبِّبُ» للأسباب في كل باب «وَ» هو «الْمُسَهِّلُ» لكل عسير. «وَالْمُقَوِّيْ عَلَى الْكَسْبِ، وَالْمُوَفِّقُ لِكُلِّ خَيْرٍ، وَالرِّزْقُ بِيَدِهٖ تَارَةً يُوَاصِلُكَ» ذلك الرزق «بِطَرِيْقِ الْخَلْقِ عَلٰى وَجْهِ الْمَسْئَلَةِ لَهُمْ فِي حَالَةِ الْاِبْتِلَاءِ وَ الرِّيَاضَةِ» تنزيها لك عن غِشِّ العجب والنفس وغيرهما من الصفات المذمومة مع قدرته على أن يواصل رزقك بدون هذا الطريق «اَوْ» يواصلك الرزق «عِنْدَ سُؤَالِكَ لَهٗ عَزَّ وَ جَلَّ، وَ» تارة «اُخْرٰى» يواصلك «مِنْ فَضْلِهٖ مُبَادَاةً» أي ابتداءً «مِنْ غَيْرِ أَنْ تَرَى الْوَاسِطَةَ وَالسَّبَبَ» في البين، و جواب قوله: "فإذا تبت" قوله: «فَرَجَعْتَ» أيهاالسالك بهذا السلوك «اِلَيْهِ» تعالٰى «وَاسْتَطْرَحْتَ» أي ألقيت نفسك «بَيْنَ يَدَيْهِ عَزَّ وَ جَلَّ» أي بحضرته و سلمتها إليه من غيرحول و لا قوة منك «فَرَفَعَ اللهُ تَعَالٰى الْحِجَابَ بَيْنَكَ وَ بَيْنَ فَضْلِهٖ» فما ترى إلا فضله سبحانه «وَ بَادَاكَ» أي أعطاك أوّل كلّ شيء من غير واسطة و سبب «وَ غَذَّاكَ» تغذيةً حسنة «بِفَضْلِهٖ» و كرمه «عِنْدَ كُلِّ حَاجَةٍ» حلت فيك لكن لا على وفق خاطرك بل «عَلٰى قَدْرِ مَا يُوَافِقُ حَالَكَ» في كل زمان و لا تستبعد ذلك، فإنك ترى في عالم المشاهدة مثلَه «كَفِعْلِ الطَّبِيْبِ الشَّفِيقِ الرَّفِيقِ الْحَبِيْبِ بِالْمَرِيْضِ» فإنه يعطي له من الغذاء مايوافق حاله في كل الوقت لا على وقت رغبته و طلبه فانه يعلم ما فيه صلاحه فإلله تعالٰى أعلم من كل عليم يعمل بمقتضى حكمته الشاملة.

حِمَايَةً مِنْهُ عَزَّ وَ جَلَّ وَ تَنْزِيْهًا لَكَ عَنِ الْمَيْلِ اِلٰى مَا سِوَاهُ تَعَالٰى، وَ يُرْضِيْكَ بِفَضْلِهٖ فَاِذَا يَنْقَطِعُ مِنْ قَلْبِكَ كُلُّ اِرَادَةٍ وَ كُلُّ شَهْوَةٍ وَ لَذَّةٍ وَ مَطْلَبٍ وَ مَحْبُوْبٍ فَلَا يَبْقٰى فِي قَلْبِكَ سِوٰى اِرَادَتِهٖ عَزَّ وَ جَلَّ، فَاِذَا اَرَادَ اَنْ يَسُوْقَ اِلَيْكَ قِسْمَكَ الَّذِيْ لَا بُدَّ لك مِنْ تَنَاوُلِهٖ وَ لَيْسَ هُوَ رِزْقًا لِاَحَدٍ مِنْ خَلْقِهٖ عَزَّ وَ جَلَّ سِوَاكَ اَوْجَدَكَ عِنْدَكَ شَهْوَةَ ذٰلِكَ الْقِسْمِ وَ سَاقَهٗ اِلَيْكَ فيوَاصِلُكَ بِهٖ عِنْدَالْحَاجَةِ ثُمَّ يُوَفِّقُكَ وَ يُعَرِّفُكَ اَنَّهٗ مِنْهُ وَ هُوَ سَائِقُهٗ اِلَيْكَ وَ رَازِقُهٗ فَتَشْكُرُهٗ حِيْنَئِذٍ

وَ اِنَّمَا فعل بك ذلك «حِمَايَةً» لك «مِنْهُ عَزَّ وَ جَلَّ» عما هو المضر لك في قربك منه تعالٰى «وَ تَنْزِيْهًا لَكَ عَنِ الْمَيْلِ إِلٰى مَا سِوَاهُ تَعَالٰى، وَ يُرْضِيْكَ بِفَضْلِهٖ فَإِذًا» أي حين حمايته و تنزيهه لك عما سواه «يَنْقَطِعُ مِنْ قَلْبِكَ كُلُّ إِرَادَةٍ وَ كُلُّ شَهْوَةٍ وَ لَذَّةٍ وَ مَطْلَبٍ وَ مَحْبُوْبٍ فَلَا يَبْقٰى فِي قَلْبِكَ» بعد انقطاعك عما «سِوَاه سِوٰى اِرَادَتِهٖ عَزَّ وَ جَلَّ فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَسُوْقَ إِلَيْكَ قِسْمَكَ الَّذِيْ لَا بُدَّ لَكَ مِنْ تَنَاوُلِهٖ» في سابق علمه الأزلي «وَ لَيْسَ هُوَ رِزْقًا لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهٖ عَزَّ وَ جَلَّ سِوَاكَ أَوْجَدَكَ عِنْدَكَ شَهْوَةَ ذٰلِكَ الْقِسْمِ، وَ سَاقَهُ» أي ذلك القسم «إِلَيْكَ فيوَاصِلُكَ بِهٖ» أي بذلك القسم «عِنْدَالْحَاجَةِ، ثُمَّ يُوَفِّقُكَ» بمحض لطفه وكرمه لشكره «وَ يُعَرِّفُكَ أَنَّهٗ» أي ذلك القسم «مِنْهُ» أي وصولَه من جانبه تعالٰى كما أخبر به في كلامه القديم:

وَ مَا بِكُمْ مِّنْ نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ. [النحل،رقم السورة:١٦،رقم الآية:٥٣]

«وَ هُوَ سَائِقُهٗ إِلَيْكَ وَ رَازِقُهٗ فَتَشْكُرُهٗ حِيْنَئِذٍ» شكر من يعرف منعمه، و يرى بكرمه.

فَتَعْرِفُ وَ تَعْلَمُ فيزِيْدُكَ خُرُوْجًا عَنِ الْخَلْقِ وَ بُعْدًا مِنَ الْأَنَامِ وَ خلوالْبَاطِنِ مِمَّا سِوَاهُ عَزَّ وَ جَلَّ، ثُمَّ اِذَا قَوِيَ عِلْمُكَ وَ يَقِيْنُكَ وَ شَرْحُ صَدْرِكَ وَ نُوْرُ قَلْبِكَ وَ زَادَ قُرْبُكَ مِنْ مَوْلَاكَ وَ زَادَ مَكَانَتُكَ لَدَيْهِ وَ اَمَانَتُكَ عِنْدَهٗ وَ اَهْلِيَّتُكَ لِحِفْظِ الْاَسْرَارِ عَلِمْتَ مَتٰى يَاتِيْكَ قِسْمُكَ قَبْلَ حِيْنِهٖ كَرَامَةً لَّكَ وَ اِجْلَالًا لِحُرْمَتِكَ فَضْلًا مِّنْهُ عَزَّ وَ جَلَّ وَ مِنَّةً وَّ هِدَايَةً، قَالَ اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ:

﴿وَ جَعَلْنَا مِنْهُمْ اَئِمَّةً يَّهْدُوْنَ بِاَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوْا﴾. [السجدة، رقم السورة:٣٢،رقم الآية:٢٤]

وَ قَالَ:﴿وَالَّذِيْنَ جَاهَدُوْا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت، رقم السورة:٢٩،رقم الآية:٦٩]، وقال تعالىٰ: وَاتَّقُوا اللهَ وَ يُعَلِّمُكُمُ اللهُ. [البقرة:٢/ ٢٨٢]

ثُمَّ يُرَدُّ إِلَيْكَ التَّكْوِيْنُ فَتُكَوِّنُ بِالْإِذْنِ الصَّرِيْحِ الَّذِيْ لَا غُبَارَ

عَلَيْهِ وَالدَّلَالَاتِ اللَّائِحَةِ كالشَّمْسِ المُنِيْرَةِ بِكَلَامٍ لَذِيْذٍ اَلَذُّ مِنْ كُلِّ لَذِيْذٍ، وَ اِلْهَامٍ صِدْقٍ مِنْ غَيْرِ تَلْبِيْسٍ مُصَفي مِنْ هَوَاجِسِ النَّفْسِ وَ وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ اللَّعِيْنِ. قَالَ اللهُ تَعَالٰى فِي بَعْضِ كُتُبِهٖ:"يَا ابْنَ آدَمَ اَنَا اللهُ الَّذِيْ لَا اِلٰهَ اِلَّا اَنَا اَقُوْلُ لِلشَّيْءِ كُنْ فيكُوْنُ اَطِعْنِيْ اَجْعَلْكَ تَقُوْلُ لِلشَّيْءِ كُنْ فيكُوْنُ" وَ قَدْ فَعَلَ ذٰلِكَ بِكَثِيْرٍ مِّنْ اَنْبِيَائِهٖ وَ اَوْلِيَائِهٖ وَ خَوَاصِّهٖ مِنْ بَنِيْ آدَمَ.

«فَتَعْرِفُ» حقيقة ذلك القسم و منشأ وصوله إليك «وَ تَعْلَمُ» أنه فضل منه إليك «فيزِيْدُكَ» ربك «خُرُوْجًا عَنِ الْخَلْقِ وَ بُعْدًا مِنَ الْأنَامِ، وَ خَلوالْبَاطِنِ مِمَّا سِوَاهُ عَزَّ وَ جَلَّ، ثُمَّ إِذَا قَوِيَ عِلْمُكَ وَ يَقِيْنُكَ، وَ شَرْحُ صَدْرِكَ، وَ نُوْرُ قَلْبِكَ، وَ زَادَ قُرْبُكَ مِنْ مَوْلَاكَ» الَّذِيْ أولاك بهذه النعمة العظمى «وَ زَادَ مَكَانَتُكَ» وقرارك «لَدَيْهِ» تعالٰى «وَ اَمَانَتُكَ عِنْدَهٗ، وَ اَهْلِيَّتُكَ» و قابليتك «لِحِفْظِ الْأَسْرَارِ» الإلهي «عَلِمْتَ» بتعليم الله تعالٰى إياك العلم الغيبيَّ «مَتٰى يَاتِيْكَ قِسْمُكَ» أي علمت وقت إتيان قسمك «قَبْلَ حِيْنِهٖ» و وصول ذلك القسم إليك «كَرَامَةً لَّكَ، وَ اِجْلَالًا لِحُرْمَتِكَ فَضْلًا مِّنْهُ عَزَّ وَ جَلَّ وَ مِنَّةً وَّ هِدَايَةً» منه إليك.

قَالَ اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ:

«وَ جَعَلْنَا مِنْهُمْ اَئِمَّةً يَّهْدُوْنَ» الناس «بِاَمْرِنَا» في ظاهر الشريعة للعوام، و باطنها للخواص «لَمَّا صَبَرُوْا»

على أوامرنا و قضائنا التي قدرناها عليهم،«و كانوا بأيتنا يوقنون» فلا يضطرب بواطنهم بما يخالف طبايعهم و في هذه الآية الكريمة وعد و تسلية و إرشاد لهذه الأمة المرحومة.

«وَقَالَ» تَعَالٰى فِي سُوْرَةِ الْعَنْكَبُوْتِ:

«وَالَّذِيْنَ جَاهَدُوْا» بالصدق واليقين «فينَا» أي في حقنا و من أجلنا و لوجهنا خالصا «لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا»

وَ قَالَ عَزَّ وَ جَلَّ:

وَاتَّقُوا اللهَ ۖ وَ يُعَلِّمُكُمُ اللهُ ۖ وَاللهُ بِكُلِّ شيء عَلِيْمٌ.[البقرة،رقم السورة:٢، رقم الآية:٢٨٢]

فإن الله تعالى أشارفي الآية الكريمة إلى أنه يعلمكم تعليما يليق بعلمه، و أنه عليم بكل شيء، فيعلمكم تعليم كل شيء على قدر استعدادكم، فإن عِلْمَ كل شيء أيضا له وجوه، فباعتبار تلك الوجوه يتفاوت درجات الخواص؛ فإن الله تعالى علم آدم عليه السلام الأسماء كلها سوى علم الذات، و علَّم رسول الله صلى الله تعالى عليه و على آله و صحبه و سلم علمَ الأسماء والصفات والذات.

«ثُمَّ يُرَدُّ» أي بعد ما رفع الله تعالى لك بهذه الرتبة «يُرَدُّ اِلَيْكَ التَّكْوِيْنُ» أي تكوين الأشياء «فَتُكَوِّنُ» الأشياء لا منك بل «بِالْاِذْنِ الصَّرِيْحِ» من ربك الَّذِيْ أنعم عليك بإيجادك و إفنائك فيه و إبقائك به «الَّذِيْ لَا غُبَارَ عَلَيْهِ» حتى يوهم فيه تلبيس النفس و تسويل الشيطان «وَالدَّلَالَاتِ اللَّائِحَةِ كالشَّمْسِ الْمُنِيْرَةِ بِكَلَامٍ لَذِيْذٍ اَلَذُّ مِنْ كُلِّ لَذِيْذٍ» لأن كل لذيذ أثر من آثاره «وَ اِلْهَامِ صِدْقٍ مِنْ غَيْرِ تَلْبِيْسٍ» من وهم و خيال و نفس و شيطان «مُصَفى مِنْ هَوَاجِسِ النَّفْسِ» و تخيلاتها و توهماتها «وَ وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ اللَّعِيْنِ» بألطاف الملك الرحمن المعين، و هذا ليس بحكم مخترع بل ممايثبت في الكتب الإلهية.

«قَالَ اللهُ تَعَالٰى فِي بَعْضِ كُتُبِهٖ» المنزلة على بعض أنبيائه عليهم السلام: «يَا ابْنَ آدَمَ اَنَا اللهُ الَّذِيْ لَا اِلٰهَ اِلَّا اَنَا اَقُوْلُ لِلشَّيْءِ كُنْ فيكُوْنُ أَطِعْنِيْ اَجْعَلْكَ تَقُوْلُ لِلشَّيْءِ كُنْ فيكُوْنُ».

و قد نقلنا في المقالة الرابعة عشرعن الشيخ الموحد سند الموحدين الشيخ محيي الدين بن العربي أنه قال في الفتوحات المكية: لم يَرِدْ نَصٌّ في مخلوق أنه أعطي كن سوى الإنسان خاصة.«وَ قَدْ فَعَلَ» الله سبحانه «ذٰلِكَ» أي رد أمر التكوين «بِكَثِيْرٍ مِّنْ اَنْبِيَائِهٖ وَ اَوْلِيَائِهٖ وَ خَوَاصِّهٖ مِنْ بَنِىْ آدَمَ» عليهم السلام من الملك العليم العلام إلى يوم القيام.

اللّٰهم يا واجب الوجود، و يا واهب الخير والجود أفض علينا أنوار حسن الأحوال، و ارزقنا المشاهدة في الأقوال والأفعال في جميع الحال.

اَلْمَقَالَةُ السَّابِعَةُ عَشَرَ

فِي بَيَانِ مَعْنَى الْوُصُوْلِ إلى الله تَعَالٰى

قَالَ رَضِيَ الله تَعَالٰى عَنْهُ وَ اَرْضَاهُ عَنَّا: اِذَا وَصَلْتَ إلى الله قُرِّبْتَ مِنْهُ بِتَقْرِيْبِهٖ وَ تَوْفِيقِهٖ، وَ مَعْنَى الْوُصُوْلِ إلى الله عَزَّ وَ جَلَّ خُرُوْجُكَ عَنِ الْخَلْقِ وَالْهَوٰى وَالْإِرَادَةِ وَالْمُنٰى، وَالثُّبُوْتُ مَعَ فِعْلِهٖ عَزَّ وَ جَلَّ مِنْ غَيْرِ اَنْ يَّكُوْنَ مِنْكَ حَرَكَةٌ فيكَ، وَ لَا فِي خَلْقِهٖ بِكَ بَلْ بِحُكْمِهٖ وَ اَمْرِهٖ وَ فِعْلِهٖ فَهِيَ حَالَةُ الْفَنَاءِ يُعَبَّرُ عَنْهَا بِالْوُصُوْلِ، فَالْوُصُوْلُ إلى الله عَزَّ وَ جَلَّ لَيْسَ كَالْوُصُوْلِ اِلٰى اَحَدٍ مِنْ خَلْقِهٖ الْمَعْقُوْلِ الْمَعْهُوْدِ. ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهٖ شيءٌ ج وَ هُوَالسَّمِيْعُ الْبَصِيْرُ﴾ [الشورى،رقم السورة:٤٢،رقم الآية:١١]

جَلَّ الْخَالِقُ اَنْ يُّشَبَّهَ بِمَخْلُوْقِهٖ اَوْ يُقَاسَ عَلٰى مَصْنُوْعِهٖ فَالْوُصُوْلُ اِلَيْهِ مَعْرُوْفٌ عِنْدَ اَهْلِ الْوُصُوْلِ بِتَعْرِيْفِهٖ عَزَّ وَ جَلَّ لَهُمْ كُلٌّ وَاحِدٍ عَلٰى حِدَةٍ لَا يُشَارِكُ فيهِ غَيْرُهٗ، اِذْ لَهٗ عَزَّ وَ جَلَّ مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِّنْ رُّسُلِهٖ وَ اَنْبِيَائِهٖ وَ اَوْلِيَائِهٖ سِرٌّ مِنْ حَيْث لَا يَطَّلِعُ عَلٰى ذٰلِكَ اَحَدٌ غَيْرُهٗ حَتّٰى اِنَّهٗ قَدْ يَكُوْنُ لِلْمُرِيْدِ سِرٌّ لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ شَيْخُهٗ، وَ لِلشَّيْخِ سِرٌّ لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ مُرِيْدُهُ الَّذِيْ قَدْ دَنَا سَيْرُهٗ اِلٰى عُتْبَةِ بَابِ حَالَةِ شَيْخِهٖ.

«قَالَ رَضِيَ الله تَعَالٰى عَنْهُ وَ اَرْضَاهُ عَنَّا: اِذَا وَصَلْتَ» أيها الطالب «إلى الله تعالى قُرِّبْتَ مِنْهُ» تعالى «بِتَقْرِيْبِهٖ» تعالى إياك «وَ تَوْفِيقِهٖ» تعالى إياك للأسباب المؤدية إلى وصوله تعالى «وَ مَعْنَى الْوُصُوْلِ إلى الله عَزَّ وَ جَلَّ خُرُوْجُكَ» أيهاالسالك «عَنِ الْخَلْقِ وَالْهَوٰى وَالْإِرَادَةِ وَالْمُنٰى» بل لا يخطر ببالك شيء من الأشياء و لا ترى في الشهود إلا فعله تعالى «وَالثُّبُوْتُ مَعَ فِعْلِهٖ عَزَّ وَ جَلَّ» و إرادته

تعالىٰ «مِنْ غَيْرِ أَنْ يَّكُوْنَ مِنْكَ حَرَكَةٌ» لا «فيكَ وَ لَا فِي خَلْقِهٖ بِكَ بَلْ» إن وجدت حركة منك فاعلم أنها «بِحُكْمِهٖ وَ أَمْرِهٖ وَ فِعْلِهٖ» تعالىٰ بك «فَهِيَ حَالَةُ الْفَنَاءِ يُعَبَّرُ عَنْهَا بِالْوُصُوْلِ» فظهرأن الوصول إليه تعالىٰ عبارة عن الفناء عن كل الأشياء، والبقاء برب الأرض «فَالْوُصُوْلُ إلى اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ لَيْسَ كَالْوُصُوْلِ اِلٰى اَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ الْمَعْقُوْلِ» الَّذِيْ تعقله العقول «الْمَعْهُوْدِ» الَّذِيْ تدركه الفهوم والعقول من قطع مسافة بينهما، و اتصال جسم بجسم، تعالىٰ الله عن ذلك علوا كبيرا، كيف و هذا يقتضي المثلية بينه تعالىٰ و بين المخلوقات، و هو عز و جل منزه عن ذلك كما أخبر عنه في محكم كتابه:

«لَيْسَ كَمِثْلِهٖ شيء ج وَ هُوَالسَّمِيْعُ» لجميع المسموعات «الْبَصِيْرُ» لجميع المبصَرات.وليس كذلك شيء من المخلوقات حتى يثبت المثلية بينه و بين خالق الأرض والسموات «جَلَّ الْخَالِقُ» سبحانه «أنْ يُّشَبَّهَ بِمَخْلُوْقِهٖ» أي مخلوق كان «اَوْ يُّقَاسَ» الخالق تعالىٰ «عَلٰى مَصْنُوْعِهٖ» تعالَى الله عن ذلك علواكبيرا. و إن لم يعرف الوصول إليه كل جاهل «فَالْوُصُوْلُ اِلَيْهِ مَعْرُوْفٌ عِنْدَ أَهْلِ الْوُصُوْلِ» والقرب «بِتَعْرِيْفِهٖ عَزَّ وَ جَلَّ لَهُمْ» و ليس التعريف للجميع على نهج واحد؛ لأن تعريف «كُلٌّ وَاحِدٍ» من أهل القرب والوصول «عَلٰى حِدَةٍ لَا يُشَارِكُ فيهِ غَيْرُهٗ إِذْ لَهٗ عَزَّ وَ جَلَّ مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِّنْ رُّسُلِهٖ وَ اَنْبِيَائِهٖ وَ اَوْلِيَائِهٖ» عليهم السلام «سِرٌّ» و خصوصية «مِنْ حَيْثُ لَا يَطَّلِعُ عَلٰى ذٰلِكَ أَحَدٌ غَيْرُهٗ» تعالىٰ «حَتّٰى اِنَّهٗ» أي الشأن «قَدْ يَكُوْنُ لِلْمُرِيْدِ سِرٌّ لا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ» أي على ذلك السر «شَيْخُهٗ» مع أنه معلوم أن الشيخ أعلىٰ حالا، و أسرع سيرا من المريد «وَ لِلشَّيْخِ سِرٌّ لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ مُرِيْدُهُ الَّذِيْ قَدْ دَنَا سَيْرُهٗ اِلٰى عُتْبَةِ بَابِ حَالَةِ شَيْخِهٖ» أو يضع رأسه على قدمه، والسرفي ذلك أي في أن تعريف كل من المقربين على هذه لا يشارك فيه غيره أن الحق سبحانه لم يتجل بتجلي واحد مرتين، و لا في صورة واحدة لاثنين بإجماع القوم على ما نقل في الرسالة المسماة بالمشاهدات المحمدية عليه الصلوة والتحية.

فإن قلت: يلزم من عدم تكرار التجلي أن لا يكون الفاني بعينه معادا، و ذلك

يستلزم الفساد من وجهين:

أحدهما: استحالة الجزاء؛ لأن الفاعل في وقت الفعل غيره في وقت الجزاء فلا يكون الجزاء على الفاعل.

و ثانيهما: نفي حشر أجساد الثابتة بالنصوص القطعية من الكتاب والسنة والإجماع.

قلنا: مبنى ثبوت الأمرين المذكورين إنما هو اتحاد الذات والحقيقة، و ذا لا ينافي الاختلاف في الصور والأحوال يعني ذاته في الوقتين واحد، والتغيير إنما هو في الصورة، و ذا لا يخالف، النصوص أيضًا شاهدة لذلك كما روي عن النبي صلى الله تعالى عليه و على آله و صحبه و سلم:

إن العجوز لايدخل الجنة.[1]

وإن ضرس الكافر مثل الأحد.[2]

فإن قلت: ما قال قدس سره من عدم إطلاع المريد على حال الشيخ فصحيح لدنو سره إلى عتبة بابه، و أما الشيخ فإذا لم يعرف حال المريد فكيف يكمله؟

قلنا: إن الشيخ يطلع على كليات المراتب مثلا يعلم أن المريد في مرتبة الوله، أو الحيرة، أو الدهشة، أو المشاهدة، أوالمكاشفة، أوالتسليم، أوالرضاء، و إن لوازم هذه المراتب كذا، و كذا و لا يعلم خصوصية كل له في كل مرتبة من الأسرار، فيمكن أن يكمله و يخلصه من التقييدات في المراتب، و عدم الإطلاع على خصوصيات الجزئيات لا ينافي ذلك. والله تعالى أعلم بحقيقة الحال والكاشف لجليات المقال. اللّٰهم حَوِّل حالَنا إلى أحسن الأحوال.

فَإِذَا بَلَغَ الْمُرِيْدُ حَالَةَ شَيْخِهِ أُفْرِدَ عَنِ الشَّيْخِ وَ قُطِعَ عَنْهُ

(1) رواه الترمذي في الشمائل، في باب مزاح رسول الله صلى الله عليه وسلم برقم:٢٤٠، ونصه: "إن الجنة لا تدخلها عجوز"

(2) رواه الترمذي في سننه في كتاب صفة جهنم،باب ماجاء في عظم أهل النار ، برقم:٢٥٧٧، ونصه: "إن غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعا، وإن ضرسه مثل أحد"، ورواه الحاكم وصححه، وهو رواية لأحمد بإسناد جيد. المشاهدي

فيتَوَلَّاهُ الْحَقّ فيفطِمُهُ عَنْ رِضَاعَةِ الْخَلْقِ جُمْلَةً فيكُوْنُ الشَّيْخُ كَالظِّيْرِ وَالدَّايَةِ اِذْ لَا رَضَاعَ بَعْدَ الْحَوْلَيْنِ وَ لَا خَلْقَ بَعْدَ زَوَالِ الْهَوٰى وَالْاِرَادَةِ اِذِ الشَّيْخُ يُحْتَاجُ اِلَيْهِ مَادَامَ ثَمَّ هَوًى وَ اِرَادَةٌ لِكَسْرِهِمَا اَمَّا بَعْدَ زَوَالِهِمَا فَلَا لِاَنَّهٗ لَا كَدُوْرَةَ وَ لَا نُقْصَانَ فَاِذَا وَصَلْتَ اِلَى الْحَقّ عَلٰى مَا بَيَّنَّا فَكُنْ اٰمِنًا اَبَدًا مِمَّا سِوَاهُ عَزَّ وَ جَلَّ فَلَا تَرٰى لِغَيْرِهٖ وُجُوْدًا اَلْبَتَّةَ لَا فِي الضُّرِّ وَ لَا فِي النَّفْعِ وَ لَا فِي الْعَطَاءِ وَ لَا فِي الْمَنْعِ وَ لَا فِي خَوْفٍ وَ لَا رَجَاءٍ بَلْ هُوَ عَزَّ وَ جَلَّ اَهْلُ التَّقْوٰى وَ اَهْلُ الْمَغْفِرَةِ.

«فَاِذَا بَلَغَ الْمُرِيْدُ حَالَةَ شَيْخِهٖ» الَّذِيْ يتابعه في أحواله و مقاماته «اُفْرِدَ عَنِ الشَّيْخِ، وَ قُطِعَ عَنْهُ فيتَوَلَّاهُ الْحَقُّ» سبحانه «فيفْطِمُهُ عَنْ رَضَاعَةِ الْخَلْقِ جُمْلَةً» أي جميعا «فيكُوْنُ الشَّيْخُ كَالظِّيْرِ وَالدَّايَةِ» لذلك المريد الكامل «إِذْ لَا رِضَاعَ بَعْدَ الْحَوْلَيْنِ» كما ينطق به قوله تعالىٰ:

وَالْوَالِدٰتُ يُرْضِعْنَ اَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ اَرَادَ اَنْ يُّتِمَّ الرَّضَاعَةَ.[البقره،رقم السورة:٢،رقم الآية:٢٣٣]

«وَلَا خَلْقَ» منظور نظر المريد «بَعْدَ زَوَالِ الْهَوٰى وَالْإِرَادَةِ» عنه فإن ذهابهما إنما يكون بعد حصول الفناء، فإذا حصل الفناء لا يرى في الوجود إلا وجود الحق سبحانه، و لا في الشهود إلا شهوده، ثم لا يستبعد استغناء المريدعن الشيخ بعدكماله «اِذِ الشَّيْخُ يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مَادَامَ ثَمَّ» أي في المريد «هَوًى وَ إِرَادَةٌ لِكَسْرِهِمَا» و إزا لتهما عن المريد «أَمَّا بَعْدَ زَوَالِهِمَا فَلَا» احتياج إليه للمريد أصلا «؛لِأَنَّهٗ لَا كَدُوْرَةَ وَ لَا نُقْصَانَ» الحاصلين من الهوى في المريد «فَإِذَا وَصَلْتَ» أيها المريد «إِلى الْحَقِّ» تعالىٰ «عَلٰى مَا بَيَّنَّا» من أنه تعالىٰ يعرف كل واحد من المقربين بوجه خاص لا يشارك فيه غيره «فَكُنْ» أنت «اٰمِنًا» أي آمنا أو ذا أمن أو من باب المبالغة «اَبَدًا مِمَّا سِوَاهُ عَزَّ وَ جَلَّ فَلَا تَرٰى لِغَيْرِهٖ وُجُوْدًا اَلْبَتَّةَ لَا فِي» حصول «الضُّرِّ، وَ لَا فِي» حصول «النَّفْعِ، وَ لَا فِي» حصول «الْعَطَاءِ، وَ لَا فِي» حصول

«الْمَنْعِ، وَ لَا فِي» حصول «خَوْفٍ، وَ لَا رَجَاءٍ بَلْ هُوَ عَزَّ وَ جَلَّ اَهْلُ التَّقْوٰى وَ اَهْلُ الْمَغْفِرَةِ» كما قال تعالىٰ

وَ مَا يَذْكُرُوْنَ اِلَّآ اَنْ يَّشَآءَ اللهُ ط هُوَ اَهْلُ التَّقْوٰى وَ اَهْلُ الْمَغْفِرَةِ. [المدثر،رقم السورة:٧٤، رقم الآية:٥٦]

روى الإمام أحمد والترمذي في تفسيره: هو أهل أن يتقى فلايجعل معه إله، و أهل أن يغفر لمن اتقى أن يجعل معه إلها.

فكُنْ اَبَدًا نَاظِرًا اِلٰى فِعْلِهٖ مُتَرَقِّبًا لِاَمْرِهٖ مُشْتَغِلًا بِطَاعَتِهٖ مُبَايِنًا مِنْ جَمِيْعِ خَلْقِهٖ دُنْيَا وَ اُخْرٰى لَا تُعَلِّقْ قَلْبَكَ بِشَيْءٍ مِّنْ خَلْقِهٖ وَاجْعَلِ الْخَلِيْقَةَ اَجْمَعَ كَرَجُلٍ كَتَفَهٗ سُلْطَانٌ عَظِيْمٌ مُلْكُهٗ، شَدِيْدٌ اَمْرُهٗ، مَهُوْلَةٌ صَوْلَتُهٗ وَ سَطْوَتُهٗ، ثُمَّ جَعَلَ الْغُلَّ فِي رَقَبَتِهٖ مَعَ رِجْلَيْهِ ثُمَّ صَلَبَهٗ عَلٰى شَجَرَةِ الْاَرْزِّ عَلٰى شَاطِئِ نَهْرٍ عَظِيْمٍ مَوْجُهٗ، فَسِيْحٍ عَرْضُهٗ،عَمِيْقٍ غَوْرُهٗ، شَدِيْدٍ جَرْيُهٗ ثُمَّ جَلَسَ السُّلْطَانُ عَلٰى كُرْسِيٍّ عَظِيْمٍ قَدْرُهٗ، عَالٍ سَمَاؤُهٗ، بَعِيْدٍ مَرَامُهٗ وَ وُصُوْلُهٗ، وَ تَرَكَ اِلٰى جَنْبِهٖ اَحْمَالًا مِنَ السِّهَامِ وَالرِّمَاحِ وَالنَّبْلِ وَ اَنْوَاعِ السِّلَاحِ وَالْقِسِيِّ مِمَّا لَا يَبْلُغُ قَدْرَهَا غَيْرُهٗ فَجَعَلَ يَرْمِيْ اِلَى الْمَصْلُوْبِ بِمَا شَاءَ مِنْ ذٰلِكَ السِّلَاحِ فَهَلْ يَحْسُنُ لِمَنْ رَاٰى ذٰلِكَ اَنْ يَّتْرُكَ النَّظْرَ اِلَى السُّلْطَانِ وَ يَتْرُكَ الْخَوْفَ مِنْهُ وَالرَّجَاءَ لَهٗ وَ يَخَافُ مِنَ الْمَصْلُوْبِ وَ يَرْجُوْ مِنْهُ اَ لَيْسَ مَنْ فَعَلَ ذٰلِكَ يُسَمّٰى فِي قَضِيَّةِ الْعَقْلِ عَدِيْمَ الْعَقْلِ وَ الْحِسِّ مَجْنُوْنًا بَهِيْمَةً غَيْرَ اِنْسَانٍ، فَنَعُوْذُ بِاللهِ مِنَ الْعَمٰى بَعْدَ الْبَصِيْرَةِ، وَالْقَطِيْعَةِ بَعْدَ الْوُصُوْلِ، وَالصُّدُوْدِ بَعْدَ الدُّنُوِّ وَ الْقُرْبِ وَالضَّلَالَةِ بَعْدَ الْهِدَايَةِ، وَالْكُفْرِ بَعْدَ الْاِيْمَانِ.

«فَكُنْ» إذا عرفت أيها الطالب الموفق هذا المذكور فكن «اَبَدًا» في جميع أحوالك «نَاظِرًا اِلٰى فِعْلِهٖ» تعالىٰ لا إلىٰ فعل غيره «مُتَرَقِّبًا لِاَمْرِهٖ، مُشْتَغِلًا بِطَاعَتِهٖ،

مُبَايِنًا مِنْ» شهود «جَمِيْعِ خَلْقِهِ دُنْيَا وَ أُخْرٰى لَا تُعَلِّقْ قَلْبَكَ» بالمودة والألفة والأنس «بِشَيْءٍ مِّنْ خَلْقِهِ» إذ لا بقاء على أرض الوجود لغيره،

كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ. وَّ يَبْقٰى وَجْهُ رَبِّكَ ذُوالْجَلٰلِ وَالْإِكْرَامِ.[الرحمن، رقم السورة:٥٥، رقم الآية:٢٦-٢٧]

كما حكي عن بعض العارفين أنه كان يعبر عليه أولاده في داره فيقول: من هٰولاء، و أولاد من هٰولاء، فيقال له: أولادك فكان لا يعرفهم حتى يُعَرَّف بهم لاشتغاله بمولاه، فهٰولاء قوم شغلهم الله تعالٰى به عن كل شيء فلم يشغلهم عنه شيء أذ هل عقولهم عظمته و أدهش نفوسَهم هيبتُه فاستقرفي أسرارهم وُدُّه و محبته جعلنا الله تعالٰى منهم و لا أخرجنا عنهم «وَاجْعَلْ الـخَلِيْفَةَ» أي خلقه «اَجْمَعَ كَرَجُلٍ كَنَفَهُ» أي حفظه «سُلْطَانٌ عَظِيْمٌ مُلْكُهُ» كثير فلكه «شَدِيْدٌ أَمْرُهُ» رفيع قدره «مَهُوْلَةٌ صَوْلَتُهُ وَ سَطْوَتُهُ» هائلة شوكته و شكيمته «ثُمَّ جَعَلَ الْغُلَّ فِي رَقَبَتِهٖ مَعَ رِجْلَيْهِ ثُمَّ صَلَبَهُ عَلٰى شَجَرَةِ الْاَرُزِّ» الَّذِيْ لا تحركه الرياح في القاموس الأرز و بضم شجرة الصنوبر «عَلٰى شَاطِئِ نَهْرٍ عَظِيْمٍ مَوْجُهُ، فَسِيْحٍ» أي وسيع «عَرْضُهُ، عَمِيْقٍ غَوْرُهُ» أي قعره «شَدِيْدٍ جَرْيُهُ، ثُمَّ جَلَسَ السُّلْطَانُ عَلٰى كُرْسِيٍّ عَظِيْمٍ قَدْرُهُ، عَالٍ سَمَاؤُهُ» أي رفعته و علامته «بَعِيْدٍ مَرَامُهُ» أي قصده «وَ وُصُوْلُهُ، وَ تَرَكَ» ذلك السلطان «إِلٰى جَنْبِهٖ اَحْمَالًا» أثقالا «مِنَ السِّهَامِ وَالرِّمَاحِ وَالنَّبْلِ» أي النصال، و في بعض النسخ: الطبل و هو معروف «وَ أَنْوَاعِ السَّلَاحِ وَالْقِسِيِّ» جمع قوس «مِمَّا لَا يَبْلُغُ قَدْرَهَا غَيْرُهُ» أي غير ذلك السلطان العظيم الشأن «فَجَعَلَ» أي شرع السلطان «يَرْمِيْ إلى» ذلك «الْمَصْلُوْبِ بِمَا شَاءَ مِنْ ذٰلِكَ السَّلَاحِ، فَهَلْ يَحْسُنُ لِمَنْ رَاٰى ذٰلِكَ» المذكورَ من حال المصلوب المهان، و حال السلطان الرفيع المكان «أنْ يَتْرُكَ النَّظْرَ إلى السُّلْطَانِ، وَ يَتْرُكَ الْخَوْفَ مِنْهُ وَالرَّجَاءَ لَهُ» أي منه استعير اللام لِمِنْ، والاستعارة في الحروف شائع، و يدل عليه «وَ يَخَافُ مِنَ الْـمَصْلُوْبِ، وَ يَرْجُوْ مِنْهُ أَلَيْسَ مَنْ فَعَلَ ذٰلِكَ» الفعل الشنيع «يُسَمّٰى في قَضِيَّةِ الْعَقْلِ عَدِيْمَ الْعَقْلِ وَ» في قضية «الْحِسِّ مَجْنُوْنًا بَهِيْمَةً غَيْرَ اِنْسَانٍ فَنَعُوْذُ بِاللهِ مِنَ الْعَمٰى بَعْدَ الْبَصِيْرَةِ،

وَالْقَطِيْعَةِ بَعْدَ الْوُصُوْلِ، وَالصُّدُوْدِ» أي البعد «بَعْدَ الدُّنُوِ، وَ الْقُرْبِ وَالضَّلَالَةِ بَعْدَ الْهِدَايَةِ، وَالْكُفْرِ بَعْدَ الْإِيْمَانِ» والحور بعد الكور، والثبور بعد السرور، والظلمة بعد النور، والارتياب بعد كشف الحجاب.

فَالدُّنْيَا كَالنَّهْرِ الْعَظِيْمِ الْجَارِى الَّذِيْ ذَكَرْنَاهُ كُلَّ يَوْمٍ فِي زِيَادَةٍ مَائُهَا وَ هي شَهْوَاتُ بَنِىْ آدَمَ في الدنيا وَ لَذَّاتُهُمْ فِيْهَا، وَالدَّوَاهِيْ الَّتِيْ تُصِيْبُهُمْ مِنْهَا وَ امَّا السِّهَامُ وَ اَنْوَاعُ السِّلَاحِ فَالْبَلَايَا التي يَجْرِىْ بِهَا الْقَدْرُ اِلَيْهِمْ فَالْغَالِبُ عَلٰى بَنِيْ آدَمَ في الدُّنْيَا الْبَلَايَا وَالنَّقْصَ وَالْآلَامُ وَالْمِحَنُ، وَ مَا يَجِدُوْنَ مِنَ النَّعِيْمِ وَاللَّذَّاتِ فَمَشُوْبَةٌ بِالْآفَاتِ اِذَا اعْتَبَرَهَا كُلُّ عَاقِلٍ لَا حَيٰوةَ لَهٗ اِلَّا في الْآخِرَةِ اِنْ كَانَ مَوْقِنًا كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الآخِرَةِ" خُصُوْصًا ذٰلِكَ في حَقِّ الْمُؤْمِنِ

كَمَا قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلٰوةُ وَالسَّلَامُ: "لَا رَاحَةَ لِلْمُؤْمِنِ مِنْ غَيْرِ لِقَاءِ اللهِ".

وَ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلٰوةُ وَالسَّلَامُ: "اَلدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَ جَنَّةُ الْكَافِرِ".

وَ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلٰوةُ وَالسَّلَامُ: "اَلتَّقِيُّ مُلْجِمٌ". وَ مَعَ هٰذِهِ الْأَخْبَارِ وَ الْعَيَانِ كَيْفَ يُدَّعٰى طِيْبُ عَيْشٍ فِي الدُّنْيَا فَالرَّاحَةُ كُلُّ الرَّاحَةِ فِي الْإِنْقِطَاعِ إِلَى اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ مُوَافَقَتِهٖ وَالْإِسْتِطْرَاحِ بَيْنَ يَدَيْهِ فيكُوْنُ الْعَبْدُ بِذٰلِكَ خَارِجًا مِنَ الدُّنْيَا فَحِيْنَئِذٍ يَكُوْنُ الذُّلُّ رَافَةً وَ رَاحَةً وَ لُطْفًا وَ صَدَقَةً وَفَضْلًا.

«فَالدُّنْيَا كَالنَّهْرِ الْعَظِيْمِ الْجَارِي الَّذِيْ ذَكَرْنَاهُ كُلَّ يَوْمٍ فِي زِيَادَةٍ مَائُهَا، وَ هِيَ شَهْوَاتُ بَنِيْ آدَمَ» في الدنيا «وَلَذَّاتُهُمْ فِيْهَا وَالدَّوَاهِيْ الَّتِيْ تُصِيْبُهُمْ» تلك اللذات «مِنْهَا» أي من الدنيا. و أما الرجل المحبوس فهوالخلق كله، وأما التقييد بالغل في العنق والرِّجل فهي إرادة الحق تعالىٰ في حقهم «وَ اَمَّا السَّهَامُ وَ أَنْوَاعُ السَّلَاحِ

فَالْبَلَايَا الَّتِيْ يَجْرِيْ بِهَا الْقَدْرُ إِلَيْهِمْ، فَالْغَالِبُ عَلٰى بَنِيْ آدَمَ فِي الدُّنْيَا الْبَلَايَا وَالنَّقْصَ» في النفس والمال «وَالْآلَامُ» النفسية والقربتية والمالية «وَالْمِحَنُ» فالخوف من الخلق والرجاء منه لامن الله تعالىٰ كالخوف من ذلك الرجل المصلوب لا من ذلك الملك العظيم، والفاعل لهذا الفعل يعدُّ في قضية العقل عديم العقل كما يعد ذلك كذلك هناك، و لما كان هنامظنة أنه في الدنيا كما يوجد الآلام يوجد النعيم أيضًا دفعه قدس سره بقوله «وَ مَا يَجِدُوْنَ مِنَ النَّعِيْمِ وَاللَّذَّاتِ فَمَشُوْبَةٌ» أي مخلوطة «بِالْآفَاتِ إِذَا اعْتَبَرَهَا كُلُّ عَاقِلٍ لَا حَيٰوةَ لَهُ إِلَّا فِي الْآخِرَةِ إِنْ كَانَ» المعتبر «مَوْقِنًا» بالآخرة «كَمَا قَال النَّبِيُّ صلى الله تعالىٰ عليه» و على آله و صحبه «وسلم» يوم الخندق حين رأى الصحابة رضوان الله تعالىٰ عنهم في محنة جوع و مشقة حفر و شدة خوف من الأعداء «لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَةِ». اغفراللّٰهم الأنصار والمهاجرة.[1] رواه البخاري

ثم ما ذكر من كون الغالب على بني آدم في الدنيا البلايا والنقص والآلام والمحن، و أن نعيمها و لذاتها مشوبة بالآفات إذا اعتبرها عاقل، حكم عام في حق المؤمن والكافر «خُصُوْصًا ذٰلِكَ» الحكم يوجد كثيرا «فِي حَقِّ الْمُؤْمِنِ»

«كَمَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلٰوةُ وَالسَّلَامُ: لَا رَاحَةَ لِلْمُؤْمِنِ مِنْ غَيْرِ لِقَاءِ اللهِ»

رواه محمد بن نضر في كتاب قيام الليل له عن وهب بن منبه بلفظ: ليس للمؤمن راحة دون لقائه.[2]

وَ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلٰوةُ وَالسَّلَامُ:

---

(1) لم نجد في الصحيح للبخاري. بهذا اللفظ، ونصه في باب: لا عيش إلاعيش الآخرة عن أنس رضي الله عنه: اللهم لا عيش إلاعيش الآخرة، فأصلح الأنصار والمهاجرة، برقم:٤٦١٣، وفي موضع من نفس الباب:فاغفرالأنصار والمهاجرة برقم:٦٤١٤. وفي باب البيعة في الحرب برقم:٢٩٦١:فأكرم الأنصار والمهاجرة، وانظر هكذا في باب دعا النبي صلى الله تعالىٰ عليه وسلم : أصلح الأنصار والمهاجرة برقم:٣٧٩٥،و،٣٧٩٦،و، ٣٧٩٧، وفي باب غزوة الخندق برقم: ٤٠٩٨،و،٤٠٩٩، محمود على المشاهدي

(2) انظر:المقاصد المحسنة فيما اشتهر على الألسنة، برقم:١٢٥٢، والزهد لأحمد بن حنبل، برقم:٨٤٣، وكذا ابن المبارك في الزهد برقم:١٧.

اَلدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَ جَنَّةُ الْكَافِرِ». رواه مسلم في صحيحه.[1]

و لا يشكل هذا بما يرى في الظاهر لبعض المؤمنين من التعيش لسعة الرزق، و صحة البدن، وكثرة الأولاد والحشم والخدم، وكثرة القبيلة، و لبعض الكفرة من ضيق المعيشة والآلام والأسقام البدنية بلا معين و لا نصير،لأن المراد أن الله تعالىٰ ما ادخر للمؤمن في الآخرة من الإنعام والإكرام والعيش الدائم في الجنة مما لا عين رأت، و لا أذن سمعت، و لا خطر على قلب بشرفمايوجد في الدنيا من العيش و إن كان كثيراً لكن بالنسبة إليه قليل بل لا نسبة لها إلى ذلك، و لهذا قيل: لو عرف المؤمن ما له من الكرامة والمنزلة عند الله تعالىٰ ليقول في كل لحظة و لمحة أمتني يا رب، أمتني، و أنه تعالىٰ ادخر للكافرمن العذاب والعقاب بأنواعها و أصنافها من سعير جهنم والزمهرير والزقوم والسلاسل والأغلال فما يوجد من الألم في الدنيا و إن كان كثيرا قليل بل راحة فصدق أن الدنيا سجن المؤمن بالنسبة إلى ما ادخر له في الآخرة، و جنة الكافر بالنسبة إلى ما ادخرله في الآخرة.

«وَ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلٰوةُ وَالسَّلَامُ: اَلتَّقِيُّ مُلْجِمٌ»[2] يعني المتقي محارب مع نفسه دائما، و بهذا المعنى قال صلى الله تعالىٰ عليه و على آله و صحبه: حين رجوعه من الغزوات: رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر.[3] و ذلك لأن العدو الخارجي يكون في وقت دون وقت، و يمكن الاحتراز عنه، والعدو الداخلي معه في كل وقت، و لا يمكن الاحتراز عنه إلا بكد و مشقة تامة سيما إذا كان محبوبا؛ فإنه لا يطلع على قبايحه و معاداته حتى يحترزعنه «وَ مَعَ هٰذِهِ الْأَخْبَارِ» الصحيحة الصادقة «وَ» مع هذا «الْعَيَانِ» الشاهد لمحنة الدنيا «كَيْفَ يُدَّعٰى طِيْبُ عَيْشٍ فِي الدُّنْيَا، فَالرَّاحَةُ كُلُّ الرَّاحَةِ» للحاذق الطالب الصادق «فِي الْإِنْقِطَاعِ إِلَى اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ»

---

(1) انظر الصحيح لمسلم، كتاب الزهد والرقاق، برقم:٢٩٥٦.

(2) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، التاسع والثلاثون من شعب الإيمان وهو باب في المطاعم، الفصل الثالث في طيب المطعم والملبس، برقم:٥٣٥٧.

(3) أخرجه البيهقي في الزهد برقم:٣٨٤، والخطيب في تاريخ بغداد ١٣/ ٤٩٣، وقال البيهقي: إسناده ضعيف.

من الخلق والنفس «وَ مُوَافَقَتِهٖ» تعالىٰ في إرادته و قدره «وَالْإِسْتِطْرَاحِ بَيْنَ يَدَيْهِ» تعالىٰ لحكمه، والرضاء بقضائه، والصبر على بلائه، والشكر على نعمائه «فيكُوْنُ الْعَبْدُ بِذٰلِكَ» الانقطاع والاستطراح «خَارِجًا مِنَ الدُّنْيَا» و آفاتها و محنها «فَحِيْنَئِذٍ» أي حين خرج من الدنيا و محنها «يَكُوْنُ الذُّلُّ» الظاهر الحاصل بقضاء الله تعالىٰ و قدره في نظر ذلك العبد المنقطع المستطرح نفسه لكونه رائيا جميع ما يصل إليه «رَافَةً وَ رَاحَةً» من الله تعالىٰ «وَ لُطْفًاوَ صَدَقَةً» أي إعطاء بغير عوض بل تفضلا «وَ فَضْلًا» من الله تعالىٰ.

جعلنا الله سبحانه ممن رضي عنهم و هم عنه راضون مع الذين لا خوف عليهم و لا هم يحزنون.

اَلْمَقَالَةُ الثَّامِنَةُ عَشَرَ

في النَّهْي عَنِ الشِّكْوٰى

قَالَ رَضِيَ الله تَعَالٰى عَنْهُ: اَلرَّضِيَّةُ اَنْ لَّا تَشْكُوَنَّ اِلٰى اَحَدٍ مَا نَزَلَ بِكَ مِنْ ضُرٍّ كَائِنًا مَنْ كَانَ صَدِيْقًا اَوْ عَدُوًّا، وَ لَا تَتَّهِمَنَّ الرَّبَّ عَزَّ وَ جَلَّ فِيمَا فَعَلَ بِكَ وَ اَنْزَلَ بِكَ مِنَ الْبَلَايَا، بَلْ اَظْهِرِ الْخَيْرَ وَالشُّكْرَ فَكِذْبُكَ بِاِظْهَارِ الشُّكْرِ مِنْ غَيْرِ نِعْمَةٍ عِنْدَكَ خَيْرٌ مِنْ صِدْقِكَ فِي اِخْبَارِكَ جِلْيَةَ الْحَالِ بِالشِّكْوٰى.

«قَالَ رَضِيَ الله تَعَالٰى عَنْهُ: اَلرَّضِيَّةُ» بمعنى الرضا بقضاء الله تعالٰى و قدره «اَنْ لَّا تَشْكُوَنَّ اِلٰى اَحَدٍ» من خلقه «مَا نَزَلَ بِكَ مِنْ ضُرٍّ» من الحوادث اليومية «كَائِنًا» ذلك الأحد «مَنْ كَانَ صَدِيْقًا» لك «أَوْ عَدُوًّا» لك بأن تظهر الكراهة من نفسك لما نزل أما مجرد إظهارها والإخبار عنها فلايعدونها شكوى «وَ لَا تَتَّهِمَنَّ الرَّبَّ عَزَّ وَ جَلَّ فِيمَا فَعَلَ بِكَ وَ أَنْزَلَ بِكَ مِنَ الْبَلَايَا» بأنه فعل غضبا عليك «لِيُخزِ يك بَلْ أَظْهِرِ الْخَيْرَ وَالشُّكْرَ» من نفسك للرب تعالٰى عند خلقه جبرا و قهرا، و إن لم يساعدك نفسك و لا تتركه بتخييل أنه كذب «فَكِذْبُكَ بِاِظْهَارِ الشُّكْرِ» بطريق جبرالنفس «مِنْ غَيْرِ نِعْمَةٍ» جديدة حاصلة «عِنْدَكَ» الان «خَيْرٌ مِنْ صِدْقِكَ فِي اِخْبَارِكَ» للخلق «جِلْيَةَ الْحَالِ» أي واقع الحال و حقيقته «بِالشِّكْوٰى» و إنما كان خيرا؛ لأنه موافق لمراد الله تعالٰى فإن رضاه في أن ترضى عنه مع أن تخييل الكذب غلط، فإن نعم الله تعالٰى على خلقه مفاضة فيضا كثيرا في كل حين و زمان.

مَنْ ذَا الَّذِيْ خَلٰى مِنْ نِعْمَةِ الله عَزَّ وَ جَلَّ؟ قَالَ الله تَعَالٰى: ﴿وَ اِنْ تَعُدُّوْا نِعْمَةَ الله لَا تُحْصُوْهَا﴾ [إبراهيم، رقم السورة:٣٤، رقم الآية:١٤]

فَكَمْ مِنْ نِعْمَةٍ عِنْدَكَ وَ أَنْتَ لَا تَعْرِفُهَا، لَا تَسْكُنْ إِلٰى اَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ، وَ لَا تَسْتَأْنِسْ بِهٖ، وَ لَا تُطْلِعْ اَحَدًا عَلٰى مَا أَنْتَ فيهِ بَلْ يَكُوْنُ أُنْسُكَ بِاللهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ سُكُوْنُكَ اِلَيْهِ وَ فِرَارُكَ وَ شِكْوَاكَ مِنْهُ وَ اِلَيْهِ لَا تَرَ ثَالِثًا؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ إِلٰى اَحَدٍ ضُرٌّ وَ لَا نَفْعٌ وَ لَا جَلْبٌ وَ لَا دَفْعٌ وَ لَا عِزٌّ وَ لَا ذِلٌّ وَ لَا رَفْعٌ وَ لَا خَفْضٌ وَ لَا فَقْرٌ وَ لَا غِنَاءٌ وَ لَا تَحْرِيْكٌ وَ لَا تَسْكِيْنٌ. الْاَشْيَاءُ كُلُّهَا خَلْقُ اللهِ تَعَالٰى بِيَدِ اللهِ تَعَالٰى وَ بِأَمْرِهٖ وَ اِذْنِهٖ جِرْيَانُهَا، وَ كُلٌّ يَّجْرِىْ لِأَجَلٍ مُّسَمًّى وَ كُلُّ شيءٍ عِنْدَهٗ بِمِقْدَارٍ لَا مُقَدِّمَ لِمَا اَخَّرَ وَ لَا مُؤَخِّرَ لِمَا قَدَّمَ. قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنْ يَّمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهٗ اِلَّا هُوَ وَ اِنْ يُّرِدْ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهٖ﴾ [يونس،رقم السورة: ١٠،رقم الآية:١٠٧]

«مَنْ ذَا الَّذِيْ خَلٰى» أي شخص خلى «مِنْ نِعْمَةِ الله عَزَّ وَ جَلَّ؟» بل كل شيء غريق في بحر أفضاله وإنعامه كَمَا «قَالَ اللهُ تَعَالٰى:»

وَ اِنْ تَعُدُّوْا نِعْمَتَ اللهِ لَا تُحْصُوْهَا. [إبراهيم، رقم السورة: ١٤، رقم الآية: ٣٤]

«فَكَمْ مِنْ نِعْمَةٍ» من الله تعالٰى «عِنْدَكَ وَ أَنْتَ لَا تَعْرِفُهَا» فلو أظهرت نعم الله تعالٰى بالشكر حال الابتلاء كنت صادقا «لَا تَسْكُنْ إِلٰى أَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ» بالسكون القلبي «وَ لَا تَسْتَأْنِسْ بِهٖ» أنسة قلبيّة، و إن كنت في الظاهر معهم «وَ لَا تُطْلِعْ أَحَدًا» منهم «عَلٰى مَا أَنْتَ فيهِ» من حالك مع الله تعالٰى «بَلْ يَكُوْنُ أُنْسُكَ بِاللهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ سُكُوْنُكَ» و راحتك «إِلَيْهِ، وَ فِرَارُكَ وَ شِكْوَاكَ مِنْهُ وَإِلَيْهِ لَا تَرَ» أنت غير الله تعالٰى و غيرك «ثَالِثًا» تلتجئ إليه، و أماالنبي والشيخ فالتوجه إليهما توجه إلى الله تعالٰى. و إنما نُهيتَ عن رؤية الثالث فيما بينك و بين الله تعالٰى لِرَفْعِ الحاجة «فَإِنَّهُ لَيْسَ» يُفَوَّضُ «إِلٰى اَحَدٍ ضَرٌّ وَ لَا نَفْعٌ وَ لَا جَلْبٌ» لخير «وَ لَا دَفْعٌ» لضُرٍّ «وَ لَا عِزٌّ وَ لَا ذِلٌّ وَ لَا رَفْعٌ وَ لَا خَفْضٌ وَ لَا فَقْرٌ وَ لَا غِنَاءٌ وَ لَا تَحْرِيْكٌ وَ لَا تَسْكِيْنٌ» كيف تتوهم الانتفاع من غير الله تعالٰى، فإنه خطأ إذ «الْأَشْيَاءُ كُلُّهَا خَلْقُ

الله تَعَالٰى وَ بِيَدِ اللهِ» تَعَالٰى «بِأَمْرِهٖ وَ إِذْنِهٖ جِرْ يَانُهَا، وَكُلٌّ يَّجْرِىْ لِأَجَلٍ مُّسَمًّى وَ كُلُّ شيء عِنْدَهٗ بِمِقْدَارٍ، لَا مُقَدِّمَ لِمَا اَخَّرَ، وَ لَا مُؤَخِّرَ لِمَا قَدَّمَ. قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: إِنْ يَّمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهٗٓ اِلَّا هُوَ ۚ وَ اِنْ يُّرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهٖ»[يونس، رقم السورة: ١٠، رقم الآية: ١٠٧]

فَإِنْ شَكَوْتَ مِنْهُ عَزَّ وَ جَلَّ وَ أنت معافى وَ عِنْدَكَ نِعْمَةٌ مَّا طَلَبًا لِزِ يَادَةٍ وَ تَعَامِيًا عَمَّا لَهٗ عِنْدَكَ مِنَ النِّعْمَةِ وَالْعَافِيَةِ اِسْتِرْزَاءً بِهِمَا غَضَبَ عَلَيْكَ وَ أَزَالَهُمَا عَنْكَ وَ حَقَّقَ شِكْوَاكَ وَ ضَاعَفَ بَلَاءَكَ، وَ شَدَّدَ عَقُوْبَتَكَ وَ مَقَتَكَ وَ قَلَاكَ وَ اَسْقَطَكَ مِنْ عَيْنِهٖ اِحْذَرِ الشِّكْوٰى جِدًّا وَ لَوْ قُطِعْتَ وَ قُرِضَ لَحْمُكَ بِمَقَارِيْضَ اِيَّاكَ اِيَّاكَ ثُمَّ اِيَّاكَ اللهَ ثُمَّ اللهَ اَلنَّجَا اَلنَّجَا اَلْحَذَرَ اَلْحَذْرَ فَإِنَّ اَكْثَرَ مَا يَنْزِلُ بِابْنِ اٰدَمَ مِنْ اَنْوَاعِ الْبَلَاءِ والمحن لِشِكْوَاهُ مِنْ رَّبِّهٖ عَزَّ وَ جَلَّ كَيْفَ يَشْتَكِىْ مِنْهُ عَزَّ وَ جَلَّ وَ هُوَ اَرْحَمُ الرَّاحِمِيْنَ وَ خَيْرُ الْحَاكِمِيْنَ حَلِيْمٌ خَبِيْرٌ رَؤُوْفٌ رَحِيْمٌ لَطِيْفٌ بِعِبَادِهٖ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيْدِ

فَإِنْ شَكَوْتَ مِنْهُ عَزَّ وَ جَلَّ» و لو في حال بلاء «وَ أَنْتَ مُعَافى» بعافية القلب والبدن التي هي أعزالنعم «وَ عِنْدَكَ نِعْمَةٌ مَّا» من نعمة جملة حالية «طَلَبًا لِزِ يَادَةٍ، وَ تَعَامِيًا عَمَّا لَهٗ» تعالٰى «عِنْدَكَ مِنَ النِّعْمَةِ» التي لا يخلو عنها أحد «وَالْعَافِيَةِ» قوله طلبا و تعاميا مفعول له لشكوت «اِسْتِرْزَاءً» مفعول له لتعاميا أي تحقيرا «بِهِمَا» أي بالنعمة والعافية «غَضَبَ» الرب «عَلَيْكَ وَ أَزَالَهُمَا عَنْكَ وَ حَقَّقَ شِكْوَاكَ» بإزالتهما؛ فإن الشكوى إنما يتحقق إذا لم يوجد النعمة والعافية «وَ ضَاعَفَ بَلَاءَكَ» بضم زوالهما مع ما لَحِقَك أوّلا «وَ شَدَّدَ عَقُوْبَتَكَ» بسلبهما «وَ مَقَتَكَ» بشكواك «وَ قَلَاكَ» تركك في بلاءك فلا يرفع عنك «وَأَسْقَطَكَ مِنْ عَيْنِهٖ» أي قبوليّته «اِحْذَرِ الشِّكْوٰى جِدًّا، وَ لَوْ قُطِعْتَ» بصيغة المجهول «وَ قُرِضَ لَحْمُكَ بِمَقَارِيْضَ اِيَّاكَ اِيَّاكَ» أي بَعِّده نفسَك من الشكاية والشكاية منك «ثُمَّ اِيَّاكَ» أي بَعِّدْ نفسك

من الشكاية تبعيدا بعد تبعيد «الله الله» أي احذر الله في الشكوى «ثُمَّ اَلله» أي ثم احذر الله حذرا بعد حذر «اَلنَّجَا اَلنَّجَا» أي اطلب النجا بترك الشكوى «اَلْحَذْرَ اَلْحَذْرَ» أي احذر الحذر الكامل من الشكوى «؛فَإِنَّ أَكْثَرَ مَا يَنْزِلُ بِابْنِ اٰدَمَ مِنْ أَنْوَاعِ الْبَلَاءِ وَالْمِحَنِ لِشِكْوَاهُ مِنْ رَّبِّهٖ عَزَّ وَ جَلَّ» بإصابة ما لا يوافق طبعك «كَيْفَ يَشْتَكِىْ مِنْهُ عَزَّ وَ جَلَّ وَ هُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِيْنَ» فلا يخلو من وصول رحمته إليك «وَ خَيْرُ الْحَاكِمِيْنَ» إنما حكم عليك ببلاء لحكمة «حَلِيْمٌ» لا يؤاخذ بما صدر عنك كثيرا «خَبِيْرٌ» عالم بحالك غير غافل عنك «رَؤُوْفٌ رَحِيْمٌ» فلا يتركك في بلاءك «لَطِيْفٌ بِعِبَادِهٖ» يلطف بك بإزالة ما بك من المحن «لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيْدِ» فما أنزل بك من البلاء ليس ظلما منه حتى تشكو بل بشؤم معصيتك فلا تلومن إلا نفسك

كَطَبِيْبٍ حَلِيْمٍ حَبِيْبٍ شَفِيقٍ لَطِيْفٍ قَرِيْبٍ، هَلْ يُتَّهَمُ الْوَالِدُ الشَّفِيقُ اَوِ الْوَالِدَةُ الشَّفِيقَةُ الرَّحِيْمَةُ. قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ آلِهٖ وَ سَلَّمَ: "اَلله اَرْحَمُ بِعَبْدِهٖ مِنَ الْوَالِدَةِ بِوَلَدِهَا"(١) اَحْسِنِ الْاَدَبَ يَا مِسْكِيْنُ.

﴿وَالذِينَ كَفَرُوْآ اَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيْعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْاٰنُ مَاءً ط حَتّٰى اِذَا جَآءَهٗ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَّ وَجَدَ الله عِنْدَهٗ فَوَفّٰهُ حِسَابَهٗ وَاللهُ سَرِيْعُ الحِسَابِ﴾ [النور،رقم السورة:٢٤،رقم الآية:٣٩]

فاعلم أن حال ربك معك «ك» حال «طَبِيْبٍ حَلِيْمٍ حَبِيْبٍ شَفِيقٍ لَطِيْفٍ

(١) لم نجده بهذا اللفظ، ورواه الشيخان: عن عمر بن الخطاب، أنه قال: قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبي فإذا امرأة من السبي تبتغي إذا وجدت صبيافي السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم:أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟ قلنا: لا، والله وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لله أرحم بعباده من هذه بولدها" انظر الصحيح لمسلم كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالىٰ برقم:٢٧٥٤، الصحيح للبخاري في الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته،٥٩٩٩، واللفظ لمسلم.

قَرِيْبٍ» فيما فعلك[1] بك من عطاء دواء مُرّ بشيع[2] و منعِ طعامٍ لذيذ، و شرب حلو بارد لعلمه أن نفعك فيه؛ فإنك لا تتهمه بأنه فعل بك ذلك بغضا أو عداوة فكيف تتهم ربك الَّذِيْ خلقك و رباك و أكرمك و عززك وكبرك في إعطاء ما لايوافق طبعك مع كمال حلمه و علمه و لطفه فاعتبر بذلك ثم اعتبر. «هَلْ يُتَّهَمُ الْوَالِدُ الشَّفيقُ أَوِ الْوَالِدَةُ الشَّفيقَةُ الرَّحِيْمَةُ» بأن يعذب هو ولده أو هي ولدها فكيف تتهم الرب تعالىٰ و هو أرحم الراحمين من كل شيء.

«قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ: لله» مبتدأ مصدر بلام التأكيد «أَرْحَمُ بِعَبْدِهٖ مِنَ الْوَالِدَةِ بِوَلَدِهَا. اَحْسِنِ الْاَدَبَ يَا مِسْكِيْنُ» مع الرب تعالىٰ.

«وَالذين كَفَرُوْآ اَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيْعَةٍ» الأرض جمع قاع أي فلاة و هو شعاع يرى فيها نصف النهار في شدة الحر يشبه الماء الجاري «يَحْسَبُهُ» يظنه «الظَّمْاٰنُ» العطشان «مَاءً حَتّٰى اِذَا جَآءَهٗ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا» مما حسبه كذلك الكافر يحسب أن عمله كصدقة ينفعه حتى إذا مات و قدم على ربه لم يجد عمله أي لم ينفعه «وَّ وَجَدَ الله عِنْدَهٗ» عند عمله «فَوَفّٰهُ حِسَابَهٗ» أي أنه جازاه عليه في الدنيا «وَالله سَرِيْعُ الْحِسَابِ» أي المجازاة، القيعة بمعنى القاع و هو الأرض المستو ية و قيل جمعه.

تَصَبَّرْ عِنْدَ الْبَلَاءِ اِنْ ضَعُفْتَ عَنِ الصَّبْرِ ثُمَّ اصْبِرْ اِنْ ضَعُفْتَ عَنِ الرِّضَا وَالْمُوَافَقَةِ، ثُمَّ اِرْضَ وَ وَافِقْ اِنْ وَجَدْتَ، ثُمَّ افْنِ اِنْ فُقِدْتَّ اَيُّهَا الْكِبْرِيْتُ الْاَحْمَرُ اَيْنَ أنت اَيْنَ تُوْجَدُ وَ تُرٰى، اَمَا تَسْمَعُ اِلٰى قَوْلِهٖ عَزَّ وَ جَلَّ:﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَ هُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۚ وَ عَسٰى اَنْ تَكْرَهُوْا شَيْئًا وَّ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَ عَسٰى اَنْ تُحِبُّوْا شَيْئًا وَّ هُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ؕ وَاللهُ يَعْلَمُ وَ اَنْتُمْ لَا تَعْلَمُوْنَ﴾ [البقرة:٢/ ٢١٦]

«تَصَبَّرْ» بالتشديد «عِنْدَ الْبَلَاءِ» أي تكلف الصبر «إِنْ ضَعُفْتَ عَنِ الصَّبْرِ

(1) في المخطوطة "فعك" والصواب ما أثبتنا، ١٢، المشاهدي

(2) البشيع: طعام بشيع من البشيع: كر يه بأخذ بالحلق بين البَشَاعة، فيه حفوف و مرارة كا لإهليج ونحوه. المشاهدي

ثُمَّ اصْبِرْ» بعد عادتك على الصبر بالتكلف «اِنْ ضَعُفْتَ عَنِ الرِّضَاء» بالقضاء «وَالْمُوَافَقَةِ» للقدر «ثُمَّ اِرْضَ» بالقضاء «وَ وَافِقْ» للقدر «اِنْ وُجِدْتَ» أي إن كنت شَعُرْتَ بنفسك و لم يحصل لك الغناء «ثُمَّ افْنِ» عن البلاء «اِنْ فُقِدْتَّ» عنك و عن الخلق في الله تعالىٰ «اَيُّهَا الْكِبْرِيْتُ الْأَحْمَرُ» أي الكامل في نفسه المكمل لغيره كما هو شأن الكبريت الأحمر «أَيْنَ اَنْتَ» إن دققت النظر «اَيْنَ تُوْجَدُ وَ تُرٰى» إن تعمقتَ الفكر فما هذا الوجود لما سوى الله عز و جل إلا كسراب بقيعة الأرض أي المستو ية يحسبه الظمأن ماء حتى إذا جاء ه لم يجده شيئا مما حسبه و وجد الله عنده محاسبا إياه فوفٰه حسابه أي جزاء عمله، والله سريع الحساب لا يشغله حساب عن حساب حتى يقتضي طول المدة. «أَمَا تَسْمَعُ اِلٰى قَوْلِهٖ عَزَّ وَ جَلَّ:

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَ هُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَ عَسٰى اَنْ تَكْرَهُوْا شَيْئًا وَّ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ، وَ عَسٰى اَنْ تُحِبُّوْا شَيْئًا وَّ هُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ط وَاللهُ يَعْلَمُ وَ اَنْتُمْ لَا تَعْلَمُوْنَ. [البقرة،رقم السورة:٢،رقم الآية:٢١٦]

طَوٰى عَنْكَ عِلْمَ حَقِيْقَةِ الْاَشْيَاءِ وَ حَجَبَكَ عَنْهُ فَلَا تُسِيْءِ الْاَدَبَ فَتَكْرَهَ بِكَ اَوْ تُحِبَّ بِكَ اِتَّبِعِ الشَّرْعَ فِي جَمِيْعِ مَا يَنْزِلُ بِكَ اِنْ كُنْتَ فِي حَالَةِ التَّقْوٰى الَّتِيْ هِيَ الْقَدَمُ الْاُوْلٰى، وَاتَّبِعِ الْاَمْرَ اِنْ كُنْتَ فِي حَالَةِ الْوِلَايَةِ وَ خُمُوْدِ وُجُوْدِ الْهَوٰى وَ لَا تُجَاوِزْهُ وَ هي الْقَدَمُ الثَّانِيَةُ، وَارْضَ بِالْفِعْلِ وَ وَافِقْ وَافْنِ فِي حَالَةِ الْبَدَلِيَّةِ وَالْغَوْثِيَّةِ وَالصِّدِّيْقِيَّةِ وَ هِيَ الْمُنْتَهٰى، تَنَحَّ عَنْ طَرِيْقِ الْقَدْرِ، خَلِّ عَنْ سَبِيْلِهٖ،رُدَّ نَفْسَكَ وَ هَوَاكَ، كُفَّ لِسَانَكَ عَنِ الشِّكْوٰى فَاِذَا فَعَلْتَ ذٰلِكَ فَاِنْ كَانَ خَيْرًا زَادَكَ الْمَوْلٰى طِيْبَةً وَ لَذَّةً وَ سُرُوْرًا، وَ اِنْ كَانَ شَرًّا حَفِظَكَ فِي طَاعَتِهٖ فِيهِ، وَ اَزَالَ عَنْكَ الْمَلَامَةَ وَ اَفْقَدَكَ فيهِ حَتّٰى يَتَجَاوَزَ عَنْكَ وَ يَرْحَل عِنْدَ اِنْقِضَاءِ اَجَلِهٖ كَمَا يَنْقَضِي اللَّيْلُ فيسْفِرُ عَنِ النَّهَارِ، وَ الْبَرْدُ فِي الشِّتَاءِ فَيُسْفِرُ عَنِ الصَّيْفِ ذٰلِكَ اُنْمُوْذَجٌ عِنْدَكَ فَاعْتَبِرْ بِهٖ، ثُمَّ ذُنُوْبٌ وَ

آثَامٌ وَ اَجرَامٌ وَ تَلوِيْثٌ بِاَنوَاعِ الْمَعَاصِيْ وَالْخَطِيَّاتِ وَ لَا يَصْلُحُ لِمُجَالَسَةِ الْكَرِيْمِ عَزَّ وَ جَلَّ اِلَّا الطَّاهِرُ عَنْ اَنْجَاسِ الذُّنُوْبِ وَالزَّلَّاتِ وَ لَا يُقَبَّلُ سُدَّتَهٗ اِلَّا الطَّيِّبُ مِنْ دَرَنِ الدَّعَاوِيْ وَالْهَلُوْسَاتِ[1] كَمَا لَا يَصْلَحُ لِمَجَالِسِ الْمُلُوْكِ اِلَّا الطَّاهِرُ مِنَ الْاَنْجَاسِ وَ اَنْوَاعِ النَّتْنِ وَالْاَوْسَاخِ. وَ الْبَلَايَا مُكَفِّرَاتٌ مُطَهِّرَاتٌ.

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ:

"حُمّٰى يَوْمٍ كَفَّارَةُ سَنَةٍ".[2]

«طَوٰى عَنْكَ» أيها الإنسان «عِلْمَ حَقِيْقَةِ الْأَشْيَاءِ وَ حَجَبَكَ عَنْهُ» و قد علمت أن الله تعالٰى بكل شيء عليم فاتبع أمره و فعله و أحِله على علمه تعالٰى «فَلَا تُسِيء الْأَدَبَ» معه «فَتَكْرَهَ» شيئا «بِكَ» أي بنفسك و رأيك و هواك «أَوْ تُحِبَّ» شيئا «بِكَ» كذلك «اِتَّبِعِ الشَّرْعَ فِي جَمِيْعِ مَا يَنْزِلُ بِكَ إِنْ كُنْتَ فِي حَالَةِ التَّقْوٰى اَلَّتِيْ هِيَ الْقَدَمُ الْأُوْلٰى» للسالكين «وَاتَّبِعِ الْأَمْرَالباطني اِنْ كُنْتَ فِي حَالَةِ الْوِلَايَةِ وَ خُمُوْدِ وُجُوْدِ الْهَوٰى» عنك «وَ لَا تَجَاوَزْهُ» أي أمر الله تعالٰى بل كل ما أمرك في الباطن مما لم يحكم فيه الشرع بالوجوب والاستحسان، و لا بالحرمة والكراهة «وَ هِيَ» أي حالة الولاية «الْقَدَمُ الثَّانِيَةُ» في السلوك «وَارْضَ بِالْفِعْلِ» أي فعل الله تعالٰى بك بقضائه الأزلي «وَ وَافِقْ» قدره «وَافْنِ» عنك إن كنت «فِي حَالَةِ الْبَدَلِيَّةِ وَالْغَوْثِيَّةِ وَالصِّدِّيْقِيَّةِ وَ هِيَ» أي هذه الحالة الثالثة هي «الْمُنْتَهٰي» في السلوك إلى الله تعالٰى تَنَحَّ أي بَعِّدْه «عَنْ طَرِيْقِ الْقَدْرِ» فلا تزاحمه بالدفع بالدعاء والدواء «خَلِّ عَنْ سَبِيْلِهٖ» في مجيئه إليك بما علمه ربك «رُدَّ نَفْسَكَ وَ هَوَاكَ» فلا تتبع ما أمراك «كُفَّ لِسَانَكَ عَنِ الشِّكْوٰى» في فعله تعالٰى بك إلى أحد «فَإِذَا فَعَلْتَ ذٰلِكَ» المذكور أوّلا

---

(1) هلوسة(علوم النفس) أخيلة يظنها الإنسان وقائع في حين أنها اخلاق ذهنى مرضي ينتج عن اختلال عقلي، أو نتيجة لإدمان المحذرات. المشاهدي

(2) انظر المقاصد الحسنة "وحمى ليلة تكفر خطايا سنة مجرمة" وله شاهد عن أبي الدرداء موقوفا، ورواه ابن أبي الدنيافي المرض والكفارات.١٢. المشاهدي

من السلوك في الأحوال الثلاث حالة التقوى، و حالة الولاية، و حالة البدلية، و أخيرا من رد النفس والهوى والكف عن الشكوى.

«فَإِنْ كَانَ» ما نزل بك «خَيْرًا زَادَكَ الْمَوْلٰى» بفعلك الجميل لك في ذلك الأمر الخير «طِيْبَةً وَ لَذَّةً وَ سُرُوْرًا» في جميع أمورك و يرزقك المشاهدة «وَ إِنْ كَانَ» ما نزل بك «شَرًّا حَفِظَكَ» مولاك «فِي طَاعَتِهٖ فيهِ» أي فيما نزل بك «وَأَزَالَ عَنْكَ الْمَلَامَةَ» والعار فلا يظن الخلق في حقك أن ربك أخذك بذنبك بل «وَ اَفْقَدَكَ فيهِ» أي فيما نزل بك عنك، أو عما نزل بك «حَتّٰى يَتَجَاوَزَ» ما نزل بك «عَنْكَ، وَ يَرْحَل» و يسافر «عِنْدَ اِنْقِضَاءِ اَجَلِهٖ كَمَا يَنْقَضِي اللَّيْلُ فيسْفِرُ أي يظهر «عَنِ النَّهَارِ» فيظهر النهار بضيائه، «وَ» ينقضي «الْبَرْدُ فِي الشِّتَاءِ، فَيُسْفِرُ» أي يظهر «عَنِ الصَّيْفِ» فيظهر الصيف بحرارته «ذٰلِكَ» المذكور من انقضاء الليل والبرد، و إسفار الصبح و الصيف «أُنْمُوْذَجٌ» معرب نمونه «عِنْدَكَ فَاعْتَبِرْ» أنت «بِهٖ» و لا تظن أن في لحوق الشربك ليس إلا مجرد التقدير بل اعلم «ثُمَّ ذُنُوْبٌ» جمع ذنب «وَ آثَامٌ» جمع إثم «وَاَجْرَامٌ» جمع جرم «وَ تَلْوِيْثٌ» أي خلط «بِأَنْوَاعِ الْمَعَاصِيْ وَالْخَطِيَّاتِ» فيك «وَ لَا يَصْلُحُ لِمُجَالَسَةِ الْكَرِيْمِ عَزَّ وَ جَلَّ اِلَّا الطَّاهِرُ عَنْ أَنْجَاسِ الذُّنُوْبِ وَالزَّلَّاتِ، وَ لَا يُقَبِّلُ سُدَّتَهُ» أي سدة باب قبوليته «إِلَّا الطَّيِّبُ مِنْ دَرَنِ الدَّعَاوِيْ» أي دعوى كان؛ فإن المدعي يطلب بالبرهان، وإقامة البرهان مما يشكل في كل حين و زمان وَالْهَلوْسَاتِ فإن الهلوس لا يصل إلى كنه المراد «كَمَا لَا يَصْلُحُ لِمَجَالِسِ الْمُلُوْكِ إِلَّا الطَّاهِرُ مِنَ الْاَنْجَاسِ وَ أَنْوَاعِ النَّتْنِ وَالْأَوْسَاخِ» فهو أيضًا أنموذج،و لذا قيل خدمة الملوك نصف السلوك؛ فإن الأداب الدنيوية أنموذج للآداب الدينية. «وَ»اعْلَمْ اَنَّ «الْبَلَايَا» من الله تعالى «مُكَفِّرَاتٌ» للذنوب «مُطَهِّرَاتٌ» عنها.

«قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ:
حُمّٰى يَوْمٍ كَفَّارَةُ سَنَةٍ»[١]

(١) مر تخرجه.

اَلْمَقَالَةُ التَّاسِعَةُ عَشَرَ

في بَيَانِ وَفَاءِ مَا وَعَدَ الله تَعَالٰى اَلْبَتَّةَ لِلْعَبْدِ حِيْنَ ضَعُفَ إِيْمَانُهُ، وَالْاِنْتِقَالُ مِنْهُ إِلٰى مَا هُوَ أَشْرَفُ مِنْهُ حِيْنَ قُوَّةِ اِيْمَانِهٖ وَ كَمَالِ يَقِيْنِهٖ

قَالَ رَضِيَ اللهُ تَعَالىٰ عَنْهُ: اِذَا كُنْتَ ضَعِيْفَ الْاِيْمَانِ وَالْيَقِيْنِ، وَ وُعِدْتَ بِوَعْدٍ وُفِّ بِوَعْدِكَ، وَ لَا تُخْلف لِئَلَّا يَزُوْلَ اِيْمَانُكَ، وَ يَذْهَبَ يَقِيْنُكَ، وَ إِذَا قَوِيَ ذٰلِكَ وَ تُمَكِّنْتَ وَ خُوْطِبْتَ بِقَوْلِهٖ عَزَّ وَ جَلَّ: ﴿اِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِيْنٌ اَمِيْنٌ﴾[يوسف،رقم السورة:١٢، رقم الآية:٥٤]

«قَالَ رَضِىَ الله تَعَالٰى عَنْهُ: إِذَا كُنْتَ» أيها السالك «ضَعِيْفَ الْإِيْمَانِ وَالْيَقِيْنِ» لقصور نظرك في عظمة الله، و ضعف محبته في قلبك «وَ وُعِدْتَ» من جانب الله تعالىٰ في تلك الحالة الضعيفة «بِوَعْدٍ» في أي أمرمن أُمورك «وفِّ» وفاءً حتمًا «بِوَعْدِكَ، وَ لَا تُخْلف لِئَلَّا يَزُوْلَ إِيْمَانُكَ وَ يَذْهَبَ يَقِيْنُكَ» بعدم حصول الموعود لك «وَ إِذَا قَوِيَ ذٰلِكَ» أي الإيمان واليقين «فِيْ قَلْبِكَ وَ تُمَكِّنْتَ» بصيغة المجهول أي جعلك الله ذا تمكين و وقار لا يحركك الجلال والجمال والحصول والزوال «وَ خُوْطِبْتَ» من سرادقات القرب والمعرفة «بِقَوْلِهٖ عَزَّ وَ جَلَّ:»
اِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِيْنٌ اَمِيْنٌ.[يوسف،رقم السورة:١٢، رقم الآية:٥٤]

وَ تَكَرَّرَ هٰذَا الْخِطَابُ حَالًا بَعْدَ حَالٍ فَكُنْتَ مِنَ الْخَوَاصِ بَلْ مِنْ خَاصِ الْخَاصِ وَ لَمْ يَبْقَ لَكَ إِرَادَةٌ وَ لَا مَطْلَبٌ وَ لَا عَمَلٌ تُعْجِبُ بِهٖ، وَ لَا قُرْبَةٌ تَرَاهَا، وَ لَا مَنْزِلَةٌ تَلْمَحُهَا فَتَسْمُوْ هِمَّتُكَ إِلَيْهَا فَصِرْتَ كَالْإِنَاءِ الْمُنْثَلِمِ الَّذِيْ لَا يَثْبُتُ فِيهِ مَائِعٌ فَلَا يَثْبُتُ فِيكَ إِرَادَةٌ وَ لَا خَلْقٌ وَ لَا هِمَّةٌ إِلٰى شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ دُنْيَا وَ أُخْرٰى، وَ طَهُرْتَ مِمَّا سِوَى

اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ، وَ أُعْطِيْتَ رِضَاكَ عَنِ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ وُعِدْتَّ بِرِضْوَانِ اللهِ تَعَالٰى عَنْكَ، وَ لُذِّذْتَ وَ نُعِمْتَ بِأَفْعَالِ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ اَجْمَعَ فَحِيْنَئِذٍ تُوْعَدُ بِوَعْدٍ.

«وَ تَكَرَّرَ هٰذَا الْخِطَابُ» منه تعالٰى «حَالًا بَعْدَ حَالٍ فَكُنْتَ مِنَ الْخَوَاصِ بَلْ» صرت «مِنْ خَاصِ الْخَاصِ» الَّذِيْ فنى فيه فلايخطر بباله غيره «وَ لَمْ يَبْقَ لَكَ إِرَادَةٌ» غيرإرادته «وَ لَا مَطْلَبٌ» غيرذاته تعالٰى «وَ لَا عَمَلٌ تُعْجِبُ بِهٖ» لأنك ما رأيت العمل منك حتى تعجب به «وَ لَا» يبقى لك «قُرْبَةٌ تَرَاهَا» تطمع في حصولها لك «وَ لَا مَنْزِلَةٌ تَلْمَحُهَا» بالوصول إليها «فَتَسْمُوْ» أي تعلو «هِمَّتُكَ إِلَيْهَا» إذ لا يميل قلبك من المشاهدة إلى شيء «فَصِرْتَ كَالْإِنَاءِ الْمُنْثَلَمِ» أي الَّذِيْ حصل فيه الثلمة والثقبة «الَّذِيْ لَا يَثْبُتُ فيهِ مَائِعٌ» ذو سيلان و رِقّة «فَلَا يَثْبُتُ فيكَ إِرَادَةٌ وَ لَا خَلْقٌ وَ لَا هِمَّةٌ إِلٰى شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ دُنْيَا» كان «وَ أُخْرٰى، وَ طَهَّرْتَ مِمَّا سِوَى اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ أُعْطِيْتَ رِضَاكَ عَنِ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ، وَ وُعِدْتَ بِرِضْوَانِ اللهِ تَعَالٰى عَنْكَ» و صرت من الذين قال الله تعالٰى في حقهم: «رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ». [المجادلة،رقم السورة:٥٨،رقم الآية:٢٢]

«وَ لُذِّذْتَ» بطاعة الله تعالٰى و معرفته و ظهور أسراره «وَ نُعِّمْتَ» أي جعلت منعَّمًا «بِأَفْعَالِ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ اَجْمَعَ» لطفا و احسانا[1] و قهرا و امتحانا «فَحِيْنَئِذٍ» جواب لقوله: "إذا قوى ذلك في قلبك" أي حين صرت بهذه الصفة «تُوْعَدُ» من جانب الله تعالٰى «بِوَعْدٍ» من أي جنس كان فلا يخلو حالك من أن تطمئن إلى ذلك الوعد وتطلب، و إن لم يكن ذلك الطلب منك بك بل بالله تعالى، أو لا تميل إليه و لا تطلبه.

فَإِذَا اطْمَأْنَنْتَ إِلَيْهِ، وَ وُجِدت فيكَ إِمَارَةُ إِرَادَةٍ مَّا نُقِلْتَ عَنْ ذٰلِكَ الْوَعْدِ إِلٰى مَا هُوَ أَعْلٰى مِنْهُ، وَ صُرِفْتَ إِلٰى أَشْرَفَ مِنْهُ، وَ عُوِّضْتَ

(1) في المخطوطة "واحسان" والصواب ما أثبتنا. المشاهدي

عَنِ الْاَوَّلِ بِالْغِنَاءِ عَنْهُ، وَ فُتِحَتْ لَكَ أَبْوَابُ الْمَعَارِفِ وَالْعُلُوْمِ، وَ أُطْلِعْتَ عَلٰى غَوَامِضِ الْاُمُوْرِ وَ حَقَائِقِ الْحِكْمَةِ وَ الْمَصَالِحِ الْمَدْفُوْنَةِ فِي الْاِنْتِقَالِ مِنَ الْاَوَّلِ اِلٰى مَا يَلِيْهِ وَ يُزَادُ حِيْنَئِذٍ فِيْ مَكَانَتِكَ فِيْ حِفْظِ الْحَالِ ثُمَّ الْمَقَامِ وَفِيْ اَمَانَتِكَ فِي حِفْظِ الْاَسْرَارِ وَ شَرْحِ الصَّدْرِ وَ تَنْوِيْرِ الْقَلْبِ وَ فِي فَصَاحَةِ اللِّسَانِ وَ الْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ وَ فِي اِلْقَاءِ الْمَحَبَّةِ عَلَيْكَ فَجُعِلْتَ مَحْبُوْبَ الْخَلِيْقَةِ اَجْمَعُ الثَّقَلَيْنِ وَ مَا سِوَاهُمَا دُنْيَا وَ اُخْرٰى؛ اِذْ صِرْتَ مَحْبُوْبَ الْحَقِّ تَعَالٰى وَالْخَلْقُ تَابِعٌ لِلْحقِّ عَزَّ وَ جَلَّ، وَ مَحَبَّتُهُمْ مُنْدَرِجَةٌ فِي مَحَبَّتِهٖ كَمَا اَنَّ بُغْضَهُمْ مُنْدَرِجَةٌ فِي بُغْضِهٖ عَزَّ وَ جَلَّ.

«فَإِذا اطْمَأْنَنْتَ إِلَيْهِ، وَ وُجِدت فيكَ إِمَارَةُ إِرَادَةٍ مَّا نُقِلْتَ عَنْ ذٰلِكَ الْوَعْدِ» الَّذِيْ وُعِدْتَ به «إِلٰى مَا هُوَ اَعْلٰى مِنْهُ» أي مما وعدت «وَ صُرِفْتَ إِلٰى» شَيْءٍ «أَشْرَفَ مِنْهُ، وَ عُوِّضْتَ عَنِ الْأَوَّلِ بِالْغِنَاءِ عَنْهُ» فوجدت فيك مكان الطلب الغنى فحصل لك بدل هي نعم البدل «وَ فُتِحَتْ لَكَ أَبْوَابُ الْمَعَارِفِ وَالْعُلُوْمِ وَ اُطْلِعْتَ عَلٰى غَوَامِضِ الْاُمُوْرِ وَ حَقَائِقِ الْحِكْمَةِ وَ الْمَصَالِحِ الْمَدْفُوْنَةِ» المخزونة «فِي الْاِنْتِقَالِ مِنَ الْأَوَّلِ» الموعود «إِلٰى مَا يَلِيْهِ» الَّذِيْ أعطاك الله تعالٰى «وَ يُزَادُ حِيْنَئِذٍ فِيْ مَكَانَتِكَ» و قرارك «فِيْ حِفْظِ الْحَالِ» الَّذِيْ وهب لك «ثُمَّ» يزاد في مكانتك في حفظ «الْمَقَامِ» الَّذِيْ أقمت فيه «وَ» يزاد «فِيْ اَمَانَتِكَ فِيْ حِفْظِ الْأَسْرَارِ» التي أفيضت عليك «وَ» يزاد في «شَرْحِ الصَّدْرِ» لك و للخلق بك «وَ» يزاد في «تَنْوِيْرِ الْقَلْبِ» لك و للخلق بك «وَ» يزاد «في فَصَاحَةِ اللِّسَانِ» لك و للخلق بك «وَ» يزاد «الْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ» لك و للخلق بك «وَ» يزاد «في اِلْقَاءِ الْمَحَبَّةِ عَلَيْكَ، فَجُعِلْتَ» أنت «مَحْبُوْبَ الْخَلِيْقَةِ» أي الخلق «أَجْمَعُ الثَّقَلَيْنِ» أي الجن والإنس «وَ مَا سِوَاهُمَا دُنْيَا وَ اُخْرٰى» فقوله: "الثقلين و ما سواهما" بيان لقوله: "الخليقة أجمع" و إنما جعلت محبوب الخلق كله «إِذْ صِرْتُ مَحْبُوْبَ الْحَقِّ تَعَالٰى، وَالْخَلْقُ تَابِعٌ لِلْحقِّ عَزَّ وَ جَلَّ» في المحبة والكراهة فما يكون محبو به يكون محبو به، و

ما يكون مكروهه يكون مكروهه «وَ مَحَبَّتُهُمْ مُنْدَرِجَةٌ فِي مَحَبَّتِهِ كَمَا اَنَّ بُغْضَهُمْ مُنْدَرِجَةٌ فِي بُغْضِهِ عَزَّ وَ جَلَّ» فإذا حصل الشامل حصل المشمول.

كَذٰلِكَ اِذَا بَلَغْتَ هٰذَا الْمَقَامَ الَّذِيْ لَيْسَ لَكَ فِيهِ اِرَادَةُ شَيْءٍ اَلْبَتَّةَ جُعِلَتْ لَكَ اِرَادَةُ شَيْءٍ مِنَ الْاَشْيَاءِ، وَ اِذَا تَحَقَّقَتْ اِرَادَتُكَ لِذٰلِكَ الشَّيْءِ اُزِيْلَ الشَّيْءُ وَ اُعْدِمَ وَ صُرِفْتَ عَنْهُ فَلَمْ تُعْطَهُ فِي الدُّنْيَا وَ عُوِّضْتَ عَنْهُ فِي الْآخِرَةِ بِمَا يَزِيْدُكَ قُرْبَةً وَ زُلْفٰى اِلَى اللّٰهِ الْعَلِيِّ الْاَعْلٰى، وَ بِمَا تَقِرُّ بِهِ عَيْنَاكَ فِي الْجَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ الْاَعْلٰى وَ جَنَّةِ الْمَاْوٰى، وَ اِنْ كُنْتَ لَمْ تَطْلُبْ ذٰلِكَ الشَّيْءَ وَلَمْ تَامَلْهُ وَلَمْ تَرْجُهُ وَ أنت فِي دَارِ الدُّنْيَا الَّتِيْ هِيَ دَارُ الْفَنَاءِ وَالتَّكَالِيْفِ وَالْعَنَاءِ بَلْ رَجَاءُكَ وَ اَنْتَ فِيْهَا وَجْهُ الَّذِيْ خَلَقَ وَ بَرَاَ وَ مَنَعَ وَ اَعْطٰى وَ بَسَطَ الْاَرْضَ وَ رَفَعَ السَّمَاءَ اِذْ ذاكَ هُوَ الْمُرَادُ وَالْمَطْلُوْبُ وَالْمُنٰى، وَ رُبَّمَا عُوِّضْتَ عَنْ ذٰلِكَ بِمَا هُوَ اَدْنٰى مِنْ ذٰلِكَ اَوْ مِثْلُهُ فِي الدُّنْيَا بَعْدَ اِنْكِسَارِ قَلْبِكَ بِصَدِّكَ عَنْ ذٰلِكَ الْمَطْلُوْبِ وَالْمُرَادِ وَالْمُنٰى وَ تَحَقُّقِ الْعِوَضِ فِي الْاُخْرٰى، عَلٰى مَا ذَكَرْنَا وَ بَيَّنَّا.

«وَكَذٰلِكَ» أي كما انتقلت من الموعود المخصوص إلى آخر أعلى منها كذلك «إِذَا بَلَغْتَ هٰذَا الْمَقَامَ الَّذِيْ لَيْسَ لَكَ فِيهِ إِرَادَةُ شَيْءٍ اَلْبَتَّةَ جُعِلَتْ لَكَ اِرَادَةُ شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ» من غير وعد بذلك، فالمراد بالصورة الأولى موعود و هنا غير موعود، و هذا وجه الفرق بينهما، فتأمل «وَ إِذَا تَحَقَّقَتْ» فيك «إِرَادَتُكَ لِذٰلِكَ الشَّيْءِ» الَّذِيْ جعلت لك إرادته «أُزِيْلَ» ذلك «الشَّيْءُ» المراد «وَ أُعْدِمَ» ذلك الشيء «وَ صُرِفْتَ عَنْهُ» أي عن ذلك الشيء «فَلَمْ تُعْطَهُ» أي ذلك الشيء «فِي الدُّنْيَا وَ عُوِّضْتَ عَنْهُ فِي الْآخِرَةِ» أي القيامة «بِمَا يَزِيْدُكَ قُرْبَةً وَ زُلْفٰى» عطف تفسيري «إِلَى اللّٰهِ الْعَلِيِّ الْأَعْلٰى وَ بِمَا تَقِرُّ بِهِ عَيْنَاكَ فِي الْجَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلٰى وَ جَنَّةِ الْمَاْوٰى» علم لواحد من الجنات، والفردوس أيضا علم لواحد منها «وَ إِنْ كُنْتَ» عطف على قوله: "فإذا اطمأننت إليه" الدال على الطلب أي فإذا طلبت ذلك الشيء

واطمانت إليه نُقِلْتَ عن ذلك، و إن كنت أيها السالك «لَمْ تَطْلُبْ ذٰلِكَ الشَّيْءَ» الَّذِيْ وعدته «وَ لَمْ تَأمَلْهُ وَ لم تَرْجُهُ، وَ أَنْتَ فِي دَارِالدُّنْيَا الَّتِيْ هِيَ دَارُالْفَنَاءِ وَالتَّكَالِيْفِ وَالْعَنَاءِ بَلْ رَجَاءُ كَ» و مطلوبك «وَ أنت فيهَا» جملة حالية والخبر قوله «وَجْهُ» الله «الَّذِيْ خَلَقَ وَ بَرَأ» كل شيءٍ «وَ مَنَعَ» لمن أراد منعه «وَ أَعْطٰى» لمن أراد عطاءه «وَ بَسَطَ الْاَرْضَ» بساطا و فراشا للخلق «وَ رَفَعَ السَّمَاءَ» سقفا محفوظا للخلق، و إنما كان رجاءك وجه الله تعالى «إذْ ذَاكَ» أي وجه الله تعالٰى «هُوَ الْمُرَادُ وَالْمَطْلُوْبُ وَالْمُنٰى، وَرُبَّمَا عُوِّضْتَ» جواب لقوله: "إن كنت لم تطلب" كما أن قوله:"نُقِلْتَ" في قسيمه جواب: "إذا اطمانت" «عَنْ ذٰلِكَ» أي الموعود «بِمَا هُوَ اَدْنٰى مِنْ ذٰلِكَ» الموعود «أوْ مِثْلُهُ» أي الموعود «فِي الدُّنْيَا بَعْدَ اِنْكِسَارِ قَلْبِكَ بِصَدِّكَ» أي حفظ الله تعالٰى إياك «عَنْ ذٰلِكَ الْمَطْلُوْبِ وَالْمُرَادِ وَالْمُنٰى» الَّذِيْ وُعِدْتَ به «وَ» مع ذلك «تَحَقُّقِ الْعِوَضِ فِي الْاُخْرٰى» أي القيمة «عَلٰى مَا ذَكَرْنَا وَ بَيَّنَّا».

من أنك عوضتَ عنه في الأخرى بما يزيدك قربة و زلفى إلى العلى الأعلى، و ما تقرُّ به عيناك في الفردوس الأعلى، فهذه الحالة أعلى من الأُولٰى، و لذا جُوْزِيَ فيها عاجلا بإعطاء مثله و آجلا بالعوض عنها أعلى، والقسم الثاني الَّذِيْ اقتضاه ربما عوضت محذوف هو كقولنا: و ربما لم تعوض به في الدنيا بل في الأخرى فقط، فتامل.

اَلْمَقَالَةُ الْعِشْرُوْنَ

في قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ: دَعْ مَا يُرِ يْبُكَ اِلٰى مَا لَا يُرِ يْبُكَ

قَالَ رَضِيَ اللهُ تَعَالٰى عَنْهُ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ: "دَعْ مَا يُرِ يْبُكَ اِلٰى مَا لَا يُرِ يْبُكَ".[1] اِذَا اجْتَمَعَ عِنْدَكَ مَا يُرِ يْبُكَ مَعَ مَا لَا يُرِ يْبُكَ فَخُذْ بِالْعَزِيْمَةِ الَّتِي لَا يَشُوْبُهَا رَيْبٌ وَ لَا شَكٌّ وَ دَعْ مَا يُرِ يْبُكَ، وَ اَمَّا اِذَا تَجَرَّدَ الْمُرِ يْبُ الْمَشُوْبُ لَمْ يَصْفُ عَنْ حَزِّ الْقَلْبِ وَ حَكِّهٖ فَتَوَقَّفْ فِيهِ وَانْتَظِرِ الْاَمْرَ فِيهِ، فَاِنْ اُمِرْتَ بِتَنَاوُلِهٖ فَدُوْنَكَ وَ اِنْ مُنِعْتَ فَكُفَّ عَنْ تَنَاوُلِهٖ فَلْيَكُنْ ذٰلِكَ عِنْدَكَ كَاَنَّهٗ لَمْ يَكُنْ وَ لَمْ يُوْجَدْ، اِرْجِعْ اِلَى الْبَابِ وَابْتَغِ عِنْدَ رَبِّكَ الرِّزْقَ اِنْ ضَعُفْتَ عَنِ الصَّبْرِ اَوِالْمُوَافَقَةِ وَالرِّضَا اَوِالْفَنَاءِ فَهُوَ عَزَّ وَ جَلَّ لَا يَحْتَاجُ اَنْ يُّذْكَرَ فَاِنَّهٗ لَيْسَ بِغَافِلٍ عَنْكَ وَ لَا عَنْ غَيْرِكَ، هُوَ عَزَّ وَ جَلَّ يُطْعِمُ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِيْنَ وَالْمُرْتَدِّيْنَ فَكَيْفَ يَنْسَاكَ اَيُّهَا الْمُؤْمِنُ الْمُوَحِّدُ الْمُقْبِلُ عَلٰى طَاعَتِهٖ الْقَائِمُ بِاَمْرِهٖ فِي آنَاءِ اللَّيْلِ وَ اَطْرَافِ النَّهَارِ.

«قَالَ رَضِيَ اللهُ تَعَالٰى عَنْهُ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ:»

«دَعْ مَا يُرِ يْبُكَ اِلٰى مَا لَا يُرِ يْبُكَ» من راب يَريب بفتح حرف المضارعة و ضمها بمعنى يوقعك في الشك لكن الفتح أفصح و أشهر صرح به الإمام النووي في آخر أربعينه، و جاء أراب يُريب بضمها أيضًا بمعناه أي اترك ما يوقعك في الشك ذاهبا «إِلٰى مَا لَا يُرِ يْبُكَ. اِذَا اجْتَمَعَ عِنْدَكَ مَا يُرِ يْبُكَ مَعَ مَا لَا يُرِ يْبُكَ» يعني إذا

(1) رواه الإمام البخاري في صحيحه في أول باب "تفسير المشبَّهات". والترمذي في جامعه في أبواب صفة القيامة والرقائق والورع،برقم:٢٥١٨، والنسائي في سننه في الحث على ترك الشبهات، برقم:٥١١، وأحمد في مسنده برقم: ١٧٢٣،و،١٧٢٧،و، ١٢٠٩٩،و، ١٢٥٥٠. المشاهدي

اجتمع عندك أمران و أنت تعرف أن واحدا منهما عزيمة، و هو المراد بما لا يريبك، والآخر رخصة، و هوالمراد بما يريبك «فَخُذْ بِالْعَزِيْمَةِ الَّتِيْ لَا يَشُوْبُهَا» في الواقع «رَيْبٌ وَ لَا شَكٌّ» والرخصة قلّما يصفو عن الشك «وَ دَعْ مَا يُرِيْبُكَ» و طريق معرفة العزيمة إذا اشتبه أن تنظر أيها أثقل على النفس فما كان أثقل فاتبعه، فإنه لا يثقل عليها إلا ما كان حقا، «وَ أَمَّا إِذَا تَجَرَّدَ الْمُرِيْبُ» أي المشكوك «الْمَشُوْبُ» المخلوط «لَمْ يَصْفُ عَنْ حَزِّ الْقَلْبِ وَ حَكِّهٖ» قال في الصحاح كل شيء حَكَّ في صدرك فقد حزّه، و قال في الحك حككت الشيء اَحَكُّهٗ، و ما حك في صدري منه شيء أي ما خالج في القلب، و حكه عطف تفسيري أي عند شيء و له وجه واحد، و لا ينشرح صدرك في فعله و تناوله، فاعلم أن ذلك لا يخلو عن إثم كَمَا جَاءَ في الْخَبَرِ عن النبي صلى الله عليه وسلم: "اَلْإِثْمُ حَزَّازُ الْقُلُوْبِ"[1] و أيضًا عنه عليه الصلوة والسلام: "إذا حاك في نفسك شيء فدعه"[2]

«فَتَوَقَّفْ فيهِ» أي في ذلك المشكوك «وَانْتَظِرِ الْاَمْرَ» أي أمر الله تعالٰى «فيهِ» في ذلك المريب كما هو شأن أولياء الله تعالٰى «فَإِنْ اُمِرْتَ» في باطنك «بِتَنَاوُلِهٖ فَدُوْنَكَ» اسم فعل بمعنى خذ ذلك الأمر «وَ اِنْ مُنِعْتَ» في باطنك عن تناول ذلك الأمر «فَكُفَّ» نفسك «عَنْ تَنَاوُلِهٖ» فإنه شر «فَلْيَكُنْ ذٰلِكَ» المريب

(1) روي عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: "الإثم حواز القلوب" وفي رواية:حواز الصدور" أخرجه الطبراني في الكبير برقم:٨٧٤٧، والبيهقي في الشعب برقم:٧٢٧٧، وذكره الهيثمي في المجمع، وقال: رواه الطبراني بأسانيد رجالها ثقات، وفي معناه قال ابن الأثير في النهاية (١/ / ٣٧٧) هي الأمور التي تحزفيها، أي تؤثر كما يؤثر الحز في الشيء، وهو ما يخطر فيها من أن تكون معاصي لفقد الطمانينة إليها أي يحوزها و يتملكها و يغلب عليها، و يروى "حزاز القلوب" مأخوذمن الحز و هوالقطع من الشيء في غير إبانة كما يقال هذا الأمر حز في صدري أي في قلبي أي أثرفيه، ومقصود ذلك أن الإثم له أثرفي صداالقلب و ظلمة عن الحق، وجرأته على الظلم والعدوان، والآثام، هي الذنوب والمعاصي التى تحز في القلب وتؤثر فيه كما يؤثر الحز في الشيء، وعلى العاقل أن يحذر مغبة الآثام، فإن نارها تحت الرماد، ولا خير في الدنيا إذا كان في القلب طريق مفتوح لتحصيل الذنوب، وقد أمر الله تعالىٰ بترك الإثم الظاهر والخفي. المشاهدي

(2) رواه الإمام أحمد في مسنده، برقم:٢٢١٦٦، عن أبي أمامة رضي الله عنه. المشاهدي

المشكوك «عِنْدَكَ كَاَنَّهُ لَمْ يَكُنْ» تفسيره قوله: «وَ لَمْ يُوْجَدْ، اِرْجِعْ» بعد الكف عما منعت «إلى الْبَابِ» أي باب ربك تعالىٰ «وَابْتَغِ» أي اطلب «عِنْدَ رَبِّكَ الرِّزْقَ اِنْ ضَعُفْتَ عَنِ الصَّبْرِ» عن الطلب كما هو شأن المتقين «اَوِالْمُوَافَقَةِ» للقدر «وَالرِّضَاء» بالقضاء كما هو شأن الأولياء «اَوِالْفَنَاءِ» عن نفسك و عما نزل بك كما هو شأن البدلاء والأبدال،و إن قويت على شيء من هذه الحالات الثلاث فلا تبتغ عند الله تعالىٰ أيضًا «فَهُوَ عَزَّ وَ جَلَّ لَا يَحْتَاجُ أَنْ يُّذْكَرَ» فتذكره مرادك بطلبك عنه وكيف يحتاج إلى التذكير «فَإِنَّهُ» تعالىٰ «لَيْسَ بِغَافِلٍ» عن أحد من المخلوقات «لا عَنْكَ وَ لَا عَنْ غَيْرِكَ» وكيف تظن به تعالىٰ أن يتغافل عنك إذ «هُوَ عَزَّ وَ جَلَّ يُطْعِمُ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِيْنَ وَالْمُرْتَدِّيْنَ فَكَيْفَ يَنْسَاكَ؟أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ الْمُوَحِّدُ الْمُقْبِلُ عَلَى طَاعَتِهٖ» تعالىٰ «الْقَائِمُ بِاَمْرِهٖ فِي آنَاءِ اللَّيْلِ وَ اَطْرَافِ النَّهَارِ» فقوله: "فهو" عزوجل جملة معللة لمحذوف مدلولٍ عليه بالشرطية الأولى، و قوله: "ليس بغافل" علة لعدم الاحتياج إلى التذكر، و قوله: "و هو يعطم" علة لعدم الغفلة، فتأمل.و هذا الوجه الَّذِيْ ذكر في تفسير الحديث مما يقتضيه ظاهر لفظه جلي الحال عند أهل العلم.

وَ فِيهِ وَجْهٌ آخَرُ: دَعْ مَا يُرِيْبُكَ لِمَا لَا يُرِيْبُكَ، دَعْ مَا فِي يَدِالْخَلْقِ فَلَا تَطْلُبْهُ وَ لَا تُعَلِّقْ قَلْبَكَ بِهٖ وَ لَا تَرْجُوالْخَلْقَ وَ لَا تَخَافُهُمْ، وَ خُذْ مِنْ فَضْلِ اللهِ وَ هُوَ مَا لَا يُرِيْبُكَ فَلْيَكُنْ لَكَ مَسْئُوْلٌ وَّاحِدٌ وَ مُعْطِيْ وَاحِدٌ وَ مَرْجُوٌّ وَّاحِدٌ وَ مُخَوِّفٌ وَّاحِدٌ وَ هِمَّةٌ وَّاحِدَةٌ وَ هُوَ رَبُّكَ عَزَّ وَ جَلَّ الَّذِيْ نَوَاصِي الْمُلُوْكِ بِيَدِهٖ تَعَالٰى وَ قُلُوْبُ الْخَلْقِ بِيَدِهٖ الَّتِيْ هِيَ اُمَرَاءُ الْاَجْسَادِ.وَ اَمْوَالُ الْخَلْقِ لَهٗ عَزَّ وَ جَلَّ وَالْخَلْقُ وُكَلَائُهٗ وَ اُمَنَائُهٗ وَ حَرَكَةُ اَيْدِيْهِمْ بِالْعَطَاءِ لَكَ بِاِذْنِهٖ عَزَّوَجَلَّ وَ اَمْرِهٖ وَ تَحْرِيْكِهٖ وَ كَفُّهَا عَنْ عَطَائِكَ كَذٰلِكَ كَمَا قَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ:

﴿وَاسْئَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهٖ﴾ [النســـــاء، رقم الســورة:٤،رقم الآية:٣٢]

وَ قَالَ عَزَّ وَ جَلَّ:

﴿إِنَّ الذينَ تَعْبُدُوْنَ مِنْ دُوْنِ الله لَا يَمْلِكُوْنَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوْا عِنْدَ الله الرِّزْقَ وَ اعْبُدُوْهُ وَ اشْكُرُوْا لَهٗ ط اِلَيْهِ تُرْجَعُوْنَ﴾ [العنكبوت،رقم السورة:٢٩،رقم الآية:١٧]

وَ قَالَ:

﴿وَ اِذَا سَاَلَكَ عِبَادِيْ عَنِّيْ فَاِنِّيْ قَرِيْبٌ ط اُجِيْبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ اِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة،رقم السوة:٢، رقم الآية:١٨٦]

وَ قَالَ عَزَّ وَ جَلَّ:

﴿اُدْعُوْنِيْٓ اَسْتَجِبْ لَكُمْ ط﴾ [غافر،رقم السورة:٤٠،رقم الآية:٦٠]

وَ قَالَ:

﴿إِنَّ الله هُوَ الرَّزَّاقُ ذُوالْقُوَّةِ الْمَتِيْنُ﴾ [الذٰريٰت، رقم السورة:٥١، رقم الآية:٥٨]

وَ قَالَ:

﴿إِنَّ الله يَرْزُقُ مَنْ يَّشَـــآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمـران، رقم السورة:٣،رقم الآية:٣٧]

«وَ فيهِ» أي في شرح الحديث «وَجْهٌ آخَرُ» أدق من الأول و هو أن مراده عليه الصلوة والسلام «دَعْ مَا يُرِ يْبُكَ لِمَا لَا يُرِ يْبُكَ» بمعنى «دَعْ مَا فِي يَدِالْخَلْقِ» من التنعمات والتلذذات «فَلَا تَطْلُبْهُ» عنهم «وَ لَا تعَلِّقْ قَلْبَكَ بِهِ، وَ لَا تَرْجُوالْخَلْقَ، وَ لَا تَخَافُهُمْ وَ خُذْ» مراد ك و مطلو بك «مِنْ فَضْلِ الله» تَعَالٰى «وَ هُوَ» أي الله أو فضل الله «مَا لَا يُرِ يْبُكَ» و أن الله تعالٰى أعطى لك قلباواحدا فإذا كان لك قلب واحد «فَلْيَكُنْ لَكَ مَسْئُوْلٌ وَّاحِدٌ» هو فضل الله «وَ مُعْطِيْ وَاحِدٌ» هو الله «وَ مَرْجُوٌّ وَّاحِدٌ» هو الله «وَ مُخَوَّفٌ وَّاحِدٌ» هو الله تعالٰى «وَ هِمَّةٌ وَّاحِدَةٌ وَ هُوَ رَبُّكَ عَزَّ وَ جَلَّ الَّذِيْ نَوَاصِى الْمُلُوْكِ» و هو شعر مقدم الرأس «بِيَدِهٖ تَعَالٰى، وَ قُلُوْبُ الْخَلْقِ

بِيَدِهٖ الَّتِيْ» أي القلوب «هِيَ أُمَرَاءُ الْاَجْسَادِ» فإن حركة الأجساد و سكونها بإرادات القلوب التابعة لإرادات الله تعالىٰ كما قال صلى الله عليه وسلم:

قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء.[1]

«وَاَمْوَالُ الْخَلْقِ لَهٗ عَزَّ وَ جَلَّ، وَالْخَلْقُ وُكَلَاتُهٗ وَ اُمَنَائُهٗ» لا قدرة لهم على شيء من التصرفات لأنفسهم فأين أنت و آخر «وَ حَرَكَةُ اَيْدِيْهِمْ بِالْعَطَاءِ لَكَ بِاِذْنِهٖ عَزَّوَجَلَّ وَ اَمْرِهٖ» أي إرادته «وَ تَحْرِيْكِهٖ» إياها إليك لا من أنفسهم حتى تتوجه إليهم «وَ كَفُّهَا» أي منع حركة أيدي الخلق «عَنْ عَطَائِكَ كَذٰلِكَ» أي بإذنه عز و جل فَوَجِّهْ وجهك إلى الحق تعالىٰ معرضا عن الخلق «كَمَا قَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ:»

وَ سْئَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهٖ.[النساء،رقم السورة:٤،رقم الآية:٢٣]

«وَ قَالَ عَزَّ وَ جَلَّ» في صرف التوجه عن الغير:

اِنَّ الذينَ تَعْبُدُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللهِ لَا يَمْلِكُوْنَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوْا عِنْدَ اللهِ الرِّزْقَ وَ اعْبُدُوْهُ وَ اشْكُرُوْا لَهٗ ط اِلَيْهِ تُرْجَعُوْنَ.[العنكبوت،رقم السورة:٢٩،رقم الآية:١٧]

«وَ قَالَ» سبحانه بيانا لقربه و إظهارًا للطفه:

«وَ اِذَا سَاَلَكَ عِبَادِيْ عَنِّيْ فَاِنِّيْ قَرِيْبٌ ط اُجِيْبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ اِذَا دَعَانِ. [البقرة، رقم السورة:٢،رقم الأية:١٨٦]

«وَ قَالَ عَزَّ وَ جَلَّ:»

«اُدْعُوْنِيْٓ اَسْتَجِبْ لَكُمْ ط». [غافر،رقم السورة:٤٠،رقم الآية:٦٠]

«وَ قَالَ» تعالىٰ و تقدس:

«اِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُوالْقُوَّةِ الْمَتِيْنُ». [الذٰريٰت،رقم السورة:٥١، رقم الآية:٥٨]

«وَ قَالَ» عَزَّ وَ جَلَّ:

«اِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَّشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ». [اٰل عمران،رقم السورة:٣،رقم الآية٣٧]

---

(1) لم نجده بهذا اللفظ، وروى الإمام مسلم في صحيحه بهذا اللفظ: عن عبدالله بن عمرو بن العاص يقول: إنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن قلوب بنى آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمٰن كقلب واحد، يصرفه حيث يشاء، انظر كتاب القدر، باب تصريف الله تعالىٰ القلوب كيف يشاء، برقم:٢٦٥٤.

اَلْمَقَالَةُ الْحَادِيَةُ وَالْعِشْرُوْنَ

في رُؤْ يَةِ قُدِّسَ سِرُّهُ اِبْلِيْسَ اللَّعِيْنَ في الْمَنَامِ

قَالَ رَضِيَ اللهُ تَعَالىٰ عَنْهُ: رَأيْتُ اِبْلِيْسَ اللَّعِيْنَ في الْمَنَامِ وَ اَنَا في جَمْعٍ كَثِيْرٍ فَهَمَمْتُ بِقَتْلِهِ، فَقَالَ: لِمَ تَقْتُلُنِيْ وَ مَا ذَنْبِيْ؟ اِنْ جَرَى الْقَدْرُ بِالشَّرِّ لَا اَقْدِرُ اَن أُغَيِّرَهٗ اِلٰى خَيْرٍ وَ اَنْقُلَهٗ اِلَيْهِ، وَ اِنْ جَرَى الْقَدْرُ بِالْخَيْرِ فَلَا اَقْدِرُ اَنْ أُغَيِّرَهٗ وَ اَنْقُلَهٗ إلى الشَّرِّ، وَ أي شيء بِيَدِيْ. وَ رَاَيْتُ صُوْرَتَهٗ عَلٰى صُوْرَةِ الْخُنَاثَا لَيِّنَ الْكَلَامِ مَسْنُوْنَ الْوَجْهِ طَاقَاتُ شَعْرٍ في ذَقَنِهٖ حَقِيْرُ الصُّوْرَةِ دَمِيْمُ الْخَلْقِ ثُمَّ تَبَسَّمَ فِيْ وَجْهِي تَبَسُّمَ خَجِلٍ وَوَجِلٍ وَ ذٰلِكَ في لَيْلَةِ الْاَحَدِ ثَانِيْ عَشَرَ ذِى الْحِجَّةِ سَنَةَ اَحَدَ وَ تِسْعِيْنَ وَ اَرْبَعِ مِائَةٍ.

«قَالَ رَضِيَ الله تَعَالٰى عَنْهُ: رَأيْتُ اِبْلِيْسَ اللَّعِيْنَ في الْمَنَامِ، وَ اَنَا في جَمْعٍ كَثِيْرٍ فَهَمَمْتُ بِقَتْلِهٖ» بتائيد الله تعالٰى و تمكينه، «فَقَالَ» إبليس لي: «لِمَ تَقْتُلُنِيْ» يا غوث الأعظم «وَ مَا ذَنْبِيْ اِنْ جَرَى الْقَدْرُ» أي تقدير الله تعالى في أي مادة كان «بِالشَّرِّ» فإني «لَا اَقْدِرُ اَن اُغَيِّرَهٗ اِلٰى خَيْرٍ، وَ اَنْقُلَهٗ» أي ذلك الشر المقدر «اِلَيْهِ» أي إلى الخير «وَ اِنْ جَرَى الْقَدْرُ بِالْخَيْرِ فَلَا اَقْدِرُ اَنْ اُغَيِّرُهٗ» أي ذلك الخير «وَ اَنْقُلَهٗ إِلَى الشَّرِّ» فأيّ تصرف لي «وَ أي شيء بِيَدِيْ» فتجاوزت عنه و لقد صدق إبليس في هذا الكلام و إن كان كاذبا؛ فإن الكَذُوبَ قد يصدق كما ورد في حديث رواه ابن عدي في الكامل والعقيلي في الضعفاء عن عمر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

بُعِثْتُ داعيًا و مُبَلِّغًا و ليس إليّ من الهدى شيء و خلق إبليس مُزَيِّنًا و ليس

إليه من الضلالة شيء.[١]

«وَ رَأَيْتُ صُوْرَتَهٗ» أي إبليس «عَلٰى صُوْرَةِ الْخُنَاثَا» لا على صورة الذكران والأناثى، «لَيِّنَ الْكَلَامِ» مثل الأنثى بل الخنثى «مَسْنُوْنَ الْوَجْهِ» أي طويله ففي الصحاح: رجل مسنون إذا كان في أنفه و وجهه طول، و في القاموس: رجل مسنون الوجه مَمَلّسه حَسَنُه سَهْلُه، أو في وجهه و أنفه طول «طَاقَاتُ» جمع طاق بمعنى حلقات «شَعْرٍ فِي ذَقَنِهٖ» بدل من فيه «حَقِيْرُ الصُّوْرَةِ دَمِيْمُ الْخَلْقِ» أي قبيحه ففي الصحاح: الدميم القبيح فاستحيي مني، «ثُمَّ تَبَسَّمَ فِيْ وَجْهِي تَبَسُّمَ خَجِلٍ» لعلمه بأنه لا يقدر على حيلة في شيء من أمري «وَوَجِلٍ» لما رأى من القوّة والقدرة على أخذه و بطشه حين هممتُ بقتله «وَ ذٰلِكَ» الرؤيا كان «فِي لَيْلَةِ الْأَحَدِ ثَانِيْ عَشَرَذِى الْحِجَّةِ سَنَةَ اَحَدٍ وَ تِسْعِيْنَ وَ أَرْبَعِ مِائَةٍ» و قد يعلم من كلام المشائخ أن إبليس يظهر للسالكين في اليقظة عيانا للتلبيس والإغواء، و يتمثل بصُوَر الصالحين كثيرا و لا يقدر التمثل بصورة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و لا بصورة شيخ إذا كان الشيخ تابعا للنبي صلى الله عليه وسلم مأذونا بالإرشاد من شيخه المأذون هكذا إلى حضرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(1) انظر "الضعفاء الكبير" (٢/ ٩/ ٤١٩) ترجمة خالد بن عبدالرحمٰن أبوالهيثم، وقال العقيلي: خالد ليس بمعروف بالنقل، وحديثه غير محفوظ، وأخرجه ابن عدي في الكامل (٣/ ٩١٠)من طريق آخر من خالد. المشاهدي

اَلْمَقَالَةُ الثَّانِيَةُ وَالْعِشْرُوْنَ

في بَيَانِ أَنَّ ابْتِلَاءَ الله تَعَالٰى الْـمُؤْمِنِيْنَ عَلٰى قَدْرِ اِيْمَانِهِمْ

قَالَ رَضِيَ اللهُ تَعَالٰى عَنْهُ: لَا يَزَالُ اللهُ يَبْتَلِيْ عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ عَلٰى قَدْرِ اِيْمَانِهٖ فَمَنْ عَظُمَ اِيْمَانُهٗ وَ كَثُرَ وَ تَزَايَدَ عَظُمَ بَلَاؤُهٗ وَ الرَّسُوْلُ بَلَاءُهٗ اَعْظَمُ، مِنْ بَلَاءِ النَّبِيِّ لِاَنَّ اِيْمَانَهٗ اَعْظَمُ وَالنَّبِيُّ بَلَاءُهٗ اَعْظَمُ مِنْ بَلَاءِ الْبَدَلِ، وَ بَلَاءُ الْبَدَلِ اَعْظَمُ مِنْ بَلَاءِ الْوَلِيِّ، كُلُّ وَاحِدٍ عَلٰى قَدْرِ اِيْمَانِهٖ وَ يَقِيْنِهٖ وَ اَصْلُ ذٰلِكَ قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ عَلٰى اٰلِهٖ وَ سَلَّمَ: "اِنَّا مَعَاشِرُ الْاَنْبِيَاءِ اَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً ثُمَّ الْاَمْثَلُ فَالْاَمْثَلُ".

«قَالَ رَضِيَ الله تَعَالٰى عَنْهُ: لَا يَزَالُ اللهُ يَبْتَلِيْ عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ عَلٰى قَدْرِ إِيْمَانِهٖ فَمَنْ عَظُمَ إِيْمَانُهٗ وَ كَثُرَ» ثمراته «وَ تَزَايَدَ» يقينه «عَظُمَ بَلَاؤُهٗ، وَ» لذا كان «الرَّسُوْلُ بَلَاءُهٗ أَعْظَمُ مِنْ بَلَاءِ النَّبِيِّ لِاَنَّ إِيْمَانَهٗ أَعْظَمُ» من إيمان النبي حتى كان أولوا لعزم من الرسل و هم خمسة سيدنا محمد و نوح وإبراهيم و موسى و عيسى صلوات الله و سلامه عليهم بلاء هم أشد من بلاء إخوانهم من النبيين عليهم السلام «وَالنَّبِيِّ بَلَاءُهٗ أَعْظَمُ مِنْ بَلَاءِ الْبَدَلِ» لأن مرتبة النبوة أعظم من مرتبة البدلية، لأن النبي والولي لا يبلغ درجة النبوة عند العلماء والمشائخ بالإجماع، لأن النبي مع ماله من الولاية معصوم عن المعاصي مأمون عن سوء العاقبة، والولي محفوظ لا معصوم «وَ بَلَاءُ الْبَدَلِ أَعْظَمُ مِنْ بَلَاءِ الْوَلِيِّ كُلُّ وَاحِدٍ» من المقربين مبتلى «عَلٰى قَدْرِ إِيْمَانِهٖ وَ يَقِيْنِهٖ» فمن إيمانه أعظم و يقينه أز يد يكون بلاءه أعظم.

ثم اعلم أن الايمان يزداد و ينقص عند الشافعي فلا إشكال حينئذ، و عند أبي حنيفة رضي الله تعالٰى عنه الإيمان لا يزداد و لا ينقص فعلى مذهبه يكون المراد بالإيمان واليقين ههنا الخصوصية التي لكل واحد مع الله تعالٰى؛ فإنها متفاوتة جدا

على قدر مراتبهم عند الله تعالىٰ «وَ اَصْلُ ذٰلِكَ» أي حجة أن ابتلاء كل على قدر إيمانه «قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ عَلٰى اٰلِهٖ وَ سَلَّمَ:»

«اِنَّا مَعَاشِرُ الْاَنْبِيَاءِ اَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً ثُمَّ الْاَمْثَلُ فَالْاَمْثَلُ».

و مثله ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سئل النبي صلى الله عليه وسلم أي الناس أشد بلاء ؟

قال: "الأنبياء ثم الأمثل فالامثل" يُبْتَلَى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلبا اشتد بلاءه، و إن كان في دينه رقة هُوِّنَ عليه فما زال كذلك حتى يمشي على الأرض ما له ذنب. رواه الترمذي وابن ماجه والدارمي.[1]

فيدِيْمُ اللهُ تَعَالَى الْبَلَاءَ لِهٰؤُلَاءِ السَّادَاتِ الْكِرَامِ حَتّٰى يَكُوْنُوْا اَبَدًا فِي الْحَضْرَةِ وَ لَا يَغْفَلُوْا عَنِ الْيَقْظَةِ؛ لِاَنَّهٗ تَعَالٰى يُحِبُّهُمْ فَهُمْ اَهْلُ الْمَحَبَّةِ مَحْبُوْبُو الْحَقِّ عَزَّ وَ جَلَّ وَالْمُحِبُّ اَبَدًا لَا يَخْتَارُ بُعْدَ مَحْبُوْبِهٖ، اِذِالْبَلَاءُ خُطَّافٌ. لِقُلُوْبِهِمْ وَ قَيْدٌ لِنُفُوْسِهِمْ يَمْنَعُهُمْ عَنِ الْمَيْلِ اِلٰى غَيْرِ مَطْلُوْبِهِمْ وَالسُّكُوْنِ وَ الْاِرْتِكَانِ اِلٰى غَيْرِ خَالِقِهِمْ، فَاِذَا دَامَ الْبَلَاءُ فِي حَقِّهِمْ ذَابَتْ اَهْوَاءُهُمْ وَانْكَسَرَتْ نُفُوْسُهُمْ وَ تَمَيَّزَ الْحَقُّ عَنِ الْبَاطِلِ فَتَزُوْلُ الشَّهَوَاتُ وَالْاِرَادَاتُ وَالْمَيْلُ اِلَى اللَّذَّاتِ وَالرَّاحَاتِ دُنْيَا وَ اُخْرٰى بِاَجْمَعِهَا اِلٰى مَا يَلِي النَّفْسَ وَ يَصِيْرُ السُّكُوْنُ اِلٰى وَعْدِ الْحَقِّ عَزَّ وَ جَلَّ وَالرِّضَا بِقَضَائِهٖ، وَالْقَنَاعَةُ بِعَطَائِهٖ، وَالصَّبْرُ عَلٰى بَلَائِهٖ، وَ الْاَمْنُ

(1) أخرجه الترمذي في جامعه، باب ماجاء في الصبر على البلاء، برقم:٢٣٩٨ وقال: حديث حسن صحيح، ابن ماجه في سننه، باب الصبر على البلاء، برقم: ٤٠٢٣، والدارمي في سننه باب في أشدالناس بلاء، برقم:٢٨٢٥ .واللفظ عندهم

عن مصعب بن سعد، عن أبيه قال : قلت يا رسول الله ، أي الناس أشد بلاء؟ قال: «الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل. فيبتلي الرجل على حسب دينه . فإن كان دينه صلبا اشتد بلاؤه ، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة» وقال الترمذي: وفي الباب عن أبي هريرة، وأخت حذيفة بن اليمان. وفي المخطوطة:عب أبي سعيد الخدري. المشاهدي

مِنْ شَرِّ خَلْقِهٖ اِلٰى مِمَّا يَلِي الْقَلْبَ وَالْيَقِيْنَ فَتَقْوٰى شَوْكَةُ الْقَلْبِ فَتَصِيْرُ الْوِلَايَةُ عَلَى الْجَوَارِحِ اِلَيْهِ؛ لِاَنَّ الْبَلَاءَ يُقَوِّي الْقَلْبَ وَالْيَقِيْنَ، وَ يُحَقِّقَ الْاِيْمَانَ وَالصَّبْرَ، وَ يُضْعِفُ النَّفْسَ وَالْهَوٰى؛ لِاَنَّهٗ كُلَّمَا وَصَلَ الْاَلَمُ وَ وُجِدَ مِنَ الْمُؤمِنِ الصَّبْرُ وَالرِّضا وَالتَّسْلِيْمُ لِفِعْلِ الرَّبِّ رَضِيَ اللهُ تَعَالٰى عَنْهُ وَ شَكَرَهٗ فَجَاءَهُ الْمَدَدُ وَالزِّيَادَةُ وَالتَّوْفِيقُ كَمَا قَالَ تَعَالٰى:
﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَاَزِيْدَنَّكُمْ﴾[ابراهيم،رقم السورة:١٢، رقم الآية:٧]

«فيدِيْمُ اللهُ تَعَالٰى الْبَلَاءَ لِهٰؤلَاءِ السَّادَاتِ الْكِرَامِ حَتّٰى يَكُوْنُوْا اَبَدًا فِي الْحَضْرَةِ» أي الحضور مع الله تعالٰى «وَ لَا يَغْفَلُوْا عَنِ الْيَقْظَةِ» والتيقظ في ساحة عز الحضور حتى لا يفوتهم أدب من الآداب مع الرب تعالٰى «لِاَنَّهٗ تَعَالٰى يُحِبُّهُمْ» أزيد من حبهم إياه «فَهُمْ اَهْلُ الْمَحَبَّةِ» والوداد والخلة «مَحْبُوْبُو الْحَقِّ عَزَّ وَ جَلَّ وَالْمُحِبُّ اَبَدًا لَا يَخْتَارُ بُعْدَ مَحْبُوْبِهٖ» فيبتليهم ببلاء ليقربهم به إليه «اِذِالْبَلَاءُ خُطَّافٌ».

لِقُلُوْبِهِمْ» الخطاف بالفتح الشيطان، و بالضم الطائر أو الحديدة المعوجة كالكوب يختطف به الشيء و يجمع على خطاطيف كذا في اللغة، والأخير هو المناسب ههنا فالخطاف كالقُلَّابِ أي البلاء قُلَّاب لقلوبهم يجذب الله تعالٰى به القلوب من الذهاب إلى الغير «وَ قَيْدٌ لِنُفُوْسِهِمْ» عن التوجه إلى ماسوى الله تعالٰى «يَمْنَعُهُمْ عَنِ الْمَيْلِ إلٰى غَيْرِ مَطْلُوْبِهِمْ» الَّذِيْ هو الله سبحانه «وَالسُّكُوْنِ» أي القرار «وَالْاِرْتِكَانِ» أي الميلان «إلٰى غَيْرِ خَالِقِهِمْ» و بهذا المعنى قال المشائخ: الأولياء أطفال في حجرالحق أي في حفظه يحفظهم عمايوجب حط مرتبتهم «فَإذَا دَامَ الْبَلَاءُ» و في بعض النسح: "فاذا دام ذلك" أي البلاء «فِي حَقِّهِمْ ذَابَتْ اَهْوَاءُهُمْ» و في بعض النسخ: "اَهْوِيَتُهم" «وَانْكَسَرَتْ نُفُوْسُهُمْ» عن التوجه إلى غير الله تعالٰى «وَ تَمَيَّزَ الْحَقُّ» عندهم و هو الله تعالٰى «عَنِ الْبَاطِلِ» و هو غير الله تعالٰى، فلما جاء الحق و زهق الباطل «فَتَزُوْلُ الشَّهَوَاتُ» الهوائية «وَالْاِرَادَاتُ» النفسانية «وَالْمَيْلُ إلى اللَّذَّاتِ وَالرَّاحَاتِ» الجسمانية الحيوانية «دُنْيَا» كما لأ بناء

الدنيا «وَ أُخْرٰى» كما لطالب الأخرى، فإن طالب المولٰى فارغ عنهما «بِأَجْمَعِهَا إِلٰى» غير ذلك من «مَا يَلِي النَّفْسَ» من الصفات المشتهات لها؛ فإن النفس كما تشتهي لذات الدنيا تشتهي لذات الأخرى «وَ يَصِيْرُ السُّكُوْنُ» لهم بعد انكسار النفوس و زوال. شهواتها، و إرادتها الدنيو ية والأخرو ية «إِلٰى وَعْدِ الْحَقِّ عَزَّ وَ جَلَّ وَالرِّضَاء بِقَضَائِهِ، وَالْقَنَاعَةُ بِعَطَائِهِ، وَالصَّبْرُ عَلٰى بَلَائِهِ» لملاحظتهم قول الله تعالٰى: "من لم يرض بقضائي، و لم يشكر على نعمائي و لم يصبر على بلائي فليخرج من تحت سمائي، و ليطلب ربًّا سوائي «وَ» يصير لهم «الْأَمْنُ مِنْ شَرِّ خَلْقِهِ» لعدم رؤ يتهم للخلق في تحقق الأشياء بل يرون الكل من الله تعالٰى «إِلٰى» غير ذلك «مِمَّا يَلِي الْقَلْبَ» من الصفات الحميدة كالشكر والثناء والتواضع والطاعة والصدق «وَالْيَقِيْنَ» والاطمينان «فَتَقْوٰى» حينئذٍ «شَوْكَةُ الْقَلْبِ» و سلطنته «فَتَصِيْرُ الْوِلَايَةُ عَلَى الْجَوَارِحِ» التصرف فيها من النفس والهوى[1] «اِلَيْهِ» أي إلى القلب، و ذلك «لِاَنَّ الْبَلَاءَ يُقَوِّي الْقَلْبَ وَالْيَقِيْنَ» لما ذكر أنه موجب للتوجه إلى جناب الحق، و التضرع إليه، والخشوع له «وَ يُحَقِّقَ الْاِيْمَانَ» بأن الله وحده مصرف الأمور «وَالصَّبْرَ» على ذلك البلاء؛ فإن الله تعالٰى ما ابتلاه غضبا بل رحمة «وَ يُضْعِفُ النَّفْسَ وَالْهَوٰى؛ لِاَنَّهُ» أي الشان «كُلَّمَا وَصَلَ الْاَلَمُ» للمؤمن «وَ وُجِدَ مِنَ الْمُؤْمِنِ الصَّبْرُ وَالرِّضَاءُ وَالتَّسْلِيْمُ لِفِعْلِ الرَّبِّ رَضِيَ الله تَعَالٰى عَنْهُ» أي عن ذلك المؤمن المولَم الصابر «وَ شَكَرَهُ» هو أي جزاه الله تعالٰى جزاء الشاكر ين «فَجَاءَهُ» أي المؤمن المبتلى الصابر «الْمَدَدُ» من جانب الله بإعطاء الصبر الجميل، أو بإزالة البلاء اللاحق «وَالزِّ يَادَةُ» في الاطمينان والقرار «وَالتَّوْفيقُ» للرضاء والتسليم والتوجه إلى الله تعالٰى في حالة لحوق البلاء، وحالة زوالها عنه «كَمَا قَالَ تَعَالٰى:»

«لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَاَ زِ يْدَنَّكُمْ» [إبراهيم: ١٢/ ٧]

وَ اِذَا تَحَرَّكَتِ النَّفْسُ بِطَلْبِ شَهْوَةٍ مِنْ شَهَوَاتِهَا وَ لَذَّةٍ مِنْ لَذَّاتِهَا مِنَ الْقَلْبِ، فَاَجَابَ الْقَلْبُ اِلٰى مَطْلُوْبِهَا وَذٰلِكَ مِنْ غَيْرِ اَمْرٍ مِنَ الله

(١) یعنی معزولی وتغیر نفس وھوی بسوے قلب سپردہ شود۔ من الشارح

تَعَالٰى وَمِنْ غَيْرِ إِذْنٍ مِنْهُ، حَصَلتْ بِذٰلِكَ غَفْلَةٌ عَنِ الحقِّ، وَ شِرْكٌ وَمَعْصِيَةٌ فَعَمَّهُمَا اللهُ تَعَالٰى بِالخُذْلَانِ وَالبَلَايَا وتَسْلِيْطِ الخَلقِ وَالأَوْجاعِ والأَمْرَاضِ فَيَنَالُ كُلٌّ وَاحِدٍ مِنَ القَلبِ وَالنَّفْسِ حَظَّهُ مِنْ ذٰلِكَ.

«وَ اِذَا تَحَرَّكَتِ النَّفْسُ» من العبد «بِطَلْبِ شَهْوَةٍ مِنْ شَهَوَاتِهَا، وَ لَذَّةٍ مِنْ لَذَّاتِهَا مِنَ الْقَلْبِ» و ترغيبها للقلب على طلب ذلك من الله «فَاَجَابَ الْقَلْبُ» للنفس «إِلٰى مَطْلُوْبِهَا، وَ» كان «ذٰلِكَ» الإجابة منه إلى مطلوبها «مِنْ غَيْرِ اَمْرٍ»ظاهري أو باطني «مِنَ الله تَعَالٰى، وَ من غَيْرِ اِذْنٍ مِنْهُ» تعالٰى ظاهرا و باطنا «حَصَلَتْ» للقلب «بِذٰلِكَ» الإجابة الغير المأمورة «غَفْلَةٌ عَنِ الْحَقِّ وَ شِرْكٌ» خفي «وَ مَعْصِيَةٌ» بالانهماك في الشهوات واللذات «فَعَمَّهُمَا» أي النفسَ بالطلب، والقلبَ بالإجابة «اللهُ تَعَالٰى بِالْخُذْلَانِ وَالْبَلَايَا وَ تَسلِيْطِ الْخَلْقِ» بالتحقير والإهانة «وَالْأَوْجَاعِ وَالْأَمْرَاضِ» لذلك المؤمن الَّذِيْ طلب نفسه بشهواتها، و أجاب قلبه إلى مطلوبها بغير إذن الله تعالٰى «فَيَنَالُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْقَلْبِ وَالنَّفْسِ حَظَّهٗ» الدنيو ية الفانية الخسيسة «مِنْ ذٰلِكَ» المطلوب، أو نصيبه المقدر من ذلك الخذلان.

وَ إِنْ لَّمْ يُجِبِ الْقَلْبُ النَّفْسَ إِلٰى مَطْلُوْبِهَا حَتّٰى يَأْتِيَهُ الْإِذْنُ مِنْ قِبَلِ الْحَقِّ تَعَالٰى بِإِلْهَامٍ فِي حَقِّ الْأَوْلِيَاءِ وَ وَحْيٍ صَرِيْحٍ فِي حَقِّ الْمُرْسَلِيْنَ وَالْأَنْبِيَاءِ فيعْمَلُ عَلٰى ذٰلِكَ عَطَاءً وَ مَنْعًا عَمَّهُمَا اللهُ تَعَالٰى بِالرَّحْمَةِ وَالْبَرَكَةِ وَالطَّاعَةِ وَالرِّضَا وَالنُّوْرِ وَالْمَعْرِفَةِ وَالْقُرْبِ وَالْغِنٰى وَالسَّلَامَةِ مِنَ الْآفَاتِ وَالنُّصْرَةِ عَلَى الْأَعْدَاءِ فَاعْلَمْ ذٰلِكَ، وَاحْفَظْهُ، وَاحْذَرِ الْبَلَاءَ جِدًّا فِي الْمُسَارَعَةِ إِلٰى إِجَابَةِ النَّفْسِ وَالْهَوٰى بَلْ تَوَقَّفْ وَ تَرَقَّبْ فِي ذٰلِكَ إِذْنَ الْمَوْلٰى فَتَسْلَمْ فِي الدُّنْيَا وَالْعُقْبٰى إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالٰى.

«وَ إِنْ لَّمْ يُجِبِ الْقَلْبُ النَّفْسَ اِلٰى مَطْلُوْبِهَا» بل توقف في ذلك و توجه إلى الله «حَتّٰى يَأْتِيَهُ الْإِذْنُ» له «مِنْ قِبَلِ الْحَقِّ تَعَالٰى بِإِلْهَامٍ» منه تعالٰى «فِيْ حَقِّ الْاَوْلِيَاءِ وَ وَحْيٍ صَرِيْحٍ فِي حَقِّ الْمُرْسَلِيْنَ وَالْأَنْبِيَاءِ» و ظهور رخصة شرعية بالتتبع

والاستفسار للمتقين وصالحي المؤمنين «فَيَعْمَلُ» القلب بذلك المطلوب «عَلٰى ذٰلِكَ» الإذن «عَطَاءً وَ مَنْعًا» بأن يؤذن له بالفعل أو بالمنع «عَمَّهُمَا» أي النفسَ الطالبةَ والقلبَ المتوقفةَ المتوجهة «اللهُ تَعَالٰى بِالرَّحْمَةِ» أما للقلب فلتوقفه وتوجهه إلى الله تعالٰى، و أما للنفس فلعدم غلبتها على القلب في إنجاح مطلوبها «وَالْبَرَكَةِ وَالطَّاعَةِ وَالرِّضَاءِ وَالنُّوْرِ وَالْمَعْرِفَةِ وَالْقُرْبِ وَالْغِنٰى وَالسَّلَامَةِ مِنَ الْآفَاتِ وَالنُّصْرَةِ عَلَى الْأَعْدَاءِ فَاعْلَمْ» أيها السالك «ذٰلِكَ» المذكور من أن إجابة القلب للنفس موجبة للغفلة والمعصية، و عدم إجابته لها متوقفا إلى حصول الإذن من الله مثمرة للرضاء والعافية والبركة «وَاحْفَظْهُ» أي ذلك المذكور من الحالين في جميع حالاتك «وَاحْذَرِ الْبَلَاءَ» نِقمةً من الله تعالٰى «جِدًّا» البتة «فِي الْمُسَارَعَةِ» من قلبك «إِلٰى إِجَابَةِ النَّفْسِ وَالْهَوٰى» في ما طلبتا من مشتهياتهما «بَلْ تَوَقَّفْ» أنت بقلبك وإن طلبت نفسك إلى مطلوب «وَ تَرَقَّبْ فِي ذٰلِكَ» الأمر المطلوب للنفس «اِذْنَ الْمَوْلٰى» الَّذِيْ تولى أمرك من بدأ فطرتك إلى الآن «فَتَسْلِمْ» أنت بالتوجه إلى الله تعالٰى «فِي الدُّنْيَا وَالْعُقْبٰى اِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالٰى» لأنك ما ابتداتَ في أمرٍ من أُمورك بنفسك بل بإذن ربك، والله تعالٰى لا يؤاخذك بفعل أَمَرَكَ به فاتبع أمره لتخلص عن عتابه.

اَلْمَقَالَةُ الثَّالِثَةُ وَالْعِشْرُوْنَ

فِي بَيَانِ الْقَنَاعَةِ

قَالَ رَضِيَ اللهُ تَعَالٰى عَنْهُ: اِرْضَ بِالدُّوْنِ وَ الْزَمْهُ جِدًّا حَتّٰى يَبْلُغَ الْكِتَابُ اَجَلَهٗ فَتُنْقَلُ إِلَى الْاَعْلٰى وَ الْاَنْفَسِ، وَ بِهٖ تُهَنَّاُ، وَ فِيْهِ تُبْقٰى وَ تُحْفَظُ بِلَا عَنَاءٍ وَ لَا تَبْعَةٍ وَ لَا عَدْوٍ دُنْيَا اَوْ اُخْرٰى ثُمَّ تَتَرَقّٰى مِنْ ذَا اِلٰى مَا هُوَ اَقَرُّ عَيْنًا مِنْهُ وَ اَهْنَاُ.

«قَالَ رَضِيَ الله تَعَالٰى عَنْهُ:» أيها السالك «اِرْضَ» في الدنيا «بِالدُّوْنِ» أي قليل من الرزق «وَ الْزَمْهُ» أي ذلك الدون «جِدًّا» البتة بهمّتك العلية «حَتّٰى يَبْلُغَ الْكِتَابُ» أي ما قدر الله تعالٰى من الضيق لك «اَجَلَهٗ» أي وقته المقدر، فإذا بلغ ذلك الوقت المقدر «فَتُنْقَلُ» من ذلك المضيق الدني «إِلَى الْاَعْلٰى» السنيّ، «وَ» من ذلك الأخس إلى «الْاَنْفَسِ» الشهي البهي، و هو ثبوت الملك العليّ و مشاهدة الرب الوليّ من غير طلب و تعب منك بتقديره الأزلي «وَ بِهٖ» أي بذلك الأعلى و الأنفس «تُهَنَّاُ» تبارك من عند الله «وَ فِيْهِ» أي في ذلك الأعلى الأنفس «تُبْقٰى» و لا تزال عنك ذلك الأعلى «وَ تُحْفَظُ» عندك «بِلَا عِنَاءٍ» منك في حصوله و إبقائه و حفظه «وَ لَا تَبْعَةٍ» و مشقة و محنة و تكلف «وَ لَا عَدْوٍ» و تجاوز لك من الأعلى و الأنفس إلى غيره «دُنْيَا» كان ذلك الغير «أَوْ اُخْرٰى» أو لا تجاوز لك عن ذلك الأعلى إلى أدون غيره لا في الدنيا و لا في الأُخرى «ثُمَّ تَتَرَقّٰى» بعناية الله تعالٰى «مِنْ ذَا» الأعلى «اِلٰى مَا» أي أمر «هُوَ اَقَرُّ عَيْنًا» و أشرح صدرا «مِنْهُ» أي من ذلك الأعلى الَّذِيْ أعطاك الله تعالٰى أوّلا «وَ اَهْنَاُ» لك من جانب الله تعالٰى بصدقك معه، و عدم تطلعك إلى ما دونه.

وَاعْلَمْ اَنَّ الْقِسْمَ لَا يَفُوْتُكَ بِتَرْكِ الطَّلَبِ وَ مَا لَيْسَ بِقِسْمٍ لَا

تَنَالُهُ بِحِرْصِكَ فِي الطَّلَبِ وَ الْجِدِّ وَالْاِجْتِهَادِ فَاصْبِرْ وَالْزَمِ الْحَالَ وَارْضَ بِهٖ وَ لَا تَأْخُذْ بِكَ فَتَبْتَلِ، وَلَا تُعْطِ بِكَ حَتّٰى تُؤمَرَ وَ لَا تَتَحَرَّكْ بِكَ وَ لَا تَسْكُنْ بِكَ فَتَبْتَلٰى بِكَ وَ بِمَنْ هُوَ شَرٌّ مِّنْكَ مِنَ الْخَلْقِ؛ لِاَنَّكَ بِذٰلِكَ تَظْلِمُ وَالظَّالِمُ لَا يُغْفَلُ عَنْهُ. قَالَ اللهُ تَعَالٰى.

﴿وَكَذٰلِكَ نُوَلِّيْ بَعْضَ الظّٰلِمِيْنَ بَعْضًا بِمَا كَانُوْا يَكْسِبُوْنَ﴾

[الانعام،رقم السورة:٦، رقم الآية:١٢٩]

وَأَنْتَ فِي دَارِ مَلِكٍ عَظِيْمٍ اَمْرُهٗ، شَدِيْدٍ شَوْكَتُهٗ، كَثِيْرٍ جُنْدُهٗ، نَافِذٍ مَشِيَّتُهٗ، قَاهِرٍ حُكْمُهٗ، بَاقٍ مُلْكُهٗ، دَائِمٍ سُلْطَانُهٗ، دَقِيْقٍ عِلْمُهٗ، بَالِغَةٍ حِكْمَتُهٗ، عَدْلٍ قَضَاءُهٗ،لَا يَعْزُبُ عَنْهُ عَزَّ وَ جَلَّ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي الْاَرْضِ وَ لَا فِي السَّمَاءِ، لَا يُجَاوِزُهٗ ظُلْمُ ظَالِمٍ وَ أنت اَعْظَمُ الظَّلَمَةِ وَ اَكْبَرُهُمْ جَرِيْمَةً. لِاَنَّكَ اَشْرَكْتَ بِتَصَرُّفِكَ فيكَ وَ فِي خَلْقِهٖ عَزَّ وَ جَلَّ بِهَوَاكَ. قَالَ اللهُ تَعَالٰى:

﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ اَنْ يُّشْرَكَ بِهٖ وَ يَغْفِرُ مَا دُوْنَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَّشَآءُ﴾

[النساء،رقم السورة:٤،رقم الآية:١١٦]

فاجتهد بصرف التوجه عن غير الله تعالٰى «وَاعْلَمْ» يقينا «اَنَّ الْقِسْمَ الْمُقَدَّرَ» و النصيب الموقت لك في علم الله تعالٰى «لَا يَفُوْتُكَ» البتة «بِتَرْكِ الطَّلَبِ» والسعي منك «وَ»اعْلَمْ أيضًا يقينا أن «مَا لَيْسَ بِقِسْمٍ» و نصيب لك في علم الله تعالٰى «لَا تَنَالُهُ بِحِرْصِكَ» و جهدك «فِي الطَّلَبِ وَ الْجِدِّ وَالْاِجْتِهَادِ» والمشقة والتردد في التحصيل، فإذا تيقنتَ بالأمرين «فَاصْبِرْ» أنت بما أعطاك ربك «وَالْزِمِ الْحَالَ الموهوب» لك الَّذِيْ أنت فيه «وَارْضَ بِهٖ» و سلِّم أمرك إلى مولاك الَّذِيْ أنعم عليك و رباك «وَ لَا تَأْخُذْ» شيئا «بِكَ» بنفسك و إرادتك و هواك «فَتَبْتَلِ» بسبب ذلك إما بفوات ذلك المأخوذ عنك أو بوصول المحنة في حصوله، والعتاب من الله تعالٰى في وصوله «وَ لَا تُعْطِ» شيئا لأحد «بكَ» أي بهواك و

نفسك «حَتّٰى تُؤمَرَ»من جانب الله تعالىٰ إما بالأمرالظاهر الشرعي إن كنت في مرتبة التقوى، و إما بالأمر الباطني الخفي إن كنت في مقام الولاية «وَ لَا تَتَحَرَّكْ» في شيء من أمورك و لا عن شيء منها «بِكَ» بهواك «وَ لَا تَسْكُنْ» في شيء منها «بِكَ» بنفسك «فَتُبْتَلٰى بِكَ» أي جعلك الله مبتلى باتباع نفسك و هواك فتقع في ذلك الاتباع بعيدا عن مولاك، و تصير عبد الهوى «وَ» تبتلى «بِمَنْ هُوَ شَرٌّ مِّنْكَ مِنَ الْخَلْقِ» جِنًّا كان أو إنسا «لِأَنَّكَ بِذٰلِكَ» أي الفعل بهواك «تَظْلِمُ» على نفسك حيث وضعت اتباعك لهواك محلّ اتباعك لأمر مولاك فصرت بذلك ظالما «وَالظَّالِمُ لَا يُغْفَلُ عَنْهُ» لأن الغفلة والإعراض عن الظالم مناف لصفة العدل الواجب رعايته، فوجب أخذه إما بتسليط عادل عليه أو ظالم اٰخر مثله، ثم يسلط على ذلك أيضًا كذلك، «قَالَ اللهُ تَعَالٰى»

«وَكَذٰلِكَ» أي كما أخذ نا عصاة الجن والإنس بجعل بعضهم مسلطاعلى بعض «نُوَلِّيْ بَعْضَ الظّٰلِمِيْنَ بَعْضًا بِمَا كَانُوْا يَكْسِبُوْنَ»أي نسلط بعضهم على بعض كما ورد "من أعان ظالما سلّطه الله عليه"[1] أو معناه: نتبع بعضهم بعضا في النار، أو نَكِل بعضهم إلى بعض فيغو يهم، والأول هو الموافق لغرض الكتاب «وَ أَنْتَ فِيْ دَارِ مَلِكٍ» هذه الجملة، حالية والمعنى أنك صرت باتباع هواك ظالما، والظالم لا يغفل عنه، والحال أنك في دارملك «عَظِيْمٍ اَمْرُهٗ، شَدِيْدٍ شَوْكَتُهٗ» و قهره و غلبته «كَثِيْرٍ جُنْدُهٗ، نَافِذٍ مَشِيَّتُهٗ، قَاهِرٍ حُكْمُهٗ، بَاقٍ مُلْكُهٗ، دَائِمٍ سُلْطَانُهٗ، دَقِيْقٍ عِلْمُهٗ، بَالِغَةٍ حِكْمَتُهٗ، عَدْلٍ قَضَاءُهٗ،لَا يَعْزُبُ عَنْهُ عَزَّ وَ جَلَّ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي الْاَرْضِ وَ لَا فِي السَّمَاءِ لَا يُجَاوِزُهٗ ظُلْمُ ظَالِمٍ» بأن يفوته و لا يدركه «وَ أنت اَعْظَمُ الظَّلَمَةِ وَ اَكْبَرُهُمْ جَرِيْمَةً» مثل الجرم بمعنى الذنب «لِأَنَّكَ اَشْرَكْتَ» في الطريقة والحقيقة مع الله تعالىٰ «بِتَصَرُّفِكَ فيكَ» بنفسك «وَ فِي خَلْقِهٖ عَزَّ وَ جَلَّ بِهَوَاكَ» والتصرف خاصة حق الله تعالىٰ، والشرك غيرمغفور.

«قَالَ اللهُ تَعَالٰى:»

(١) انظر كنزالعمال للمتقي برقم:٥٧٩٣

«إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ اَنْ يُّشْرَكَ بِهٖ وَ يَغْفِرُ مَا دُوْنَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَّشَآءُ.»[النساء، رقم السورة:٤،رقم الآية:١١٦]

المراد في الآية هو الشرك الجلي لكن الشرك الخفي أيضًا كفر في الطريقة والحقيقة يجب المحافظة عنه عند الكاملين، والمراد بما دون الشرك في الشريعة هو سائر المعاصي، و في الطريقة هو التكاسل والتساهل بل السهو و النسيان أيضًا.

اِتَّقِ الشِّرْكَ جِدًّا وَ لَا تَقْرُبْهُ وَاجْتَنِبْهُ فِي حَرَكَاتِكَ وَ سَكَنَاتِكَ وَ لَيْلِكَ وَ نَهَارِكَ فِي خَلْوَتِكَ وَ جَلْوَتِكَ، وَاحْذَرِ الْمَعْصِيَةَ فِي جُمْلَةِ الْجَوَارِحِ وَالْقَلْبِ وَاتْرُكِ الْاِثْمَ مَا ظَهَرَ مِنْهُ وَ مَا بَطَنَ وَ لَا تَهْرَبْ مِنْهُ عَزَّ وَ جَلَّ بِمُخَالَفَتِكَ لَهٗ عَزَّ وَ جَلَّ فيدْرِككَ، وَ لَا تُنَازِعْهُ فِي قَضَائِهٖ فيقْصِمكَ، وَ لَا تَتَّهِمْهُ فِي حُكْمِهٖ فيخْذُلكَ، وَ لَا تَغْفَلْ عَنْهُ فينْسِيْكَ فيبْتَلِيْكَ، وَ لَا تُحْدِثْ فِي دَارِهٖ حَادِثَةً فيهْلِككَ، وَ لَا تَقُلْ فِي دِيْنِهٖ بِهَوَاكَ فيرْدِيْكَ وَ يُظْلِم قَلْبَكَ وَ يَسْلِب اِيْمَانَكَ وَ مَعْرِفَتَكَ وَ يُسَلِّط عَلَيْكَ شَيْطَانَكَ وَ نَفْسَكَ وَ هَوَاكَ وَ شَهْوَاتكَ وَ اَهْلَكَ وَ جِيْرَانَكَ وَ اَصْحَابَكَ وَ اَخِلَّائَكَ وَ جَمِيْعَ خَلْقِهٖ حَتّٰى عَقَارِبَ دَارِكَ وَ حَيَّاتِهَا وَ جِنّهَا وَ بَقِيَّةَ هَوَامِّهَا فينْغِصُ عَيْشَكَ فِي الدُّنْيَا وَ يُطِيْلُ عَذَابَكَ فِي الْاُخْرٰى.

«اِتَّقِ الشِّرْكَ» جليا كان أو خفيا «جِدًّا وَ لَا تَقْرُبْهُ» البتة «وَاجْتَنِبْهُ فِي» جميع «حَرَكَاتِكَ وَ سَكَنَاتِكَ وَ لَيْلِكَ وَ نَهَارِكَ فِي خَلْوَتِكَ وَ جَلْوَتِكَ» حتى يستوي سرك و عَلَنُكَ، فإنه المقصود عند الكاملين «وَاحْذَرِ الْمَعْصِيَةَ» القالبية والقلبية «فِي جُمْلَةِ الْجَوَارِحِ» أي جميع الأعضاء «وَالْقَلْبِ، وَاتْرُكِ الْاِثْمَ مَا ظَهَرَ مِنْهُ وَ مَا بَطَنَ، وَ لَا تَهْرَبْ مِنْهُ عَزَّ وَ جَلَّ بِمُخَالَفَتِكَ لَهٗ عَزَّ وَ جَلَّ فيدْرِكَكَ» بالغضب والأخذ «وَ لَا تُنَازِعْهُ فِي قَضَائِهٖ» بإرادتك خلاف ما أراده «فيقْصِمكَ» أي يكسرك عظمًا عظمًا «وَ لَا تَتَّهِمْهُ» تعالىٰ «فِي حُكْمِهٖ» بأنه حَكَمَ ما لا يليق أو فَعَلَ في غير محله «فيخْذُلكَ» و يذلك بسوء أدبك معه «وَ لَا تَغْفَلْ عَنْهُ تعالىٰ فينْسِيْكَ» عن رحمته

«فيبْتَلِيْكَ» ببلاء لا دواء له «وَ لَا تَحْدَثْ فِي دَارِهٖ» الدنيوية «حَادِثَةً» من الحوادث فيك أو في غيرك بنفسك «فيهْلِكُكَ» هلاكا لاصلاح بعده «وَ لَا تَقُلْ في دِيْنِهٖ» شيئا «بِهَوَاكَ فيرْدِيْكَ» أي يهلك و يخذلك؛ فإن تبت عن ذلك تاب الله عليك، و إن أصررت على فعلك يفضيك ذلك الفعل إلى قساوة القلب، فيعرض عنك ربك «وَ يُظْلِمُ قَلْبَكَ» فيسود القلب بتمامه «وَ يَسْلِبُ اِيْمَانَكَ» أي يسلُبُ عنك إيمانَك فقوله: "إيمانك" مفعول يسلب، والكاف منصوب بنزع الخافض «وَ» يسلب «مَعْرِفَتَكَ» بالله فيؤدي إلى الكفر والإنكار «وَ يُسَلِّطُ عَلَيْكَ شَيْطَانَكَ وَ نَفْسَكَ» كما سلط على الكفار «وَ» يسلط عَلَيْكَ «هَوَاكَ وَ شَهْوَاتكَ وَ اَهْلَكَ وَ جِيْرَانَكَ وَ اَصْحَابَكَ وَ اَخِلَّائَكَ» أي أصدقائك و أحبائك «وَ جَمِيْعَ خَلْقِهٖ» تعالى «حَتّٰى عَقَارِبَ دَارِكَ وَ حَيَّاتِهَا وَ جِنِّهَا وَ بَقِيَّةَ هَوَامِّهَا» فيؤذيك كل من هؤلاء «فينْغِصُ عَيْشَكَ فِي الدُّنْيَا وَ يُطِيْلُ عَذَابَكَ» الأليم «فِي الْاُخْرٰى».

اَلْمَقَالَةُ الرَّابِعَةُ وَالْعِشْرُوْنَ

فِي الْحَذْرِ عَنْ مَعْصِيَةِ الله تَعَالٰى

قَالَ رَضِيَ الله تَعَالٰى عَنْهُ: اُحْذَرْ مَعْصِيَةَ الله عَزَّ وَ جَلَّ جِدًا، وَ اَلزَمْ بَابَهٗ حَقًّا، وَابْذُلْ طَوْقَكَ وَ جَهْدَكَ فِي طَاعَتِهٖ مُعْتَذِرًا مُتَضَرِّعًا مُفْتَقِرًا خَاضِعًا مُتَخَشِّعًا مُطْرِقًا غَيْرَ نَاظِرٍ اِلٰى خَلْقِهٖ وَ لَا تَابِعٍ لِهَوَاهُ وَ لَا طَالِبٍ لِلْاَعْوَاضِ دُنْيَا وَ اُخْرٰى وَ لَا اِرْتِقَاءٍ اِلَى الْمَنَازِلِ الْعَالِيَةِ وَالْمَقَامَاتِ الرَّفِيعَةِ، وَاقْطَعْ بِاَنَّكَ عَبْدُهٗ، وَالْعَبْدُ وَ مَا مَلَكَ لِمَوْلَاهُ لَا يَسْتَحِقُّ الْعَبْدُ عَلَيْهِ شَيْئًا مِنَ الْاَشْيَاءِ، اَحْسِنِ الْاَدَبَ وَ لَا تَتَّهِمْ مَوْلَاكَ فَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهٗ بِمِقْدَارٍ لَا مُقَدِّمَ لِمَا اَخَّرَ وَ لَا مُؤَخِّرَ قَدَّمَ، يَأْتِيْكَ مَا قَدَّرَ لَكَ عِنْدَ وَقْتِهٖ وَ اَجَلِهٖ اِنْ شِئْتَ اَوْ اَبَيْتَ.

«قَالَ رَضِيَ الله تَعَالٰى عَنْهُ: اُحْذُرْ» أيها الطالب «مَعْصِيَةَ الله عَزَّ وَ جَلَّ جِدًا» البتة «وَ الْزِمْ بَابَهٗ» تعالٰى «حَقًّا» أي لزوما حقا، أو حال كون ذلك اللزوم حقا، أو من حيث الحقيقة «وَابْذُلْ طَوْقَكَ» أي طاقتك «وَ جَهْدَكَ» و سعيك «فِي طَاعَتِهٖ» تعالٰى «مُعْتَذِرًا» إليه عن التقصير في أداء حقوقها «مُتَضَرِّعًا» فإن التضرع أدعى إلى القبول «مُفْتَقِرًا» إلى الرب في جميع أمورك سيما في التوفيق على الطاعة «خَاضِعًا» خضوع القلب «مُتَخَشِّعًا» مظهرا للخشوع على الجوراح «مُطْرِقًا» رأسك حياء من حضور ربك كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، به فسر رسول الله صلى الله عليه و سلم الإحسان في العبادة «غَيْرَ نَاظِرٍ اِلٰى خَلْقِهٖ» تعالٰى «وَ لَا تَابِعٍ لِهَوَاهُ» أي الخلق و لا لهواك حتى تتخلص عن الر ياء والعجب فإنّهما مبطلان للأعمال «وَ لَا طَالِبٍ لِلْأَعْوَاضِ دُنْيَا وَ اُخْرٰى» على أعمالك كالأجير الَّذِيْ لا يعمل إلا بالأجر «وَ لَا» طالب «اِرْتِقَاءٍ اِلَى الْمَنَازِلِ الْعَالِيَةِ وَالْمَقَامَاتِ الرَّفِيعَةِ»

فلا تعمل إلا لامتثال أمره تعالى «وَاقْطَعْ» أيها العبد «بِاَنَّكَ عَبْدُهٗ» تعالىٰ «وَالْعَبْدُ وَ مَا مَلَكَ لِمَوْلَاهُ لَا يَسْتَحِقُّ الْعَبْدُ عَلَيْهِ» أي على مولاه في عمله «شَيْئًا مِنَ الْأَشْيَاءِ» و أجرا من الأجور.

«اَحْسِنِ الْاَدَبَ» مع مولاك في جميع أُمورك فلا تخالط عملك غرضا «وَ لَا تَتَّهِمْ مَوْلَاكَ» في شيء مما فعله بك و بغيرك «فَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهٗ» تعالىٰ «بِمِقْدَارٍ» أي تقدير معين و حدّ معلوم لا يجاوزه فطلب الزيادة مما أعطى، والاستعجال قبل وقته عبث «لَا مُقَدِّمَ» أحد «لِمَا اَخَّرَ» الله تعالىٰ «وَ لَا مُؤَخِّرَ» أحد «لِمَا قَدَّمَ» الله إذ في ذلك تغيير للتقدير و هو على الله تعالىٰ محال «يَأْتِيْكَ» أيها الطالب «مَا قَدَّرَ لَكَ» مولاك «عِنْدَ وَقْتِهٖ» أي وقت ما قدر «وَ أَجَلِهٖ إِنْ شِئْتَ» أنت «أَوْ أَبَيْتَ».

لَا تَشْرَهْ عَلٰى مَا سَيَكُوْنُ لَكَ وَ لَا تَطْلُبْ وَ لَا تَلَهَّفْ عَلٰى مَا هُوَ لِغَيْرِكَ فَمَا لَيْسَ هُوَ عِنْدَكَ فَلَا يَخْلُو اِمَّا اَنْ يَكُوْنَ لَكَ اَوْ لِغَيْرِكَ، فَاِنْ كَانَ لَكَ فَهُوَ اِلَيْكَ صَائِرٌ وَ أنت اِلَيْهِ مُقَادٌ وَ مُسَيَّرٌ فَاللِّقَاءُ عَنْ قَرِيْبٍ حَاصِلٌ وَ مَا لَيْسَ لَكَ فَأنت عَنْهُ مَصْرُوْفٌ وَ هُوَ عَنْكَ مُوَلًى فَاَنّٰى لَكُمَا التَّلَاقِيْ وَاللِّقَاءُ فَاشْتَغِلْ بِاِحْسَانِ الْاَدَبِ فِيمَا أَنْتَ بِصَدَدِهٖ مِنْ طَاعَةِ مَوْلَاكَ عَزَّوَجَلَّ فِي وَقْتِكَ الْحَاضِرِ وَ لَا تَرْفَعْ رَاْسَكَ، وَ لَا تُمُدَّنَّ عَيْنَاكَ اِلٰى مَا سِوَاهُ. قَالَ اللهُ تَعَالٰى:

﴿وَ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ اِلٰى مَا مَتَّعْنَا بِهٖ اَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَ رِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَّ اَبْقٰى﴾ [طه، رقم السورة:۲۰،رقم الآية:۱۳۱]

«لَا تَشْرَهْ» ففي القاموس: شَرِهَ كفَرِحَ غَلَبَهٗ حرصه فهو شَرِهٌ و شرهان فمعنى لا تشره: لا تغلب حرصك «عَلٰى مَا سَيَكُوْنُ لَكَ» في الزمان الاٰتي فإن ما لم يات وقته لا يحصل البته «وَ لَا تَطْلُبْ» ذلك «وَ لَا تَلَهَّفْ» في القاموس لَهِفَ كفرح حزن و تحسر أي لا تحزن «عَلٰى مَا هُوَ لِغَيْرِكَ فَمَا» أي شيء «لَيْسَ هُوَ

عِنْدَكَ» الاٰن «فَلَا يَخْلُو إِمَّا أَنْ يَكُوْنَ» ذلك الشيء «لَكَ» في علم الله تعالىٰ «أَوْ لِغَيْرِكَ فَاِنْ كَانَ» ذلك الشيء «لَكَ» في علم الله «فَهُوَ اِلَيْكَ صَائِرٌ» بك واصل البته بلا شك و لا ريب «وَ أَنْتَ اِلَيْهِ مُقَادٌ» قَودا حتما «وَ» إليه «مُسَيَّرٌ» سيرًا جبرًا لا تقدر على دفعه أصلا «فَاللِّقَاءُ» أي لقائك به «عَنْ قَرِيْبٍ» و هو وقته المقدر «حَاصِلٌ» و هو بك واصل «وَ»القسم الثاني و هو «مَا لَيْسَ لَكَ» بل لغيرك أو ليس لأحد «فَأنت عَنْهُ مَصْرُوْفٌ وَ هُوَ عَنْكَ مُوَلًّى» مدفوعا «فَاَنّٰى لَكُمَا» أي لك و لذلك الشيء فَغُلِّب المخاطبُ «التَّلَاقِيْ وَاللِّقَاءُ» فإذا عرفت حال القسمين «فَاشْتَغِلْ» أنت «بِاِحْسَانِ الْاَدَبِ» مع مولاك في جميع أمورك سيما «فيمَا أَنْتَ بِصَدَدِهٖ مِنْ طَاعَةِ مَوْلَاكَ عَزَّوَجَلَّ فِيْ وَقْتِكَ الْحَاضِرِ وَ لَا تَرْفَعْ رَأْسَكَ» إلى الـمُزَخرفات الدنيو ية «وَ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَاكَ اِلٰى مَا سِوَاهُ» أي سوى ما أنت بصدده من طاعة مولاك «قَالَ الله تَعَالٰى» خطابا لنبيه صلى الله عليه و على آله و سلم، و نهيا لأمته بسبب اتباعه،

«وَ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ اِلٰى مَا مَتَّعْنَا بِهٖٓ اَزْوَاجًا مِّنْهُمْ» أي أصنافا من الكفرة «زَهْرَةَ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا» زينة و بهجة زائلة «لِنَفْتِنَهُمْ فيهِ» أي لنجعل ذلك المتمتع به فتنة و بلاءً لهم «وَ رِزْقُ رَبِّكَ» الَّذِيْ أعطاك في الدنيا و ما يعطيك في الآخرة «خَيْرٌ» لك «وَّ اَبْقٰى».

فَقَدْ نَهَاكَ الله عَزَّ وَ جَلَّ عَنِ الْاِلْتِفَاتِ اِلٰى غَيْرِ مَا اَقَامَكَ فيهِ وَ رَزَقَكَ مِنْ طَاعَتِهٖ وَ اَعْطَاكَ مِنْ قِسْمِهٖ وَ رِزْقِهٖ وَ فَضْلِهٖ، وَ نَبَّهَكَ اَنَّ مَاسِوٰى ذٰلِكَ فِتْنَةٌ افْتَتَنَهُمْ بِهٖ، وَ رِضَاكَ بِقِسْمِكَ خَيْرٌ لَّكَ وَ اَبْقٰى وَ اَبْرَكَ وَ اَحْرٰى وَ اَوْلٰى، فَلْيَكُنْ هٰذَا دَأْبُكَ وَ مُنْقَلَبُكَ وَ مَثْوَاكَ وَ شِعَارُكَ وَ دِثَارُكَ وَ مَرَامُكَ وَ شَهْوَتُكَ وَ مُنَاكَ تَنَالُ مِنْهُ كُلَّ الْمَرَامِ، وَ تَصِلُ بِهٖ اِلٰى كُلِّ مَقَامٍ، وَ تَرْقٰى بِهٖ اِلٰى كُلِّ خَيْرٍ وَ نَعِيْمٍ وَ طَرِيْفٍ وَ سُرُوْرٍ وَ نَفيسٍ، قَالَ الله تَعَالٰى:﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ اُخْفِيَ لَهُمْ مِّنْ

قُرَّةِ اَعْيُنٍ ج جَزَاءً م بِمَا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَ﴾ (السجدة ٣٢:١٧)
فَلَا عَمَلَ بَعْدَ الْعِبَادَاتِ الْخَمْسِ وَ بَعْدَ تَرْكِ الذُّنُوْبِ اَجْمَعَ اَعْظَمُ وَ لَا اَشْرَفُ وَ لَا اَحَبُّ إِلَى اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ، وَ لَا اَرْضٰى عِنْدَهٗ مِمَّا ذَكَرْتُ لَكَ، وَفَّقَنَا اللهُ وَ اِيَّاكَ لِمَا يُحِبُّ وَ يَرْضٰى بِمَنِّهٖ.

«فَقَدْ نَهَاكَ اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ عَنِ الْاِلْتِفَاتِ اِلٰى غَيْرِ مَا اَقَامَكَ فيهِ وَ رَزَقَكَ مِنْ طَاعَتِهٖ وَ أَعْطَاكَ مِنْ قِسْمِهٖ» تعالٰى الَّذِيْ قسم بين مخلوقاته «وَ رِزْقِهٖ» المقسوم «وَ فَضْلِهٖ» المقسوم «وَ نَبَّهَكَ» الله تعالٰى «اَنَّ مَاسِوٰى ذٰلِكَ» المعطى لك «فِتْنَةٌ افْتَتَنَهُمْ بِهٖ، وَ رِضَاكَ» عن ربك «بِقِسْمِكَ» و نصيبك الَّذِيْ أعطاك ربك «خَيْرٌ لَّكَ» مما سواه «وَ اَبْقٰى» عنك «وَ اَبْرَكَ» أي أفضل لك «وَ اَحْرٰى» أي اَلْيَقُ بك «وَ اَوْلٰى» لك من غيره «فَلْيَكُنْ هٰذَا» الأدب المذكور والرضاء المشكور «دَأْبُكَ» عادتك «وَ مُنْقَلَبُكَ وَ مَثْوَاكَ وَ شِعَارُكَ» في الظاهر «وَ دِثَارُكَ» في الباطن «وَمَرَامُكَ» مقصودك «وَ شَهْوَتُكَ» مشتهاك «وَ مُنَاكَ» مطلوبك «تَنَالُ» أنت «مِنْهُ» أي من هذا الرضى المرضيّ «كُلَّ الْمَرَامِ، وَ تَصِلُ بِهٖ اِلٰى كُلِّ مَقَامٍ، وَ تَرَقّٰى بِهٖ اِلٰى كُلِّ خَيْرٍ وَ» كل «نَعِيْمٍ وَ طَرِيْفٍ» أي حسن «وَ» كل «سُرُوْرٍ وَ» كل «نَفيسٍ، قَالَ اللهُ تَعَالٰى» في بيان جزاء الأعمال المرضية و الأفعال المستحسنة:

«فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ» من النفوس «مَّآ أُخْفِي لَهُمْ» أي للذين إذا ذكروا بآيات ربهم خروا سجداً و سبحوا بحمده و هم لا يستكبرون الذين تتجافي جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا من عقابه و طمعا في ثوابه و مما رزقهم ربهم ينفقون «مِّنْ قُرَّةِ اَعْيُنٍ ج» أي مما تقر به عيونهم «جَزَاءً» فقوله: جزاء إما مفعول له لقوله: أخفي، أو مفعول مطلق لفعل محذوف أي أُخْفي جزاءً أوْ جُوْزُوا جَزَاءً «بِمَا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَ»

و روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و على اٰله وسلم:

قال تعالٰى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، و لا أذن سمعت، و لا

خطر على قلب بشر فاقرَأوا إن شِئْتُمْ ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة اعين﴾[1] انتهي.

«فَلَا عَمَلَ بَعْدَ الْعِبَادَاتِ الْخَمْسِ» من الإقرار بالتوحيد والصلوات و الصوم والزكوة والحج كما ذكر في حديث: بني الإسلام على خمس «وَ بَعْدَ تَرْكِ الذُّنُوْبِ» ظاهرها و باطنها «أَجْمَعَ» تأكيد للذنوب «اَعْظَم» خبر لا «وَ لَا» عمل «اَشْرَفُ وَ لَا اَحَبُّ إِلى الله عَزَّ وَ جَلَّ وَ لَا اَرْضٰى عِنْدَهٗ تعالىٰ مِمَّا ذَكَرْتُ لَكَ» من الملازمة لبابه تعالىٰ و بذل الطاقة في طاعته مع الاعتذار والتضرع والافتقار والخضوع والخشوع و إطراقِ الرأس لقضائه و قدره من غير نظر إلى الخلق و لا اتباع للهوى، و لا طلب للعوض دنيا و أُخرى، و لا ارتقاء إلى المنازل العالية والقطع بعبوديتك له تعالىٰ من غير استحقاق شيء عليه تعالىٰ، و حسن الأدب معه تعالىٰ مع عدم الاتهام و عدم الحرص على ما سيكون، و عدم التحسر على ما أعطى للغير والرضاء بالقسمة «وَفَّقَنَا اللهُ تعالىٰ وَ إِيَّاكَ لِمَا يُحِبُّ وَ يَرْضٰى» من الأعمال القلبية والأفعال الجوارحية «بِمَنِّهٖ» وكرمه و بحرمة النبي و خَدَمه.

---

(١) انظر الصحيح للبخاري في كتاب بدء الخلق، باب ماجاء في صفة الجنة، برقم:٣٢٤٤، والصحيح لمسلم في أوائل كتاب الجنة وصفة نعيمها و اهلها، برقم:٢٨٢٤.

اَلْمَقَالَةُ الْخَامِسَةُ وَالْعِشْرُوْنَ

فِي تَسْكِيْنِ الْفَقِيْرِ الْمُهَانِ بِأَلْطَافِ الْمَلِكِ الْمَنَّانِ

قَالَ رَضِيَ اللهُ تَعَالٰى عَنْهُ: لَا تَقُوْلَنَّ يَا فَقِيْرَ الْيَدِ، يَا مُوَلًّى عَنْهُ الدُّنْيَا وَ أَرْبَابُهَا، يَا خَامِلَ الذِّكْرِ بَيْنَ مُلُوْكِ الدُّنْيَا وَ اَرْبَابِهَا يَا جَائِعُ يَا نَايِعُ يَا عُرْيَانُ يَا ظَمْآنَ الْكَبِدِ يَا مُتَشَتِّتًا فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِّنَ الْاَرْضِ مِنْ مَسْجِدٍ وَ بِقَاعٍ خَرَابٍ، وَ يَا مَرْدُوْدًا مِنْ كُلِّ بَابٍ، وَ يَا مَدْفَعًا عَنْ كُلِّ مُرَادٍ، وَ يَا مُنْكَسِرًا وَ يَا مُزْدَحِمًا قَلْبَهٗ كُلُّ حَاجَةٍ وَ مَرَامٍ: اِنَّ اللهَ تَعَالٰى اَفْقَرَنِيْ، وَ زَوٰى عَنِّي الدُّنْيَا وَ عَثَرَنِيْ وَ تَرَكَنِيْ وَقَلَانِي وَ فَرَّقَنِيْ وَ لَمْ يَجْمَعْنِيْ وَ اَهَانَنِيْ وَ لَمْ يُعْطِنِيْ مِنَ الدُّنْيَاء كِفَايَةً وَء خَمَلَنِيْ وَ لَمْ يَرْفَعْ ذِكْرِيْ بَيْنَ الْخَلِيْقَةِ وَ اِخْوَانِيْ وَ أَسْبَلَ عَلٰى غَيْرِيْ نِعْمَةً مِنْهُ سَابِغَةً يَتَقَلَّبُ فِيهَا لَيْلَهٗ وَ نَهَارَهٗ، فَضَّلَهٗ عَلَيَّ وَ عَلٰى اَهْلِ دِيَارِيْ. وَ كِلَانَا مُسْلِمَانِ مُؤمِنَانِ وَ يَجْمَعُنَا اُمُّنَا حَوَّاء وَ اَبُوْنَا اٰدَمُ خَيْرُ الْاَنَامِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، اَمَّا أَنْتَ فَقَدْ فَعَلَ اللهُ تَعَالٰى بِكَ ذٰلِكَ؛ لِاَنَّ طِيْنَتَكَ حُرَّةٌ وَ نِدٰى رَحْمَةِ اللهِ تَعَالٰى مُتَدَارِكٌ عَلَيْكَ مِنَ الصَّبْرِ وَالْيَقِيْنِ وَالْمُوَافَقَةِ وَالْعِلْمِ، وَ اَنْوَارَ الْاِيْمَانِ وَ التَّوْحِيْدِ مُتَرَاكِمٌ لَدَيْكَ، فَشَجَرَةُ اِيْمَانِكَ وَ غَرْسُهَا وَ بَذْرُهَا ثَابِتَةٌ مَكِيْنَةٌ مُوَرِّقَةٌ مُثْمِرَةٌ مُسْتَزِيْدَةٌ، مُتَشَعِّبَةٌ مُظَلِّلَةٌ مُتَفَرِّعَةٌ فَهِيَ كُلَّ يَوْمٍ فِي زِيَادَةٍ وَ نُمُوٍّ فَلَا حَاجَةَ بِهَا اِلٰى سُبَاطَةٍ وَ عَلْفٍ لِتُنْمٰى بِهَا وَ تُرْبٰى، وَ قَدْ فَرَغَ اللهُ تَعَالٰى مِنْ اَمْرِكَ عَلٰى ذٰلِكَ وَ اَعْطَاكَ فِي الْاٰخِرَةِ دَارَ الْبَقَاءِ وَ خَوَّلَكَ فِيهَا وَ اَجْزَلَ عَطَاءكَ فِي الْعُقْبٰى مَا لَا عَيْنٌ رَاَتْ وَ لَا اُذُنٌ سَمِعَتْ وَ لَا خَطَرَ عَلٰى قَلْبِ بَشَرٍ. قَالَ اللهُ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ اُخْفِيَ لَهُمْ مِّنْ قُرَّةِ اَعْيُنٍ ج جَزَاءً م بِمَا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَ﴾

(السجدة: ٣٢/ ١٧)

اَيْ مَا عَمِلُوْا فِي الدُّنْيَا مِنْ اَدَاءِ الْاَوَامِرِ وَ الصَّبْرِ عَلَى تَرْكِ الْمَنَاهِي وَالتَّسْلِيْمِ وَالتَّفْوِيْضِ اِلَيْهِ فِي الْمَقْدُوْرِ وَالْمُوَافَقَةِ لَهٗ فِي جَمِيْعِ الْاُمُوْرِ

«قَالَ رَضِيَ اللهُ تَعَالٰى عَنْهُ: لَا تَقُوْلَنَّ» بلسانك و لا يخطرن بجنانك «يَا فَقِيْرَ الْيَدِ» أي الخالي عن الأموال الظاهرية «يَا مُوَلًّى» و مصروفا «عَنْهُ الدُّنْيَا» و معروضا عنه «أَرْبَابُهَا، يَا خَامِلَ الذِّكْرِ» بل منسيه «بَيْنَ مُلُوْكِ الدُّنْيَا وَ أَرْبَابِهَا، يَا جَائِعُ» بطنك عن الطعام «يَا نَايِعُ» أمعاءك عن الماء «يَا عُرْيَانُ» الجسد عن الثياب «يَا ظَمْآنَ الْكَبِدِ» عن المشتهيات من الشراب «يَا مُتَشَتِّتًا» و متفرقا «فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِّنَ الْأَرْضِ مِنْ مَسْجِدٍ وَ بِقَاعٍ» جمع بُقعة «وَ خَرَابٍ» أي مفازة لا سكنى فيها «وَ يَا مَرْدُوْدًا مِنْ كُلِّ بَابٍ» لا يدخلك أحد في بابه «وَ يَا مَدْفَعًا» أي مدفوعا «عَنْ كُلِّ مُرَادٍ» فلا يصل إليك مراد من المرادات «وَ يَا مُنْكَسِرًا» إرادته عن كل مراد «وَ يَا مُزْدَحِمًا قَلْبَهٗ كُلُّ حَاجَةٍ وَ مَرَامٍ» أي اجتمع كل حاجة و مرام قلبَك فالقلب مفعول الازدحام و كل حاجة فاعله و عكسه يحتاج إلى ارتكاب المجاز «اِنَّ اللهَ تَعَالٰى» مقول قوله "لَا تَقُوْلَنّ"أي لا تقولن يا فقير اجتمع فيه هذه الصفات: إن الله «اَفْقَرَنِيْ» في أُموري و أحوجني في حاجاتي «وَ زَوٰى» أي قبض و صرف «عَنِّي الدُّنْيَا» و لم يعطني «وَ عَثَرَنِيْ» في القاموس عثر كضرب و نصر و علم و كرم عثرا و عثيرا فصله بهذا التفصيل و لم يبين معنا.و قال في الصحاح: العَثرالزَلَّة «وَ تَرَكَنِيْ» لا يخبر عن حالي و لا يصلحني «وَ قَلَانِيْ» أي أبغضنى فلا يرحمنى «وَ فَرَّقَنِيْ» بتشتت الحاجات و تفرق القلب «وَ لَمْ يَجْمَعْنِيْ» حاجة و خاطرا و قلبا «وَ اَهَانَنِيْ» بالفقر والاحتياج «وَ لَمْ يُعْطِنِيْ مِنَ الدُّنْيَا كِفَايَةً» لما أحتاج إليه «وَءخْمَلَنِيْ» أي أسقطنى عن أعين الخلق. قال في الصحاح: الخامل الساقط الَّذِيْ لا نُباهة أي شرف له في الخلق «وَ لَمْ يَرْفَعْ ذِكْرِيْ بَيْنَ الْخَلِيْقَةِ» بحيث يعلمني عُظَماء الخلق و يذكرونني في مجالسهم بمحاسن

الأخلاق و الشرف والعظمة «وَ» بين «اِخْوَانِيْ» بحيث يعظموني و يعرفوا قدري «وَ» إن الله تعالىٰ «أَسْبَلَ عَلىٰ غَيْرِيْ» من أشراف الناس و أوسا طهم «نِعْمَةً» كثيرة «مِنْهُ» أي من عنده «سَابِغَةً» أي كاملة وافية ففي الصحاح: سَبَغَتِ النعمةُ تسبغ بالضم سبوغا اتسعت، و أسبغ الله عليه النعمة أتمها بالغنى و إقبال الدنيا و أهلها إليه و رفع الذكر بينهم و سَعَةِ الحال و فراغ البال و تعظيم الرجال «يَتَقَلَّبُ» ذلك الغير المنعم عليه «فيهَا» أي في تلك النعم السابغة «لَيْلَهٗ وَ نَهَارَهٗ» أي دائما «وَ» أن الله تعالىٰ «فَضَّلَهٗ» أي غيري «عَلَيَّ وَ عَلىٰ اَهْلِ دِيَارِيْ» بأن جعلنا فقراء ذاالحاجات، و جعل غيرنا أغنياء مُرَفَّه الحال منشرح البال «وَ كِلَانَا» أي والحال أنا في الفقر و غيري في الغنى «مُسْلِمَانِ» منقادان بالأوامر والنواهي و «مُؤْمِنَانِ» بما جاء به رسولنا من عند ربنا «وَ يَجْمَعُنَا اُمُّنَا حوّاء وَ اَبُوْنَا اٰدمُ خَيْرُ الْاَنَامِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ» يعني أن الله تعالىٰ أهانني و أكرم غيري مع استوائنا في شرف الحسب بالإسلام والإيمان، و شرف النسب، لأنا من أولاد اٰدم و حواء عليهما السلام «أَمَّا أَنْتَ» أيها الفقير «فَقَدْ فَعَلَ اللهُ تَعَالىٰ بِكَ ذٰلِكَ» الفقر والابتلاء والمحنة والخمول و تشتت الحال و تفرق البال «لِاَنَّ طِيْنَتَكَ» أي تراب أصل جبلتك «حُرَّةٌ» طيبة المنبت قو ية صالحة للخير، والحرة من الطين والرمل الطيب، كذا في القاموس «وَ نِدٰى رَحْمَةِ الله تَعَالىٰ» أي مطرُها و بللُها كما صرح به في الصحاح، و كمال لطف الله «مُتَدَارِكٌ» و مفاض «عَلَيْكَ» بأنواع النعم والعطايا «مِنَ الصَّبْرِ» على المحن «وَالْيَقِيْنِ» والثقة بالله والتوكل على الله «وَالْمُوَافَقَةِ» لقدر الله «وَالْعِلْمِ» بالله «وَ أَنْوَارِالْإِيْمَانِ وَ» أنوار «التَّوْحِيْدِ مُتَرَاكِمٌ» و مجتمع و مزدحم «لَدَيْكَ فَشَجَرَةُ إِيْمَانِكَ وَ غَرْسُهَا» في قلبك «وَ بَذْرُهَا» في روحك «ثَابِتَةٌ مَكِيْنَةٌ» متقررة «مُوَرِّقَةٌ» بالطاعات «مُثْمِرَةٌ» للقبولية عند الله تعالىٰ «مُسْتَزِيْدَةٌ» في الارتفاع كل حين و زمان «مُتَشَعِّبَةٌ» بالشعب الحسنة «مُظَلِّلَةٌ» تظلك و تظل من تبعك و وافقك عن حرِّالخطيئات «مُتَفَرِّعَةٌ» بالفروع المستحسنة «فَهِيَ» أي الشجرة الموصوفة بتلك الصفات «كُلَّ يَوْمٍ في زِ يَادَةٍ وَ نُمُوٍّ» عند الله تعالىٰ «فَلَا حَاجَةَ بِهَا» بتلك الشجرة في

إصلاحها إلى «سُبَاطَةٍ» أي كثرة مطر قال في القاموس: مطر سَبِطٌ سحٌّ و سباطته كثرته و سعته، و قال: السح الصب و السيلان «وَ عَلْفٍ» بفتح العين و سكون اللام الشُّربُ الكثير من الماء به صرح في القاموس «لِتُنْمٰى بِهَا» أي بالسباطة التي هي كثرة المطر والعلف[1] الَّذِيْ هو شرب الماء «وَ تُرْبٰى» أي تزاد من ربٰى الشيء يربو أي زاد، كذا في الصَحاح أي فلا حاجة لشجرة إيمانك إلى مطر الرزق و شرب الشهرة بين الناس لنموها و زيادتها «وَ قَدْ فَرَغَ الله تَعَالٰى مِنْ أَمْرِكَ» في الرزق والشهرة و قضاء الحاجة «عَلٰى ذٰلِكَ» الحال الَّذِيْ وجدت من عدم احتياج شجرة إيمانك إلى مطر الرزق و شرب الشهرة لطيب طينتك و قوة يقينك في علم الله تعالٰى، فهذا حال ما أعطاك الله تعالٰى في الدنيا «وَ أَعْطَاكَ فِي الْاٰخِرَةِ دَارَالْبَقَاءِ» و هو الجنة دارالخلد التي كان من دخله اٰمِنًا «وَ خَوَّلَكَ» أي ملَّكك «فيهَا» ملكا أزيد من تمام الدنيا أضعافا مضاعفة «وَ اَجْزَلَ» أي أعظم و أكثر «عَطَاءكَ فِي الْعُقْبٰى مَا لَا عَيْنٌ» أي عين أحد من المخلوقات «رَاَتْ، وَ لَا اُذُنٌ سَمِعَتْ وَ لَا خَطَرَ» تلك العطاء العظيم الكثير «عَلٰى قَلْبِ بَشَرٍ» به ورد الحديث النبوي، ثم أكد ذلك بالقرآن فقال «قَالَ اللهُ:

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ اُخْفِي لَهُمْ مِّنْ قُرَّةِ اَعْيُنٍ ۚ جَزَاءً بِمَا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَ﴾»
[السجدة،رقم السورة:١٧، رقم الآية:٣٢]

«أَيْ» جزاء «مَا عَمِلُوْا فِي الدُّنْيَا مِنْ اَدَاءِ الْأَوَامِرِ» الإ لٰهى والنبوي «وَ» من «الصَّبْرِ عَلٰى تَرْكِ الْمَنَاهِيْ» الإلٰهى والنبوي «وَالتَّسْلِيْمِ وَالتَّفْوِيْضِ إِلَيْهِ فِي الْمَقْدُوْرِ» الَّذِيْ قدر الله تعالٰى في حقهم «وَالْمُوَافَقَةِ لَهٗ تعالٰى فِي جَمِيْعِ الْأُمُوْرِ» فهذا حالك.

وَ اَمَّا الْغَيْرُ الَّذِيْ اَعْطَاهُ اللهُ مِنَ الدُّنْيَا وَ خَوَّلَهٗ وَ نَعَّمَهٗ فيهَا وَ اَسْبَغَ عَلَيْهِ فَضْلَهٗ فَعَلَ بِهٖ ذٰلِكَ؛ لِاَنَّ مَحَلَّ اِيْمَانِهٖ اَرْضٌ سَبْخَةٌ صَخْرٌ لَا يَكَادُ يَثْبُتُ فيهَا الْمَاءُ وَ لَا تَنْبُتُ فيهَا الْاَشْجَارُ وَ لَا يَتَرَبّٰى فيهَا الزُّرُوْعُ وَالثِّمَارُ فَصَبَّ عَلَيْهِ اَنْوَاعَ سُبَاطَةٍ وَ غَيْرَهَا مِمَّا يُرْبٰى بِهِ النَّبَاتُ وَ هِيَ

(1) في مخطوطة "العف" و الصواب ما أثبتنا. المشاهدي

الدُّنْيَا وَ حُطَامُهَا لِيَتَحَفَّظَ بِذٰلِكَ مَا اَنْبَتَ فيهَا مِنْ شَجَرَةِ الْإِيْمَانِ وَ غَرْسِ الْاَعْمَالِ فَلَوْ قَطَعَ ذٰلِكَ عَنْهَا لَجَفَّ النَّبَاتُ وَ الْاَشْجَارُ وَانْقَطَعَتِ الثِّمَارُ فَخَرَّبَتِ الدِّيَارُ، وَ هُوَ عَزَّ وَ جَلَّ يُرِيْدُ عِمَارَتَهَا فَشَجَرَةُ اِيْمَانِ الْغَنِيِّ ضَعِيْفُ الْمُنْبِتِ خَالٍ عَمَّا هُوَ مَشْحُوْنٌ بِهِ شَجَرَةُ اِيْمَانِكَ يَا فَقِيْرُ، فَقُوَّتُهَا وَ بَقَائُهَا بِمَا تَرٰى عِنْدَهٗ مِنَ الدُّنْيَا وَ اَنْوَاعِ النَّعِيْمِ فَلَوْ قَطَعَهَا مَعَ ضُعْفِ الشَّجَرَةِ جَفَّتِ الشَّجَرُ الْاِيْمَانِيُّ فَكَانَ كُفْرًا وَ جُحُوْدًا وَ اِلْحَاقًا بِالْمُنَافِقِيْنَ وَالْمُرْتَدِّيْنَ وَالْكُفَّارِ.

اَللّٰهُمَّ اِلَّا اَنْ يَبْعَثَ اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ اِلَى الْغِنٰى عَسَاكِرَ مِنَ الصَّبْرِ وَالرِّضَا وَالْيَقِيْنِ وَالتَّوْفِيقِ وَالْعِلْمِ وَ اَنْوَاعِ الْمَعَارِفِ فيقَوى الْاِيْمَانُ بِهَا حَتّٰى لَا يُبَالِيْ بِانْقِطَاعِ الْغَنٰى وَالنَّعِيْمِ.

«وَ اَمَّا الْغَيْرُ الَّذِيْ» غبطته و تمنيتَ نعمته و طلبتَ حالته بما «اَعْطَاهُ اللهُ» تعالٰى «مِنَ الدُّنْيَا» الدنية «وَ خَوَّلَهٗ» بما ترى من الأمور الخسيسة «وَ نَعَّمَهٗ فيهَا» من الحطام الدنيو ية «وَ أَسْبَغَ عَلَيْهِ فَضْلَهٗ» في قضاء حوائجه و شهرة ذكره فاعلم حقيقته أن الله تعالٰى «فَعَلَ بِهٖ» أي بذلك الغير «ذٰلِكَ» العطاء الدنيو ية الفانية «لِأَنَّ مَحَلَّ إِيْمَانِهٖ» و هو قلبه «اَرْضُ سَبْخَةٍ» كثر فيه مُلُوحة التلوث بالدنيا الدنية «وَ صَخْرٍ» صعب «لَا يَكَادُ يَثْبُتُ فيهَا الْمَاءُ» العذب اليقينى والتوكلي والتفو يضي و التسليمي «وَ لَا» يقرب «تَنْبُتُ فيهَا الْاَشْجَارُ» الطاعاتي والعباداتي «وَ لَا» يكاد «يَتَرَبّٰى» و يزداد «فيهَا الزُّرُوْعُ» من العبادات «وَالثِّمَارُ» من النبات فإذا كان حال بستانه خرابا تداركه نعمة من ربك «فَصَبَّ عَلَيْهِ أَنْوَاعَ سُبَاطَةٍ» أي مطر «وَ غَيْرَهَا» من الطل و الندى «مِمَّا يُرْبٰى بِهِ النَّبَاتُ» التي هي مرعى الحيوانات العجم، و لا يميل إليها الإنسان العالم بحسن الأشياء و قبحها «وَ هِيَ» أي تلك النبات هي «الدُّنْيَا» الدنية «وَ حُطَامُهَا» الخسيسة «لِيَتَحَفَّظَ بِذٰلِكَ» المطر و نحوها من الطل والندى «مَا أَنْبَتَ فيهَا» أي في تلك الأرض السبخة «مِنْ شَجَرَةِ الْإِيْمَانِ وَ غَرْسِ الْأَعْمَالِ» فإن ذلك الغير أيضا عبد من عباد

الله تعالىٰ و مؤمن من أولاد أدم و حواء عليهما السلام كما اعترفتَ «فَلَوْ قَطَعَ ذٰلِكَ» المطر والطل الدنيوي «عَنْهَا» أي عن تلك الأرض السبخة والصخرة الصماء القلبي «لَجَفَّ النَّبَاتُ» أي نبات العبادات «وَ» جف «الْأَشْجَارُ» أي أشجار الطاعات المغروسة في تلك الأرض السبخة لضعف بنيتها و عدم الماء المجتمعة «وَانْقَطَعَتِ الثِّمَارُ» أي ثمار تلك العبادات والطاعات و هي الجزاء الأخروي بجفاف النبات والأشجار المثمرة لها من العبادات والطاعات «فَخَرَّبَتِ الدِّيَارُ» و هي قلوب أولئك العباد الضعيفة اليقين التي جعلها بستانا «وَ هُوَ» الله «عَزَّ وَ جَلَّ يُرِيْدُ عِمَارَتَهَا» بحيث يصير بستانا خضراء نُزهةً للناظرين «فَشَجَرَةُ إِيْمَانِ الْغَنِيِّ ضَعِيْفُ الْمُنْبَتِ خَالٍ عَمَّا هُوَ مَشْحُوْنٌ» مملو «بِهٖ شَجَرَةُ إِيْمَانِكَ» من جهة الطين و تدارك ندى رحمة الله تعالىٰ و تراكم الأنوار «يَا فَقِيْرُ،ف» لأجل ذلك الضعف صار «قُوَّتُهَا وَ بَقَائُهَا بِمَا تَرٰى عِنْدَهٗ» أي عند الغني «مِنَ الدُّنْيَا وَ اَنْوَاعِ النَّعِيْمِ» لأن الله تعالىٰ يريد إصلاح جميع المؤمنين «فَلَوْ قَطَعَهَا» أي تلك الدنيا و أنواع النعيم التي بمنزلة الماء لتلك الشجرة «مَعَ ضُعْفِ الشَّجَرَةِ جَفَّتِ الشَّجَرُ الْإِيْمَانِيْ» فضاع الإيمان «فَكَانَ» أي صار ذلك الشجر الإيماني «كُفْرًا وَ جَحُوْدًا وَ اِلْحَاقًا بِالْمُنَافِقِيْنَ وَالْمُرْتَدِّيْنَ وَالْكُفَّارِ».

و قد نرى ذلك مشاهدا في ضعفاء اليقين، و لهذا قال النبي صلى الله عليه و سلم: كاد الفقر أن يكون كفرا.[1] والمراد الضعفاء. «اَللّٰهُمَّ اِلَّا اَنْ يَبْعَثَ الله عَزَّ وَ جَلَّ» بكمال لطفه و رحمته «إلى الْغِني» وقت الغنى و عند سلبِ الغناء عنه «عَسَاكِرَ مِنَ الصَّبْرِ» على محنة الفقر «وَالرِّضاءِ» به «وَالْيَقِيْنِ» بوعد الله تعالىٰ «وَالتَّوْفيقِ» لذلك «وَالْعِلْمِ» بأن الكل من الله «وَ أَنْوَاعِ الْمَعَارِفِ فيقَوي الْإِيْمَانُ» لذلك الغني في حال الغنى و حال الفقر «بِهَا» أي بتلك النعم التي أنعم الله تعالىٰ عليه بِهَا «حَتّٰى لَا يُبَالِيْ» ذلك الغني المؤيد من الله تعالىٰ بمدد العساكر «بِانْقِطَاعِ الْغَني وَالنَّعِيْمِ» فصار بقاء ها و زوالها عنده بتائيد الله تعالىٰ سِيَّان كما هو حال العارف بالله تعالىٰ.

(1) انظر حلية الأوليا،ج:٣،ص:١٠٩. فمن الطبقة الأولىٰ من التابعين، منهم المأخوذ عن العاجلة، المردود إلى الآجلة، الحجاج بن الفراضة.

اَلْمَقَالَةُ السَّادِسَةُ وَالْعِشْرُوْنَ

في تَفْرِيْغِ الْقَلْبِ عَمَّا سِوَى اللهِ تَعَالٰى

قَالَ رَضِيَ اللهُ تَعَالٰى عَنْهُ: لَا تَكْشِفِ الْبُرْقُعَ وَالْقِنَاعَ عَنْ وَجْهِكَ حَتّٰى تَخْرُجَ عَنِ الْخَلْقِ وَ تُوَلِّيَهُمْ ظَهْرَكَ فِي جَمِيْعِ الْاَحْوَالِ وَ تَزُوْلَ هَوَاكَ، ثُمَّ تَزُوْلُ اِرَادَتُكَ وَ مُنَاكَ فَتَفْنِيْ عَنِ الْاَكْوَانِ دُنْيَاوَ أُخْرٰى فَتَصِيْرُ كَاِنَاءٍ مُنْثَلَمٍ لَا يَبْقٰى فيكَ غَيْرُ اِرَادَةِ رَبِّكَ فَتَمْتَلِئِ بِرَبِّكَ فَلَا يَكُوْنُ بِغَيْرِ رَبِّكَ فِي قَلْبِكَ مَكَانٌ وَ لَا مَدْخَلٌ، وَ جُعِلْتَ بَوَّابَ قَلْبِكَ، وَ اُعْطِيْتَ سَيْفَ التَّوْحِيْدِ وَ مُطَالَعَةِ الْعَظْمَةِ وَ الْجَبَرُوْتِ.

«قَالَ رَضِيَ اللهُ تَعَالٰى عَنْهُ:» أيها السالك «لَا تَكْشِفِ الْبُرْقُعَ» أي برقع العزلة عن الخلق «وَالْقِنَاعَ» أي قناع الخلوة «عَنْ وَجْهِكَ» بمخالطة الخلق للتوجه إلى الحق تعالٰى، و لا تدخل في الجلوة و مخالطة العالم «حَتّٰى تَخْرُجَ» بقلبك «عَنِ الْخَلْقِ» فلا تراهم إلا قائمين بالحق «وَ تُوَلِّيَهُمْ ظَهْرَكَ» أي تولي ظهرك إليهم، و تولي وجهك عنهم فلا تلاحظهم في «جَمِيْعِ الْأَحْوَالِ» والأعمال والأقوال الصادرة منك و لا منهم «وَ تَزُوْلَ» عنك «هَوَاكَ» فلا تكون تابعا لها «ثُمَّ تَزُوْلُ» عنك «اِرَادَتُكَ» النفسية «وَ مُنَاكَ» الشهوية والغضبية «فَتَفْنِيْ» أنت بزوال الهوى والإرادة «عَنِ الْأَكْوَانِ» كلها فلا يزاحمك شيء منها في توجهك إلى خالقك بل ترى الكل مظاهر الحق «دُنْيَاوَ أُخْرٰى» أي سواء كان الأكوان دنيو يا أو أُخرو يا و لا يكون شيء منها ساترا لك عن معرفتك بربك «فَتَصِيْرُ» أنت «كَإِنَاءٍ مُنْثَلَمٍ» مكسور «لَا يَبْقٰى فيكَ» شيء لا كون و لا إرادة «غَيْرُ اِرَادَةِ رَبِّكَ فَتَمْتَلِئِ بِرَبِّكَ» معرفة و حضورا و سرورا «فَلَا يَكُوْنُ بِغَيْرِ رَبِّكَ فِي قَلْبِكَ» بسبب

صرف التوجه عنه «مَكَانٌ وَ لَا مَدْخَلٌ، وَ جُعِلْتَ بَوَّابَ قَلْبِكَ» و صار قلبك بيت ربك «وَ أُعْطِيْتَ» من عند الله تعالىٰ «سَيْفَ التَّوْحِيْدِ وَ» سيف «مُطَالَعَةِ الْعَظَمَةِ» في ذاته و صفاته قاطعة رأس الغير حتى لا يدخل في حرم الله تعالىٰ «وَ» كذا سيف ملاحظة «الْجَبَرُوْتِ» و هو القهر والغلبة في صفاته و أفعاله الجلالية المانعة عن خطور الغير بالقلب الَّذِيْ هو حريم الله تعالىٰ.

فَكُلٌّ مَنْ رَاَيْتَهٗ دَنٰى مِنْ سَاحَةِ صَدْرِكَ اِلٰى بَابِ قَلْبِكَ نَدَرْتَ رَاْسَهٗ مِنْ كَاهِلِهٖ فَلَا يَكُوْنُ لِنَفْسِكَ وَ هَوَاكَ وَ اِرَادَتِكَ وَ مُنَاكَ فِيْ دُنْيَاكَ وَ اُخْرَاكَ عِنْدَكَ رَاْسُ مَنْشَاءٍ وَلَا كَلِمَةٌ مَسْمُوْعَةٌ وَلَارَاْىٌ مُتَّبَعٌ اِلَّا اِتِّبَاعُ اَمْرِ الرَّبِّ تَعَالٰى وَ تَقَدَّسَ وَالْوُقُوْفُ مَعَهٗ وَالرِّضَا بِقَضَائِهٖ بَلْ الْفَنَاءُ فِي قَضَائِهٖ وَ قَدْرِهٖ فَتَكُوْنُ حِيْنَئِذٍ عَبْدَ الرَّبِّ وَ عَبْدَ اَمْرِهٖ تَعَالٰى لَا عَبْدَالْخَلْقِ وَ عَبْدَ اٰرَائِهِمْ فَاِذَا اسْتَمَرَّ الْاَمْرُ فيكَ كَذٰلِكَ ضُرِبَتْ حَوْلَ قَلْبِكَ سُرَادِقَاتُ الْغَيْرَةِ وَ خَنَادِقُ الْعَظَمَةِ وَ سُلْطَانُ الْجَبَرُوْتِ وَ حُفَّ بِجُنُوْدِ الْحَقِيْقَةِ وَالتَّوْحِيْدِ، وَ يُقَامُ دُوْنَ ذٰلِكَ حُرَّاسٌ مِنَ الْحَقِّ عَزَّ وَ جَلَّ كَيْلَا يَخْلِصَ الْخَلْقَ اِلَى الْقَلْبِ مِنَ الشَّيْطَانِ وَالنَّفْسِ وَالْهَوٰى وَالْاِرَادَتِ وَالْاَمَانِي الْبَاطِلَةِ وَالدَّعَاوِي الْكَاذِبَةِ النَّاشِيَةِ مِنَ الطِّبَاعِ وَالنُّفُوْسِ الْاٰمِرَةِ بِالسُّوْءِ وَالضَّلَالَاتِ النَّاشِيَةِ مِنَ الْاَهْوِيَةِ.

«فَكُلٌّ مَنْ رَاَيْتَهٗ» من أفراد العالم و أشخاصه و أصنافه و أنواعه و أجناسه «دَنٰى» و قرب «مِنْ سَاحَةِ صَدْرِكَ» الَّذِيْ هو بمنزلة حول الحريم «اِلٰى بَابِ قَلْبِكَ» الَّذِيْ هو بيت ربك تعالىٰ و حريمه «نَدَرْتَ» أي قطعت «رَاْسَهٗ» أي رأس ذلك الغير من أفراد العالم «مِنْ كَاهِلِهٖ» لإساءة الأدب مع مولاك بالقرب من حرمه فإذا قطعت رأس الغير مطلقا أي غير كان «فَلَا يَكُوْنُ لِنَفْسِكَ وَ هَوَاكَ وَ اِرَادَتِكَ وَ مُنَاكَ دُنْيَاكَ فِيْ وَ اُخْرَاكَ عِنْدَكَ» بعد قطعك رأسه «رَاْسُ مَنْشَاءٍ» ظهور فلا تظهر رأس شيء منها إلا قطعتها بتلك السيوف؛ لأنها من جملة الأغيار «وَ لَا»

يكون عندك «كَلِمَةٌ مَسْمُوْعَةٌ» أي متبوعة مقبولة فإن السماع عبارة عن القبول و بهذا المعنى ورد" سمع الله لمن حمده" أي قبل «وَ لَا» يكون عندك «رَأْيٌ مُتَّبَعٌ» تَتَّبع تلك الرايَ «اِلَّا اِتِّبَاعُ اَمْرِ الرَّبِّ تَعَالٰى وَ تَقَدَّسَ وَالْوَقُوْفُ مَعَهٗ» أي مع أمرالرب «وَالرِّضَاءُ بِقَضَائِهٖ» تعالٰى «بَلْ» يكون لك «الْفَنَاءُ فِي قَضَائِهٖ وَ قَدْرِهٖ» تعالٰى فتخلص عنك و عن غيرك «فَتَكُوْنُ حِيْنَئِذٍ عَبْدَ الرَّبِّ وَ عَبْدَ اَمْرِهٖ تَعَالٰى لَا عَبْدَالْخَلْقِ وَ عَبْدَ اٰرَائِهِمْ» كما هو حال طلاب الدنيا «فَاِذَا اسْتَمَرَّ الْاَمْرُ فيكَ كَذٰلِكَ» المذكور من صرف التوجه عن الخلق و تخليصها للحق تعالٰى بل الفناء في القدر والقضاء عن النفس والهوى والإرادة والمنٰى صرتَ من خلص عبيده و رفعت إلى أعلى مراتب المحبوبية. والمحب أبدا غيور على محبوبه عن التوجه إلى الأغيار و مداخلة الأغيار فلذلك «ضُرِبَتْ حَوْلَ قَلْبِكَ سُرَادِقَاتُ الْغَيْرَةِ» الربانية «وَخَنَادِقُ الْعَظَمَةِ» السلطانية «وَ سُلْطَانُ الْجَبَرُوْتِ» الإلٰهية «وَ حُفَّ» قلبك «بِجُنُوْدِ الْحَقِيْقَةِ وَالتَّوْحِيْدِ» ليمنع جميعُ ذلك من مداخلة الغيرفي قلبك مطلقا حتى نفسك و هواك و إرادتك و مناك أيضا «وَ يُقَامُ دُوْنَ ذٰلِكَ» أي عند ضرب السرادقات و حفر الخنادق والحف بالجنود «حُرَّاسٌ» جمع حارس بمعنى حافظ «مِنَ الْحَقِّ عَزَّ وَ جَلَّ» و قد كان في أول حالك فوض دفع الغير إليك و جُعِلْتَ أنت بواب قلبك فبعد أدائك كمال حقوق التفويض تَوَلَّى الحقُ تعالٰى بنفسه لمحافظتك و منع مداخلة الغير فيك «كَيْلَا يُخْلِصَ الْخَلْقَ» و لا يجد الطريق «إلى الْقَلْبِ» أي قلبك الَّذِيْ هو بيت الرب تعالٰى «مِنَ الشَّيْطَانِ وَالنَّفْسِ وَالْهَوٰى وَالْاِرَادَتِ وَالْاَمَانِي الْبَاطِلَةِ وَالدَّعَاوِي الْكَاذِبَةِ النَّاشِيَةِ مِنَ الطِّبَاعِ» البهيمية السبعية «وَالنُّفُوْسِ» الشهوية «الْاٰمِرَةِ بِالسُّوْءِ وَالضَّلَالَاتِ النَّاشِيَةِ مِنَ الْأَهْوِ يَةِ» الردية الخسيسة فلا يجد الخلق إلى قلبك سبيلا، و لا يخطر ببالك شيء شاغل عن الحق عَزَّ وَ جَلَّ.

فَحِيْنَئِذٍ اِنْ كَانَ فِي الْقَدْرِ مَجِيْءُ الْخَلْقِ وَ تَوَاتُرُهُمْ اِلَيْكَ وَ

تَتَابُعُهُمْ وَ تَطَابُقُهُمْ عَلَيْكَ لِيُصِيْبُوْا مِنَ الْأَنْوَارِ اللَّائِحَةِ عَلَيْكَ وَ مِنَ الْعَلَامَاتِ الْمُنِيْرَةِ وَالْحِكَمِ الْبَالِغَةِ، وَ لِيَرَوا مِنَ الْكَرَامَاتِ الظَّاهِرَةِ وَ خَرْقِ الْعَادَاتِ الْمُسْتَمَرَّةِ، وَ يَزْدَادُوْا بِذٰلِكَ مِنَ الْقُرْبِ وَالطَّاعَاتِ وَ الْمُجَاهِدَاتِ وَالْمُكَابِدَاتِ فِيْ عِبَادَةِ رَبِّهِمْ حُفِظْتَ عَنْهُمْ اَجْمَعِيْنَ وَ عَنْ مَيْلِ النَّفْسِ اِلٰى هَوَاهَا وَ عُجْبِهَا وَ مُبَاهَاتِهَا وَ تَعَاظُمِهَا بِالتَّكْثِيْرِ بِهِمْ وَ بِقُبُوْلِهِمْ لَكَ وَ اِقْبَالِ وُجُوْهِهِمْ اِلَيْكَ.

وَ كَذٰلِكَ اِنْ قُدِّرَ لَكَ مَجِيْئُ زَوْجَةٍ حَسْنَاءَ جَمِيْلَةٍ كَمِيْلَةٍ بِكِفَايَتِهَا وَ سَائِرِ مُؤْنَتِهَا حُفِظَتَ مِنْ شَرِّهَا وَ تَحَمُّلِ اَثْقَالِهَا وَ اَتْبَاعِهَا وَ اَهْلِهَا وَ صَارَتْ عِنْدَكَ مَوْهِبَةً مُكْفَاةً مُهَنَّاةً مُصَفَّاةً مِنَ الْغَشِّ وَالْخُبْثِ وَالدَّخَلِ وَالْحِقْدِ وَالْغَضَبِ وَالْخِيَانَةِ فِي الْغَيْبِ فَتَكُوْنُ مُسَخَّرَةً لَكَ هِيَ وَ اَهْلُهَا، مَحْمُوْلَةً عَنْكَ مُؤْنَتُهَا، مَدْفُوْعَةً عَنْكَ اَذِيَّتُهَا.

«فَحِيْنَئِذٍ» أي حين صرت محفوظا بالعناية الرباني واللطف الصمداني «اِنْ كَانَ فِي الْقَدْرِ» أي تقدير الله الأزلي «مَجِيْئِ الْخَلْقِ» عندك «وَ تَوَاتُرُهُمْ» و توجههم «اِلَيْكَ وَ تَتَابُعُهُمْ وَ تَطَابُقُهُمْ» و هجومهم و عكوفهم «عَلَيْكَ لِيُصِيْبُوْا مِنَ الْأَنْوَارِ اللَّائِحَةِ عَلَيْكَ وَ» يستفيدوا «مِنَ الْعَلَامَاتِ الْمُنِيْرَةِ» والدلائل الواضحة بقرب الحق «وَالْحِكَمِ الْبَالِغَةِ» مرتبة الكمالية والقرب عند الرب تعالیٰ «وَ لِيَرَوا مِنَ الْكَرَامَاتِ الظَّاهِرَةِ وَ خَرْقِ الْعَادَاتِ الْمُسْتَمَرَّةِ وَ يَزْدَادُوْا بِذٰلِكَ» الرؤية «مِنَ الْقُرْبِ» إلى الله تعالیٰ «وَالطَّاعَاتِ» الفرضية والنفلية «وَ الْمُجَاهِدَاتِ» في تحصيلها «وَالْمُكَابِدَاتِ» والمشقة «فِيْ عِبَادَةِ رَبِّهِمْ»

وقوله: «حُفِظْتَ» جواب لقوله "إن كان" أي إن كان في القدر مجيئهم لتحصيل نفعهم و استفادتهم منك حفظت «عَنْهُمْ اَجْمَعِيْنَ» بحفظ الله فلا يضر لك صحبتهم «وَ» حفظت «عَنْ مَيْلِ النَّفْسِ اِلٰى هَوَاهَا وَ عُجْبِهَا وَ مُبَاهَاتِهَا» أي فخرها «وَ تَعَاظُمِهَا بِالتَّكْثِيْرِ بِهِمْ» بأن تقول ما أعظم كثرة رجوع الخلق إلي، و

اجتماعهم لديّ «وَ بِقُبُوْلِهِمْ لَكَ وَ اِقْبَالِ وُجُوْهِهِمْ اِلَيْكَ، وَ كَذٰلِكَ» أي كما إنْ كان في تقدير الله تعالىٰ مجيئ الخلق عندك يجيئون و تحفظ من شرهم كذلك «اِنْ قُدِّرَ لَكَ» في علم الله الأزلي «مَجِيْئُ زَوْجَةٍ حَسْنَاءَ» عيناء كحلاء «جَمِيْلَةٍ» الوجه جليلة القدر «كَمِيْلَةٍ» الخلق أي كاملة الخلق حسنة الخلق «بِكِفَايَتِهَا» أي مع كفاية ذاتها «وَ سَائِرِ مُؤْنَتِهَا» التي هي لوازم الزوجية من البيت والجارية و متاع البيت «حُفِظَتَ» أي تجيئى عندك كما ذكرنا و حفطت أنت «مِنْ شَرِّهَا» في خلقها و قبيلتها «وَ تَحَمُّلِ اَثْقَالِهَا» في إنفاقها و لوازمها «وَ اَتْبَاعِهَا» من أولادها و جواريها «وَ اَهْلِهَا» و قبيلتها «وَ صَارَتْ» تلك الزوجة «عِنْدَكَ مَوْهِبَةً» من ربك «مُكْفَاةً» في جميع ما تحتاج إليها «مُهَنَّأَةً» هناك الله تعالىٰ و هناك الخلق كله من غير تعيير و تعييب «مُصَفَّاةً مِنَ الْغَشِّ» الإزدواجي «وَالْخُبْثِ» النفسي «وَالدَّخَلِ» الطبيعي «وَالْحِقْدِ» الخُلقي «وَالْغَضَبِ» الخِلقي «وَالْخِيَانَةِ» الجبِلّي «فِي الْغَيْبِ» أي في غيبتك «فَتَكُوْنُ مُسَخَّرَةً لَكَ هِيَ وَ اَهْلُهَا» كله بتسخير ربك «مَحْمُوْلَةً عَنْكَ مُؤْنَتُهَا مَدْفُوْعَةً عَنْكَ اَذِيَّتُهَا» الحسبية والنسبية فقوله: محمولة و مدفوعة خبر بعد خبر بحذف العاطف فزوجتك الموصوفة بهذه الصفات جنتك الدنياوية.

وَ اِنْ قُدِّرَ مِنْهَا وَلَدٌ كَانَ صَالِحًا وَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً وَ قُرَّةَ عَيْنٍ، قَالَ اللهُ تَعَالىٰ:

﴿وَ اَصْلَحْنَا لَهٗ زَوْجَهٗ﴾ ط.[الأنبياء، رقم السورة،٢١، رقم الآية:٩٠]

وَ قَالَ تَعَالىٰ:

﴿وَالذينَ يَقُوْلُوْنَ رَبَّنَاهَبْ لَنَا مِنْ اَزْوَاجِنَا وَ ذُرِّيّٰتِنَا قُرَّةَ اَعْيُنٍ وَّ اجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِيْنَ اِمَامًا﴾[الفرقان. رقم السورة:٢٥، رقم الآية:٧٤]

وَ قَوْلُهٗ تَعَالىٰ: ﴿وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم، رقم السورة:١٩، رقم الآية:٥-٦]

فَتَكُوْنُ هٰذِهِ الدَّعْوَاتُ الَّتِيْ فِي هٰذِهِ الْآيَاتِ مَعْمُوْلًا بِهَا مُسْتَجَابَةً فِي حَقِّكَ اِنْ دَعَوْتَ بِهَا اَوْ لَمْ تَدْعُ، اِذْ هِيَ فِيْ مَحَلِّهَا وَ اَهْلِهَا، وَ اَوْلٰى مَنْ يُّعَامِلُ بِهٰذِهِ النِّعْمَةِ وَ يُقَابِلُ بِهَا مَنْ كَانَ قَدْ اُهِلَّ اَهْلًا لِهٰذِهِ الْمَنْزِلَةِ، وَ اُقِيْمَ فِي هٰذَا الْمَقَامِ وَ قُدِّرَ لَهُ مِنَ الْفَضْلِ وَالْقُرْبِ هٰذَا الْمِقْدَار، وَكَذٰلِكَ اِنْ قُدِّرَ لَكَ مَجِيْءُ شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا لَا يَضُرُّ اِذْ ذَاكَ، فَمَا هُوَ قِسْمُكَ مِنْهَا لَا بُدَّ لَكَ مِنْ تَنَاوُلِهِ وَ تَصْفِيَتِهِ لَكَ بِفِعْلِ اللهِ تَعَالٰى وَالْاَمْرِ بِتَنَاوُلِهِ فَتَنَاوَلْـهُ وَ اَنْتَ مُمْتَثِلٌ لِلْاَمْرِ مُثَابٌ عَلٰى تَنَاوُلِهِ كَمَا تُثَابُ عَلٰى فِعْلِ الصَّلَوَاتِ الْفَرْضِ وَالصِّيَامِ الْفَرْضِ، وَ تُؤْمَرُ فِيْهَا فِيْمَا هُوَ لَيْسَ بِقِسْمِكَ مِنْهَا بِصَرْفِهَا اِلٰى اَرْبَابِهَا مِنَ الْاَصْحَابِ وَالْجِيْرَانِ وَالْاِخْوَانِ الْمُسْتَحِقِّيْنَ الْفُقَرَاءِ مِنْهُمْ وَ اَصْحَابِ الْقِسْمَةِ عَلٰى مَا يَقْتَضِيْ الْحَالُ فَالْحَالُ تَكْشِفُهَا وَ تُمَيِّزُهَا وَ لَيْسَ الْخَبَرُ كَالْمُعَايَنَةِ.

«وَ اِنْ قُدِّرَ مِنْهَا» أي من تلك الزوجة في العلم الأزلي «وَلَدٌ كَانَ» ذلك الولد ولدا«صَالِحًا وَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً» لك «وَ قُرَّةَ عَيْنٍ» لك فقوله: ذرية وقرة عين خبر بعد خبر كما «قَالَ اللهُ تَعَالٰى» في حق زكريا عليه السلام:

وَ زَكَرِيَّآ اِذْ نَادٰى رَبَّهٗ رَبِّ لَا تَذَرْنِيْ فَرْدًا وَّ اَنْتَ خَيْرُالْوٰرِثِيْنَ. فَاسْتَجَبْنَا لَهٗ وَ وَهَبْنَا لَهٗ يَحْيٰى.[الأنبياء،رقم السورة:٢١، رقم الآية:٩٨-٩٠]

﴿وَ اَصْلَحْنَا لَهٗ زَوْجَهٗ ط﴾[الأنبياء، رقم السورة:٢١، رقم الآية:٩٠]

«وَ قَالَ تَعَالٰى» في وصف عباده المختصين:

وَ عِبَادُ الرَّحْمٰنِ الَّذِيْنَ يَمْشُوْنَ عَلَى الْاَرْضِ هَوْنًا وَّ اِذَا خَاطَبَهُمُ الْجٰهِلُوْنَ قَالُوْا سَلٰمًا. وَالَّذِيْنَ يَبِيْتُوْنَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَّ قِيَامًا.[الفرقان، رقم السورة:٢٥، رقم الآية:٦٣-٦٤]

و عَدَّ أوصافهم الجميلة إلى أن ذكر طلبهم بقوله:

«﴿وَالذين يَقُوْلُوْنَ رَبَّنَاهَبْ لَنَا مِنْ اَزْوَاجِنَا وَ ذُرِّيّتِنَا قُرَّةَ اَعْيُنٍ وَّ اجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِيْنَ اِمَامًا﴾» [الفرقان، رقم السورة:٢٥، رقم الآية.٧٤]

«وَ قَوْلُهُ تَعَالٰى» حكاية عن نبيه زكر يا عليه السلام في دعائه:

﴿فَهَبْ لِيْ مِنْ لَّدُنْكَ وَلِيًّا يَّرِثُنِيْ وَ يَرِثُ مِنْ اٰلِ يَعْقُوْبَ «وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا»﴾ [مريم،١٩/ ٥-٦]

«فَتَكُوْنُ هٰذِهِ الدَّعْوَاتُ الَّتِيْ فِيْ هٰذِهِ الْآيَاتِ مَعْمُوْلًا بِهَا مُسْتَجَابَةً فِي حَقِّكَ» أعطاك الله ما دُعي فيها و طلب بها «اِنْ دَعَوْتَ بِهَا» إظهارا للعبودية «اَوْ لَمْ تَدْعُ» بها ثقة برضا مولاك «اِذْ هِيَ فِيْ مَحَلِّهَا» إن وقعت فيك «وَ اَهْلِهَا» إن حصلت لك «وَ» ذلك لأن «اَوْلٰى مَنْ يُّعَامِلُ بِهٰذِهِ النِّعْمَةِ» المذكورة فيها بالإعطاء «وَ يُقَابِلُ بِهَا» بالاستجابة «مَنْ كَانَ قَدْ اُهِلَّ» أي جعله الله تعالٰى «اَهْلًا لِهٰذِهِ الْمَنْزِلَةِ» الرفيعة «وَ» من كان «اُقِيْمَ فِي هٰذَا الْمَقَامِ» العظيم «وَ قُدِّرَ لَهٗ» بفضل الله «مِنَ الْفَضْلِ» الجسيم «وَالْقُرْبِ» العظيم البالغ «هٰذَا الْمِقْدَار» من العظمة والرفعة و أنت كذلك فوقوعها فيك في محلها و أهلها «وَكَذٰلِكَ» أي كما قدر لك مجيء الخلق عندك يجيء وَ حُفِظْتَ من شره، و قدر لك مجيئ الزوجة محفوظا عن شرها، و قدر لك ولد يكون صالحا كذلك «اِنْ قُدِّرَ لَكَ» في العلم الأزلي «مَجِيْئُ شَيْئٍ مِنَ الدُّنْيَا» عندك «لَا يَضُرُّ» لك «اِذْ ذَاكَ» أي وقت مجيئها بتقدير الله تعالٰى «فَمَا هُوَ قِسْمُكَ مِنْهَا» أي من الدنيا «لَا بُدَّ لَكَ مِنْ تَنَاوُلِهٖ» أي تناول ذٰلك القسم «وَ تَصْفِيَتِهٖ لَكَ بِفِعْلِ الله تَعَالٰى» و إرادته «وَالْاَمْرِ بِتَنَاوُلِهٖ» فالمأمور في الاختيار معذور و بلذة الامتثال مسرور «فَتَنَاوَلْهُ» أي تناول أنت ذلك القسم الدنياوى «وَ أَنْتَ» والحال أنك «مُمْتَثِلٌ لِلْاَمْرِ» الإلهي «مُثَابٌ عَلٰى تَنَاوُلِهٖ» بسبب امتثال الأمر الربّاني «كَمَا تُثَابُ» لامتثال الأمرالإلهي «عَلٰى فِعْلِ الصَلَوَاتِ الْفَرْضِ وَالصِّيَامِ الْفَرْضِ» فحظك من ما هو قسمك منها لا تعب لك فيها «وَ تُؤْمَرُ» من جانب الله تعالٰى «فيهَا» أي في الدنيا «فِيمَا هُوَ لَيْسَ بِقِسْمِكَ مِنْهَا بِصَرْفِهَا» أي تؤمر بصرف القسم الَّذِيْ ليس لك في الدنيا «اِلٰى اَرْبَابِهَا» المستحقين «مِنَ الْأَصْحَابِ

وَالْجِيْرَانِ وَالْإِخْوَانِ» والخلان «الْمُسْتَحِقِّيْنَ الْفُقَرَاءِ» والضعفاء «مِنْهُمْ» دون الأغنياء والأقو ياء «وَ» ليس تلك القسمة على هٰؤلاء على السو ية بل تقسم «على اَصْحَابِ الْقِسْمَةِ» من هٰؤلاء المذكور ين «عَلٰى مَا» أي الوجه الَّذِيْ «يَقْتَضِيْ الْحَالُ» إياها و أن الله تعالٰى يطلعك على مقتضى الحال، فإن توجهت إلى الحال «فَالْحَالُ تُكْشِفُهَا وَ تُمَيِّزُهَا» لك كشفا واضحا و تميزا تاما فإذا انكشفت لك الحال تطلع على حقيقة ما تسمع من هذا المقال «وَ لَيْسَ الْخَبَرُ كَالْمُعَايَنَةِ»

فَحِيْنَئِذٍ يَكُوْنُ الْاَمْرُ عَلٰى بَيْضَاءَ نَقِيَّةٍ لَا غُبَارَ عَلَيْهَا وَ لَا تَلْبِيْسَ وَ لَا تَخْلِيْطَ وَ لَا شَكَّ وَ لَا اِرْتِيَابَ فَالصَّبْرَ الصَّبْرَ، والرِّضَا الرِّضَا، وَحِفْظَ الْحَالِ حِفْظَ الْحَالِ، وَالْخَمُوْلَ الْخَمُوْلَ، وَالْخَمُوْدَ الْخَمُوْدَ، وَ اَلسُّكُوْتَ السُّكُوْتَ وَالصَّمُوْتَ الصَّمُوْتَ، وَالْحَذْرَ الْحَذْرَ، وَالنَّجَا النَّجَا، وَالْوَجَاالْوَجَا، اَللّٰهَ اللّٰهَ ثُمَّ اللّٰهَ اللّٰهَ وَالْاِطْرَاقَ الْاِطْرَاقَ، وَالْاِغْمَاضَ الْاِغْمَاضَ، وَالْحَيَاالْحَيَا اِلٰى اَنْ يَّبْلُغَ الْكِتَابُ اَجلَهٗ فيؤخَذُ بِيَدِكَ فَتَقَدَّمُ وَ يُنْزَعُ عَنْكَ مَا عَلَيْكَ ثُمَّ تُغَوَّصُ فِي بِحَارِ الْفَضَائِلِ وَالْمِنَنِ وَالرَّحْمَةِ ثُمَّ تُخْرَجُ مِنْهَا فَتُخْلَعُ عَلَيْكَ خِلَعُ الْاَنْوَارِ وَالْاَسْرَارِ وَالْعُلُوْمِ وَالْغَرَائِبِ اللَّدُنِّيَّةِ فَتُقَرَّبُ وَ تُحَدَّثُ وَ تُكَلَّمُ وَ تُعْطٰى وَ تُغْنٰى وَ تُشَجَّعُ وَ تُرْفَعُ وَتُخَاطَبُ:

﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِيْنٌ اَمِيْنٌ﴾[يوسف، رقم السورة:١٢، رقم الآية:٥٤]

فَحِيْنَئِذٍ اِعْتَبِرْ حَالَةَ يُوْسُفَ الصِّدِّيْقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِيْنَ خُوْطِبَ بِهٰذَا الْخِطَابِ عَلٰى لِسَانِ مَلِكِ مِصْرَ وَ عَظِيْمِهَا وَ فِرْعَوْنِهَا، كَانَ لِسَانُ الْمَلِكِ قَائِلًا وَ مُعَبِّرًا بِهٰذَا الْخِطَابِ وَ الْمُخَاطِبُ هُوَ اللّٰهُ عَزَّ وَ جَلَّ، فَعَلٰى سُلِّمَ اِلَيْهِ الْمُلْكُ الظَّاهِرُ وَ هُوَ مُلْكُ الْمِصْرِيْ وَ مُلْكُ النَّفْسِ وَ مُلْكُ الْمَعْرِفَةِ وَالْعِلْمِ وَالْقُرْبَةِ وَالْخُصُوْصِيَّةِ وَ عُلُوُّ الْمَنْزِلَةِ عِنْدَهٗ عَزَّ

وَ جَلَّ قَالَ اللهُ فِي مُلْكِ الْمَلِكِ:

﴿وَ كَذٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوْسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾[يوسف، رقم السورة:١٢، رقم الآية:٥٦] أَيْ فِيْ أَرْضِ مِصْر

«يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ﴾ [يوسف،رقم السورة:١٢،رقم الآية٥٦]

وَ قَالَ اللهُ تَعَالٰى فِي مُلْكِ النَّفْسِ:

﴿كَذٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوْٓءَ وَالْفَحْشَآءَ ۭ إِنَّهٗ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِيْنَ﴾ [يوسف،رقم السورة:١٢،رقم الآية٢٤]

وَ قَالَ مِنْ مُلْكِ الْمَعْرِفَةِ وَالْعِلْمِ:

﴿ذٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِيْ رَبِّيْ، إِنِّيْ تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُوْنَ بِاللهِ وَ هُمْ بِالْاٰخِرَةِ هُمْ كٰفِرُوْنَ﴾[يوسف،رقم السورة:١٢،رقم الآية:٣٧]

فَإِذَا خُوْطِبْتَ بِهٰذَا الْخِطَابِ أَيُّهَا الصِّدِّيْقُ الْأَكْبَرُ أُعْطِيْتَ الْحَظَّ الْأَوْفَرَ مِنَ الْعِلْمِ الْأَعْظَمِ وَ مُنِحْتَ بِالتَّوْفِيقِ وَالْمِنَنِ وَالْقُدْرَةِ الْكَامِلَةِ وَالدَّلَالَةِ الْعَامَّةِ وَالْأَمْرِ النَّافِذِ عَلَى النَّفْسِ وَ غَيْرِهَا مِنَ الْأَشْيَاءِ وَ التَّكْوِيْنِ بِإِذْنِ إِلٰهِ الْأَشْيَاءِ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْأُخْرٰى. وَ أَمَّا فِي الْأُخْرٰى فِيْ دَارِ السَّلَامِ وَالْجَنَّةِ الْعُلْيَا فَالنَّظْرُ إِلٰى وَجْهِ الْمَوْلَى الْكَرِيْمِ فِيهَا زِيَادَةٌ وَ مِنَّةٌ وَ هُوَ الْمُنٰى الَّذِيْ لَا غَايَةَ لَهَا وَ لَا مُنْتَهٰى.

«فَحِيْنَئِذٍ» أي حين عاينت الأمر «يَكُوْنُ الْأَمْرُ» أي أمر الدنيا الواصلة بك بكلا قسميه أي القسمة التي هي لك خاصة، والقسمة التي تقسمها على أربابها المستحقين «عَلٰى» حالة «بَيْضَاءَ نَقِيَّةٍ» عن دنس المعصية والعتاب «لَا غُبَارَ عَلَيْهَا وَ لَا تَلْبِيْسَ وَ لَا تَخْلِيْطَ وَ لَا شَكَّ وَ لَا اِرْتِيَابَ» في أنها هل هي جائزة التصرف لك في حقك خاصة أو في أربابها عامة أم لا يجوز، و ذلك لأنها لو لم تكن جائزة التصرف لك لماساقها الله تعالىٰ إليك، فإن الله تعالىٰ لا يعطي لخواص عباده إلا

الطيّبات من الرزق كما قال تعالىٰ: ﴿اَلطَّيِّبٰتُ لِلطَّيِّبِيْنَ وَالطَّيِّبُوْنَ لِلطَّيِّبٰتِ﴾[النور، رقم السورة:٢٤، رقم الآية:٢٦]

فإذا أطلعك الله تعالىٰ بلسان أوليائه أنه إن كان في تقديره تعالىٰ مجيئ الخلق إليك و مجيئ النساء إليك و مجيئ الولد و مجيئ الدنيا يجيئ كل منها إليك حال كونك محفوظا من شره و من التعب في تحصيله «فَالصَّبْرَ الصَّبْرَ» أي الزم الصبر و لا تتحرك بنفسك حتى يفتح الله تعالىٰ عليك ماير يد.

«وَ »اطلب «اَلرِّضَاءَالرِّضَاءَ وَ» الزم «حِفْظَ الْحَالِ حِفْظَ الْحَالِ» الَّذِيْ أعطاك «وَ» الزم «اَلْخُمُوْلَ الْخُمُوْلَ» حتى يرفع الله تعالىٰ ذكرك «وَ» الزم «اَلْخُمُوْدَ الْخُمُوْدَ» عن إرادتك النفسانية حتى يعطيك الله تعالىٰ إرادة من عنده «وَ» الزم «اَلسُّكُوْتَ السُّكُوْتَ» حتى يؤذنك الله تعالىٰ بالتكلم «وَ» الزم «اَلصَّمُوْتَ الصَّمُوْتَ» حتى يأمرك الله في النصيحة واحذر «اَلْحَذْرَ الْحَذْرَ» من إرادتك «وَ» ترك الصبر عن مشتهياتها و اطلب «اَلنَّجَا النَّجَا» من سخط الله تعالىٰ «وَ» اطلب «اَلْوَحَاالْوَحَا» أي اترك لإرادتك واحذر «اَللهَ اللهَ ثُمَّ اللهَ اللهَ» في جميع حالاتك «وَ»الزم «اَلْإِطْرَاقَ الْإِطْرَاقَ» لأوامر الله تعالىٰ «وَ» الزم «اَلْإِغْمَاضَ الْإِغْمَاضَ» عن هتك أستارالأسرار«وَ» الزم «اَلْحَيَاالْحَيَا» في جميع أمورك «إِلٰى اَنْ يَّبْلُغَ الْكِتَابُ اَجَلَهٗ» و هو تقدير الله تعالىٰ في كل شيئ فإذا حان وقت ما أراد الله تعالىٰ بك من مجيئ الخلق والزوجة والولد والدنيا إليك «فيؤخَذُ» من جانب الله تعالىٰ« بِيَدِكَ فَتُقَدَّمُ» إلى ما أراد الله تعالىٰ بك «وَ يُنْزَعُ عَنْكَ» بلطفه و كرمه «مَا عَلَيْكَ» من الإثم في مخالطته فتخلط بكل ما أراد الله تعالىٰ بك حال كونك محفوظا من شره «ثُمَّ تُغَوَّصُ» بفضله تعالىٰ في «بِحَارِ الْفَضَائِلِ وَالْمِنَنِ وَالرَّحْمَةِ» الظاهر ية «ثُمَّ تُخْرَجُ مِنْهَا» أي من بحار الفضائل والمنن والرحمة «فَتُخْلَعُ عَلَيْكَ خِلَعُ الْأَنْوَارِ وَالْأَسْرَارِ وَالْعُلُوْمِ وَالْغَرَائِبِ اللَّدُنْيَةِ» التي هي الفضائل والمنن والرحمة الباطنية «فَتُقَرَّبُ» قربة الحق «وَ تُحَدَّثُ» من عند الله تعالىٰ بالأحاديث القدسية «وَ تُكَلَّمُ» بالكلام الربانى «وَ تُعْطٰى» عطاءً سبحانيا «وَ تُغْنٰى غناءً» سلطانيا

«وَ تُسْبَحُ» بلسان الخلق بذكر المحامد والثناء «وَ تُرْفَعُ» ذكرك و رتبتك عند خالقك «وَتُخَاطَبُ» بالخطاب الإلهي:

«بِاِنَّكَ» أيها العبد المختص «الْيَوْمَ» الَّذِيْ أعطيناك ما أعطينا «لَدَيْنَا مَكِيْنٌ» صاحب قرار و وقار «اَمِيْنٌ» على ما أعطيناك محفوظ من خيانة نفسانية «فَحِيْنَئِذٍ» أي حين إذ تخاطب بهذا الخطاب العظيم، و تشرف بهذا الإكرام الجسيم «اِعْتَبِرْ» في حقك «حَالَةَ يُوْسُفَ» النبي «الصِّدِّيْقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِيْنَ خُوْطِبَ» من جانب الله تعالى «بِهٰذَا الْخِطَابِ» أي خطاب "اِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِيْنٌ اَمِيْنٌ" «عَلٰى لِسَانِ مَلِكِ مِصْرَ وَ عَظِيْمِهَا وَ فِرْعَوْنِهَا» المسمى بقِطفيرٍ كان كافرا لكن ذا عقل و رايٍ و رأى في المنام ما حكى الله تعالى عنه في القرآن بقوله:

﴿وَ قَالَ الْمَلِكُ اِنِّيْٓ اَرٰى سَبْعَ بَقَرٰتٍ سِمَانٍ﴾[يوسف، رقم السورة:١٢، رقم الآية:٤٣] «كَانَ» بحسب الظاهر «لِسَانُ الْمَلِكِ قَائِلًا» بهذا القول «وَ مُعَبِّرًا بِهٰذَا الْخِطَابِ وَ الْمُخَاطِبُ» في الحقيقة «هُوَ اللّٰهُ عَزَّ وَ جَلَّ» و قد فضل الله تعالى يوسف عليه السلام من أصل فطرته، و أعطاه معرفة كاملة «فَعَلٰى» تلك المعرفة «سُلِّمَ اِلَيْهِ الْمُلْكُ الظَّاهِرُ وَ هُوَ» أي المُلك الظاهر «مُلْكُ الْمِصْرِ، وَ» سلم إليه من جانب الله تعالى «مُلْكُ النَّفْسِ وَ مُلْكُ الْمَعْرِفَةِ وَالْعِلْمِ وَالْقُرْبَةِ وَالْخُصُوْصِيَّةِ» الربوبية «وَ عُلُوُّ الْمَنْزِلَةِ عِنْدَهُ عَزَّ وَ جَلَّ» كما «قَالَ اللّٰهُ فِي» بيان ما أعطاه من «مُلْكِ الْمَلِكِ» الْمِصْرِيْ

«وَكَذٰلِكَ» أي مثل ذلك التمكين الظاهر من جانب الملك من الإجلاس على سرير المملكة و تولّي الأمر «مَكَّنَّا لِيُوْسُفَ فِي الْاَرْضِ». «اَي فِي اَرْضِ مِصْر» و كانت أربعين فرسخا في أربعين.

«يَتَبَوَّاُ مِنْهَا» أي يجعل مكانه من بلادها «حَيْثُ يَشَآءُ»و هذا كناية عن التصرف التام من غير خوف المؤاخذة «وَ قَالَ اللّٰهُ تَعَالٰى» في بيان ما أعطاه من «مُلْكِ النَّفْسِ: كَذٰلِكَ» أي مثل ذلك التثبيت عن الهمّ بامرأءة العزيز بإراءة البرهان قيل بظهور جبرئيل، و قيل بتمثيل يعقوب عليه السلام عاضا على أنامله، و قيل بسماع نداء هاتف يا يوسف أنت مكتوب في ديوان الأنبياء و تعمل عمل

السفهاء ثبتناه «لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوْءَ» مطلقا، و منها خيانة السيد «وَالْفَحْشَآءَ ط» و منها الزنا «اِنَّهٗ» أي يوسف عليه السلام «مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِيْنَ» الذين أخلصناهم لطاعتنا، أوالذين أخلصوا دينَهم و أعمالَهم لنا على قراءتي فتح اللام وكسرها. «وَ قَالَ» الله تعالىٰ في بيان ما أعطاه عليه السلام «مِنْ مُلْكِ الْمَعْرِفَةِ وَالْعِلْمِ» حكاية لجوابه لفتيانه الذينِ دخلا معه في السجن و سألا منه تاو يل رؤ يا هما فبين تأو يله و قال: «ذٰلِكُمَا» أي ذلك العلم بالتأو يل «مِمَّا عَلَّمَنِىْ رَبِّىْ» بالإلهام والوحي كما هو شان الأنبياء لا من التَّكَهُّن والتنجم «اِنِّىْ» أي لأنى «تَرَكْتُ» من أول الأمر «مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُوْنَ بِاللهِ وَ هُمْ بِالْاٰخِرَةِ هُمْ كٰفِرُوْنَ» و توجهت إلى الرب الَّذِيْ لا رب سواه فكما خاطب الله تعالىٰ يوسف عليه السلام خاطبك «فَاِذَا خُوْطِبْتَ بِهٰذَا الْخِطَابِ اَيُّهَاالصِّدِّيْقُ الْاَكْبَرُ اُعْطِيْتَ» من جانب الله «الْحَظَّ الْاَوْفَرَ مِنَ الْعِلْمِ الْاَعْظَمِ وَ مُنِحْتَ» بصيغة المجهول أي أُعطيت «بِالتَّوْفِيقِ وَالْمِنَنِ وَالْقُدْرَةِ الْكَامِلَةِ وَالدَّلَالَةِ الْعَامَّةِ وَالْأَمْرِالنَّافِذِ عَلَى النَّفْسِ» أي نفسك «وَ غَيْرِهَا مِنَ الْاَشْيَاءِ، وَ» منحت «التَّكْوِيْنِ» أي إيجاد الأشياء من كتم العدم «بِاِذْنِ اِلٰهِ الْاَشْيَاءِ»لا بك و منك،هذا العطاء كله «فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْاُخْرٰى، وَ اَمَّا فِي الْاُخْرٰى» فيعطيك ربك «دَارَالسَّلَامِ وَالْجَنَّةَ الْعُلْيَا فَالنَّظْرُ اِلٰى وَجْهِ الْمَوْلٰى الْكَرِيْمِ فِيهَا» أي النظر إلى وجهه الكريم في الجنة «زِيَادَةٌ» أي يعطيك ذلك النظرَ تفضلا «وَ مِنَّةٌ» منه تعالىٰ عليك لاجزاء لأعمالك كما قال تعالىٰ:

لِلَّذِيْنَ اَحْسَنُوا الْحُسْنٰى وَ زِيَادَةٌ.[يونس،رقم السورة:١٠،رقم الآية:٢٦]

فسّروا الحسنى بجزاء الأعمال والزيادة بالنظر إلى وجه الله الكريم «وَ هُوَ» أي النظر إلى وجه الله الكريم «الْمُنٰى» والمطلوب «الَّذِيْ لَا غَايَةَ لَهَا وَ لَا مُنْتَهٰى».

اَلْمَقَالَةُ السَّابِعَةُ وَالْعِشْرُوْنَ

في بيَانِ اَنَّ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ ثَمَرَتَانِ مِنْ غُصْنَيْنِ: اَحَدُهُمَا: الْحُلْوُ، وَالْاٰخِرُ: الْمُرّ.

قَالَ رَضِيَ اللهُ تَعَالٰى عَنْهُ: اِجْعَلِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ ثَمَرَتَيْنِ مِنْ غُصْنَيْنِ مِنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ، اَحَدُالْغُصْنَيْنِ يَثْمُرُ حُلْوًا، وَ الْآخِرُ يَثْمُرُ مُرًّا، فكُنْ، وَاتْرُكِ الْبِلَادَ وَالْاَقَالِيْمَ وَ نَوَاحِيَ الْاَرْضِ الَّتِيْ تَنْشَأُ وَ تُحْمَلُ اِلَيْهَا هٰذِهِ الثِّمَارُ الْمَاْخُوْذَةُ مِنْ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ، وَابْعُدْ مِنْهَا وَ مِنْ اَهْلِهَا، وَ اقْرُبْ مِنَ الشَّجَرَةِ، وَ كُنْ سَائِسَهَا وَ خَادِمَهَا اَلْقَائِمَ عِنْدَهَا، وَاعْرِفِ الْغُصْنَيْنِ وَ الثَّمَرَتَيْنِ وَ الْجَانِبَيْنِ فكُنْ اِلٰى جَانِبِ الْغُصْنِ الْمُثْمِرِ حُلْوًا فَحِ يَكُوْنُ غِذَاءُكَ وَ قُوْتُكَ مِنْ ثَمَرَتِهٖ، وَاجْتَنِبْ اَنْ تَقَدَّمَ اِلٰى جَانِبِ الْغُصْنِ الْاٰخَرِ فَتَاْكُلُ مِنْ ثَمَرَتِهٖ فَتُهْلِكُكَ مَرَارَتُهَا.

«قَالَ رَضِيَ الله تَعَالٰى عَنْهُ: اِجْعَلِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ ثَمَرَتَيْنِ مِنْ غُصْنَيْنِ مِنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ» الشجرة الواحدة القدر الَّذِيْ هو منشأُ كل الموجودات من الخير والشر، والغصنان هما قصد الخير والشر، «اَحَدُالْغُصْنَيْنِ» و هو قصد الخير «يَثْمُرُ» ثمرا «حُلْوًا» و هو رضى الله تعالٰى في الدنيا والآخرة «وَ» الغصن «الْآخِرُ» و هو قصد الشر «يَثْمُرُ» ثمرا «مُرًّا» و هو سخط الله تعالٰى «فَكُنْ» أنت أيها السالك ملاحظا «وَاتْرُكِ الْبِلَادَ وَالْاَقَالِيْمَ وَ نَوَاحِيَ الْاَرْضِ الَّتِيْ تَنْشَأُ وَ تُحْمَلُ إِلَيْهَا هٰذِهِ الثِّمَارُ» الحلو و المر «الْمَاْخُوْذَةُ مِنْ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ» التي هو القدر، والمراد بالبلاد والأقاليم خلق الله تعالٰى، فإن قصد الخير والشر المنشأة من قدر الله تعالٰى المثمرة رضى الله تعالٰى و سخطه صادر منهم و تحمل إليهم «وَابْعُدْ» أنت «مِنْهَا وَ مِنْ أَهْلِهَا» المراد من أهلها الطمع والحرص والثناء و غير ذلك من الصفات الذميمة الموجبة لملاحظة الخلق، فإنها عامرة لتلك البلاد، والأهل هو العامر، والمراد من البعد عنها قطع

النظر عنها و عن ملاحظتها بل الواجب رؤ ية فنائها في تقدير الله تعالٰى يقلبها كيف يشاء «وَ اقْرُبْ مِنَ الشَّجَرَةِ» القدر ية «وَ كُنْ» في جميع أوقاتك «سَائِسَهَا» أي حافظها «وَ خَادِمَهَا اَلْقَائِمَ عِنْدَهَا» في كل الأوقات بأن ترى الخلق مضمحلة في سر القدر فلا ترى في أرض الوجود إلا شجرة القدر «وَاعْرِفِ الْغُصْنَيْنِ» اللذين هما عبارتان عن قصد الخير والشر «وَ» اعرف «الثَّمَرَتَيْنِ» اللذين هما عبارتان عن رضى الله تعالٰى وسخطه، «وَ»اعرف «الْجَانِبَيْنِ» لتلك الغصنين اللذين هما عبارتان عن الصفات الحميدة والذميمة،فإذا عرفت الغصنين والثمرتين والجانبين «فكُنْ» أنت ذاهبا «اِلٰى جَانِبِ الْغُصْنِ الْمُثْمِرِ حُلْوًا فَحِيْنَئِذٍ» أي حين كنت إلى تلك الغصن «يَكُوْنُ غِذَاءُكَ وَ قُوْتُكَ» ليلا و نهارا و لحظةً و اٰنًا «مِنْ ثَمَرَتِهٖ» أي ثمرة ذلك الغصن المثمر للحلو الذي هو رضى الله تعالٰى فتكون رضى الله تعالٰى فايضة عليك في كل حين و زمان، و تكون أنت أبدا مرضى الرب الرحمان«وَاجْتَنِبْ» أنت أيها الحاذق «اَنْ تَقَدَّمَ» بتسو يل النفس و وسواس الشيطان «اِلٰى جَانِبِ الْغُصْنِ الْاٰخَرِ» الَّذِيْ هو قصد الشر المثمر للثمرالمرّ الَّذِيْ هو سخط الله تعالٰى فتقرب من تلك الغصن «فَتَاْكُلُ مِنْ ثَمَرَتِهٖ فَتُهْلِكُكَ مَرَارَتُهَا» المخالفة لمزاجك.

فَاِذَا دُمْتَ عَلٰى هٰذَا كُنْتَ فِي دَعَةٍ وَ اَمْنٍ وَ سَلَامَةٍ مِنَ الْاٰفَاتِ؛ اِذِ الْاٰفَاتُ وَ اَنْوَاعُ الْبَلَايَا تَتَوَلَّدُ مِنْ تِلْكَ الثَّمَرَةِ الْمُرَّةِ، فَاِذَا غِبْتَ عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَ هِمْتَ فِي الْاٰفَاقِ وَ قُدِّمَ بَيْنَ يَدَيْكَ مِنْ تِلْكَ الثِّمَارِوَ هي مُخْتَلِطَةٌ غَيْرُ مُتَمَيِّزَةِ الْحُلْوِ مِنَ الْمُرِّ فَتَنَاوَلْتَ مِنْهَا فَرُبَمَا وَقَعَتْ يَدُكَ عَلَى الْمُرِّ فَاَدْنَيْتَهَا مِنْ فِيكَ فَاَكَلْتَ مِنْهَا جُزْءًا وَ مَضَغْتَهٗ سَرَتِ الْمَرَارَةُ اِلٰى اَعْمَاقِ لَهَوَاتِكَ وَ بَاطِنِ حَلْقِكَ وَ دِمَاغِكَ وَ خَيَاشِيْمِكَ فَعَمِلَتْ فِيكَ وَ سَرَتْ فِي عُرُوْقِكَ وَ اَجْزَاءِ جَسَدِكَ فَهَلَكْتَ بِهَا وَ اِنْ لَفَظْتَ الْبَاقِيْ مِنْ فِيكَ وَ غَسَلْتَ اَثَرَهٗ لَا يَدْفَعُ عَنْكَ مَا قَدْ سَرٰى فِي جَسَدِكَ وَ لَا يَنْفَعُ، وَ اِنْ اَكَلْتَ اِبْتِدَاءً مِنَ الثَّمَرَةِ الْحُلْوَةِ

سَرَتْ حَلَاوَتُهَا فِي اَجْزَاءِ جَسَدِكَ وَانْتَفَعْتَ بِهَا وَ سَرَرْتَ فَلَا يَكْفِيكَ ذٰلِكَ، فَلَا بُدَّ اَنْ تَتَنَاوَلَ غَيْرَ مَا اَكَلْتَ ثَانِيًا، فَلَا تَأْمَنْ اَنْ تَكُوْنَ الثَّانِيَةُ مِنَ الْمُرَّةِ فَيحِلُّ بِكَ مَا ذَكَرْتُهُ لَكَ.

«فَاِذَا دُمْتَ عَلٰى هٰذَا» الحال من ملاحظة الغصنين و معرفة الثمرتين والجانبين والقرب من الغصن المثمر للحلو، والبعد من الغصن المثمر للمرّ «كُنْتَ» أبدا «فِي دَعَةٍ» أي سَعَةٍ من الحال و انشراح من البال «وَ اَمْنٍ» من المهلكات «وَ سَلَامَةٍ مِنَ الْآفَاتِ» كلها الدينية والدنياو ية «اِذِ الْآفَاتُ» كلها «وَ أَنْوَاعُ الْبَلَايَا» بأَجْمعها «تَتَوَلَّدُ مِنْ تِلْكَ الثَّمَرَةِ الْمُرَّةِ» التي هي عبارة عن سخط الله تعالٰى «فَاِذَا غِبْتَ عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ» القدرية باتباع هوى النفس و وسوسة الشيطان «وَ هَمَمْتَ فِي الْآفَاقِ» ملاحظا للخلق غافلا عن سر القدر الرباني والعلم بالإرادة الإلهي «وَ قُدِّمَ بَيْنَ يَدَيْكَ مِنْ تِلْكَ الثِّمَارِ» الحلو والمر «وَ هِيَ مُخْتَلِطَةٌ» لا تعرف حلوها من مرها «غَيْرُ مُتَمَيِّزَةِ الْحُلْوِ مِنَ الْمُرِّ فَتَنَاوَلْتَ مِنْهَا» على غرّة و غفلة أيًّا منها «فَرُبَمَا وَقَعَتْ يَدُكَ عَلَى الْمُرِّ» و أنت لا تعرفها لغفلتك عن ملاحظتها و تميزها «فَاَدْنَيْتَهَا مِنْ فِيكَ فَاَكَلْتَ مِنْهَا» رجاءً أن يكون لك غذاء نافعا أكلا «جُزْءًا» أي قطعا بالأسنان «وَ مَضَغْتَهُ» مضغا قليلا فما ابتلعتَ تلك اللقمة حتى «سَرَتِ الْمَرَارَةُ» المخالفة لمزاجك «اِلٰى اَعْمَاقِ لَهَوَاتِكَ» جمع لَهات،و هو ما بين منقطع أصل اللسان إلى منقطع القلب، كذا في القاموس «وَ بَاطِنِ حَلْقِكَ وَ دِمَاغِكَ وَ خَيَاشِيْمِكَ» الخيشوم أقصى الأنف جُمِعَ للمبالغة «فَعَمِلَتْ» تلك المرارة تأثيرَ إفساد المزاج «فِيكَ وَ سَرَتْ فِي عُرُوْقِكَ وَ أَجْزَاءِ جَسَدِكَ فَهَلَكْتَ» أي قربت إلى الهلاك «بِهَا وَ اِنْ لَفَظْتَ» من فيك متصلة أي يوصلك إلى الهلاك وإن رميت «الْبَاقِيْ مِنْ فِيكَ» أي ما بقي في فمك من تلك اللقمة الْمُرَّة «وَ غَسَلْتَ اَثْرَهُ» من فيك بالغَرَفَاتِ المتعددة «لَا يَدْفَعُ عَنْكَ» بإلقاء ما بقي، و غسل الفم «مَا قَدْ سَرٰى فِي جَسَدِكَ» إلا بدواء من طبيب حاذق «وَ لَا يَنْفَعُ» تلك الإلقاء والغسل إلا

بالرياضة في كسب ما يضاده،فهذا تمثيل لارتكاب الحرام، فإنك إذا غفلت عن المحافظة على التميز بين قصد الخير والشر فربما قصدت إلى الشر المثمر لغضب الله تعالىٰ فارتكبته و باشرت به فذهب صفاء وقتك و حلاوة طاعتك، و هو المراد بتأثيرها في الباطن، فسقطت عن رتبتك و منزلتك عند ربك، و هو المراد من القرب إلى الهلاك،و لا يدفع عنك تلك التأثير مجرد الانخلاع عن تلك المعصية حتى تتوب توبة نصوحا فيتوب الله عليك إنه هو التواب الرحيم، و لا كذلك حال آكل الحلو والمباشر بالطاعة، فإن المباشرة به مرة واحدة لا ينفع كما أن مباشرة المرو الخطيئة مَرَّةً يضرك، و لذا قال «وَ اِنْ اَكَلْتَ» فرضا «اِبْتِدَاءً» من غير ارتكاب بالنقيض «مِنَ الثَّمَرَةِ الْحُلُوَّةِ سَرَتْ حَلَاوَتُهَا فِي اَجْزَاءِ جَسَدِكَ وَانْتَفَعْتَ بِهَا» بتلك اللقمة الحلوة المأكولة مرة واحدة «وَ سَرَرْتَ» سرورا ظاهرا «فَلَا يَكْفِيكَ» لإصلاح مزاجك «ذٰلِكَ» الأكل مرة واحدة مالم تتعود بذلك، و صار ذلك الحلو غذاء لك مدة متطاولة حتى يتركب من ذلك مزاج للاعتدال، كذلك الطاعة لا تنفع التلبس بها مرةً واحدة ما لم تَسْتَقِمْ، و حَدّ الاستقامة أن يجمع بين أداء الطاعة و الاجتناب عن المعاصي.

و قال المشائخ: حقيقة الاستقامة لا يطيقها إلا الأنبياء و أكابر الأولياء؛ لأن الاستقامة الخروج عن المعهودات والمألوفات، و مفارقة الرسوم والعادات، والقيام في أمر الله تعالىٰ بالنوافل والمكتوبات و بالجملة هي جامعة للمتابعة النبوية و التوجه إلى الحضرة الإلهية.

و في العوارف: كن طالب الاستقامة لا طالب الكرامة، فإن نفسك في طلب الكرامة و ربك يطلب منك الاستقامة، انتهي.

و قد اشتهر أن الاستقامة فوق الكرامة،فالاستقامة هي المثمرة للقبول؛ و لذا قال «فَلَا بُدَّ» لك بعد ما أكلت من الثمرة الحلوة «اَنْ تَتَنَاوَلَ غَيْرَ مَا اَكَلْتَ» أي غير ما أكلت أول مرة أكلا «ثَانِيًا» أو وقتا ثانيا، والمراد به الاستمرار؛ لأن الغذاء محتاج إليه في كل حين و زمان «فَلَا تَأْمَنْ» من «اَنْ تَكُوْنَ» المأكولة «الثَّانِيَةُ» مرَّةً ثانيةً «مِنَ» الثمرة «الْمُرَّةِ فيحِلُّ بِكَ» بهذا الأكل الثاني «مَا ذَكَرْتُهُ لَكَ» أول

مرة من سريان مرارتها إلى أقصى حلقك و باطن دماغك و عروقك و أجزاء جسدك فيقرّ بك إلى الهلاك فكن ملاحظا من الخلط والاختلاط بين الحلوة والمرة و مميزا بين الطيب والخبيث.

فَلَا خَيْرَ فِي الْبُعْدِ عَنِ الشَّجَرَةِ وَالْجَهْلِ بِثَمَرَتِهَا وَ السَّلَامَةُ فِي قُرْبِهَا وَالْقِيَامِ مَعَهَا، فَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ بِفِعْلِ الله عَزَّ وَ جَلَّ وَالله هُوَ فَاعِلُهُمَا وَ مُجْرِيْهِمَا، قَالَ الله عَزَّ وَ جَلَّ:
وَ الله خَلَقَكُمْ وَ مَا تَعْلَمُوْنَ. [الصافات،رقم السورة::٣٦، رقم الآية:٩٦]
وَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ: "وَاللهُ خَلَقَ الْجَازَرَ وَ جُزُوْرَهُ". فَأَعْمَالُ الْعِبَادِ خَلْقُ الله عَزَّ وَ جَلَّ وَ كَسْبُهُمْ.
قَالَ اللهُ تَعَالَى:
أُدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَ. [النحل،رقم السورة:١٦، رقم الآية:٣٢]

فإذا وجبت الملاحظة «فَلَا خَيْرَ فِي الْبُعْدِ عَنِ الشَّجَرَةِ» القدر ية، والغفلة عنها، واتباع الهوى «وَالْجَهْلِ بِثَمَرَتِهَا» وأخذها مختلطة «وَ» تحقق «السَّلَامَةُ فِي قُرْبِهَا» و ملاحظتها و تمييز خيرها من شرها «وَالْقِيَامِ مَعَهَا» تحرزا عن اختلاط بعضها ببعض «فَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ بِفِعْلِ الله عَزَّ وَ جَلَّ وَالله تعالىٰ هُوَ فَاعِلُهُمَا» بتقديره و علمه و إرادته و مشيئته الأزلية «وَ مُجْرِيْهِمَا» بأيدي عبيده و إمائه بل خلقه كله كما «قَالَ الله عَزَّ وَ جَلَّ» كاشفا عن هذا السر القدري:

﴿وَ الله خَلَقَكُمْ وَ مَا تَعْلَمُوْنَ﴾ [الصافات،الرقم السورة:٣٦، رقم الآية:٩٦]

أي خلقكم و خلق أعمالكم، و به استدل أهل السنة والجماعة على أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالىٰ «وَ» كما «قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ» في بيان تعميم

خلق الله تعالىٰ «وَاللهُ خَلَقَ الْجَازِرَ وَ جُزُوْرَهٗ» أي الذابح و ذبحه من جزر يجزر كضرب إذا نحر، «فَأَعْمَالُ الْعِبَادِ» أي عمل كان قلبية كان أو جارحيّة «خَلْقُ الله عَزَّ وَ جَلَّ وَ كَسْبُهُمْ» فلأعمال العباد جهتان جهة إلى الحق تعالىٰ و هو المسمى بالخلق و هي من هذه الحيثية خير كلها، و جهة إلى العباد و هو المسمى بالكسب، و هي من هذه الحيثية خير شرعا إن وافقه، و شر شرعا إن خالفه و عرفا إن خالفه، وَلنسبة الكسب إلى العباد «قَالَ الله تَعَالىٰ»

﴿اُدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَ﴾[النحل،رقم السورة،١٦، رقم الآية:٣٢]

فَسُبْحَانِ اللهِ مَا اَكْرَمَهٗ وَ اَرْحَمَهٗ اَضَافَ الْعَمَلَ اِلَيْهِمْ وَ اَنَّهُمُ اسْتَحَقُّوا الدُّخُوْلَ إلى الْجَنَّةِ بِعَمَلِهِمْ وَ هُوَ بِتَوْفيقِهٖ وَ رَحْمَتِهٖ لَهُمْ في الدُّنْيَاوَالْآخِرَةِ.

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ: لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ اَحَدٌ بِعَمَلِهٖ. فَقِيْلَ لَهٗ عَلَيْهِ الصَّلٰوةُ وَ السَّلَامُ: وَ لَا أنت يَا رَسُوْلَ الله ؟ فَقَالَ: وَ لَا اَنَا اِلَّا اَنْ يَّتَغَمَّدَنِيَ اللهُ بِرَحْمَتِهٖ،وَ وَضَعَ يَدَهٗ عَلى رَاْسِهٖ.[1] وَ ذٰلِكَ مَرْوِيٌّ في حَدِيْثِ اُمِّ الْمُؤْمِنِيْنَ عَائِشَةَ رَضِىَ الله تَعَالى عَنْهَا فَاِذَا كُنْتَ طَائِعًا لِلهِ تَعَالى مُمْتَثِلًا لِاَمْرِهٖ مُنْتَهيا لِنَهْيِهٖ مُسَلِّمًا لَهٗ في قَدْرِهٖ حَمَاكَ مِنْ شَرِّهٖ وَ تَفَضَّلَ عَلَيْكَ بِخَيْرِهٖ وَ حَمَاكَ عَنِ الْاَسْوَاءِ جَمِيْعِهَا دُنْيَا وَ دِيْنًا.

«فَسُبْحَانِ اللهِ مَا اَكْرَمَهٗ وَ اَرْحَمَهٗ» صيغة تعجب بمعنى ما أكثر كرمُهٗ، و ما أعظم رحمه بعباده حيث «اَضَافَ الْعَمَلَ اِلَيْهِمْ وَ» بيّن «اَنَّهُمُ اسْتَحَقُّوا الدُّخُوْلَ إلى الْجَنَّةِ» أي في الجنة «بِعَمَلِهِمْ» أي بسبب عملهم «وَ هُوَ بِتَوْفيقِهٖ» أي والحال أن عملهم بتوفيق الله تعالىٰ «وَ رَحْمَتِهٖ لَهُمْ في الدُّنْيَاوَالْآخِرَةِ» و لهذه الدقيقة «قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ: لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ اَحَدٌ بِعَمَلِهٖ.فَقِيْلَ لَهٗ عَلَيْهِ الصَّلٰوةُ وَ السَّلَامُ: وَ لَا أَنْتَ يَا رَسُوْلَ الله ؟ فَقَالَ: وَ لَا اَنَا اِلَّا اَنْ يَّتَغَمَّدَنِيَ اللهُ بِرَحْمَتِهٖ،وَ وَضَعَ

(1) رواه الربيع في مسنده (١/ ٢٨٢)، والطبراني في مسند الشاميين (١/ ٤٠٢)، وأوراده الحافظ في الفتح (١١/ ١٣،٢٩٥/ ٦١).

يَدَهُ عَلٰى رَأْسِهٖ»[1] هذا الحديث ورد بروايات متعددة «وَ» إنما «ذٰلِكَ» أي وضع اليد على الرأس «مَرْوِيٌّ فِي حَدِيْثِ أُمِّ الْمُؤْمِنِيْنَ عَائِشَةَ رَضِيَ الله تَعَالٰى عَنْهَا، فَإِذَا كُنْتَ» أيهاالطالب «طَائِعًا لِلّٰهِ تَعَالٰى مُمْتَثِلًا» مطيعا «لِأَمْرِهٖ، مُنْتَهيا لِنَهيِهٖ، مُسَلِّمًا لَهٗ» نفسَك مع جميع أمورك «فِي قَدْرِهٖ» تعالٰى لا تظهر من نفسك شيئا، و لا تشتهي مشتهيا «حَمَاكَ» الله و حفظك «مِنْ شَرِّهٖ» أي شرقدره تعالٰى «وَ تَفَضَّلَ عَلَيْكَ بِخَيْرِهٖ» بل «وَ حَمَاكَ عَنِ الْاَسْوَاءِ» جمع سوء «جَمِيْعِهَا دُنْيَا وَ دِيْنًا» أيّ سوء كان سوءا دنيو يا أو دينيا كما هو شأن الولي المحفوظ.

اَمَّادُنْيَا فَقَوْلُهٗ تَعَالٰى:﴿كَذٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوْٓءَ وَالْفَحْشَآءَ اِنَّهٗ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِيْنَ﴾ [يوسف، رقم السورة:١٢، رقم الآية:٢٤]

وَ اَمَّا دِيْنًا فَقَوْلُهٗ عَزَّ وَ جَلَّ: ﴿مَا يَفْعَلُ اللهُ بِعَذَابِكُمْ اِنْ شَكَرْتُمْ وَ آمَنْتُمْ﴾[النساء، رقم السورة:٤،رقم الآية:١٤] مُؤمِنٌ شَاكِرٌ مَا يَفْعَلُ الْبَلَاءُ عِنْدَهٗ وَ هُوَ إِلَى الْعَافِيَةِ اَقْرَبُ مِنْهُ إِلَى الْبَلَاءِ وَ هُوَ إِلَى الْمَزِيْدِ اٰنِفًا لِاَنَّهٗ شَاكِرٌ. قَالَ اللهُ تَعَالٰى:

﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَاَزِيْدَنَّكُمْ﴾[إبراهيم، رقم السورة:١٤، رقم الآية:٧] فَاِيْمَانُكَ يُطْفِئُ لَهَبَ النَّارِ فِي الْآخِرَةِ الَّتِيْ هِيَ عَقُوْبَةُ كُلِّ عَاصٍ.

«اَمَّا» الحماية «دُنْيَا فَ» كما دل عليه «قَوْلُهٗ تَعَالٰى» في حق يوسف عليه السلام «كَذٰلِكَ» مثل ذلك التثبيت عن الميل إلى امرأة العزيز مع كثرة مراودتها ثبتناه «لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوْٓءَ» مطلقا منها الميل إلى زليخا و خيانة العزيز «وَالْفَحْشَآءَ» مطلقا منها الزنا، وكيف لا نصرف عنه السوء والفحشاء، «اِنَّهٗ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِيْنَ» الذين أخلصناهم لطاعتنا، أو الذين أخلصوا دينهم لنا على قراءتي الفتح والكسر.

«وَ اَمَّا» الحماية «دِيْنًا فَ» كما دل عليه «قَوْلُهٗ عَزَّ وَ جَلَّ»

(1) تقدم تخريجه

﴿مَا يَفْعَلُ اللهُ بِعَذَابِكُمْ﴾ في الدنيا والآخرة «اِنْ شَكَرْتُمْ» على نعمائه. «وَاٰمَنْتُمْ» بما جاء به رسله يعني لا يعذبكم ليدفع به ضررا عن نفسه، أو يستجلب به نفعا تعالَى الله عن ذلك علوا كبيرا فمن أخرج نفسه و طهرها عن خساستها الكفرية الباعثة للمذلة فلا يُهان و لا يُخذل،فالشكر: الاعتراف بالنعمة، والإيمان: معرفة المنعم، والكفر بالمنعم والنعمة عناد فالعبد الَّذِيْ هو «مُؤمِنٌ شَاكِرٌ مَا يَفْعَلُ الْبَلَاءُ عِنْدَهٗ» فإن الشكر على النعمة يدفع البلاء عن الشاكر «وَ هُوَ» أي العبد المؤمن الشاكر «إلى الْعَافيةِ اَقْرَبُ مِنْهُ إلى الْبَلَاءِ» يعني العافية أقرب إليه من البلاء بل «وَ هُوَ إلى الْمَزِيْدِ» أي مزيد النعماء «اٰنِفًا» حين شكره على نعمائه المعطَى له «لِاَنَّهٗ شَاكِرٌ» والشكر يطلب المزيد كما «قَالَ الله تَعَالٰى:»

﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَاَزِيْدَنَّكُمْ﴾[ابراهيم، رقم السورة: ١٤ ،رقم الآية:٧]

«فَاِيْمَانُكَ» يَا مَؤْمِنُ «يُطْفِيءُ لَهَبَ النَّارِ فِي الْاٰخِرَةِ الَّتِيْ هِيَ عَقُوْبَةُ كُلِّ عَاصٍ»

قال النبي صلى الله عليه و على أله و سلم:

"إن نار جهنم تقول للمؤمن جُزْ يا مؤمن فقد اَطْفَاَ نورُك لَهَبِي"(١)

فَكَيْفَ لَا يُطْفِئُ نَارَ الْبَلَايَا فِي الدُّنْيَا؟ اَللّٰهُمَّ اِلَّا اَنْ يَّكُوْنَ الْعَبْدُ مِنَ الْمَجْذُوْبِيْنَ الْمُخْتَارِيْنَ لِلْوِلَايَةِ وَالْاِصْطِفَاءِ وَالْاِجْتِبَاءِ فَلَا بُدَّ مِنْ بَلَاءٍ لِيُصَفّٰى بِهٖ خُبْثُ الْاَهْوَاءِ، وَ الْمَيْلِ اِلَى الطِّبَاعِ، وَالرُّكُوْنِ اِلٰى شَهَوَاتِ النَّفْسِ وَ لَذَّاتِهَا وَالطَّمَاْنِيْنَةِ اِلَى الْخَلْقِ وَالرِّضَا بِقُرْبِهِمْ، وَالسُّكُوْنِ اِلَيْهِمْ، وَالثُّبُوْتِ مَعَهُمْ، وَالْفَرْحِ بِهِمْ فَيُبْتَلٰى حَتّٰى يَذُوْبَ جَمِيْعُ ذٰلِكَ فَيَنَظَّفُ الْقَلْبُ بِخُرُوْجِ الْكُلِّ، وَ يَبْقٰى تَوْحِيْدُ الرَّبِّ وَ مَعْرِفَةُ الْحَقِّ وَ مَوَارِدُ الْغَيْبِ مِنْ اَنْوَاعِ الْاَسْرَارِ وَالْعُلُوْمِ وَ اَنْوَارِ الْقُرْبِ؛ لِاَنَّهٗ بَيْتٌ لَا يَسَعُ اثْنَيْنِ، قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهٖ﴾ [الأحزاب،رقم السورة:٣٣، رقم الآية:٤] وَ قَالَ:اِنَّ الْمُلُوْكَ اِذَا دَخَلُوْا قَرْيَةً اَفْسَدُوْهَا وَ جَعَلُوْٓا اَعِزَّةَ

(1) انظر حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني،٩/ ٣٢٩

اَهْلِهَا اَذِلَّةً [النمل، رقم السورة:٢٧، رقم الآية:٣٤]

اَخْرَجُوا الْاَعِزَّةَ مِنْ طِيْبِ الْمَنَازِلِ وَ نَعِيْمِ الْعَيْشِ اِذْ كَانت الْوِلَايَةُ عَلَى الْقَلْبِ لِلشَّيْطَانِ وَالْهَوٰى وَالنَّفْسِ وَ الْجَوَارِحُ مُتَحَرِّكَةٌ بِاَمْرِهِمْ مِنْ اَنْوَاعِ الْمَعَاصِيْ وَ الْاَبَاطِيْل وَالتُّرَّهَاتِ فَزَالَتْ تِلْكَ الْوِلَايَةُ فَسَكَنَتِ الْجَوَارِحُ وَ فَرَغَتْ دَارُ الْمُلْكِ الَّتِيْ هِيَ الْقَلْبُ وَ تَنَظَّفَتِ السَّاحَةُ الَّتِيْ فِي الصَّدْرِ فَاَمَّا الْقَلْبُ فَصَارَ مَسْكَنًا لِلتَّوْحِيْد وَالْمَعْرِفَةِ وَالْعِلْمِ، وَ اَمَّا السَّاحَةُ فَمَحَطُّ الْمَوَارِدِ وَالْعَجَائِبِ مِنَ الْغَيْبِ كُلُّ ذٰلِكَ نَتِيْجَةُ الْبَلَايَا وَ ثَمَرَاتُهَا.

قَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ:

"اِنَّا مَعَاشِرُ الْاَنْبِيَاءِ اَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً ثُمَّ الْاَمْثَلُ فَالْاَمْثَلُ".

وَ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ عَلٰى اٰلِهٖ وَ سَلَّمَ: "اَنَا اَعْرَفُكُمْ بِاللهِ وَ اَشَدُّكُمْ مِنْهُ خَوْفًا".

فَكُلُّ مَنْ قَرُبَ مِنَ الْمَلِكِ اشْتَدَّ خَطْرُهٗ وَ حَذْرُهٗ لِاَنَّهٗ فِي مَرْاٰى مِنَ الْمَلِكِ لَا يَخْفٰى عَلَيْهِ تَصَارِيْفُهٗ وَ حَرَكَاتُهٗ وَ لَحَظَاتُهٗ.

فإذا أطفأ إيمانك نارجهنم «فَكَيْفَ لَا يُطْفِئُ نَارَ الْبَلَايَا فِي الدُّنْيَا» التي هي أدون منها.وهذا الحكم عام لجميع المؤمنين. «اَللّٰهُمَّ اِلَّا اَنْ يَّكُوْنَ الْعَبْدُ» المبتلى «مِنَ الْمَجْذُوْبِيْنَ» الذين جذبهم الله تعالٰى إليه «الْمُخْتَارِيْنَ» أي الذين اختارهم الله تعالٰى «لِلْوِلَايَةِ وَالْاِصْطِفَاءِ وَالْاِجْتِبَاءِ فَلَا بُدَّ» له «مِنْ بَلَاءٍ لِيُصَفّٰى بِهٖ خُبْثُ الْاَهْوَاءِ» النفسية «وَ الْمَيْلِ إلى الطِّبَاعِ» البشرية «وَالرُّكُوْنِ» أي الميل «اِلٰى شَهَوَاتِ النَّفْسِ وَ لَذَّاتِهَا وَالطَّمَانِيْنَةِ» والقرار «إلى الْخَلْقِ وَالرِّضٰى بِقُرْبِهِمْ وَالسُّكُوْنِ اِلَيْهِمْ وَالثُّبُوْتِ مَعَهُمْ وَالْفَرْحِ بِهِمْ» كما هو عادة أبناء الدنيا فيبْتَلٰى ببلاء في جسده أو ولده أو زوجته و من كان متعلّقا به «حَتّٰى يَذُوْبَ» بتلك البلاء «جَمِيْعُ ذٰلِكَ» المذكور من خبث الأهواء إلى اٰخِر ما ذكر «فينَظَّفُ» و يتطهر «الْقَلْبُ بِخُرُوْجِ الْكُلِّ وَ يَبْقٰى» في قلبه «تَوْحِيْدُ الرَّبِّ وَ مَعْرِفَةُ الْحَقِّ» تعالٰى «وَ مَوَارِدُ الْغَيْبِ مِنْ اَنْوَاعِ الْأَسْرَارِ وَالْعُلُوْمِ وَ اَنْوَارِ الْقُرْبِ، لِاَنَّهٗ» أي قلب ذلك العبد

«بَيْتٌ» من بيوت الرب والبيت الواحد «لَا يَسَعُ اثْنَيْنِ» كما «قَالَ اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ»

﴿مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾[الأحزاب،رقم السورة:٣٣،رقم الآية:٤]

«وَ» كما «قَالَ» في قصة سليمان حكاية عن بلقيس:

﴿اِنَّ الْمُلُوْكَ اِذَا دَخَلُوْا قَرْيَةً اَفْسَدُوْهَا وَ جَعَلُوْٓا اَعِزَّةَ اَهْلِهَآ اَذِلَّةً﴾ (النمل،رقم السورة:٢٧، رقم الآية:٣٤]

و صدق الله تعالى تلك المقولة بقوله: ﴿وَكَذٰلِكَ يَفْعَلُوْنَ﴾[النمل:٢٧/ ٣٤]

فإذا دخل التوحيد والمعرفة و موارد الغيب من أنواع الأسرار والعلوم و أنوار القرب الذين هم ملوك الدين «اَخْرَجُواالْاَعِزَّةَ» الهوائية والنفسانية والشيطانية «مِنْ طِيْبِ الْمَنَازِلِ» القلبي والروحي والسرّي «وَ نَعِيْمِ الْعَيْشِ» الشهوي والبهيمي والحيواني «اِذْ كَانت الْوِلَايَةُ» والسلطنة أوّلا في المملكة البدنية «عَلَى الْقَلْبِ» والروح «لِلشَّيْطَانِ وَالْهَوٰى وَالنَّفْسِ وَ» كانت «الْجَوَارِحُ مُتَحَرِّكَةٌ بِاَمْرِهِمْ» أي الشيطان والهوى والنفس بالرذائل «مِنْ اَنْوَاعِ الْمَعَاصِيْ» النفسانية «وَ الْاَبَاطِيْل» الشيطانية «وَالتُّرَّهَّاتِ» جمع ترهة، قال في الصحاح فارسى معرب استعير في الباطل فقيل: الترهات البسابس، و الترهات الصحصحاح، و هي من أسماء الباطل «فَزَالَتْ تِلْكَ الْوِلَايَةُ» والسلطنة من هٰؤلاء الجهلة الحمقى فتعطل أمرهم عن النفوذ على القلب «فَسَكَنَتِ الْجَوَارِحُ» عن إطاعة أمرهم؛ فإن الحاكم المعزول لا يطاع سيما إذا كان ظالما، و سيما عند حضور العازل «وَ فَرَغَتْ دَارُ الْمُلْكِ الَّتِيْ هِيَ الْقَلْبُ» والقالب والروح والسر «وَ تَنَظَّفَتِ السَّاحَةُ الَّتِيْ فِي الصَّدْرِ» عن تصرف الحكام الظلمة الجائرة السوء «فَاَمَّا الْقَلْبُ فَصَارَ مَسْكَنًا لِلتَّوْحِيْد» الحقيقي «وَالْمَعْرِفَةِ» التحقيقي «وَالْعِلْمِ» اليقيني الرباني «وَ اَمَّا السَّاحَةُ» الصدري «فَمَحَطُّ الْمَوَارِدِ» أي محل نزول الواردات« وَالْعَجَائِبِ مِنَ الْغَيْبِ، كُلُّ ذٰلِكَ» المذكور من زوال ولاية الحكام السوء، وصيرورتها إلى الحكام الحقاني والأمراء الرباني «نَتِيْجَةُ الْبَلَايَا وَ ثَمَرَاتُهَا» حين صبر عليها، و إنما يكون ذلك لمن أراد الله تعالى القربة والمرتبة عنده، و لذا «قَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ:»

«اِنَّا مَعَاشِرُ الْاَنْبِيَاءِ اَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً ثُمَّ الْاَمْثَلُ فَالْاَمْثَلُ». [(١)]

«وَ قَالَ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ عَلٰى اٰلِهٖ وَ سَلَّمَ: اَنَا اَعْرَفُكُمْ بِالله وَ اَشَدُّكُمْ خَوْفًا. [(٢)]

«فَكُلُّ مَنْ قَرُبَ مِنَ الْمَلِكِ اشْتَدَّ خَطْرُهٗ وَ حَذْرُهٗ» في جميع أُموره «لِاَنَّهٗ» في كل لحظة و لمحة «في مَرْاٰى» أي محل رؤ ية «مِنَ الْمَلِكَ لَا يَخْفٰى عَلَيْهِ تَصَارِ يْفُهٗ وَ حَرَكَاتُهٗ وَ لَحَظَاتُهٗ»

فَاِنْ قُلْتَ: فَالْخَلِيْقَةُ عِنْدَ اللهِ تَعَالٰى بِاَجْمَعِهِمْ كَشَخْصٍ وَاحِدٍ لَا يَخْفٰى عَلَيْهِ تَعَالٰى مِنْهُمْ شيء فَاَيُّ فَائِدَةٍ لِهٰذَا الْكَلَامِ؟

قِيْلَ لَكَ: لَمَّا عَلَتْ مَنْزِلَتُهٗ وَ اَشْرَفَتْ رُتْبَتُهٗ عَظُمَ خَطْرُهٗ، لِاَنَّهٗ وَجَبَ عَلَيْهِ شُكْرُ مَا اَوْلَاهُ مِنْ جَسِيْمِ نِعَمِهٖ وَ عَظِيْمِ فَضْلِهٖ فَاَدْنَى الْاِلْتِفَاتِ عَنْ خَدْمَتِهٖ تَقْصِيْرُهٗ فِي شُكْرِهٖ وَ ذٰلِكَ نُقْصَانٌ فِي طَاعَتِهٖ، قَالَ اللهُ تَعَالٰى: ﴿يٰنِسَآءَ النَّبِيِّ مَنْ يَّاْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُّضٰعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾[الأحزاب،رقم السورة:٣٣،رقم الآية:٣٠]

وَ قَالَ ذٰلِكَ لَهُنَّ لِتَمَامِ نِعْمَتِهٖ عَزَّ وَ جَلَّ عَلَيْهِنَّ بِاتِّصَالِهِنَّ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ فَكَيْفَ مَنْ كَانَ مُوَاصِلًا بِاللهِ عَزَّوَجَلَّ وَ قُرْبِهٖ تَعَالَى الله عُلُوًّا كَبِيْرًا عَنِ التَّشْبِيْهِ بِخَلْقِهٖ. ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهٖ شَيْءٌ وَّ هُوَ السَّمِيْعُ الْبَصِيْرُ﴾

«فَاِنْ قُلْتَ» إن صفات الله تعالىٰ لا يجوز عليها التعطيل، و إنها لا يختلف أثرها بنسبة شخص، دون شخص. فإذا لم تختلف «فَالْخَلِيْقَةُ» أي الخلق «عِنْدَ اللهِ

---

(1) تقدم تخريجه.

(2) انظر المقاصد الحسنة فيما اشتهر على الألسنة، رقم الحديث: ١٨٤، وفيه: "وَأَخْوَفُكُمْ مِنْهُ" بدل "وَأَشُدُّكُمْ مِنْهُ خَوْفًا"، وفيه: قال شيخنا: صحيح، يعني فقد ترجم البخاري في صحيحه قول النبي صلى الله عليه وسلم أنا أعلمكم بالله... ولفظ الترجمة لأبي ذر:"أناأعرفكم" بدل "أعلمكم"، وكانه مذكور بالمعنى حملاعلى ترادفهماهنا.

تَعَالٰى بِاَجْمَعِهِمْ كَشَخْصٍ وَاحِدٍ لَا يَخْفٰى عَلَيْهِ تَعَالٰى مِنْهُمْ شيءٌ» كما قال: مَا خَلَقَكُمْ وَ لَا بَعَثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَّاحِدَةٍ[لقمن، رقم السورة: ٣١، رقم الآية: ٢٨] «فَاَيُّ فَائِدَةٍ لِهٰذَا الْكَلَامِ؟» و هو أن من كان قريبا من الملك كان بمرأى من الملك لا يخفي عليه تصاريفه و حركاته، فإن عدم خفاء تصاريف جميع الأشخاص و حركات جميع الأشخاص بالنسبة إليه تعالٰى سواء لا يختص بالمقرب دون غيره.

«قِيْلَ لَكَ» في الجواب: «لَمَّا عَلَتْ مَنْزِلَتُهٗ» أي منزلة من جذبه الله تعالٰى بكمال لطفه إليه «وَ اَشْرَفَتْ رُتْبَتُهٗ عَظُمَ خَطْرُهٗ؛ لِاَنَّهٗ وَجَبَ عَلَيْهِ شُكْرُ مَا اَوْلَاهُ» الله تعالٰى «مِنْ جَسِيْمِ نِعَمِهٖ وَ عَظِيْمِ فَضْلِهٖ فَاَدْنَى الْاِلْتِفَاتِ» إلى المشتهيات و أقل الإعراض بل الغفلة «عَنْ خَدْمَتِهٖ تَقْصِيْرُهٗ فِي شُكْرِهٖ وَ ذٰلِكَ» التقصير القليل من ذلك المقرب «نُقْصَانٌ» منه «فِي طَاعَتِهٖ» والنقصان في الطاعة من المقرب يؤخذ البتة و لا يؤخذ مثله من البعيد، فإن القرب يقتضي التيقظ و من هٰهُنا تسمع المشايخ يقولون: حسنات الأبرار سيئات المقربين؛ و لذا «قَالَ الله تَعَالٰى» لأمهات المؤمنين رضى الله تعالٰى عنهن:

«يٰنِسَآءَ النَّبِيِّ مَنْ يَّأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ» كبيرة «مُبَيِّنَةٍ» ظاهر قبحها، فسرها ابن عباس رضي الله عنه بالنشوز والمخالفة و سوء الخلق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم «يُّضٰعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَينِ» عذاب غيرهن في نشوزهن مع أزواجهن، فإن الذنب من الكامل أقبح كما قيل كبائر الصغير صغائر، و صغائر الكبير كبائر «وَ» إنما «قَالَ» الله تعالٰى «ذٰلِكَ لَهُنَّ لِتَمَامِ نِعْمَتِهٖ عَزَّ وَ جَلَّ عَلَيْهِنَّ بِاتِّصَالِهِنَّ بِالنَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ» الَّذِيْ هو أكمل المخلوقات. فإذا كان هذا حال المواصل بالنبي صلى الله عليه و على آله وسلم «فَكَيْفَ مَنْ كَانَ مُوَاصِلًا بِالله عَزَّ وَ جَلَّ وَ قُرْبِهٖ تَعَالَى الله عُلُوًّا كَبِيْرًا عَنِ التَّشْبِيْهِ بِخَلْقِهٖ» إذ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهٖ شَيْءٌ وَّ هُوَالسَّمِيْعُ الْبَصِيْرُ﴾[الشورى، رقم السورة: ٤٢، رقم الآية: ١١] و لا كذٰلك شيء من المخلوقات فأين التشبيه.

اَلْمَقَالَةُ الثَّامِنَةُ وَالْعِشْرُوْنَ

فِي بَيَانِ الْمُجَاهَدَةِ وَالرِّيَاضَةِ

قَالَ رَضِيَ الله عَنْهُ وَ اَرْضَاهُ: اَ تُرِيْدُ الرَّاحَةَ وَالسُّرُوْرَ وَالدَّعَةَ وَالْحُبُوْرَ وَالْاَمْنَ وَالسُّكُوْنَ وَالنَّعِيْمَ وَالدَّلَالَ وَ أنت بَعْدُ فِي كِيْرِالسَّبْكِ وَالتَّذْوِيْبِ وَ تَمْوِيْتِ النَّفْسِ وَ مُجَاهَدَةِ الْهَوٰى وَ اِزَالَةِ الْمُرَادَاتِ وَالْاَغْرَاضِ دُنْيَا وَ اُخْرٰى وَ قَدْ بَقِيَ فيكَ بَقِيَّةٌ مِّنْ ذٰلِكَ ظَاهِرَةٌ لَائِحَةٌ عَلٰى رِسْلِكَ يَا مُسْتَعْجِلًا مَهْلًا مَهْلًا يَا مُتَرَقِّبًاوَ مُنْتَظِرًا بَابٌ مَسْدُوْدٌ اَنّٰى ذٰلِكَ وَ قَدْ بَقِيَتْ عَلَيْكَ مِنْهُ بَقِيَّةٌ وَ فيهِ ذَرَّة مِّنْهُ اَلْمُكَاتَبُ عَبْدٌ مَا بَقِيَ عَلَيْهِ دِرْهَمٌ.أنت مَسْدُوْدٌ عَنْ ذٰلِكَ مَا بَقِيَ عَلَيْكَ مِنَ الدُّنْيَا مِقْدَارُ مَصِّ نَوَاةٍ، وَ اَلدُّنْيَا هَوَاكَ وَ مُرَادُكَ وَ مُنَاكَ وَ رُؤْيَتُكَ لِشيءٍ مِّنَ الْاَشْيَاءِ وَ تَشَوُّقُ نَفْسِكَ اِلٰى شيء مِّنَ الأَغْرَاضِ دُنْيَا وَ أُخْرٰى.

«قَالَ رَضِيَ الله عَنْهُ وَ اَرْضَاهُ:» يا طالب الحق «اَ تُرِيْدُ الرَّاحَةَ وَالسُّرُوْرَ وَالدَّعَةَ» أي السعة «وَالْحُبُوْرَ» هو كثرة السرور «وَالْاَمْنَ وَالسُّكُوْنَ» الأخروي «وَالنَّعِيْمَ» المقيم «وَالدَّلَالَ» و هو كثرة الراحة «وَ أنت بَعْدُ فِي كِيْرِالسَّبْكِ» كير الحداد هو زق[1] أو جلد غليظ ذو حافات كذا في الصحاح، و يقال لما يذاب فيه الذهب والفضة والنحاس، والسَّبك الإذابة، تقول: سبكت الفضة وغيرها اَسْبُكُها سَبْكا إذا أذبتها كذا في الصحاح، والمعنى أتريد الراحة والأمن الأخروي والحال أنك بعد في إذابة النفس عن الأخلاق الردية والتوجه إلى المخلوقات «وَالتَّذْوِيْبِ» هو بمعنى الإذابة قال في الصحاح: ذَاب الشيء ذَوبا وَ ذَوبانا نقيض

(1) في المخطوطة: "زق" والصواب ما أثبتنا. المشاهدي

جَمَدَ و اَذَابَه غيرُه و ذَوَّبه بمعنًى «وَ تَمْوِيْتِ النَّفْسِ» و إماتتها عن مشتهياتها «وَ مُجَاهَدَةِ الْهَوٰى» و منعها عن مقتضياتها «وَ اِزَالَةِ الْمُرَادَاتِ» النفسانية «وَالْاَغْرَاضِ دُنْيًا وَ اُخْرٰى» أي دنياو يا كانت الأغراض أو أُخرو يا و لم يحصل ذلك على وجه الكمال بل «وَ قَدْ بَقِيَ فيكَ بَقِيَّةٌ مِّنْ ذٰلِكَ» المذكور من المرادات والأغراض «ظَاهِرَةٌ لَائِحَةٌ» فكيف تطلب الراحة والأمن بل تَأنّ واسلك «عَلٰى رِسْلِكَ يَا مُسْتَعْجِلًا مَهْلًا مَهْلًا» أي امهل امهل و تأخّر تأخّر في طلبك الراحةَ، قال في الصحاح: قولهم مهلا يا رجل بمعنى امهل «يَا مُتَرَقِّبًاوَ مُنْتَظِرًا» لفتح «بَابٌ مَسْدُوْدٌ» من مشاهدة مولاك «اَنّٰى» لك «ذٰلِكَ» الفتح بدون حصول الغناء عنك و عن جميع مراداتك «وَ» الحال أنه «قَدْ بَقِيَتْ عَلَيْكَ مِنْهُ» أي من الغرض والمراد «بَقِيَّةٌ وَ فيهِ ذَرَّة مِّنْهُ» أما سمعت مسئلةً فقهيةً «اَلْمُكَاتَبُ عَبْدٌ مَا بَقِيَ عَلَيْهِ دِرْهَمٌ» المكاتب العبد الَّذِيْ يخلّص نفسه من الرِّقِّيَّة بأداء قيمته و هو ما لم يؤد تمام القيمة لم يخلص عن قيد الرِّقِّيَّة فكما أن المكاتب لا يخلص عن الرِّقِّيَّة ما دام بقي عليه درهم كذلك لا تدخل أنت في المشاهدة والراحة والأمن ما لم تَخْلُص عن قيد البشرية. «أنت مَسْدُوْدٌ عَنْ ذٰلِكَ» محمول على القلب يعني أن في العبارة قلبا و عكسا أي مسدود ذلك الباب عنك، أو يجعل "مسدود" بمعنى ممنوع أي أنت ممنوع عن ذلك الباب «مَا بَقِيَ عَلَيْكَ مِنَ الدُّنْيَا مِقْدَارُ مَصِّ نَوَاةٍ وَاَلدُّنْيَا هَوَاكَ» بأيّ شيء كان «وَ مُرَادُكَ» لأىّ شيء كان «وَ مُنَاكَ» و مطلوبك لأي شيء كان «وَ رُؤيَتُكَ لِشيء مِّنَ الْاَشْيَاءِ وَ تَشَوُّقُ نَفْسِكَ اِلٰى شيء مِّنَ الْاَغْرَاضِ دُنْيًا وَ اُخْرٰى» فإن الدنيا عبارة عما سوى الله تعالٰى، و هذه المذكورات كلها مما وُسِمَ بالسوٰى فهي داخلة في الدنيا.

فَمَا دَامَ فيكَ شَيْءٌ مِنْ ذٰلِكَ فَأَنْتَ فِي بَابِ الْفَنَاءِ فَاسْكُنْ حَتّٰى يَحْصُلَ الْفَنَاءُ عَلَى التَّمَامِ وَالْكَمَالِ فَتُخْرَجَ مِنَ الْكِيْرِ وَ تَكْمُلَ صِيَاغَتُكَ وَ تُحَلّٰى وَ تُكْسٰى وَ تُطَيَّبَ وَ تُبَخَّرَ، ثُمَّ تُرْفَعُ إِلَى الْمَلِكِ الْاَكْبَرِ فَتُخَاطَبُ:

﴿اِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِيْنٌ اَمِيْنٌ﴾[يوسف، رقم السورة:١٢، رقم الآية:٥٤]

فَتُؤْنَسُ وَ تُلْطَفُ وَ تُطْعَمُ مِنَ الْفَضْلِ وَ مِنْهُ تُسْقٰى وَ تُقَرَّبُ وَ تُدْنٰى وَ تُطْلَعُ عَلَى الْاَسْرَارِ وَ هي عَنْكَ لَا تُخْفٰى فَتَغْنٰى بِمَا تُعْطٰى مِنْ ذٰلِكَ عَنْ جَمِيْعِ الْاَشْيَاءِ اَلَا تَرٰى اِلٰى قُرَاضَةِ الذَّهَبِ مُتَفَرِّقَةً وَ مُتَبَذِّلَةً غَادِيَةً وَ رَائِحَةً في اَيْدِى الْعَطَّارِ يْنَ وَالْبَقَّالِيْنَ وَالْقَصَّابِيْنَ وَالدَّبَّاغِيْنَ وَالنَّفَّاطِيْنَ وَالْكَنَّافِينَ اَصْحاب الصَّنَائِعِ النَّفيسَةِ وَالرَّذِيْلَةِ الدَّنِيَّةِ الْخَسِيْسَةِ ثُمَّ تُجْمَعُ فَتجْعَلُ في كِيْرِ الصَّائِغِ فَتَذُوْبُ هُنَاكَ بِاشْتِعَالِ النَّارِ عَلَيْهَا ثُمَّ تُخْرَجُ مِنْهُ فَتُطْرَقُ وَ تُرَقَّقُ وَ تُطْبَعُ فَتُصَاغُ فَتُجْعَلُ مِنْهُ حُلِيًّا ثُمَّ تُحَلّٰى وَ تُطَيَّبُ فَاِمَّا تُتْرَكُ في خَيْرِالْمَوَاضِعِ وَالْاَمْكِنَةِ مِنْ وَرَاءِ الْاَغْلَاقِ في الْخَزَائِنِ وَالصَّنَادِيْقِ وَالْاَحْقَاقِ اَوْ تُحَلّٰى بِهَا الْعُرُوْسُ وَ تُزَيَّنُ وَ تُكَرَّمُ وَ قَدْ تَكُوْنُ الْعُرُوْسُ لِلْمَلِكِ الْاَعْظَمِ فَتُنْقَلُ الْقُرَاضَةُ مِنْ اَيْدِى الدَّبَّاغِيْنَ اِلٰى قُرْبِ الْمَلِكِ وَ مَجْلِسِهٖ بَعْدَ السَّبْكِ وَالدَّقِّ فَهٰكَذَا أنت يَا مُؤمِنُ اِذَا صَبَرْتَ عَلٰى مَجَارِى الْاَقْدَارِ وَ رَضِيْتَ بِالْقَضَاءِ في جَمِيْعِ الْاَحْوَالِ قُرِ بْتَ اِلٰى مَوْلَاكَ في الدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةِ.

فَتُنْعَمُ بِالْمَعْرِفَةِ وَالْعُلُوْمِ وَالْاَسْرَارِ فَتُسْكَنُ في الْاٰخِرَةِ كَرَامَةً دَارَالسَّلَامِ مَعَ الْاَنْبِيَاءِ وَالصِّدِّيْقِيْنَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِيْنَ في جَوَارِ اللهِ وَ دَارِهٖ وَ قُرْبِهٖ وَالْاُنْسِ بِهٖ عَزَّ وَ جَلَّ فَاصْبِرْ وَ لَا تَسْتَجْعِلْ وَ ارْضَ بِالْقَضَاءِ وَ لَا تَتَهِّمْ فينَالُكَ بَرْدُ عَفْوِهٖ وَ حَلَاوَةُ مَعْرِفَتِهٖ وَ لُطْفِهٖ وَ كَرَمِهٖ وَ مَنِّهٖ.

«فَمَا دَامَ فيكَ شيءٌ مِنْ ذٰلِكَ» المذكور أنفا من الأمور الدنيوية «فَأَنْتَ» لست بفانٍ بل أنت أدخلتَ قدمك «في بَابِ الْفَنَاءِ» لنفسك و هواك و مرادك بل الخلق كله من دائرة الوجود على التمام والكمال «فَاسْكُنْ» في الإفناء برهة من

الزمان، و لا تستعجل في طلب القرار والراحة «حَتّٰى يَحْصُلَ» لك «الْفَنَاءُ عَلَى التَّمَامِ وَالْكَمَالِ فَتُخْرَجَ» بعد حصوله «مِنَ الْكِيْرِ» التي تذاب فيه بالمجاهدة لتصفو فضة وجودك «وَ تَكْمُلَ صِيَاغَتُكَ» فإن الصياغة المستحسنة إنما يصاغ من الذهب والفضة الخاصة «وَ تُحَلّٰى» بالحلى اللائقة للعروس «وَ تُكْسٰى» بكسوة أهل الحسن «وَ تُطَيَّبَ» بطيب العروسية «وَ تُبَخَّرَ» بالبخور الأنسية «ثُمَّ تُرْفَعُ» بكمال الزينة «إلى الْمَلِكَ الْأَكْبَرِ فَتُخَاطَبُ» من عند مليك مقتدر بخطاب:

﴿اِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِيْنٌ اَمِيْنٌ﴾[يوسف،رقم السورة:١٢،رقم الآية:٥٤]

«فَتُؤنَسُ» بأنسة ربانية «وَ تُلْطَفُ» بألطاف رحمانية «وَ تُطْعَمُ مِنَ الْفَضْلِ» ما لا يُحْوِجُك إلى الخلق بعد الفناء عنه والخلاص منه «وَ مِنْهُ» أي من الفضل «تُسْقٰى» سقاء تكون به ريّانا «وَ تُقَرَّبُ» قربا كاملا «وَ تُدْنٰى» أي زيد في القرب «وَ تُطْلَعُ عَلَى الْاَسْرَارِ» الإلٰهي «وَهِيَ» أي الأسرار« عَنْكَ لَا تُخْفٰى فَتُغْنٰى» غناء مطلقا «بِمَا تُعْطٰى مِنْ ذٰلِكَ» الفضل «عَنْ جَمِيْعِ الْاَشْيَاءِ» المسمى بالغير و وُسِم بالسوٰى «اَلَا تَرٰى اِلٰى قُرَاضَةِ الذَّهَبِ» أي قِطَعِها ففي الصحاح: القراضة ماسقط بالقرض أي القطع و منه قرضة الذهب «مُتَفَرِّقَةً و مُتَبَدِّلَةً غَادِيَةً وَ رَائِحَةً» أي أول النهار والآخرة كالفلوس «فِي اَيْدِى الْعَطَّارِيْنَ وَالْبَقَّالِيْنَ وَالْقَصَّابِيْنَ وَالدَّبَّاغِيْنَ وَالنَّفَّاطِيْنَ» أي صانع النفط و هو بكسرالنون و فتحهاو سكون الفاء دهن معروف «وَالْكَنَّافينَ» أي المذَهِّبِين يقال للمذهب[1] كنيف وكناف و مادة ك ن ف للإحاطة والصيانة والستر.«اَصْحَابَ الصَّنَائِعِ النَّفيسَةِ» كالعطار والكناف «وَالرَّذِيْلَةِ الدَّنِيَّةِ الْخَسِيْسَةِ» كالقصاب والدباغ و بين بين كالبقّال والنفاط «ثُمَّ تُجْمَعُ» تلك القراضة الذهبية «فَتُجْعَلُ فِي كِيْرِ الصَّائِغِ فَتَذُوْبُ» تلك القراضة «هُنَاكَ» أي في كير الحداد «بِاشْتِعَالِ النَّارِ عَلَيْهَا» ذوبانا كاملا «ثُمَّ تُخْرَجُ مِنْهُ» أي من الكير «فَتُطْرَقُ» أي تضرب بالمطرقة «وَ تُرَقَّقُ» أي تجعل رقيقا «وَ تُطْبَعُ» أي تعمل من طبعت السيف و الدرهم أي عمِلتُه، كذا في

(١) المذهب: كار ذهب كننده. من الشارح.

الصحاح، «فَتُصَاغُ» أي تعمل الصياغة «فَتُجْعَلُ مِنْهُ حُلِيًّا» بأنواعها «ثُمَّ تُحَلّٰى» أي تزين تلك الحلي المستحسن للناظرين «وَ تُطَيَّبُ فَإِمَّا تُتْرَكُ فِي خَيْرِالْمَوَاضِعِ وَالْاَمْكِنَةِ مِنْ وَرَاءِ الْاَغْلَاقِ» و تحت الستار «فِي الْخَزَائِنِ» هي جمع خِزانة و هي تكسر و لا تفتح «وَالصَّنَادِيْقِ» جمع صندوق «وَالْاَحْقَاقِ» جمع حقّة «اَوْ تُحَلّٰى بِهَا» أي بتلك الحلى المتزين «الْعُرُوْسُ وَ تُزَيَّنُ» بها «وَ تُكَرَّمُ» بها العروس «وَ قَدْ تَكُوْنُ» تلك «الْعُرُوْسُ» المتزين بتلك الحلى عروسا «لِلْمَلِكِ الْاَعْظَمِ فَتُنْقَلُ» تلك «الْقُرَاضَةُ» الذهبية «مِنْ اَيْدِي الدَّبَّاغِيْنَ اِلٰى قُرْبِ الْمَلِكِ» الأعظم الَّذِيْ يطلب أهل الفضل قربه «وَ مَجْلِسِهٖ» الَّذِيْ يرجو أهل الكمال حضوره «بَعْدَ السَّبْكِ» في الكير «وَالدَّقِّ» بالمطرقة و صوغه حلية «فَهٰكَذَا» أي مثل هذه القراضة الذهبية والتعمل بها بما ذكر «أَنْتَ يَا مُؤمِنُ» الكامل «اِذَا صَبَرْتَ عَلٰى مَجَارِى الْاَقْدَارِ» الإلهية «وَ رَضِيْتَ بِالْقَضَاءِ» الرباني «فِي جَمِيْعِ الْاَحْوَالِ» الواردة عليك مسرة و مضرة و سعة و ضيقا و فرحا و غما «قُرِبْتَ اِلٰى مَوْلَاكَ» قربا كاملا لا بُعْدَ بَعدها «فِي الدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةِ» أما في الدنيا «فَتُنْعَمُ» إنعاما لطيفا «بِالْمَعْرِفَةِ وَالْعُلُوْمِ» اليقينية «وَالْاَسْرَارِ» الربانية الموهبية، و أما في الآخرة «فَتُسْكَنُ فِي الْاٰخِرَةِ كَرَامَةً» أي لأجل كرامة رحمانية و رحيمية «دَارَالسَّلَامِ» الَّذِيْ من دخله كان اٰمنًا «مَعَ الْاَنْبِيَاءِ» عليهم الصلوة والسلام «وَالصِّدِّيْقِيْنَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِيْنَ» عليهم رحمة رب الأنام «فِي جَوَارِ اللهِ» الملك العلّام «وَ دَارِهٖ وَ قُرْبِهٖ وَالْاُنْسِ بِهٖ عَزَّ وَ جَلَّ» الَّذِيْ لا لذة فوقه بل و لا مثله «فَاصْبِرْ» يا مؤمن على جدك و اجتهادك في سبيل ربك «وَ لَا تَسْتَجْعِلْ» بحصول مقصودك «وَ ارْضَ بِالْقَضَاءِ» الرباني في تأخير مطلوبك «وَ لَا تَتَهِّمْ» مولاك انه لا يوصلك إلى مناك «فينَالُكَ» و يصل إليك بلطفه «بَرْدُ عَفْوِهٖ وَ حَلَاوَةُ مَعْرِفَتِهٖ وَ لُطْفِهٖ وَ كَرَمِهٖ وَ مَنِّهٖ». هذه الثلثة الأخيرة تحتمل الرفع بالعطف على المضاف، والجرَّ بالعطف على المضاف إليه.

اَلْمَقَالَةُ التَّاسِعَةُ وَالْعِشْرُوْنَ

في بَيانِ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ كَادَ الْفَقْرُ اَنْ يَّكُوْنَ كُفْرًا

قَالَ رَضِيَ الله عَنْهُ وَ اَرْضَاهُ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ عَلى اٰلِهٖ وَ سَلَّمَ "كَادَ الْفَقْرُ اَنْ يَّكُوْنَ كُفْرًا" يُؤمِنُ الْعَبْدُ بِالله عَزَّ وَ جَلَّ وَ يُسَلِّمُ الْاُمُوْرَ كُلَّهَا إِلى الله عَزَّ وَ جَلَّ وَ يَعْتَقِدُ تَسْهيلَ الرِّزْقِ مِنْهُ تَعَالٰى وَ اِنَّ مَا اَصَابَهٗ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهٗ وَ مَا اَخْطَاَهٗ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيْبَهٗ ﴿وَ مَنْ يَّتَّقِ الله يَجْعَلْ لَّهٗ مَخْرَجًا وَّ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ط وَ مَنْ يَّتَوَكَّلْ عَلَى الله فَهُوَ حَسْبُهٗ﴾[الطلاق،رقم السورة:٦٥،رقم الآية:٢-٣]

يَقُوْلُ ذٰلِكَ وَ يَعْتَقِدُهٗ وَ هُوَ مُسْتَمِرٌّ فِي حَالِ الْعَافِيَةِ وَالْغِنَاءِ ثُمَّ يَبْتَلِيْهِ الله تَعَالٰى بِالْبَلَاءِ وَالْفَقْرِ فيأْخُذُ فِي السُّؤالِ وَ التَّضَرُّعِ فَلَا يَكْشِفُهُمَا مِنْهُ فَحِ تَحَقَّقَ قَوْلُهٗ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ عَلى اٰلِهٖ وَ سَلَّمَ: "كَادَ الْفَقْرُ اَنْ يَّكُوْنَ كُفْرًا" فَمَنْ تَلَطَّفَ اللهُ بِهٖ وَ كَشَفَ عَنْهُ مَا بِهٖ فَاَدْرَكَهٗ بِالْعَافِيَةِ وَالْغِنَاءِ وَ وَفَّقَهٗ بِالشُّكْرِ وَالْحَمْدِ وَالثَّنَاءِ فيدِيْمُ لَهٗ عَلٰى ذٰلِكَ اِلَى اللِّقَاءِ.

«قَالَ رَضِيَ الله عَنْهُ وَ اَرْضَاهُ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ عَلى اٰلِهٖ وَ سَلَّمَ: "كَادَ الْفَقْرُ اَنْ يَّكُوْنَ كُفْرًا" يُؤمِنُ الْعَبْدُ بِالله عَزَّ وَ جَلَّ وَ يُسَلِّمُ الْاُمُوْرَ كُلَّهَا إِلى الله عَزَّ وَ جَلَّ وَ يَعْتَقِدُ تَسْهيلَ الرِّزْقِ مِنْهُ تَعَالٰى وَ اِنَّ مَا اَصَابَهٗ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهٗ» و لو سعى كل سعي و دبر ألف تدبير «وَ مَا اَخْطَاَهٗ» أي لم يصل إلى ذلك العبد «لَمْ يَكُنْ لِيُصِيْبَهٗ وَ» يعتقد أن ﴿مَنْ يَّتَّقِ الله﴾ في جميع أحواله و أقواله و أفعاله وأعماله ﴿يَجْعَلْ لَّهٗ﴾ ربه ﴿مَخْرَجًا﴾ من جميع المكاره من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت و من شدائد يوم القيمة ﴿وَّ يَرْزُقْهُ﴾ في الدارين ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَ مَنْ يَّتَوَكَّلْ عَلَى الله﴾ تعالىٰ في جميع أمور بقطع الطمع عن غيره حتى عن تدبير نفسه ﴿فَهُوَ حَسْبُهٗ﴾ كافيه

في الدارين،ثم بيّن الله تعالٰی وجه وجوب التوكل عليه وتفويض الأمر إليه بقوله: ﴿إِنَّ اللهَ بَالِغُ اَمْرِهٖ﴾ لا يفوته مراد، و لا يعجزه مطلوب، و لا يزاحمه مزاحم، و لا يقابله أحد ﴿قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شيءٍ قَدْرًا﴾ تقديرا و توقيتا.

فإن كان العبد «يَقُوْلُ ذٰلِكَ» الَّذِيْ ذكرناه بلسانه «وَ يَعْتَقِدُهٗ» بقلبه «وَ هُوَ مُسْتَمِرٌّ» على ذلك «فِي حَالِ الْعَافِيَةِ وَالْفَنَاءِ ثُمَّ يَبْتَلِيْهِ اللهُ تَعَالٰى بِالْبَلَاءِ» بدل العافية «وَالْفَقْرِ» مكان الغنا و يأخذ منه عنان الصبر «فيأْخُذُ فِي السُّؤالِ» بالخالق والمخلوق «وَ» يشرع «فِي التَّضَرُّعِ فَلَا يَكْشِفُهُمَا» الله تعالٰی «مِنْهُ» لأنه تعالٰی قادر مختار فعال لما يريد فيضطر قلبه و يضيق صدره فربما يتكلم بهذيانات مفضية إلى الكفر «فَحِيْنَئِذٍ» أي حين إذا اضطر قلبه، و ضاق صدره، و تكلم بهذيانات «تَحَقَّقَ قَوْلُهٗ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ عَلٰى اٰلِهٖ وَ سَلَّمَ: "كَادَ الْفَقْرُ اَنْ يَّكُوْنَ كُفْرًا"، فَمَنْ» أراد الله أن يقيمه على الإيمان «تَلَطَّفَ اللهُ» تعالٰی «بِهٖ وَ كَشَفَ عَنْهُ مَا بِهٖ» من الاضطرار والضيق «فَاَدْرَكَهُ بِالْعَافِيَةِ» مكان البلاء «وَالْغِنَاءِ» بدل الفقر، والسكينه بدل الاضطرار «وَ وَفَّقَهٗ بِالشُّكْرِ» على ذٰلك «وَالْحَمْدِ» على النعم الواصلة «وَالثَّنَاءِ» و رزقه التوبة على ما صدر منه «فيدِيْمُ لَهٗ عَلٰى ذٰلِكَ» كرما و يرزق الاستقامة «إلى» أن يصل وقت «اللِّقَاءِ» أي الموت فيميته مؤمنا كاملا هذا هو الرجل الأول.

وَ مَنْ يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهٗ اَدَامَ بَلَاءَهٗ وَ فَقْرَهٗ فَيَنْقَطِعُ عَنْهُ مَدَدُ اِيْمَانِهٖ فيكْفُرُ بِالْاِعْتِرَاضِ عَلَى اللهِ وَ التُّهْمَةِ لِلْحَقِّ عَزَّ وَ جَلَّ وَ الشَّكِّ فِي وَعْدِهٖ فيمُوْتُ كَافِرًا بِاللهِ جَاحِدًا لِاٰيَاتِهٖ مُتَسَخِّطًا عَلٰى رَبِّهٖ وَ اِلَيْهِ اَشَارَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ:

"اِنَّ اَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيٰمَةِ رَجُلٌ جَمَعَ اللهُ لَهٗ بَيْنَ فَقْرِ الدُّنْيَا وَ عَذَابِ الْآخِرَةِ" نَعُوْذُ بِاللهِ مِنْ ذٰلِكَ، وَ هُوَ الْفَقْرُ الْمُنْسِئُ الَّذِيْ اِسْتَعَاذَ مِنْهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ.

وَالرَّجُلُ الثَّالِثُ هُوَ الَّذِيْ اَرَادَ اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ اِصْطِفَائَهُ، وَاجْتِبَائَهُ وَ جَعَلَهُ مِنْ خَوَاصِّهٖ وَ اَحْبَائِهٖ وَ اَخِلَّائِهٖ وَ وَارِثِ اَنْبِيَائِهٖ وَ سَيِّدِ اَوْلِيَائِهٖ وَ مِنْ عَظِيْمِ عِبَادِهٖ وَ عُلَمَائِهِمْ وَ حُكَمَائِهِمْ وَ شُفَعَائِهِمْ وَ شِحنِهِمْ وَ مُعَلِّمِهِمْ وَ هَادِيْهِمْ وَ مُرْشِدِهِمْ اِلٰى سَنَنِ الْهُدٰى وَ اِجْتِنَابِ سَبِيْلِ الرَّدىٰ فَاَرْسَلَ اللهُ اِلَيْهِ جِبَالَ الصَّبْرِ وَ بِحَارَالرِّضَا وَالْمُوَافَقَةِ وَالْفَنَاءِ فِي فِعْلِ الْمَوْلٰى ثُمَّ يُدْرِكُهُ بِجَزِيْلِ عَطَائِهٖ وَ نَوَالِهٖ فِي أنَاءِ اللَّيْلِ وَ اَطْرَافِ النَّهَارِ فِي الْجَلْوَةِ وَ اِذَا خَلَا وَ فِي الظَّاهِرِ مَرَّةً وَ فِي الْبَاطِنِ اُخْرٰى بِاَنْوَاعِ اللُّطْفِ وَ فُنُوْنِ الْحَزْ يَا يَتَّصِلُ ذٰلِكَ اِلٰى حِيْنِ اللِّقَاءِ.

«وَ» الرجل الثاني «مَنْ يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ» ابتلاه بالبلاء والفقر وَ «اَدَامَ بَلَاءَهُ وَ فَقْرَهُ» فيضطر في ذلك و يزيد جزعه «فينْقَطِعُ عَنْهُ مَدَدُ اِيْمَانِهٖ» فيأخذ إيمانه في النقص حتى يفني «فيكْفُرُ بِالْاِعْتِرَاضِ عَلَى اللهِ» سبحانه و ينسى ما أنعم عليه من نعم لا تحصى «وَ» يصيرإلى «التُّهْمَةِ لِلْحَقِّ عَزَّ وَ جَلَّ» و ييأس من رحمته «وَ» يبقى في «الشَّكِّ فِي وَعْدِهٖ» الحق الَّذِيْ لا خلف فيه إلى أن يأتيه الموت «فيمُوْتُ كَافِرًا بِاللهِ جَاحِدًا لِآيَاتِهٖ مُتَسَخِّطًا عَلٰى رَبِّهٖ» فلايرحم الله عليه وألقاه في نار جهنم خالد ا فيها «وَ اِلَيْهِ اَشَارَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ» بقوله: «"اِنَّ اَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيٰمَةِ رَجُلٌ جَمَعَ اللهُ لَهُ بَيْنَ فَقْرِ الدُّنْيَا وَ عَذَابِ الْآخِرَةِ" نَعُوْذُ بِاللهِ مِنْ ذٰلِكَ» الفقرا المفضي إلى الكفر «وَ» هذا «هُوَ الْفَقْرُ الْمُنْسِيْ» أي الَّذِيْ ينسي الله عز و جل و هوالذي «اِسْتَعَاذَ مِنْهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ» في أدعيته.

«وَالرَّجُلُ الثَّالِثُ هُوَ الَّذِيْ اَرَادَ اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ اِصْطِفَائَهُ وَاجْتِبَائَهُ» كلاهما بمعنى الاختيار «وَ جَعَلَهُ» الله تعالٰى «مِنْ خَوَاصِّهٖ وَ اَحْبَائِهٖ وَ اَخِلَّائِهٖ» جمع خليل «وَ وَارِثِ اَنْبِيَائِهٖ وَ سَيِّدِ اَوْلِيَائِهٖ» أي وارث سيد أوليائه هو سيد الجن والإنس محمد رسول الله صلى الله عليه و على إخوانه من الأنبياء و على اٰله و صحبه و أتباعه «وَ» جعله الله «مِنْ عَظِيْمِ عِبَادِهٖ وَ عُلَمَائِهِمْ وَ حُكَمَائِهِمْ وَ شُفَعَائِهِمْ» إلى الله تعالٰى

في الدنيا والآخرة «وَ شِحَنِهِمْ» الشحن جمع شِحنة بكسر الشين بمعنى الكافي الضابط لأمور العباد و متبوعهم «وَ مُعَلِّمِهِمْ» الخير «وَ هَادِيْهِمْ» إلى مولاهم «وَ مُرْشِدِهِمْ اِلٰى سَنَنِ الْهُدٰى» بفتح السين: الطريق «وَ اِجْتِنَابِ سَبِيْلِ الرَّدىٰ» الَّذِيْ هو ميلان الهوى والنفس الأمارة و إغواء الشياطين المكارة «فَاَرْسَلَ اللهُ اِلَيْهِ» أي ذلك العبد المصطفى المجتبى «جِبَالَ الصَّبْرِ» فلا يضطرب بالشدائد والمحن «وَ» أرسل إليه «بِحَارَالرِّضَا» فيغرق فيها «وَ» بحار «الْمُوَافَقَةِ وَالْفَنَاءِ فِي فِعْلِ الْمَوْلٰى» فلا يرى نفسه و لا شدتها و محنتها و أَلَمَها بل لا يرى في الوجود إلا فعل الله تعالى «ثُمَّ يُدْرِكُهُ» الله تعالى بعد فنائه في فعله «بِجَزِيْلِ عَطَائِهٖ وَ نَوَالِهٖ» الظاهرية والباطنية «فِي اٰنَاءِ اللَّيْلِ وَ اَطْرَافِ النَّهَارِ فِي الْجَلْوَةِ» أي في المحافل والمجالس و المدارس «وَ اِذَا خَلَا» أي وقت الخلوة والمراقبة والمناجاة «وَ فِي الظَّاهِرِ مَرَّةً» بما يظهر للخلائق «وَ فِي الْبَاطِنِ» مَرَّة «اُخْرٰى» بحيث لا يطلع عليه غيره «بِاَنْوَاعِ اللُّطْفِ» الخارجة عن الحصر «وَ فُنُوْنِ الْحَزْيَا» أي السرور والعلم والارتفاع والشرف.

قال في القاموس: أحزىٰ[1] بالشيء علمه و ارتفع و أشرف ذكره بالحاء المهملة والزاى فلا يختص فيضان النعم عليه بوقت دون وقت بل «يَتَّصِلُ ذٰلِكَ» الفيضان «اِلٰى حِيْنِ اللِّقَاءِ» أي حين لقاء ذلك العبد المختار بالله الكريم الرب الرؤوف الرحيم.

---

(1) في المخطوطة: "احزف" والصواب ما أثبتنا١٢. المشاهدي

اَلْمَقَالَةُ الثَّلٰثُوْنَ

فِي الْجَوَابِ عَنِ الْجَزَعِ وَالْفَزَعِ

قَالَ رَضِيَ الله عَنْهُ وَ اَرْضَاهُ: مَا اَكْثَرُ مَا تَقُوْلُ: اَيْش اَعْمَلُ؟ وَ مَاالْحِيْلَةُ؟ فيقَالُ لَكَ: قِفْ مَكَانَكَ وَ لَا تَجَاوَزْ حَدَّكَ حَتّٰى يَأْتِيَكَ الْفَرَجُ مِمَّنْ اَمَرَكَ بِالْقِيَامِ فيمَا أَنتَ فِيْهِ قَالَ الله تَعَالٰى:

يٰاَيُّهَا الذينَ اٰمَنُوا اصْبِرُوْا وَ صَابِرُوْا وَ رَابِطُوا وَاتَّقُوا الله لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُوْنَ. [آل عمران، رقم السورة:٣ رقم الآية:٢٠٠]

«قَالَ رَضِيَ الله عَنْهُ وَ اَرْضَاهُ: مَا أَكْثَرُ مَا تَقُوْلُ اَيْش» تعجب من كثرة هذه المقالة، و أيش تخفيف: أي شيء «اَعْمَلُ؟ وَ مَاالْحِيْلَةُ؟» في دفع المضرة والفقر و الابتلاء اللاحقة بي «فيقَالُ لَكَ» في جواب سؤالك أيها المؤمن العاجز الضعيف اليقين والقليل الصبر «قِفْ مَكَانَكَ وَ لَا تَجَاوَزْ حَدَّكَ» يا مسكين «حَتّٰى يَأْتِيَكَ الْفَرَجُ مِمَّنْ اَمَرَكَ» أي من الله الأمر «بِالْقِيَامِ فيمَا أَنتَ فِيْهِ» من الحالة «قَالَ الله تَعَالٰى» خطابا للمؤمنين:

﴿يٰاَيُّهَا الذينَ اٰمَنُوا اصْبِرُوْا﴾ على مشاق الطاعات و ما يصيبكم من الشدائد ﴿وَ صَابِرُوْا﴾ أي غالبوا أعداء الله تعالٰى في الصبر على شدائد الحرب، و غالبوا أنفسكم التي هي أعدٰى عدوّكم على مخالفة الهوى «وَ رَابِطُوا» أبدانكم و خيولكم في الثغور مترصدين للغَزوِ و أنفسكم على الطاعة منتظرين للقبول «وَاتَّقُوا الله» بالتبري عما سواه ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُوْنَ﴾ لكي تفلحوا غاية الفلاح.

اَمَرَكَ اللهُ بِالصَّبْرِ يَا مُوْمِنُ ثُمَّ بِالْمُصَابرَةِ وَالْمُرَابطَةِ وَالْمُحَافَظَةِ وَالْمُلَازَمَةِ ثُمَّ حَذَّرَكَ تَرْكَهَا فَقَالَ: ﴿وَاتَّقُوا الله﴾ في تَرْكِ ذٰلِكَ أي لَا تَتْرُكُوا الصَّبْرَ فَاِنَّ الْخَيْرَ وَ السَّلَامَةَ في الصَّبْرِ، قَالَ رَسُوْلُ الله صَلَّى

اللہ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ:

"اَلصَّبْرُ مِنَ الْاِيْمَانِ كَالرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ"

وَ قِيْلَ لِكُلِّ شيء ثَوَابُهٗ بِمِقْدَارٍ معين اِلَّا ثَوَابَ الصَّبْرِ فَاِنَّهٗ جُزَافٌ غَيْرُ مُقَدَّرٍ، كَمَا قَالَ اللہ تَعَالٰى:

﴿اِنَّمَا يُوَفِّي الصّٰبِرُوْنَ اَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر،رقم السورة:٣٩، رقم الآية:١٠]

فَإِذا اتَّقَيْتَهٗ فِي حِفْظِكَ لِلصَّبْرِ وَ مُحَافَظَةِ الْحُدُوْدِ اَنْجَزَ لَكَ مَا وَعَدَكَ فِي كِتَابِهٖ:

﴿وَ مَنْ يَّتَّقِ اللہ يَجْعَلْ لَّهٗ مَخْرَجًا وَّ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:٦٥/ ٢]

وَ كُنْتَ بِصَبْرِكَ حَتّٰى يَأْتِيَكَ الْفَرَجُ مِنَ اللہ عَزَّ وَ جَلَّ مِنَ الْمُتَوَكِّلِيْنَ قَدْ وَعَدَكَ اللہ عَزَّ وَ جَلَّ بِالْكِفَايَةِ، فَقَالَ:

﴿وَ مَنْ يَّتَوَكَّلْ عَلَى اللہ فَهُوَ حَسْبُهٗ﴾ [الطلاق:رقم السورة:٢، رقم الآية؛٦٥]

وَ كُنْتَ مَعَ صَبْرِكَ وَ تَوَكُّلِكَ مِنَ الْمُحْسِنِيْنَ، وَ قَدْ وَعَدَكَ بِالْجَزَاءِ فَقَالَ تَعَالٰى: ﴿وَ كَذٰلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِيْنَ﴾[يوسف، رقم السورة:١٢، رقم الآية:٢٢]

وَ يُحِبُّكَ اللہ مَعَ ذٰلِكَ لِاَنَّهٗ قَالَ: اِنَّ اللہ يُحِبُّ الْمُحْسِنِيْنَ. [المائدة، رقم السورة:٥رقم الآية١٣]

«اَمَرَكَ اللہُ» تعالٰى «بِالصَّبْرِ يَا مُؤْمِنُ» أوّلا «ثُمَّ» أمرك «بِالْمُصَابَرَةِ» و هو المغالبة في الصبر ثانيا «وَالْمُرَابَطَةِ وَالْمُحَافَظَةِ وَالْمُلَازَمَةِ» ثالثا «ثُمَّ حَذَّرَكَ تَرْكَهَا» أي ترك الصَّبر و أخو يه «فَقَالَ:"وَاتَّقُوا اللہ" فِي تَرْكِ ذٰلِكَ» المذكور من الصبر والمصابرة و والمرابطة «أي لَا تَتْرُكُوا الصَّبْرَ» و أخو يه «فَاِنَّ الْخَيْرَ وَ السَّلَامَةَ في

الصَّبْرِ» و لذا «قَالَ رَسُوْلُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ: اَلصَّبْرُ مِنَ الْإِيْمَانِ كَالرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ»[1]

فكماأن الجسد المقطوع الرأس عار عن أكثر المنافع بل ربما يفضي إلى قطع الحيوة كذلك الإيمان العاري عن الصبر خال عن أكثر المنافع بل ربما يفضي عدم الصبر إلى الكفر «وَ قِيْلَ لِكُلِّ شيء ثَوَابُهُ بِمِقْدَارٍ» معين «اِلَّا ثَوَابَ الصَّبْرِ فَإِنَّهُ جُزَافٌ غَيْرُ مُقَدَّرٍ» لا يعرفه الا الله تعالىٰ «كَمَا قَالَ الله تَعَالىٰ:»

﴿إِنَّمَا يُوَفِّي الصّٰبِرُوْنَ اَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر،رقم السورة:٣٩، رقم الآية:١٠]

«فإذا» أمنت بالله وَ «اتَّقَيْتَهُ» عز و جل في جميع أمورك لا سيما «في حِفْظِكَ لِلصَّبْرِ» على المصائب والبلايا و عن المعاصي والشبهات «وَ» سعيت في «مُحَافَظَةِ الْحُدُوْدِ» و لا تحوم حولها «اَنْجَزَ لَكَ» الله تعالىٰ «مَا وَعَدَكَ» على لسان رسوله صلى الله عليه و سلم «في كِتَابِهٖ» العزيز و أنه لا يخلف الميعاد و هو قوله عز و جل:

﴿وَ مَنْ يَّتَّقِ الله يَجْعَلْ لَّهٗ مَخْرَجًا وَّ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[الطلاق،رقم السورة:٦٥، رقم الآية:٣،٢]

«وَ» إذا «كُنْتَ بِصَبْرِكَ» مستقيما «حَتّٰى يَأْتِيَكَ الْفَرَجُ مِنَ الله عَزَّ وَ جَلَّ» عدّك الله «مِنَ الْمُتَوَكِّلِيْنَ» و لا يحوم حولك جزع و فزع إذ «قَدْ وَعَدَكَ الله عَزَّ وَ جَلَّ بِالْكِفَايَةِ» عن المؤنة ﴿فَقَالَ: وَ مَنْ يَّتَوَكَّلْ عَلَى الله فَهُوَ حَسْبُهٗ﴾[الطلاق،رقم السورة:٦٥، رقم الآية:٣]

و إذا أحكمت صبرك و اَتْقَنْتَ توكلك «وَ كُنْتَ» دائرا «مَعَ صَبْرِكَ وَ» مستقيما على «تَوَكُّلِكَ» عدّك «مِنَ الْمُحْسِنِيْنَ» و لا يرهق وجهك قتر و لا ذلة إذ «وَقَدْ وَعَدَكَ» الله تعالىٰ «بِالْجَزَاءِ» في الآخرة «فَقَالَ تَعَالىٰ» في كتابه العزيز في غير موضع:

(1) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٦/ ١٧٢، والبيهقي في الشعب ١/ ١٤٦، ورواه ابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله.١/ ١٨١

﴿وَ كَذٰلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِيْنَ﴾[يوسف،رقم السورة:١٢، رقم الآية:٢٢]

«وَ» إذا كنت من المحسنين رفعك الله قدرك، لأنه «يُحِبُّكَ الله مَعَ ذٰلِكَ» الصبر والتوكل «لِاَنَّهٗ قَالَ» في كتابه المجيد.

﴿اِنَّ الله يُحِبُّ الْمُحْسِنِيْنَ﴾[المائدة، رقم السورة:٥، رقم الآية:١٣]

وَالصَّبْرُ رَاْسُ كُلِّ خَيْرٍ وَ سَلَامَةٍ دُنْيَا وَ اُخْرٰى مِنْهُ يَتَرَقّٰى الْمُؤمِنُ اِلٰى حَالَةِ الرِّضَا وَ الْمُوَافَقَةِ ثُمَّ الْفَنَاءِ فِي اَفْعَالِ الله عَزَّ وَ جَلَّ حَالَةَ الْبَدَلِيَّةِ وَ الْغَيْبَةِ، فَاحْذَرْ اَنْ تَتْرُكَهٗ فَتُخْذَلَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَ يَفُوْتَكَ خَيْرُهُمَا.

فحينئذ يحصل لك السلامة من الآفات فإذا وصلت إلى مرتبة المحبة بالإيمان والتقوى والصبر والتوكل والإحسان فالإيمان والتقوى رأس كل خير للعوام والخواص «وَالصَّبْرُ رَاْسُ كُلِّ خَيْرٍ وَ سَلَامَةٍ» للخواص «دُنْيَا وَ اُخْرٰى» و لا تقف في هذه المرتبة بل اطلب الترقي منها إذ «مِنْهُ» أي من الصبر «يَتَرَقّٰى الْمُؤمِنُ» الصابر «اِلٰى حَالَةِ الرِّضَا» فلا يصدر عنه خلاف مَرْضاته «وَ» يصل إلى حالة «الْمُوَافَقَةِ» مع الله «ثُمَّ» يترقي من حالة الرضا والموافقة إلى «الْفَنَاءِ فِي اَفْعَالِ الله عَزَّ وَ جَلَّ» و يصل إلى «حَالَةِ الْبَدَلِيَّةِ وَ» يترقي إلى حالة «الْغَيْبَةِ» عن نفسه فيحصل له البقاء بالله عز و جل فعليك أن تسعى في الترق من مقام إلى مقام و لا تقف في مقام، تلتذ به «فَاحْذَرْ اَنْ» تقف في مقام تلتذ به، و «تَتْرُكَهٗ» أي تترك الصبر والترقي «فَتُخْذَلَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» و لا تكون من طالبي الدنيا و لا من طالبى العقبى فتصير مذبذبا بين ذلك لا إلٰى هٰؤلاء و لا إلٰى هٰؤلاء «وَ يَفُوْتُكَ خَيْرُهُمَا» فتكون من الخاسرين.

اَلْمَقَالَةُ الْحَادِيَةُ وَالثَّلٰثُوْنَ

فِي دَفْعِ الْبُغْضِ عَنِ الْقَلْبِ

قَالَ رَضِيَ الله تَعَالٰى عَنهُ: اِذَا وَجَدْتَّ فِي قَلْبِكَ بُغْضَ شَخْصٍ اَوْ حُبَّهُ فَأَعْرِضْ اَعْمَالَهُ عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَاِنْ كَانت فيهِمَا مَبْغُوْضَةً فَأَبْشِرْ بِمُوَافَقَتِكَ الله وَ رَسُوْلِهِ وَ اِنْ كَانت اَعْمَالُهُ فيهِمَا مَحْبُوْبَةً وَ أنت تُبْغِضُهُ فَاعْلَمْ اَنَّكَ صَاحِبُ هَوٰى تُبْغِضُهُ بِهَوَاكَ، وَ ظَالِمٌ لَهُ بِبُغْضِكَ اِيَّاهُ، وَ عَاصٍ لله عَزَّوَجَلَّ، وَ مُخَالِفٌ لَهُمَا فَتُبْ إِلى الله عَزَّ وَ جَلَّ مِنْ بُغْضِكَ وَاسْاَلْهُ عَزَّ وَ جَلَّ مَحَبَّةَ ذٰلِكَ الشَّخْصِ وَ غَيْرِهٖ مِنْ اَحْبَابِ الله وَ اَوْلِيَائِهٖ وَ اَصْفيائِهٖ وَالصَّالِحِيْنَ مِنْ عِبَادِهٖ لِتَكُوْنَ مُوَافِقًا لَهُ عَزَّ وَ جَلَّ فِي مَحَبَّتِهٖ فيحِبُّكَ الله كَمَا يُحِبُّهُمْ، وَ كَذٰلِكَ افْعَلْ بِمَنْ تُحِبُّهُ فَاعْرِضْ اَعْمَالَهُ عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَاِنْ كَانت مَحْبُوْبَةً فيهِمَا فَاَحِبَّهُ وَ اِنْ كَانت مَبْغُوْضَةً فَابْغُضْهُ كَيْلَا تُحِبَّهُ بِهَوَاكَ وَ لِئَلَّا تُبْغِضَهُ بِهَوَاكَ وَ قَدْ اُمِرْتَ بِمُخَالَفَةِ هَوَاكَ. قَالَ اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ:

﴿وَ لَا تَتَّبِعِ الْهَوٰى فيضِلَّكَ عَنْ سَبِيْلِ الله﴾[صٓ،رقم السورة:٣٨، رقم الآية:٢٦]

«قَالَ رَضِيَ الله تَعَالٰى عَنهُ: اِذَا وَجَدْتَّ» يا طالب في «قَلْبِكَ بُغْضَ شَخْصٍ» أي أنت تبغضه «اَوْ» وجدت فيه «حُبَّهُ فَ» لا تُخِل اَنَّ ما وجدته في قلبك حق لا بدّ لك من البقاء عليه بل «أعْرِضْ أعْمَالَهُ» التي كان يعملها «عَلَى الْكِتَابِ» الَّذِيْ هو تبيان لكل شيء «وَ» على «السُّنَّةِ» فإنها مبينة للكتاب و موضحة له «فَاِنْ كَأنت» أعماله «فيهِمَا» أي في الكتاب والسنة «مَبْغُوْضَةً» لكونها مخالفة لهما «فَابْشِرْ» بأن بغضك كان في موقع «بِمُوَافَقَتِكَ الله وَ رَسُوْلِهٖ» و اسأله عَزَّ وَ جَلَّ

بالهداية «وَ اِنْ كانت اَعْمَالُهٗ» التي عرضته على الكتاب والسنة «فيهِمَا مَحْبُوْبَةً» موافقة لهما «وَ أنت تُبْغِضُهٗ» بلا جهة بغض «فَاعْلَمْ اَنَّكَ» ببغض ذلك الشخص «صَاحِبُ هَوٰى تُبْغِضُهٗ بِهَوَاكَ وَ» أنت «ظَالِمٌ لَهٗ بِبُغْضِكَ اِيَّاهُ وَ» مع ذلك أنت «عَاصٍ لله عَزَّ وَ جَلَّ» لأنه تعالٰى يحبه و أنت تبغضه «وَ أيضًا أنت مُخَالِفٌ لَهُمَا» أي للكتاب والسنة «فَتُبْ إلى الله عَزَّ وَ جَلَّ مِنْ بُغْضِكَ» إياه بلاسبب «وَاسْاَلْهُ عَزَّ وَ جَلَّ مَحَبَّةَ ذٰلِكَ الشَّخْصِ وَ» محبة «غَيْرِهٖ» من أمثاله «مِنْ أَحْبَابِ الله وَ أَوْلِيَائِهٖ وَ اَصْفيائِهٖ وَالصَّالِحِيْنَ مِنْ عِبَادِهٖ» و لا بد لك من محبتهم «لِتَكُوْنَ مُوَافِقًا لَهٗ عَزَّ وَ جَلَّ فِي مَحَبَّتِهٖ» إياهم «فيحِبُّكَ الله كَمَا يُحِبُّهُمْ، وَ» كما فعلتَ فيمن تبغضه «كَذٰلِكَ افْعَلْ بِمَنْ تُحِبُّهٗ فَأَعْرِضْ اَعْمَالَهٗ عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَاِنْ كَانت» أعماله «مَحْبُوْبَةً فيهِمَا فَاَحِبَّهٗ» لأنه تعالٰى يحبه «وَ اِنْ كَانت» أعماله «مَبْغُوْضَةً» فيهما «فَابْغُضْهُ» فإنه تعالٰى يبغضه و ليس لك أن تحب شخصا، أو تبغضه من غير عرض أعماله على الكتاب والسنة «كَيْلَا تُحِبُّهٗ بِهَوَاكَ» من غير محبة الله تعالٰى إياه «وَ لِئَلَّا تُبْغِضَهٗ بِهَوَاكَ» من غير بغض الله تعالٰى إياه «وَ» لا تكون عاصيا باتباع الهوى لأنك «قَدْ أُمِرْتَ بِمُخَالَفَةِ هَوَاكَ، قال الله عَزَّ وَ جَلَّ» خطابا لداوٗد عليه السلام:

﴿وَ لَا تَتَّبِعِ الْهَوٰى فيضِلَّكَ﴾ هواك ﴿عَنْ سَبِيْلِ الله﴾

أوصاه الله تعالٰى بأن لا يتبع في الحكم هواه تنبيها على أن أعظم جنايات العبد و أقبح خطاياه متابعته لهواه.

اَلْمَقَالَةُ الثَّانِيَةُ وَ الثَّلٰثُوْنَ

في الْجَوَابِ عَنْ شُبْهَةِ عَدَمِ بَقَاءِ الصُّحْبَةِ وَالْمَوَدَّةِ وَ فَنَاءِ الْمَالِ

قَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: مَا اَكْثَرُ مَا تَقُوْلُ كُلُّ مَنْ اُحِبُّهُ لَا تَدُوْمُ صُحْبَتِيْ لَهُ فيحَالُ بَيْنَنَا اِمَّا بِالْغَيْبَةِ اَوْ بِالْمَوْتِ اَوْ الْعَدَاوَةِ وَ اَنْوَاعُ الْاَمْوَالِ بِالتَّلَفِ وَ بِالْفَوَاتِ مِنَ الْيَدِ، فيقَالُ لَكَ: اَمَا تَعْلَمُ يَا مَحْبُوْبَ الْحَقِّ اَلْمَعْنَى الْمَنْظُوْرُ اِلَيْهِ اَلْمَغَارَ لَهُ وَ عَلَيْهِ، اَلَمْ تَعْلَمْ اَنَّ اللهَ تَعَالٰى غَيُوْرٌ خَلَقَكَ لَهُ وَ تَرُوْمُ اَنْ تَكُوْنَ لِغَيْرِهٖ، وَ اَمَا سَمِعْتَ قَوْلَهُ عَزَّ وَ جَلَّ:

﴿يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّوْنَهُ﴾.[المائدة،رقم السورة:٥، رقم الآية:٥٤]

وَ قَوْلَهُ:

﴿وَ مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْاِنْسَ اِلَّا لِيَعْبُدُوْنِ﴾[الذٰريٰت،رقم السورة:٥١، رقم الآية:٥٦]

«قَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: مَا اَكْثَرُ مَا تَقُوْلُ» بلسان الحال والمقال «كُلُّ مَنْ اُحِبُّهُ» بأمر ديني أو دنياوي «لَا تَدُوْمُ صُحْبَتِيْ لَهُ» بل يحصل المفارقة «فيحَالُ بَيْنَنَا اِمَّا بِالْغَيْبَةِ» بالسفر أو المرض أو بغير ذلك فيرجى عوده «اَوْ بِالْمَوْتِ» فلا يرجى لقاءه «اَوْ» بحصول «الْعَدَاوَةِ» والبغضاء فيمكن تبديله «وَ» كذا لا يدوم «اَنْوَاعُ الْاَمْوَالِ» من النقود والأقْمِشة والأمتعة إما «بِالتَّلَفِ» المراد أنه ضاع بحيث لم يبق قابلا للانتفاع «وَ» إما «بِالْفَوَاتِ مِنَ الْيَدِ» و حصول يد اٰخرَ عليه «فيقَالُ لَكَ» من جانب الله تعالٰى بواسطة الشيخ المرشد، أو بلسان الغيب أو الإلهام أو الهاتف: «اَمَا تَعْلَمُ يَا مَحْبُوْبَ الْحَقِّ» الَّذِيْ أحبهُ الحقُّ تعالٰى «اَلْمَعْنَى به» أي الَّذِيْ عناه الله تعالٰى و قصده «الْمَنْظُوْرُ اِلَيْهِ» أي الَّذِيْ نظر الله إليه و جعل قلبَه عرشَه «اَلْمُغَارَ لَهُ» أي الَّذِيْ أغار الله أن يلتَفتَ بغير ه و ينبسط بما سواه «وَ»المغار «عَلَيْهِ» أي الَّذِيْ أغار الله عليه و حفظه أن يصل إليه غير «اَلَمْ تَعْلَمْ اَنَّ اللهَ تَعَالٰى

غَيُوْرٌ» و لِمَ لا يَغار عليك: لأنه «خَلَقَكَ» لأن تكون خاصا «لَهٗ وَ» أنت «تَرُوْمُ اَنْ تَكُوْنَ» طالبا «لِغَيْرِهٖ» فعليك أن تنصف من نفسك «اَمَا سَمِعْتَ» باٰذان القلب «قَوْلَهٗ عَزَّ وَ جَلَّ: »

﴿يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّوْنَهٗ﴾[المائدة، رقم السورة:٥، رقم الآية: ٥٤]

فعليك أن تنظر إلى عنايات الله سبحانه وألطافه أنه ذكر محبته بهم أوّلا، ثم ذكر محبتهم به ثانيا فشتان بين مقدم و مؤخر «وَ» أما تعقلت «قَوْلَهٗ: »

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْاِنْسَ اِلَّا لِيَعْبُدُوْنِ﴾[الذٰريٰت، رقم السورة:٥١، رقم الآية:٥٦]

فإذا أحببتَ غيره و طلبتَ سِواه كنتَ عابدًا له فكيف تكون عابدًا لله الَّذِيْ خلقك لذلك.

اَمَّا سَمِعْتَ قَوْلَ الرَّسُوْلِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ: اِذَا اَحَبَّ اللهُ عَبْدًا اِبْتَلَاهُ فَاِنْ صَبَرَ اِقْتَنَاهُ قِيْلَ يَا رَسُوْلَ اللهِ وَ مَا اقْتَنَاهُ؟ قَالَ: لَمْ يَذَرْ لَهٗ مَالًا وَ لَا وَلَدًا.[1] وَ ذٰلِكَ لِاَنَّهٗ اِذَا كَانَ لَهٗ مَالٌ وَ وَلَدٌ اَحَبَّهُمَا فَتَشَبَّعَتْ مَحَبَّتُهٗ لِرَبِّهٖ عَزَّ وَ جَلَّ فَتَنْتَقِصُ وَ تَتَجَزّٰئُ فَتَصِيْرُ مُشْتَرَكَةً بَيْنَ اللهِ وَ بَيْنَ غَيْرِهٖ وَ اللهُ تَعَالٰى لَا يَقْبَلُ الشَّرِيْكَ وَ هُوَ غَيُوْرٌ قَاهِرٌ فَوْقَ كُلِّ شيءٍ غَالِبٌ لِكُلِّ شيءٍ فيهْلِكُ شَرِيْكَهٗ وَ يُعْدِمُهٗ لِيُخْلِصَ قَلْبَ عَبْدِهٖ لَهٗ مِنْ غَيْرِ شَرِيْكٍ فيتَحَقَّقُ حِيْنَئِذٍ قَوْلُهٗ عَزَّ وَ جَلَّ:

يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّوْنَهٗ.[المائدة.رقم السورة:٥، رقم الآية:٥٤]

و «اَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ الرَّسُوْلِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ؛ اِذَا اَحَبَّ اللهُ عَبْدًا اِبْتَلَاهُ»

---

(1) أخرجه الطبراني، ولفظه: إذا أراد الله بعبد خيرا ابتلاه، وإذا ابتلاه اقتناه لنفسه، قالوا يارسول الله!وما اقتناه؟ قال: "لا يترك له مالا ولا ولدا". قال الهيثمي في المجمع ٢/ ٢٩١ كتاب الجنائز، باب فيمن يبتلى، ولفظه: إذا أرادالله بعبد خيرا ابتلاه، إذا ابتلاه أضناه، قال يارسول الله!وما أضناه؟ قال: لايترك له أهلًا ولا مالا. وقال: رواه الطبراني في الكبير.

يعنى ابتلٰه على حسب مرتبته «فَاِنْ صَبرَ» ذلك العبد في الابتلاء «اِقْتَنَاهُ قِيْلَ يَا رَسُوْلَ الله وَ مَا اقْتَنَاهُ؟ قَالَ: لَمْ يَذَرْ» و لم يترك «لَهٗ مَالًا» يعيش به «وَ لَا وَلَدًا» يبقى بعده «وَ» إنما يكون له ذٰلِكَ «لِاَنَّهٗ اِذَا كَانَ لَهٗ مَالٌ وَ وَلَدٌ اَحَبَّهُمَا» على مقتضى جبلته «فَتَشَبَّعَتْ» و انقسمت «مَحَبَّتُهٗ» التي كانت خاصة «لِرَبِّهٖ عَزَّ وَ جَلَّ» إلى محبته و محبة المال والولد «فَتَنْتَقِصُ وَ تَتَجَزّىٰ فَتُصِيْرُ» محبته الخاصة «مُشْتَرَكَةً بَيْنَ الله وَ بَيْنَ غَيْرِهٖ وَ الله تَعَالٰى» كما لا يقبل الشريك في ذاته «لَا يَقْبَلُ الشَّرِيْكَ» في صفاته و أفعاله، و كيف يقبل الشريك «وَ هُوَ غَيُوْرٌ» خضع كل شيء تحت غيرته «قَاهِرٌ» أحاطه قهره «فَوْقَ كُلِّ شيء» فلا يخرج عنه مثقال ذرة في الأرض و لا في السماء «غَالِبٌ» على أمره مدبر «لِكُلِّ شيء فيهْلِكُ شَرِيْكَهٗ وَ يُعْدِمُهٗ لِيُخْلِص قَلْبَ عَبْدِهٖ» الَّذِيْ هو عرشه «لَهٗ» أي لذاته المقدسة «مِنْ غَيْرِ» بقاء «شَرِيْكٍ» فيه «فيتَحَقَّقُ حِيْنَئِذٍ» أي حين إذ خلص قلب العبد لمحبة الحق عَزَّ وَ جَلَّ و اجتمع محبة الله للعبد و محبة العبد لله «قَوْلُهٗ عَزَّ وَ جَلَّ:»

﴿يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّوْنَهٗ﴾[المائدة:٥/ ٥٤]

حَتّٰى اِذَا تَنَظَّفَ الْقَلْبُ مِنَ الشُّرَكَاءِ وَالْاَنْدَادِ مِنَ الْاَهْلِ وَالْمَالِ وَالْوَلَدِ وَاللَّذَّاتِ وَالشَّهَوَاتِ وَ طَلْبِ الْوِلَايَاتِ وَ طَلْبِ الرِّيَاسَاتِ وَ الْكَرَامَاتِ وَ الْحَالَاتِ وَ الْمَنَازِلِ وَ الْمَقَامَاتِ وَ الْجَنَّاتِ وَ الدَّرَجَاتِ وَ الزُّلَفَاتِ فَلَا يَبْقٰى فِي ذلك الْقَلْبِ اِرَادَةٌ وَ لَا اُمْنِيَّةٌ فَصَارَ كَالْاِنَاءِ الْمُنْثَلِمِ الَّذِيْ لَا يَثْبُتُ فيهِ مَائِعٌ فَلَا يَثْبُتُ فيهِ اِرَادَةُ شيء مِّنَ الْاَشْيَاءِ لِاَنَّهٗ اِنْكَسَرَ بِفِعْلِ الله عَزَّ وَ جَلَّ كُلَّمَا نَجَمَتْ فيهِ اِرَادَةٌ كَسَرَهَا فِعْلُ الله وَ غَيْرَتُهٗ ضُرِبَتْ حَوْلَهٗ سُرَادِقَاتُ الْعَظَمَةِ وَ الْجَبَرُوْتِ وَ حُفِرَتْ مِنْ دُوْنِهَا خَنَادِقُ الْكِبْرِيَاءِ وَالسَّطْوَةِ فَلَمْ يَخْلُصْ إِلَى الْقَلْبِ اِرَادَةُ شيء مِّنَ الْاَشْيَاءِ فَحِ لَا يَضُرُّ الْقَلْبَ الْاَسْبَابُ مِنَ الْمَالِ وَالْوَلَدِ وَالْاَهْلِ وَالْاَصْحَابِ وَ الْكَرَامَاتِ وَ الْحِكَمِ وَالْعِبَارَاتِ فَاِنَّ جَمِيْعَ

ذٰلِكَ يَكُوْنُ خَارِجَ الْقَلْبِ فَلَا يَغَارُ الله عَزَّ وَ جَلَّ بَلْ يَكُوْنُ جَمِيْعُ ذٰلِكَ كَرَامَةً مِّنَ الله عَزَّ وَ جَلَّ لِعَبْدِهٖ وَ لُطْفًا بِهٖ وَ نِعْمَةً وَ رِزْقًا وَ مَنْفِعَةً لِلْوَارِدِيْنَ اِلَيْهِ فيكْرَمُوْنَ بِهٖ يُرْحَمُوْنَ وَ يُحْفَظُوْنَ لِكَرَامَتِهٖ عَلَى الله عَزَّ وَ جَلَّ فيكُوْنُ خفيرًا لَهُمْ وَ شَحْنَةً وَ كَهْفًا وَ حِرْزًا وَ شَفيعًا دُنْيا وَ أُخْرٰى.

و لا يليق قلبه للمحبة الإلهية «حَتّٰى» تطهر و تنظف عما سواه ثم «اِذَا تَنَظَّفَ» و خلا «الْقَلْبُ» عن جميع الأحوال الدينية والدنيوية «مِنَ الشُّرَكَاءِ» من بني نوعه «وَالْاَنْدَادِ مِنَ الْاَهْلِ» الَّذِيْ هو موضع الألفة «وَالْمَالِ» الَّذِيْ هو سبب تعيشه «وَالْوَلَدِ» الَّذِيْ من الباقيات الصالحات «وَاللَّذَّاتِ» النفسانية «وَالشَّهَوَاتِ» الجسمانية «وَ طَلْبِ الْوِلَايَاتِ» على من تحته من العبيد والخدام «وَ طَلْبِ الرِّيَاسَاتِ» على الأقران «وَ» إرادة «الْكَرَامَاتِ» لجذب قلوب العوام «وَ» روم «الْحَالَاتِ» التي للأولياء «وَ» ابتغاء «الْمَنَازِلِ» التي للأصفياء «وَ» ادعاء «الْمَقَامَاتِ» التي للمشايخ «وَ» طلب «الْجَنَّاتِ» التي هي دارالنعيم والخلود للمؤمنين «وَ» طلب نيل «الدَّرَجَاتِ» في الجنات «وَ» طلب حصول «الزُّلَفَاتِ» أي الْقُرُبَاتِ عند الله تعالٰى حصل[1] له صفاء «فَلَا يَبْقٰى فِي» ذلك «الْقَلْبِ اِرَادَةٌ وَ لَا اُمْنِيَّةٌ» فإن جميع ذلك مانعة من حلول المحبة فيه «فَصَارَ» ذلك القلب «كَالْاِنَاءِ الْمُنْثَلِمِ الذي» فيه ثقب كثيرة بحيث «لَا يَثْبُتُ» و لا يستقر فيهِ «مَائِعٌ فَلَا يَثْبُتُ فيهِ» أي ذلك القلب المنثلم «اِرَادَةُ شيء مِّنَ الْاَشْيَاءِ؛ لِأَنَّهٗ» أي ذلك القلب «اِنْكَسَرَ بِفِعْلِ الله عَزَّ وَ جَلَّ» و لا يرجى سده؛ لأنه «كُلَّمَا نَجَمَتْ» أي ظهرت «فيهِ اِرَادَةٌ» من عند نفسه «كَسَرَهَا فِعْلُ اللهِ وَ» محتها «غَيْرَتُهٗ ف» حفظه الله سبحانه عن وصول الإرادة إليه بأن «ضُرِبَتْ حَوْلَهٗ» أي حول القلب «سُرَادِقَاتُ الْعَظَمَةِ وَ» أحيط جوانبه بحجب «الْجَبَرُوْتِ وَ» مع ذلك «حُفِرَتْ مِنْ دُوْنِهَا» أي ورائها «خَنَادِقُ الْكِبْرِيَاءِ وَالسَّطْوَةِ» أي الغلبة والقهر،

(1) جواب "إذا". من الشارح

في القاموس سطا عليه و به سطوا وسطوة: صال أو قهر بالبطش «فَلَمْ يَخْلُصْ» أن يصل «إلى الْقَلْبِ اِرَادَةُ شيء مِّنَ الْأشْيَاءِ» فإذا تنظف القلب، و حصل له الصفاء، و لم يبق فيه مدخل للغير، و استقر محبة الله فيه «فَحينئذٍ لَا يَضُرُّ الْقَلْبَ» أن يسعى البدن في الأمور الدنيو ية والأخرو ية و يحصل له «الْاَسْبَابُ مِنَ الْمَالِ» الَّذِيْ به عيش البدن «وَالْوَلَدِ» الَّذِيْ به بقاء النسل «وَالْاَهْلِ» الَّذِيْ هو موضع الألفة «وَ» لا يضره الصحبة مع «الْاَصْحَابِ» من المر يدين والطالبين و غيرهم «وَ» لا يضر ظهور «الْكَرَامَاتِ» لتميل قلوب الخلق إليه «وَ» ظهور «الْحِكَمِ وَالْعِبَادَاتِ، فَاِنَّ جَمِيْعَ ذٰلِكَ» إنما يضر إذا كان في القلب وهنا إنما «يَكُوْنُ خَارِجَ الْقَلْبِ» و لا تعلق له بالقلب «فَلَا يَغَارُ الله عَزَّ وَ جَلَّ» بحصول تلك الأمور له «بَلْ يَكُوْنُ جَمِيْعُ ذٰلِكَ كَرَامَةً مِّنَ الله عَزَّ وَ جَلَّ لِعَبْدِهٖ» المحب المحبوب «وَ» يكون ذلك «لُطْفًا بِهٖ» منه سبحانه «وَ» يكون «نِعْمَةً» منه عليه «وَ» يكون «رِزْقًا» رزقه الله على عبده «وَ» يكون «مَنْفَعَةً لِلْوَارِدِيْنَ» من المر يدين و الطالبين «إليه فيُكْرَمُوْنَ» على صيغة المجهول و كذا ما بعد، أي يُكرَم الوارِدُوْن «بِهٖ وَ يُرْحَمُوْنَ» بسببه «وَ يُحْفَظُوْنَ» بدعائه عن البليات «لِكَرَامَتِهٖ عَلَى الله عَزَّ وَ جَلَّ فيكُوْنُ» هذا العبد «خَفيرًا لَهُمْ» في القاموس: خفره و به وعليه يخفِر و يخفر أجاره و منعه و أمنه، والخفير: المجار والمجير «وَ شِحْنَةً» لهم من جانب الله تعالٰى لكفاية مهماتهم، والشحنة بالكسر الضابط الحافظ الكافي لمصالح البلد «وَ كَهْفًا» أي ملاذا لهم "وَ حِرْزًا" لهم بالكسر العوذة والموضع الحصين، لأنهم يلتجئون إليه في أمورهم «وَ» يكون «شَفيعًا» لهم «دُنْيَا وَ أُخْرٰى»

اَلْمَقَالَةُ الثَّالِثَةُ وَالثَّلٰثُوْنَ

فِي بَيَانِ اَنْوَاعِ الرِّجَالِ بِاَنَّهَا أَرْبَعَةٌ عَدِيْمُ اللِّسَانِ وَالْقَلْبِ جَمِيْعًا، وَ لِسَانٌ بِلَا قَلْبٍ وَ قَلْبٌ، بِلَا لِسَانٍ، وَالْجَامِعُ لَهُمَا، وَالْاَوَّلَانِ شَرَّانِ، وَالْاَخِيْرَانِ خَيْرَانِ.

قَالَ رَضِيَ اللهُ تَعَالٰى عَنْهُ: اَلنَّاسُ اَرْبَعَةٌ: رَجُلٌ لَا لِسَانَ لَهٗ وَ لَا قَلْبٌ، وَ هُوَ الْعَاصِي الْغِرُّ الْغَبِيُّ سَفْسَافٌ لَا يَعْبَا اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ بِهٖ لَا خَيْرَ فيهِ، هُوَ وَ اَمْثَالُهٗ حُثَالَةٌ وَ لَا وَزْنَ لَهُمْ اِلَّا اَنْ يَّعُمَّهُمُ اللهُ بِرَحْمَتِهٖ فيهْدِيْ قُلُوْبَهُمْ لِلْاِيْمَانِ بِهٖ وَ يُحَرِّكُ جَوَارِحَهُمْ بِالطَّاعَةِ لَهٗ عَزَّ وَ جَلَّ. فَاحْذَرْ اَنْ تَكُوْنَ مِنْهُمْ وَ لَا تَلُذْ بِهِمْ وَ لَا تَكْتَرِثْ بِهِمْ وَ لَا تَقُمْ فيهِمْ فَاِنَّهُمْ اَهْلُ الْعَذَابِ وَالْغَضَبِ وَالسَّخْطِ سُكَّانُ النَّارِ وَ اَهْلُهَا نَعُوْذُ بِاللهِ مِنْهُمْ اِلَّا اَنْ تَكُوْنَ مِنَ الْعُلَمَاءِ بِاللهِ عَزَّ وَ جَلَّ مِنْ مُعَلِّمِي الْخَيْرِ وَ هُدَاةِ الدِّيْنِ وَ قُوَّادِهِمْ وَ دُعَاتِهٖ فَدُوْنَكَ فَأْتِهِمْ وَ ادْعُهُمْ اِلٰى طَاعَةِ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ حَذِّرْهُمْ عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ فَكُنْتَ عِنْدَ اللهِ تَعَالٰى جِهْبِذًا فَتُعْطٰى ثَوَابَ الرُّسُلِ وَالْاَنْبِيَاءِ.

قَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ لِعَلِيٍّ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ: لِاَنْ يَّهْدِيَ اللهُ بِهُدَاكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَّكَ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ.

«قَالَ رَضِيَ اللهُ تَعَالٰى عَنْهُ: اَلنَّاسُ» أصناف «اَرْبَعَةٌ» أحدها «رَجُلٌ» المراد به الشخص ذكرا كان أو أنثى «لَا لِسَانَ لَهٗ» بحيث ينطق بالحق و بما ينتفع به هو وغيره «وَ لَا قَلْبٌ» لهٗ ليَعرِف لماخُلق له «وَ هُوَ الْعَاصِي الْغِرُّ» و هو الَّذِيْ لا تجربة له «الْغَبِيُّ» و هو الَّذِيْ لا فطنة له المشار إليه في قوله تعالٰى:

﴿وَ لَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيْرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْاِنْسِ لَهُمْ قُلُوْبٌ لَّا يَفْقَهُوْنَ بِهَا وَ لَهُمْ

اَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُوْنَ بِهَا وَ لَهُمْ اٰذَانٌ لَّا يَسْمَعُوْنَ بِهَا اُولٰٓئِكَ كَالْاَنْعَامِ بَلْ هُمْ اَضَلُّ ط اُولٰٓئِكَ هُمُ الْغٰفِلُوْنَ﴾ [الاعراف،رقم السورة:٧،رقم الآية:١٧٩]

لأنه «سَفْسَافٌ» و هو الردي من كل شيء والأمر الحقير و ما دق من التراب، كذا في القاموس «لَا يَعْبَا اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ بِهٖ» و لا يعتبره لأنه «لَا خَيْرَ فيهِ» إذ «هُوَ وَ اَمْثَالُهُ حُثَالَةٌ» بالحاء المهملة والثاء المثلثة ككُنَاسَةٍ القُشَارَةُ و ما لا خير فيه و الردي من كل شيء، كذا في القاموس «وَ لَا وَزْنَ لَهُمْ» عند الله تعالىٰ «اِلَّا اَنْ يَّعُمَّهُمُ اللهُ» الرحمن الرحيم، «بِرَحْمَتِهٖ» فإن رحمته وَسِعَتْ كل شيء «فيهْدِيْ قُلُوْبَهُمْ لِلْاِيْمَانِ بِهٖ» و بما جاء الرسل من عنده «وَ يُحَرِّكُ جَوَارِحَهُمْ بِالطَّاعَةِ لَهُ عَزَّ وَ جَلَّ» فيكونون مؤمنين مسلمين «فَاحْذَرْ» يا سالك «اَنْ تَكُوْنَ مِنْهُمْ» أي من العاصي الغرالغبي «وَ لَا تَلُذْ بِهِمْ» إن احتجت في السلوك «وَ لَا تَكْتَرِثْ» أي لا تبال «بِهِمْ» إن اجتمعت معهم «وَ لَا تَقُمْ فيهِمْ» يحتمل أن يكون من القيام أو من الإقامة والمآل واحد أي لا تخالطهم «فَاِنَّهُمْ اَهْلُ الْعَذَابِ وَالْغَضَبِ وَالسَّخْطِ سُكَّانُ النَّارِ وَ اَهْلُهَا» خالدين فيها «نَعُوْذُ بِاللهِ مِنْهُمْ» و لابد لك أن تَبْعُد عنهم، فإن للصحبة تأثيرا بليغا «اِلَّا أنْ تَكُوْنَ» يا سالك الطالب «مِنَ الْعُلَمَاءِ بِاللهِ عَزَّ وَ جَلَّ» فَحِيْنَئِذٍ لا بأس لك أن تصحبهم، لأنك «مِنْ مُعَلِّمِي الْخَيْرِ وَ» لا بد لك من اختلاطهم لأنك من «هُدَاةِ الدِّيْنِ» جمع هاد فلعل اختلاطك يكون سببا لهدايتهم إلى الدين «وَ» من «قُوَّادِهِمْ» جمع قائد أي تقودهم إلى الدين «وَ» من «دُعَاتِهٖ» جمع داع أي تدعوهم إلى الدين و إذا كنت كذلك «فَدُوْنَكَ» اسم فعل بمعنى خُذْ أي خذهم «فَأْتِهِمْ» و خالطهم «وَادْعُهُمْ اِلٰى طَاعَةِ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ» لأنك آمر بالمعروف «وَ حَذِّرْهُمْ عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ» لأنك ناه عن المنكر «فَكُنْتَ» بهذا الاختلاط والدعوة والتحذير «عِنْدَ اللهِ تَعَالٰى جِهْبِذًا» بالكسر النقاد الخبير، كذا في القاموس «فَتُعْطٰى ثَوَابَ الرُّسُلِ وَالْاَنْبِيَاءِ»

«قَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ لِعَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

"لِأَنْ يَّهْدِىَ الله بِهُدَاكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَّكَ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ"[1]
و هذا الرجل اما كافر او فاسق غال في الفسق يخشى عليه سوء الخاتمة.

وَالرَّجُلُ الثَّانِيْ: رَجُلٌ لَهُ لِسَانٌ بِلَا قَلْبٍ فينْطِقُ بِالْحِكْمَةِ وَ لَا يَعْمَلُ بِهَا، يَدْعُو النَّاسَ إِلَى الله عَزَّ وَ جَلَّ وَ هُوَ يَفِرُّ مِنْهُ عَزَّ وَ جَلَّ فيسْتَقْبِحُ عَيْبَ غَيْرِهٖ وَ يَدُوْمُ عَلَى مِثْلِهٖ فِي نَفْسِهٖ يُظْهِرُ لِلنَّاسِ تَنَسُّكًا وَ يُبَارِزُ الله عَزَّوَجَلَّ بِالْعَظَائِمِ مِنَ الْمَعَاصِيْ، إِذَا خَلَا ذِئْبٌ عَلَيْهِ ثِيَابٌ وَ هُوَ الَّذِيْ حَذَّرَ مِنْهُ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ بِقَوْلِهٖ:

أَخْوَفُ مَا اَخَافُ عَلَى أُمَّتِيْ كُلُّ مُنَافِقٍ عَلِيْمُ اللِّسَانِ.

وَ فِي حَدِيْث اٰخَرَ: "أَخْوَفُ مَا اَخَافُ عَلَى أُمَّتِيْ عُلَمَاءَ السُّوْءِ" نَعُوْذُ بِالله،

فَابْعُدْ مِنْهُ وَهَرْوِلْ لِئَلَّا يَخْتَطِفَكَ بِلَذِيْذِ لِسَانِهٖ فيحْرِقَكَ نَارُ مَعَاصِيْهِ وَ يَقْتُلَكَ نَتْنُ بَاطِنِهٖ وَ قَلْبِهٖ.

«وَالرَّجُلُ الثَّانِيْ رَجُلٌ لَهُ لِسَانٌ بِلَا قَلْبٍ فينْطِقُ بِالْحِكْمَةِ» و يتكلم بالموعظة و يذكر أقوال الأكابر «وَ» هو بنفسه «لَا يَعْمَلُ بِهَا يَدْعُو النَّاسَ إِلَى الله عَزَّ وَ جَلَّ» و يأمرهم بالخلوة والمجاهدة والتقوى «وَ هُوَ» بنفسه «يَفِرُّ مِنْهُ عَزَّ وَ جَلَّ» لاشتغاله في الخلوة بالمعاصي والملاهي و يزين نفسه بصورة الصلحاء والأتقياء و يدعي الخرافات «فيسْتَقْبِحُ عَيْبَ غَيْرِهٖ» و يظهره عند الناس «وَ» لا يسعى في تطهير باطنه بل «يَدُوْمُ عَلَى مِثْلِهٖ» أي مثل عيب غيره و هو «فِي نَفْسِهٖ يُظْهِرُ لِلنَّاسَ تَنَسُّكًا» أي عبادةً و ليس في قلبه إلا اهتمام تزيين الظاهر رياء و سمعة «وَ يُبَارِزُ الله» العليم الخبير «عَزَّ وَ جَلَّ بِالْعَظَائِمِ مِنَ الْمَعَاصِيْ» والملاهي «اِذَا خَلَا» فهو في الظاهر إنسان بصورة الصالحين، و في الباطن «ذِئْبٌ عَلَيْهِ ثِيَابٌ» فعوام الناس يغترون بظاهره و إبليس و جنوده يعينونه في باطنه من اقتدى به ضل «وَ هُوَ

(1) انظر جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر، باب جامع لنشر العلم، رقم الحديث: ٧٧٤، ١/ ٤٨٨

الذي» قال الله عَزَّ وَ جَلَّ فيه:

﴿اَتَاْمُرُوْنَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَ تَنسَوْنَ اَنْفُسَكُمْ وَ اَنْتُمْ تَتْلُوْنَ الْكِتَابَ ۚ اَ فَلَا تَعْقِلُوْنَ﴾[البقرة،رقم السورة:٢،رقم الآية:٤٤]

و قال أيضًا:

﴿يٰاَيُّهَا الذينَ اٰمَنُوْا لِمَ تَقُوْلُوْنَ مَا لَا تَفْعَلُوْنَ.كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَاللهِ اَنْ تَقُوْلُوْا مَا لَا تَفْعَلُوْنَ﴾ [الصف،رقم السورة:٦١، رقم الآية:٢-٣]

و «حَذَّرَ مِنْهُ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ» أيضًا «بِقَوْلِهِ: أَخْوَفُ مَا اَخَافُ عَلٰى أُمَّتِيْ كُلُّ مُنَافِقٍ عَلِيْمِ اللِّسَانِ»[1] فإن لسانه حبالة الشيطان «وَ» حَذَّرَ مِنْهُ أيضًا «فِي حَدِيْث اٰخَرَ: "أَخْوَفُ مَا اَخَافُ عَلٰى أُمَّتِيْ عُلَمَاءَ السُّوْءِ" نَعُوْذُ بِالله» مِنْ هٰذَا العلم، و من مثل هذا الرجل فأنت يا طالب إذا وجد ت مثل هذا الرجل «فَابْعُدْ مِنْهُ» بُعْدَكَ من الأسد بل أشد منه، فإن الأسد إنما يؤذي بدنك، و هذا الرجل يسلب عنك دينك «وَ هَرْوِلْ» منه «لِئَلَّا يَخْتَطِفَكَ» و يذهب بك «بِلَذِيْذِ لِسَانِهِ» و حلو كلامه فإن الصحبة تؤثر «فيحْرِقَكَ نَارُ مَعَاصِيْهِ» الباطنة «وَ يَقْتُلَكَ نَتْنُ بَاطِنِهِ» الخبيث «وَ قَلْبِهِ» الخسيس.

و هذا الرجل إما منافق أو ملحد يُرٰى في الظاهر أنه مع الله و هو في الباطن مع الشيطان، و إليه أشير في قوله تعالٰى:

﴿اَفَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ اِلٰهَهٗ هَوَاهُ وَاَضَلَّهُ الله عَلٰى عِلْمٍ وَ خَتَمَ عَلٰى سَمْعِهٖ وَ قَلْبِهٖ وَ جَعَلَ عَلٰى بَصَرِهٖ غِشٰوَةً ۚ فَمَنْ يَّهْدِيْهِ مِنْ ۢ بَعْدِ الله أَفَلَا تَذَكَّرُوْنَ﴾[الجاثية، رقم السورة:٤٥، رقم الآية:٢٣]

وَالرَّجُلُ الثَّالِثُ: قَلْبٌ بِلَا لِسَانٍ وَ هُوَ مُؤمِنٌ سَتَرَهُ الله عَنْ خَلْقِهٖ، وَ اَسْبَلَ عَلَيْهِ كَنِفَهٗ، وَ بَصَّرَهٗ بِعُيُوْبِ نَفْسِهٖ، وَ نَوَّرَ قَلْبَهٗ، وَ عَرَّفَهٗ غَوَائِلَ مُخَالَطَةِ النَّاسِ وَ شُؤمَ الْكَلَامِ وَ النُّطْقِ وَ تَيَقَّنَ اَنَّ السَّلَامَةَ فِي الصَّمْتِ وَ الْاِنْزِوَاءِ وَالْاِنْفِرادِ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ

(١) انظر مسند الإمام أحمد بن حنبل، رقم الحديث:١٤٣، ١/ ٢٨٨

وَ عَلٰى اٰلِهٖ وَ سَلَّمَ: مَنْ صَمَتَ نَجَا.
وَ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ عَلٰى اٰلِهٖ وَ سَلَّمَ:
اِنَّ الْعِبَادَةَ عَشَرَةُ اَجْزَاءٍ تِسْعَةٌ مِّنْهَا فِي الصَّمْتِ.
فَهٰذَا رَجُلٌ وَلِيُّ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ فِي سِتْرِ اللهِ مَحْفُوْظٌ ذُوْ سَلَامَةٍ وَ ذُوْ عَقْلٍ وَافِرٍ جَلِيْسُ الرَّحْمٰنِ مُنْعَمٌ عَلَيْهِ فَالْخَيْرُ كُلُّ الْخَيْرِ عِنْدَهٗ فَدُوْنَكَ مُصَاحَبَتَهٗ وَ مُخَالَطَتَهٗ وَ خِدْمَتَهٗ وَ التَّحَبُّبَ اِلَيْهِ بِقَضَاءِ حَوَائِجَ تَسْنَحُ لَهٗ وَ مُرَافِقٍ يَرْتَفِقُ بِهَا، فيحِبُّكَ اللهُ وَ يَصْطَفِيكَ وَ يُدْخِلُكَ فِي زُمْرَةِ اَحِبَّائِهٖ وَ عِبَادِهِ الصَّالِحِيْنَ بِبَرَكَتِهٖ اِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالٰى.

«وَالرَّجُلُ الثَّالِثُ: قَلْبٌ بِلَا لِسَانٍ وَ هُوَ مُؤمِنٌ» ولي لله عارف بالله «سَتَرَهُ اللهُ عَنْ» عيون «خَلْقِهٖ» فلا يظنونه إلا من أحاد الناس كما ورد في الحديث القدسي:

أوليائي تحت قبائي لا يعرفهم غيرى.[1]

«وَ اَسْبَلَ عَلَيْهِ كَنِفَهٗ» فلا يعرفه جن و لا إنس و لا ملك «وَ» أعرضه عن الناس و أشغله بتصفية نفسه إذ «بَصَّرَهٗ بِعُيُوْبِ نَفْسِهٖ، وَ» لا يرى عيب غيره لأن الله تعالٰى «نَوَّرَ قَلْبَهٗ» فلا يرى ما يَقْبحُهٗ إلا في نفسه فيسعى في دفعه «وَ» حبب إليه التفرد و الا نزواء لانه تعالٰى «عَرَّفَهٗ غَوَائِلَ مُخَالَطَةِ النَّاسِ» و صحبتهم «وَ» أعلمه «شُؤمَ الْكَلَامِ» الدنيوي «وَ» أفات «النُّطْقِ» بما لا يعني «وَ» تفرد عن الخلق لأنه «تَيَقَّنَ اَنَّ السَّلَامَةَ فِي الصَّمْتِ» والسكوت «وَ الْاِنْزِوَاءِ وَ الْاِنْفِرَادِ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ عَلٰى اٰلِهٖ وَ سَلَّمَ: «مَنْ صَمَتَ نَجَا».[2]

وأيضًا:"مَنْ سَكَتَ سَلِمَ وَ مَنْ سَلِمَ نَجَا"و أيضا: "اَلصَّمْتُ زَيْنٌ لِلْعَالِمِ وَ سِتْرٌ لِلْجَاهِلِ"[3]. «وَ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ عَلٰى اٰلِهٖ وَ سَلَّمَ» أيضًا:

---

(1) انظر تفسير الآسوي ج:١٧،ص:٢١٢

(2) رواه الترمذي برقم:٢٥٠١،وأحمد،٢/ ١٥٩، برقم:٦٤٨١، والدارمي برقم:٢٧٥٥،من حديث عبدالله بن عمرو.

(3) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن سفيان بن عيينة،٧/ ٨٦، برقم:٤٧٠١.

«اِنَّ الْعِبَادَةَ عَشَرَةُ اَجْزَاءٍ تِسْعَةٌ مِّنْهَا فِي الصَّمْتِ.» و قيل: لـمّا كان أمر اللسان أصعب جُعِل في حجابين الأسنان والشفتين. و كان الصديق رضي الله تعالىٰ عنه يجعل حجرا في الفم، و هذا حجاب ثالث «فَهٰذَا رَجُلٌ وَلِيٌّ الله عَزَّ وَ جَلَّ» عارف بالله دائم «فِي سِتْرِالله» يفاض عليه ألطافه «مَحْفُوْظٌ» عن الآفات «ذُوْ سَلَامَةٍ» عما يوحشه «وَ ذُوْ عَقْلٍ وَافِرٍ» و حظ كامل «جَلِيْسُ الرَّحْمٰنِ» أي مقرب منه «مُنْعَمٌ عَلَيْهِ» بأنواع العنايات «فَالْخَيْرُ كُلُّ الْخَيْرِ عِنْدَهٗ» فإذا وصلت إلى هذا الرجل «فَدُوْنَكَ» أي خذ «مُصَاحَبَتَهٗ» فلا تفارقه «وَ» عليك «مُخَالَطَتَهٗ» فلا تغب عنه طرفة عين. «وَ» اغتنم «خِدْمَتَهٗ وَ» اقصد «التَّحَبُّبَ اِلَيْهِ بِقَضَاءِ حَوَائِجَ تَسْنَحُ لَهٗ» و تعرض «وَ» هيئ له «مُرَافِقٍ» أي منافع «يَرْتَفِقُ بِهَا» و ينتفع «فيحِبُّكَ الله» بمحبة ولي الله «وَ يَصْطَفِيكَ» بخدمته «وَ يُدْخِلُكَ فِي زُمْرَةِ اَحِبَّائِهٖ» لمصاحبته «وَ» يجعلك من «عِبَادِهِ الصَّالِحِيْنَ» و إنما يحصل لك جميع ذلك «بِبَرَكَتِهٖ اِنْ شَاءَ الله تَعَالٰى».

وَالرَّجُلُ الرَّابِعُ: لِسَانٌ وَ قَلْبٌ وَ هُوَ الرَّجُلُ الْـمَدْعُوُّ فِي الْـمَلَكُوْتِ بِالْعَظَمَةِ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيْثِ: "مَنْ تَعَلَّمَ وَ عَمِلَ وَ عَلَّمَ دُعِيَ فِي الْـمَلَكُوْتِ عَظِيْمًا" وَ هُوَ الْعَالِمُ بِالله عَزَّ وَ جَلَّ وَ اٰيَاتِهٖ، اِسْتَوْدَعَ الله قَلْبَهٗ غَرَائِبَ عِلْمِهٖ، وَ اَطْلَعَهُ الله عَلٰى اَسْرَارٍ طَوَاهَا عَنْ غَيْرِهٖ، وَ اصْطَفَاهُ وَاجْتَبَاهُ وَ جَذَبَهٗ اِلَيْهِ وَ هَدَاهُ وَ وَقَاهُ اِلَيْه وَشَرَحَ صَدْرَهٗ لِقُبُوْلِ تِلْكَ الْاَسْرَارِ وَالْعُلُوْمِ وَ جَعَلَهٗ جِهْبِذًا وَ دَاعِيًا لِلْعِبَادِ وَ بَشِيْرًا نَذِيْرًا لَهُمْ وَ حُجَّةً فِيهِمْ هَادِيًا مَهْدِيًّا شَافِعًا مُشَفَّعًا صَادِقًا مُصَدَّقًا صِدِّيْقًا بَدَلًا لِرُسُلِهٖ وَ اَنْبِيَائِهٖ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتُهٗ وَ تَحِيَّاتُهٗ. وَ بَرَكَاتُهٗ فَهٰذَا هُوَ الْغَايَةُ وَ الْـمُنْتَهٰى فِي بَنِيْ اٰدَمَ، لَا مَنْزِلَةَ فَوْقَ مَنْزِلَتِهٖ اِلَّا النُّبُوَّةُ، فَعَلَيْكَ بِهٖ وَ احْذَرْ اَنْ تُخَالِفَهٗ وَ تُنَافِرَهٗ وَ تُجَانِبَهٗ، وَابْعُدْ اَنْ تُعَادِيَهٗ وَ تَرْكَ الْقُبُوْلَ مِنْهُ وَالرُّجُوْعَ اِلٰى قَوْلِهٖ وَ نَصِيْحَتِهٖ فَاِنَّ السَّلَامَةَ

فِيمَا يَقُوْلُ عِنْدَهٗ وَ الْهَلَاكَ وَالضَّلَالَ عِنْدَ غَيْرِهٖ اِلَّا مَنْ يُّوَفِّقُهُ اللهُ وَ يَمُدُّهٗ بِالسَّدَادِ وَالرَّحْمَةِ.

فَقَدْ قَسَّمْتُ لَكَ النَّاسَ فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ اِنْ كُنْتَ نَاظِرًا، وَ احْتَرِزْ لَهَا اِنْ كُنْتَ مُحْتَرِزًا لَهَا شَفِيقًا عَلَيْهَا هَدَانَا اللهُ وَ اِيَّاكَ لِمَا يُحِبُّهٗ وَ يَرْضَاهُ دُنْيَا وَ اُخْرٰى بِرَحْمَتِهٖ.

«وَالرَّجُلُ الرَّابِعُ لِسَانٌ وَ قَلْبٌ وَ هُوَ» فوق الكل إذ هو «الرَّجُلُ الْمَدْعُوُّ فِي الْمَلَكُوْتِ» والعالم العلوي بالعظيم و يوصف «بِالْعَظَمَةِ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيْثِ: مَنْ تَعَلَّمَ» علما «وَ عَمِلَ به وَ عَلَّمَ النَّاسَ دُعِيَ فِي الْمَلَكُوْتِ عَظِيْمًا، وَ» هذا الرجل «هُوَ الْعَالِمُ بِاللهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ» العارف بأسرار «اٰيَاتِهٖ» و هو الَّذِيْ «اِسْتَوْدَعَ اللهُ قَلْبَهٗ غَرَائِبَ عِلْمِهٖ» و هو العلم اللدني «وَ أَطْلَعَهُ اللهُ عَلٰى أَسْرَارٍ طَوَاهَا عَنْ غَيْرِهٖ وَ» انما استودعها فيه لأنه «اصْطَفَاهُ» من بين عباده «وَاجْتَبَاهُ» من بين أوليائه «وَ» إنما أطلعه على الأسرار لأنه «جَذَبَهٗ اِلَيْهِ» و جعل قلبه أمينا عليها «وَ هَدَاهُ» إلى الصراط المستقيم «وَ وَقَاهُ» من الالتفات إلى غيره بالسكون «اِلَيْهِ وَ» إنما أعطاه ذلك لأنه «شَرَحَ صَدْرَهٗ» و وسع قلبه «لِقُبُوْلِ تِلْكَ الْاَسْرَارِ وَالْعُلُوْمِ وَ جَعَلَهٗ جِهْبِذًا» بالكسر أي نقادا خبيرا «وَ دَاعِيًا» إلى الله «لِلْعِبَادِ» باذنه «وَ» جعله «بَشِيْرًا وَ نَذِيْرًا لَهُمْ وَ حُجَّةً فيهِمْ» من عند الله و رَقّٰه إلى أن صار «هَادِيًا» للطالبين «مَهْدِيًّا» لهم «شَافِعًا» لهم «مُشَفَّعًا» مقبول الشفاعة فيهم «صَادِقًا» في القول «مُصَدَّقًا» عند الناس «صِدِّيْقًا» عند الله أرسله إلى عباده «بَدَلًا لِرُسُلِهٖ وَ اَنْبِيَائِهٖ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتُهٗ وَ تَحِيَّاتُهٗ وَ بَرَكَاتُهٗ فَهٰذَا» الترقى «هُوَ الْغَايَةُ» في المراتب «وَ الْمُنْتَهٰى فِي» ترقي «بَنِيْ اٰدَمَ» إذ «لَا مَنْزِلَةَ فَوْقَ مَنْزِلَتِهٖ اِلَّا النُّبُوَّةُ» إذا وجدت هذا الرجل »فَعَلَيْكَ بِهٖ» و اغتنم صحبته «وَ احْذَرْ اَنْ تُخَالِفَهٗ» قولا أو فعلا «وَ» لا تنظر إلى ما «تُنَافِرَهٗ وَ تُجَانِبَهٗ وَابْعُدْ اَنْ تُعَادِيَهٗ وَ تَتْرُكَ الْقُبُوْلَ مِنْهُ وَ» عليك «الرُّجُوْعَ اِلٰى قَوْلِهٖ وَ» الإصغاء إلى «نَصِيْحَتِهٖ فَاِنَّ» الله تعالٰى جعله خليفة له في أرضه و وضع

«السَّلَامَةَ فيمَا يَقُوْلُ» وَ هيأالكمال «عِنْدَهُ وَ» جَعَلَ «الْهَلَاكَ وَالضَّلَالَ عِنْدَ غَيْرِهِ» لأنك إن عاديته أضرك و إن أحببته لم ينفعك و إن صحبته لم يفدك «اِلَّا» إذا كان ذلك الغير «مَنْ يُّوَفِّقَهُ الله وَ يَمُدُّهُ بِالسَّدَادِ وَالرَّحْمَةِ» فلعل صحبته تفيدك و إن لم تبلغ الكمال.

إذا عرفت ما ذكرتُ لك «فَقَدْ» علمتَ أني «قَسَّمْتُ لَكَ النَّاسَ» و ذكرت أقسامَه الأربعة «فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ» و تدبر قلبك «اِنْ كُنْتَ نَاظِرًا» أنك من أي قسم منها «وَ احْتَرِزْ لَهَا» عما يضرك «اِنْ كُنْتَ مُحْتَرِزًا لَهَا» و كن «شَفيقًا عَلَيْهَا هَدَانَا الله وَ اِيَّاكَ لِمَا يُحِبُّهُ» من القول والعمل «وَ يَرْضَاهُ» به «دُنْيَا وَ اُخْرٰى بِرَحْمَتِهٖ»

اَلْمَقَالَةُ الرَّابِعَةُ وَالثَّلٰثُوْنَ

في دَفْعِ السَّالِكِ سَخْطَهُ عَلَى الرَّبِّ تَعَالٰى وَالتُّهْمَةَ لَهُ وَالتَّشَكِّيْ عَنْهُ تَعَالٰى

قَالَ رَضِيَ اللهُ تَعَالٰى عَنْهُ: مَا اَعْظَمَ تَسَخُّطَكَ عَلٰى رَبِّكَ تُهْمَتَكَ لَهُ وَ اِعْتِرَاضَكَ عَلَيْهِ وَ اِنْتِسَابَكَ لَهُ عَزَّ وَ جَلَّ إلى الظُّلْمِ وَ اِسْتِبْطَاءَكَ سُبْحَانَهُ فِي الرِّزْقِ وَ الْغِنٰى وَ فِي كَشْفِ الْكَرْبِ وَ الْبَلْوٰى اَمَا تعْلَمُ اَنَّ لِكُلِّ أجلٍ كِتَابًا وَ لِكُلِّ بَلِيَّةٍ وَ كُرْبَةٍ غَايَةً وَ مُنْتَهٰى وَ نَفَادًا لَا يَتَقَدَّمُ ذٰلِكَ وَ لَا يَتَاَخَّرُ، اَوْقَاتُ الْبَلَايَا لَا تَنْقَلِبُ فيصِيْرُ عَوَافِي وَ وَقْتُ الْبُؤْسِ لَا يَنْقَلِبُ نِعْمَةً، وَ حَالَةُ الْفَقْرِ لَا يَسْتَحِيْلُ غِنًا.

«قَالَ رَضِيَ اللهُ تَعَالٰى عَنْهُ: مَا اَعْظَمَ تَسَخُّطَكَ» يا مضطرب «عَلٰى رَبِّكَ» و ما أعظم «تُهْمَتكَ لَهُ» عَزَّ وَ جَلَّ في تأخير حصول المطلوب «وَ» ما اعظم «أعْتِرَاضَكَ عَلَيْهِ» بأنه لا يوصلك إلى مطلوبك «وَ» ما أعظم «اِنْتِسَابكَ لَهُ عَزَّ وَ جَلَّ إلى الظُّلْمِ» حيث أيستَ من حصوله «وَ» ما أعظم «اِسْتِبْطَاءكَ سُبْحَانَهُ» في إيصال الرِّزْقِ اليك «وَ» ما أعظم استعجالك في حصول «الْغِنٰى» قبل وقته «وَ» ما أضيق صدرك «فِي كَشْفِ الْكَرْبِ وَ» دفع «الْبَلْوٰى» قبل حلول زمان انقضائه «اَمَا تَعْلَمُ اَنَّ اللهَ» قرر «لِكُلِّ أجلٍ كِتَابًا» لا تغير فيه و لا تبدل «وَ» عيّن «لِكُلِّ بَلِيَّةٍ وَ كُرْبَةٍ غَايَةً وَ مُنْتَهٰى وَ نَفَادًا» أي انقضاء «لَا يَتَقَدَّمُ ذٰلِكَ» البلاء والكربة على تلك الغاية والمنتهى و وقت النفاد «وَ لَا يَتَاَخَّرُ» عنه إذ «اَوْقَاتُ الْبَلَايَا لَا تَنْقَلِبُ» بالدعاء والحيل «فيصِيْرُ عَوَافِي وَ وَقْتُ الْبُؤْسِ» و الشدة «لَا يَنْقَلِبُ نِعْمَةً» و رخاء «وَ» كذا «حَالَةُ الْفَقْرِ لَا يَسْتَحِيْلُ غِنًا» فلا فائدة للاضطراب و ضيق الصدر.

اَحْسِنِ الْاَدَبَ وَاَلْزَمِ الصَّمْتَ وَ الصَّبْرَ وَ الرِّضَا وَ الْمُوَافَقَةَ لِرَبِّكَ، وَ تُبْ عَنْ سَخَطِكَ عَلَيْهِ وَ عَنْ تُهْمَتِكَ لَهُ فِي فِعْلِهِ اذ لَيْسَ

هُنَاكَ اِسْتِيْفَاءٌ وَ اِنْتِقَامٌ مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ وَ عَلَى الطَّبْعِ كَمَا هُوَ فِي حَقِّ الْعَبِيْدِ بَعْضِهِمْ فِي بَعْضٍ، هُوَ عَزَّ وَ جَلَّ مُتَفَرِّدٌ بِالْاَزَلِ وَ سَبَقَ الْاَشْيَاءَ وَ خَلَقَهَا وَ خَلَقَ مَصَالِحَهَا وَ مَفَاسِدَهَا فَعَلِمَ اِبْتِدَاءَهَا وَ اِنْتِهَاءَهَا وَ اِنْقِضَاءَهَا وَ عَاقِبَتَهَا، وَ هُوَ عَزَّ وَ جَلَّ حَكِيْمٌ فِي فِعْلِهٖ مُتقِنٌ فِي صُنْعِهٖ لَا تَنَاقُضَ فِي فِعْلِهٖ، لَا يَفْعَلُ عَبَثًا وَ لَا يَخْلُقُ بَاطِلًا وَ لَا لَعِبًا، وَ لَا يَجُوْزُ عَلَيْهِ النَّقَائِصُ وَ لَا اللَّوْمُ فِي اَفْعَالِهٖ فَانْتَظِرِ الْفَرَجَ اِنْ عَجِزْتَ عَنْ مُوَافَقَتِهٖ عَزَّ وَ جَلَّ وَ عَنِ الرِّضَا وَ الْغِنَا فِي فِعْلِهٖ اِلَى اَنْ يَبْلُغَ الْكِتَابُ اَجَلَهٗ فَتَسْفِرُ الْحَالَةُ عَنْ ضِدِّهَا بِمُرُوْرِ الزَّمَانِ وَ اِنْقِضَاءِ الْاٰجَالِ كَمَا يَنْقَضِي الشِّتَاءُ عَنِ الصَّيْفِ وَ يَنْقَضِى اللَّيْلُ فيسْفِرُ عَنِ النَّهَارِ، فَاِذَا طَلَبْتَ ضَوْءَ النَّهَارِ وَ نُوْرَهٗ بَيْنَ الْعِشَائَيْنِ لَمْ تُعْطَهٗ بَلْ يَزْدَادُ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ حَتّٰى اِذَا بَلَغَتِ الظُّلْمَةُ غَايَتَهَا وَ طَلَعَ الْفَجْرُ وَ جَاءَ النَّهَارُ بِضَوْئِهٖ طَلَبْتَ ذٰلِكَ وَ اَرَدْتَّهٗ اَوْ سَكَتَّ عَنْهُ وَ كَرِهْتَهٗ، فَاِنْ طَلَبْتَ اِعَادَةَ اللَّيْلِ حِيْنَئِذٍ لَمْ تُجَبْ دَعْوَتُكَ وَ لَمْ تُعْطَ لِاَنَّكَ حِيْنَئِذٍ طَلَبْتَ الشَّيْءَ فِي غَيْرِ حِيْنِهٖ وَ وَقْتِهٖ فَتَبْقٰى حَسِيْرًا وَ مُنْقَطِعًا مُتَسَخِّطًا خَجِلًا

فعليك أن «اَحْسِنِ الْاَدَبَ» مع الرب عَزَّ وَ جَلَّ «وَالْزَمِ الصَّمْتَ» بالقلب واللسان «وَ» داوم «الصَّبْرَ» على ما أنت فيه «وَ» لازم «الرِّضَا» بما ورد عليك «وَ» عليك «الْمُوَافَقَةَ لِرَبِّكَ» فان الخير كل الخير في ذلك «وَ تُبْ» إلى الله العزيز الغفار «عَنْ سَخَطِكَ عَلَيْهِ وَ» اغسل قلبك «عَنْ تُهْمَتِكَ لَهٗ» سبحانه «فِي فِعْلِهٖ إِذْ لَيْسَ» لك عليه تعالٰى حق تطلبه فلا يوجد «هُنَاكَ اِسْتِيْفَاءٌ» لك منه تعالٰى «وَ» تب إليه عن الاعتراض عليه و الانتساب إلى الظلم إذ لا يكون منه «اِنْتِقَامٌ مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ» من العبد «وَ» ليس انتقامه «عَلَى» مقتضى «الطَّبْعِ» و ذاته لينتقم من العبد بلا ذنب منه «كَمَا هُوَ» أي الانتقام يظهر «فِي حَقِّ الْعَبِيْدِ بَعْضِهِمْ فِي» حق «بَعْضٍ» فإن الانتقام في بعض العباد طبيعي والله تعالٰى منزه عن ذلك إذ «هُوَ عَزَّ

وَ جَلَّ» متصف بالكمال «مُتَفَرِّدٌ» بذاته و صفاته «بِالْاَزَلِ وَ» لذا «سَبَقَ الْاَشْيَاءَ» كلها «وَ خَلَقَهَا» بلا إعانة معين «وَ خَلَقَ» في جميعها «مَصَالِحَهَا وَ مَفَاسِدَهَا» فإذا استعملها العبد في محلها الصالح صلحت و نفعت، و في محلها الفاسد فسدت و ضرت «فَعَلِمَ اِبْتِدَاءَهَا وَ اِنْتِهَاءَهَا وَ اِنْقِضَاءَهَا وَ عَاقِبَتَهَا» على مقتضى علمه الأزلي «وَ هُوَ عَزَّ وَ جَلَّ» إنما فعل ذلك لأنه «حَكِيْمٌ فِي فِعْلِهٖ» ما فعل شيئا إلا على مقتضى حكمته «مُتقِنٌ فِي صُنْعِهٖ» ما صنع شيئا إلا على وجه الاتقان «لَا تَنَاقُضَ فِي فِعْلِهٖ» أصلا لأن لكل فعل من أفعاله موضعا على حدة «لَا يَفْعَلُ عَبَثًا» كل فعله و صنعه مشتمل على حكم و مصالح «وَ لَا يَخْلُقُ بَاطِلًا وَ لَا لَعِبًا» كما قال تعالىٰ:

﴿وَ مَا خَلَقْنَا السَّمَآءَ وَالْاَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا﴾[صٓ، رقم السورة:٣٨. رقم الآية:٢٧]

«وَ لَا يَجُوْزُ عَلَيْهِ النَّقَائِصُ وَ لَا» يسوغ «اللَّوْمُ فِي اَفْعَالِهٖ» لأنها كلها على منهج الصواب إذا علمتَ ذلك «فَ» عليك أن «اِنْتَظِرِ الْفَرَجَ» مما أهمك و ما ضاق به صدرك «اِنْ عَجِزْتَ عَنْ مُوَافَقَتِهٖ عَزَّ وَ جَلَّ» والصبر عليه «وَ عَنِ الرِّضا» فيما قسمه لك «وَ» عن «الْغِنَا فِي فِعْلِهٖ اِلٰى اَنْ يَبْلُغَ الْكِتَابُ» الَّذِيْ كتب الله لك «اَجَلَهٗ» وأمده فإذا بلغ الكتاب أجله «فتسْفِرُ» سفر الصبح، يسفر أضاء و أشرق كذا في القاموس أي تكشف «الْحَالَةُ» التي تريدها و تنظرها «عَنْ ضِدِّهَا» الَّذِيْ كان قبل «بِمُرُوْرِ الزَّمَانِ» المعلوم عند الله تعالىٰ «وَ اِنْقِضَاءِ الْاٰجَالِ» التي تقررت عنده سبحانه فتتبدل حالة البلاء و الفقر والحزن والمرض بالنعمة والغناء والفرح والصحة «كَمَا» ترى في هذا العالم أنه «يَنْقَضِى الشِّتَاءُ» عند انقضاء أجله و أمده «فيسْفِرُ» و ينكشف «عَنِ الصَّيْفِ وَ» كما أنه «يَنْقَضِي اللَّيْلُ فيسْفِرُ عَنِ النَّهَارِ فَإِذَا طَلَبْتَ ضَوْءَ النَّهَارِ وَ نُوْرَهٗ بَيْنَ الْعِشَائَيْنِ» أو بعده «لَمْ تُعْطَهٗ» البتة «بَلْ» يَعُدُّك الناس من المجانين والسفهاء لأن هذا الوقت «يَزْدَادُ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ» على ما جرت به العادة الإلٰهية «حَتّٰى إذَا بَلَغَتِ الظُّلْمَةُ غَايَتَهَا» و

وصل وقت انقضائها «وَ» ذلك حين «طَلَعَ الْفَجْرُ» ذهب الليل بظلمته «وَ جَاءَ النَّهَارُ بِضَوْئِهٖ» هكذا جرت عادة الله تعالٰى سواء «طَلَبْتَ ذٰلِكَ» الضوء «وَ اَرَدْتَّهٗ أَوْ سَكَتَّ عَنْهُ وَ كَرِهْتَهٗ» و ليس لأحد مدخل في ذلك «فَاِنْ طَلَبْتَ اِعَادَةَ اللَّيْلِ حِيْنَئِذٍ» أي حين ظهر النهار «لَمْ تُجَبْ دَعْوَتُكَ وَ لَمْ تُعْطَ» مطلوبك «لِاَنَّكَ حِيْنَئِذٍ طَلَبْتَ الشَّيْءَ فِي غَيْرِ حِيْنِهٖ وَ» ضيعت عمرك في الطلب من غير «وَقْتِهٖ» و هكذا لو كنت طلبت المطالب في غير أوقاتها «فَتَبْقٰى حَسِيْرًا» قال في القاموس حسر البصر يحسر حسورا و هو حسير و محسور كَلَّ و انقطع من طول مدى، و حسر عليه حسرة و حسرا فهو حسير تلهف، وحَسِرَ: أعيا «وَ» تصير «مُنْقَطِعًا» عن الرب عَزَّ وَ جَلَّ و تكون «مُتَسَخِّطًا» عليه «خَجِلًا» في نفسك.

فَارِحْ هٰذَا كُلَّهٗ وَ الْزَمِ الْمُوَافَقَةَ وَ حُسْنَ الظَّنِّ بِرَبِّكَ وَ الصَّبْرَ الْجَمِيْلَ فَمَا كَانَ لَكَ لَا تُسْلَبْ وَ مَا لَيْسَ لَكَ لَا تُعْطٰى لَعَمْرِيْ اِنَّكَ تَدْعُوْ وَ تَبْتَهِلُ اِلٰى رَبِّكَ بِالدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ عِبَادَةً وَ طَاعَةً اِمْتِثَالًا لِاَمْرِهٖ عَزَّ وَ جَلَّ فِي قَوْلِهٖ تَعَالٰى:

ادْعُوْنِيْٓ اَسْتَجِبْ لَكُمْ. [المؤمن، رقم السورة:٤٠، رقم الآية:٦٠]

وَ فِي قَوْلِهٖ: وَا سْئَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهٖ.[النساء، رقم السورة:٤، رقم الآية:٣٢]

وَ غَيْرِ ذٰلِكَ مِنَ الْاٰيَاتِ وَ الْاَخْبَارِ أنت تَدْعُوْهُ عَزَّ وَ جَلَّ وَ هُوَ يَسْتَجِيْبُ لَكَ عِنْدَ حِيْنِهٖ وَ وَقْتِهٖ وَ اَجَلِهٖ اِذَا اَرَادَ اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ اَوْ كَانَ لَكَ فِي ذٰلِكَ مَصْلِحَةُ دُنْيَاكَ وَ أُخْرَاكَ أو وَافَقَ قَضَائَهٗ وَ اِنْتِهَاءُ اَجَلِهٖ فَعَلَيْكَ لَا تَتَّهِمْهُ فِي تَاخِيْرِ الْاِجَابَةِ وَ لَا تَسَاَمْ مِنْ دُعَائِكَ فَاِنَّكَ اِنْ لَمْ تَرْبِحْ لَمْ تَخْسِرْ فِيهِ، اِنْ لَمْ يُجِبْكَ عَاجِلًا اَثَابَكَ اٰجِلًا فَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيْثِ: "اِنَّ الْعَبْدَ يَرٰى فِي صَحَائِفِهٖ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ حَسَنَاتٍ لَا يَعْرِفُهَا

فيقَالُ لَهُ اِنَّهَا بَدَلُ سُؤَالِكَ فِي الدُّنْيَا الَّذِيْ لَمْ يُقَدَّرْ قَضَائُهُ فيهَا" اَوْ كَمَا وَرَدَ. ثُمَّ اَقَلُّ اَحْوَالِكَ اَنَّكَ تَكُوْنُ ذَاكِرًا لِرَبِّكَ مُوَحِّدًا لَهُ حَيْثُ تَسْاَلُهُ وَ لَمْ تَسْاَلْ غَيْرَهُ وَ لَمْ تُنْزِلْ حَاجَتَكَ بِغَيْرِهٖ عَزَّ وَ جَلَّ فَأنت بَيْنَ الحَالتينِ فِي زَمَانِكَ كُلِّهٖ لَيْلِكَ وَ نَهَارِكَ صِحَّتِكَ وَ سُقْمِكَ وَ بُؤسِكَ وَ نَعْمَائِكَ وَ شِدَّتِكَ وَ رَخَائِكَ، وَ اَمَّا اَنْ تُمْسِكَ عَنِ السُّؤَالِ وَ تَرْضٰى وَ تَوَافَقَ وَ تَسْتَرْسِلَ لِفِعْلِهٖ عَزَّ وَ جَلَّ كَالْمَيِّتِ بَيْنَ يَدَى الْغَاسِلِ، وَ الطِّفْلِ الرَّضِيْعِ فِي يَدِ الظِّئْرِ، وَ الْكُرَةِ بَيْنَ يَدَيِ الْفَارِسِ يُقَلِّبُهَا بِالصَّوْلَجَانِ فيقَلِّبُكَ الْقَدْرُ كَيْفَ يَشَاءُ اِنْ كَانَ النَّعْمَاءُ فَمِنْكَ الشُّكْرُ وَالثَّنَاءُ وَ مِنْهُ عَزَّ وَ جَلَّ الْمَزِيْدُ فِي الْعَطَاءِ كَمَا قَالَ ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَاَزِيْدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم، رقم السورة:١٤، رقم الآية:٧]

وَ اِنْ كَانَ الْبَاْسَاءُ فَالصَّبْرُ وَ الْمُوَافَقَةُ مِنْكَ بِتَوْفيقِهٖ عَزَّوَجَلَّ وَ التَّثْبِيْتُ وَ النُّصْرَةُ وَالصَّلٰوةُ وَالرَّحْمَةُ مِنْهُ عَزَّوَجَلَّ بِفَضْلِهٖ كَمَا قَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ:

اِنَّ اللهَ مَعَ الصّٰبِرِيْنَ. [البقرة. رقم السورة:٢، رقم الآية١٥٣]

بِالنَّصْرِ وَالتَّثْبِيْتِ وَ كَيْفَ لَا يَكُوْنُ الْحَقُّ مَعَ الصَّابِرِ يْنَ بِنَصْرِهٖ وَ تَثْبِيْتِهٖ وَ هُوَ لِعَبْدِهٖ نَاصِرٌ لَهُ عَلٰى نَفْسِهٖ وَ عَلٰى هَوَاهُ وَعَلٰى شَيْطَانِهٖ قَالَ:

اِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَ يُثَبِّتْ اَقْدَامَكُمْ.[محمد، رقم السورة:٤٧، رقم الآية:٧]

فَاِذَا نَصَرْتَ اللهَ فِي مُخَالَفَةِ نَفْسِكَ وَ هَوَاكَ بِتَرْكِ الْاِعْتِرَاضِ عَلَيْهِ وَ التَّسَخُّطِ لِفِعْلِهٖ فيكَ وَ كُنْتَ خَصْمًا عَلٰى نَفْسِكَ سَيَّافًا لَهُ عَلَيْهَا كُلَّمَا تَحَرَّكَتْ بِكُفْرِهَا وَ شِرْكِهَا وَ رَعُوْنَتِهَا جَزَّزْتَ رَاْسَهَا بِصَبْرِكَ وَ مُوَافَقَتِكَ لِرَبِّكَ وَ الطُّمَانِيْنَةِ اِلٰى فِعْلِهٖ وَ وَعْدِهٖ وَ الرِّضَا بِهِمَا كَانَ اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ لَكَ مُعِيْنًا وَ نَاصِرًا.

إذا ثبت على لوح قلبك ما قلنا «فَأَزِحْ هٰذَا» الَّذِيْ ذُكِرَ من التسخط والتهمة و الاعتراض والانتساب إلى الظلم و غير ذلك، قال في القاموس: أَزَاحَ الأمرَ: قضاه، والشيء: أزاغه من موضعه و نحاه يعني ادفع ذلك «كُلَّهُ» عن قلبك «وَ الْزَمِ الْمُوَافَقَةَ» مع الرب سبحانه «وَ» اَدِم «حُسْنَ الظَّنِّ بِرَبِّكَ وَ» عليك «الصَّبْرَ الْجَمِيْلَ فَمَا كَانَ» الله قدر «لَكَ» في الأزل «لَا تُسْلَبُ» عنك «وَ مَا لَيْسَ» مقدرا «لَكَ» في علمه «لَا تُعْطٰى» و مع ذلك لا تظنن أن ليس لدعائك فائدة «لَعَمْرِيْ اِنَّكَ» مأمور بالدعاء و أن للدعاء حالتين أحدهما إنك «تَدْعُوْ وَ تَبْتَهِلُ» أي تجتهد و تخلص «اِلٰى رَبِّكَ بِالدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ» لكونه «عِبَادَةٌ» لربك «وَ طَاعَةٌ» له «اِمْتِثَالًا لِاَمْرِهٖ عَزَّ وَ جَلَّ» راجيا منه الاستجابة و ذلك الأمر «فِي قَوْلِهٖ تَعَالٰى:»

﴿وَ قَالَ «رَبُّكُمُ ادْعُوْنِيْٓ اَسْتَجِبْ لَكُمْ» ؕ اِنَّ الذينَ يَسْتَكْبِرُوْنَ عَنْ عِبَادَتِيْ﴾ أي دعائي ﴿سَيَدْخُلُوْنَ جَهَنَّمَ دٰخِرِيْنَ﴾ [المؤمن، رقم السورة: ٤٠. رقم الآية: ٦٠]

وَ فِي قَوْلِهٖ: ﴿وَ سْئَلُوا الله مِنْ فَضْلِهٖ﴾ [النساء: ٤/ ٣٢]

«وَ غَيْرِ ذٰلِكَ مِنَ الْاٰيَاتِ وَ الْاَخْبَارِ» الواردة في الدعاء، و «أنت تَدْعُوْهُ عَزَّ وَ جَلَّ وَ هُوَ تعالٰى» اما «يَسْتَجِيْبُ لَكَ عِنْدَ حِيْنِهٖ وَ وَقْتِهٖ وَ اَجَلِهٖ» كما قال:

﴿اُجِيْبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ اِذَا دَعَانِ﴾[البقرة،رقم السورة: ٢، رقم الآية: ١٨٦]

و إما يؤخر استجابته لتظهر «اِذَا اَرَادَ الله عَزَّ وَ جَلَّ» قريبا كان أو بعيدا «اَوْ» يبدله و يعوض إذا «كَانَ لَكَ فِي» تعويض «ذٰلِكَ» و تبديله «مَصْلِحَةُ دُنْيَاكَ وَ اُخْرَاكَ، أَوْ» يوخر إذ «وَافَقَ» ذلك التأخير «قَضَائُهُ» في الأزل «وَ اِنْتِهَاءُ اَجَلِهٖ» المعلوم له «فَعَلَيْكَ» أن «لَا تَتَّهِمْهُ فِي تَأخِيْرِ الْاِجَابَةِ» و تبديله بل «وَ» عليك أن «لَا تَسْاَمْ مِنْ دُعَائِكَ فَاِنَّكَ اِنْ لَمْ تَرْبحْ» بدعائك «لَمْ تَخْسِرْ فيهِ» لأنه تعالٰى «اِنْ لَمْ يُجِبْكَ عَاجِلًا اَثَابَكَ اٰجِلًا» و دعاء المومن لا يرد «فَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيْثِ: "اِنَّ الْعَبْدَ يَرٰى فِي صَحَائِفِهٖ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ حَسَنَاتٍ لَا يَعْرِفُهَا» و ذلك لأنه يعلم أنه لم يعمل تلك الحسنات في الدنيا «فيقَالُ لَهٗ: اِنَّهَا بَدَلُ سُؤَالِكَ فِي الدُّنْيَا الَّذِيْ لَمْ يُقَدَّرْ قَضَائُهٗ فيهَا، اَوْ كَمَا وَرَدَ» فيكون هذا الحديث نقلا بالمعنى «ثُمَّ اَقَلُّ اَحْوَالِكَ» في الدعاء إن لم يستجب

«أَنَّكَ تَكُوْنُ ذَاكِرًا لِرَبِّكَ» فيعطيك ثواب الذاكرين «مُوَحِّدًا لَهُ حَيْثُ تَسْأَلُهُ وَ لَمْ تَسْأَلْ غَيْرَهُ» و أنزلت حاجتك إليه «وَ لَمْ تُنْزِلْ حَاجَتَكَ بِغَيْرِهِ عَزَّ وَ جَلَّ» فتكون من الموحدين «فَأنت» مذ خلقك الله إلى انقضاء عمرك جعلك «بَيْنَ الحَالتينِ» مضاد تين «فِي زَمَانِكَ» و عمرك «كُلِّهِ لَيْلِكَ» للسكون «وَ نَهَارِكَ» للكسب «صِحَّتِكَ» في بدنك «وَ سُقْمِكَ» السقم كجبل و قفل: المرض «وَ بُؤْسِكَ وَ نَعْمَائِكَ وَ شِدَّتِكَ وَ رَخَائِكَ» فإما أن تفتح أبواب السؤال عن الخلق على نفسك و تسخط على ربك و تتهمه و تعرض عليه «وَ اَمَّا أَنْ تُمْسِكَ عَنِ السُّؤالِ» من الخلق «وَ تَرْضٰى وَ تَوَافَقَ» ربك فيما فعل فيك «وَ تَسْتَرْسِلَ» أي تنبسط و تستأنس «لِفِعْلِهِ عَزَّ وَ جَلَّ» فيك و تكون «كَالْمَيِّتِ» الموضوع «بَيْنَ يَدَي الْغَاسِلِ» يحركه كيف يشاء «وَ» مثل «الطِّفْلِ الرَّضِيْعِ فِي يَدِ الظِّئْرِ تُرَبِّيْه» كيف يشاء و هو لا يعقل «وَ» مثل «الْكُرَةِ بَيْنَ يَدَى الْفَارِسِ يُقَلِّبُهَا بِالصَّوْلَجَانِ» بفتح الصاد واللام معرب چوكان كيف يشاء «فيقَلِّبُكَ الْقَدْرُ كَيْفَ يَشَاءُ اِنْ كَانَ» حالتك «النَّعْمَاءُ» والصحة والرخا «فَمِنْكَ» يطلب «الشُّكْرُ» عليها «وَالثَّنَاءُ» على الله تعالى «وَ» يكون «مِنْهُ عَزَّ وَ جَلَّ اَلْمَزِ يْدُ فِي الْعَطَاءِ» والنعماء «كَمَا قَالَ عَزَّ وَ جَلَّ:»

﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَاَزِ يْدَنَّكُمْ وَ لَئِنْ كَفَرْتُمْ اِنَّ عَذَابِيْ لَشَدِيْدٌ﴾[ابراهيم،رقم السورة:١٤. رقم الآية:٧]

قال الإمام القشيري: اَعْلَمَ ربكم أنكم إن شكرتم إنعامي لأزيدنكم من إكرامي و إن كفرتم إحسانى لأعذبنكم اليوم بامتحاني و غدا بفراقي و هجراني «وَ اِنْ كَانَ» حالتك «الْبَأْسَاءُ» والشدة والسقم «فَالصَّبْرُ» لازم عليك «وَالْمُوَافَقَةُ» مع القدر مطلوب «مِنْكَ بِتَوْفيقِهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَالتَّثْبِيْتُ» هوالبقاء على الاستفاء[1] و ترك العوج «وَالنُّصْرَةُ» على تحمل ماأصابك «وَالصَّلٰوةُ وَالرَّحْمَةُ» عليك «مِنْهُ عَزَّ وَ جَلَّ بِفَضْلِهِ كَمَا قَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ:»

﴿يٰاَيُّهَا الذينَ اٰمَنُوا اسْتَعِيْنُوْا بِالصَّبْرِ وَالصَّلٰوةِ «اِنَّ الله مَعَ الصّٰبِرِيْنَ»﴾

(1) هكذا في المخطوطة، ولعل الصواب: الاستقامة.

[البقرة، رقم السورة:٢، رقم الآية:١٥٣]

يعني كونه تعالٰى معهم إنما هو «بِالنَّصْرِ» لهم «وَالتَّثْبِيْتِ» إياهم «وَ كَيْفَ لَا يَكُوْنُ الْحَقُّ» عزوجل «مَعَ الصَّابِرِ يْنَ بِنَصْرِهٖ» لهم «وَ تَثْبِيْتِهٖ» إياهم «وَ هُوَ» أي الله تعالٰى «لِعَبْدِهٖ نَاصِرٌ لَهٗ» في جميع أموره فينصره «عَلٰى نَفْسِهٖ» الأمارة «وَ» يغلبه «عَلٰى هَوَاهُ وَ» يظفره «عَلٰى شَيْطَانِهٖ، قَالَ الله عَزَّوَجَلَّ:»

«﴿إِنْ تَنْصُرُوا الله يَنْصُرْكُمْ وَ يُثَبِّتْ اَقْدَامَكُمْ﴾»[محمد:٤٧]

«فَإِذَا» صبرت على ما أصابك و وافقتَ مع الرب عَزَّ وَ جَلَّ و «نَصَرْتَ الله» أي طلبت النصرة منه «فِي مُخَالَفَةِ نَفْسِكَ» الأمارة بالسوء «وَ» مخالفة «هَوَاكَ بِتَرْكِ الْاِعْتِرَاضِ عَلَيْهِ» سبحانه فيما ضاق به صدرك «وَ» في ترك «التَّسَخُّطِ» عليه تعالٰى «لِفِعْلِهٖ فيكَ» على ما أراد «وَ كُنْتَ خَصْمًا عَلٰى نَفْسِكَ سَيَّافًا لَهٗ» أي لله تعالٰى و من جانبه «عَلَيْهَا» أي على النفس و لا تغفل بل تنتظر أنها «كُلَّمَا تَحَرَّكَتْ بِكُفْرِهَا» للنعم «وَ شِرْكِهَا» الجلي والخفي «وَ رَعُوْنَتِهَا جَزَّزْتَ رَأْسَهَا» أي قطعته «بِصَبْرِكَ» على ما أصابك «وَ» قتلتها بسبب «مُوَافَقَتِكَ لِرَبِّكَ» فيما قضاه «وَ» طَرَدْتَها لأجل «الطَّمَانِيْنَةِ» والسكينة «اِلٰى فِعْلِهٖ» عَزَّ وَ جَلَّ «وَ» لا تلتفت إلى مكرها بالثقة على «وَعْدِهٖ» سبحانه «وَ» ادفع حيلها باختيار «الرِّضَا بِهِمَا» أي بفعل الله و وعده «كَانَ الله عَزَّ وَ جَلَّ» جواب إذا «لَكَ مُعِيْنًا وَ نَاصِرًا» فتظفر على النفس والشيطان والهوى فتكون من الفائز ين.

وَ اَمَّا الصَّلٰوةُ وَالرَّحْمَةُ فَقَوْلُهٗ عَزَّ وَ جَلَّ:

﴿وَ بَشِّرِ الصّٰبِرِيْنَ الذينَ اِذَآ اَصَابَتْهُمْ مُّصِيْبَةٌ قَالُوْٓا اِنَّا لِلّٰهِ وَاِنَّآ اِلَيْهِ رٰجِعُوْنَ. اُولٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوٰتٌ مِّنْ رَّبِّهِمْ وَ رَحْمَةٌ وَاُولٰٓئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُوْنَ﴾[البقرة، رقم السورة:٢، رقم الآية:١٥٦ إلى ١٥٨]

وَ الْحَالَةُ الْاُخْرٰى اَنَّكَ تَبْتَهِلُ اِلٰى رَبِّكَ عَزَّ وَ جَلَّ بِالدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ اِعْظَامًا لَهٗ وَ اِمْتِثَالًا لِاَمْرِهٖ وَفِيْهِ وَضْعُ الشَّيْءِ مَوْضِعَهٗ لِاَنَّهٗ

تَعَالٰى نَدَبَكَ اِلٰى سُؤَالِهٖ وَالرُّجُوْعِ اِلَيْهِ وَجَعَلَ ذٰلِكَ مُسْتَرَاحًا وَ رَسُوْلًا مِنْكَ اِلَيْهِ وَمُوَاصَلَةً وَ وَسِيْلَةً لَدَيْهِ بِشَرْطِ تَرْكِ التُّهْمَةِ لَهٗ وَ التَّسَخُّطِ عَلَيْهِ عِنْدَ تَاخِيْرِ الْاِجَابَةِ اِلٰى حِيْنِهَا، اعْتَبِرْ مَا بَيْنَ الْحَالتينِ وَ لَا تَكُنْ مِمَّنْ يُجَاوِز حَدَّهُمَا فَاِنَّهٗ لَيْسَ هُنَاكَ حَالَةٌ اُخْرٰى فَاحْذَرْ اَنْ تَطْلُبَ وَ تَكُوْنَ مِنَ الظَّالِمِيْنَ الْمُعْتَدِيْنَ فيهْلِكك عَزَّ وَ جَلَّ وَ لَا يُبَالِيْ كَمَا اَهْلَكَ مَنْ مَضٰى مِنَ الْاُمَمِ السَّالِفَةِ فِي الدُّنْيَا بِتَشْدِيْدِ بَلَائِهٖ وَ فِي الْاٰخِرَةِ بِاَلِيْمِ عَذَابِهٖ سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيْمِ يَا عَالِمًا بِحَالِيْ عَلَيْكَ اِتِّكَالِيْ.

«وَ اَمَّا الصَّلٰوةُ وَالرَّحْمَةُ» النازلتان من الله تعالٰى «فَقَوْلُهٗ عَزَّ وَ جَلَّ» يدل عليه: ﴿وَ بَشِّرِ الصّٰبِرِيْنَ. الذينَ اِذَآ اَصَابَتْهُمْ مُّصِيْبَةٌ ۙ قَالُوْٓا اِنَّا لِلّٰهِ وَاِنَّآ اِلَيْهِ رٰجِعُوْنَ. اُولٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوٰتٌ مِّنْ رَّبِّهِمْ وَ رَحْمَةٌ ۟ وَاُولٰٓئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُوْنَ﴾ [البقرة، رقم السورة:٢، رقم الآية:١٥٦ إلى ١٥٨] «وَ» أما «الْحَالَةُ الْاُخْرٰى» فهي «أَنَّكَ تَبْتَهِلُ» و تجتهد «اِلٰى رَبِّكَ عَزَّ وَ جَلَّ بِالدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ اِعْظَامًا لَهٗ» بذكر أسمائه الحسنى و صفاته العليا «وَ اِمْتِثَالًا لِاَمْرِهٖ» الَّذِيْ ورد في كتابه العزيز «وَ» لأن فِيْهِ وَضْعُ الشَّيْءِ مَوْضِعَهٗ» و ذلك «لِاَنَّهٗ تَعَالٰى نَدَبَكَ» أي جذبك «اِلٰى سُؤَالِهٖ» منه «وَالرُّجُوْعِ إِلَيْهِ وَ» لأنه «جَعَلَ ذٰلِكَ» الدعاء لك «مُسْتَرَاحًا وَ» جعله «رَسُوْلًا مِنْكَ اِلَيْهِ تعالٰى وَ» جعله «مُوَاصَلَةً» للرب عَزَّ وَ جَلَّ «وَ وَسِيْلَةً لَدَيْهِ» و جميع ذلك «بِشَرْطِ تَرْكِ التُّهْمَةِ لَهٗ» و ترك القول بأني أساله و لايعطيني «وَ» ترك «التَّسَخُّطِ عَلَيْهِ عِنْدَ تَاخِيْرِ الْاِجَابَةِ اِلٰى» مجيئ «حِيْنِهَا» ووقتها لا بد لك أن تدعو و أنت موقن بالإجابة فعليك يا أيها الداعي الموقن «اعْتَبِرْ مَا بَيْنَ الْحَالتينِ» و احفظْهما «وَ لَا تَكُنْ مِمَّنْ يُجَاوِز حَدَّهُمَا» و يطلب حالة ثالثة فييأس «فَاِنَّهٗ لَيْسَ هُنَاكَ» أي في مقام الدعاء «حَالَةٌ اُخْرٰى» مغائرة لهما «فَاحْذَرْ اَنْ تَطْلُبَ» حالة ثالثة «وَ تَكُوْنَ مِنَ الظَّالِمِيْنَ الْمُعْتَدِيْنَ فيهْلِكك» ربكَ «عَزَّ وَ جَلَّ، وَ لَا يُبَالِيْ» بإهلاكك «كَمَا اَهْلَكَ مَنْ مَضٰى مِنَ الْاُمَمِ السَّالِفَةِ» فإنه تعالٰى أهلكهم «فِي الدُّنْيَا

بِتَشْدِيْدِ بَلَائِهٖ» و أنواع نَكاله «وَ» يهلكهم «فِي الْاٰخِرَةِ بِاَلِيْمِ عَذَابِهٖ» و عظيم عقابه «سُبْحَانَ الله الْعَظِيْمِ» الَّذِيْ خلق الإنسان في أحسن تقو يم، و أعد لهم الجنة والنار «يَا عَالِمًا بِحَالِيْ» اكفني من سؤالي و لاتنظر إلى مقالي و ارزقني «عَلَيْكَ اِتِّكَالِيْ»

اَلْمَقَالَةُ الْخَامِسَةُ وَالثَّلٰثُوْنَ

فِي الْوَرَعِ بِتَرْكِ الرُّخْصَةِ وَ اِخْتِيَارِ الْعَظِيْمَةِ

قَالَ رَضِيَ اللهُ تَعَالٰى عَنْهُ: عَلَيْكَ بِالْوَرَعِ وَ اِلَّا فَالْهَلَاكُ فِي رِبْقِكَ مُلَازِمٌ لَكَ لَا تَنْجُوْ مَنْهُ اَبَدًا اِلَّا اَنْ يَتَغَمَّدَكَ اللهُ بِرَحْمَتِهٖ فَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيْثِ الْمَرْوِيِّ:

إِنَّ مَلَاكَ الدِّيْنِ الْوَرَعُ وَ هَلَاكَهُ الطَّمَعُ، وَ إِنَّ مَنْ حَامَ حَوْلَ الْحِمٰى يُوْشِكُ اَنْ يَقَعَ فِيهِ كَالرَّاتِعِ اِلٰى جَنْبِ الزَّرْعِ يُوْشِكُ اَنْ يَمُدَّ فَاهُ اِلَيْهِ لَا يَكَادُ اَنْ يَّسْلَمَ الزَّرْعُ مِنْهُ.(١)

وَ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: كُنَّا نَتْرُكُ تِسْعَةَ اَعْشَارِ الْحَلَالِ مَخَافَةً اَنْ نَقَعَ فِي الْحَرَامِ.(٢)

وَ عَنْ اَبِيْ بَكْرِن الصِّدِّيْقِ رَضِيَ اللهُ تَعَالٰى عَنْهُ: كُنَّا نَتْرُكُ سَبْعِيْنَ بَابًا مِنَ الْمُبَاحِ مَخَافَةً اَنْ نَقَعَ فِي الْجُنَاحِ.(٣)

---

(1) لم نجد في كتب الحديث حديثا بهذالسياق، وروى البيهقى عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ملاك الدين الورع". وفي الصحيحين و غيرهما عن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:الحلال بين، والحرام بين، وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه و عرضه، ومن وقع في الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا إن حمى الله في أرضه محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسدالحسد كله، ألا وهي القلب. انظر الصحيح للبخاري برقم:٥٢، باب فضل من استبرأ لدينه، كتاب الإيمان، والصحيح لمسلم في المساقاة باب أخذ الحلال وترك الشبهات برقم:١٥٩٩. المشاهدي

(2) ذكره الغزالي في الإحياء ٢/ ٩٥. عن عمر رضي الله عنه، وأخرجه عبدالرزاق في مصنفه بلفظ: "تركنا تسعة أعشارالحلال مخافة الربا" ٨/ ١٥٢، برقم: ١٤٦٨٣، كتاب البيوع، باب طعام الأمراء وأكل الربا.

(3) ذكره القشيري في رسالة القشيرية.

فَعَلُوْا ذٰلِكَ تَوَرُّعًا مِنْ مُقَارَبَةِ الْحَرَامِ اَخْذًا بِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلٰى اٰلِهٖ وَسَلَّمَ:

اَلَا اِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى وَحِمَى اللهِ تَعَالٰى مَحَارِمُهٗ فَمَنْ حَامَ حَوْلَ الْحِمٰى يُوْشِكُ اَنْ يَّقَعَ فِيهِ.[1]

«قَالَ رَضِيَ اللهُ تَعَالٰى عَنْهُ: عَلَيْكَ بِالْوَرَعِ» أي لازم الورع واستمسك به، و هو في اللغة: التقوى، و في الطريقة: ترك الرخصة والأخذ بالعزيمة «وَ اِلَّا» أي و إن لم تلازم و لا تستمسك به «فَالْهَلَاكُ» متحقق «فِي رِبْقِكَ» أي رقبتك كناية عن الذات «مُلَازِمٌ لَكَ» لا يفارقك الهلاك «لَا تَنْجُوْ مَنْهُ اَبَدًا اِلَّا اَنْ يَتَغَمَّدَكَ اللهُ» تعالٰى «بِرَحْمَتِهٖ» فيعفو زلتك و يغفر معصيتك و في جنته أدخلك، و كيف لا يكون الورع من أفضل الخِصال و أحسن الفِعال إذ نطق به الأخبار والآثار،أما الأخبار «فَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيْثِ» النبوي «الْمَرْوِيِّ» عن خير البرية عليه أفضل الصلوة و أكمل السلام:

«إِنَّ مَلَاكَ الدِّيْنِ» أي ما يملك به الدين «الْوَرَعُ، وَ هَلَاكَهُ» أي هلاك الدين بمعنى مهلكه «الطَّمَعُ» في الدنيا و لوازمها «وَ أَنَّ مَنْ حَامَ حَوْلَ الْحِمٰى يُوْشِكُ» أي يقرب «اَنْ يَقَعَ فِيهِ كَالرَّاتِعِ اِلٰى جَنْبِ الزَّرْعِ» أي الزراعة «يُوْشِكُ» أي يقرب «اَنْ يَمُدَّ فَاهُ اِلَيْهِ» أي الزرع «لَا يَكَادُ اَنْ يَّسْلَمَ الزَّرْعُ مِنْهُ» أي فم الراتع.

و قد ورد في الحديث القدسي: أما الوَرِعون فإني أستحيي أن أحاسبهم.[2]

«وَ» أما الآثار فقد «قَالَ» أمير المؤمنين «عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: كُنَّا نَتْرُكُ تِسْعَةَ اَعْشَارِ الْحَلَالِ» أي نجعل الحلال عشرة أجزاء نترك تسعة منها «مَخَافَةَ اَنْ نَقَعَ فِي الْحَرَامِ» فنبعد عن قبول الملك العلام «وَ» روي «عَنْ» أمير المؤمنين «اَبِيْ بَكْرِ الصِّدِّيْقِ رَضِيَ اللهُ تَعَالٰى عَنْهُ عَلَيْهِ كُنَّا نَتْرُكُ سَبْعِيْنَ بَابًا مِنَ الْمُبَاحِ مَخَافَةً اَنْ نَقَعَ

---

(1) ذكره الكاساني في البدائع ٢/ ١٠٥، وقد مرجزء منه أنفا.

(2) ذكرالحكيم الترمذي في نوادرالأصول نحوه ١/ ٤١٨، وذكر الغزالي في الإحياء نحوه في كتاب الخوف والرجاء.

في الْجُنَاحِ» أي الإثم فهو لاء السادات كلهم «فَعَلُوْا ذٰلِكَ» أي ترك الحلال «تَوَرُّعًا مِنْ مُقَارَبَةِ الْحَرَامِ اَخْذًا بِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ عَلٰى اٰلِهٖ وَ سَلَّمَ:

"اَلَا اِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى وَ حِمَى اللهِ تَعَالٰى مَحَارِمُهٗ فَمَنْ حَامَ حَوْلَ الْحِمٰى يُوْشِكُ اَنْ يَّقَعَ فيهِ"»

فَمَنْ دَخَلَ حِصْنَ الْمَلِكِ فَجَاوَزَ الْبَابَ الْاَوَّلَ ثُمَّ الثَّانِيْ ثُمَّ الثَّالِثَ حَتّٰى قَرُبَ مِنْ سُدَّتِهٖ خَيْرٌ مِّمَّنْ وَقَفَ عَلَى الْبَابِ الْاَوَّلِ الَّذِيْ يَلِي الْبَرَّ فَاِنَّهٗ اِنْ اُغْلِقَ عَنْهُ الْبَابُ الثَّالِثُ لَمْ يَضُرَّهٗ اِذْ هُوَ مِنْ وَرَاءِ بَابَيْنِ مِّنْ اَبْوَابِ الْقَصْرِ وَ مِنْ دُوْنِهٖ حُرَّاسُ الْمَلِكِ وَ جُنُوْدُهٗ وَ اَمَّا اِذَا كَانَ عَلَى الْبَابِ الْاَوَّلِ فَغُلِّقَ عَنْهُ بَقِيَ فِي الْبَرِّ وَحْدَهٗ وَاَخَذَتْهُ الذيابُ وَ الْاَعْدَاءُ فَكَانَ مِنَ الْهَالِكِيْنَ فَهٰكَذَا مَنْ سَلَكَ الْعَزِيْمَةَ وَ لَازَمَهَا اِنْ سُلِبَ عَنْهُ مَدَدُ التَّوْفِيقِ وَالرِّعَايَةِ وَ اِنْقَطَعَتْ عِنْهُ حَصَلَ فِي الرُّخَصِ وَ لَمْ يَخْرُجْ مِنَ الشَّرْعِ فَاِنْ اَدْرَكَتْهُ الْمَنِيَّةُ كَانَ عَلَى الطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ وَ يُشْهَدُ لَهٗ عِنْدَ اللهِ تَعَالٰى بِخَيْرِ الْعَمَلِ.

«فَمَنْ دَخَلَ حِصْنَ الْمَلِكِ فَجَاوَزَ الْبَابَ الْاَوَّلَ» الَّذِيْ هو مرتبة وقوف الدواب والمُشاة والانفار، «ثُمَّ» جاوز الباب «الثَّانِيْ» الَّذِيْ هو مرتبة عوام الجيش «ثُمَّ» جاوز الباب «الثَّالِثَ» الَّذِيْ هو محل الخواص و أعيان المملكة و في بعض نسخ المتن "و وقف على الثالث" و هذا هو الصواب الموافق لما بعده من الكلام.

«حَتّٰى قَرُبَ مِنْ سُدَّتِهٖ» أي سدة المحل الخالص لذات الملِك «خَيْرٌ مِّمَّنْ وَقَفَ عَلَى الْبَابِ الْاَوَّلِ الَّذِيْ يَلِي الْبَرَّ» و المفازة. ثم علّل خيرية الداخل من الخارج بقوله: «فَاِنَّهٗ» أي الداخل في البابين «اِنْ اُغْلِقَ عَنْهُ» أي احترازًا عن دخوله «الْبَابُ الثَّالِثُ لَمْ يَضُرَّهٗ» أي ذلك الداخلَ غلقُها «اِذْ هُوَ مِنْ وَرَاءِ» أي خلف «بَابَيْنَ مِّنْ اَبْوَابِ الْقَصْرِ» بالنسبة إلى الخارج «وَ مِنْ دُوْنِهٖ» أي عقيب الباب الثالث أو عقيب ذلك الداخل في البابين «حُرَّاسُ الْمَلِكِ» جمع حارس «وَ جُنُوْدُهٗ» فإنهم يقفون

عند كل باب و في كل باب فإذا تيسر له دخول البابين فقد حفظ و حرس عن هوام الأرض و سوامها «وَ اَمَّا اِذَا» لم يدخل في الباب بل «كَانَ عَلَى الْبَابِ الْاَوَّلِ فَغُلِّقَ» ذلك الباب «عَنْهُ» أي عن دخوله «بَقِيَ» ذلك الواقف على الباب «فِي الْبَرِّ وَحْدَهُ، وَ» لا يكون معه أحد يستأنس به و يحفظه «اَخَذَتْهُ الذيابُ» جمع ذئب و هو حيوان مفترس له مخالب فيفترسه و يهلكه «وَ» أخذته «الْاَعْدَاءُ» و هم شياطين الإنس والجن فيضلونه عن طريق الحق «فَكَانَ» ذلك الواقف على الباب الَّذِيْ أخذته الذياب و الأعداء «مِنَ الْهَالِكِيْنَ فَهٰكَذَا مَنْ سَلَكَ الْعَزِيْمَةَ» من السالكين في سبيل الله «وَ لَازَمَهَا اِنْ سُلِبَ عَنْهُ» أي عن ذلك السالك «مَدَدُ التَّوْفِيقِ» الإلٰهي «وَالرِّعَايَةِ» الربانية المبلّغ إلى مرتبة الولاية «وَ اِنْقَطَعَتْ عِنْهُ» مدد التوفيق والرعاية «حَصَلَ» ذلك السالك «فِي الرُّخَصِ وَ لَمْ يَخْرُجْ مِنَ الشَّرْعِ فَاِنْ اَدْرَكَتْهُ الْمَنِيَّةُ» أي الموت «كَانَ» موته «عَلَى الطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ وَ يُشْهَدُ لَهُ عِنْدَ الله تَعَالٰى بِخَيْرِ الْعَمَلِ» فيحصل له النجاة و يدخل في الجنة

وَ مَنْ وَقَفَ مَعَ الرُّخَصِ وَ لَمْ يَتَقَدَّمْ إِلى الْعَزِيْمَةِ اِنْ سُلِبَ التَّوْفِيقُ فَقُطِعَتْ عَنْهُ اِمْدَادُهُ فَغَلَبَ الْهَوٰى عَلَيْهِ وَ شَهَوَاتُ النَّفْسِ فَتَنَاوَلَ الْحَرَامَ خَرَجَ مِنَ الشَّرْعِ فَصَارَ فِي زُمْرَةِ الشَّيَاطِيْنِ اَعْدَاءِ اللهِ الضَّآلِّيْنَ عَنْ سَبِيْلِ الْهُدٰى فَاِنْ اَدْرَكَتْهُ الْمَنِيَّةُ قَبْلَ التَّوْبَةِ كَانَ مِنَ الْهَالِكِيْنَ اِلَّا اَنْ يَّتَغَمَّدَهُ اللهُ تَعَالٰى بِرَحْمَتِهِ وَ فَضْلِهِ فَالْخَطَرُ كُلُّ الْخَطَرِ فِي الْقِيَامِ مَعَ الرُّخَصِ، وَالسَّلَامَةُ فِي الْقِيَامِ مَعَ الْعَزِيْمَةِ.

«وَ مَنْ وَقَفَ مَعَ الرُّخَصِ وَ لَمْ يَتَقَدَّمْ إِلى الْعَزِيْمَةِ» أصلا «اِنْ سُلِبَ التَّوْفِيقُ» الإلٰهي المبقي له في الرخصة «فَقُطِعَتْ عَنْهُ اِمْدَادُهُ» أي إمداد التوفيق الإلٰهي «فَغَلَبَ الْهَوٰى عَلَيْهِ وَ شَهَوَاتُ النَّفْسِ» فتنزل عن الرخص و يقع في هاوية الحرام «فَتَنَاوَلَ الْحَرَامَ خَرَجَ مِنْ» قيد «الشَّرْعِ، فَصَارَ» بخروجه عن الشرع «فِي زُمْرَةِ الشَّيَاطِيْنِ اَعْدَاءِ اللهِ الضَّآلِّيْنَ عَنْ سَبِيْلِ الْهُدٰى» فلا يهتدي إلى الصراط المستقيم.

«فَاِنْ اَدْرَكَتْهُ الْمَنِيَّةُ» حال خروجه عن قيد الشرع و وقوعه في هاوية الحرام «قَبْلَ التَّوْبَةِ كَانَ مِنَ الْهَالِكِيْنَ» في الدين المستحقين للعذاب الأليم في نار الجحيم «اِلَّا اَنْ يَّتَغَمَّدَهُ اللهُ تَعَالٰى بِرَحْمَتِهٖ» الكائنة منه «وَ فَضْلِهٖ» فيعفو عن سيّاٰته و يدخله في جنته «فَالْخَطَرُ كُلَّ الْخَطَرِ في الْقِيَامِ مَعَ الرُّخَصِ، وَالسَّلَامَةُ» كل السلامة «في الْقِيَامِ مَعَ الْعَزِيْمَةِ» و لذا أجمع المشائخ والمجتهدون على أن الأولٰى والأليق لطالب الدين اختيار الأحوط دون الرخصة.

اَلْمَقَالَةُ السَّادِسَةُ وَالثَّلٰثُوْنَ

في جَعْلِ الْاٰخِرَةِ رَأْسُ الْمَالِ وَالدُّنْيَا رِبْحُهُ

قَالَ رَضِيَ اللهُ تَعَالٰى عَنْهُ: اِجْعَلْ اٰخِرَتَكَ رَأْسَ مَالِكَ وَ دُنْيَاكَ رِبْحَهُ، وَاصْرِفْ جَمِيْعَ زَمَانِكَ اَوَّلًا فِي تَحْصِيْلِ اٰخِرَتِكَ ثُمَّ اِنْ فَضُلَ مِنَ الزَّمَانِ شيء اِصْرِفْهُ فِي دُنْيَاكَ فِي طَلَبِ مَعَاشِكَ، وَ لَا تَجْعَلْ دُنْيَاكَ رَأْسَ مَالِكَ وَ اٰخِرَتَكَ رِبْحَهُ فَتَصْرِف زَمَانَكَ اَوَّلًا فِي تَحْصِيْلِ دُنْيَاكَ ثُمَّ اِنْ فَضُلَ مِنَ الزَّمَانِ فَضْلَةٌ صَرَفْتَهَا فِي اٰخِرَتِكَ تَقْضِيْ فِيهَا الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ تَسْبُكُهَا سَبِيْكَةً وَاحِدَةً سَاقِطَةَ الْاَرْكَانِ مُخْتَلَّةَ الْوَاجِبَاتِ مِنْ غَيْرِ رُكُوْعٍ وَ سُجُوْدٍ وَ طُمَانِيْنَةٍ و قَرَارٍ بَيْنَ الْاَرْكَانِ اَوْ يَلْحقَكَ التَّعْبُ وَالْإِعْيَاءُ فَتَنَامُ عَنِ الْقَضَاءِ جُمْلَةً، جِيْفَةً فِي اللَّيْلِ بَطَالًا فِي النَّهَارِ تَابِعًا لِنَفْسِكَ وَ هَوَاكَ وَ شَيْطَانِكَ وَ بَايِعًا اٰخِرَتَكَ بِدُنْيَاكَ عَبْدَالنَّفْسِ وَ مَطِيَّتَهَا وَ مَرْكَبَهَا وَ قَدْ اُمِرْتَ بِرَكُوْبِهَا وَ تَهْذِيْبِهَا وَ رِيَاضَتِهَا وَ السُّلُوْكِ بِهَا فِي سُبُلِ السَّلَامَةِ وَ هي طُرُقُ الْاٰخِرَةِ وَ طَاعَةِ مَوْلَاهَا فَظَلَمْتَهَا بِقُبُوْلِكَ مِنْهَا وَ سَلَّمْتَ زِمَامَهَا اِلَيْهَا وَ تَبِعْتَهَا فِي شَهَوَاتِهَا وَ لَذَّاتِهَا وَ مُوَافَقَتِهَا وَ شَيْطَانِهَا وَ هَوَاهَا فَفَاتَكَ خَيْرُالدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةِ وَ خَسِرْتَهُمَا فَدَخَلْتَ الْقِيٰمَةَ اَفْلَسَ النَّاسِ وَ اَخْسَرَهُمْ دُنْيَا وَ دِيْنًا وَ مَا وَصَلْتَ بِمُتَابَعَتِهَا اِلٰى اَكْثَر مِنْ قِسْمِكَ مِنَ الدُّنْيَا.

«قَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: اِجْعَلْ اٰخِرَتَكَ رَأْسَ مَالِكَ» يعني أن الحيوة والأعمال تجارة فاجعل آخرتك فيها رأس المال «وَ دُنْيَاكَ رِبْحَهُ» فإن حصل الربح فنعم المراد، و إن لم يحصل لا يكون التجارة خاسرة فإن كنت مهتديا في التجارة فليتجر على وجه لا يضيع الآخرة، فإن حصل الدنيا فِبِهَا و إلا فلا تخسر فَلَاحِظْ ذلك

«وَاصْرِفْ جَمِيْعَ زَمَانِكَ» و طيب أوقاتك و سَعَة عيشك و فراغ خاطرك «اَوَّلًا فِي تَحْصِيْلِ اٰخِرَتِكَ» الَّذِيْ هو رأس مالك «ثُمَّ اِنْ فَضُلَ مِنَ الزَّمَانِ شيء» فضلة «اِصْرِفْهُ فِي دُنْيَاكَ فِي طَلَبِ مَعَاشِكَ» و معاش من تعلق بك من الزوجة والولدان والغلمان «وَ لَا تَجْعَلْ دُنْيَاكَ رَأسَ مَالِكَ وَ اٰخِرَتَكَ رِبْحَهٗ فَتَصْرِف زَمَانَكَ اَوَّلًا فِي تَحْصِيْلِ دُنْيَاكَ ثُمَّ اِنْ فَضُلَ مِنَ الزَّمَانِ فَضْلَةً صَرَفْتَهَا فِي اٰخِرَتِكَ تَقْضِيْ فيهَا» أي في فضلة الزمان «الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ تَسْبُكُهَا» أي تجمع تلك الصلوات الخمسة «سَبِيْكَةً وَاحِدَةً» أي جملة ناقصة فإن السبيكة هو الفضة والذهب الغير المذاب، و فيه نقصان لا يخفي، تفسيره قوله: «سَاقِطَةَ الْاَرْكَانِ مُخْتَلَّةَ الْوَاجِبَاتِ مِنْ غَيْرِ رُكُوْعٍ وَ سُجُوْدٍ» فيفضي إلى فساد الصلوات «وَ» من غير «طَمَانِيْنَةٍ و قَرَارٍ بَيْنَ الْاَرْكَانِ» فيفضي إلى كراهتها «اَوْ يُلْحِقَكَ التَّعْبُ وَالْإِعْيَاءُ» أي المحنة والشدة لكسلك و عدم المبالات بالمفروض عليك «فَتَنَامُ عَنِ الْقَضَاءِ» و الأداء للصلوات «جُمْلَةً» حال كونك «جِيْفَةً فِي اللَّيْلِ بَطَالًا فِي النَّهَارِ تَابِعًا لِنَفْسِكَ وَ هَوَاكَ وَ شَيْطَانِكَ وَ بَايِعًا اٰخِرَتَكَ بِدُنْيَاكَ عَبْدَالنَّفْسِ» و هواها و شيطانها «وَ مَطِيَّتَهَا وَ مَرْكَبَهَا» كلاهما بمعنًى تَجُرُّكَ نَفْسُكَ فِي كل مَهلكة و مَظلمة و مَزبلة و مَطرَدة فتَهيم في كل واد من الدنيا و تتحير في كل نَادٍ من الدين أترضى أن تصير مركوب النفس والهوى والشيطان «وَ» الحال أنك «قَدْ اُمِرْتَ» من جانب ربك و رسول ربك «بِرَكُوْبِهَا وَ تَهْذِيْبِهَا وَ رِيَاضَتِهَا» بمنعها عن مشتهياتها المخالفة للشريعة «وَ» أمرت «السُّلُوْكِ بِهَا» أي جعلها سالكة «فِي سُبُلِ السَّلَامَةِ وَ هي طُرُقُ الْاٰخِرَةِ» التي أهدت إليها الشريعة «وَ طَاعَةِ مَوْلَاهَا فَظَلَمْتَهَا» أي ظلمتَ نفسَك «بِقُبُوْلِكَ مِنْهَا» ما اَمَرَتْكَ بها «وَ سَلَّمْتَ زَمَامَهَا اِلَيْهَا» و تركتها ترتع في مرعى روض الآمال والآماني «وَ تَبِعْتَهَا فِي شَهَوَاتِهَا وَ لَذَّاتِهَا وَ مُوَافَقَتِهَا وَ شَيْطَانِهَا وَ هَوَاهَا فَفَاتَكَ خَيْرُالدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةِ وَ خَسِرْتَهُمَا فَدَخَلْتَ الْقِيمَةَ اَفْلَسَ النَّاسِ وَ اَخْسَرَهُمْ دُنْيَا وَ دِيْنًا» فإن ما جمعتها في الدنيا من المال والجاه لا تذهب معك في الآخرة فما نفعك موافقة النفس شيئًا «وَ مَا وَصَلْتَ بِمُتَابَعَتِهَا اِلٰى اَكْثَر مِنْ قِسْمِكَ مِنَ الدُّنْيَا» الَّذِيْ قدر

الله تعالى لك منها في علمه الأزلي. فهذا حالك حين سلكت بالنفس طريق الدنيا.

وَ لَوْ سَلَكْتَ بِهَا طَرِيْقَ الْاٰخِرَةِ وَ جَعَلْتَهَا رَاْسَ مَالِكَ رَبِحْتَ الدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةِ وَ وَصَلَ اِلَيْكَ قِسْمُكَ مِنَ الدُّنْيَا هَنِيْئًا مَّرِيْئًا وَ أنت مُصَانٌ مُكْرَمٌ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ عَلٰى اٰلِهٖ وَ سَلَّمَ:

اِنَّ الله تَعَالٰى يُعْطِي الدُّنْيَا عَلٰى نِيَّةِ الْاٰخِرَةِ وَ لَا يُعْطِي الْاٰخِرَةِ عَلٰى نِيَّةِ الدُّنْيَا.[1]

وَ كَيْفَ لَا يَكُوْنُ كَذٰلِكَ وَ نِيَّةُ الْاٰخِرَةِ هي طَاعَةُ الله تَعَالٰى لِاَنَّ النِّيَّةَ رُوْحُ الْعِبَادَةِ وَ ذَاتُهَا. فَاِذَا اَطَعْتَ الله تَعَالٰى بِزُهْدِكَ فِي الدُّنْيَا وَ طَلَبِكَ دَارَالْاٰخِرَةِ كُنْتَ مِنْ خَوَاصِّ الله تَعَالٰى وَ اَهْلِ طَاعَتِهٖ وَ مَحَبَّتِهٖ، وَ حَصَلْتْ لَكَ الْاٰخِرَةُ وَ هي الْجَنَّةُ وَ جَوَارُ الله، وَ خَدَمَتْكَ الدُّنْيَافيأتيكَ قِسْمُكَ الَّذِيْ قَدَّرَمِنْهَا؛ اِذَ الْكُلُّ تَبَعٌ لِخَالِقِهَا وَ مَوْلَاهَا وَ هُوَ الله عَزَّ وَ جَلَّ.

«وَ لَوْ سَلَكْتَ بِهَا طَرِيْقَ الْاٰخِرَةِ وَ جَعَلْتَهَا» أي الآخرةَ «رَاْسَ مَالِكَ رَبِحْتَ الدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةِ وَ وَصَلَ اِلَيْكَ قِسْمُكَ مِنَ الدُّنْيَا هَنِيْئًا مَّرِيْئًا وَ أنت مُصَانٌ» أي والحال أنك مصان محفوظ من العتاب والعقاب «مُكْرَمٌ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ عَلٰى اٰلِهٖ وَ سَلَّمَ:

اِنَّ الله تَعَالٰى يُعْطِي الدُّنْيَا عَلٰى نِيَّةِ الْاٰخِرَةِ وَ لَا يُعْطِي الْاٰخِرَةِ عَلٰى نِيَّةِ الدُّنْيَا.»

«وَ كَيْفَ لَا يَكُوْنُ كَذٰلِكَ» أي يعطي الدنيا على نية الآخرة «وَ نِيَّةُ الْاٰخِرَةِ هي طَاعَةُ الله تَعَالٰى لِاَنَّ النِّيَّةَ رُوْحُ الْعِبَادَةِ وَ ذَاتُهَا فَاِذَا اَطَعْتَ الله تَعَالٰى بِزُهْدِكَ فِي الدُّنْيَا» و عدم توجهك إليها «وَ طَلَبِكَ دَارَالْاٰخِرَةِ كُنْتَ مِنْ خَوَاصِّ الله تَعَالٰى وَ اَهْلِ طَاعَتِهٖ وَ مَحَبَّتِهٖ وَ حَصَلْتْ لَكَ الْاٰخِرَةُ وَ هي الْجَنَّةُ» الخلد التي وعد المتقون «وَ جَوَارُ الله» الَّذِيْ ذكره الله تعالى بقوله:

(1) انظر الجامع الصغير للسيوطى رقم الحديث 1917.

﴿اِنَّ الْمُتَّقِيْنَ فِي جَنّٰتٍ وَّ نَهَرٍ. فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيْكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾[القمر، رقم السورة:٥٤، رقم الآية:٥٥]

«وَ خَدَمَتْكَ الدُّنْيَا» خدمةَ عبيدٍ و إماءٍ كما ورد في الحديث:

يا دنيا من أطاعني فَاخْدِمِيْه و من أطاعكِ فَاتْعَبِيْه.[1]

«فيأتيكَ قِسْمُكَ الَّذِيْ قَدَّرَمِنْهَا» في الأزل «اِذَ الْكُلُّ» أي ما سواه تعالىٰ من المخلوقات «تَبَعٌ لِخَالِقِهَا وَ مَوْلَاهَا وَ هُوَ الله» الَّذِيْ لااله إلا هو «عَزَّ» عن كل نقص «وَ جَلَّ» عن كل عيب.

وَ اِنِ اشْتَغَلْتَ بِالدُّنْيَا وَ اَعْرَضْتَ عَنِ الْاٰخِرَةِ غَضِبَ الرَّبُّ عَلَيْكَ فَفَاتَتْكَ الْاٰخِرَةُ وَ تَغَاضَبَتْ الدُّنْيَا عَلَيْكَ وَ تَعَسَّرَتْ وَأَتْعَبَتْكَ فِي اِيْصَالِ قِسْمِكَ لِغَضَبِ اللهِ لِاَنَّهَا مَمْلُوْكَتُهُ، تُهِينُ مَنْ عَصَاهُ وَ تُكْرِمُ مَنْ اَطَاعَهُ. فيَتحَقَّقُ حِيْنَئِذٍ قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ:

اَلدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةُ ضَرَّتَانِ اِذَا اَرْضَيْتَ اِحْدٰهُمَا اَسْخَطْتَّ عَلَيْكَ الْأُخْرٰى.

قَالَ اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ:

مِنْكُمْ مَّنْ يُّرِيْدُ الدُّنْيَا وَ مِنْكُمْ مَّنْ يُّرِيْدُ الْاٰخِرَةِ.[آل عمران، رقم السورة:٣، رقم الآية:١٥٢]

يَعْنِيْ بِهٖ اَبْنَاءَ الدُّنْيَا وَ اَبْنَاءَ الْاٰخِرَةِ فَانْظُرْ مِنْ اَبْنَاءِ اَيَّتِهِمَا أَنْتَ ؟ وَ مِنْ اَيِّ الْقَبِيْلَتَيْنِ تُحِبُّ اَنْ تَكُوْنَ وَ أنت فِي الدُّنْيَا؟ ثُمَّ اِذَا صِرْتَ فِي الْاٰخِرَةِ،

﴿فَرِيْقٌ فِي الْجَنَّةِ وَ فَرِيْقٌ فِي السَّعِيْرِ﴾[الشورى ٤٢:٧]

فَرِيْقٌ فِي الْمَوْقَفِ قِيَامٌ فِي طُوْلِ الْحِسَابِ ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِيْنَ اَلْفَ سَنَةٍ﴾ مِّمَّا تَعُدُّوْنَ كَمَا قَالَ جَلَّ وَعَلَا: "وَ فَرِيْقٌ فِي ظِلِّ

(1) ذكره أبو نعيم في الحلية ٣/ ١٩٤، بلفظ: "أوحى الله تعالىٰ إلى الدينا أن اخدمي من خدمني، وأتعبي من خدمك".

الْعَرْشِ عَكُوْفٌ عَلَى الْمَوَائِدِ عَلَيْهَا اَطَائِبُ الطَّعَامِ وَ الْفَوَاكِهِ وَالشَّهْد اَبْيَض مِنَ الثَّلْجِ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيْثِ: "يَنْظُرُوْنَ اِلَى مَنَازِلِهِمْ فِي الْجَنَّةِ حَتّٰى اِذَا فَرَغَ مِنْ حِسَابِ الْخَلْقِ دَخَلُوا الْجَنَّةَ يَهْتَدُوْنَ اِلَى مَنَازِلِهِمْ كَمَا يَهْتَدِيْ اَحَدُ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا اِلَى مَنْزِلِهٖ".

«وَ اِنِ اشْتَغَلْتَ بِالدُّنْيَا وَ اَعْرَضْتَ عَنِ الْاٰخِرَةِ غَضِبَ الرَّبُّ» تعالىٰ «عَلَيْكَ» لأنك اشتغلت بمغضوب الرب، فإذا تصير مغضوب الرب «فَفَاتَتْكَ الْاٰخِرَةُ وَ تَغَاضَبَتْ الدُّنْيَا» أيضا «عَلَيْكَ وَ تَعَسَّرَتْ» في حصولها لك «وَاتْعَبَتْكَ فِي اِيْصَالِ قِسْمِكَ» و نصيبك المقدر منها إليك و إنما تغاضبت عليك «لِغَضَبِ الله» تعالىٰ عليك «لِاَنَّهَا مَمْلُوْكَتُهٗ» تعالىٰ «تُهِينُ مَنْ عَصَاهُ وَ تُكْرِمُ مَنْ اَطَاعَهٗ» فإذا تحقق فوات الآخرة باشتغالك بالدنيا «فيَتَحَقَّقُ حِيْنَئِذٍ قَوْلُهٗ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ: اَلدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةُ ضَرَّتَانِ اِذَا أَرْضَيْتَ اِحْدٰهُمَا» دنيا كان أو أُخرى «اَسْخَطْتَّ عَلَيْكَ الْاُخْرٰى»

«قَالَ الله عَزَّ وَ جَلَّ:

﴿مِنْكُمْ مَّنْ يُّرِيْدُ الدُّنْيَا وَ مِنْكُمْ مَّنْ يُّرِيْدُ الْاٰخِرَةِ﴾[آل عمران، رقم السورة:٣، رقم الآية:١٥٢]

يَعْنِيْ بِهٖ اَبْنَاءَ الدُّنْيَا وَ اَبْنَاءَ الْاٰخِرَةِ فَانْظُرْ مِنْ اَبْنَاءِ اَيَّتِهِمَا اَنْتَ؟» يا أيها الطالب الراغب «وَ» انظر «مِنْ أي الْقَبِيْلَتَيْنِ تُحِبُّ أَنْ تَكُوْنَ وَ أنت فِي الدُّنْيَا» أي والحال أنك في الحيوة الدنيا فلا أظن بك أن تحب أن تكون من أبناء الدنيا بل ينبغي لصاحب الهمة العلية أن لا يكون طالب العقبى أيضًا بل اللائق بحاله أن يكون طالب المولى «ثُمَّ اِذَا» ارتحلت من الدنيا وَ «صِرْتَ فِي الْاٰخِرَةِ» فيكون هناك كما قال تعالىٰ:

﴿فَرِيْقٌ فِي الْجَنَّةِ وَ فَرِيْقٌ فِي السَّعِيْرِ﴾[الشورى، رقم السورة:٤٢، رقم الآية:٧]

و قبل دخولهما في الجنة والسعير تُعْرَف حالهما هكذا «فَرِيْقٌ فِي الْمَوْقَفِ قِيَامٌ فِي طُوْلِ الْحِسَابِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهٗ خَمْسِيْنَ اَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّوْنَ كَمَا قَالَ جَلَّ وَعَلَا» في كتابه العزيز «وَ فَرِيْقٌ» آخر «فِي ظِلِّ الْعَرْشِ عَكُوْفٌ عَلَى الْمَوَائِدِ عَلَيْهَا اَطَائِبُ» جمع أطيب «الطَّعَامِ وَ اَلَذِّ الْفَوَاكِهِ وَالشَّهْد اَبْيَض مِنَ الثَّلْجِ كَمَا جَاءَ» وصف الموائد «فِي الْحَدِيْثِ» و هولاء العاكفون «يَنْظُرُوْنَ» حال وقوفهم في الموقف «اِلٰى مَنَازِلِهِمْ فِي الْجَنَّةِ حَتّٰى إذَا فَرَغَ» الله عَزَّ وَ جَلَّ «مِنْ حِسَابِ الْخَلْقِ» جميعا في مقدار حلبة الشاة كذا روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسير قوله تعالىٰ:﴿وَاللهُ سَرِيْعُ الْحِسَابِ﴾[البقرة:٢/ ٢٠٢] و أن كل أحد يعلم أنه تعالىٰ يحاسب به «دَخَلُوا الْجَنَّةَ يَهْتَدُوْنَ اِلٰى مَنَازِلِهِمْ» من غير احتياج إلى معرِّف «كَمَا يَهْتَدِيْ اَحَدُالنَّاسِ فِي الدُّنْيَا اِلٰى مَنْزِلِهٖ»

فَهَلْ وَصَلُوْا اِلٰى هٰذَا اِلَّا بِتَرْكِهِمُ الدُّنْيَا وَ اِشْتِغَالِهِمْ بِطَلَبِ الْاٰخِرَةِ وَ الْمَوْلٰى. وَ هَلْ وَقَعُوْا اُولٰئِكَ فِي طُوْلِ الْحِسَابِ وَ اَنْوَاعِ الشَّدَائِدِ وَالذُّلِّ اِلَّا لِاشْتِغَالِهِمْ بِالدُّنْيَا وَ رَغْبَتِهِمْ فِيهَا وَ زُهْدِهِمْ فِي الْاٰخِرَةِ وَ قِلَّةِ الْمُبَالَاةِ بِاَمْرِهَا وَ نِسْيَانِ يَوْمِ الْقِيٰمَةِ وَمَا سَيَصِيْرُوْنَ اِلَيْهِ غَدًا مِمَّا ذَكَرَهُ فِي الْكِتَابِ السُّنَّةِ فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ وَاخْتَرْ لَهَا خَيْرَ الْقَبِيْلَتَيْنِ وَ اَفْرِدْهَا عَنْ اَقْرَانِ السُّوْءِ مِنْ شَيَاطِيْنِ الْاِنْسِ وَالْجِنِّ وَاجْعَلِ الْكِتَابَ وَ السُّنَّةَ أَمَامَكَ وَانْظُرْ فِيهِمَا وَاعْمَلْ بِهِمَا وَ لَا تَغْتَرَّ بِالْقَالِ وَالْقِيْلِ وَ الْهَوَسِ، قَالَ اللهُ تَعَالٰى:

وَ مَآ اٰتَاكُمُ الرَّسُوْلُ فَخُذُوْهُ وَ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوْا وَاتَّقُوا اللهَ.[الحشر، رقم السورة:٥٩، رقم الآية:٧]

فَاتَّقُوا اللهُ وَ لَا تُخَالِفُوْهُ فَتَتْرُكُوا الْعَمَلَ بِمَا جَاءَ بِهٖ وَ تَخْتَرِعُوْا لِاَنْفُسِكُمْ عَمَلًا وَ عِبَادَةً، كَمَا قَالَ عَزَّ وَ جَلَّ فِي حَقِّ قَوْمٍ ضَلُّوْا عَنْ سَوَآءِ السَّبِيْلِ:

﴿وَ رَهْبَانِيَّةَ ۨ ابْتَدَعُوْهَا مَا كَتَبْنٰهَا عَلَيْهِمْ﴾[الحديد، رقم السورة:٥٧، رقم الآية:٢٧]

ثُمَّ قَدْ زَكّٰى هُوَ نَبِيَّهٗ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ وَ نَزَّهَهٗ مِنَ الْبَاطِلِ وَالزُّوْرِ فَقَالَ: ﴿وَ مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوٰى. اِنْ هُوَ اِلَّا وَحْیٌ يُّوْحٰى﴾ [النجم، رقم السورة:٥٣، رقم الآية: ١ إلىٰ ٤]

اَیْ مَا اٰتَاكُمْ فَهُوَ مِنْ عِنْدِی لَا مِنْ هَوَاهُ وَ نَفْسِهٖ فَاتَّبِعُوْهُ ثُمَّ قَالَ: ﴿قُلْ اِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّوْنَ اللهَ فَاتَّبِعُوْنِیْ يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾[آل عمران، رقم السورة:٣، رقم الآية:٣١]

فَبَيَّنَ اَنَّ طَرِيْقَ الْمَحَبَّةِ اِتِّبَاعُهٗ قَوْلًا وَ فِعْلًا.

«فَهَلْ وَصَلُوْا» أي أهل الجنة «اِلٰى هٰذَا» المقام العليّ والقرب السنيّ «اِلَّا بِتَرْكِهِمُ الدُّنْيَا» الخسيسة الرذيلة «وَ اِشْتِغَالِهِمْ بِطَلَبِ الْاٰخِرَةِ وَ» بطلب «الْمَوْلٰى وَ هَلْ وَقَعُوْا اُولٰئِكَ» اسم الإشارة اِمَّا عطف بيان أو بدل من ضمير وقعوا على مثل قولهم أكلوني البراغيث، والاستفهام للانكار أي ما وقع أهل الموقف «فِي طُوْلِ الْحِسَابِ وَ اَنْوَاعِ الشَّدَائِدِ وَالذُّلِّ اِلَّا لِاِشْتِغَالِهِمْ بِالدُّنْيَا وَ رَغْبَتِهِمْ فيهَا وَ زُهْدِهِمْ فِي الْاٰخِرَةِ وَ قِلَّةِ الْمُبَالَاةِ بِاَمْرِهَا» أي أمرالآخرة لألُفتهم بالدنيا بل «وَ نِسْيَانِ يَوْمِ الْقِيٰمَةِ وَ نسيان «مَا سَيَصِيْرُوْنَ اِلَيْهِ غَدًا مِمَّا ذَكَرَهُ فِي الْكِتَابِ» العزيز والقراٰن المجيد، «وَ» مما ذكره «السُّنَّةِ» المحمدية فإن الكتاب وَالسُّنَّةِ قد بينا بيانا كافيا شافيا بما فيه صلاح المعاد والمعاش و الخلاص عن كيد النفس والشيطان الداعيين إلى إصلاح الدنيا و إفساد الآخرة فَانْظُرْ أيهاالعاقل «لِنَفْسِكَ وَاخْتَرْ لَهَا» أي لأجل نفسك «خَيْرَ الْقَبِيْلَتَيْنِ وَ اَفْرِدْهَا» أي اجعل نفسك منفردا متوحد ا «عَنْ اَقْرَانِ السُّوْءِ مِنْ شَيَاطِيْنِ الْاِنْسِ وَالْجِنِّ، وَاجْعَلِ الْكِتَابَ وَ السُّنَّةَ أَمَامَكَ» و قدامك «وَانْظُرْ فيهِمَا وَاعْمَلْ بِهِمَا وَ لَا تَغْتَرَّ بِالْقَالِ وَالْقِيْلِ» هما اسمان لما يذكر من قيل و قال «وَ» لا تغترب «الْهَوَسِ» النفسي. و يدل على التمسك بالكتاب والسنة ما «قَالَ

الله تَعَالٰى: »

﴿«وَ مَآ اٰتَاكُمُ الرَّسُوْلُ»﴾ من المال في قسمة الغنائم و من الأقوال والأفعال ﴿«فَخُذُوْهُ»﴾ بالقلب والجوارح فاعتقدوه حقا واعملو ابه ﴿«وَ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوْا»﴾ عنه. ﴿«وَاتَّقوا اللهَ»﴾

هذه الآية الكريمة و إن نزل في بعض الحروب في قسمة الغنائم لكن العلماء حملوها على العموم؛ لأن العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص الواقعة على ما تقرر في علم الأصول «فَاتَّقُوا الله» في مخالفة رسوله «وَ لَا تُخَالِفُوْهُ» أي الله تعالٰى بمخالفة الرسول عليه الصلوة والسلام أوالضمير للرسول صلى الله عليه و على اٰله و سلم «فَتَتْرُكُوا الْعَمَلَ بِمَا جَاءَ بِهٖ» الرسول من الكتاب والسنة «وَ تَخْتَرِعُوْا لِاَنْفُسِكُمْ عَمَلًا وَ عِبَادَةً» قلبيا و قالبيا «كَمَا قَالَ عَزَّ وَ جَلَّ فِي حَقِّ قَوْمٍ» من الأمم السالفة: ﴿«ضَلُّوْا عَنْ سَوَآءِ السَّبِيْلِ»﴾ [المائدة:٥/ ٧٧] باختراع العبادات من عند انفسهم و عدم إتمامهم في سورة الحديد:

﴿وَ لَقَدْ اَرْسَلْنَا نُوْحًا وَّ اِبْرٰهِيمَ وَ جَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتٰبَ فَمِنْهُمْ مُّهْتَدٍ ج وَ كَثِيْرٌ مِّنْهُمْ فٰسِقُوْنَ. ثُمَّ قَفينا عَلٰٓى اٰثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَ قَفينا بِعِيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَ اٰتَيْنٰهُ الْاِنْجِيْلَ لا وَ جَعَلْنَا فِي قُلُوْبِ الذينَ اتَّبَعُوْهُ رَاْفَةً وَّ رَحْمَةً ط «وَ رَهْبَانِيَّةَ نِابْتَدَعُوْهَا مَا كَتَبْنٰهَا عَلَيْهِمْ» اِلَّا ابْتِغَآءَ رِضْوَانِ الله فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَاج فَاٰتَيْنَا الذينَ اٰمَنُوْا مِنْهُمْ اَجْرَهُمْج وَ كَثِيْرٌ مِّنْهُمْ فٰسِقُوْنَ﴾ [الحديد:٢٦-٢٧]

«ثُمَّ قَدْ زَكّٰى هُوَ» الله «نَبِيَّهُ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ وَ نَزَّهَهٗ مِنَ الْبَاطِلِ وَالزُّوْرِ فَقَالَ: »

﴿وَالنَّجْمِ اِذَا هَوٰى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَ مَا غَوٰى. وَ مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوٰى. اِنْ هُوَ أي ما هوأي ليس ما ينطق به الرسول صلى الله عليه و سلم «اِلَّا وَحْيٌ يُّوْحٰى» [النجم:٥٣/ ١ إلٰى ٤]

«اَيْ مَااَتَاكُمْ» الرسول من الأقوال والأفعال والأموال «فَهُوَ مِنْ عِنْدِي لَا مِنْ هَوَاهُ وَ نَفْسِهٖ» فإذا عرفتم أنه من عندي «فَاتَّبِعُوْهُ، ثُمَّ قَالَ: »

« قُلْ » يا محمد لمن يدعى محبتى «اِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّوْنَ الله فَاتَّبِعُوْنِىْ يُحْبِبْكُمُ الله »
[آل عمران:٣/ ٣١]

« فَبَيَّنَ » الله تعالىٰ «اَنَّ طَرِ يْقَ الْمَحَبَّةِ » مع الله تعالىٰ «اِتِّبَاعُهٗ » صلى الله عليه و سلم « قَوْلًا وَ فِعْلًا » .

قال الحسن البصري رحمه الله تعالىٰ: من ادعى محبة الله تعالىٰ و خالف سنة رسول الله فقد كذبه القرآن الكريم.

فَالنَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ قَالَ:"اَلْاِكْتِسَابُ سُنَّتِيْ وَالتَّوَكُّلُ حَالَتِي".

فَأَنت بَيْنَ سُنَّتِهٖ وَ حَالَتِهٖ اِنْ ضَعُفَ اِيْمَانُكَ فَالْكَسْبُ الَّذِيْ هُوَ سُنَّتُهٗ، وَ اِنْ قَوٰى اِيْمَانُكَ فَحَالَتُهُ التِي هي التَّوَكُّلُ، قَالَ الله تَعَالٰى:

﴿وَ عَلَى الله فَتَوَكَّلُوْٓا اِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيْنَ﴾[المائدة:رقم السورة: ٥، رقم الآية٢٣]

وَ قَالَ:

﴿وَ مَنْ يَّتَوَكَّلْ عَلَى الله فَهُوَ حَسْبُهٗ﴾ [الطلاق،رقم السورة:٦٥، رقم الآية٣]

وَقَالَ: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى الله ؕ اِنَّ الله يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِيْنَ﴾ [آل عمران. رقم السورة:٣، رقم الآية:١٥٩]

فَقَدْ اَمَرَكَ الله تَعَالٰى بِالتَّوَكُّلِ وَ نَبَّهَكَ عَلَيْهِ كَمَا اَمَرَ نَبِيهٗ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ فَاتَّبِعْ اَوَامِرَ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ رَسُوْلِهٖ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ فِي اَعْمَالِكَ وَ اِلَّا فَهِي مَرْدُوْدَةٌ اِلَيْكَ.

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ:

مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيس عَلَيْهِ اَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ.[1]

(1) اخرجه البخاري في صحيحه. باب إذا اجتهد العامل أو الحاكم فأطأ.الخ. و مسلم أيضا في صحيحه برقم:١٧١٨، باب نقض الأحكام الباطلة في كتاب الأقضية.

هٰذَا يَعُمُّ طَالِبَ الرِّزْقِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ، لَيْسَ لَنَا نَبِيٌّ غَيْرُهٗ فَنَتْبِعُهٗ وَ لَا كِتَابٌ غَيْرَالْقُرْاٰنِ فَنَعْمَلُ بِهٖ.فَلَا تَخْرُجْ عَنْهَا فَتَهْلِكَ فيضِلُّكَ هَوَاكَ وَالشَّيَاطِيْنُ.

قَالَ اللهُ تَعَالٰى:

﴿وَ لَا تَتَّبِعِ الْهَوٰى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيْلِ اللهِ﴾. [صٓ، رقم السورة:٣٨، رقم الآية:٢٦]

فَالسَّلَامَةُ مَعَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْهَلَاكُ مَعَ غَيْرِهِمَا، وَ بِهِمَا يَتَرَقَّى الْعَبْدُ اِلٰى حَالَةِ الْوِلَايَةِ وَالْبَدَلِيَّةِ وَالْغَوْثِيَّةِ.

«فَالنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ قَالَ:»

«اَلْاِكْتِسَابُ سُنَّتِيْ» أي طريقى في الظاهر «وَالتَّوَكُّلُ» على الله تعالٰى «حَالتي».

«فَأنت» أيها الطالب «بَيْنَ سُنَّتِهٖ» صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ «وَ حَالَتِهٖ» و لا تجاوزهما «اِنْ ضَعُفَ اِيْمَانُكَ فَـ» عليك «الْكَسْبُ الَّذِيْ هُوَ سُنَّتُهٗ، وَ اِنْ قَوٰى اِيْمَانُكَ» فعليك «حَالَتُهٗ» التي هي التَّوَكُّلُ»

«قَالَ اللهُ تَعَالٰى:»

﴿وَ عَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوْٓا اِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيْنَ﴾ [المائدة:٥/ ٢٣]

«وَ قَالَ» تعالٰى أيضًا:

﴿وَ مَنْ يَّتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَّهٗ مَخْرَجًا.وَّ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ؕ وَ مَنْ يَّتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهٗ. ؕ اِنَّ اللهَ بَالِغُ اَمْرِهٖ ؕ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شيء قَدْرًا﴾ [الطلاق:٦٥/ ٢-٣]

«وَ قَالَ» تعالٰى:

﴿وَ شَاوِرْهُمْ فِي الْاَمْرِ ۚ فَاِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ ؕ اِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِيْنَ. [آل عمران:٣/ ١٥٩]

«فَقَدْ اَمَرَكَ اللهُ تَعَالٰى بِالتَّوَكُّلِ وَ نَبَّهَكَ عَلَيْهِ كَمَا اَمَرَ نَبِيهٗ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ

فَاتَّبِعْ اَوَامِرَ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ» أوامر «رَسُوْلِهٖ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ فِي اَعْمَالِكَ وَ اِلَّا» أي و إن لم تتبع أوامر الله تعالٰى و رسوله عليه الصلوة والسلام« فَهِي» أي الحالة التي حصلت لك في الظاهر أو في الباطن أو فيهما «مَرْدُوْدَةٌ اِلَيْكَ».

«قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ:»

«مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ اَمْرُنَا» أي طريقنا يعني غير مأخوذ من كتابنا و سنتنا «فَهُوَ» أي ذلك العامل أو عمله «رَدٌّ» أي مردود، «هٰذَا» الحكم الَّذِيْ ذكره رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ «يَعُمُّ طَالِبَ الرِّزْقِ وَالْاَعْمَالِ وَالْاَقْوَالِ» إذ «لَيْسَ لَنَا نَبِيٌّ غَيْرُهٗ فَنَتْبِعُهٗ وَ لَا» لنا «كِتَابٌ غَيْرَالْقُرْاٰنِ» المجيد «فَنَعْمَلُ بِهٖ» روى الإمام مالك عن انس مرسلا قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ:

تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله و سنة رسوله. «فَلَا تَخْرُجْ» أنت أيها الطالب «عَنْهَا» أي عن أوامر الله تعالٰى و رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ «فَتَهْلِكَ فيضِلُّكَ هَوَاكَ وَالشَّيَاطِيْنُ»

«قَالَ اللهُ تَعَالٰى» لنبيه داوٗد عليه السلام:

﴿يٰدَاوٗدُ اِنَّا جَعَلْنٰكَ خَلِيْفَةً فِي الْاَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَ لَا تَتَّبِعِ الْهَوٰى فيضِلَّكَ عَنْ سَبِيْلِ اللهِ﴾ [ص:٣٨/ ٢٦]

«فَالسَّلَامَةُ مَعَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْهَلَاكُ مَعَ غَيْرِهِمَا» أي طريق كان «وَ» قد تقرر أن «بِهِمَا يَتَرَقَّى الْعَبْدُ اِلٰى حَالَةِ الْوِلَايَةِ وَالْبَدَلِيَّةِ وَالْغَوْثِيَّةِ» التي لا مرتبة فوقها إلا النبوة والرسالة و في ذلك فليتنافس المتنافسون و لمثل هذا فليعمل العاملون.

اَلْمَقَالَةُ السَّابِعَةُ وَالثَّلٰثُوْنَ

فِي الْمَنْعِ عَنِ الْحَسَدِ

قَالَ رَضِيَ الله عَنْهُ: مَالَكَ اَرَاكَ يَا مُؤمِنُ حَاسِدًا لِجَارِكَ فِي مَطْعَمِهٖ وَ مَشْرَبِهٖ وَ مَلْبَسِهٖ وَ مَنْكَحِهٖ وَ مَسْكَنِهٖ وَ تَقَلُّبِهٖ اَنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ فِي غِنَاهُ وَ فِي نِعَمِ مَوْلَاهُ وَ فِي قِسْمِهِ الَّذِيْ قَسَّمَهُ لَهٗ.

«قَالَ رَضِيَ الله تَعَالٰى: مَالَكَ اَرَاكَ يَا مُؤمِنُ حَاسِدًا» أي مريدا لزوال النعمة «لِجَارِكَ فِي مَطْعَمِهٖ وَ مَشْرَبِهٖ وَ مَلْبَسِهٖ وَ مَنْكَحِهٖ وَ مَسْكَنِهٖ وَ تَقَلُّبِهٖ اَنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ فِي غِنَاهُ وَ فِي نِعَمِ مَوْلَاهُ» الَّذِيْ أولاه بها «وَ فِي قِسْمِهٖ» و نصيبه «الذي قَسَّمَهُ» و عيّنه «لَهٗ».

اعلم أن الله تعالٰى إذا أنعم على أحد بنعمة، فان أراد غيره زوالها فهذا هو الحسد. و له مراتب:

الأولى: أن يحب الحاسد زوال النعمة عن المحسود و إن لم تحصل له و هذه أخبث أقسامه.

الثانية: أن يحب زوالها عنه إليك كرغبته في داره الحسنة أو امرأته الحسنة، أو ولايته فالمطلوب بالذات حصوله له، فأما زوالها عن غيره فمطلوب بالعرض.

الثالثة: أن يشتهي لنفسه مثلها فإن عجز عن مثلها أحب زوالها كيلا يظهر التفاوت بينهما، و قد يطلق الحسد على طلب حصول النعمة الكائنة على أحد من غير إرادة زوالها عنه، و هو المسمى بالغبطة و المنافسة، و بهذا عُد للحسد أنواع أربعة.

والثلثة الأُوَل منهيات عنها، والرابع فهو معفو عنه إن كان في أمر الدنيا و مندوب إليه إن كان في الدين و إليه يشير قوله تعالٰى:

﴿وَ فِي ذٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُوْنَ﴾[المطففين، رقم السورة:٨٣، رقم الآية:٢٦]

اَمَا تَعْلَمُ اَنَّ هٰذَا مِمَّا يُضْعِفُ اِيْمَانَكَ وَ يُسْقِطُكَ مِنْ عَيْنِ مَوْلَاكَ عَزَّ وَ جَلَّ وَ يُبْغِضُكَ اِلَيْهِ؟ اَمَا سَمِعْتَ الْحَدِيْثَ الْمَرْوِيَّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ: اِنَّ اللهَ يَقُوْلُ: "اَلْحَسُوْدُ عَدُوٌّ نِعْمَتِيْ".(١)

اَوَ مَا سَمِعْتَ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ:

"اِنَّ الْحَسَدَ لَيَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ".(٢)

ثُمَّ عَلٰى أي شيء تَحْسُدُهٗ اَ عَلٰى قِسْمِهٖ اَوْ عَلٰى قِسْمِكَ؟ فَاِنْ حَسَدْتَّهٗ عَلٰى قِسْمِهِ الَّذِيْ قَسَّمَ اللهُ تَعَالٰى لَهٗ فِي قَوْلِهٖ:

﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيْشَتَهُمْ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا﴾(الزخرف، رقم السورة:٣٢، رقم الآية:٤٣]

فَقَدْ ظَلَمْتَهٗ، رَجُلٌ يَتَقَلَّبُ فِي نِعْمَةِ مَوْلَاهُ الَّتِي تَفَضَّلَ بِهَا عَلَيْهِ وَ قَدَّرَهَا لَهٗ وَ لَمْ يَجْعَلْ لِاَحَدٍ فِيهَا حَظًّا وَ نَصِيْبًا فَمَنْ يَكُوْنُ اَظْلَمَ مِنْكَ وَ اَبْخَلَ وَ اَرْعَنَ وَ اَنْقَصَ عَقْلًا مِنْكَ ؟

وَ اِنْ حَسَدْتَّهٗ عَلٰى قِسْمِكَ فَقَدْ جَهِلْتَ غَايَةَ الْجَهْلِ فَاِنَّ قِسْمَكَ لَايُعْطِي غَيْرَكَ وَ لَا يَنْتَقِلُ مِنْكَ اِلَيْهِ حَاشَ للهِ عَزَّ وَ جَلَّ، قَالَ اللهُ سُبْحَانَهٗ وَ تَعَالٰى:﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَ مَآ اَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيْدِ. [قٓ:٥٠/ ٢٩]

اِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُكَ فيأخُذُ مَا قَسَّمَهٗ وَ قَدَّرَهٗ لَكَ فيعْطِي غَيْرَكَ فَهٰذَا جَهْلٌ مِّنْكَ وَ ظُلْمٌ لِّاَخِيْكَ.

«اَمَا تَعْلَمُ اَنَّ هٰذَا» الحسد «مِمَّا يُضْعِفُ اِيْمَانَكَ وَ يُسْقِطُكَ مِنْ عَيْنِ مَوْلَاكَ عَزَّ وَ جَلَّ» لانه اعتراض منك على ربك في إعطائه النعمة على محسودك «وَ يُبْغِضُكَ اِلَيْهِ تعالٰى.اَمَا سَمِعْتَ الْحَدِيْثَ» القدسي «الْمَرْوِيَّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ» حكاية عن الله تعالٰى «اِنَّ اللهَ يَقُوْلُ اَلْحَسُوْدُ عَدُوٌّ نِعْمَتِيْ».

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان٩/ ٢٨،، برقم:٦١٢٦، الثالث والأربعون من شعب الإيمان.

(2) أخرجه أبوداؤد في سننه،٤/ ٢٧٦، برقم:٤٩٠٣، باب في الحسد، وكذا أخرجه ابن ماجه.

«اَوَ مَا سَمِعْتَ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ:
"اِنَّ الْحَسَدَ لَيَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ"».

ثم بين عدم معقولية الحسد بقوله: «ثُمَّ عَلٰى أي شيء تَحْسُدُهٗ أ عَلٰى قِسْمِهٖ» أي قسم المحسود «اَوْ عَلٰى قِسْمِكَ فَاِنْ حَسَدْتَّهٗ عَلٰى قِسْمِهِ الَّذِيْ قَسَّمَ اللهُ تَعَالٰى لَهُ فِي قَوْلِهٖ:»

﴿«نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيْشَتَهُمْ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَ رَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا ؕ»﴾ أي مُسَخَّرًا بالمِلكِ أو الأُجْرَة فيصير البعض للبعض مملوكا أو اجيرا ﴿«وَ رَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُوْنَ»﴾

«فَقَدْ ظَلَمْتَهٗ» جواب إن، و إنما تكون ظالما اذ هو «رَجُلٌ يَتَقَلَّبُ فِي نِعْمَةِ مَوْلَاهُ التي تَفَضَّلَ بِهَا عَلَيْهِ وَ قَدَّرَهَا لَهٗ وَ لَمْ يَجْعَلْ لِاَحَدٍ فيهَا حَظًّا وَ نَصِيْبًا» و أنت تريد سلبها منه و جذبها إليك «فَمَنْ يَكُوْنُ اَظْلَمَ مِنْكَ وَ اَبْخَلَ وَ اَرْعَنَ» من الرعونة و هي الحماقة «وَ اَنْقَصَ عَقْلًا مِنْكَ» إليه تعالىٰ.

«وَ اِنْ حَسَدْتَّهٗ عَلٰى قِسْمِكَ فَقَدْ جَهِلْتَ غَايَةَ الْجَهْلِ فَاِنَّ قِسْمَكَ لَا يُعْطِي» الله تعالىٰ «غَيْرَكَ وَ لَا يَنْتَقِلُ مِنْكَ اِلَيْهِ حَاشَ لله عَزَّ وَ جَلَّ» أي تنزيها له تعالىٰ من أن يعطى لشخص ما قدره لغيره. «قَالَ اللهُ سُبْحَانَهٗ وَ تَعَالٰى:»

﴿«مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَ مَآ اَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيْدِ»﴾[ق:٢٩،الآية:٥٠]

«اِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُكَ فيأْخُذُ مَا قَسَّمَهٗ» لك «وَ قَدَّرَهٗ لَكَ فيعْطِيْ غَيْرَكَ فَهٰذَا» الاعتقاد «جَهْلٌ مِّنْكَ وَ ظُلْمٌ لِّاَخِيْكَ» أي ظلم منك لأخيك المحسود بالتهمة أنه أخذ نصيبك و هو بريئ من ذلك.

ثُمَّ حَسْدُكَ لِلْاَرْضِ التي هي مَعْدِنُ الْكُنُوْزِ وَالذَّخَائِرِ مِنْ اَنْوَاعِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْجَوَاهِرِ مِمَّا جَمَعَتْهُ الْمُلُوْكُ الْمُتَقَدِّمَةُ مِنْ عَادٍ وَ ثَمُوْدَ وَ كِسْرٰى وَ قَيْصَرَ اَوْلٰى مِنْ حَسَدِكَ لِاَخِيْكَ.

وَ مَا مَثَلُكَ اِلَّا مَثَلَ رَجُلٍ رَاٰى مَلِكًا مَعَ سُلْطَانِهٖ وَ جُنُوْدِهٖ وَ حَشْمِهٖ وَ مُلْكِهٖ عَلَى الْاَرَاضِيْ وَ جِبَايَةِ خِرَاجِهَا اِلَيْهِ وَ اِرْتِفَاعِهَا لَدَيْهِ

وَ تَنَعُّمِهِ بِأَنْوَاعِ النَّعِيْمِ وَاللَّذَّاتِ وَالشَّهَوَاتِ فَلَمْ تَحْسُدْهُ عَلٰى ذٰلِكَ.

ثم بيّن ما هو الأولٰى والأليق بالحسد بقوله: «ثُمَّ حَسْدُكَ لِلْاَرْضِ الَّتِيْ هِيَ مَعْدِنُ الْكُنُوْزِ وَالذَّخَائِرِ مِنْ اَنْوَاعِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْجَوَاهِرِ مِمَّا جَمَعَتْهُ الْمُلُوْكُ الْمُتَقَدَّمَةُ مِنْ عَادٍ وَ ثَمُوْدَ وَ كِسْرٰى وَ قَيْصَرَ اَوْلٰى مِنْ حَسَدِكَ لِاَخِيكَ».

ثم بيّن للحاسد و حسده تمثيلا بقوله: «وَ مَا مَثَلُكَ» يا حاسد «اِلَّا مَثَلَ رَجُلٍ رَاٰى مَلِكًا مَعَ سُلْطَانِهِ» أي سلطنته «وَ جُنُوْدِهِ وَ حَشْمِهِ وَ مُلْكِهِ، عَلَى الْاَرَاضِيْ وَ جِبَايَةِ خِرَاجِهَا» أي جذب خراج تلك الأراضي «اِلَيْهِ وَ اِرْتِفَاعِهَا» أي ارتفاع تلك الأراضي «لَدَيْهِ وَ تَنَعُّمِهِ بِاَنْوَاعِ النَّعِيْمِ وَاللَّذَّاتِ وَالشَّهَوَاتِ فَلَمْ تَحْسُدْهُ» أي ذلك الملك «عَلٰى ذٰلِكَ» المملكة والسلطنة.

ثُمَّ رَاٰى رَجُلًا يَخْدِمُ كَلْبًا مِنْ كِلَابِ ذٰلِكَ الْمَلِكِ يَقُوْمُ وَ يَبِيْتُ وَ يُصْبِحُ مَعَهُ فيعْطىٰ مِنْ مَطْبَخِ الْمَلِكِ بَقَايَةَ طَعَامٍ وَ رَدَاءَتَهُ فيتَقَوَّتُ بِهٖ فَاَخَذَ ذٰلِكَ الرَّجُلُ يَحْسُدُهُ وَ يُعَادِيْهِ وَ يَتَمَنّٰى مَوْتَهُ وَ هَلَاكَهُ وَ كَوْنَهُ مَكَانَهُ وَ اَنْ يَخْلُفَهُ خِسَّةً وَ دِنَاءَةً لَا زُهْدًا وَ دِيْنًا وَ قَنَاعَةً فَهَلْ يَكُوْنُ فِي الزَّمَانِ رَجُلٌ اَحْمَقَ مِنْهُ وَ اَرْعَنَ وَ اَجْهَلَ.

«ثُمَّ رَاٰى» ذلك الرجل الرائي للسطان «رَجُلًا يَخْدِمُ كَلْبًا مِنْ كِلَابِ ذٰلِكَ الْمَلِكِ يَقُوْمُ وَ يَبِيْتُ وَ يُصْبِحُ مَعَهُ» أي مع ذلك الكلب «فيعْطىٰ» ذلك الخادم لِلْكَلْبِ «مِنْ مَطْبَخِ الْمَلِكِ بَقَايَةَ طَعَامٍ وَ رَدَاءَتَهُ» و هو ما يلصق بالقدرمن الحرقة «فيتَقَوَّتُ بِهٖ» أي يجعل تلك البقاية من الطعام قوتا لنفسه «فَاَخَذَ» أي شرع «ذٰلِكَ الرَّجُلُ» الرائي «يَحْسُدُهُ» أي خادم الكلب «وَ يُعَادِيْهِ وَ يَتَمَنّٰى مَوْتَهُ وَ هَلَاكَهُ وَ كَوْنَهُ مَكَانَهُ» أي مكان خادم الكلب «وَ اَنْ يَخْلُفَهُ» أي يكون خليفة لخادم الكلب، يطلب ذلك المنصب «خِسَّةً وَ دِنَاءَةً» من نفسه الخسيسة الدنية «لَا زُهْدًا وَ دِيْنًا وَ قَنَاعَةً» بالأدنى من الدنيا كما يفعله الزهاد إِذْلالًا للنفس الأمارة بخدمة الكلب «فَهَلْ يَكُوْنُ فِي الزَّمَانِ رَجُلٌ اَحْمَقَ مِنْهُ وَ اَرْعَنَ» من الرعونة و هى الحماقة

«وَ اَجْهَلَ» منه.

ثُمَّ لَوْ عَلِمْتَ يَا مِسْكِيْنُ مَا سَيَلْقٰى جَارُكَ اِنْ لَّمْ يَكُنْ اَطَاعَ اللهَ فِيمَا خَوَّلَهُ مِنْ نِعَمِهٖ وَ اَدّٰى حَقَّهُ فِيهَا وَ اِمْتَثَلَ اَمْرَهُ وَ اِنْتَهٰى نَهيهُ فِيهَا وَ اسْتَعَانَ بِهَا عَلٰى عِبَادَتِهٖ وَ طَاعَتِهٖ وَ مَا يَتَمَنّٰى اَنَّهُ لَمْ يُعْطِ مِنْ ذٰلِكَ ذَرَّةً وَ لَا رَاٰى نَعِيْمًا يَوْمًا مَّا قَطُّ. اَمَا سَمِعْتَ مَا قَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيْثِ اَنَّهُ قَالَ: لَيَتَمَنَّيَنَّ اَقْوَامٌ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ اَنْ تُقْرَضَ لُحُوْمُهُمْ بِالْمَقَارِيْضِ مِمَّا يَرَوْنَ مِنْ اَصْحَابِ الْبَلَايَا مِنَ الثَّوَابِ.

فَيَتَمَنّٰى جَارُكَ غَدًا مَكَانَكَ فِي الدُّنْيَا لِمَا يَرٰى مِنْ طُوْلِ حِسَابِهٖ وَ مُنَاقَشَتِهٖ وَ قِيَامِهٖ خَمْسِيْنَ اَلْفَ سَنَةٍ فِي حَرِّ الشَّمْسِ فِي الْقِيٰمَةِ لِاَجَلِ مَا تَمَتَّعَ بِهٖ مِنَ النِّعَمِ فِي الدُّنْيَا وَ أنت فِي مَعْزِلٍ عَنْ ذٰلِكَ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ اٰكِلًا شَارِبًا مُتَنَعِّمًا فَرِحًا مَسْرُوْرًا مُسْتَرِيْحًا لِصَبْرِكَ عَلٰى شَدَائِدِ الدُّنْيَا وَ ضِيْقِهَا وَ آفَاتِهَا وَ فَقْرِهَا وَ بُؤْسِهَا وَ رِضَاكَ بِقِسْمِكَ وَ مُوَافَقَتِكَ لِرَبِّكَ فِيمَا دَبَّرَ وَ قَضٰى مِنْ فَقْرِكَ وَ غِنَاءِ غَيْرِكَ وَ سُقْمِكَ وَ عَافِيَةِ غَيْرِكَ وَ شِدَّتِكَ وَ رَخَاءِ غَيْرِكَ وَ ذُلِّكَ وَ عِزِّ غَيْرِكَ جَعَلَنَا اللهُ تعالٰى وَ اِيَّاكَ مِمَّنْ صَبَرَ عَلَى الْبَلَاءِ وَ شَكَرَ عَلَى النَّعْمَاءِ وَ اَسْلَمَ وَ فَوَّضَ الْاَمْرَ اِلٰى رَبِّ الْاَرْضِ وَالسَّمَاءِ.

«ثُمَّ لَوْ عَلِمْتَ يَا مِسْكِيْنُ مَا سَيَلْقٰى جَارُكَ» الَّذِيْ أنعم الله تعالٰى عليه و أنت تحسده عليها من طول الحساب يوم القيمة «اِنْ لَّمْ يَكُنْ» جارك المنعم عليه «اَطَاعَ اللهَ تعالٰى فِيمَا خَوَّلَهُ» الله تعالٰى و أعطاه «مِنْ نِعَمِهٖ وَ» إن لم يكن «اَدّٰى حَقَّهُ» أي حق الله تعالٰى «فِيهَا وَ» ما «اِمْتَثَلَ اَمْرَهُ» تعالٰى «وَ» ما «اِنْتَهٰى نَهيهُ» تعالٰى «فِيهَا وَ» ما «اسْتَعَانَ بِهَا عَلٰى عِبَادَتِهٖ» تعالٰى «وَ طَاعَتِهٖ» بل أطاع نفسه و هواه واستوفى حظه و مشتهاه «وَ» لو علمتَ يا مسكين «مَا يَتَمَنّٰى» جارك حين جازاه الله على تلك النعم المصروفة في غير محلها «اَنَّهُ» تعالٰى «لَمْ يُعْطِ» إن قُرِئَ بصيغة المعروف فالضمير فيه

و في أنه لله تعالىٰ أي يتمنى أن الله تعالىٰ لم يعط له «مِنْ ذٰلِكَ» المذكور من النعم المعطى له في الدنيا «ذَرَّةً وَ لَا رَاٰى» هو «نَعِيْمًا يَوْمًا مّا قَطُّ» و إن قُرِئَ بصيغة المجهول فالضميرانِ للجار أي يتمنى ذلك الجار أنه لم يُعْطَ من جانب الله من ذلك ذرة، و هذا التمني ثابت مقرر«اَ مَا سَمِعْتَ مَا قَدْ وَرَدَ في الْحَدِيْثِ أَنَّهُ قَالَ: "لَيَتَمَنَّيَنَّ اَقْوَامٌ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ اَنْ تُقْرَضَ لُحُوْمُهُمْ بِالْمَقَارِيْضِ مِمَّا يَرَوْنَ مِنْ اَصْحَابِ الْبَلَايَا مِنَ الثَّوَابِ"».

و روي الترمذى عن جابر رضي الله عنه بهذا اللفظ:

قال: قال رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ: يود أهل العافية يوم القيمة حين يُعطى اهل البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت قرضت في الدنيا بالمقاريض.[1]

«فيتَمَنّٰى جَارُكَ غَدًا» لما يرى من شِدَّة حالة بتلك النعم التي لم يصرفها في مَحَالّها «مَكَانَكَ» و منزلتك من السقم و تقتير الرزق الحالة بك «في الدُّنْيَا لِمَا يَرٰى مِنْ طُوْلِ حِسَابِهِ وَ مُنَاقَشَتِهِ» أي المناقشة والتفتيش معه فالمصدر مضاف إلى المفعول «وَ قِيَامِهٖ خَمْسِيْنَ اَلْفَ سَنَةٍ» التي هي مدة يوم القيمة «في حَرِّالشَّمْسِ في» يوم «الْقِيٰمَةِ لِاَجَلِ» شؤم «مَا تَمَتَّعَ بِهٖ مِنَ النِّعَمِ في الدُّنْيَا وَ أنت» أي هو واقع في هذه الشدة والحال أنك «في مَعْزِلٍ» أي بُعْدٍ «عَنْ ذٰلِكَ» المحنة والشدة مُستريح «في ظِلِّ الْعَرْشِ» الَّذِيْ لاظل إلا ظله «اٰكِلًا شَارِبًا مُتَنَعِّمًافَرِحًا مَسْرُوْرًا مُسْتَرِيْحًا» بما أعطاك ربك من النعم «لِصَبْرِكَ عَلَى شَدَائِدِ الدُّنْيَا وَ ضِيْقِهَا وَ آفَاتِهَا وَ فَقْرِهَا وَ بُؤْسِهَا، وَ رِضَاكَ بِقِسْمِكَ» و نصيبك «وَ مُوَافَقَتِكَ لِرَبِّكَ» أي مع ربك «فِيمَا» أراده بك واختاره لك و «دَبَّرَ» لك «وَ قَضٰى» عليك «مِنْ فَقْرِكَ وَ غِنَاءِ غَيْرِكَ وَ سُقْمِكَ وَ عَافيةِ غَيْرِكَ وَ شِدَّتِكَ وَ رَخَاءِ غَيْرِكَ» و سعته «وَ ذُلِّكَ وَ عِزِّ غَيْرِكَ» و جواب لو محذوف أي لو علمت حال جارك في الشدة و حالك في السرور يوم القيمة لماحسدته على تلك النعم الموجبة لتلك الشدة بل شكرت ربك فيما فعل بك.

«جَعَلَنَا الله تعالىٰ وَ اِيَّاكَ مِمَّنْ صَبَرَ عَلَى الْبَلَاءِ وَ شَكَرَ عَلَى النَّعْمَاءِ وَ اَسْلَمَ» و انقاد «وَ فَوَّضَ الْاَمْرَ اِلٰى رَبِّ الْاَرْضِ وَالسَّمَاءِ».

---

(١) انظر الجامع للترمذي ٤/ ٦٠٣، برقم:٢٤٠٢، أبواب الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب منه.

اَلْمَقَالَةُ الثَّامِنَهُ وَالثَّلٰثُوْنَ

في الصِّدْقِ مَعَ الله تَعَالٰى

قَالَ رَضِيَ الله تَعَالٰى عَنْهُ: مَنْ عَامَلَ مَعَ مَوْلَاهُ بِالصِّدْقِ وَالنِّصَاحِ اِسْتَوْحَشَ بِمَّاسِوَاهُ فِي الْمَسَاءِ وَالصَّبَاحِ. يَا قَومُ لَا تَدَّعُوْا مَا لَيْسَ لَكُمْ وَ وَحِّدُوْا وَ لَا تُشْرِكُوْا وَ اهْدِفُوْا لِسَهَامِ الْقَدْرِ تُصِبْكُمْ خَدْشًا لَا قَتْلًا وَ مَنْ كَانَ فِي الله تَلَفُهُ كَانَ عَلَى الله خَلَفُهُ وَاعْلَمُوْا اَنَّكُمْ لَمْ تُوَاقِعُوْا مَجَارِي الْاَقْضِيَةِ اِلَّا قَصَمَتْكُمْ.

«قَالَ رَضِيَ الله تَعَالٰى عَنْهُ مَنْ عَامَلَ مَعَ مَوْلَاهُ بِالصِّدْقِ وَالنِّصَاحِ» أي النصح بمعنى الخلوص و الإخلاص «اِسْتَوْحَشَ» ذلك العامل المخلص واستغنى «بِمَّاسِوَاهُ» تعالٰى «فِي الْمَسَاءِ وَالصَّبَاحِ. يَا قَومُ لَا تَدَّعُوْا» لأنفسكم «مَا لَيْسَ لَكُمْ» من المرتبة «وَ وَحِّدُوْا» الله توحيدا خالصاعن الشرك الجلي والخفي «وَ لَا تُشْرِكُوْا» بالله شيئا لا في الألوهية و لا في الوجود فإن الوجود الحقيقي الأصلي إنما هو لله تعالٰى والخلق إنما وجد بظل وجوده فصار به موجودا ظاهريّا ظلّيًا «وَ اهْدِفُوْا» أي صيروا هدفا، و في بعض النسخ بصيغة المضارع فهو أيضًا بمعنى الأمر و إن كان بصيغة الخبر «لِسَهَامِ الْقَدْرِ تُصِبْكُمْ» تلك السهام «خَدْشًا» أي جراحة «لَا قَتْلًا وَ مَنْ كَانَ فِي الله» أي في سبيل الله و طلبه «تَلَفُهُ كَانَ عَلَى الله خَلَفُهُ» أي عوضه «وَاعْلَمُوْا اَنَّكُمْ لَمْ تُوَاقِعُوْا مَجَارِي الْاَقْضِيَةِ» أي مجاري قضاء الله تعالٰى و قدره «اِلَّا قَصَمَتْكُمْ» أي كسرتكم تلك الأقضيةُ فنسبة إرادات الخلق بالنسبة إلى إرادة الحق نسبة الخلق إلى الحق فقضاء الله تعالٰى سلطان الأقضية وحكم الله تعالٰى أمير الأحكام فمن خالف من الرعية السلطان فقد تصدى للهلاك.

وَ اَنَّهٗ لَا يُصْطَفى الْقَلْبُ حَتّٰی تُصْطَفى النَّفْسُ وَ تَصِيْرُ مِثْلَ كَلْبِ اَهْلِ رَابِضَةٍ عَلَى الْبَابِ وَ تُنَادٰى ﴿يٰاَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ.ارْجِعِيْٓ اِلٰى رَبِّكِ رَاضِيَةً﴾.[الفجر:٣٠] فَحِيْنَئِذٍ يَدْخُلُ الْقَلْبِ الْحَضْرَةَ وَ يَصِيْرُ كَعْبَةً لِطَوَافِ الرَّبِّ تَعَالٰى وَ يَكْشِفُ لَهُ الرَّبّ عَنْ جَلَالِ الْمَلِكِ، وَ كَمَالِ الْمُلِكِ وَ يَسْتَوْطِنُ خَيْمَةَ الْقُرْبِ وَ يَفْرُشُ فِي جَوَارِ الْمَلِكِ وَ يُظْهِرُ نَجَابَتَهٗ وَ يُخْرِجُ الْفَاقَةَ وَ سَلَّمَ: اِلَيْهِ دِرَايَتَهٗ وَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ مِنَ الرَّفِيْقِ الْاَعْلٰى يَا عَبْدِيْ أنت لِيْ وَ اَنَا لَكَ فَاِذَا طَالَتْ صُحْبَتُهٗ صَارَ بِطَانَةَ الْمُلِكِ وَ خَلِيْفَتَهٗ عَلٰى رَعِيَّتِهٖ وَ اَمِيْنَهٗ عَلٰى اَسْرَارِهٖ وَ اَرْسَلَهٗ اِلَى الْبَحْرِ لِيُنْقِذَ الْغَرْقٰى وَ اِلَى الْبَرِّ لِيَهْدِي الضَّالَّ فَاِنْ مَرَّ عَلَى الْمَيِّتِ اَحْيَاهُ اَوْ عَلٰى عَاصٍ ذَكَّرَهٗ اَوْ عَلٰى بَعِيْدٍ قَرَّبَهٗ اِلَيْهِ اَوْ عَلٰى شَقِيٍّ اَسْعَدَهٗ.

«وَ» اعلموا «اَنَّهٗ» أي الشأن «لَا يُصْطَفى الْقَلْبُ اصطفاءً» يوجب القبولية عند الله تعالٰى «حَتّٰی تُصْطَفىٰ النَّفْسُ» باتباع الحق في الشريعة والطريقة والحقيقة «وَ تَصِيْرُ» النفس «مِثْلَ كَلْبِ اَهْلِ رَابِضَةٍ» أي أهل محلة «عَلَى الْبَابِ» فإنه لا يمنع أحدًا من دخول الباب إن كان من أهل المعرفة و يمنع الأجنبي، والمراد هنا أن النفس يصير مثل ذلك الكلب لا تمنع أعمال الخير الموجبة لرضا الله تعالٰى و تمنع أعمال الشر الموجبة لسخط الله تعالٰى فيصير النفس الأمارة مطمئنة «وَ تُنَادٰى» من جانب الله تعالٰى بخطاب:

﴿يٰاَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ.ارْجِعِيْٓ اِلٰى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً.فَادْخُلِيْ فِي عِبَادِيْ. وَادْخُلِيْ جَنَّتِيْ﴾[الفجر:٨٩/ ٢٧ إلى ٣٠]

قيل تلك الجنة جنة لا حور فيها و لا تصور بل إنما فيها مشاهدة الرب بسرور و حضور «فَحِيْنَئِذٍ» أي حين تصطفى النفس و تصير أهلا لهذا الخطاب الجسيم «يَدْخُلُ الْقَلْب الْحَضْرَة» الألوهية التي تسمى باللاهوتية «وَ يَصِيْرُ كَعْبَةً لِطَوَافِ الرَّبِّ تَعَالٰى» أي محلا لتجلياته كأنّ التجليات تحوم حول هذا القلب كما تحوم

الحُجاج حول الكعبة «وَ يَكْشِفُ لَهُ» أي لهذ القلب «الربُّ عَزَّ وَ جَلَّ عَنْ جَلَالِ الْمِلِكِ وَ كَمَالِ الْمُلِكِ» إقامة للظاهر مقام الضمير والقياس جلالِهِ وكمالِهِ «وَ يَسْتَوْطِنُ خَيْمَةَ الْقُرْبِ» أي يجعل خيمة القرب وطنا و مقرا له «وَ يَفْرُشُ» لهذا القلب «فِي جَوَارِ الْمِلِكِ وَ يُظْهِرُ» الملك له «نَجَائِبَهُ» أي نفائسه جمع نجيب و هو الخلص من كل شيء «وَ يُخْرِجُ» الملك له «الْفَاقَةَ» من خزائنه «وَ سَلَّمَ» الملك «إِلَيْهِ»أي إلى هذا القلب «دِرَايَتَهُ» المراد بالفاقة الافتقارو الاحتياج الَّذِيْ هو مقام العبودية و هي أعلى المقامات و أسناها «وَ يَسْمَعُ» هذا القلب البالغ إلى هذه المرتبة «النِّدَاءَ مِنَ الرَّفِيقِ الْاَعْلٰى» أي من المقربين إلى الله حكاية عن الله تعالٰى أو من الله تعالٰى بلا واسطة «يَا عَبْدِيْ» وَ كُلُّ من المخلوقات عَبْدِيْ «أنت لِيْ وَ اَنَا لَكَ» عبارة عن كمال الاختصاص الَّذِيْ لا مرتبة فوقها لكن أولياء الله تعالٰى يتفاوتون في هذه المرتبة.

و قد نقل عن قطب الوقت و غوث الزمان السيد محمد المخاطب من عند الله ب "شاه عالم" لما أَجْلَسَه قطبُ الوقت و غوث الزمان مخدوم شيخ أحمد كهتو في الخلوة الأربعينيّةِ يسمع في الأربعين الأولى أنت لي و في الثانية أنا لك فسأله الشيخ عن واقعات الخلوة فقال: هكذا أسمع نداء الغيب بلا شك و لا ريب، فقال الشيخ: اخرج فقد حصل مقصودك و وصل مطلوبك

«فَإِذَا طَالَتْ صُحْبَتُهُ» أي صحبة هذا القلب مع الله «صَارَ بِطَانَةَ الْمِلِكِ» أي صاحب سرّه «وَ خَلِيْفَتَهُ عَلٰى رَعِيَّتِهٖ وَ اَمِيْنَهُ عَلٰى اَسْرَارِهٖ وَ اَرْسَلَهُ» الملك «إِلَى الْبَحْرِ لِيُنْقِذَ» الجماعة «الْغَرْقٰى وَ» أرسله «إِلَى الْبَرِّ لِيَهْدِى» الفريقة الْهُلْكٰى «الضَّالَّ» طريق الإيمان والعرفان «فَإِنْ مَرَّ» هذا العبد «عَلَى الْمَيِّتِ اَحْيَاهُ» بإذن الله تعالٰى «اَوْ» مر «عَلٰى عَاصٍ ذَكَّرَهُ» طريق التَّوبة «اَوْ» مر «عَلٰى بَعِيْدٍ» من الله تعالٰى «قَرَّبَهُ اِلَيْهِ» تعالٰى «اَوْ» مر «عَلٰى شَقِيٍّ اَسْعَدَهُ» كل ذلك بإذن الله تعالٰى و أثر كمال متابعته للنبي صلى الله عليه وسلم.

اَلْوَلِيُّ غُلَامُ الْبَدَلِ، وَالْبَدَلُ غُلَامُ النَّبِيِّ، وَالنَّبِيُّ غُلَامُ الرَّسُوْلِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ وَ عَلَيْهِمْ اَجْمَعِيْنَ مِثَالُ الْوِلَايَةِ مِثَالُ مُسَامِرِ الْمَلِكِ وَ مُبَاطِنِ حَضْرَتِهٖ لَا تَزَالُ فِي صُحْبَتِهٖ اِلَّا اِذَا رَكِبَ الْخَلْوَةَ مَنِصَّةَ عُرُوْسِهٖ وَاللَّيْلَ سَرِيْرَ مَلِكِهٖ، وَالنَّهَارَ يُقَرِّبُهُمْ.

﴿يٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلٰٓى اِخْوَتِكَ﴾ [يوسف، رقم السورة: ١٢، رقم الآية:٥]

«اَلْوَلِيُّ غُلَامُ الْبَدَلِ» فإن البدلية أعلى المراتب بعد النبوة «وَالْبَدَلُ غُلَامُ النَّبِيِّ» إذ يصل إليه فيضه و هو سائر على قدمه «وَالنَّبِيُّ غُلَامُ الرَّسُوْلِ» إذ هو في شريعته و تابع لحكمه و يبلغ الكمال بكمال متابعته و سائرالرسل توابع لسيدهم و خاتمهم أفضل البشر سيدنا حبيب الله محمد رسول الله «صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ وَ عَلَيْهِمْ اَجْمَعِيْنَ، مِثَالُ» أهل «الْوِلَايَةِ مِثَالُ مُسَامِرِ الْمَلِكِ» أي خواصه «وَ مُبَاطِنِ حَضْرَتِهٖ لَا تَزَالُ» تلك المسامر «فِي صُحْبَتِهٖ اِلَّا اِذَا رَكِبَ الْخَلْوَةَ» أي في الخلوة «مَنِصَّةَ عُرُوْسِهٖ» منصة العروس: هي ما يجلس العروس عليه للجلوة بعد ما تُز يّن في الخلوة «وَاللَّيْلَ» أي ركب في الليل «سَرِيْرَ مَلِكِهٖ» فإنهم يفارقونه فيها فإن جلساء الملك و ندمائه لا يزالون في خدمته إلا في هذين الوقتين فإنهما وقت الخلوة عن الجميع «وَالنَّهَارَ» أي و في النهار «يُقَرِّبُهُمْ» الملك إليه.

و هذه الجملة معطوفة على مجموع الجملة السابقة غير داخلة تحت الاستثناء فمن بلغ هذه المرتبة ينبغي بل يجب أن يحافظ على الأسرار، فإن إفشاء سر الربوبية كفر، و إلى هذا أشار بقوله تعالى حكاية عن يعقوب عليه السلام لابنه المحبوب إليه يوسف عليه السلام حين أخبره عن منامه ب،

﴿اِنِّيْ رَاَيْتُ اَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَاَيْتُهُمْ لِيْ سٰجِدِيْنَ. قَالَ يٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلٰٓى اِخْوَتِكَ﴾[يوسف، رقم السورة:١٢، رقم الآية:٤-٥] أي لا تخبر بما أطلعتَ عليه من الأسرار إخوتك من بني آدم. و فيه تلميح أي اشارة إلى قصة يعقوب و يوسف عليهما السلام من غير جري ذكرها.

اَلْمَقَالَةُ التَّاسِعَةُ وَالثَّلٰثُوْنَ

فِي الْاَخْذِ مَعَ الْهَوٰى وَالْاَخْذِ بِدُوْنِ الْهَوٰى

قَالَ رَضِيَ الله تَعَالٰى عَنْهُ: اَلْاَخْذُ مَعَ وُجُوْدِ الْهَوٰى مِنْ غَيْرِ الْاَمْرِ عِنَادٌ وَ شِقَاقٌ. وَ الْاَخْذُ مَعَ عَدْمِ الْهَوٰى وِفَاقٌ وَ اِتِّفَاقٌ وَ تَرْكُهٗ رِ يَاءٌ وَ نِفَاقٌ.

«قَالَ رَضِيَ الله تَعَالٰى عَنْهُ: اَلْاَخْذُ» أي أخذ الفتوح أو المراد به الشروع في الأفعال قلبيةً كانت أو جارحيةً «مَعَ وُجُوْدِ الْهَوٰى مِنْ غَيْرِالْاَمْرِ» شرعيا ظاهر يا أو حقيقيا باطنيا «عِنَادٌ وَ شِقَاقٌ» أي خلاف مع الله تعالٰى فإن الله أمر للعوام بالأخذ بأمر الشرع كما قال عزَّ وَ جلَّ

﴿وَ مَآ اٰتٰكُمُ الرَّسُوْلُ فَخُذُوْهُ ۚ وَ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوْا﴾[الحشر، رقم السورة:٥٩، رقم الآية:٧]

و للخواص بالأخذ بالأمر الباطني كما مرّ ذكره في المقالات السابقة «وَ الْاَخْذُ مَعَ عَدْمِ الْهَوٰى وِفَاقٌ وَ اِتِّفَاقٌ» مع الله تعالٰى فإنه لما خلص من الهوى لم يكن إرادته إلا بإرادة الله تعالٰى فالفعل على مقتضاها وِفاق و اتفاق البتة «وَ تَرْكُهٗ» بملاحظة اختياره «رِ يَاءٌ وَ نِفَاقٌ» مع الله تعالٰى لأن الفعل حينئذ ليس بملاحظة الله والفعل الخالي عن ملاحظة الله تعالٰى ر ياء و نفاق عند أهل البصيرة.

والأقسام أر بعة: الهوى مع الأمر،أو بدونه، و عدم الهوى مع الأمر، أو بدونه، و الأمر الَّذِيْ يكون مع الهوى يفيد الإباحة إن لم يكن الأمر للوجوب و لا الندب. والإباحة بمخالطة الهوى يستحب تركها في الشريعة و يجب في الطر يقة، والأمر الَّذِيْ يكون بدون الهوى يفيد الوجوب في الطر يقة، بملاحظة الأمر أي أمر كان للإباحة أوالندب أوالوجوب. و أما في الشرع فبحسب الأمر و هذا هو القسم

الأخير في المتن، والهوى بدون الأمر يفيد الحرمة والرد عند أهل الطريقة، والإباحة في الشريعة إن لم يكن منهيا عنه، و عدم الهوى مع عدم الأمر أيضًا يفيد الإباحة في الشريعة والترك وجوبا في الطريقة إن كان من اهل البدلية، فالواجب واحد، والمردود واحد، والمباح اثنان.

اَلْمَقَالَةُ الْاَرْبَعُوْنَ

في الْمَنْعِ لِلسَّالِكِ عَنْ اِدْخَالِ نَفْسِهٖ فِي الرُّوْحَانِيِّيْنَ مَعَ بَقَاءِ بَشَرِيَّتِهٖ

قَالَ رَضِيَ الله تَعَالٰى عَنْهُ: لَا تَطْمَعْ اَنْ تَدْخُلَ فِي زُمْرَةِ الرُّوْحَانِيِّيْنَ حَتّٰى تُعَادِيَ جُمْلَتَكَ وَ تُبَائِنَ جَمِيْعَ الْجَوَارِحِ وَالْاَعْضَاءِ وَ تَنْفَرِدَ عَنْ وُجُوْدِكَ وَ حَرَكَاتِكَ وَ سَكْنَاتِكَ وَ سَمْعِكَ وَ بَصَرِكَ وَ كَلَامِكَ وَ بَطْشِكَ وَ سَعْيِكَ وَ عَمَلِكَ وَ عَقْلِكَ وَ جَمِيْعِ مَا كَانَ مِنْكَ قَبْلَ وُجُوْدِ الرُّوْحِ فِيكَ وَ مَا اَوْجَدَ فِيكَ بَعْدَ نَفْخِ الرُّوْحِ؛ لِاَنَّ جَمِيْعَ ذٰلِكَ حِجَابُكَ عَنْ رَبِّكَ عَزَّ وَ جَلَّ فَاِذَا صِرْتَ رُوْحًا مُنْفَرِدًا، سِرَّ السِّرِّ وَ غَيْبَ الْغَيْبِ مُبَائِنًا لِلْاَشْيَاءِ فِي سِرِّكَ، مُتَّخِذًا لِلْكُلِّ عَدُوًّا وَ حِجَابًا وَ ظُلْمَةً كَمَا قَالَ اِبْرَاهِيمُ الْخَلِيْلُ عَلَيْهِ الصَّلٰوةُ وَالسَّلَامُ:

فَاِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيْ اِلَّا رَبَّ الْعٰلَمِيْنَ.[الشعراء. رقم السورة:٢٦، رقم الآية:٧٧]

«قَالَ رَضِيَ الله تَعَالٰى عَنْهُ: لَا تَطْمَعْ» أيها السالك «اَنْ تَدْخُلَ فِي زُمْرَةِ الرُّوْحَانِيِّيْنَ» الكاملين من عباد الله «حَتّٰى تُعَادِيَ جُمْلَتَكَ» أي مجموع ذاتك من النفس مع الخطرات و أفعال الجوارح على مقتضى مشتهاها عداوةً كاملةً «وَ تُبَائِنَ جَمِيْعَ الْجَوَارِحِ وَالْاَعْضَاءِ» مبائنة ظاهرة «وَ تَنْفَرِدَ عَنْ وُجُوْدِكَ وَ حَرَكَاتِكَ وَ سَكْنَاتِكَ وَ سَمْعِكَ» أي سماعك «وَ بَصَرِكَ» أي رؤيتك «وَ كَلَامِكَ» أي تكلمك فإن هذه الكلمات تستعمل بالمعنى المصدري، و بالقوة التي هي منشأُها في الأولين، و بمعنى الحاصل بالمصدر في الكلام، والمراد هنا المعنى المصدري الَّذِيْ هي فعل العبد و لذا فسرنا بما يفيد ذلك «وَ بَطْشِكَ وَ سَعْيِكَ وَ عَمَلِكَ وَ عَقْلِكَ وَ جَمِيْعِ مَا كَانَ مِنْكَ» أي ما خلق الله فيك من الأعضاء والقوى «قَبْلَ وُجُوْدِ الرُّوْحِ فِيكَ وَ مَا

اَوْجَدَ الله تعالٰى فيكَ» من القوى «بَعْدَ نَفْخِ الرُّوْحِ لِاَنَّ جَمِيْعَ ذٰلِكَ» المذكور من المخلوق قبل وجود الروح و بعد نفخها «حِجَابُكَ عَنْ رَبِّكَ عَزَّ وَ جَلَّ» لأنك لقصور نظرك لا تتجاوز عن أفعالها و مقتضياتها و مشتهياتها إلى خالقها و إلى ما خلق لأجلها «فَإِذَا صِرْتَ» بارتفاع النظر عنها إلى خالقها «رُوْحًا مُنْفَرِدًا» عن لوازم البشرية «وَ» صرت «سِرَّ السِّرِّوَ غَيْبَ الْغَيْبِ» هما اسمان لمرتبة الذات والمراد هنا الفناء فيها «مُبَائِنًا لِلْاَشْيَاءِ فِي سِرِّكَ» و إن خالطتَ معها بظاهرك «مُتَّخِذًا لِلْكُلِّ عَدُوًّا وَ حِجَابًا وَ ظُلْمَةً» مانعا من التوجه إلى الله الَّذِيْ هو خالقُ الكل و ربُّها «كَمَا قَالَ اِبْرَاهِيمُ الْخَلِيْلُ عَلَيْهِ الصَّلٰوةُ وَالسَّلَامُ:»

«فَاِنَّهُمْ» أي معبوداتكم و أباءكم «عَدُوٌّ لِّيْ» العدو والصديق يجيئان في معنَى الوحدة والجماعة يعني لو عبدتُهم لكانوا أعداء لي يوم القيمة كما حكاه الله تعالٰى ذٰلك في قوله:

﴿سَيَكْفُرُوْنَ بِعِبَادَتِهِمْ وَ يَكُوْنُوْنَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾(مريم، رقم السورة:١٩، رقم الآية:٨٢]

«اِلَّا رَبَّ الْعٰلَمِيْنَ»

استثناء منقطع لأنه لم يدخل تحت الأعداء كأنّه قال لكن رب العالمين الَّذِيْ خلقني بالتكوين في القرار المكين فهو يهدين لمناهج الدنيا و مصالح الدين.

قَالَ ذٰلِكَ لِلْاَصْنَامِ فَاجْعَلْ أنت جُمْلَتَكَ اَصْنَامًا مَعَ سَائِرِ الْخَلَائِقِ، وَ لَا تُطِعْ شَيْئًا مِنْ ذٰلِكَ وَ لَا تَتَّبِعْهُ جُمْلَةً، فَحِيْنَئِذٍ تُؤمَنُ عَلَى الْاَسْرَارِ وَالْعُلُوْمِ اللَّدُنِّيَةِ وَ غَرَائِبِهَا، وَ يُرَدُّ اِلَيْكَ التَّكْوِيْنُ وَ خَرْقُ الْعَادَاتِ الَّتِيْ هِيَ مِنْ قَبِيْلِ الْقُدْرَةِ الَّتِيْ تَكُوْنُ لِلْمُؤمِنِيْنَ فِي الْجَنَّةِ، فَتَكُوْنُ فِي هٰذِهِ الْحَالَةِ كَاَنَّكَ اُحْيِيْتَ بَعْدَ الْمَوْتِ فِي الْاٰخِرَةِ، فَتَكُوْنُ كُلِّيَّتُكَ قُدْرَةً تَسْمَعُ بِالله، وَ تَبْصِرُ بِالله، وَ تَنْطِقُ وَ تَبْطُشُ بِالله، وَ تَسْعٰى وَ تَعْقِلُ بِالله، وَ تَطْمَئِنُّ وَ تَسْكُنُ بِالله فَتَعْمٰى عَمَّا سِوَاهُ وَ تَصُمُّ

عَنْهُ فَلَا تَرٰى لِغَيْرِهٖ وُجُوْدًا مَعَ حِفْظِ الْحُدُوْدِ وَ لُزُوْمِ الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي، فَإِنْ اِنْخَرَمَ فيكَ شيءٌ مِّنَ الْحُدُوْدِ فَاعْلَمْ اَنَّكَ مَفْتُوْنٌ مُتَلَاعِبَةٌ بِكَ الشَّيَاطِيْنُ فَارْجِعْ إِلٰى حُكْمِ الشَّرْعِ وَالْزَمْه وَ دَعْ عَنْكَ الْهَوَسَ لِاَنَّ كُلَّ حَقِيْقَةٍ لَا تُشْهِدُ لَهَا الشَّرِيْعَةُ فَهِي زَنْدَقَةٌ.

«قَالَ» إبراهيم صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ عَلٰى نَبِيِّنَا وَ سَلَّمَ «ذٰلِكَ» المقال أعني قوله: "فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّلِيْ" «لِلْاَصْنَامِ فَاجْعَلْ أنت جُمْلَتَكَ» أي ذاتك و أجزاءك «اَصْنَامًا مَعَ سَائِرِ الْخَلَائِقِ» فكن عدوا لهم و احذر هم أن يفتنوك عن ذكر الله تعالٰى و طاعته فإن ما شغلك عن الحق فهو صنمك «وَ لَا تُطِعْ شَيْئًا مِنْ ذٰلِكَ» المذكور من ذاتك والأعضاء والخلائق «وَ لَا تَتَّبِعْهُ جُمْلَةً» أي شيئا من المذكورات فالنفي بمعنى السلب الكلي لا رفع الإيجاب الكلي «فَحِيْنَئِذٍ» أي حين جعلتَ الجميعَ أعداءً و لا تبعت شيئا منه «تُؤمَنُ عَلَى الْاَسْرَارِ» الربانية «وَالْعُلُوْمِ اللَّدُنِّيَةِ» الحقانية «وَ غَرَائِبِهَا» و نفائسها «وَ يُرَدُّ اِلَيْكَ» أي يفوض إليك «التَّكْوِيْنُ» أي إيجاد الأشياء بإذن خالقها «وَ خَرْقُ الْعَادَاتِ التي هي مِنْ قَبِيْلِ الْقُدْرَةِ التي تَكُوْنُ لِلْمُؤمِنِيْنَ في الْجَنَّةِ فَتَكُوْنُ في هٰذِهِ الْحَالَةِ» الفائضة عليك في الدنيا «كَاَنَّكَ اُحْيِيْتَ» أي أحياك الله تعالٰى «بَعْدَ الْمَوْتِ في الْاٰخِرَةِ» فإن ما يترتب للمؤمنين على تلك الحيوة الأخروية من مشاهدة جمال الله والقدرة التامّة و رؤية ما لم يُرَ و سماع ما لم يُسْمَعْ يترتب عليك في هذه الحيوة الدنيا «فَتَكُوْنُ كُلِّيَّتُكَ» و جملتك «قُدْرَةً» لا بالأعضاء والجوارح الفانية الضعيفة العاجزة حتى تقف في محل «تَسْمَعُ» كل مسموع «بِاللهِ وَ تَبْصِرُ» كل مبصَر «بِاللهِ وَ تَنْطِقُ» كل كلام «بِاللهِ، وَ تَبْطُشُ» كل ما تبطش «بِاللهِ، وَ تَسْعٰى» كل سعي «بِاللهِ، وَ تَعْقُلُ» كل معقول «بِاللهِ وَ تَطْمَئِنُّ وَ تَسْكُنُ بِاللهِ» كما ورد ذلك في الحديث الصحيح الَّذِيْ مرّ ذكره في المقالة السادسة. فإذا صار جميع أفعالك القلبية والقالبية بالله تعالٰى «فَتَعْمٰي عَمَّا سِوَاهُ» تعالٰى من المخلوقات «وَ تَصُمُّ عَنْهُ» أي عما سوى الله تعالٰى «فَلَا تَرٰى» و لا تسمع «لِغَيْرِهٖ»

تعالىٰ «وُجُوْدًا» لكمال فنائك في الله بل الفناء في الأحد «مَعَ حِفْظِ الْحُدُوْدِ» الشرعيّة والطريقية والحقيقة «وَ لُزُوْمِ الْاَوَامِرِ وَالنَّوَاهي» الشرعية فإن الكمال إنما هو في ذلك «فَاِنْ اِنْخَرَمَ» أي هَتَكَ وَانْكَسَرَ «فيكَ» أي في أمر من أمورك من الأفعال القلبية والقالبية «شَيْءٌ مِّنَ الْحُدُوْدِ» الشرعية «فَاعْلَمْ اَنَّكَ مَفْتُوْنٌ» أراد الله تعالىٰ بك فتنة ليضلك عن سبيل المستقيم و هو الشرع المحمدي الَّذِيْ ليس للشيطان إليه سبيل «مُتَلَاعِبَةٌ بِكَ الشَّيَاطِيْنُ» وَجَدُوا عليك يدًا بخَرْق الستر الشرعي «فَارْجِعْ اِلٰى حُكْمِ الشَّرْعِ» بالتوجه التام «وَالْزَمْه وَ دَعْ عَنْكَ الْهَوَسَ» و الهوى «لِاَنَّ كُلَّ حَقِيْقَةٍ لَا تُشْهِدُ لَهَا الشَّرِيْعَةُ فَهي» عند الصوفية المحققين «زَنْدَقَةٌ» قال الله عَزَّ وَ جَلَّ:

﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ اِلَّا الضَّلٰلُ﴾[يونس، رقم السورة: ١٠، رقم الآية ٣٢]

اَلْمَقَالَةُ الْحَادِيَهُ وَالْاَرْبَعُوْنَ

فِي بَيَانِ الْمَثَلِ لِلْغِنٰى وَالْفَقْرِ

قَالَ رَضِيَ اللهُ تَعَالٰى عَنْهُ: نَضْرِبُ لَكَ مَثَلًا فِي الْغِنٰى فَنَقُوْلُ: اَلَا تَرَى الْمَلِكَ يُوَلِّيْ رَجُلًا مِنَ الْعَوَامِ وِلَايَةً عَلٰى بَلَدٍ مِّنَ الْبِلَادِ وَ يَخْلَعُ عَلَيْهِ وَ يَعْقِدُ لَهٗ اَلْوِيَةً وَ رَايَاتٍ وَ يُعْطِيْهِ الْكُوْسَ وَالطَّبْلَ وَالْجُنْدَ فيكُوْنُ عَلٰى ذٰلِكَ بُرْهَةً مِنَ الزَّمَانِ حَتّٰى إِذَا اطْمَئَنَّ وَاعْتَقَدَ بَقَائَهٗ وَ ثُبَاتَهٗ وَ عَجِبَ بِهٖ وَ نَسِيَ حَالَتَهُ الْأُوْلٰى وَ نُقْصَانَهٗ وَ ذُلَّهٗ وَ فَقْرَهٗ وَ خُمُوْلَهٗ وَ دَاخَلَتْهُ النَّخْوَةُ وَ الْكِبْرِيَاءُ جَاءَ هُ الْعَزْلُ مِنَ الْمَلِكِ فِي اَسَرِّ مَا كَانَ مِنْ اَمْرِهٖ ثُمَّ طَالَبَهُ الْمَلِكُ بِجَرَائِمَ صَنَعَهَا وَ تَعَدّٰى اَمْرَهٗ وَ نَهيهٗ فيهَا فَحَبِسَهٗ فِي اَضْيَقِ الْحُبُوْسِ وَ اَشَدِّهَا وَ طَالَ حَبْسُهٗ وَ دَامَ ضَرُّهٗ وَ ذُلُّهٗ وَ فَقْرُهٗ وَ ذَابَتْ نَخْوَتُهٗ وَ كِبْرِيَائُهٗ وَانْكَسَرَتْ نَفْسُهٗ وَ خَمِدَتْ نَائِرَةُ الْهَوٰى وَ كُلُّ ذٰلِكَ بِعَيْنِ الْمَلِكِ وَ عِلْمِهٖ ثُمَّ يَعْطِفُ الْمَلِكُ عَلَيْهِ وَ نَظَرَ بِعَيْنِ الرَّافَةِ وَ الرَّحْمَةِ فَاَمَرَهٗ بِاِخْرَاجِهٖ مِنَ الْحَبْسِ وَ بِالْاِحْسَانِ اِلَيْهِ وَالْخَلْعَةِ عَلَيْهِ وَ رَدِّ الْوِلَايَةِ إِلَيْهِ وَ مِثْلِهَا مَعَهَا وَ جعلَهَا مَوْهِبَةً فَدَامَتْ لَهٗ وَ بَقِيَتْ مُصَفَّاةً مُكَفَّاةً مُهَنَّاةً.

«قَالَ رَضِيَ اللهُ تَعَالٰى عَنْهُ: نَضْرِبُ لَكَ» يا طالب السلوك «مَثَلًا فِي الْغِنٰى» و أهل الغنى «فَنَقُوْلُ: اَلَا تَرَى الْمَلِكَ» من ملوك الدنيا «يُوَلِّيْ» أي يعطى «رَجُلًا مِنَ الْعَوَامِ وِلَايَةً» و حكومة «عَلٰى بَلَدٍ مِّنَ الْبِلَادِ وَ يَخْلَعُ عَلَيْهِ» خلع الخلافة والنيابة «وَ يَعْقِدُ لَهٗ اَلْوِيَةً وَ رَايَاتٍ» و أعلاما «وَ يُعْطِيْهِ الْكُوْسَ وَالطَّبْلَ» التي تضرب عند ركوب الملوك والسلاطين «وَالْجُنْدَ» والعسكر «فيكُوْنُ» ذٰلِكَ الرجل الَّذِيْ عظمه الملك «عَلٰى ذٰلِكَ» الحال الرفيع «بُرْهَةً مِنَ الزَّمَانِ حَتّٰى إِذَا اطْمَئَنَّ» ذلك

الرجل إلى ذلك الحال والمقام والقرب عند الملك «وَاعْتَقَدَ بَقَائَهُ وَ ثُبَاتَهُ وَ عَجِبَ بِهِ وَ نَسِيَ حَالَتَهُ الْأَوْلٰى وَ نُقْصَانَهُ» ما لاوجاها «وَ ذُلَّهُ» في الخلق «وَ فَقْرَهُ» في حوائجه «وَ خُمُوْلَهُ» في زاوية النكرة «وَ دَاخَلَتْهُ» في حال الغنى «النَّخْوَةُ وَ الْكِبْرِيَاءُ» و جواب قوله: "حتى إذا اطمئن" قوله: «"جَاءَهُ الْعَزْلُ مِنْ جانب الْمَلِكِ"» عن حكومة ذلك البلاد «فِي اَسَرِّ مَا» أي حال «كَانَ مِنْ اَمْرِهِ» و أتم سرور كان في وقته فانعزل حكومته و ذهبت نيابته فذهب بحضرة الملك فحاسبه و خاطبه و عاتبه «ثُمَّ طَالَبَهُ الْمَلِكُ بِجَرَائِمَ» بالنصب لأنه غير منصرف و قوله «صَنَعَهَا» بصيغة الماضي جملة وقعت صفة لقوله: "جرائم" و قوله «وَ تَعَدِّيْ اَمْرِهٖ وَ نَهِيهٖ» بصيغة المصدر معطوف على قوله: "جرائم" أي و طالبه الملك بتعدى أمره و نهيه «فيهَا» أي في تلك الولاية والحكومة «فَحَبِسَهُ» الملك «فِي اَضْيَقِ الْحُبُوْسِ» جمع حبس بمعنى السجن «وَ اَشَدِّهَا» إيذاء «وَ طَالَ حَبْسُهُ» إضافة إلى المفعول والفاعل متروك أي حبس الملك لذلك الرجل «وَ دَامَ ضَرُّهُ» في تلك السجن الضيق «وَ ذُلُّهُ وَ فَقْرُهُ» لغضب الملك و عدم الشفاعة من أحد «وَ ذَابَتْ نَخْوَتُهُ وَ كِبْرِيَائُهُ» لذهاب موجبها من الشوكة والشكيمة العارضية «وَانْكَسَرَتْ نَفْسُهُ» لما رأى من ضُعفها و عجزها «وَ خَمِدَتْ نَائِرَةُ الْهَوٰى» أي غلبتها «وَ» اشتعالها «كُلُّ ذٰلِكَ» المذكور من الحالات الجارية على ذلك الرجل المعزول المحبوس والحالات الطارية عليه «بِعَيْنِ الْمَلِكِ» أي في نظره و حضوره «وَ عِلْمِهٖ» فأبقاه الملك على ذلك الحال ما دام علم تَنبُّهَه بذلك و صلاحه في ذلك «ثُمَّ يَعْطِفُ الْمَلِكُ» و يرحم «عَلَيْهِ وَ نَظَرَ بِعَيْنِ الرَّافَةِ وَ» نظر «الرَّحْمَةِ» إليه بعد ما علم أنه اِنْ أعطاه الدولة لا يكون فيها اَشِرًا بَطِرًا «فَاَمَرَهُ بِاِخْرَاجِهٖ مِنَ الْحَبْسِ وَ» أمر «بِالْاِحْسَانِ اِلَيْهِ وَالْخَلْعَةِ عَلَيْهِ وَ رَدِّ الْوِلَايَةِ» المذكورة المشتملة على تلك البلاد و حكومتها «إِلَيْهِ وَ مِثْلِهَا مَعَهَا» أي مع ضعف تلك البلاد «وَ جَعَلَهَا» أي تلك الولاية مع المنضم معها كلها عطيّة «مَوْهِبَةً» لا حكومة و تعاملا «فَدَامَتْ» تلك الولاية «لَهُ» أي لذلك الرجل لأن الموهبة لا ترد «وَ بَقِيَتْ مُصَفَّاةً» من خوف

الذهاب والحساب والخطاب والجواب والعتاب والعقاب «مُكَفَّاةً» لدولته «مُهَنَّاةً» عن التلف فكما عرفتَ حال هذا الرجل مع الملك.

فَكَذٰلِكَ الْمُؤمِنُ إِذَا قَرَّبَهُ اللهُ تَعَالٰى وَاجْتَبَاهُ فَتَحَ قُبَالَةَ عَيْنِ قَلْبِهٖ وَتُجَاهَ بَصَرِهٖ بَابَ الرَّحْمَةِ وَالْمِنَّةِ وَالْإِنْعَامِ فيرٰى بِقَلْبِهٖ مَا لَا عَيْنٌ رَاَتْ وَ لَا اُذُنٌ سَمِعَتْ وَ لَا خَطَرَ عَلٰى قَلْبِ بَشَرٍ مِنْ مُطَالَعَةِ الْغُيُوْبِ مِنْ مَلَكُوْتِ السَّمَوَاتِ وَالْاَرْضِ وَ تَقْرِيْبٍ وَ كَلَامٍ لَذِيْذٍ لَطِيْفٍ وَ وَعْدٍ جَمِيْلٍ وَ دَلَالٍ وَ اِجَابَةِ دُعَاءٍ وَ تَصْدِيْقِ وَعْدٍ وَ وَفَائِهٖ وَ كَلِمَاتِ حِكْمَتِهٖ فَإِنَّهَا تُرْمٰى اِلٰى قَلْبِهٖ قَذْفًا مِنْ مَكَانٍ بَعِيْدٍ فَتَظْهَرُ عَلٰى لِسَانِهٖ وَ مَعَ ذٰلِكَ يَسْبَغُ عَلَيْهِ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً عَلٰى جَسَدِهٖ وَ جَوَارِحِهٖ، فِي الْمَاكُوْلِ وَالْمَشْرُوْبِ وَالْمَلْبُوْسِ وَالْمَنْكُوْحِ الْحَلَالِ وَ حِفْظِ الْحُدُوْدِ وَالْعِبَادَاتِ الظَّاهِرَةِ فيدِيْمُ الله عَزَّ وَ جَلَّ ذٰلِكَ لِعَبْدِهِ الْمُؤمِنِ الْمَجْذُوْبِ بُرْهَةً مِنَ الزَّمَانِ حَتّٰى اِطْمَئَنَّ الْعَبْدُ اِلٰى ذٰلِكَ وَاغْتَرَّ بِهٖ وَاعْتَقَدَ دَوَامَهُ فَتَحَ اللهُ تَعَالٰى عَلَيْهِ اَبْوَابَ الْبَلَاءِ وَ اَنْوَاعَ الْمِحَنِ فِي النَّفْسِ وَ الْمَالِ وَالْاَهْلِ وَالْوَلَدِ فينْقَطِعُ عَنْهُ جَمِيْعُ مَا كَانَ قَدْ اَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ مِنْ قَبْلُ فيبْقٰى مُتَحَيِّرًا حَسِيْرًا مُنْكَسِرًا مَقْطُوْعًا بِهٖ. اِنْ نَظَرَ اِلٰى ظَاهِرِهٖ رَاٰى بِهٖ مَا يَسُوْؤُهُ، وَ اِنْ نَظَرَ اِلٰى قَلْبِهٖ رَاٰى مَا يَحْزُنُهُ، وَ اِنْ سَاَلَ اللهَ كَشْفَ مَا بِهٖ مِنَ الضُّرِّ لَمْ يَرَ اِجَابَةً، وَ اِنْ طَلَبَ وَعْدًا جَمِيْلًا لَمْ يَجِدْهُ سَرِيْعًا وَ اِنْ وُعِدَ بِشَيْءٍ لَمْ يُعْثَرْ عَلَى الْوَفَاءِ بِهٖ وَ اِنْ رَاٰى رُؤيَا لَمْ يَظْفِرْ بِتَعْبِيْرِهَا وَ تَصْدِيْقِهَا، وَ اِنْ رَامَ الرُّجُوْعَ اِلَى الْخَلْقِ لَمْ يَجِدْ اِلٰى ذٰلِكَ سَبِيْلًا، وَ اِنْ ظَهَرَتْ لَهُ رُخْصَةٌ فِي ذٰلِكَ فَعَمِلَ بِهَا تَسَارَعَتْ الْعُقُوْبَاتُ نَحْوَهُ وَ تَسَلَّطَتْ اَيْدِي الْخَلْقِ عَلٰى جِسْمِهٖ وَ اَلْسِنَتُهُمْ عَلٰى عِرْضِهٖ وَ اِنْ طَلَبَ الْإِقَالَةَ مِمَّا قَدْ اُدْخِلَ فيهِ مِنَ الْحَالَةِ وَ الرُّجُوْعَ اِلَى الْحَالَةِ الأوْلٰى قَبْلَ الْاِجْتِبَاءِ لَمْ يُقْبَلْ، وَ اِنْ طَلَبَ الرِّضَا وَالطِّيْبَةَ وَالتَّنْعِيْمَ بِمَا بِهٖ مِنَ الْبَلَاءِ

لَمْ يُعْطَ فَحِينَئِذٍ تَأْخُذُ النَّفْسُ فِي الذَّوْبَانِ وَالْهَوٰى فِي الزَّوَالِ وَ الْإِرَادَةُ وَالْأَمَانِيْ فِي الرَّحِيْلِ وَ الْأَكْوَانُ فِي التَّلَاشِيْ فيدَامُ لَهٗ ذٰلِكَ بَلْ يُزَادُ تَشَدُّدًا وَ عَصْرًا وَ تَاكِيْدًا حَتّٰى إِذَا فَنَى الْعَبْدُ مِنَ الْأَخْلَاقِ النَّفْسَانِيَّةِ وَالصِّفَاتِ الْبَشَرِيَّةِ وَ بقِيَ رُوْحًا فَقَطْ يَسْمَعُ نِدَاءً فِي بَاطِنِهٖ.

﴿أُرْكُضْ بِرِجْلِكَ هٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَّ شَرَابٌ﴾ [صٓ، رقم السورة:٣٨، رقم الآية:٤٢]

كَمَا قِيْلَ لِأَيُّوْبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَمْطَرَ اللّٰهُ عَزَّ وَ جَلَّ عَلٰى قَلْبِهٖ بِحَارَ رَحْمَتِهٖ وَ رَافَتِهٖ وَ لُطْفِهٖ وَ مِنَّتِهٖ فَأَحْيَاهُ اللّٰهُ بِرُوْحِهٖ وَ طِيْبِ مَعْرِفَتِهٖ وَ دَقَائِقَ عُلُوْمِهٖ، وَ فَتَحَ عَلَيْهِ أَبْوَابَ نِعَمِهٖ وَ دِلَالِهٖ وَ أَطْلَقَ الْأَيْدِيْ إِلَيْهِ بِالْبَذْلِ وَالْعَطَاءِ وَ الْخِدْمَةِ فِي سَائِرِ الْأَحْوَالِ، وَ أَطْلَقَ الْأَلْسُنَ بِالْحَمْدِ وَالثَّنَاءِ وَالذِّكْرِ الطَّيِّبِ فِي جَمِيْعِ الْمَحَالِ وَ الْأَرْجُلَ بِالتَّرْحَالِ، وَ ذَلَّلَ لَهُ الرِّقَابَ وَ سَخَّرَ لَهُ الْمُلُوْكَ وَالْأَرْبَابَ وَ أَسْبَغَ عَلَيْهِ نِعَمَهٗ ظَاهِرَةً وَ بَاطِنَةً تَرْبِيَةَ ظَاهِرِهٖ بِخَلْقِهٖ وَ نِعَمِهٖ، وَ إِسْتَأْثَرَ تَرْبِيَةَ بَاطِنِهٖ بِلُطْفِهٖ وَ كَرَمِهٖ وَ أَدَامَ لَهٗ ذٰلِكَ إِلَى اللِّقَاءِ ثُمَّ يُدْخِلُهٗ فِيمَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَ لَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَ لَا خَطَرَ عَلٰى قَلْبِ بَشَرٍ كَمَا قَالَ عَزَّ وَ جَلَّ:

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُمْ مِّنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَ﴾[السجده، رقم السورة:٣٢، رقم الآية:١٧]

«فَكَذٰلِكَ الْمُؤْمِنُ» أي حاله مع الله تعالى «إِذَا قَرَّبَهُ الله تَعَالٰى وَاجْتَبَاهُ فَتَحَ قُبَالَةَ» أي مقابلة «عَيْنِ قَلْبِهٖ و تُجاه بَصَرِهٖ» بصيرته «بَابَ الرَّحْمَةِ» الربانية «وَالْمِنَّةِ» السبحانية السلطانية «وَالْإِنْعَامِ» الإلٰهي «فيرٰى» ذلك الرجل المقرب المجتبى «بِقَلْبِهٖ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ» بل «وَ لَا أُذُنٌ سَمِعَتْ» بل «وَ لَا خَطَرَ عَلٰى قَلْبِ بَشَرٍ مِنْ مُطَالَعَةِ الْغُيُوْبِ مِنْ مَلَكُوْتِ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ» التي لا يعلم كنهها إلا خالقها «وَ» من «تَقْرِيْبٍ وَ كَلَامٍ لَذِيْذٍ لَطِيْفٍ» بلا واسطة مخلوق أو بواسطته فإن

أحوال الأولياء بحسب الأشخاص بل حال الولي الواحد بحسب الأوقات مختلفة والكشوف الفائضة عليهم متنوعة «وَ» من «وَعْدٍجَمِيْلٍ وَ دَلَالٍ» أي أسرار عندية كائنة بين المحبوب و محبيه «وَ اِجَابَةِ دُعَاءٍ» دَعَا به «وَ تَصْدِيْقٍ» منه لما رأى من عظمة الله، و من الله لما هو حاله، و من الخلق لعظمته و «وَعْدٍ وَ وَفَائِهٖ» من الله تعالیٰ «وَ كَلِمَاتِ حِكْمَتِهٖ» أي حكمة الله تعالیٰ «فَإِنَّهَاتُرْمٰی» و ترسل «إِلٰی قَلْبِهٖ» و تُفاض عليه «قَذْفًا مِنْ مَكَانٍ بَعِيْدٍ» مرتبة لا يبلغه بل لا يفهمه إلا الخواص من أوليائه تعالیٰ «فَتَظْهَرُ» تلك الكلمات الحكميّة «عَلٰی لِسَانِهٖ» أي لسان ذلك المؤمن المقرب المجبتى «وَ مَعَ ذٰلِكَ» المذكور من النعم والعطايا «يَسْبَغُ» أي يفيض «عَلَيْهِ نِعَمَهٗ ظَاهِرَةً عَلٰی جَسَدِهٖ» فكان صحيحا سليما غير مؤف «وَ جَوَارِحِهٖ» أيضًا صحيحة سليمة جارية فيما خلق لها غير عاجزة عما يراد بها فالبصر سليمة رائية، والأذن سامعة، واللسان ذائقة و متكلمة و ذاكرة، واللامسة مدركة للمس، و الشامة مدركة للروائح، واليد باطشة، والقدم خاطئة و ماشية، وكذلك البواقي و إليه أشار بقوله «في الْمَاكُوْلِ وَالْمَشْرُوْبِ» الشهية «وَالْمَلْبُوْسِ» البهية «وَالْمَنْكُوْحِ الْحَلَالِ» من واحدة الیٰ أربع في الحرائر، و إلیٰ أربعين في السراري «وَ حِفْظِ الْحُدُوْدِ وَالْعِبَادَاتِ الظَّاهِرَةِ» الشرعية «فيدِيْمُ الله عَزَّ وَ جَلَّ ذٰلِكَ» العطاء «لِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ الْمَجْذُوْبِ» بطريق العطاء ثم الافتقار ثم العطاء و يبقيه له «بُرْهَةً» أي قطعة و مدة «مِنَ الزَّمَانِ» قليلا أوكثيرا «حَتّٰى اِطْمَئَنَّ الْعَبْدُ اِلٰی ذٰلِكَ» المعطى «وَاغْتَرَّ بِهٖ» أي بذلك المعطى، و أمِنَ مِنْ زواله «وَاعْتَقَدَ دَوَامَهٗ» إذ «فَتَحَ الله تَعَالٰی عَلَيْهِ اَبْوَابَ الْبَلَاءِ وَ اَنْوَاعَ الْمِحَنِ في النَّفْسِ» فصارت عليلة مريضة «وَ» في «الْمَالِ» فصار ذاهبا «وَالْاَهْلِ وَالْوَلَدِ» فصاروا متفرقين بعضها بالممات و بعضها بالفراق «فينْقَطِعُ عَنْهُ» أي عن ذلك المؤمن المجذوب «جَمِيْعُ مَا كَانَ قَدْ اَنْعَمَ» الله تعالیٰ «عَلَيْهِ مِنْ قَبْلُ فيبْقٰی مُتَحَيِّرًا» في أموره «حَسِيْرًا» في حاجاته «مُنْكَسِرًا» قلبه عن جميع المرادات «مَقْطُوْعًا بِهٖ» العلائق فلا يمكنه التعلق بشيء من العلائق «اِنْ نَظَرَ اِلٰی ظَاهِرِهٖ» أي ظاهر حاله «رَاٰی بِهٖ» أي بظاهر حاله «مَا يَسُوْؤُهٗ» من الفقر

والذل و الاحتياج و عدم التفات الخلق «وَ اِنْ نَظَرَ اِلٰى قَلْبِهٖ» هل يجد فيه جمعية «رَاٰى مَا يَحْزُنُهٗ» من التفرق والشتات «وَ اِنْ سَاَلَ اللهَ كَشْفَ مَا بِهٖ مِنَ الضُّرِّ لَمْ يَرَ اِجَابَةً» لذلك الدعاء «وَ اِنْ طَلَبَ» من الله تعالٰى «وَعْدًا جَمِيْلًا» بكشف هذه المحنة الشديدة «لَمْ يَجِدْهُ» أي تلك الوعد «سَرِيْعًا» انجاحُه «وَاِنْ وُعِدَ بِشَيْءٍ» من جانب الله تعالٰى أو من الخلق «لَمْ يُعْثَرْ» و لم يقف «عَلَى الْوَفَاءِ بِهٖ وَ اِنْ رَاٰى رُؤ يَا» وَ مناما «لَمْ يَظْفِرْ» و لم يقف «بِتَعْبِيْرِهَا وَ تَصْدِيْقِهَا، وَ اِنْ رَامَ» أي قصد «الرُّجُوْعَ إلى الْخَلْقِ» لدفع الوحشة و تحصيل الأنسة «لَمْ يَجِدْ اِلٰى ذٰلِكَ» الدفع والتحصيل منهم «سَبِيْلًا» إذ تنفرعنه الخلائق كلها بإرادة ر به تعالٰى «وَ اِنْ ظَهَرَتْ لَهٗ» من جانب الشرع «رُخْصَةٌ فِي ذٰلِكَ» الرجوع إلى الخلق كالرجوع إلى حاكم جائر أو تاجر فاسدة العقيدة أو طبيب يهودي أو نصراني أو مشرك و نحو ذلك «فَعَمِلَ بِهَا» أي بتلك الرخصة فإن الرجوع إلى هولاء و مصاحبتهم مع الكراهة القلبية لدفع الحوائج الضرور ية رخّص فيها، و هذا الشخص لما أراده الله تعالٰى من الابتلاء إن عمل بمثل هذه الرخصة «تَسَارَعَتِ الْعَقُوْبَاتُ» الخالقية والخلقية «نَحْوَهٗ» أي جانبه «وَ تَسَلَّطَتْ اَيْدِى الْخَلْقِ» من جانب الله تعالٰى «عَلٰى جِسْمِهٖ» بالضرب «وَ اَلْسِنَتُهُمْ عَلٰى عِرْضِهٖ» و عزته بالشتم و هتك الحرمة «وَ اِنْ طَلَبَ» ذلك الرجل المجذوب من الله تعالٰى «الْاِقَالَةَ» أي الخروج «مِمَّا قَدْ اُدْخِلَ فيهِ مِنَ الْحَالَةِ» السيئة ظاهرا «وَ» طلب «الرَّجُوْعَ إلى الْحَالَةِ الْأُوْلٰى» السنية ظاهرا «قَبْلَ الْاِجْتِبَاءِ» الأخير «لَمْ يُقْبَلْ» من جانب الله تعالٰى لأن الله تعالٰى ير يد تطهير باطنه عن اللوثات الدنيو ية، «وَ اِنْ طَلَبَ» ذلك المؤمن المبتلى من الله تعالٰى «الرِّضَا» بتلك «وَالطِّيْبَةَ» أي طيبة الخاطر و قرارها و لذتها بتلك البلية المسلطة عليه «وَالتَّنْعِيْمَ بِمَا بِهٖ مِنَ الْبَلَاءِ» كما هو شأن الكمل من الأولياء «لَمْ يُعْطَ» من جانب الله تعالٰى فلم يجد الخلاص عن تلك البلية لا برفعها و لا بالصبر عليها «فَحينئذٍ» أي حين عجز في تلك البلية من جميع الوجوه و لم يجد المَخْلَص عنها أصلا بحيلة من الحيل «تَاْخُذُ» أي تشرع «النَّفْسُ فِي الذَّوْبَانِ» والنفسانية في الذهاب «وَالْهَوٰى فِي الزَّوَالِ وَ»

تشرع «الْإِرَادَةُ وَالْأَمَانِيْ» القلبية والنفسية «فِي الرَّحِيْلِ» والارتحال عن هذا المبتلى إلى العدم «وَ» تشرع «الْأَكْوَانُ فِي التَّلَاشِيْ» أوالتفرق المراد به:إما الأكوان المصطلحة و هي أربعة:الحركة والسكون والافتراق والاجتماع،و إما اللغوية و هي: الأمكنة أو الحالات و حينئذ يكون الأكوان جمع كون بمعنى المصدر أي الحالة، والحاصل أنه لا يجد شيئا من حالاته على القرار والثبات «فيدَامُ لَهُ» أي لهذا المبتلى من جانب الله تعالى «ذٰلِكَ» الحال الشديد المعجز «بَلْ يُزَادُ تَشَدُّدًا وَ عَصْرًا» العصر إخراج ما في الشيء «وَ تَاكِيْدًا» في تطهيره عن دنس الدنيا و ما فيها لئلا يبقى التوجه إلى غير الله تعالى «حَتّٰى اِذَا فَنَى الْعَبْدُ مِنَ الْاَخْلَاقِ النَّفْسَانِيَّةِ وَالصِّفَاتِ الْبَشَرِيَّةِ» زكيا طاهرا عن دنس التوجه إلى الغير «وَ بقىٰ رُوْحًافَقَطْ» ليس فيه شائبة النفس و لوازمها يَسْمَعُ ذلك المؤمن المبتلى المجذوب «نِدَاءً» من جانب الله تعالى «فِي بَاطِنِهٖ» لحصول الصفاء له:

«اُرْكُضْ» أي اضرب بعقب «بِرِجْلِكَ» الأرض تخرج منها عين صافية شافية فبعد ركضه الأرض قيل «هٰذَا مُغْتَسَلٌ» أي ماء تغتسل به «بَارِدٌ» تبرد به باطنك و ظاهرك «وَّ شَرَابٌ». تبردبه ظاهرك و باطنك.«كَمَا قِيْلَ» هذا القول «لِاَيُّوْبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ» بعد ما وقع له مثل هذه الواقعة و هكذا جرت السنة الإلٰهية في حق بعض العبيد نبيا كان أو وليا أو أحادًا من المؤمنين مع كل على قدر مرتبته ففعل بهذا المؤمن المجذوب المذكور أوّلا بإفاضة الإنعام ثم شدد عليه غاية التشديد، ثم أراد خلوصه عن تلك المحنة «فَاَمْطَرَ الله عَزَّ وَ جَلَّ عَلٰى قَلْبِهٖ بِحَارَ رَحْمَتِهٖ وَ رَافَتِهٖ» الرافة شدة الرحمة و كثرتها «وَ لُطْفِهٖ وَ مِنَّتِهٖ فَاَحْيَاهُ اللهُ» تعالى «بِرُوْحِهٖ وَ طِيْبِ مَعْرِفَتِهٖ» لذات الله و صفاته و أسمائه «وَ دَقَائِقَ عُلُوْمِهٖ» اللدنية كما أحياه أوّلا بجسمه و نفسه «وَ فَتَحَ عَلَيْهِ اَبْوَابَ نِعَمِهٖ» الباطنية و الظاهرية «وَ دِلَالِهٖ» أي قربه «وَ اَطْلَقَ الْاَيْدِيْ» أي أيدي الخلائق «اِلَيْهِ بِالْبَذْلِ وَالْعَطَاءِ وَ الْخِدْمَةِ» كما أمسكها في الحالة الوسطانية بالقبض و إن أطلقها بالضرب والإهانة «فِي سَائِرِالْاَحْوَالِ، وَ اَطْلَقَ الْاَلْسُنَ» أي ألسن الخلائق «بِالْحَمْدِ وَالثَّنَاءِ وَالذِّكْرِ الطَّيِّبِ فِي جَمِيْعِ الْمَحَالِ»

كما أطلقها أوّلا بالشتم «وَ» أطلق «الْاَرْجُلَ بِالتَّرْحَالِ» أي المجيء إليه كما أمسكها أوّلا «وَ ذَلَّلَ لَهُ الرِّقَابَ» كما ذلل أولا للرقاب.[1] «وَ سَخَّرَ لَهُ الْمُلُوْكَ وَالْاَرْبَابَ» أي أرباب الدولة فالألف واللام عوض عن المضاف إليه «وَ اَسْبَغَ عَلَيْهِ نِعَمَهٗ ظَاهِرَةً وَ بَاطِنَةً» من أي جنسٍ و نوعٍ و صنفٍ كان «وَ تَوَلّٰى» الله تعالىٰ «تَرْبِيَةَ ظَاهِرِهٖ بِخَلْقِهٖ وَ نِعَمِهٖ» أي بتسخير خلقه و نعمه و إفاضة نعمه الظاهر ية «وَ اِسْتَأْثَرَ» أي اختار الله تعالىٰ «تَرْبِيَةَ بَاطِنِهٖ بِلُطْفِهٖ وَ كَرَمِهٖ» الذاتية الر بانية الرحمانية «وَ اَدَامَ لَهٗ ذٰلِكَ» المذكور من التربيتين الظاهر ية والباطنية «إِلَى اللِّقَاءِ» أي الموت الَّذِيْ هو سبب «ثُمَّ يُدْخِلُهٗ» الله تعالىٰ بعد موته «فيمَا لَا عَيْنٌ رَاَتْ» بل «وَ لَا اُذُنٌ سَمِعَتْ» بل «وَ لَا خَطَرَ عَلٰى قَلْبِ بَشَرٍ كَمَا قَالَ عَزَّ وَ جَلَّ:»

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ اُخْفِيَ لَهُمْ مِّنْ قُرَّةِ اَعْيُنٍ ۚ جَزَآءً بِمَا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَ» [السجدة:٣٢/ ١٧]

(1) الرقاب رقبه گرفتن و بنده ساختن. من الشارح

اَلْمَقَالَةُ الثَّانِيَةُ وَالْاَرْبَعُوْنَ

في بيَانِ اَنَّ لِلنَّفْسِ حَالتينِ لَا ثَالِثَ لَهُمَا حَالَةُ الْعَافيَةِ وَ حَالَةُ الْبَلَاءِ

قَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: اَلنَّفْسُ لَهَا حَالَتَانِ لَا ثَالِثَ لَهُمَا: حَالَةُ عَافيَةٍ وَ حَالَةُ بَلَاءٍ فَاِذَا كَانت في بَلَاءٍ فَالْجَزْعُ وَالشِّكْوٰى وَالتَّسَخُّطُ وَالْاِعْتِرَاضُ وَالتُّهْمَةُ لِلْحَقِّ عَزَّ وَ جَلَّ لَا صَبْرَ وَ لَا رِضٰى وَ لَا مُوَافَقَةَ بَلْ سُوْءُ الْاَدَبِ وَالشِّرْكُ بِالْخَلْقِ وَالْاَسْبَابِ وَ الْكُفْرُ، وَ اِذَا كَانت في عَافيَةٍ فَالشَّرَهُ وَالْبَطَرُ وَ اِتِّبَاعُ الشَّهَوَاتِ وَاللَّذَّاتِ كُلَّمَا نَالَتْ شَهْوَةً طَلَبَتْ اُخْرٰى وَاسْتَحْقَرَتْ مَا عِنْدَهَا مِنَ النِّعَمِ مِنْ مَاكُوْلٍ وَ مَشْرُوْبٍ وَ مَنْكُوْحٍ وَ مَلْبُوْسٍ وَ مَسْكُوْنٍ وَ مَرْكُوْبٍ فَتُخَرِّجُ مِنْ هٰذِهِ النِّعَمِ عُيُوْبًا وَّ نُقْصَانًا، وَ تَطْلُبُ اَعْلٰى مِنْهَا وَ اَسْنٰى مِمَّا لَا يُقْسَمُ لَهَا، وَ تُعْرِضُ عَمَّا قُسِمَ لَهَا فَتَقَعُ في تَعْبٍ طَوِيْلٍ وَ لَا تَرْضٰى بِمَا في اَيْدِيْهَا وَ مَا قُسِمَ لَهَا فَتَرْكَبُ الْغَمَرَات وَ تَخُوْضُ الْمَهَالِكَ في تَعْبٍ طَوِيْلٍ لَا نِهَايَةَ لَهَاوَ لَا مُنْتَهٰى فِي الدُّنْيا، ثُمَّ في الْاٰخِرَةِ كَمَا قِيْلَ: اِنَّ مِنْ اَشَدِّ الْعَقُوْبَاتِ طَلَبُ مَا لَمْ يُقْسَمْ، فَاِذَا كَانت في بَلَاءٍ لَا تَتَمَنّٰى سِوٰى اِنْكِشَافِهَا وَ تَنْسٰى كُلَّ نَعِيْمٍ وَ شَهْوَةٍ وَ لَذَّةٍ وَ لَا تَطْلُبُ شَيْئًا مِّنْهَا فَاِذَا عُوْفيتْ مِنْهَا رَجعَتْ اِلٰى رَعُوْنَتِهَا وَ شَرَهِهَا وَ بَطَرِهَا وَ اِعْرَاضِهَا عَنْ طَاعَةِ رَبِّهَا وَ اِنْهِمَاكِهَا في مَعَاصِيْهِ وَ تَنْسٰى مَا كَانت فيهِ مِنَ الْبَلِيَّةِ وَ مَا حَلَّ بِهَا مِنَ الْوَيْلِ فَتُرَدُّ اِلٰى اَشَدِّ مَا كَانت عَلَيْهِ مِنْ اَنْوَاعِ الْبَلَاءِ وَالضُّرِّ عُقُوْبَةً لَهَا لِمَا قَدْ اِجْتَرَحَتِ الْعَافيَةَ وَ رَكِبَتْ مِنَ الْعَظَائِمِ فَطْمًا لَهَا وَ كَفًّا عَنِ الْمَعَاصِيْ في الْمُسْتَقْبَلِ، اِذْ لَا تَصْلُحُ لَهَا الْعَافيَةُ وَالنِّعْمَةُ بَلْ حِفْظُهَا في الْبَلَاءِ وَالْبُؤْسِ، فَلَوْ اَحْسَنَتِ الْاَدَبَ عِنْدَ اِنْكِشَافِ

الْبَلِيَّةِ وَ لَازَمَتِ الطَّاعَةَ وَالشُّكْرَ وَالرِّضَا بِالْمَقْسُوْمِ لَكَانَ خَيْرًا لَهَا دُنْيَا وَ أُخْرٰى فَكَانت تَجِدُ زِيَادَةً فِي النَّعِيْمِ وَالْعَافِيَةِ وَالرِّضَا مِنَ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ الطِّيْبِ وَ التَّوْفِيقِ وَاللُّطْفِ فَمَنْ اَرَادَ السَّلَامَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةِ فَعَلَيْهِ بِالصَّبْرِ وَالرِّضٰى وَ تَرْكِ الشِّكْوٰى اِلَى الْخَلْقِ وَ اِنْزَالِ حَوَائِجِهٖ بِرَبِّهٖ عَزَّ وَ جَلَّ وَ لُزُوْمِ طَاعَتِهٖ وَ اِنْتِظَارِ الْفَرَجِ مِنْهُ عَزَّ وَ جَلَّ وَالْاِنْقِطَاعِ اِلَيْهِ عَزَّ وَ جَلَّ اِذْ هُوَ خَيْرٌ مِنْ غَيْرِهٖ مِنْ جَمِيْعِ خَلْقِهٖ، حِرْمَانُهٗ عَطَاءٌ، فَعَقُوْبَتُهٗ نَعْمَاءٌ، فَبَلَاءُهٗ دَوَاءٌ فَوَعْدُهٗ نَقْدٌ فَنَسِيْئُهٗ حَالَّةٌ وَ قَوْلُهٗ فِعْلٌ، اِنَّمَا قَوْلُهٗ وَ اَمْرُهٗ ﴿اِذَآ اَرَادَ شَيْئًا اَنْ يَّقُوْلَ لَهٗ كُنْ فَيَكُوْنُ﴾ [يٰسين،رقم السورة:٣٦، رقم الآية:٨٢]

«قَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: اَلنَّفْسُ لَهَا حَالَتَانِ لَا ثَالِثَ لَهُمَا» و هما «حَالَةُ عَافِيَةٍ وَ حَالَةُ بَلَاءٍ» و أعمال عوام الناس الغافلين عن معرفة الله اثنان «فَإِذَا كَانت» نفوس العوام «فِي بَلَاءٍ» فعملها في تلك الحالة «فَالْجَزْعُ» و هو عدم الصبر «وَالشِّكْوٰى» من الخالق إلى الخلق بأن جعلنا في ضيق و شدة «وَالتَّسَخُّطُ وَالْإِعْتِرَاضُ» على الرب تعالٰى بأنه تعالٰى جعلنا محرومين مع استحقاقنا و جعل غيرنا مرزوقين مع عدم الاستحقاق «وَالتُّهْمَةُ لِلْحَقِّ عَزَّ وَ جَلَّ» أي على الحق بأن لا يعطينا و لا يخلصنا من هذه المحنة «لَا صَبْرَ» لهم على البلاء «وَ لَا رِضٰى» من المولٰى «وَ لَا مُوَافَقَةَ» منهم مع الرب تعالٰى «بَلْ» شأنهم «سُوْءُ الْأَدَبِ» مع الله تعالٰى «وَالشِّرْكُ» معه «بِالْخَلْقِ وَالْاَسْبَابِ» بل يعتمدون عليها أكثر مما يعتمدون على الله تعالٰى بل «وَ» شأنهم «الْكُفْرُ» بالله تعالٰى و بنعمه، فهذا حالهم في حالة الابتلاء «وَ اِذَا كَانت» نفوس العوام «فِي عَافِيَةٍ» من الله تعالٰى فعملهم «الشَّرَهُ» و هي كثرة الحرص في المشتهيات «وَالْبَطَرُ» و هو الكِبر والاستكبار «وَ اِتِّبَاعُ الشَّهَوَاتِ وَاللَّذَّاتِ كُلَّمَا نَالَتْ» نفوسهم «شَهْوَةً» من المشتهيات «طَلَبَتْ» شهوة «أُخْرٰى وَاسْتَحْقَرَتْ مَا عِنْدَهَا مِنَ النِّعَمِ مِنْ مَاْكُوْلٍ وَ مَشْرُوْبٍ وَ مَنْكُوْحٍ وَ

مَلْبُوْسٍ وَ مَسْكُوْنٍ وَ مَرْكُوْبٍ فَتُخَرِّجُ» نفوسهم أي تظهر «مِنْ هٰذِهِ النِّعَمِ» الحاصلة لها «عُيُوْبًا وَّ نُقْصَانًا» حتى يحصل لها عذر في طلب الأخرى بعد حصولها «وَ تَطْلُبُ اَعْلٰى مِنْهَا وَ اَسْنٰى» أي أرفع مما أوتي حال كون تلك الأعلى المطلوب والأسنى المرغوب «مِمَّا لَا يُقْسَمُ لَهَا» أي لتلك النفوس من جانب الله تعالٰى«وَ تُعْرِضُ» نفوسهم «عَمَّا قُسِمَ لَهَا» من جانب الله إعراضا بالكلية «فَتَقَعُ» نفسهم من جانب الله تعالٰى بهذا الفعل الشنيع «فِي تَعْبٍ طَوِيْلٍ وَ لَا تَرْضٰى بِمَا فِي اَيْدِيْهَا» من النعم «وَ مَا قُسِمَ لَهَا فَتَرْكَبُ الْغَمَرَات» جمع غمرة و هي ما يُغْمِر صاحبه أي يُغْرِقه «وَ تَخُوْضُ الْمَهَالِكَ» أي تدخل في أعماق المهالك فلا يمكن لها الخروج منها بسهولة «فِي تَعْبٍ طَوِيْلٍ» و ويل عويل «لَا نِهَايَةَ لَهَاوَ لَا مُنْتَهٰى فِي الدُّنْيَا ثُمَّ» بعد ذلك «فِي الْاٰخِرَةِ» فيكون هذا الحال «كَمَا قِيْلَ: اِنَّ مِنْ اَشَدِّ الْعَقُوْبَاتِ» على الناس «طَلَبُ مَا لَمْ يُقْسَمْ» لكون الوصول إليه محالا فلا محالة يكون طلبه هالكا «فَاِذَا كَانت» الحالة الحاصلة لنفوس العوام «فِي بَلَاءٍ لَا تَتَمَنّٰى» لكمال عجزها فيها «سِوٰى اِنْكِشَافِهَا» أي انكشاف تلك البلاء «وَ تَنْسٰى» في محنتها و طلب دفعها «كُلَّ نَعِيْمٍ وَ شَهْوَةٍ» أي مشتهاة «وَ لَذَّةٍ وَ لَا تَطْلُبُ شَيْئًا مِّنْهَا» من النعيم والشهوات واللذات «فَاِذَا عُوْفيتْ» بإرادة الله تعالٰى «مِنْهَا» أي من تلك البلية «رَجَعَتْ» هذه النفوس الغافلة «اِلٰى رَعُوْنَتِهَا» أي حمقها «وَ شَرَهِهَا» أي حرصها «وَ بَطَرِهَا» أي كبرها «وَ اِعْرَاضِهَا عَنْ طَاعَةِ رَبِّهَا وَ اِنْهِمَاكِهَا فِي مَعَاصِيْهِ» بإغواء الهوىٰ و إضلال الشيطان «وَ تَنْسٰى مَا كَانت فيهِ مِنَ الْبَلِيَّةِ» التي عجزت فيها «وَ مَا حَلَّ بِهَا مِنَ الْوَيْلِ» والهلاك فيها «فَتُرَدُّ» من جانب الله تعالٰى «اِلٰى اَشَدِّ مَا كَانت» هذه النفوس «عَلَيْهِ مِنْ اَنْوَاعِ الْبَلَاءِ وَالضُّرِّ عُقُوْبَةً» وجزاء من الله «لَهَا» لسوء صنيعها «لِمَا قَدْ اِجْتَرَحَتِ الْعَافيَةَ» أي كسبت لها «وَ رَكِبَتْ» عليها «مِنَ الْعَظَائِمِ» الجرائم «فَطْمًا لَهَا» أي منعا لهذه النفوس «وَ كَفًّا عَنِ الْمَعَاصِيْ فِي» الزمان «الْمُسْتَقْبَلِ» لما أنها علمت إن عادت إلى عادتها عادت البلية من جانب الله. وإنما ترد إلى اشد البلاء «اِذْ لَا تَصْلُحُ لَهَا» أي

لهذه النفوس الغافلة «الْعَافيةُ وَالنِّعْمَةُ» فإنها حين حصول العافية أشرت و بطرت «بَلْ حِفْظُهَا فِي الْبَلَاءِ وَالْبُؤسِ» أي الشدة فإنها حين ابتليت اضطربت فتوّجهت إلى الحق في إزالة البؤس «فَلَوْ» كانت هذه النفوس الأمارة بالسوء «اَحْسَنَتِ الْاَدَبَ» مع الله «عِنْدَ اِنْكِشَافِ الْبَلِيَّةِ وَ لَازَمَتِ الطَّاعَةَ» لمولاها «وَالشُّكْرَ» لمعطي نعمها «وَالرِّضَا بِالْمَقْسُوْمِ» من جانب خالقها «لَكَانَ خَيْرًا لَهَا دُنْيَا وَ اُخْرٰى» أما دنيا فبا لخلاص عن محنة الطلب والتلذذ بما هو الحاصل عندها و ترتب المزيد بالشكر، و أما أخرى فبحصول الرضا و سكون الجنة مع ما فيها من النعيم «فَكَانت تَجِدُ زِيَادَةً فِي النَّعِيْمِ وَالْعَافيةِ» بالشكر على ما أعطاها «وَالرِّضَا مِنَ الله عَزَّ وَ جَلَّ» عنها لرضائها عنه تعالىٰ فدخلت في زمرة من رضي الله عنهم و رضوا عنه «وَ» تجد زيادة في «الطِّيْبِ» أي طيب الوقت بتلذذ الموجود والرضا عن الله تعالىٰ «وَ» زيادة في «التَّوْفيقِ وَاللُّطْفِ» بفضل الله تعالىٰ وكرمه و رضاه «فَمَنْ اَرَادَ السَّلَامَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةِ» عن مكارهها «فَعَلَيْهِ»التمسك «بِالصَّبْرِ» على البلوى والمكاره «وَالرِّضٰى» عن الله تعالىٰ بما أعطاه «وَ تَرْكِ الشِّكْوٰى» من الخالق «إلى الْخَلْقِ وَ اِنْزَالِ حَوَائِجِهٖ بِرَبِّهٖ عَزَّ وَ جَلَّ» والطلب منه لا من غيره «وَ لَزُوْمِ طَاعَتِهٖ وَ اِنْتِظَارِ الْفَرَجِ مِنْهُ عَزَّ وَ جَلَّ وَالْاِنْقِطَاعِ اِلَيْهِ عَزَّ وَ جَلَّ» من غيره، وكيف لا يكون السلامة بالتوجه والانقطاع إليه «اِذْ هُوَ» الله تعالىٰ «خَيْرٌ» للعبد «مِنْ غَيْرِهٖ» أي غيرٍ كان «مِنْ جَمِيْعِ خَلْقِهٖ» فالتوجه إلى مخلوقٍ مثلهٖ كيف يساوي التوجه إلى الخالق الَّذِيْ هو رب العالمين، و كيف لا يكون الله تعالىٰ خيرًا للعبد من جميع الخلق إذ «حِرْمَانُهٗ عَطَاءٌ» فإنه إنما جعله محروما عن مطلوب خاص لإرادته أن يعطيه خيرا منه بل إنما جعله محروما لأجل العقوبة بالذنوب السابقة «فَعَقُوْبَتُهٗ نَعْمَاءٌ» إذ هي تطهير له من الذنوب و دفع لِوَبَال الآخرة عنه كما دلت عليه الآيات و الأحاديث، و إن أنزل بلاء «فَبَلَاءُهٗ دَوَاءٌ» إذ هي مانعة للنفس عن الذنوب في الاستقبال و مكفّرة لها لما مضى و محصّلة لها استعدادَ النعماء، و إن وعد بشيء «فَوَعْدُهٗ نَقْدٌ» لأنه واجب الحصول والوفاء لأنه لا يخلف الميعاد وَ إن

أخر في إيصال المطلوب «فَنَسِئُهُ حَالَّةٌ» لأن التوجه إليه تعالىٰ يهوّن على النفس وقت التأخير و هذه الجملة عطف تفسيري لسابقها إذ نقد الوعد و حلول النسيئ بمعنى واحد «وَ قَوْلُهُ فِعْلٌ» إذ «اِنَّمَآ قَوْلُهُ وَ اَمْرُهُ ﴿اِذَآ اَرَادَ شَيْئًا اَنْ يَّقُوْلَ لَهُ﴾» أي لذلك الشيء «كُنْ» أي ادخل في الوجود و صر موجودا «فيكُوْنُ» أي فيدخل في الوجود و يصير موجودا.

كُلُّ اَفْعَالِهِ حَسَنَةٌ وَ حِكْمَةٌ وَ مَصْلِحَةٌ غَيْرَ اَنَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ طَوٰى عِلْمَ الْمَصَالِحِ عَنْ عِبَادِهٖ وَ تَفَرَّدَ بِهٖ لِحِكْمَةٍ خَاصَّةٍ فَالْاَوْلٰى لِلْعَبْدِ وَاللَّائِقُ بِحَالِهِ الرِّضٰى وَالتَّسْلِيْمُ وَالْاِنْقِيَادُ وَالْاِشْتِغَالُ بِالْعَبُوْدِيَّةِ مِنْ اَدَاءِ الْاَوَامِرِ وَ اِنْتِهَاءِ النَّوَاهِي وَالتَّسْلِيْمُ فِي الْقَدْرِ، وَتَرْكُ الْاِشْتِغَالِ فِيْ الرَّبُوبِيَّةِ الَّتِيْ هِيَ عِلَّةُ الْاَقْدَارِ وَ مَجَارِيْهَا وَ اُصُوْلِهَا، وَ السُّكُوْتُ عَنْ لِمَ وَكَيْفَ وَ مَتٰى؟ وَالسُّكُوْتُ عَنِ التُّهْمَةِ لِلحقِّ عَزَّ وَ جَلَّ فِي جَمِيْعِ حَرَكَاتِهٖ وَ سَكَنَاتِهٖ وَ تَسْتَنِدُ هٰذِهِ الْجُمْلَةُ اِلٰى حَدِيْثِ عَبْدِاللهِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضى الله عنه وَ هُوَ مَا رُوِيَ عَنْ عَطَاءٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه اَنَّهُ قَالَ: "بَيْنَمَا اَنَا رَدِيْفُ رَسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ اِذْ قَالَ لِيْ: يَا غُلَامُ! اِحْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ اِحْفَظْهُ تَجِدْهُ اَمَامَكَ، فَاِذَا سَاَلْتَ فَاسْاَلِ اللهَ تَعَالٰى، وَ اِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ وَ لَوْ جَهَدَ الْعِبَادُ اَنْ يَّنْفَعُوْكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَقْضِهِ اللهُ لَكَ لَمْ يَقْدِرُوْا عَلَيْهِ وَ لَوْ جَهَدَ الْعِبَادُ اَنْ يُّضِرُّوْكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَقْضِهِ اللهُ عَلَيْكَ لَمْ يَقْدِرُوْا عَلَيْهِ فَاَنِ اسْتَطَعْتَ اَنْ تَعْمَلَ بِالصِّدْقِ وَالْيَقِيْنِ فَاعْمَلْ وَ اِنْ لَّمْ تَسْتَطِعْ فَاِنَّ فِي الصَّبْرِ عَلٰى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيْرًا. وَ اعْلَمْ اَنَّ النَّصْرَ بِالصَّبْرِ وَ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ وَ اَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا[1] فَيَنْبَغِيْ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ اَنْ يَّجْعَلَ هٰذَا

---

(١) رواه الإمام الترمذي ٤/ ٦٦٧، رقم الحديث: ٢٥١٦، ماجاء في صفة آواني الحوض، باب منه أبواب صفة القيامة والرقائق والورع والحاكم في المستدرك ٣/ ٦٢٣. وأحمد في المسند ٥/ ١٨، رقم الحديث: ٢٨٣٠.

الْحَدِيْثَ مِرْاةً لِقَلْبِهِ وَ شِعَارَهُ وَ دِثَارَهُ وَ حَدِيْثَهُ فيعْمَلُ بِهِ فِي جَمِيْعِ حَرَكَاتِهِ وَ سَكَنَاتِهِ حَتّٰى يَسْلَمَ فِي الدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةِ وَ يَجِدَ الْعِزَّةَ فيهِمَا بِرَحْمَةِ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ.

كُلُّ اَفْعَالِهِ» تعالىٰ «حَسَنَةٌ وَ حِكْمَةٌ وَ مَصْلِحَةٌ» لأنه تعالىٰ أحسن الخالقين حكيم عليم، و بالناس رؤوف رحيم، و بعباده لطيف و لطفه شريف وإن كان بالنسبة إلينا بعض أفعاله خيرا و بعض أفعاله شرا، فتأمل «غَيْرَ اَنَّهٗ عَزَّ وَ جَلَّ طَوٰى» أي أخفى «عِلْمَ الْمَصَالِحِ عَنْ عِبَادِهٖ» بل خص نفسه بذلك «وَ تَفَرَّدَ بِهٖ لِحِكْمَةٍ خَاصَّةٍ» و سر غامض و هو تمييز المطيع عن العاصي والمخلص الخاص عن العامل العامي و إن أعطى علم البعض لبعض الكاملين من الأنبياء والأولياء «فَالْاَوْلٰى لِلْعَبْدِ» في جميع الحالات «وَاللَّائِقُ بِحَالِهٖ» في كل الأوقات «الرِّطٰى» عن الله «وَالتَّسْلِيْمُ وَالْاِنْقِيَادُ» لقدره «وَالْاِشْتِغَالُ بِالْعَبُوْدِيَّةِ مِنْ اَدَاءِ الْاَوَامِرِ وَ اِنْتِهَاءِ النَّوَاهِي» الشرعية «وَالتَّسْلِيْمُ فِي الْقَدْرِ وَ» الْاَوْلٰى وَاللَّائِقُ بحاله «تَرْكُ الْاِشْتِغَالِ» بتعلم أسرار «فِي الرَّبُوبِيَّةِ التي هي عِلَّةُ الْاَقْدَارِ» جمع القدر بالنسبة إلى كثرة المخلوقات «وَ» علة «مَجَارِيْهَا» أي محل جريان التقديرات «وَ» هي المخلوقات وَ علة «اُصُوْلِهَا» أي أصول الأقدار. و هي أسمائه الحسنى فإن كونه تعالىٰ ربا للعالمين اقتضى تقادير خاصة في كل مخلوق على حسب ما يقتضيه الاستعدادات الخاصة به، واقتضى مربوبا حتى يكون مجاري الأقدار، واقتضى تعدد أسمائه الحسنى ظهورَ آثارها، فإنه تعالىٰ ربّٰى كلّا من المخلوقات بأجناسها و أنواعها و أصنافها و أشخاصها على حسب ما يقتضيه الاستعدات المختلفة، و ترتب مقتضاها عليها يقتضي أن يكون له تعالىٰ أوصاف متعددة، فإن كونه ربا للعالَم يقتضي أن يكون هو خالقا له و يكون موجودا إذ المعدوم لم يتصف بالوجود في نفسه فلا يتصور منه إعطاء الوجود للغير، و يكون حيا إذ الميت لا يترتب عليه إعطاء شيء، و يكون عالما قادرا إذ لا يتصور من غير العالم و غير القادر إيجاد شيئ وإعطاء

شيئ و منع شيئ وإحياء شيئ و إماتة شيء، و يكون سميعا لأقوالهم و بصيرا لأحوالهم حتى يعمل بهم على مقتضاها، و مريدا حتى يفعل ما يفعل بالاختيار، و يكون معطيا و مانعا رحيما و ستارا و قهارا و جبارا و غفارا و محييا و مميتا و رازقا و صبورا و شكورا و مؤمنا و مصورا و وهّابا و فتاحا و قابضا و باسطا و خافضا و رافعا و معِزّا و مذلا و عادلا و لطيفا و حليما و حفيظا و مقيتا و مجيبا و وليا و حميدا و محصياو مبدئًا و معيدا و مُنعِما و مكرما و قيوما و مقدما و مؤخرا و توابا و منتقما و عفوا و جامعا و غنيا و مغنيا و ضارا و نافعا و هاديا و مضلا حتى يفعل بكل على حسب مقتضى استعداده الَّذِيْ أعطاه بمقتضى ذاته الكاملة المستجمعة بجميع الصفات، فذاته المقدسة أصل الأصول، وإنما كان اللائق بحال العبد ترك الاشتغال بعلم أسرار الربوبية؛ لأنها مما لا يفي به القوة البشرية بل الطاقة المخلوقية و لو كان مَلَكا، و تحسين بعضها و تقبيح بعضها ممايؤدي إلى الاعتراض على خالق الخلق و نسبة الجهل إليه تَعالىٰ الله عن ذلك علواكبيرا، و ربما يؤدي ذلك إلى الكفر و بهذا المعنى قال المشايخ: إفشاء سر الربوبية كفر.

وَكذا اللائق بحال العبد «السَّكُوْتُ عَنْ لِمَ وَكَيْفَ وَ مَتٰى» أي لم أعطى الله هذه النعمة لهذا الشخص، و لم ابتلى هذا الشخص بهذا البلاء، و كيف فعل هذا بهذا و هذا بهذا، و متى يكون الخلاص من هذا البلاء، و متى يكون ابتلاءه ببلاء إلى غير ذلك من وجوه الدخل في الربوبية «وَ» كذا اللائق بحال العبد «السَّكُوْت عَنِ التُّهْمَةِ لِلحَقّ» أي على الحق «عَزَّ وَ جَلَّ فِي جَمِيْعِ حَرَكَاتِهٖ وَ سَكَنَاتِهٖ» الظاهر أن هذا الظرف متعلق بقوله: "الأَولٰى واللائق" حتى يكون قيدا للجميع «وَ تَسْتَنِدُ هٰذِهِ الْجُمْلَةُ إِلٰى حَدِيْثِ عَبْدِالله ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه» يعني حجة هذه النصيحة كلها هذا الحديث «وَ هُوَ مَا رُوِيَ عَنْ عَطَاءٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضى الله عنه أَنَّهٗ قَالَ: بَيْنَمَا» أي وقت من الأوقات «أَنَا رَدِيْفُ رَسُوْلِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ» أي راكب على مركبه خلف ظهره «إِذْ قَالَ لِيْ» رسول الله صلى الله عليه و سلم: «يَا غُلَامُ» بمعنى يا صغير «اِحْفَظِ الله» أي لاحظ الله بالقلب واحفظ عظمته «يَحْفَظْكَ» عن جميع

المكاره «اِحْفَظْهُ» في كل حال واذكره فيها «تَجِدْهُ اَمَامَكَ» أي حاضرك و ناصرك و معينك، ثم رتّب عليه هذا المقال «فَإِذَا سَاَلْتَ» أي تر يد أن تسأل شيئا عن أحد «فَاسْاَلِ الله تَعَالٰى» دون غيره «وَ اِذَا اِسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِالله» ثم بيّن صلى الله عليه و سلم ما يحثه على التوجه إلى الله تعالٰى فقط بقوله «جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ» يعنى كتب الله تعالٰى في الأزل جميع ما يكون في العالم لا يقدر أحد على تغييره «وَ لَوْ جَهَدَ الْعِبَادُ» كمالَ جهد في «اَنْ يَّنْفَعُوْكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَقْضِهِ الله لَكَ» هذه الجملة صفة لشيء أي لم يُقَدِّرْفي حقك «لَمْ يَقْدِرُوْا عَلَيْهِ، فَلَوْ جَهَدَ الْعِبَادُ اَنْ يُّضِرُّوْكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَقْضِهِ الله عَلَيْكَ لَمْ يَقْدِرُوْا عَلَيْهِ فَاَنِ اسْتَطَعْتَ» يا غلام «اَنْ تَعْمَلَ» لله في جميع أعمالك في السراء والضراء بالشكر والرضى «بِالصِّدْقِ وَالْيَقِيْنِ» لأ لاجل المصلحة «فَاعْمَلْ» فإنه أمر عظيم لا يتيسر إلا لخلّص عباده و كملهم «وَ اِنْ لَّمْ تَسْتَطِعْ» ذلك أي الشكر والرضا في البلاء والضراء فلا تترك الصبر أيضا «فَاِنَّ فِي الصَّبْرِ عَلٰى مَا تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيْرًا» ثم بيّن ذلك بقوله «وَ اعْلَمْ اَنَّ النَّصْرَ» من جانب الله لك «بِالصَّبْرِ» منك على ما يصل إليك من جانب الله تعالٰى مما يخالف طبعك «وَ» ان «الْفَرَجَ» من الله تعالٰى «مَعَ» حصول «الْكَرْبِ» منه لك يعني أن فتح باب الخيرات لك إنما يكون بعد وصول المحنة إليك بمقتضى جر يان عادة الله تعالٰى بذلك في الأعم الأغلب إلا ما شاء الله تعالٰى بخرق العادة إظهارا للقدرة الكاملة «وَ اِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا» إنتهى هنا لفظ الحديث «فينْبَغِيْ لِكُلِّ مُؤمِنٍ اَنْ يَّجْعَلَ هٰذَا الْحَدِيْثَ مِرْاٰةً لِقَلْبِهٖ وَ شِعَارَهٗ وَ دِثَارَهٗ» أي ظاهره و باطنه «وَ حَدِيْثَهٗ» أي قوله و تكلمه «فيعْمَلُ بِهٖ فِي جَمِيْعِ حَرَكَاتِهٖ وَ سَكَنَاتِهٖ حَتّٰى يَسْلَمَ فِي الدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةِ» من غضب الله تعالٰى «وَ يَجِدَ» المؤمن «الْعِزَّةَ فيهِمَا» أي في الدنيا والآخرة «بِرَحْمَةِ الله عَزَّ وَ جَلَّ» و فضله لا باستحقاق من العبد بالصبر فإن ترتيب الجزاء على الفعل ليس بواجب على الله تعالٰى عند أهل السنة والجماعة بل ذلك فضل منه و كرم و رحمة و إحسان.

اَلْمَقَالَةُ الثَّالِثَةُ وَالْاَرْبَعُوْنَ

في بَيَانِ اَنَّ مَنْشَأَ السُّؤالِ الْجَهْلُ وَ مَنْشَأَ الْعِفَّةِ وُفُوْرُ الْعِلْمِ بِالله تَعَالٰى

قَالَ رَضِيَ الله تَعَالٰى عَنْهُ: مَا سَاَلَ النَّاسَ مَنْ سَاَلَ اِلَّا لِجَهْلِهٖ بِالله عَزَّ وَ جَلَّ وَ ضُعْفِ اِيْمَانِهٖ وَ مَعْرِفَتِهٖ وَ يَقِيْنِهٖ وَ قِلَّةِ صَبْرِهٖ وَ مَا تَعَفَّفَ مَنْ تَعَفّفَ عَنْ ذٰلِكَ اِلَّا لِوُفُوْرِ عِلْمِهٖ بِالله عَزَّ وَ جَلَّ وَ قُوَّةِ اِيْمَانِهٖ وَ يَقِيْنِهٖ وَ تَزَايُدِ مَعْرِفَتِهٖ بِرَبِّهٖ عَزَّ وَ جَلَّ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ وَ حَيَائِهٖ مِنْهُ عَزَّ وَ جَلَّ.

«قَالَ رَضِيَ الله تَعَالٰى عَنْهُ: مَا سَاَلَ النَّاسَ» حوائجه «مَنْ سَاَلَ اِلَّا لِجَهْلِهٖ» أي لجهل السائل «بِالله عَزَّ وَ جَلَّ» بأنه سبحانه المعطي والمانع والقابض والباسط، و أن قلوب العباد كلهم بيده، و أنه لا مانع لما أعطاه، و لا معطي لما منعه و لا راد لقضائه «وَ» لأجل «ضُعْفِ اِيْمَانِهٖ وَ مَعْرِفَتِهٖ وَ يَقِيْنِهٖ» بالله تعالٰى و بقضائه و قدره و فتحه و نصره «وَ قِلَّةِ صَبْرِهٖ» على تحمل المشاق و هذا في حق عوام الناس فإن منشأ سوالهم في الأعم الأغلب ما ذكر، و أما الخواص فهم قد يسألون لكن لا كذلك بل إما لأن الله تعالٰى أعلمهم بأن التقدير جرى بذلك أو لأجل نفع المسئول عنه حيث يؤجر على ما يعطيه «وَ مَا تَعَفَّفَ مَنْ تَعَفّفَ عَنْ ذٰلِكَ» أي عن السؤال عن الخلق «اِلَّا لِوُفُوْرِ عِلْمِهٖ بِالله عَزَّ وَ جَلَّ وَ قُوَّةِ اِيْمَانِهٖ وَ يَقِيْنِهٖ بالله تعالٰى وَ تَزَايُدِ مَعْرِفَتِهٖ بِرَبِّهٖ عَزَّ وَ جَلَّ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ وَ حَيَائِهٖ مِنْهُ عَزَّ وَ جَلَّ» فإن من وقف على عظمة الله تعالٰى لا يرتضي بالالتجاء إلى غيره.

اَلْمَقَالَةُ الرَّابِعَةُ وَالْاَرْبَعُوْنَ

في بَيَانِ عَدْمِ اِسْتِجَابَةِ الْمَسْئُوْلِ لِلْعَارِفِ

قَالَ رَضِيَ الله تَعَالٰى عَنْهُ: اِنَّمَا لَمْ يَسْتَجِبْ لِلْعَارِفِ كُلَّمَا يَسْاَلُ رَبَّهٗ عَزَّ وَ جَلَّ وَ لَمْ يُوْفَ بِكُلِّ وَعْدٍ لِئَلَّا يَغْلِبَ عَلَيْهِ الرَّجَاءُ فيهْلِكُ لِاَنَّهٗ مَا مِنْ حَالَةٍ وَ مَقَامٍ اِلَّا وَ لِذٰلِكَ خَوْفٌ وَ رَجَاءٌ هُمَا كَجَنَاحَيْ طَائِرٍ لَا يَتِمُّ الْاِيْمَانُ اِلَّا بِهِمَا وَ كَذَا الْحَالُ وَالْمَقَامُ غَيْرَ اَنَّ خَوْفَ كُلِّ حَالَةٍ وَ رَجَاءَ هُمَا بِمَا يَلِيْقُ بِهَا فَالْعَارِفُ مُقَرَّبٌ وَ حَالَتُهٗ وَ مَقَامُهٗ أَنْ لَا يُرِيْدَ شَيْئًا سِوَى الله عَزَّ وَ جَلَّ وَ لَا يَرْكَنُ وَ لَا يَطْمَئِنُّ اِلٰى غَيْرِهٖ عَزَّ وَ جَلَّ وَ لَا يَسْتَاْنِسُ بِغَيْرِهٖ فَطَلَبُهٗ لِاجَابَةِ سُؤَالِهٖ وَالْوَفَاءِ بِعَهْدِهٖ غَيْرَ مَا هُوَ بِصَدَدِهٖ وَ لَا يَلِيْقُ بِحَالِهٖ.

«قَالَ رَضِيَ الله تَعَالٰى عَنْهُ: اِنَّمَا لَمْ يَسْتَجِبْ لِلْعَارِفِ كُلَّمَا يَسْأَلُ رَبَّهٗ عَزَّ وَ جَلَّ وَ لَمْ يُوْفَ بِكُلِّ وَعْدٍ» حصل له من جانب الله تعالٰى «لِئَلَّا يَغْلِبَ عَلَيْهِ الرَّجَاءُ» بأنه تعالٰى يعطي كلما يسأل «فيهْلِكُ» لحصول الأمن من مكره تعالٰى و ذهاب الخوف، والإيمان بين الخوف والرجاء و الله تعالٰى غني عن العالمين، و لا يبالي بإخراج الولي عن ولايته بل عن إيمانه نعوذ بالله من الحور بعد الكور، والنكرة بعد المعرفة، و إنما يهلك بغلبة الرجاء «لِاَنَّهٗ مَا مِنْ حَالَةٍ وَ مَقَامٍ اِلَّا وَ لِذٰلِكَ» الحال والمقام «خَوْفٌ وَ رَجَاءٌ» و إنّ «هُمَا كَجَنَاحَيْ طَائِرٍ» فكما لا يمكن طيران الطائر بدون الجَناحين «لَا يَتِمُّ الْاِيْمَانُ اِلَّا بِهِمَا، وَ كَذَا الْحَالُ وَالْمَقَامُ» لا يتمان إلا بهما، و ذلك لأن لله تعالٰى صفات جلال و جمال فالجلال يقتضي التغيرَ والانتقالَ من حال إلى حال و تخريبا و إهلاكا، والجمال يقتضي الرحمة والإبقاء، و صفات الجمال كثيرة، و صفات الجلال أشد تأثيرا فالنظر إلى الجلال يوجب الخوف والنظر إلى الجمال يوجب الرجاء فلا

جَرَمَ العبد يكون بينهما، والعارفون الكاملون لكمال عرفانهم ظهرت لهم عظمة الله تعالىٰ و عظمة صفاته فهم بينهما أشد من سائر المؤمنين فكما أن أصل الإيمان بينهما فكذلك الحال والمقام بينهما.

«غَيْرَ اَنَّ خَوْفَ كُلِّ حَالَةٍ وَ رَجَاءَ هُمَا بِمَا يَلِيْقُ بِهَا» أي بتلك الحالة كما أن توبة كل نوع من الأشخاص مختلفة فتوبة الكافر عن كفره، و توبة المؤمن عن فسقه و معصيته، والزاهد عن الميل إلى الدنيا، والعارف عن التوجه إلى غير الله تعالىٰ فهكذا الخوف والرجاء بالنسبة إلى كل حالة «فَالْعَارِفُ مُقَرَّبٌ» عند الله تعالىٰ «وَ حَالَتُهُ وَ مَقَامُهُ أنْ لَا يُرِيْدَ شَيْئًا سِوَى الله عَزَّ وَ جَلَّ وَ لَا يَرْكَنُ» أي لا يميل «وَ لَا يَطْمَئِنُّ اِلٰى غَيْرِهٖ عَزَّ وَ جَلَّ وَ لَا يَسْتَأْنِسُ بِغَيْرِهٖ» تَعَالٰى لاستيلاء محبته لله تعالىٰ «فَطَلَبُهُ لِاِجَابَةِ سُؤَالِهٖ وَالْوَفَاءِ بِعَهْدِهٖ غَيْرَ مَا هُوَ بِصَدَدِهٖ وَ» غير «لَا ئِقٍ بِحَالِهٖ» إذ هو بصدد صرف التوجه عن الغير.

فَفِي ذٰلِكَ اَمْرَانِ اِثْنَانِ: اَحَدُهُمَا لِئَلَّا يَغْلِبَ عَلَيْهِ الرَّجَاءُ وَالْغِرَّةُ بِمَكْرِ رَبِّهٖ عَزَّ وَ جَلَّ فيغْفُلُ عَنِ الْقِيَامِ بِالْأَدَبِ فيهْلِكُ، وَ الْاٰخِرُ شِرْكُهُ بِرَبِّهٖ عَزَّ وَ جَلَّ بِشَيْءٍ سِوَاهُ، اِذْ لَا مَعْصُوْمَ فِي الْعَالَمِ فِي الظَّاهِرِ بَعْدَ الْاَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلٰوةُ وَالسَّلَامُ فَلَا يُجِيْبُهُ وَ لَا يَفِي لَهُ كَيْ لَا يَسْاَلَ عَادَةً وَ يُرِيْدُه طَبْعًا لَا اِمْتِثَالًا لِلْاَمْرِ لِمَا فِي ذٰلِكَ مِنَ الشِّرْكِ الْخَفِي، وَالشِّرْكُ كَبِيْرٌ فِي الْاَحْوَالِ كُلِّهَا وَ الْاَقْدَامِ عَلٰى جَمِيْعِهَا وَ فِي الْمَقَامَاتِ بِاَسْرِهَا.

وَ اَمَّا اِذَا كَانَ السُّؤَالُ بِاَمْرٍ فَذٰلِكَ مِمَّا يَزِيْدُهُ قُرْبًا كَالصَّلٰوةِ وَالصَّوْمِ وَ غَيْرِهِمَا مِنَ الْفَرَائِضِ وَالنَّوَافِلِ لِاَنَّهُ يَكُوْنُ فِي ذٰلِكَ مُمْتَثِلًا لِلْاَمْرِ.

«فَفِي ذٰلِكَ» أي عدم إنجاح الطلب «اَمْرَانِ اِثْنَانِ اَحَدُهُمَا» أنه تعالىٰ لم يعط مسئوله «لِئَلَّا يَغْلِبَ عَلَيْهِ» أي على ذلك العارف «الرَّجَاءُ وَالْغِرَّةُ» أي الغرور

«بِمَكْرِ رَبِّهٖ عَزَّ وَ جَلَّ» بعطاء كل مسئوله «فيغْفُلُ» ذلك العارف المعطى كل مسئوله «عَنِ الْقِيَامِ بِالْاَدَبِ» الَّذِيْ يقتضيه العبودية والألوهية «فيهْلِكُ» بالوقوع عن رتبته «وَ» الأمر «الْاٰخِرُ» أنه تعالىٰ لم يعط له جميع مسئوله لئلا يغلب عليه «شِرْكُهٗ بِرَبِّهٖ عَزَّ وَ جَلَّ بِشَيْءٍ سِوَاهُ» أي يميل طبعه إلى شيئ سوى الرب تعالىٰ.

هذا غاية ما تكلفت لتوجيه العبارة و إلا فظاهرها مشكل؛ لأن الأمرين المذكورين أولهما سبب لعدم انجاح المطلوب من جانب الله تعالىٰ، و ثانيهما سبب لطلب العارف فلو جعل المشارإليه في قوله: "ففي ذلك" الأول أعني عدم إنجاح الطلب لا يناسبه الثاني، و إن جعل الثاني أعني طلب العارف لا يناسب الأول فجعلت المشار إليه الأول و قدرت في الثاني لفظ «لئلا يغلب» كما كان في الأول لتوافق العلتان و ينتظم البيان، «اِذْ لَا مَعْصُوْمَ فِي الْعَالَـمِ فِي الظَّاهِرِ بَعْدَ الْاَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلٰوةُ وَالسَّلَامُ فَلَا يُجِيْبُهٗ» الله تعالىٰ مسئوله «وَ لَا يَفِي لَهٗ» موعوده «كَيْ لَا يَسْأَلَ» العارف المسئولات والمرادات «عَادَةً وَ» لا «يُرِيْدُه» المطالب والمقاصد «طَبْعًا لَا اِمْتِثَالًا لِلْاَمْرِ لِـمَا فِي ذٰلِكَ» السؤال العادي الكائن بدون الامتثال «مِنَ الشِّرْكِ الْخَفِيِّ» فإن العارف و إرادته كلاهما من الغيرفيكون ملاحظة الإرادة والطبع شركا مع الله تعالىٰ «وَالشِّرْكُ» ذنب «كَبِيْرٌ» و ظلم عظيم «فِي الْاَحْوَالِ كُلِّهَا» بداية كانت الحال أو نهاية «وَ فِي الْإِقْدَامِ عَلٰى جَمِيْعِهَا» سواء كانت إقدام العارف أو السالك «وَ» في «الْـمَقَامَاتِ بِأَسْرِهَا» للعارفين كانت تلك المقامات أو للسالكين «وَ اَمَّا اِذَا كَانَ السُّؤَالُ» الصادر من العارف «بِاَمْرٍ» من الله تعالىٰ «فَذٰلِكَ» السؤال «مِمَّا يَزِيْدُهٗ» أي ذلك العارفَ السائلَ «قُرْبًا» عند الله تعالىٰ و قبولا لديه «كَالصَّلٰوةِ وَالصَّوْمِ وَ غَيْرِهِمَا مِنَ الْفَرَائِضِ وَالنَّوَافِلِ» تزيده قربا و قبولا «لِاَنَّهٗ» أي العارف السائل «يَكُوْنُ فِي ذٰلِكَ» السؤال الأمريّ «مُمْتَثِلًا لِلْاَمْرِ» الإلٰهي.

اَلْمَقَالَةُ الْخَامِسَةُ وَالْاَرْبَعُوْنَ

في بَيَانِ حَالِ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِ وَ حَالِ الْمُبْتَلٰى

قَالَ رَضِيَ اللهُ تَعَالٰى عَنْهُ: اِعْلَمْ اَنَّ النَّاسَ رَجُلَانِ: مُنْعَمٌ عَلَيْهِ وَ مُبْتَلًى بِمَا قَضٰى رَبُّهٗ تَعَالٰى، فَالْمُنْعَمُ عَلَيْهِ لَا يَخْلُوْ مِنَ النُّغْصَةِ وَالتَّكَدُّرِ فِيمَا اَنْعَمَ عَلَيْهِ، فَهُوَ فِي اَنْعَمِ مَا يَكُوْنُ مِنْ ذٰلِكَ اِذْ جَاءَ الْقَدْرُ بِمَا يُكَدِّرُهٗ عَلَيْهِ مِنْ اَنْوَاعِ الرَّزَايَا وَالْبَلَايَا مِنَ الْاَمْرَاضِ وَالْاَوْجَاعِ وَ الْمَصَائِبِ فِي النَّفْسِ وَالْمَالِ وَالْاَهْلِ وَالْاَوْلَادِ

«قَالَ رَضِيَ اللهُ تَعَالٰى عَنْهُ: اِعْلَمْ اَنَّ النَّاسَ رَجُلَانِ» أي صنفان، رجل «مُنْعَمٌ عَلَيْهِ» بأنواع النعم مع ابتلائه بشيء من البلاء «وَ» رجل «مُبْتَلًى بِمَا قَضٰى رَبُّهٗ تَعَالٰى» و تقدس عليه من أنواع البلايا في المال والأهل والنفس، و إن كان هذا المبتلى أيضا منعما عليه بكثير من النعم فإن نعم؛ الله تعالى فائضة على كل مخلوق و ابتلاؤه بالبعض ببعض الوجوه «فَالْمُنْعَمُ عَلَيْهِ لَا يَخْلُوْ مِنَ النُّغْصَةِ وَالتَّكَدُّرِ» كلاهما بمعنى واحد هو نقيض الصفا «فِيمَا اَنْعَمَ» الله «عَلَيْهِ» من النعم «فَهُوَ» أي المنعم عليه ربما في «اَنْعَمِ مَا يَكُوْنُ مِنْ ذٰلِكَ» أي أطيب أوقات كونه منعما عليه بمعنى كونه متلذذا أكثر تلذذ بنعم الله سبحانه المفاضة عليه «اِذْ جَاءَ الْقَدْرُ» أي فأجأه التقدير الأزلي «بِمَا يُكَدِّرُهٗ» أي بشيء يكدر التنعم «عَلَيْهِ» أي على المنعم عليه «مِنْ اَنْوَاعِ الرَّزَايَا» أي المصائب جمع رز ية و هي المصيبة «وَالْبَلَايَا مِنَ الْاَمْرَاضِ وَالْاَوْجَاعِ» القلبية والقالبية «وَ الْمَصَائِبِ فِي النَّفْسِ» بالمرض «وَالْمَالِ» بالتلف «وَالْاَهْلِ وَالْاَوْلَادِ» إما بالتلف أو بالتفرق أو بالاختلاف.

فَيَتَنَغَّصُ عَيْشُهٗ بِذٰلِكَ، فَكَاَنَّهٗ لَمْ يُنْعَمْ عَلَيْهِ قَطُّ وَ يَنْسٰى ذٰلِكَ النَّعِيْمَ وَ حَلَاوَتَهٗ وَ اِنْ كَانَ الْغِنٰى قَائِمًا بِالْمَالِ وَالْجَاهِ وَالْعَبِيْدِ وَالْاِمَاءِ وَ

الْاَمْنِ مِنَ الْاَعْدَاءِ فَهُوَ فِي حَالِ النَّعْمَاءِ كَاَن لَا بَلَاءَ فِي الْوُجُوْدِ وَكَاَنْ لَا نَعِيْمَ فِي الْوُجُوْدِ وَ كُلُّ ذٰلِكَ لِجَهْلِهٖ بِمَوْلَاهُ فَلَوْ عَلِمَ اَنَّ مَوْلَاهُ تعالٰى، فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيْدُ.[البروج، رقم السورة:٨٥، رقم الآية:١٦]

يُغَيِّرُ وَ يُبَدِّلُ وَ يُحِلُّ وَ يُمِرُّ وَ يُغْنِيْ وَ يُفْقِرُ وَ يُرْفِعُ وَ يُخْفِضُ وَ يُعِزُّ وَ يُذِلُّ وَ يُحْيِي وَ يُمِيْتُ وَ يُقَدِّمُ وَ يُؤَخِّرُ لَمَا اطْمَئَنَّ اِلٰى مَا بِهٖ مِنَ النَّعِيْمِ وَ لَمَا اِغْتَرَّ وَ لَمَا اَيِسَ مِنَ الْفَرَجِ فِي حَالَةِ الْبَلَاءِ، وَ لِجَهْلِهٖ اَيْضًا بِالدُّنْيَا اِنَّهَا دَارُ بَلَاءٍ وَ تَنْغِيْصٍ وَ تَكَالِيْفٍ وَ تَكْدِيْرٍ وَ اِنَّ اَصْلَهَا بَلَاءٌ وَ طَارِقُهَا نَعْمَاءُ فَهِي كَشَجَرَةِ الصَّبِرِ اَوَّلُ ثَمْرَتِهَا مُرَّةٌ وَ اٰخِرُهَا شَهْدٌ حُلْوٌ، لَا يَصِلُ الْمَرْءُ اِلٰى حَلَاوَتِهَا حَتّٰى يَتَجَرَّعَ مَرَارَتَهَا فَلَنْ يَبْلُغَ الشَّهْدَ اِلَّا بِالصَّبِرِ فَمَنْ صَبَرَ عَلٰى بَلَائِهَا حَلَّ لَهٗ نَعِيْمُهَا، وَ اِنَّمَا يُعْطَى الْاَجِيْرُ اَجْرَهٗ بَعْدَ عَرْقِ جَبِيْنِهٖ وَ تَعْبِ جَسَدِهٖ وَ كَرْبِ رُوْحِهٖ وَ ضِيْقِ صَدْرِهٖ وَ ذَهَابِ قُوَّتِهٖ وَ اِذْلَالِ نَفْسِهٖ وَ كَسْرِ هَوَاهُ فِي خِدْمَةِ مَخْلُوْقٍ مِثْلِهٖ، فَلَمَّا تَجَرَّعَ هٰذِهِ الْمَرَائِرَ اَعْقَبَتْ لَهٗ طِيْبُ طَعَامٍ وَ اِدَامٍ وَ فَاكِهَةٍ وَ لِبَاسٍ وَ رَاحَةٍ وَ سُرُوْرٍ وَ لَوْ اَقَلَّ قَلِيْلٍ فَالدُّنْيَا اَوَّلُهَا مُرَّةٌ كَالصَّفْحَةِ الْعُلْيَا مَنْ عَسْلٍ فِي ظَرْفٍ مَشُوْبَةٍ بِمَرَارَةٍ فَلَا يَصِلُ الْاٰكِلُ اِلٰى قَرَارِ الظَّرْفِ وَ تَنَاوُلِ الْخَالِصِ مِنْهُ اِلَّا بَعْدَ تَنَاوُلِ الصَّفْحَةِ الْعُلْيَا فَاِذَا صَبَرَ الْعَبْدُ عَلٰى اَدَاءِ اَوَامِرِ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ اِنْتِهَاءِ نَوَاهِيهِ وَالتَّسْلِيْمِ وَالتَّفْوِيْضِ فِيمَا يَجْرِىْ بِهِ الْقَدْرُ، وَ تَجَرَّعَ مَرَائِرَ ذٰلِكَ وَ تَحَمَّلَ اَثْقَالَهٗ وَ خَالَفَ هَوَاهُ وَ تَرَكَ مُرَادَهٗ اَعْقَبَهُ اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ بِذٰلِكَ طِيْبَ عَيْش فِي اٰخِرِ عُمْرِهٖ وَالدِّلَالَ وَالرَّاحَةَ وَالْعِزَّةَ وَ يَتَوَلَّاهُ كَمَا يُغْذِي الطِّفْلُ الرَّضِيْعُ مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفٍ فِيهِ وَ تَحَمُّلِ مُؤنِهٖ وَ تَبِعَةٍ فِي الدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةِ، وَ يَتَلَذَّذُ بِهٖ كَمَا يَتَلَذَّذُ اٰكِلُ الْمُرِّ مِنَ الصَّفْحَةِ الْعُلْيَا بِاَكْلِهٖ مِنْ قَرَارِ الظَّرْفِ فَيَنْبَغِيْ لِلْعَبْدِ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِ اَنْ لَا يَاْمَنَ مِنْ مَكْرِ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ فَيَغْتَرُّ بِالنِّعْمَةِ وَ يَقْطَعُ بِدَوَامِهَا وَ يَغْفِلُ عَنْ شُكْرِهَا وَ يُرْخِيْ قَيْدَهَا بِتَرْكِهٖ

لِشُكْرِهَا. قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه و سلم: "اَلنِّعْمَةُ وَحْشِيَةٌ فَقَيِّدُوْهَا بِالشُّكْرِ".[1]

فَشُكْرُ نِعْمَةِ الْمَالِ الْاِعْتِرَاف بِهَا لِلْمُنْعِمِ الْمُتَفَضِّلِ وَهُوَ الله عَزَّ وَ جَلَّ وَالتَّحَدُّثُ بِهَا لِنَفْسِهِ فِي سَائِرِ الْاَحْوَالِ وَ رُؤْيَة فَضْلِهِ وَ مِنَّتِهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ اَنْ لَا يَتَمَلَّكَ عَلَيْهِ وَ لَا يَتَجَاوَزَ حَدَّهٗ فِيهِ، وَ لَا يَتْرُكَ اَمْرَهٗ فِيهِ بِاَدَاءِ حُقُوْقِهٖ مِنَ الزَّكٰوةِ وَالْكَفَّارَةِ وَالنُّذُرِ وَالصَّدَقَةِ وَ اِعَانَةِ الْمَلْهُوْفِ وَ اِعَانَةِ اِفْتِقَارِ اَرْبَابِ الْحَاجَاتِ وَ اَهْلِهَا فِي الشَّدَائِدِ عِنْدَ تَقَلُّبِ الْاَحْوَالِ وَ تَبَدُّلِ الْحَسَنَاتِ بِالسَّيِّئَاتِ، اَعْنِيْ تَبَدُّلَ سَاعَاتِ النَّعِيْمِ وَالرَّخَاءِ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَ شُكْرِ اَدَاءِ نِعْمَةِ الْعَافِيَةِ فِي الْجَوَارِحِ وَالْاَعْضَاءِ بِالْاِسْتِعَانَةِ بِهَا وَ فِي الْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالسَّيِّئَاتِ وَالْمَعَاصِي وَالْاٰثَامِ

«فيتَنَغَّصُ» أي يتكدر «عَيْشُهٗ بِذٰلِكَ» البلاء المقدر من جانب الله تعالٰى «فَكَاَنَّهٗ» أي هذا المنعم عليه الَّذِيْ جاء ه القدر بالبلاء «لَمْ يُنْعَمْ عَلَيْهِ قَطُّ» فيما مضى من الزمان «وَ يَنْسٰى ذٰلِكَ النَّعِيْمَ وَ حَلَاوَتَهٗ» التي حصلت له بتلك النعيم في مدة من الزمان «وَ اِنْ كَانَ الْغِنٰى قَائِمًا» حاصلا الاٰن «بِالْمَالِ وَالْجَاهِ وَالْعَبِيْدِ وَالْاِمَاءِ وَ الْاَمْنِ مِنَ الْاَعْدَاءِ فَهُوَ فِي حَالِ النَّعْمَاءِ» قبل لحوق البلاء مغرورا متلذذا بالغفلة «كَاَنْ لَا بَلَاءَ فِي الْوُجُوْدِ» و إذا لحقه البلاء فهو يعجز و يتحير و يضطرب فِي حَالِ الْبَلَاءِ «وَكَاَنْ لَا نَعِيْمَ فِي الْوُجُوْدِ وَ كُلُّ ذٰلِكَ» الظن والاغترار والغفلة إنما هو «لِجَهْلِهٖ بِمَوْلَاهُ» و قدرته تعالٰى «فَلَوْ عَلِمَ» المنعم عليه و كذا المبتلى «اَنَّ مَوْلَاهُ تعالٰى»

﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيْدُ﴾[البروج:٨٥/ ١٦]

«يُغَيِّرُ» الأحوال «وَ يُبَدِّلُ» الأحوال «وَ يُحِلُّ» المرَّ «وَ يُمِرُّ» الْحَالِيَ[2] «وَ يُغْنِيْ» الفقير «وَ يُفْقِرُ» الغني «وَ يُرْفِعُ» المنخفض «وَ يُخْفِضُ» المرتفع «وَ يُعِزُّ»

(1) لم نجد في المصادر التي بين أيدينا.

(2) الحالى اسم فاعل من الحلو بمعنى شيرين، من الشارح

الذليل «وَ يُذِلُّ» العزيز «وَ يُحْيِي» الأموات «وَ يُمِيْتُ» الأحياء «وَ يُقَدِّمُ» المؤخر «وَ يُؤَخِّرُ» المقدم و كذا يصحح المريض و يمرض الصحيح «لَمَا اِطْمَئَنَّ» جواب "لو"أي لو علم المنعم عليه والمبتلى كمال تصرف المولى لما اطمأن، كل منهما «اِلٰى مَا بِهٖ مِنَ النَّعِيْمِ» والبلايا «وَ لَمَا اِغْتَرَّ» المنعم عليه بالنعمة «وَ لَمَا اَيِسَ» المبتلى «مِنَ الْفَرَجِ فِي حَالَةِ الْبَلَاءِ، وَ لِجَهْلِهٖ» أي كان اغترار المنعم عليه و يأس المبتلى لجهله بمولاه «وَ لِجَهْلِهٖ اَيْضًا بِالدُّنْيَا» و عدم علم «اِنَّهَا دَارُ بَلَاءٍ وَ تَنْغِيْصٍ وَ تَكَالِيْفٍ وَ تَكْدِيْرٍ وَ» جهله «اِنَّ اَصْلَهَا» أي أصل الدنيا «بَلَاءٌ وَ طَارِقُهَا» أي عارضها «نَعْمَاءُ فَهِي» أي الدنيا «كَشَجَرَةِ الصَّبِرِ» و هو شيء مُرٌّ مشهور. و في القاموس: والصَبِر كَكَتِف و لا يسكن إلا في ضرورة الشعر عصارة شجر مُر «اَوَّلُ ثَمْرَتِهَا مُرَّةٌ وَ اٰخِرُهَا شَهْدٌ» أي عسل به صرح في القاموس «حُلْوٌ لَا يَصِلُ الْمَرْءُ اِلٰى» ذوق «حَلَاوَتِهَا حَتّٰى يَتَجَرَّعَ» أوّلا «مَرَارَتَهَا فَلَنْ يَبْلُغَ الشَّهْدَ اِلَّا بِالصَّبِرِ فَمَنْ صَبَرَ عَلٰى بَلَائِهَا» أي بلاء الدنيا التي هي بمنزلة المرارة بل أشدها «حَلَّ لَهٗ» وصول «نَعِيْمُهَا» أما تعلم في معاملة العالم أن الأجر بعد الكسب «وَ اِنَّمَا يُعْطَى الْاَجِيْرُ اَجْرَهٗ بَعْدَ عَرْقِ جَبِيْنِهٖ وَ تَعْبِ جَسَدِهٖ وَ كَرْبِ رُوْحِهٖ وَ ضِيْقِ صَدْرِهٖ» في تحمل تلك المشقة الحاصلة له في كسبه «وَ ذَهَابِ قُوَّتِهٖ وَ اِذْلَالِ نَفْسِهٖ وَ كَسْرِ هَوَاهُ فِي خِدْمَةِ مَخْلُوْقٍ مِثْلِهٖ فَلَمَّا تَجَرَّعَ هٰذِهِ الْمَرَائِرَ» المذكورة «اَعْقَبَتْ لَهٗ طِيْبُ طَعَامٍ وَ اِدَامٍ وَ فَاكِهَةٍ وَ لِبَاسٍ وَ رَاحَةٍ وَ سُرُوْرٍ وَ لَوْ اَقَلَّ قَلِيْلٍ» على قدر تعب و مشقة و محنة «فَ» كذلك حال «الدُّنْيَا اَوَّلُهَا مُرَّةٌ كَالصَّفْحَةِ الْعُلْيَا مَنْ عَسْلٍ» كائن «فِي ظَرْفٍ مَشُوْبَةٍ» أي مخلوطة «بِمَرَارَةٍ» بأن يكون المرّ عاليا والعسل سافلا «فَلَا يَصِلُ» الشخص «الْاٰكِلُ» من تلك الظرف المشوب عسلها بالمرارة «اِلٰى قَرَارِ الظَّرْفِ» الَّذِيْ هو محل العسل«وَ» إلى «تَنَاوُلِ الْخَالِصِ منه» أي من العسل «اِلَّا بَعْدَ تَنَاوُلِ الصَّفْحَةِ الْعُلْيَا» المرة «فَاِذَا صَبَرَ الْعَبْدُ عَلٰى اَدَاءِ اَوَامِرِ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ اِنْتِهَاءِ نَوَاهِيهِ وَالتَّسْلِيْمِ وَالتَّفْوِيْضِ» لأمر الله تعالى «فِيمَا يَجْرِيْ بِهِ الْقَدْرُ وَ تَجَرَّعَ مَرَائِرَ ذٰلِكَ وَ تَحَمَّلَ اَثْقَالَهٗ وَ خَالَفَ هَوَاهُ وَ تَرَكَ مُرَادَهٗ اَعْقَبَهُ اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ بِذٰلِكَ» المذكور من

المحن والشدائد في الأعم الأغلب «طِيْبَ عَيْش فِي اٰخِرِ عُمْرِهٖ وَالدِّلَالَ» أي التنعم «وَالرَّاحَةَ وَالْعِزَّةَ وَ يَتَوَلَّاهُ» الله تعالٰى «كَمَا يُغْذِى الطِّفْلُ الرَّضِيْعُ مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفٍ» و مشقة و سعي من الطفل «فيهِ» أي تحصيل الغذاء «وَ تَحَمُّلِ مُؤنِهٖ» جمع مؤنة و هي ما يحتاج إليه «وَ تَبِعَةٍ» أي مشقة «فِي الدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةِ، وَ يَتَلَذَّذُ بِهٖ» بتلك الغذاء «كَمَايَتَلَذَّذُ اٰكِلُ الْمُرِّ مِنَ الصَّفْحَةِ الْعُلْيَا بِاَكْلِهٖ» الحلو «مِنْ قَرَارِ الظَّرْفِ فينْبَغِيْ لِلْعَبْدِ» المؤمن «الْمُنْعَمِ عَلَيْهِ اَنْ لَا يَأْمَنَ» في جميع حالاته «مِنْ مَكْرِ الله عَزَّ وَ جَلَّ فيغْتَرَّ بِالنِّعْمَةِ» أي فإن أمن فيغتر بنعمة الله تعالٰى عليه «وَ يَقْطَعُ بِدَوَامِهَا» أي يجزم بدوام حصولها له «وَ يَغْفِلُ» هذا المنعم عليه «عَنْ شُكْرِهَا» لله تعالٰى «وَ يُرْخِيْ» أي يهمل «قَيْدَهَا» أي قيد تلك النعمة «بِتَرْكِهٖ» إضافة إلى الفاعل «لِشُكْرِهَا» فإن شكر النعمة قيد لها، و كفرانها تضييع لها و بهذا المعنى «قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه و سلم:»

«اَلنِّعْمَةُ وَحْشِيَةٌ فَقَيِّدُوْهَا بِالشُّكْرِ»

«فَشُكْرُ نِعْمَةِ الْمَالِ» عن المنعم عليه «الْاِعْتِرَافُ بِهَا لِلْمُنْعِمِ» بأنها أعطاها «الْمُتَفضِّلِ» في إعطائه من غير استحقاق من المنعم عليه، «وَ» ذلك المنعم المتفضل «هُوَ الله» الَّذِيْ لا اله إلا هو «عَزَّ» من كل عزيز «وَ جَلَّ» من كل جليل «وَالتَّحَدُّثُ بِهَا لِنَفْسِهٖ» أي بنفسه أو بالخلق لإصلاح نفسه فعلى الأول اللام بمعنى الباء، و على الثاني بمعنى لأجل «فِي سَائِرِ الْاَحْوَالِ وَ رُؤ يَة فَضْلِهٖ وَ مِنَّتِهٖ عَزَّ وَ جَلَّ، وَ اَنْ لَا يَتَمَلَّكَ عَلَيْهِ» تملك به جعل نفسه مالكا بسببه، و تملك عليه لا يريد أن يخرجه عن ملكه فحاصله أن لا يبخل به «وَ لَا يَتَجَاوَزَ حَدَّهٗ فيهِ» أي لا يتجاوز حد الله في ذلك المال بأن يسرف و ينفق في غير محل الإنفاق بحسب هوى نفسه «وَ لَا يَتْرُكَ اَمْرَهٗ» أي أمر الله تعالٰى «فيهِ» و ذلك «بِاَدَاءِ حُقُوْقِهٖ» تعالٰى الكائنة في ذلك المال «مِنَ الزَّكٰوةِ وَالْكَفَّارَةِ وَالنُّذُرِ وَالصَّدَقَةِ وَ اِعَانَةِ الْمَلْهُوْفِ» الملهوف واللهيف واللهفان واللاهف: المضطر يسغيث و يتحير «وَ اِعَانَةِ اِفْتِقَارِ اَرْبَابِ الْحَاجَاتِ وَ اَهْلِهَا» أي أهل الحاجات عطف تفسيري الكائنة «فِي الشَّدَائِدِ» و غلبة الفقر

والحزن «عِنْدَ تَقَلُّبِ الْاَحْوَالِ» أي أحوالهم من الغنى إلى الفقر و من العز إلى الذل «وَ تَبدُّلِ الْحَسَنَاتِ» التي فعلوها في الرخاء والسعة «بِالسَّيِّئَاتِ» بالعجز عن الصبر والتصبر بل بالتشكي والاضطرار «اَعْنِيْ» بتبدل الحسنات بالسيئات «تَبدُّلَ سَاعَاتِ النَّعِيْمِ وَالرَّخَاءِ بِالْبَاْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَ شُكْرِ اَدَاءِ نِعْمَةِ الْعَافيةِ في الْجَوَارِحِ وَالْاَعْضَاءِ بِالْاِسْتِعَانَةِ بِهَا» أي بالجوارح والأعضاء «في الطَّاعَاتِ» البدنية كالصلوة والتلاوة والعيادة والمشي إلى الجمعة والجماعات وإلى غير ذلك «وَ» الاستعانة بها «في الْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالسَّيِّئَاتِ وَالْمَعَاصِي وَالْاٰثَامِ» فلا ينظر إليها بالعين و لا يسمعها بالأذن و لا يقولها باللسان و لا يبطش باليد و لا يمشي إلى تحصيل الحرام إلى غير ذلك.

فَذٰلِكَ قَيْدُ النَّعْمَاءِ عَنِ الرِّحْلَةِ وَالذَّهَابِ، وَ سَقْيُ شَجرَتِهَا وَ تَنْمِيَةُ اَغْصَانِهَا وَ اَوْرَاقِهَا، وَ تَحْسِيْنُ ثَمْرَتِهَا، وَ حَلَاوَةُ طُعْمِهَا، وَ سَلَامَةُ عَاقِبَتِهَا، وَ لَذَّةُ مَضْغِهَا، وَ سَهُوْلَةُ بَلْعِهَا، وَ تَعَقُّبُ عَافيتِهَا وَ رِيْعُهَا في الْجَسَدِ وَ قُوَّتُهَا بِهَا، ثُمَّ ظُهُوْرُ بَرَكتِهَا عَلَى الْجَوَارِحِ مِنْ اَنْوَاعِ الطَّاعَاتِ وَ الْقُرُبَاتِ وَالْاَذْكَارِ، ثُمَّ دُخُوْلُ الْعَبْدِ بَعْدَ ذٰلِكَ في الْاٰخِرَةِ في رَحْمَةِ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ الْخُلُوْدُ في الْجِنَانِ مَعَ النَّبِيِّيْنَ وَالصِّدِّيْقِيْنَ وَالشُّهَدَاءِ وَ الصَّالِحِيْنَ وَ حَسُنَ أُولٰئِكَ رَفيقًا فَاِنْ لَمْ يَفْعَلْ وَاغْتَرَّ بِمَا ظَهَرَتْ مِنْ زِيْنَتِهَا وَ ذَاقَ مِنْ لَذَّاتِهَا وَ اطْمَئَنَّ اِلَى بَرِيْقِ سَرَابِهَا وَ مَا لَاحَ مِنْ بَرْقِهَا وَ مَا هَبَّ مِنْ نَسِيْمِ اَوَّلِ نَهَارِ قَيْظِهَا وَ نُعُوْمَةِ جُلُوْدِ حَيَّاتِهَا، وَ عَقَارِبِهَا وَ غَفَلَ عَنْ سَمُوْمِهَا الْقَاتِلَةِ الْمُوْدَعَةِ في اَعْمَاقِهَا وَ مَكَامَنِهَا وَ عَنْ مَصَائِدِهَا اَلْمَنْصُوْبَةِ لِاَخْذِهِ وَ حَبْسِهِ وَ هَلَاكِهِ فَلْيُهَنَّأْ بِالرَّدٰى وَ لْيَسْتَبْشِرْ بِالْعَطَبِ وَالْفَقْرِ الْعَاجِلِ مَعَ الذُّلِّ وَ الْهَوَانِ في الدُّنْيَا وَالْعَذَابِ الْاٰجِلِ في النَّارِ وَ لَظٰى.

«فَذٰلِكَ» المذكور من الاعتراف والتحدث و رؤية الفضل من الله تعالٰى، و

عدم التملك عليه، و عدم تجاوز الحد فيه و عدم ترك الأمر لله فيه بأداء حقوقه من الزكوة و أخواتها و أداء شكر نعمة العافية باستعانة الجوارح في الطاعات و في الكف عن المعاصي هو «قَيْدُ النَّعْمَاءِ عَنِ الرِّحْلَةِ» أي عن ارتحا لها «وَالذَّهَابِ وَ سَقْيُ شَجَرَتِهَا» أي شجرة النعماء «وَتَنْمِيَةُ اَغْصَانِهَا وَ اَوْرَاقِهَا وَ تَحْسِيْنُ ثَمْرَتِهَا» و هي رضا الله تعالىٰ و رسوله في الدنيا والآخرة «وَ حَلَاوَةُ طُعْمِهَا، وَ سَلَامَةُ عَاقِبَتِهَا، وَ لَذَّةُ مَضْغِهَا، وَ سَهُوْلَةُ بَلْعِهَا» أي ابتلاعها في الحلق «وَ تَعَقُّبُ» ذلك الشكر «عَافِيَتِهَا، وَ رِيْعُهَا» أي سريانها «فِي الْجَسَدِ وَ قُوَّتُهَا بِهَا ثُمَّ» تعقب ذلك الشكرَ «ظُهُوْرُ بَرَكَتِهَا عَلَى الْجَوَارِحِ مِنْ اَنْوَاعِ الطَّاعَاتِ وَ الْقُرُبَاتِ وَالْاَذْكَارِ ثُمَّ دُخُوْلُ الْعَبْدِ» أي ثم تعقب ذلك الشكر دخول العبد «بَعْدَ ذٰلِكَ» أي بعد ما ذكرنا من فوائد الدنياو ية« فِي الْاٰخِرَةِ فِي رَحْمَةِ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ» و رضوانه «وَ الْخُلُوْدُ فِي الْجِنَانِ مَعَ النَّبِيِّيْنَ وَالصِّدِّيْقِيْنَ وَالشُّهَدَاءِ وَ الصَّالِحِيْنَ وَ حَسُنَ اُولٰئِكَ رَفِيْقًا» فظهر بما ذكرأن العبدَ إن فعل الشكر في النعمة يصل إلى هذه المرتبة «فَاِنْ لَمْ يَفْعَلْ» العبد المنعم عليه الشكر بالوجه الَّذِيْ ذكر بل بطر «وَاغْتَرَّ بِمَا ظَهَرَتْ مِنْ زِيْنَتِهَا» أي الدنيا التي أعطاها الله تعالىٰ «وَ ذَاقَ مِنْ لَذَّاتِهَا» المستحسنة للطباع البشرية «وَ اطْمَئَنَّ اِلٰى بَرِيْقِ سَرَابِهَا» السراب ما يُتَرَاءَىٰ وقتَ الهجيرة في الميادين و يظنه العطشان ماء، والبريق اللمعان «وَ مَا لَاحَ» أي ظهر «مِنْ بَرْقِهَا» و قد تقول: إن السراب لا حقيقة له والبريق لا ثبات له «وَ مَا هَبَّ مِنْ نَسِيْمِ اَوَّلِ نَهَارِ قَيْظِهَا»، القيظ فصل الصيف و هي حارة، والريح أول نهارها باردة يستطيب بها الأنفس، ثم إذا ارتفع النهار تنقلب حارة، في القاموس القيظ صميم الصيف من طلوع الثريا إلى طلوع سهيل جمعه أقياظ و قيوظ، وكذلك الدنيا لا حقيقة لها و لا ثبات لها و تنقلب سرّاءها مضرة و غناء ها فقرا «وَ» اطمئن إلى «نُعُوْمَةِ» أي غاية لين «جُلُوْدِ حَيَّاتِهَا وَ عَقَارِبِهَا» و هي الجاه والغرور و وصول المشتهيات و نيل المرادات لا على وفق الشرع و اللعب و اللهو فهي كلها حيات و عقارب يُتَرَاءَىٰ في الظاهر مستحسنة للطباع السخيفة «وَ غَفَلَ عَنْ سُمُوْمِهَا الْقَاتِلَةِ الْمُوْدَعَةِ فِي اَعْمَاقِهَا وَ

مَكَامَنِهَا» أي باطنها فإن الدنيا إذا لم تكن تابعة للشرع تكون ظاهرها مستحسنا و باطنها موجبة للهلاك البته «وَ» غفل «عَنْ مَصَائِدِهَا» جمع مَصيد والمراد شبكاتها و حبائلُها و حِيَلُها «اَلْمَنْصُوْبَةِ لِاَخْذِهٖ» أي العبد الغافل المغرور «وَ حَبْسِهٖ وَ هَلَاكِهٖ» كما أن الصيد يغفل عن حَبَالة الصائد و يغتر بما وضع الصائد من مشتهيات الصيد فيقع فيها محبوسة مفضى إلى الهلاك كذلك المغترين بالدنيا فإنهم يقعون في حبالتها محبوسين هالكين «فَلْيُهَنَّأْ بِالرَّدٰى» أي ليجعل العبد الغافل المنهمك في الدنيا الناسي للآخرة لنفسه الردٰى مهَنَّأ مباركا «وَ لْيَسْتَبْشِرْ بِالْعَطَبِ» أي الهلاك من عَطِبَ كفرِح لا من عطب كنَصَرَ فإنه بمعنى اللين صرح به في القاموس. «وَالْفَقْرِ الْعَاجِلِ مَعَ الذُّلِّ وَ الْهَوَانِ فِي الدُّنْيَا وَالْعَذَابِ الْاٰجِلِ» المتأخر في الآخرة «فِي النَّارِ وَ لَظٰى» أي لهبها هذا حال المنعم عليه في الحالين شكر النعمة وكفرانها.

وَ اَمَّا الْمُبْتَلٰى فَتَارَةً يُبْتَلٰى عُقُوْبَةً وَ مُقَابَلَةً بِجَرِيْمَةٍ اِرْتَكَبَهَا وَ مَعْصِيَةٍ اِقْتَرَفَهَا، وَاُخْرٰى يُبْتَلٰى تَكْفِيرًا وَ تَمْحِيْصًا، وَ اُخْرٰى يُبْتَلٰى لِاِرْتِفَاعِ الدَّرَجَاتِ وَ تَبْلِيْغِ الْمَنَازِلِ الْعَالِيَاتِ لِيَلْحِقَ بِهٖ بِاُولِى الْعِلْمِ مِنْ اَهْلِ الْحَالَاتِ وَالْمَقَامَاتِ، وَ هُمْ مِمَّنْ سَبَقَتْ لَهُمْ عِنَايَاتُ رَبِّ الْخَلِيْقَةِ وَالْبَرِيَاتِ، وَمِمَّنْ سَيَّرَهُمْ فِي مَيَادِيْنِ الْبَلِيَّاتِ عَلٰى مَطَايَا الرُّفْقِ وَالْاَلْطَافِ، وَ رَوَّحَهُمْ بِنَسِيْمِ النَّظَرَاتِ وَاللَّحْظَاتِ فِي الْحَرَكَاتِ وَ السَّكَنَاتِ، اِذْ لَمْ يَكُنْ اِبْتِلَائُهُمْ لِلْهَلَاكِ وَ الْاِهْوَاءِ فِي الدَّرَكَاتِ، وَ لٰكِنَّ اللهَ اِخْتَبَرَهُمْ بِهَا لِلْاِصْطِفَاءِ وَالْاِجْتِبَاءِ وَ اِسْتَخْرَجَ بِهَا حَقِيْقَةَ الْاِيْمَانِ وَ صَفَّاهَا وَ مَيَّزَهَا مِنَ الشِّرْكِ وَالدَّعَاوِي وَالنِّفَاقِ، وَ حَمَّلَهُمْ بِهَا اَنْوَاعَ الْعُلُوْمِ وَ الْاَسْرَارِ وَالْاَنْوَارِ فَلَمَّا خَلَصُوْا فِي الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ وَ تَطَهَّرَتْ سَرَائِرُهُمْ جَعَلَهُمْ مِنَ الْخُلَّصِ الْخَوَاصِّ مِنْ اَصْحَابِ السُّدَّةِ وَ جُلَسَاءِ الرَّحْمٰنِ دُنْيَا وَ اُخْرٰى فِي الدُّنْيَا بِقُلُوْبِهِمْ وَ فِي الْاٰخِرَةِ بِاَجْسَامِهِمْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ:

اَلْفُقَرَءُ الصَّبْرُ جُلَسَاءُ اللهِ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ.(١)

«وَ اَمَّا الْمُبْتَلٰى فَ» له أيضًا حالات «تَارَةً يُبْتَلٰى عُقُوْبَةً وَ مُقَابَلَةً بِجَرِيْمَةٍ» أي ذنب «اِرْتَكَبَهَا وَ مَعْصِيَةٍ اِقْتَرَفَهَا» أي كسبها «وَ» تارة «اُخْرٰى يُبْتَلٰى تَكْفِيرًا» للذنوب «وَ تَمْحِيْصًا» أي محوًالها «وَ» تارة «اُخْرٰى يُبْتَلٰى لِاِرْتِفَاعِ الدَّرَجَاتِ» الرفيعة إلى كمالها «وَ تَبْلِيْغِ الْمَنَازِلِ الْعَالِيَاتِ» إلى غاياتها «لِيَلْحِقَ» العبد المبتلى «بِهِ» أي بسبب ذلك الابتلاء «بِاُولِى الْعِلْمِ مِنْ اَهْلِ الْحَالَاتِ» السنية «وَالْمَقَامَاتِ» العلية «وَ هُمْ مِمَّنْ سَبَقَتْ لَهُمْ عِنَايَاتُ رَبِّ الْخَلِيْقَةِ وَالْبَرِيَاتِ» كلاهما بمعنى الخلق «وَ مِمَّنْ سَيَّرَهُمْ» أي جعلهم سائرين في «مَيَادِيْنِ الْبَلِيَّاتِ عَلٰى مَطَايَا» جمع مطية بمعنى المركب «الرُّفْقِ وَالْاَلْطَافِ، وَ رَوَّحَهُمْ بِنَسِيْمِ النَّظَرَاتِ وَاللَّحْظَاتِ فِي الْحَرَكَاتِ وَ السَّكَنَاتِ» أي حفظ الرب بعنايته في جميع الحالات «اِذْ لَمْ يَكُنْ اِبْتِلَائُهُمْ» بالبلايا من جانب الله تعالىٰ «لِلْهَلَاكِ» بها «وَ الْاِهْوَاءِ» أي الإسقاط «فِي الدَّرَكَاتِ» و هي المنازل النازلة الخسيسة، والدرجات هي المنازل الرفيعة النفسية «وَ لٰكِنَّ اللهَ» تعالىٰ لكمال لطفه بهم و رحمته عليهم «اِخْتَبَرَهُمْ» أي امتحنهم «بِهَا» أي بالبلايا «لِلْاِصْطِفَاءِ وَالْاِجْتِبَاءِ، وَ اِسْتَخْرَجَ بِهَا حَقِيْقَةَ الْاِيْمَانِ» الكامل «وَ صَفَّاهَا» تصفية كاملة «وَ مَيَّزَهَا» تميزا بليغا «مِنَ» حقيقة «الشِّرْكِ وَالدَّعَاوِي وَالنِّفَاقِ، وَ حَمَّلَهُمْ بِهَا اَنْوَاعَ الْعُلُوْمِ وَ الْاَسْرَارِ وَالْاَنْوَارِ» تحميلا جميلا «فَلَمَّا خَلَصُوْا فِي الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ» عما لا يلبق بحال المقربين العارفين الكاملين «وَ تَطَهَّرَتْ سَرَائِرُهُمْ» جمع سريرة بمعنى الباطن من أدناس البشرية و أرجاس الطبيعية «جَعَلَهُمْ» الله تعالىٰ «مِنَ الْخُلَّصِ الْخَوَاصِّ» أي بعضا من الخاص الخواص لعل هذا التركيب توصيفي بحذف كلمة من أي الخلص الكائنة من الخواص «مِنْ اَصْحَابِ السُّدَّةِ» بدل من الخلص والسدة العَتَبَة، والمراد أهل القرب والحضور، فإن من لازم السدة كان حاضرا مقربا و يفسره قوله «وَ جُلَسَاءِ الرَّحْمٰنِ» أي المقربين فإن الله تعالىٰ منزه عن الجليس، فإن الذاكر والمشاهد كأنه

(١) انظر الرسالة القشيرية ١ / ١٤٧. هذا حديث مرفوع عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

جليس معه «دُنْيَا وَ أُخْرٰى» فإن العارفين الكاملين يشاهدون ربهم في الدنيا والآخرة أما «فِي الدُّنْيَا» فيشاهدون «بِقُلُوْبِهِمْ وَ» أما «فِي الْاٰخِرَةِ» فيشاهدون بحاسة «اَجْسَامِهِمْ» يدل على كلتا المقدمتين الأحاديث الصحاح. ثم أورد على كونهم جلساء الرحمن في الآخرة شاهدا من الحديث فقال «قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ:»

«اَلْفُقَرَءُ الصَّبْرُ» مبالغة الصابر أي كثير الصبر «جُلَسَاءُ اللهِ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ».

وَ كَانَ الْبَلَاءُ مُطَهِّرَةً لِقُلُوْبِهِمْ مِنْ دَرَنِ الشِّرْكِ وَالتَّعَلُّقِ وَ بِالْخَلْقِ بِالْاَسْبَابِ وَالْاَمَانِيْ وَ ذَوَابَةً وَ سَبَاكَةً مِنَ الدَّعَاوِيْ وَالْهَوَسَاتِ وَ طَلَبِ الْاَعْوَاضِ بِالطَّاعَاتِ مِنَ الدَّرَجَاتِ وَالْمَنَازِلِ الْعَالِيَاتِ فِي الْاٰخِرَةِ فِي الْفِرْدَوْسِ وَالْجِنَانِ.

فَعَلَامَةُ الْاِبْتِلَاءِ عَلٰى وَجْهِ الْمُقَابَلَةِ وَالْعَقُوْبَاتِ عَدَمُ الصَّبْرِ عِنْدَ وُجُوْدِهَا وَالْجَزْعُ وَالشِّكْوٰى إِلَى الْخَلِيْقَةِ وَالْبَرِيَّاتِ.

وَ عَلَامَةُ الْاِبْتِلَاءِ تَمْحِيْصًا وَتَكْفِيْرًا وَ لِلْخَطِيَّاتِ وُجُوْدُ الصَّبْرِ الْجَمِيْلِ مَعَ عَدَمِ الشِّكْوٰى وَ اِظْهَارِ الْجَزَعِ إِلَى الْاَصْدِقَاءِ وَالْجِيْرَانِ وَ التَّضَجُّرِ بِاَدَاءِ الْاَوَامِرِ وَالطَّاعَاتِ.

وَ عَلَامَةُ الْاِبْتِلَاءِ لِارْتِفَاعِ الدَّرَجَاتِ وُجُوْدُ الرِّضٰى وَالْمُوَافَقَةِ وَ طَمَانِيْنَةِ النَّفْسِ وَالسُّكُوْنِ لِفِعْلِ الْاِلٰهِ اِلٰهِ الْاَرْضِ وَالسَّمٰوَاتِ، وِ الْفَنَاء فِيهَا اِلٰى حِيْنِ الْاِنْكِشَافِ بِمُرُوْرِ الْاَيَّامِ وَالسَّاعَاتِ.

والمراد من الجلوس القرب والحضور والمشاهدة و إلا فالرب تَعَالٰى عن صفات الأجسام «وَ كَانَ الْبَلَاءُ مُطَهِّرَةً لِقُلُوْبِهِمْ مِنْ دَرَنِ الشِّرْكِ» الجلي والخفي «وَالتَّعَلُّقِ بِالْخَلْقِ» غفلةً عن الحق «وَ»التعلق «بِالْاَسْبَابِ» غفلةً عن رب الأرباب الَّذِيْ هو مسبب الأسباب «وَالْاَمَانِيْ» أي الأمال والإرادات «وَ ذَوَابَةً» أي ذوبانا «وَ سَبَاكَةً» بمعناه والمراد منهما الخلاص «مِنَ الدَّعَاوِيْ وَالْهَوَسَاتِ وَ

طَلَبِ الْاَعْوَاضِ بِالطَّاعَاتِ مِنَ الدَّرَجَاتِ وَالْمَنَازِلِ الْعَالِيَاتِ فِي الْاٰخِرَةِ فِي الْفِرْدَوْسِ وَالْجِنَانِ» فإن طالب المولى لا يلتفت إلى الدنيا والعقبى.

و إذا علمت أن الابتلاء على وجوه مختلفة و أنحاء شَتّٰى فاعلم أن لكل قسم علامة «فعَلَامَةُ الْاِبْتِلَاءِ عَلٰى وَجْهِ الْمُقَابَلَةِ وَالْعَقُوْبَاتِ» والانتقام من الحق تعالٰى غضباعلى عبده «عَدَمُ الصَّبْرِ عِنْدَ وُجُوْدِهَا وَالْجَزْعُ وَالشِّكْوٰى» من الخالق «إلى الْخَلِيْقَةِ وَالْبَرِيَّاتِ» فحاله في الدنيا خراب و في العقبى خراب إلا أن يتغمده الله تعالٰى بغفرانه و أدخله في جنانه. «وَ عَلَامَةُ الْاِبْتِلَاءِ تَمْحِيْصًا» أي محوا «وَ تَكْفِيرًا» أي إزالةً «لِلْخَطِيَّاتِ وُجُوْدُ الصَّبْرِ الْجَمِيْلِ» و هو الصبر «مَعَ عَدَمِ الشِّكْوٰى وَ» من غير «اِظْهَارِ الْجَزَعِ إلى الْاَصْدِقَاءِ وَالْجِيْرَانِ وَ» من غير «التَّضَجُّرِ» والتحزن «بِاَدَاءِ الْاَوَامِرِ وَالطَّاعَاتِ» إما متعلق بتضجر و إما بمحذوف أي حال كونه مشتغلا بأداء الأوامر والطاعات.

«وَ عَلَامَةُ الْاِبْتِلَاءِ لِاِرْتِفَاعِ الدَّرَجَاتِ وُجُوْدُ الرِّضٰى» بتلك البليات «وَالْمُوَافَقَةِ» مع الرب تعالٰى في قضائه و قدره و إرادته و مشيته «وَ طَمَانِيْنَةِ النَّفْسِ» و قرارها «وَالسُّكُوْنِ» منها «لِفِعْلِ الْاِلٰهِ اِلٰهِ الْاَرْضِ» بدل من الإله «وَالسَّمٰوَاتِ، وِ الْفَنَاء فيهَا» أي في البلية اللاحقة بذلك المؤمن «اِلٰى حِيْنِ الْاِنْكِشَافِ بِمُرُوْرِالْاَيَّامِ وَالسَّاعَاتِ».

اَلْمَقَالَةُ السَّادِسَةُ وَالْاَرْبَعُوْنَ

فِي بيَانِ فَضِيْلَةِ الذِّكْرِ

قَالَ رَضِيَ الله تَعَالٰى عَنْهُ فِي قَوْلِ رَسُوْلِ الله صلى الله عليه وسلم عَنْ رَبِّهٖ عَزَّ وَ جَلَّ:

مَنْ شَغَلَهٗ ذِكْرِيْ عَنْ مَسْئَلَتِيْ اَعْطَيْتُهٗ اَفْضَلَ مَا اَعْطَيْتُ السَّائِلِيْنَ.(١)

وَ ذٰلِكَ اَنَّ الْمُؤْمِنَ اِذَا اَرَادَ الله تَعَالٰى اِصْطَفَاءَهٗ وَ اِجْتِبَاءَهٗ سَلَكَ بِهٖ فِي الْاَحْوَالِ وَامْتَحَنَهٗ بِاَنْوَاعِ الْمِحَنِ وَالْبَلَايَا وَالْمَصَائِبِ فيفْقِرُهٗ بَعْدَ الْغِنَاءِ فيضْطَرُّهٗ اِلٰى مَسْئَلَةِ الْخَلْقِ فِي الرِّزْقِ عِنْدَ سَدِّ جِهَاتِهٖ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَصُوْنُهٗ عَنْ مَسَاَلَتِهِمْ فيضْطَرُّهٗ اِلٰى الْقَرْضِ مِنْهُمْ، ثُمَّ يَصُوْنُهٗ فيضْطَرُّهٗ اِلٰى الْكَسْبِ وَ يُسَهِّلُهٗ وَ يُيَسِّرُهٗ فيأْكُلُ بِالْكَسْبِ الَّذِيْ هُوَالسُّنَّةُ، ثُمَّ يُعَسِّرُهٗ عَلَيْهِ فيلْهِمُهُ السُّؤَالَ لِلْخَلْقِ وَ يَأْمُرُهٗ بِاَمْرٍ بَاطِنٍ يُعَلِّمُهُ وَ يُعَرِّفُهٗ وَ يَجْعَلُ عِبَادَتَهٗ فيهِ وَ مَعْصِيَتَهٗ فِي تَرْكِهٖ لِيَزُوْلَ بِذٰلِكَ هَوَاهُ وَ تُنْكِرَ نَفْسُهٗ وَ هي حَالَةُ الرِّيَاضَةِ فيكُوْنُ السُّؤَالُ عَلٰى وَجْهِ الْاِجْبَارِ لَا عَلٰى وَجْهِ الشِّرْكِ بِالْجَبَّارِ، ثُمَّ يَصُوْنَهٗ عَنْ ذٰلِكَ وَ يَاْمُرُهٗ بِالْقَرْضِ مِنْهُمْ اَمْرًا جَزْمًا لَا يُمْكِنُ تَرْكُهٗ كَالسُّؤَالِ مِنْ قَبْلُ وَ ثُمَّ يَنْقُلُهٗ مِنْ ذٰلِكَ وَ يَقْطَعُهٗ عَنِ الْخَلْقِ وَ مُعَامَلَتِهِمْ فيجْعَلُ رِزْقَهٗ فِي السُّؤَالِ لَهٗ عَزَّ وَ جَلَّ فَيَسْاَلُهٗ تَعَالٰى جَمِيْعَ مَا يَحْتَاجُ اِلَيْهِ فيعْطِيْهِ عَزَّ وَ جَلَّ حَوَائِجَهٗ وَ لَا يُعْطِيْهِ اِنْ سَكَتَ وَ اَعْرَضَ عَنِ السُّؤَالِ.

(١) أخرجه الترمذي ولفظه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يقول الرب عزوجل: من شغله القرآن عن ذكري ومسئلتي أعطتيته أفضل ما أعطي السائلين. أبواب فضائل القرآن، باب منه، برقم:٢٩٢٦.

«قَالَ رَضِيَ اللهُ تَعَالٰى عَنْهُ فِي» بيان «قَوْلِ رَسُوْلِ اللهِ صلى الله عليه وسلم» حكاية «عَنْ رَبِّهٖ عَزَّ وَ جَلَّ:»

«مَنْ شَغَلَهٗ ذِكْرِيْ عَنْ مَسْئَلَتِيْ اَعْطَيْتُهٗ اَفْضَلَ مَا اَعْطَيْتُ السَّائِلِيْنَ».

روى الترمذي والدارمي والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي سعيد الخدرى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

يقول الرب تبارك و تعالٰى من شغله القرآن عن ذكري و مسئلتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين و فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه.[1] ثم علّل غوث الأعظم أفضلية إعطاء الذاكر الَّذِيْ شغله ذكر ربه عن مسئلته عما أعطى السائلين بقوله: «وَ ذٰلِكَ اَنَّ الْمُؤْمِنَ» المراد به بعض المؤمن «اِذَا اَرَادَ اللهُ تَعَالٰى اِصْطَفَاءَهٗ وَ اِجْتِبَاءَهٗ» كلاهما بمعنى الاختيار أي اختِيارَه على سائر الناس «سَلَكَ بِهٖ فِي الْاَحْوَالِ» أي حَوَّله في الأحوال بنقله من حال إلى حال «وَامْتَحَنَهٗ بِاَنْوَاعِ الْمِحَنِ وَالْبَلَايَا وَالْمَصَائِبِ فيفْقِرُهٗ» أي يجلعه فقيرا «بَعْدَ الْغِنَاءِ» الَّذِيْ أعطاه و سلبه «فيضْطَرُّهٗ اِلٰى مَسْئَلَةِ الْخَلْقِ» فلا يقدر على الصبر بل يسأل الخلق «فِي» أمر «الرِّزْقِ عِنْدَ سَدِّ جِهَاتِهٖ عَلَيْهِ» و يبقيه في هذه الحالة ماشاء «ثُمَّ يَصُوْنُهٗ» بإعطاء قوّة العار لا التوكل على الرب تعالٰى «عَنْ مَسْاَلَتِهِمْ فيضْطَرُّهٗ إلى الْقَرْضِ مِنْهُمْ ثُمَّ يَصُوْنُهٗ» بإعطاء العار عن القرض «فيضْطَرُّهٗ إلى الْكَسْبِ» و يعطيه قوة الكسب «وَ يُسَهِّلُهٗ» عليه «وَ يُيَسِّرُهٗ فيأْكُلُ» ذلك المؤمن «بِالْكَسْبِ الَّذِيْ هُوَالسُّنَّةُ» النبوية فيحصل له صفاء الباطن باتباع السنة «ثُمَّ يُعَسِّرُهٗ عَلَيْهِ» أي يعسرالله تعالٰى الكسب على ذلك المؤمن الَّذِيْ حصل له صفاء الباطن إما بسلب قوة الكسب أو بمنع الخلق عن استيجاره و استكسابه «فيلْهِمُهُ السُّؤالَ» أي يوقع في قلبه أمرالسؤال «لِلْخَلْقِ» أي منهم «وَ يَاْمُرُهٗ» الله تعالٰى «بِهٖ» أي بالسؤال «بِاَمْرٍ بَاطِنٍ يُعَلِّمُهُ» الله تعالٰى «وَ يُعَرِّفُهٗ» تعليما و تعريفا يَعْلَم و يَعرِف به ذلك العبد أنه أمرإلٰهي حتمي لا شك فيه و لا تلبيس بطريق معهود للعارفين إما بخلق

(1) تقدم تخريجه.

العلم الضروري أو طريق آخر «وَ يَجْعَلُ» الله تعالىٰ «عِبَادَتَهٗ» أي عبادة ذلك المؤمن العارف «فيهِ» أي في السؤال عن الخلق من حيث الامتثال للأمر الإلٰهي «وَ مَعْصِيَتَهٗ فِي تَرْكِهٖ» إذ في تركه ترك الأمرالإلٰهي، و إنما أمر الله تعالىٰ ذلك العبد بالسؤال «لِيَزُوْلَ بِذٰلِكَ» السؤال «هَوَاهُ» المانعة له عن الارتقاء إلى ذروة الكمال «وَ تُنْكِرَ نَفْسُهٗ» الأمارة بالسوء المائلة إلى اللذات البهيمية والشهوات الحيوانية «وَهي» أي حالة السؤال بأمر الله تعالىٰ «حَالَةُ الرِّيَاضَةِ» والمشقة بترك الهوى والهوس والنخوة والتفاخر و تحمل العار والذل من الإخوان والأقران «فيكُوْنُ السُّؤالُ» الامتثالي «عَلٰى وَجْهِ الْاِجْبَارِ» بأمر القدير القهار «لَا عَلٰى وَجْهِ الشِّرْكِ» بالجليل «الْجَبَّارِ» بأن يعلم أن الخلق معطي له كما يعطي الله تعالىٰ إذ ليس اختيار السؤال من نفسه بل للامتثال الأمرالإلٰهي الَّذِيْ فيه مخالفة النفس «ثُمَّ» أي بعد زوال هواه و انكسار نفسه «يَصُوْنَهُ» الله تعالىٰ و يحفظه «عَنْ ذٰلِكَ» السؤال بالنهي الباطني «وَ يَاْمُرُهُ» الله تعالىٰ في الباطن «بِالْقَرْضِ مِنْهُمْ اَمْرًا جَزْمًا لَا يُمْكِنُ تَرْكُهٗ» لذلك العبد «كَ» أمر «السُّؤالِ مِنْ قَبْلُ» أي قبل النهي عنه كان أمرا جزما لا يمكن تركه له، وَ يبقيه فيه ما شاء «ثُمَّ يَنْقُلُهٗ مِنْ ذٰلِكَ» الأمر القرضي «وَ يَقْطَعُهٗ عَنِ الْخَلْقِ وَ مُعَامَلَتِهِمْ» و يرفع توجهه إلى الخلق «فيجْعَلُ رِزْقهٗ فِي السُّؤالِ لَهٗ» أي عن الله «عَزَّ وَ جَلَّ فَيَسْأَلُهُ تَعَالٰى جَمِيْعَ مَا يَحْتَاجُ اِلَيْهِ فيعْطِيْهِ عَزَّ وَ جَلَّ حَوَائِجَهٗ» بالسؤال، و جعل عطاء حوائجه مشروطا بالسؤال منه تعالىٰ «وَ لَا يُعْطِيْهِ» الله تعالىٰ «اِنْ سَكَتَ وَ اَعْرَضَ عَنِ السُّؤالِ» و يبقيه في هذه الحالة ما شاء الله تعالىٰ.

ثُمَّ يُنْقِلُهٗ مِنَ السُّؤالِ بِاللِّسَانِ إلى السُّؤالِ بِالْقَلْبِ فيسْاَلُهٗ بِقَلْبِهٖ جَمِيْعَ مَا يَحْتَاجُ اِلَيْهِ فيعْطِيْهِ حَتّٰى لَوْ سَاَلَهٗ بِلِسَانِهٖ لَمْ يُعْطِهٖ اَوْ سَاَلَ الْخَلْقَ لَمْ يُعْطِهٖ ثُمَّ يُغْيِبُهٗ عَنْهُ وَ عَنِ السُّؤالِ جُمْلَةً ظَاهِرًا وَ بَاطِنًا فينَادِمُهٗ بِجَمِيْعِ مَا يُصْلِحُهٗ وَ يَقُوْمُ بِهٖ اَوَدُهٗ مِنَ الْمَاْكُوْلِ وَالْمَشْرُوْبِ وَ جَمِيْعِ مَصَالِحِ الْبَشَرِ مِنْ غَيْرِ اَنْ يَكُوْنَ هُوَ فيهَا اَوْ يَخْطُرُ بِبَالِهٖ، فيتَوَلَّاهُ عَزَّ وَ جَلَّ وَ

هُوَ قَوْلُهٗ تَعَالٰى:

﴿اِنَّ وَلِيِّيَ اللّٰهُ الَّذِيْ نَزَّلَ الْكِتَابَ ۚ وَ هُوَ يَتَوَلَّى الصّٰلِحِيْنَ﴾

[الاعراف،رقم السورة:۷. رقم الآية:۱۹٦]

فيتَحقَّقُ حِيْنَئِذٍ قَوْلُهٗ:

"مَنْ شَغَلَهٗ ذِكْرِيْ عَنْ مَسْالَتِي اَعْطَيْتُهٗ اَفْضَلَ مَا اُعْطِى السَّائِلِيْنَ". (۱)

وَ هي حَالَةُ الْفَنَاءِ التي هي غَايَةُ اَحْوَالِ الْاَوْلِيَاءِ وَالْاَبْدَالِ.

ثُمَّ قَدْ يَرِدُ اِلَيْهِ التَّكْوِيْنُ فيكَوِّنُ جَمِيْعُ مَا يُحْتَاجُ اِلَيْهِ بِاِذْنِ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ هُوَ قَوْلُهٗ عَزَّ وَ جَلَّ فِي بَعْضِ كُتُبِهٖ:

"يَا ابْنَ اٰدَمَ اَنَا اللهُ الَّذِيْ لَا اِلٰهَ اِلَّا اَنَا اَقُوْلُ لِلشَّيْءِ كُنْ فيكُوْنُ اَطِعْنِيْ اَجْعَلْ لَكَ تَقُوْلُ لِلشَّيْءِ كُنْ فيكُوْنُ".

«ثُمَّ يُنْقِلُهٗ مِنَ السُّؤالِ بِاللِّسَانِ إلى السُّؤالِ بِالْقَلْبِ فيسْاَلُهٗ» تعالٰى «بِقَلْبِهٖ جَمِيْعَ مَا يَحْتَاجُ اِلَيْهِ فيعْطِيْهِ» تعالٰى بسؤال القلب بل جعل العطاء مشروطا بالسؤال القلبي منه تعالٰى «حَتّٰى لَوْ سَاَلَهٗ» تعالٰى «بِلِسَانِهٖ لَمْ يُعْطِهٖ اَوْ سَاَلَ الْخَلَقَ لَمْ يُعْطِهٖ»، و يبقيه الله تعالٰى في هذه الحالة ما شاء «ثُمَّ يُغِيْبُهٗ عَنْهُ» أي عن نفسه «وَ عَنِ السُّؤَالِ» بكثرة الاشتغال بذكره تعالٰى «جُمْلَةً» أي بالكلية «ظَاهِرًا وَ بَاطِنًا» فلا يرى وجود نفسه و لا الخلق و أفعالهم «فينَادِمُهٗ» أي يجعله تعالٰى نديما بإعطاء الحضور والفناء فيه و في أفعاله عن غيره بالكلية و يعامل معه معاملة النديم «بِ» إعطاء «جَمِيْعِ مَا يُصْلِحُهٗ وَ يَقُوْمُ بِهٖ اَوَدُهٗ» أي بنيته «مِنَ الْمَاْكُوْلِ وَالْمَشْرُوْبِ وَ جَمِيْعِ مَصَالِحِ الْبَشَرِ» من الزوجة والخادم والبيت و متاع البيت «مِنْ غَيْرِ اَنْ يَكُوْنَ هُوَ» أي ذلك المؤمن المصطفٰى «فيهَا» أي في جميع ما يصلحه بالطلب منه «اَوْ يَخْطُرُ بِبَالِهٖ» ذلك الطلب «فيتَوَلَّاهُ عَزَّ وَ جَلَّ» تولية الولي لمن يتولاهٗ «وَهُوَ» أي هذا التولي هو الذي يشير إليه «قَوْلُهٗ تَعَالٰى:»

---

(1) مرّ تخريجه.

﴿اِنَّ وَلِيِّيَ الله الَّذِيْ نَزَّلَ الْكِتَابَ ز وَ هُوَ يَتَوَلَّى الصّٰلِحِيْنَ﴾.[الأعراف،١٩٦]

«فيتَحَقَّقُ حِيْنَئِذٍ» أي حين يتولى الحق للعبد المؤمن و لا يكون وجوده في البين في طلب شيء و سؤاله بالفناء في الذكر بكثرة الاشتغال به «قَوْلُهٗ» صلى الله عليه و سلم حكاية عن الله تعالىٰ «مَنْ شَغَلَهٗ ذِكْرِيْ عَنْ مَسْالتي اَعْطَيْتُهٗ اَفْضَلَ مَا أُعْطِى السَّائِلِيْنَ».

«وَ هي» أي هذه الحالة التي لا يوجد المؤمن فيها «حَالَةُ الْفَنَاءِ» في الله تعالىٰ «التي هي غَايَةُ اَحْوَالِ الْاَوْلِيَاءِ وَالْاَبْدَالِ».

«ثُمَّ» بعد حصول الغناء يبلغ إلى مرتبة «قَدْ يَرِدُ اِلَيْهِ» أي يعطي الله سبحانه و تعالىٰ ذلك المؤمنَ العارف الفاني في الله والباقي به «التَّكْوِيْنُ» أي إيجاد الأشياء بأمر الله عَزَّ وَ جَلَّ «فيكَوِّنُ» أي يوجِد و يُدْخِل في الوجود «جَمِيْع مَا يُحْتَاجُ اِلَيْهِ» المؤمن العارف «بِاِذْنِ الله عَزَّ وَ جَلَّ وَ هُوَ» أي رد التكوين إليه هو «قَوْلُهٗ عَزَّ وَ جَلَّ في بَعْضِ كُتُبِهٖ» المنزلة:

«يَا ابْنَ اٰدَمَ اَنَا الله الَّذِيْ لَا اِلٰهَ إِلَّا اَنَا اَقُوْلُ لِلشَّيْءِ كُنْ فيكُوْنُ اَطِعْنِيْ» أنت حق الطاعة «اَجْعَلْ لَكَ» بحيث تبلغ مرتبة «تَقُوْلُ لِلشَّيْءِ كُنْ فيكُوْنُ» و قد سبق مثله.

اَلْمَقَالَةُ السَّابِعَةُ وَالْاَرْبَعُوْنَ

في سُؤالِ شَيْخٍ عَنْهُ قُدِّسَ سِرُّهُ في الْمَنَامِ عَنْ سَبَبِ التَّقَرُّبِ إلى الله تَعَالٰى بِأَيِّ شيء هُوَ وَ جَوَابُهُ قُدِّسَ سِرُّهُ عَنْهُ في الْمَنَامِ

قَالَ رَضِيَ الله تَعَالٰى: سَاَلَنِيْ رَجُلٌ شَيْخٌ في الْمَنَامِ فَقَالَ: أي شيء يُقَرِّبُ الْعَبْدَ إلى الله عَزَّ وَ جَلَّ؟ فَقُلْتُ: لِذٰلِكَ اِبْتِدَاءٌ وَ اِنْتِهَاءٌ فَابْتِدَاءُهُ الْوَرَعُ وَ اِنْتِهَاءُهُ الرِّضَاءوَ التَّسْلِيْمُ وَالتَّوَكُّلُ.

«قَالَ رَضِيَ الله تَعَالٰى سَاَلَنِيْ رَجُلٌ شَيْخٌ» أي كبير السن «في الْمَنَامِ فَقَالَ: أي شيء يُقَرِّبُ الْعَبْدَ إلى الله عَزَّ وَ جَلَّ؟ فَقُلْتُ» في جوابه: «لِذٰلِكَ» التقرب «اِبْتِدَاءٌ وَ اِنْتِهَاءٌ فَابْتِدَاءُهُ الْوَرَعُ» و هو في الأصل الكف عن المحارم، ثم استعير للكف عن المباح والحلال و هو ملاك الدين كما ورد في الحديث «وَاِنْتِهَاءُهُ الرِّضَا وَ التَّسْلِيْمُ» لقضاء الله تعالٰى و قدره في جميع أفعاله و أقواله و أحواله «وَالتَّوَكُّلُ» في جميع الأمور على الله عَزَّ وَ جَلَّ.

اَلْمَقَالَةُ الثَّامِنَةُ وَالْاَرْبَعُوْنَ

فِي بَيَانِ كَيْفِيَةِ السُّلُوْكِ بِالْاِشْتِغَالِ بِالْفَرَائِضِ اَوَّلًا ثُمَّ بِالسُّنَنِ ثُمَّ بِالنَّوَافِلِ ثُمَّ بِفَضَائِلِ الْاَعْمَالِ

قَالَ رَضِيَ الله تَعَالٰى عَنْهُ يَنْبَغِيْ لِلْمُؤْمِنِ اَنْ يَّشْتَغِلَ اَوَّلًا بِالْفَرَائِضِ، فَاِذَا فَرَغَ مِنْهَا اِشْتَغَلَ بِالسُّنَنِ ثُمَّ يَشْتَغِلُ بِالنَّوَافِلِ وَالْفَضَائِلِ. فَمَا لَمْ يَفْرُغْ مِنَ الْفَرَائِضِ فَالْاِشْتِغَالُ بِالسُّنَنِ حُمْقٌ وَ رَعُوْنَةٌ فَاِنِ اشْتَغَلَ بِالسُّنَنِ وَالنَّوَافِلِ قَبْلَ الْفَرْضِ لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ وَ اُهِينَ.

«قَالَ رَضِيَ الله تَعَالٰى عَنْهُ: يَنْبَغِيْ لِلْمُؤْمِنِ اَنْ يَّشْتَغِلَ اَوَّلًا بِالْفَرَائِضِ، فَاِذَا فَرَغَ مِنْهَا اِشْتَغَلَ» أي يشتغل فإن الشرط والجزاء إن وقع ماضيا فهو بمعنى الاستقبال إذ هو من لوازمه «بِالسُّنَنِ» سواء كانت مؤكدة أو زائدة فإن تكميل الفرائض مثمرة للفناء في الله والبقاء به، و تكميل السنن يوجب زيادة ارتباط برسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ عَلٰى اٰلِهٖ وَ سَلَّمَ و جميع الأسرار إنما تفاض بوسيلته عليه الصلٰوة والسلام فالارتباط به ارتباط بالحق تعالٰى، و هي سبب لمحبة الله تعالٰى، للمرتبطين كما دل عليه قوله تعالٰى:

﴿قُلْ اِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّوْنَ الله فَاتَّبِعُوْنِيْ يُحْبِبْكُمُ الله وَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوْبَكُمْ﴾ [اٰل عمران، رقم السورة:٣، رقم الآية:٣١]

«ثُمَّ» بعد كمالها «يَشْتَغِلُ بِالنَّوَافِلِ وَالْفَضَائِلِ» والتكميل فيها يوجب فناء قوى السالك عنه كما دل عليه حديث القرب بالنوافل وقد سبق[1] ذكره في المقالة السادسة «فَمَا لَمْ يَفْرُغْ» المؤمن «مِنَ الْفَرَائِضِ» و تكميلها «فَالْاِشْتِغَالُ بِالسُّنَنِ حُمْقٌ وَ رَعُوْنَةٌ» كلاهما بمعنى واحد ففي القاموس رعُن ككرم و يثلث رعونة و رَعَنًا

(١) في الأصل: حديث قرب النوافل قد سبق إلخ ولعل الصواب ما أثبتنا، المشاهدي

محركة الحمق «فَإِنِ اشْتَغَلَ بِالسُّنَنِ وَالنَّوَافِلِ قَبْلَ الْفَرْضِ لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ وَ أُهِينَ» من جانب الله تعالىٰ فالسنن إنما سُنَّ لتكميل الفرض غاية الأمر أن بعض السنن من المبادي و بعضها من المتمِّمات فما كان من المبادي فحقها أن يؤدي قبل الفرائض كركعتي الفجر و أربع الظهر والعصر والعشاء، و ما كان من المتممات فإنما يؤدي بعد الفرائض كستة الظهر و ثماني المغرب، و ما كان مسنونا في خِلال الفرائض فيؤدي فيها كتثليث غسل الأعضاء في الوضوء وكمسح تمام الرأس والرقبة وتخليل الأصابع، فالمراد من قوله قدس سره العزيز: "فما لم يفرغ من الفرائض فالاشتغال بالسنن حمق" عدم الفراغ بالقصد الأوَّليّ لا الشروع في النفل، وكذا المراد من قوله: "فإن اشتغل بالسنن والنوافل قبل الفرض لم يقبل منه و أهين" الاشتغال بها بالقصد الأوَّليّ من غير ملاحظة الفرائض، فإن السنن والنوافل كلها سواء كانت من المبادي أوالمتحللات أوالمتممات إنما هي لتكميل الفرائض فإن الاستنجاء و غسل اليد والسواك قبل الوضوء لتكميل الوضوء فلو لم يحمل كلامه على ما ذكرنا يشكل ما سن فيه قبل الفرائض على أن من الفرائض ما لم يَصحّ السننُ والنوافل و شيء من العبادة قبل الاشتغال به كالإيمان بالله تعالىٰ و ملائكته وكتبه و رسله واليوم الآخر والقدرخيره و شره من الله تعالىٰ و ترك الاعتراض على قضاء الله و قدره، فإن شيئا من الأعمال لا يصح بدون استحكام هذ ه الأمور فلا حاجة إلىٰ ذلك التكلف لكن ما ذكرنا من المعنى يُصَحِّحُ الحكمَ في الكل.

فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ يَدْعُوْهُ الْمَلِكُ إِلَى خِدْمَتِهِ فَلَا يَأْتِيْ إِلَيْهِ وَ يَقِفُ فِي خِدْمَةِ الْأَمِيْرِ الذي هُوَ غُلَامُ الْمَلِكِ وَ خَادِمُهُ وَ تَحْتَ يَدِهِ وَ وِلَايَتِهِ.

عَنْ عَلِيِّ ابْنِ أَبِيْ طَالِبٍ كَرَّمَ الله وَجْهَهُ أَنَّهُ قَالَ قَالَ رَسُوْلُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ:

"إِنَّ مَثَلَ مُصَلِّي النَّوَافِلِ قَبْلَ الْفَرَائِضِ كَمَثَلِ حُبْلَى حَمَلَتْ فَلَمَّا دَنَى نِفَاسُهَا أَسْقَطَتْ فَلَا هي ذَاتُ حَمْلٍ وَ لَا هي ذَاتُ وَلَدٍ، كَذٰلِكَ

الْمُصَلِّيْ لَا يَقْبَلُ الله لَهُ نَافِلَةً حَتّٰى يُؤَدِّيَ الْفَرِيْضَةَ وَ مَثَلُ الْمُصَلِّي كَمَثَلِ التَّاجِرِ لَا يَحْصِلُ لَهُ رِبْحُهُ حَتّٰى يَأْخُذَ رَاسَ الْمَالِ كَذَا الْمُصَلِّيْ بِالنَّوَافِلِ لَا يَقْبَلُ لَهُ نَافِلَةً حَتّٰى يُؤَدِّيَ الْفَرِيْضَةَ"[1] وَكَذٰلِكَ مَنْ تَرَكَ السُّنَّةَ وَاشْتَغَلَ بِالنَّوَافِلِ الَّتِي لَمْ تَرَتَّبْ مَعَ الْفَرَائِضِ وَ لَمْ يُنَصَّ عَلَيْهَا وَ لَمْ يُؤَكَّدْ.

«فَمَثَلُهُ» أي مثل المشتغل بالسنن والنوافل قبل الفرائض «كَمَثَلِ رَجُلٍ يَدْعُوْهُ الْمَلِكُ» العظيم الَّذِيْ تحت تصرفه الأمراء «اِلٰى خِدْمَتِهٖ فَلَا يَأْتِيْ» ذلك الرجل المدعو «اِلَيْهِ» أي إلى الملك «وَ يَقِفُ فِي خِدْمَةِ الْاَمِيْرِ الذي هُوَ غُلَامُ الْمَلِكِ وَ خَادِمُهُ وَ تَحْتَ يَدِهٖ وَ وِلَايَتِهٖ» فإن ذلك إنما يكون بحمقه.

«عَنْ عَلِيِّ ابْنِ اَبِيْ طَالِبٍ كَرَّمَ الله وَجْهَهُ اِنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ:»

«اِنَّ مَثَلَ مُصَلِّي النَّوَافِلِ قَبْلَ الْفَرَائِضِ» و في بعض النسخ:إن مثل المصلي نافلة و عليه فريضة «كَمَثَلِ حُبْلٰى حَمَلَتْ فَلَمَّا دَنٰى نِفَاسُهَا» أي ولادتها الموجبة للنفاس «فُاطْلِقَ الْمُسَبَّبُ وَ اُرِيْدَ السَّبَبُ أَسْقَطَتْ» حملها «فَلَا هي» أي تلك المرأة التي أسقطت حملها وقت ولادتها «ذَاتُ حَمْلٍ» أي راجية للولد «وَلَا هي ذَاتُ وَلَدٍ» لسقوط حملها و عدم ولادتها. «كَذٰلِكَ الْمُصَلِّيْ» للنوافل بدون أداء الفرائض «لَا يَقْبَلُ الله لَهُ نَافِلَةً حَتّٰى يُؤَدِّيَ الْفَرِيْضَةَ» فليس هو مصلي الفرائض لعدم أدائها و لا هو مصلي النوافل لعدم مقبوليتها و وجه الشبه بينهما حصول الكد والمشقة بغير فائدة.

ثم بين مثلا اٰخر فقال: «وَ مَثَلُ الْمُصَلِّي كَمَثَلِ التَّاجِرِ لَا يَحْصِلُ لَهُ رِبْحُهُ» من

---

(1) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى في كتاب الصلاة، باب ماروي في إتمام الفريضة من التطوع في الآخرة، برقم٤٠٠٤، ولفظه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:ياعلي مثل الذي لا يتم صلاته كمثل حبلى حملت فلما دنى نفا سها أسقطت فلا هي ذات ولد ولا هي ذات حمل، ومثل المصلي كمثل التاجر لايخلص له ربحه حتى يخلص له رأس ماله كذلك المصلي لاتقبل نافلته حتى يؤدي الفريضة.

التجارة «حَتّٰى يَأْخُذَ رَأسَ الْمَالِ كَذَا الْمُصَلِّيْ بِالنَّوَافِلِ لَا يَقْبَلُ لَهٗ نَافِلَةً حَتّٰى يُؤَدِّيَ الْفَرِيْضَةَ» فإن الفريضة رأس المال والنوافل ربحه والتجارة المضيعة رأسَ المال ليست بتجارة بل هي خسران «وَكَذٰلِكَ» أي كما كان حال التفاوت بين الفرائض والسنن كذلك حال التفاوت بين السنن والنوافل «فَمَنْ تَرَكَ السُّنَّةَ وَاشْتَغَلَ بِالنَّوَافِلِ التي لَمْ تَرَتَّبْ مَعَ الْفَرَائِضِ وَ لَمْ يُنَصَّ عَلَيْهَا» من جانب رسول الله صَلّى الله عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ «وَ لَمْ يُؤَكَّدْ» من جانبه عليه الصلوة والسلام لم تقبل منه.

فَمِنَ الْفَرَائِضِ تَرْكُ الْحَرَامِ وَ الشِّرْكِ بِالله عَزَّوَجَلَّ فِي خَلْقِهٖ وَ الْاِعْتِرَاضِ عَلَيْهِ فِي قَدْرِهٖ وَ قَضَائِهٖ وَ اِجَابَةِ الْخَلْقِ وَ طَاعَتِهِمْ وَالْاِعْرَاضِ عَنْ اَمْرِ الله تَعَالٰى وَ طَاعَتِهٖ.

قَالَ النَّبِيُّ صَلَى الله عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ: "لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوْقٍ فِي مَعْصِيَّةِ الله تَعَالٰى".[1]

ثم إن الفرائض ليست منحصرة فيما هو فعل بل بعض التروك أيضا فرض «فَمِنَ الْفَرَائِضِ تَرْكُ الْحَرَامِ، وَ» ترك «الشِّرْكِ بِالله عَزَّوَجَلَّ فِي خَلْقِهٖ» فإن جعل شيئ من خلقه معبودا فهو شرك جلي، و إن جعل شيء منه مؤثرا فهو شرك خفي «وَ» ترك «الْاِعْتِرَاضِ عَلَيْهِ تعالٰى فِي قَدْرِهٖ» تعالٰى «وَ قَضَائِهٖ وَ» ترك «اِجَابَةِ الْخَلْقِ، وَ» ترك «طَاعَتِهِمْ» في معصية الخالق «وَالْاِعْرَاضِ عَنْ اَمْرِ الله تَعَالٰى وَ طَاعَتِهٖ.

قَالَ النَّبِيُّ صَلَى الله عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ: لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوْقٍ فِي مَعْصِيَّةِ الله تَعَالٰى».

---

(١) انظر الجامع الصغير، رقم الحديث:٩٩٠٣، والمسند للإمام أحمد:٤٣٢١٦،برقم:٣٨٨٩.

اَلْمَقَالَةُ التَّاسِعَةُ وَالْاَرْبَعُوْنَ

في بَيَانِ فَضِيْلَةِ السِّهْرِ عَلَى النَّوْمِ وَ حَالِ مَنِ اخْتَارَ النَّوْمَ عَلَى السِّهْرِ

قَالَ رَضِيَ الله تَعَالٰى عَنْهُ: مَنِ اخْتَارَ النَّوْمَ عَلَى السِّهْرِ الَّذِيْ هُوَ سَبَبُ الْيَقْظَةِ فَقَدِ اخْتَارَ النَّقْصَ وَالْاَدْنٰى وَاللُّحُوْقَ بِالْمَوْتٰى وَالْغَفْلَةِ عَنْ جَمِيْعِ الْمَصَالِحِ لِاَنَّ النَّوْمَ اَخُ الْمَوْتِ وَ لِهٰذَا لَا يَجُوْزُ النَّوْمُ عَلَى الله عَزَّ وَ جَلَّ لِمَا انْتَفٰى عَنْهُ عَزَّ وَ جَلَّ النَّقَائِصُ اَجْمَعُ، وَ كَذٰلِكَ الْمَلَائِكَةُ لِمَا قَرَبُوْا مِنْهُ عَزَّ وَ جَلَّ نُفِي عَنْهُمُ النَّوْمُ وَ كَذٰلِكَ اَهْلُ الْجَنَّةِ لِمَا كَانُوْا فِي اَرْفَعِ الْمَوَاضِعِ وَ اَطْهَرِهَا وَ اَنْفَسِهَا وَ اَكْرَمِهَا نُفِي النَّوْمُ عَنْهُمْ لِكَوْنِهٖ نَقْصًا فِي حَالَتِهِمْ، فَالْخَيْرُ كُلُّ الْخَيْرِ فِي الْيَقْظَةِ وَالشَّرُّ كُلُّ الشَّرِّ فِي النَّوْمِ وَالْغَفْلَةِ عَنِ الْمَصَالِحِ فَمَنْ اَكَلَ بِهَوَاهُ اَكَلَ كَثِيْرًا وَ شَرِبَ كَثِيْرًا فَنَامَ كَثِيْرًا وَ فَاتَهُ الْخَيْرُ الْكَثِيْرُ.

«قَالَ رَضِيَ الله تَعَالٰى عَنْهُ: مَنِ اخْتَارَ النَّوْمَ» الظاهري أوالباطني أو كليهما «عَلَى السِّهْرِ» الظاهري أوالباطني أو كليهما «الذي هُوَ سَبَبُ الْيَقْظَةِ» والتفهم والشعور والعلم والخبرة ظاهرا و باطنا «فَقَدِ اخْتَارَ النَّقْصَ وَالْاَدْنٰى وَاللُّحُوْقَ بِالْمَوْتٰى وَالْغَفلَةِ عَنْ جَمِيْعِ الْمَصَالِحِ» الدينية والدنياو ية «لِاَنَّ النَّوْمَ اَخُ الْمَوْتِ» في تعطيل الحواس و ذهاب الشعور الحسي «وَ لِهٰذَا» أي لأجل أنه نقص و لحوق بالموتى و غفلة عن المصالح «لَا يَجُوْزُ النَّوْمُ عَلَى الله عَزَّ وَ جَلَّ لِمَا انْتَفٰى عَنْهُ عَزَّ وَ جَلَّ النَّقَائِصُ اَجْمَعُ، وَ كَذٰلِكَ» أي كما لا يجوز النوم على الله تعالى لتنزهه عن النقص كذلك «الْمَلَائِكَةُ لِمَا قَرَبُوْا مِنْهُ عَزَّ وَ جَلَّ نُفِي عَنْهُمُ النَّوْمُ» لأنهم براء من النقص «وَ كَذٰلِكَ اَهْلُ الْجَنَّةِ لِمَا كَانُوْا فِي اَرْفَعِ الْمَوَاضِعِ وَ اَطْهَرِهَا وَ اَنْفَسِهَا» بفتح الفاء من النفاسة «وَ اَكْرَمِهَا نُفِيَ النَّوْمُ عَنْهُمْ لِكَوْنِهٖ نَقْصًا فِي حَالَتِهِمْ» فإن حالتهم في الجنة

على أكمل الوجوه و أعلاها فكل ما هو من صفات النقص كالبول والغائط والأمراض والأوجاع والكدورات النفسانية و الخطرات الشيطانية منتفية عنهم بالكلية بل ليس فيها إلا ما يشتهيه الأنفس و تلذ الأعين من الخيرات الحسان والحور والقصور والغلمان و جر يان النفس بذكر الملك المنّان ذى الفضل والإحسان.

فإذا عرفت حال النوم «فَالْخَيْرُ كُلُّ الْخَيْرِ فِي الْيَقْظَةِ» فإنها سبب الذكر والعلم والمعرفة والفهم والقراءة والصلوة والحضور «وَالشَّرُّ كُلُّ الشَّرِّفِي النَّوْمِ وَالْغَفْلَةِ عَنِ الْمَصَالِحِ» الدينية والدنياوية «فَمَنْ اَكَلَ بِهَوَاهُ» و بمقتضى طبيعته الحيوانية «اَكَلَ كَثِيْرًا وَ شَرِبَ كَثِيْرًا فَنَامَ كَثِيْرًا وَ فَاتَهُ الْخَيْرُ الْكَثِيْرُ».

وَ مَنْ اَكَلَ قَلِيْلًا مِنَ الْحَرَامِ كَانَ كَمَنْ اَكَلَ كَثِيْرًا مِنَ الْمُبَاحِ بِهَوَاهُ؛ لِاَنَّ الْحَرَامَ يُغَطِّى الْاِيْمَانَ وَ يُظْلِمُهٗ كَالْخَمْرِ يُظْلِمُ الْعُقُوْلَ وَ يُغَطِّيْهِ فَاِذَا اَظْلَمَ الْاِيْمَانَ فَلَا صَلوةَ وَ لَا عِبَادَةَ وَ لَا خَلَاصَ.

وَ مَنْ اَكَلَ الْحَلَالَ كَثِيْرًا بِالْاَمْرِ كَانَ كَمَنْ اَكَلَ مِنْهُ فِي النَّشَاطِ فِي الْعِبَادَةِ وَ الْقُوَّةِ فَالْحَلَالُ نُوْرٌ فِي نُوْرٍ وَالْحَرَامُ ظُلْمَةٌ فِي ظُلْمَةٍ لَا خَيْرَ فيهِ فَاَكْلُ الْحَلَالِ بِهَوَاهُ كَاَكْلِ الْحَرَامِ فِي الْجُمْلَةِ مُسْتَجْلِبٌ لِلنَّوْمِ فَلَا خَيْرَ فيهِ.

«وَ مَنْ اَكَلَ قَلِيْلًا مِنَ الْحَرَامِ كَانَ كَمَنْ اَكَلَ كَثِيْرًا مِنَ الْمُبَاحِ بِهَوَاهُ» في حصول الندم و فوات الخير الكثير، و إنما كان قليل الحرام مثل كثير الحلا ل في حصول الندم «لِاَنَّ الْحَرَامَ يُغَطِّي الْاِيْمَانَ وَ يُظْلِمُهٗ» للمنافاة بينهما «كَالْخَمْرِ يُظْلِمُ الْعُقُوْلَ وَ يُغَطِّيْهِ» لأن العقل يقتضي الشعور والسكر يدفعه فبينهما التنافي فمن غلب منهما سَلَبَ الْاٰخَرَ «فَاِذَا اَظْلَمَ الْاِيْمَانَ فَلَا صَلوةَ وَ لَا عِبَادَةَ وَ لَا خَلَاصَ» في الأعمال والأقوال على وجه الكمال؛ لأنها فرع الإيمان الكامل، فإذا صارالأصل مغلو با صار الفرع مسلو با.

«وَ مَنْ اَكَلَ الْحَلَالَ كَثِيْرًا بِالْاَمْرِ»الإلهي «كَانَ كَمَنْ اَكَلَ مِنْهُ» أي من

الحلال قليلا لا للهوى بل «فِي النَّشَاطِ» أي لأجل النشاط «فِي الْعِبَادَةِ» الرباني «وَ» حصول «الْقُوَّةِ» الروحاني الطالبة للقوة الأبداني في تحصيل الأعمال، فإن البدن مركب الروح فكلما كان المركب قويا يحصل من الراكب أعمال كثيرة بجولانه في أيّ مكان يريد، و إن كان المركب ضعيفا لا يمكن من راكبه جولانه في ميادين الطاعة والخدمة، و إن كان عالي الهمة شجاعا باسلا فالظاهر أن كلمة "في" في قوله: "في النشاط" تعليلية كما في قوله عليه الصلوة والسلام: إن امرأة دخلت في النار في هرةٍ حبستها[1] قالوا: معناه لأجل هرة.فان الأكل الكثير بأمر الإله والقليل من الحلال لأجل النشاط في عبادته كلاهما عبادتان و نافعان «فَالْحَلَالُ» في هذين الصورتين «نُوْرٌ فِيْ نُوْرٍ» و ذلك لأن الحلال في نفسه نور و لأجل الغرض الصحيح و هو امتثال الأمر في الصورة الأولى، و تحصيل النشاط في الثانية يكون نورا آخر فهو إذن نور في نور «وَالْحَرَامُ ظُلْمَةٌ فِي ظُلْمَةٍ» و ذلك لأن الحرام في نفسه ظلمة و استعماله الموجب لمخالفة النهي الشرعي ظلمة أُخرى «لَا خَيْرَ فِيهِ» قليلا كان أو كثيرا.

«فَاَكْلُ الْحَلَالِ بِهَوَاهُ» بغير الأمرالشرعي الظاهري أو الباطني لأهلهما «كَاَكْلِ الْحَرَامِ فِي الْجُمْلَةِ» أي يكون أكل الحلال بالهوى مشابها لأكل الحرام لا من جميع الوجوه بل في بعضها و هو حصول الندم و فوات الخير الكثير «مُسْتَجْلِبٌ لِلنَّوْمِ» أي الغفلة «فَلَا خَيْرَ فِيهِ» أي في أكل الحلال بالهوى بل ينبغى أن يكون أكله لأجل النشاط في العبادة والقوّة في أدائها و تحصيلها إن كان من أهل الظاهر و لأجل الامتثال للامر الإلهي إن كان من أهل الباطن.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالىٰ، ولفظه: عن رسول الله صل الله عليه وسلم قال: دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلا هي أطعمتها، ولا هي أرسلتها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت هزلاً. ورواه غير واحد من الأئمة.

اَلْمَقَالَةُ الْخَمْسُوْنَ

فِي بيَانِ الْقُرْبِ مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَالْوُصُوْلِ بِهٖ وَالْغَيْبَةِ مِنَ الْقُرْبِ

قَالَ رَضِيَ اللهُ تَعَالٰى عَنْهُ: لَا يَخْلُوْ اَمْرُكَ مِنْ قِسْمَيْنِ:

اِمَّا اَنْ تَكُوْنَ غَائِبًا عَنِ الْقُرْبِ مِنَ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ اَوْ قَرِيْبًا مِّنْهُ عَزَّ وَ جَلَّ وَاصِلًا اِلَيْهِ، فَاِنْ كُنْتَ غَائِبًا فَمَا قُعُوْدُكَ وَ تَوَانِيْكَ وَ تَكَاهُلُكَ عَنِ الْحَظِّ الْوَافِرِ وَ النَّعِيْمِ وَالْعِزِّ الدَّائِمِ وَ الْكِفَايَةِ الْكُبْرٰى وَالسَّلَامَةِ وَالْغِنٰى وَالدِّلَالِ فِي الدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةِ؟ فَقُمْ وَاسْرَعْ فِي الطَّيْرَانِ اِلَيْهِ عَزَّ وَ جَلَّ بِجَنَاحَيْكَ. اَحَدُهُمَا: تَرْكُ اللَّذَّاتِ وَالشَّهَوَاتِ الْحَرَامِ وَالْمُبَاحِ وَالرَّاحَاتِ اَجْمَع.

وَالْاٰخَرُ اِحْتِمَالُ الْاَذٰى وَالْمَكَارِهِ وَ رَكُوْبُ الْعَزِيْمَةِ وَ الْاَشَدِّ وَالْخُرُوْجُ مِنَ الْخَلْقِ وَالْهَوٰى وَالْاِرَادَاتِ وَالْمُنٰى دُنْيَا وَ اُخْرٰى حَتّٰى تَظْفَرَ بِالْوُصُوْلِ وَالْقُرْبِ فَتَجِدُ عِنْدَ ذٰلِكَ جَمِيْعَ مَا تَتَمَنّٰى، وَ يَحْصُلُ لَكَ الْكَرَامَةُ وَالْعِزَّةُ الْكُبْرٰى.

«قَالَ رَضِيَ اللهُ تَعَالٰى عَنْهُ لَا يَخْلُوْ اَمْرُكَ» و حالك و شأنك «مِنْ قِسْمَيْنِ: اِمَّا اَنْ تَكُوْنَ غَائِبًا عَنِ الْقُرْبِ مِنَ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ» والوصول إليه «اَوْ» تكون «قَرِيْبًا مِّنْهُ عَزَّ وَ جَلَّ وَاصِلًا اِلَيْهِ فَاِنْ كُنْتَ غَائِبًا» من قربه الَّذِيْ هوالمقصد الأقصى والمطلب الأعلٰى «فَمَا قُعُوْدُكَ وَ تَوَانِيْكَ وَ تَكَاهُلُكَ» و تكاسلك «عَنِ الْحَظِّ الْوَافِرِ وَ النَّعِيْمِ وَالْعِزِّ الدَّائِمِ» المقيم «وَ» ما تباعدك و غفلتك عَنِ «الْكِفَايَةِ الْكُبْرٰى» عن جميع ما تتمناه «وَالسَّلَامَةِ وَالْغِنٰى» عن كل ما سواه «وَالدِّلَالِ» أي الاستغناء «فِي الدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةِ» يعني ماالسبب في قعودك عن هذا المقصد، أي ليس له سبب إلا الغفلة والميل إلى الدنيا الدنية و هذا لا ينبغى لعاقل «فَقُمْ» أيها الطالب

«وَاسْرَعْ فِي الطَّيْرَانِ اِلَيْهِ عَزَّ وَ جَلَّ بِجَنَاحَيْكَ اَحَدُهُمَا تَرْكُ اللَّذَّاتِ وَالشَّهَوَاتِ الْحَرَامِ وَالْمُبَاحِ وَالرَّاحَاتِ اَجْمَع» غير ما يقتضيه الحاجة البشرية والضرورية الإنسانية «وَالْاَخَرُ اِحْتِمَالُ الْاَذٰى وَالْمَكَارِهِ وَ رَكُوْبِ الْعَزِيْمَةِ» و ترك الرخصة «وَ» ركوب «الْاَشَدِّ» على النفس «وَالْخُرُوْجُ مِنَ الْخَلْقِ وَالْهَوٰى وَالْاِرَادَاتِ وَالْمُنٰى دُنْيَا وَ اُخْرٰى» فإن طالب المولى لا يميل إلى ما سواه من الدنيا والعقبى «حَتّٰى تَظْفَرَ بِالْوُصُوْلِ» غاية الإسراع إلى هذه الأمور أي اقصد إلى تحصيل هذه الأمور حتى تظفر بالوصول «وَالْقُرْبِ فَتَجِدُ عِنْدَ ذٰلِكَ» الظفر بالوصول والقرب «جَمِيْعَ مَا تَتَمَنّٰى وَ يَحْصُلُ لَكَ الْكَرَامَةُ وَالْعِزَّةُ الْكُبْرٰى» في الخلايق كلها إنسانا كان أو جنا، ملكا كان أو ملكوتا، برا كان أو بحرا، دنيا كان أو اُخرى.

وَ اِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُقَرَّبِيْنَ الْوَاصِلِيْنَ اِلَيْهِ عَزَّ وَ جَلَّ مِمَّنْ اَدْرَكَتْهُمُ الْعِنَايَةُ وَ شَمَلَتْهُمُ الرِّعَايَةُ وَ جَذَبَتْهُمُ الْمَحَبَّةُ وَ نَالَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَالرَأْفَةُ فَاَحْسِنِ الْاَدَبَ وَ لَا تَغْتَرَّ بِمَا أنت فيهِ فَتَقْصُرَ فِي الْخِدْمَةِ وَ لَا تُسِيْءِ الْخِدْمَةَ وَ لَا تُخْلِدْ إلى الرَّعُوْنَةِ الْاَصْلِيَّةِ مِنَ الْجَهْلِ وَالظُّلْمِ وَالْعُجْلَةِ كَمَا اَخْبَرَ الله تَعَالٰى فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَ جَلَّ:

﴿وَحَمَلَهَا الْاِنْسَانُ ؕ اِنَّهٗ كَانَ ظَلُوْمًا جَهُوْلًا﴾[الأحزاب، رقم السورة:۳۳، رقم الآية:۷۲]

وَ فِي قَوْلِهِ تَعَالٰى: ﴿وَ كَانَ الْاِنْسَانُ عَجُوْلًا﴾ [الاسراء،رقم السورة:۱۱، رقم الآية:۱۷]

«وَاِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُقَرَّبِيْنَ الْوَاصِلِيْنَ اِلَيْهِ عَزَّ وَ جَلَّ مِمَّنْ» أي من الجماعة الكاملين الذين «اَدْرَكَتْهُمُ الْعِنَايَةُ» الإلهية الأزلية «وَ شَمَلَتْهُمُ الرِّعَايَةُ» الربانية السرمدية «وَ جَذَبَتْهُمُ الْمَحَبَّةُ» الرحمانية السابقية «وَنَالَتْهُمُ الرَّحْمَةُ» الرحيمية الشاملة «وَالرَأْفَةُ» الرؤفية الكاملة «فَاَحْسِنِ الْاَدَبَ» مع الرب تعالى «وَلَا تَغْتَرَّ بِمَا أنتَ فيهِ» من الرتبة العالية والمناصب الغالية «فَتَقْصُرَ فِي الْخِدْمَةِ وَ لَا تُسِيْءِ

الْخِدْمَةَ» بالاغترار بما حصل لك من المراتب والمناصب «وَ لَا تُخْلِدْ» بل لا تُمِل «إِلى الرَّعُوْنَةِ الْاَصْلِيَّةِ» الجبلية «مِنَ الْجَهْلِ» بعواقب الأمور و بأن ما تحمل على نفسك يمكن حمله منها «وَالظُّلْمِ» على نفسك بحمل ما لا تطيقه «وَالْعُجْلَةِ» في الاختيار لأمور مجهولة العواقب «كَمَا اَخْبَرَ الله تَعَالٰى» عن الصفتين الأولين «في قَوْلِهِ عَزَّ وَ جَلَّ:»

﴿«اِنَّا عَرَضْنَا الْاَمَانَةَ»﴾ أي التكليف الفرضي ﴿«عَلَى السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَالْجِبَالِ»﴾ بأن خلق فيها فَهْمًا و نطقًا ﴿«فَاَبَيْنَ اَنْ يَّحْمِلْنَهَا وَ اَشْفَقْنَ»﴾ أي خفن ﴿«مِنْهَا وَ حَمَلَهَا الْاِنْسَانُ»﴾أي أدم بعد عرضها عليه ﴿«اِنَّهٗ كَانَ ظَلُوْمًا»﴾ لنفسه بتحمله ما يشق عليها ﴿«جَهُوْلًا»﴾ بوَخَامة عاقبته.

و هذا من المعنى ما عليه أكثر السلف كما روي أن الله تعالٰى لما خلق هذه الأجرام خلق فيها عقلًا و فهمًا و قال لها: إني فرضت فريضة و خلقت جنة لمن أطاعني و نارا لمن عصاني فقلن نحن مسخرات على ما خلقتَنا لا نحمل فريضة و لا نبغي ثوابا و لا عقابا و ضجحن إلى ثلثة أيام و قلن لا طاقة لنا بالعمل و لا نريد الثواب.[1] فعلى هذا المراد بالعرض: العرض الحقيقي، و بالأمانة التكليف الفرضي، و بالإباء الإباء الحقيقى، و بالحمل الحمل الحقيقي.

ثم قالوا: الوصف بالظلوم والجهول للجنس باعتبار بعض أفراده لا باعتبار الجميع فإن النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ليسوا كذلك «وَ» قد أخبر الله تعالٰى عن صفة العجلة «في قَوْلِهِ تَعَالٰى» ﴿وَ يَدْعُ الإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهٗ بِالْخَيْرِ، «وَكَانَ الْاِنْسَانُ عَجُوْلًا»﴾.

يسارع إلى ما لا يعلم خيريته و لكن الله صبور لطيف رؤف رحيم لا يجيب جميع مسالته لُطْفًا و كَرَمًا فكن أنت مراقبا لأحوالك و أعمالك.

وَاحْفَظْ قَلْبَكَ مِنَ الْاِلْتِفَاتِ اِلٰى مَا قَدْ تَرَكْتَهٗ مِنَ الْخَلْقِ وَالْهَوٰى وَالْاِرَادَةِ وَالتَّخْيِيْرِ وَالتَّدْبِيْرِ وَ تَرْكِ الصَّبْرِ وَالْمُوَافَقَةِ وَالرِّضَا

(١) انظر تفسير البيضاوى في سورة الأحزاب تحت الآية:٧٢.

عِنْدَ نُزُوْلِ الْبَلَاءِ بَلِ اسْتَطْـرِحْ بَيْنَ يَدَيْهِ عَزَّ وَ جَلَّ كَالْكُرَةِ بَيْنَ يَدَى الْفَارِسِ يُقَلِّبُهَا بِصَوْلِجَانِهِ، وَالْمَيِّتِ بَيْنَ يَدَي الْغَاسِلِ، وَالطِّفْلِ الرَّضِيْعِ فِي حِجْرِ اُمِّهِ وَ ظِئْرِهِ وَ تَعَامِ عَمَّنْ سِوَاهُ عَزَّ وَ جَلَّ فَلَا تَرٰى لِغَيْرِهِ وُجُوْدًا وَ لَا ضَرًّا وَ لَا نَفْعًا وَ لَا عَطَاءً وَ لَا مَنْعًا وَاجْعَلِ الْخَلِيْقَةَ وَالْاَسْبَابَ عِنْدَ الْاَذِيَّةِ وَالْبَلِيَّةِ كَسَوْطِهِ عَزَّ وَ جَلَّ يَضْرِبُكَ بِهٖ وَ عِنْدَ النِّعْمَةِ وَالْعَطِيَّةِ كَيَدِهٖ يُلْقِمُكَ بِهَا.

«وَاحْفَظْ قَلْبَكَ مِنَ الْاِلْتِفَاتِ اِلٰى مَا قَدْ تَرَكْتَهُ مِنَ الْخَلْقِ وَالْهَوٰى وَالْاِرَادَةِ» لشيء «وَالتَّخْيِيْرِ وَالتَّدْبِيْرِ» في شيء «وَ تَرْكِ الصَّبْرِ» على المِحَنِ والشدائد «وَالْمُوَافَقَةِ وَالرِّضَا» لفعل الخالق «عِنْدَ نُزُوْلِ الْبَلَاءِ بَلِ اسْتَطْرِحْ» وَالْقِ نفسك «بَيْنِ يَدَيْهِ عَزَّ وَ جَلَّ كَالْكُرَةِ بَيْنَ يَدَي الْفَارِسِ يُقَلِّبُهَا بِصَوْلِجَانِهِ، وَالْمَيِّتِ بَيْنَ يَدَي الْغَاسِلِ، وَالطِّفْلِ الرَّضِيْعِ فِي حِجْرِ اُمِّهِ وَ ظِئْرِهِ» لا يوجد لشيء منها إلا التسليم والانقياد للمتصرف فيها «وَ تَعَامِ» من العمى «عَمَّنْ سِوَاهُ عَزَّ وَ جَلَّ فَلَا تَرٰى لِغَيْرِهِ وُجُوْدًا وَ لَا ضَرًّا وَ لَا نَفْعًا وَ لَا عَطَاءً وَ لَا مَنْعًا» بل خص كل ذلك بالله تعالىٰ فإنه الموجود و سائر الموجودات ظل وجوده تعالىٰ «وَاجْعَلِ الْخَلِيْقَةَ» أي المخلوقات كلها «وَالْاَسْبَابَ» بأسرها «عِنْدَ الْاَذِيَّةِ وَالْبَلِيَّةِ» اللاحقة بك والنازلة عليك من جانب الله بهذه الوسيلة «كَسَوْطِهِ عَزَّ وَ جَلَّ يَضْرِبُكَ بِهٖ» لتأديبك و دفع الغفلة عن بصيرتك «وَ» كذا اجعل الخليقة والأسباب «عِنْدَ» وصول «النِّعْمَةِ وَالْعَطِيَّةِ» من الله تعالىٰ بهذه الوسائل «كَيَدِهٖ» تعالىٰ «يُلْقِمُكَ» أي يعطيك لقمة و يدخلها في فمك «بِهَا» أي بالخليقة والأسباب فعظِّمْ يده و سوطه فتعظيم الخلق أثر تعظيم الله تعالىٰ كما أن وجودهم ظل وجوده و صفاتهم أثر صفاته فلا مؤثر إلا الله و لا موجود إلا الله.

اَلْمَقَالَةُ الْحَادِيَةُ وَالْخَمْسُونَ

في بيَانِ الزَّاهِدِ وَ مُضاعَفَةِ الْاَجْرِ لَهُ

قَالَ رَضِيَ الله تَعَالٰى عَنْهُ: اَلزَّاهِدُ يُثَابُ بِسَبَبِ الْاَقْسَامِ مَرَّتَيْنِ يُثَابُ فِي تَرْكِهَا اَوَّلًا فَلَا يَأْخُذُها بِهَوَاهُ وَ مُوَافَقَةِ النَّفْسِ، بَلْ بِمُجَرَّدِ الْاَمْرِ يَأْخُذُهَا فَإِذَا تَحَقَّقَتْ عَدَاوَتُهُ لِنَفْسِهِ وَ مُخَالَفَتُهُ لِهَوَاهُ وَ عُدَّ مِنَ الْمُحَقِّقِيْنَ وَ اَهْلِ الْوِلَايَةِ وَ اُدْخِلَ فِي زُمْرَةِ الْاَبْدَالِ وَالْعَارِفِينَ اُمِرَ بِتَنَاوُلِهَا وَالتَّلَبُّسِ بِهَا، اِذْ هِيَ قِسْمَةٌ لَا بُدَّ لَهُ مِنْهَا لَمْ تُخْلَقْ لِغَيْرِهٖ، وَ جَفَّ بِهَا الْقَلَمُ وَ سَبَقَ بِهَا الْعِلْمُ الْاَزَلِيُّ فَإِذَا اِمْتَثَلَ الْاَمْرَ فَتَنَاوَلَهَا اَوِاطَّلَعَ بِالْعِلْمِ فَتَلَبَّسَ بِهَا بِجِرْيَانِ الْقَدْرِ وَ الْفِعْلِ مِنْهُ مِنْ غَيْرِ اَنْ يَّكُوْنَ هُوَ فيهِ لَا هَوًى وَ لَا اِرَادَةً وَ لَا هِمَّةً أُثِيبَ بِذٰلِكَ ثَانِيًا اِذْ هُوَ مُمْتَثِلٌ لِلْاَمْرِ اَوْ مُوَافِقٌ لِفِعْلِ الْحَقِّ فيهِ.

«قَالَ رَضِيَ الله تَعَالٰى عَنْهُ: اَلزَّاهِدُ» و هو الَّذِيْ يترك الحظوظ النفسانية التي يميل إليها الإ نسان من حيث الطبع طلبا لرضى الله تعالٰى و إعراضا عن الدنيا «يُثَابُ» من عند الله تعالٰى «بِسَبَبِ الْاَقْسَامِ» جمع قِسم و هو الَّذِيْ قسم الله تعالٰى في سابقة علمه الأزلي «مَرَّتَيْنِ» مرة «يُثَابُ فِي تَرْكِهَا اَوَّلًا» لا بمعنى عدم المباشرة أصلا و رأسا بل بالمعنى المذكور بقوله «فَلَا يَأْخُذُها» أي الزاهد تلك الأقسام «بِهَوَاهُ وَ مُوَافَقَةِ النَّفْسِ» الطالبة لها من حيث طبعها «بَلْ بِمُجَرَّدِ الْاَمْرِ» الإ لٰهي «يَأْخُذُهَا فَإِذَا تَحَقَّقَتْ عَدَاوَتُهُ لِنَفْسِهِ» بترك مشتهياتها «وَ مُخَالَفَتُهُ لِهَوَاهُ» بالبعد عن مقتضياتها «وَ عُدَّ» ذلك الزاهد عند الله تعالٰى بسبب تلك العداوة «مِنَ الْمُحَقِّقِيْنَ وَ اَهْلِ الْوِلَايَةِ» من الكاملين «وَ اُدْخِلَ» ذلك الزاهد «فِي زُمْرَةِ الْاَبْدَالِ» الذين هم الكمل من الرجال «وَالْعَارِفِينَ» له تعالٰى الفانين فيه والباقين

به تعالىٰ «اُمِرَ» جواب الشرط «حِيْنَئِذٍ» أي حين حصل ما ذكرنا أمرا باطنيا «بِتَنَاوُلِهَا» أي الأقسام التي تركها الزاهد بميلان النفس و اشتهاء الهوى «وَالتَّلَبُّسِ بِهَا» و إنما أمر بتناولها والتلبس بها «اِذْ هي» أي تلك الأقسام «قِسْمَةٌ» أزلية في خلقه من جانب الله تعالىٰ «لَا بُدَّ لَهُ مِنْهَا» أي من تناولها «لَمْ تُخْلَقْ» تلك الأقسام «لِغَيْرِهِ» أي لغير ذلك الزاهد «وَ جَفَّ بِهَا» أي بتناولها «الْقَلَمُ» التقديري «وَ سَبَقَ بِهَا الْعِلْمُ الْاَزَلِيُّ» فتكون واجبة الحصول «فَاِذَا اِمْتَثَلَ» أي أراد امتثال «الْاَمْرِ»الإلٰهي «فَتَنَاوَلَهَا» بملاحظة امتثال الأمر الإلٰهي «اَواِطَّلَعَ بِالْعِلْمِ» من جانب الله تعالىٰ بالكشف لا بالأمر أنها واجبة التلبس «فَتَلَبَّسَ بِهَا بِ» ملاحظة «جِرْ يَانِ الْقَدْرِ» أي التقدير الأزلي بتناولها والتلبس بها فلا جرم أن يتحقق ذلك «وَ» بملاحظة جر يان «الْفِعْلِ مِنْهُ» تعالىٰ «مِنْ غَيْرِ اَنْ يَّكُوْنَ هُوَ» أي ذلك الزاهد نفسه «فيهِ» أي في الأخذ والتناول «لَا هَوًى وَ لَا اِرَادَةً وَ لَا هِمَّةً» بل بملاحظة امتثال الأمرالإلٰهي، و بملاحظة جر يان القدر بذلك، و ملاحظة الفعل من الله تعالىٰ «اُثِيْبَ» جواب قوله: "فإذا امتثل" أي فإذا تناول الزاهد تلك الأقسام بملاحظة امتثال الأمر و جر يان القدر بذلك أثيب ذلك الزاهد «بِذٰلِكَ» التناول والأخذ «ثَانِيًا» من جانب الله تعالىٰ «اِذْ هُوَ» أي ذلك الزاهد «مُمْتَثِلٌ لِلْاَمْرِ»الإلٰهي بذلك التناول والأخذ إن كان التناول والأخذ بسبب الأمر الإلٰهي «اَوْ مُوَافِقٌ لِفِعْلِ الْحَقّ فيهِ» أي في ذلك التناول والأخذ إن كان التناول والأخذ بالاطلاع على سرالقدر و جر يان القلم و ثبوت العلم الأزلي بذلك التناول لا بالأمر الإلٰهي فالتقابل بين الصورتين ظاهر.

فَاِنْ قِيْلَ: كَيْفَ اَطْلَقْتَ الْقَوْلَ بِالثَّوَابِ لِمَنْ هُوَ فِي الْمَقَامِ الْاَكْبَرِ الَّذِيْ ذَكَرْتَهُ مَنْ اَنَّهُ اُدْخِلَ فِي زُمْرَةِ الْاَبْدَالِ وَالْعَارِفِينَ اَلْمَقْبُوْلُ مِنْهُمْ الْفَانِيْنَ عَنِ الْخَلْقِ وَالْاَنْفُسِ وَالْاَهْوِ يَةِ وَالْاِرَادَاتِ وَالْحُظُوْظِ وَالْاَمَانِيْ وَالْاَعْوَاضِ عَلَى الْاَعْمَالِ الذين يَرَوْنَ جَمِيْعَ طَاعَاتِهِمْ وَ عِبَادَاتِهِمْ فِعْلًا

مِنَ اللهِ وَ نِعْمَةً وَ رَحْمَةً وَ تَوْفِيقًا وَ تَيْسِيْرًا مِنْهُ عَزَّ وَ جَلَّ وَ يَعْتَقِدُوْنَ اَنَّهُمْ عَبِيْدُ اللهِ، وَالْعَبْدُ لَا يَسْتَحِقُّ عَلٰى مَوْلَاهُ حَقًّا اِذْ هُوَ بِرَقَبَتِهٖ مَعَ حَرَكَاتِهٖ وَ سَكَنَاتِهٖ وَ اِكْتِسَابِهٖ مِلْكٌ لِمَوْلَاهُ فَكَيْفَ يُقَالُ فِي حَقِّهٖ اَنَّهٗ يُثَابُ وَ هُوَ اَنَّهٗ لَا يَطْلُبُ ثَوَابًا وَ لَا عِوَضًا عَلٰى فِعْلِهٖ وَ لَا يَرٰى لَهٗ عَمَلًا بَلْ يَرٰى نَفْسَهٗ مِنَ الْبَطَّالِيْنَ وَ اَفْلَسِ الْمُفْلِسِيْنَ مِنَ الْاَعْمَالِ.

«فَاِنْ قِيْلَ كَيْفَ اَطْلَقْتَ الْقَوْلَ بِالثَّوَابِ» الَّذِيْ هو اسم جزاء العمل «لِمَنْ هُوَ فِي الْمَقَامِ الْاَكْبَرِ الَّذِيْ ذَكَرْتَهٗ» أولا «مَنْ اَنَّهٗ» أي ذلك الزاهد «اُدْخِلَ فِي زُمْرَةِ الْاَبْدَالِ وَالْعَارِفِينَ» و هم لا يعملون العمل للجزاء «اَلْمَقْبُوْلُ مِنْهُمْ» عطف على قوله أدخل أي أنه المقبول منهم أي الَّذِيْ قبل من جملة الأبدال والعارفين «الْفَانِيْنَ عَنِ الْخَلْقِ وَالْاَنْفُسِ وَالْاَهْوِيَةِ وَالْاِرَادَاتِ وَالْحُظُوْظِ وَالْاَمَانِيْ وَالْاَعْوَاضِ عَلَى الْاَعْمَالِ» فقوله: "الفانين" إما صفة للعارفين و قوله "المقبول منهم" جملة معترضة جيئ لمدح الزاهد الَّذِيْ أدخل في زمرتهم أو بدل من الضمير في "منهم". فإن هولاء العرفاء لا يرون العمل من أنفسهم، و لا يطلبون الجزاء عليه بل هم «الذينَ يَرَوْنَ جَمِيْعَ طَاعَاتِهِمْ وَ عِبَادَاتِهِمْ فِعْلًا مِنَ اللهِ تعالٰى وَ نِعْمَةً وَ رَحْمَةً وَ تَوْفِيقًا وَ تَيْسِيْرًا مِنْهُ عَزَّ وَ جَلَّ وَ يَعْتَقِدُوْنَ اَنَّهُمْ عَبِيْدُ اللهِ، وَالْعَبْدُ لَا يَسْتَحِقُّ عَلٰى مَوْلَاهُ» الموجد «حَقًّا اِذْ هُوَ» أي العبد «بِرَقَبَتِهٖ» أي بكليته «مَعَ حَرَكَاتِهٖ وَ سَكَنَاتِهٖ وَ اِكْتِسَابِهٖ» أي مكتسباته «مِلْكٌ لِمَوْلَاهُ» فإذا لم يتصور الجزاء في حقه «فَكَيْفَ يُقَالُ فِي حَقِّهٖ» أي في حق هذا الزاهد «اَنَّهٗ يُثَابُ وَ هُوَ» أي والحال «اَنَّهٗ لَا يَطْلُبُ ثَوَابًا وَ لَا عِوَضًا عَلٰى فِعْلِهٖ وَ لَا يَرٰى لَهٗ عَمَلًا» أي لا يرى أن العمل صدر منه على استقلاله «بَلْ يَرٰى نَفْسَهٗ مِنَ الْبَطَّالِيْنَ» الذين لم يعملوا الخير قط «وَ» يرى نفسه من «اَفْلَسِ الْمُفْلِسِيْنَ مِنَ الْاَعْمَالِ» لأنه تحقق عنده أن الله تعالٰى كما أوجد نفسه أوجد أعماله فليس نفسه منه و لا عمله منه.

قِيْلَ: صَدَقْتَ غَيْرَ اَنَّ اللهَ تَعَالٰى عَزَّ وَ جَلَّ يُوَاصِلُهٗ وَ يُدَلِّلُهٗ بِنِعَمِهٖ وَ يُرَبِّيْهِ بِلُطْفِهٖ وَ رَأْفَتِهٖ وَ رَحْمَتِهٖ وَ بِرِّهٖ وَ كَرَمِهٖ اِذْ كَفَّ يَدَهٗ عَنْ مَصَالِحِ نَفْسِهٖ وَ طَلَبِ الْحُظُوْظِ لَهَا فَهُوَ كَالطِّفْلِ الرَّضِيْعِ الَّذِيْ لَا حَرَاكَ بِهٖ فِي مَصَالِحِ نَفْسِهٖ وَ هُوَ مُدَلَّلٌ بِفَضْلِ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ بِرِزْقِهِ الدَّارِّ عَلٰى يَدَى وَالِدَيْهِ اَلْوَكِيْلَيْنِ الْكَفِيلَيْنِ، فَلَمَّا سَلَبَ عَنْهُ مَصَالِحَ نَفْسِهٖ عَطَفَ قُلُوْبَ الْخَلْقِ عَلَيْهِ وَ اَوْجَدَ رَحْمَةً وَشَفْقَةً لَهٗ فِي الْقُلُوْبِ حَتّٰى كُلُّ اَحَدٍ يَرْحَمُهٗ وَ يَتَعَطَّفُ عَلَيْهِ وَ يَبَرُّهٗ فَهٰكَذَا الْكُلُّ فَاِنْ عَمَّا سِوَى اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ لَا يُحَرِّكُهٗ غَيْرُ اَمْرِهٖ عَزَّ وَ جَلَّ اَوْ غير فِعْلِهٖ مُوَاصَلٌ بِفَضْلِ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ دُنْيَا وَ اُخْرٰى مُدَلَّلٌ فِيهِمَا مَدْفُوْعٌ عَنْهُ الْاَذٰى مُتَوَلِّي، قَالَ اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ:

﴿اِنَّ وَلِيِّيَ اللهُ الَّذِيْ نَزَّلَ الْكِتٰبَ وَ هُوَ يَتَوَلَّى الصّٰلِحِيْنَ﴾.

[الأعراف، رقم السورة:٧، رقم الآية:١٩٦]

«قِيْلَ» للسائل في جوابه الأمر كما ذكرت و إنك «صَدَقْتَ» فيما قلت «غَيْرَ اَنَّ اللهَ تَعَالٰى عَزَّ وَ جَلَّ يُوَاصِلُهٗ وَ يُدَلِّلُهٗ بِنِعَمِهٖ وَ يُرَبِّيْهِ بِلُطْفِهٖ وَ رَأفَتِهٖ وَ رَحْمَتِهٖ وَ بِرِّهٖ وَ كَرَمِهٖ اِذْ كَفَّ يَدَهٗ عَنْ مَصَالِحِ نَفْسِهٖ» بارتفاع نظر بصيرته عن رؤية نفسه في البين «وَ طَلَبِ الْحُظُوْظِ لَهَا» أي للنفس سواء كانت من الحظوظ الفانية أو الْبَاقِيَةِ الْمُدَّخَرَةِ فإن أهل الله لا يريدون شيئا سوى الله عَزَّ وَ جَلَّ «فَهُوَ» أي ذلك الزاهد بالنسبة إلى أفعال الله تعالى «كَالطِّفْلِ الرَّضِيْعِ الَّذِيْ لَا حَرَاكَ بِهٖ» أي لا حركة له «فِي مَصَالِحِ نَفْسِهٖ» لعدم علمه بنفسه و بمصالح نفسه «وَ هُوَ» أي ذلك الطفل «مُدَلَّلٌ بِفَضْلِ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ بِرِزْقِهِ الدَّارِّ» أي المفاض من دَرَّ اللبن إذا كثر «عَلٰى يَدَى وَالِدَيْهِ» أي بواسطتهما «اَلْوَكِيْلَيْنِ الْكَفِيلَيْنِ» بتربيته من جانب الله تعالى «فَلَمَّا سَلَبَ عَنْهُ» أي عن الطفل «مَصَالِحَ نَفْسِهٖ عَطَفَ» أي مال قُلُوْبَ الْخَلْقِ عَلَيْهِ وَ اَوْجَدَ رَحْمَةً و شَفْقَةً لَهٗ» أي لذلك الطفل «فِي الْقُلُوْبِ حَتّٰى كُلُّ اَحَدٍ» يَرَاهُ

أو يسمع ذكره «يَرْحَمُهٗ وَ يَتَعَطَّفُ عَلَيْهِ وَ يَبَرُّهٗ» أي يُحسنه «فَهٰكَذَا» أي مثل ما فعل الله تعالىٰ بهذا الطفل الَّذِيْ لا يعرف النفس و لا مصالح النفس فعل «الْكُلُّ فَانٍ عَمَّاسِوَى الله عَزَّ وَ جَلَّ» الَّذِيْ «لَا يُحَرِّكُهٗ غَيْرُ اَمْرِهٖ عَزَّ وَ جَلَّ اَوْ» غير «فِعْلِهٖ» جل و علا «مُوَاصَلٌ» بصيغة المفعول «بِفَضْلِ الله عَزَّ وَ جَلَّ دُنْيَا وَ اُخْرٰى مُدَلَّلٌ» أي مُرَبَّى بالتعظيم والإجلال «فيهما» أي الدنيا والآخرة «مَدْفُوْعٌ عَنْهُ الْاَذٰى» هذا التركيب من الصفة الجارية على غيرمن هي له فإن قوله مدفوع وقع في اللفظ صفة لكل فانٍ و جارية عليه و هو في الحقيقة للأذى «مُتَوَلِّي» بلطف الله تعالىٰ أي تولاه لطفه كما صرح به في كلامه، قَالَ الله عَزَّ وَ جَلَّ:

«اِنَّ وَلِيِّيَ الله الَّذِيْ نَزَّلَ الْكِتٰبَ وَ هُوَ» أي الله تعالىٰ «يَتَوَلَّى الصّٰلِحِيْنَ».

اَلْمَقَالَةُ الثَّانِيَةُ وَ الْخَمْسُوْنَ

في بَيَانِ سَبَبِ اِبْتِلَاءِ الله تَعَالٰى لِاَحْبَابِهٖ بِالْبَلَايَا

قَالَ رَضِيَ الله تَعَالٰى عَنْهُ: اِنَّمَا يَبْتَلِى الله طَائِفَةً مِّنَ الْمُؤْمِنِيْنَ وَالْاَحْبَاب مِنْ اَهْلِ الْوِلَايَةِ وَالْمَعْرِفَةِ لِيَرُدَّهُمْ بِالْبَلَاءِ إِلى السُّؤَالِ فيحِبُّ سُؤَالَهُمْ فَاِذَا سَاَلُوا يُجِبُّ اِجَابَتَهُمْ لِيُعْطِىَ الْكَرَمَ وَالْجُوْدَ حَقَّهُمَا، لِاَنَّهُمَا يُطَالِبَانِهٖ عَزَّ وَ جَلَّ عِنْدَ سُؤَالِ الْمُؤمِنِ بِالْاِجَابَةِ، وَ قَدْ يَحْصُلُ الْاِجَابَةُ وَ لَمْ يَحْصِلِ التَّقْدُ وَالنِّقَادُ لِتَعْوِيْقِ الْقَدْرِ لَا عَلٰى وَجْهِ عَدْمِ الْاِجَابَةِ وَالْحِرْمَانِ، فَلْيَتَاَدَّبِ الْعَبْدُ الْمُبْتَلٰى عِنْدَ نُزُوْلِ الْبَلَاءِ وَ لْيفْتِشْ عَنْ ذُنُوْبِهٖ فِي تَرْكِ الْاَوَامِرِ وَ اِرْتِكَابِ الْمَنَاهِي مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَ مَا بَطَنَ. وَ الْمُنَازَعَةِ فِي الْقَدْرِ اِذِ الْغَالِبُ عَلَيْهِ اِنَّمَا يُبْتَلٰى لِذٰلِكَ مُقَابَلَةً فَاِنِ انْكَشَفَ الْبَلَاءُ وَ اِلَّا فَلْيُخْلِدْ إِلى الدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ وَالْاِعْتِذَارِ فيدِيْمُ بِالسُّوَالِ لِجَوَازِ اَنْ يَكُوْنَ اِبْتِلَاءُهٗ لِيَسْاَلَهٗ لَا يَتَّهِمُهٗ لِتَاخِيْرِ الْاِجَابَةِ كَمَا بَيَّنَّا.

«قَالَ رَضِيَ الله تَعَالٰى عَنْهُ: وَ اِنَّمَا يَبْتَلِي الله» تعالٰى «طَائِفَةً مِّنَ الْمُؤْمِنِيْنَ وَالْاَحْبَاب مِنْ اَهْلِ الْوِلَايَةِ وَالْمَعْرِفَةِ» والتوكل والتسليم الذين اكتفوا بعلمه عن سؤاله «لِيَرُدَّهُمْ بِالْبَلَاءِ إِلى السُّؤَالِ» في كشف ذلك البلاء من الله تعالٰى «فيحِبُّ سُؤَالَهُمْ» فيضطرهم في البلاء حتى يسألوا «فَاِذَا سَاَلُوا» الله تعالٰى حاجتهم «يُجِبُّ» الله تعالٰى «اِجَابَتَهُمْ» لحاجتهم «لِيُعْطِيْ» الله تعالٰى «الْكَرَمَ وَالْجُوْدَ» الذين هما من صفاته «حَقَّهُمَا» فإن كل صفة الكمال في الله تعالٰى يقتضي ظهورها إذ لا يصح عليها التعطيل «لِاَنَّهُمَا» أي الكرم والجود «يُطَالِبَانِهٖ عَزَّ وَ جَلَّ عِنْدَ سُؤَالِ الْمُؤمِنِ» مطالبة ذاتية «بِالْاِجَابَةِ» و قضاء الحاجة و إنجاح المطلوب و إعطاء

المرغوب «وَ قَدْ يَحْصُلُ الْاِجَابَةُ وَ لَمْ يحْصلِ النَّقْدُ وَالنِّقَادُ» كلاهما مصدران بمعنى المفعول أي حصل الإجابة من جانب الله تعالىٰ و لم يحصل المسئول «لِتَعْوِيْقِ الْقَدْرِ» أي منعها عن حصول المطلوب فورا فإن الله تعالىٰ جعل لكل شيء اجلا لا يمكن تغييرها و تبديلها تقديما و تأخيرا «لَا عَلٰى وَجْهِ عَدْمِ الْاِجَابَةِ وَالْحِرْمَانِ» والصد عن السؤال «فَلْيَتَادَّبِ الْعَبْدُ الْمُبْتَلٰى عِنْدَ نُزُوْلِ الْبَلَاءِ وَ لْيُفْتِشْ» أيها المبتلى «عَنْ ذُنُوْبِهٖ» الصادرة منك «فِي تَرْكِ الْاَوَامِرِ وَ اِرْتِكَابِ الْمَنَاهِي» الشرعية «مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَ مَا بَطَنَ. وَ» عن ذنوبه تعالىٰ في «الْمُنَازَعَةِ فِي الْقَدْرِ اِذِ الْغَالِبُ» الأكثر «عَلَيْهِ» أي على العبد أنه «اِنَّمَا يُبْتَلٰى لِذٰلِكَ» أي لأجل ترك الأوامر و ارتكاب المناهي أو المنازعة في القدر «مُقَابَلَةً» أي جزاء لأعماله السوء «فَاِنِ انْكَشَفَ الْبَلَاءُ» من ذلك العبد المبتلى فهوالمطلوب والمراد «وَ اِلَّا» أي وإن لم ينكشف «فَلْيُخْلِدْ» أي فليستمر «إِلَى الدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ وَالْاِعْتِذَارِ» عما سلف من الذنوب «فيدِيْمُ بِالسُّؤالِ» من الله تعالىٰ في كشف ما به من الضر والابتلاء «لِجَوَازِ اَنْ يَكُوْنَ اِبْتِلَاءُهٗ لِيَسْاَلَهٗ» فإن الله تعالىٰ يؤخر حوائج كثيرة من عباده لأجل أنه تعالىٰ يحب سؤاله و يعجبه تضرعه، به نطق الحديث «لَا يَتَّهِمُهُ» أي الرب تعالىٰ «لِتَأْخِيْرِ الْاِجَابَةِ» و عدم انجاحها في الحال، فإنه تعالىٰ ما أخر قضاء حاجته لعدم الإجابة والقبول بل إما لأجل تعويق القدر و عدم حصول وقته و إما لأن الله تعالىٰ يحب سؤاله «كَمَا بَيَّنَّا».

اَلْمَقَالَةُ الثَّالِثَةُ وَالْخَمْسُوْنَ

في الرِّضَا بِالْقَضَا وَالْفَنَاءِ في فِعْلِ الْمَوْلٰى

قَالَ رَضِيَ اللهُ تَعَالٰى عَنْهُ: اُطْلُبُوْا مِنَ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ الرِّضَا بِالْقَضَاءِ اَوِ الْفَنَاءَ فِي فِعْلِ الْمَوْلٰى؛ لِاَنَّهٗ هُوَ الرَّاحَةُ الْكُبْرٰى وَ هُوَ الْجَنَّةُ الْعَالِيَةُ الْمُنْفَرِدَةُ فِي الدُّنْيَا، وَ هُوَ عِلَّةُ مَحَبَّةِ اللهِ لِعَبْدِهِ الْمؤمِنِ فَمَنْ اَحَبَّهُ اللهُ لَمْ يُعَذِّبْهُ فِي الدُّنْيَا وَ لَا فِي الْاٰخِرَةِ فيهِ اللُّحوْقُ بِاللهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَالْوُصُوْلُ اِلَيْهِ وَالْاُنْسُ بِهٖ، وَ لَا تَشْتَغِلُوْا بِطَلَبِ الْحُظُوْظِ وَ اَقْسَامٍ لَمْ تُقْسَمْ اَوْ قُسِمَتْ، فَاِنْ كَانت لَمْ تُقْسَمْ فَالْاِشْتِغَالُ بِطَلَبِهَا حُمْقٌ وَ رُعُوْنَةٌ وَ جَهْلٌ وَ هُوَ اَشَدُّ الْعُقُوْبَاتِ كَمَا قِيْلَ: مِنْ اَشَدِّ الْعُقُوْبَاتِ طَلَبُ مَا لَمْ يُقْسَمْ، وَ اِنْ كَانت مَقْسُوْمَةً فَفِي الْاِشْتِغَالِ بِهَا شَرْهٌ وَ حِرْصٌ وَ شِرْكٌ فِي بَابِ الْعُبُوْدِيَّةِ وَالْمَحَبَّةِ وَالْحَقِيْقَةِ؛ لِاَنَّ الْاِشْتِغَالَ بِغَيْرِ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ شِرْكٌ، وَ طَالِبُ الْحَظِّ لَيْسَ بِصَادِقٍ فِي مَحَبَّتِهٖ مَعَ اللهِ تَعَالٰى وَ وِلَايَتِهٖ فَمَنِ اخْتَارَ مَعَ اللهِ تَعَالٰى غَيْرَهٗ فَهُوَ كَذَّابٌ وَ طَالِبُ الْعِوَضِ عَلٰى عَمَلِهٖ غَيْرُ مُخْلِصٍ، وَ اِنَّمَا الْمُخْلِصُ مَنْ عَبَدَاللهَ تعالى لِيُعْطَى الرَّبُوْبِيَّة حَقَّهَا لِلْمَالِكِيَّةِ وَالْحَقِيْقَةِ لِاَنَّ الْحَقَّ عَزَّ وَ جَلَّ يَمْلِكُهٗ وَ يَسْتَحِقُّ عَلَيْهِ الْعَمَلَ وَالطَّاعَةَ لَهٗ اِذْ جَمِيْعُهٗ لَهٗ بِحَرَكَاتِهٖ وَ سَكَنَاتِهٖ وَ سَائِرِ اِكْتِسَابِهٖ وَالْعَبْدُ وَ مَا مَلَكَ لِمَوْلَاهُ وَ قَدْ بَيَّنَّا فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ اِنَّ الْعِبَادَاتِ بِأَسْرِهَا نِعْمَةٌ مِّنَ اللهِ تَعَالٰى وَ فَضْلٌ مِّنْهُ اِذْ وَفَّقَهٗ لَهَا وَ اَقْدَرَهٗ عَلَيْهَا فَاشْتِغَالُهٗ بِالشُّكْرِ لِرَبِّهٖ خَيْرٌ وَ اَوْلٰى مِنْ طَلَبِهٖ مِنْهُ الْاَعْوَاضَ وَالْجَزَاءَ عَلَيْهَا

«قَالَ رَضِيَ اللهُ تَعَالٰى عَنْهُ: اُطْلُبُوْا» أيّها الطلاب «مِنَ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ الرِّضَا

بِالْقَضَاء» إن كنتم في بداء السلوك فإن الرضا بقضاء الله تعالىٰ واجب في الشريعة «اَوِ» اطلبوا من الله تعالىٰ «الْفَنَاءَ فِي فِعْلِ الْمَوْلىٰ» إن كنتم في وسط السلوك و لم يذكر حال النهاية، لأن تمام السلوك إنما يحصل بعد الفناء ذاتا و صفةً و حِيْنَئِذٍ فلا طلب هناك، و كلمة أو لمنع الخلو فالمعنى: لا يكون طلبكم أيها الطلاب خاليا من هذين الأمرين و أما الجمع فلا منع منه. و إنما أمروا بطلب هذين الأمرين أو الأخير «لِاَنَّهٗ» أي طبلهما أو طلب الأخير «هُوَ الرَّاحَةُ الْكُبْرٰى وَ هُوَ الْجَنَّةُ الْعَالِيَةُ الْمُنْفَرِدَةُ» عن سائر الجنات الحاصلة «فِي الدُّنْيَا وَ هُوَ عِلَّةُ مَحَبَّةِ الله تعالىٰ لِعَبْدِهِ المؤْمِنِ» و محبة الله تعالىٰ هو المطلب الأعلىٰ «فَمَنْ اَحَبَّهُ الله تعالىٰ لَمْ يُعَذِّبْهُ فِي الدُّنْيَا» لا بمعنى لا يوصله المحن والشدائد إذ هي موكلة بهم كما نطق به الحديث بل بمعنى تألم القلب بحيث يشتكي من الله تعالىٰ إلى غيره، فإن العذاب هو العذاب و أما تألم الجسد فهو واقع كثير بل هو من لوازم المحبة فإن المحبة والمحنة تَوأَمَان «وَ لَا فِي الْاٰخِرَةِ» هو بمعنى العموم فإن الله تعالىٰ لا يعذب من أحبه في الآخرة بشيء من العذاب لا قلبياو لا قالبيا، وكيف لا يؤمر الطلاب بطلب الفناء فإن «فيهِ» أي في الفناء في فعل المولىٰ «اللُّحُوْقُ بِالله عَزَّ وَ جَلَّ» بمعنى قربه و حضوره بالقلب «وَالْوُصُوْلُ اِلَيْهِ وَالْاُنُس بِهٖ» بقطع النظر عن غيره مطلقا «وَ لَا تَشْتَغِلُوْا» أيها الطلاب «بِطَلَبِ الْحُظُوْظِ» النفسانية «وَ» لا بطلب «اَقْسَامٍ لَمْ تُقْسَمْ» لكم في سابقة علم الله «اَوْ» لا يطلب أقسام «قُسِمَتْ» لكم في علم الله تعالىٰ «فَاِنْ كَانت» الأقسام التي طلبتم من أقسام «لَمْ تُقْسَمْ فَالْاِشْتِغَالُ بِطَلَبِهَا حُمْقٌ وَ رُعُوْنَةٌ» كلاهما بمعنى واحد «وَ جَهْلٌ» لأنه لا يتحقق في الوجود إلا ما سبق في العلم وجوده «وَ هُوَ اَشَدُّ الْعُقُوْبَاتِ كَمَا قِيْلَ: مِنْ اَشَدِّ الْعُقُوْبَاتِ طَلَبُ مَا لَمْ يُقْسَمْ» في علم الله للطالب «وَ اِنْ كَانت» الأقسام التي طلبتموها «مَقْسُوْمَةً» لكم في علم الله تعالىٰ «فَفي الْاِشْتِغَالِ بِهَا شَرْهٌ وَ حِرْصٌ» كلاهما بمعنى «وَ شِرْكٌ فِي بَابِ الْعُبُوْدِيَّةِ وَالْمَحَبَّةِ وَالْحَقِيْقَةِ» لأن حق جميع هذه الأوصاف يقتضي التسليم و عدم التوجه إلى الغير «لِاَنَّ الْاِشْتِغَالَ بِغَيْرِ الله عَزَّ وَ جَلَّ شِرْكٌ وَ طَالِبُ الْحَظِّ لَيْسَ

بِصَادِقٍ فِي مَحَبَّتِهٖ مَعَ اللهِ تَعَالٰى وَ وِلَايَتِهٖ» معه «فَمَنِ اخْتَارَ مَعَ اللهِ تَعَالٰى غَيْرَهٗ» أي غير كان والدا كان أو زوجة أو دنيا أو غير ذلك حتى النفس والهوى «فَهُوَ كَذَّابٌ» في دعوى المحبة والإخلاص «وَ طَالِبُ الْعِوَضِ عَلٰى عَمَلِهٖ غَيْرُ مُخْلِصٍ وَ اِنَّمَا الْمُخْلِصُ مَنْ عَبَدَاللهَ تعالٰى لِيُعْطَى الرَّبُوْبِيَّةَ» الثابتة له تعالٰى «حَقَّهَا» و حق العبودية الثابتة للعبد المخلص تَعْبُدُهٗ عَزَّ وَ جَلَّ «لِلْمَالِكِيَّةِ» الثابتة له عليك «وَالْحَقِيقَةِ» الثابتة له عليك «لِاَنَّ الْحَقَّ عَزَّ وَ جَلَّ يَمْلِكُهٗ» أي العابد خلقا و مِلكا «وَ يَسْتَحِقُّ عَلَيْهِ الْعَمَلَ وَالطَّاعَةَ لَهٗ اِذْ جَمِيْعُهٗ» أي جميع العابد بوجود ذاته و قُوَاه «لَهٗ» تعالٰى «بِحَرَكَاتِهٖ وَ سَكَنَاتِهٖ وَ سَائِرِ اِكْتِسَابِهٖ» و كيف لا يكون له ذلك «وَالْعَبْدُ وَ مَا مَلَكَ» العبد «لِمَوْلَاهُ» وكيف لا يكون كذلك «وَ قَدْ بَيَّنَّا فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ» يعني مواضع متعددة متكثرة «اِنَّ الْعِبَادَاتِ بِأَسْرِهَا نِعْمَةٌ مِّنَ اللهِ تَعَالٰى» على عبده حاصلة بتوفيقه «وَ فَضْلٌ مِّنْهُ» تعالٰى على عبده «اِذْ وَفَّقَهٗ لَهَا وَ اَقْدَرَهٗ عَلَيْهَا فَاشْتِغَالُهٗ» أي العبد «بِالشُّكْرِ لِرَبِّهٖ خَيْرٌ وَ اَوْلٰى» للعبد «مِنْ طَلَبِهٖ» أي العبد «مِنْهُ» أي الرب «عَزَّ وَ جَلَّ الْاَعْوَاضَ» جمع عوض «وَالْجَزَاءَ عَلَيْهَا» أي الأعمال والعبادات، فإنّ العبد بذلك الطلب يكون أجيرا فيفوته الإخلاص.

ثُمَّ كَيْفَ تَشْتَغِلُ بِطَلَبِ الْحُظُوْظِ وَ قَدْ تَرٰى خَلْقًا كَثِيْرًا كُلَّمَا كَثُرَتِ الْحُظُوْظُ عِنْدَهُمْ وَ تَوَاتَرَتْ وَ تَتَابَعَتِ اللَّذَّاتُ وَالنِّعَمُ وَالْاَقْسَامُ اِلَيْهِمْ زَادَ سَخَطُهُمْ عَلٰى رَبِّهِمْ وَ تَضَجُّرُهُمْ وَ كُفْرُهُمْ بِالنِّعَمِ وَ كَثُرَتْ هُمُوْمُهُمْ وَ غُمُوْمُهُمْ وَ فَقْرُهُمْ اِلٰى اَقْسَامٍ لَمْ تُقْسَمْ لَهُمْ غَيْرَ مَا عِنْدَهُمْ وَ حَقَرَتْ وَ قَبُحَتْ اَقْسَامُهُمْ عِنْدَهُمْ وَ عَظُمَتْ وَ حَسُنَتْ اَقْسَامُ غَيْرِهِمْ فِي قُلُوْبِهِمْ وَ اَعْيُنِهِمْ فَشَرَعُوْا فِي طَلَبِهَا وَ هِيَ غَيْرُ مَقْسُوْمَةٍ لَهُمْ فَذَهَبَتْ اَعْمَارُهُمْ وَانْحَلَّتْ قُوَاهُمْ وَ كَبُرَتْ سِنِيْنُهُمْ وَ فَنِيَتْ اَمْوَالُهُمْ وَ تَعِبَتْ اَجْسَادُهُمْ وَ عَرِقَتْ جِبَاهُهُمْ وَاسْوَدَّتْ صَحَائِفُهُمْ بِكَثْرِ اٰثَامِهِمْ وَ اِرْتِكَابِ عَظَائِمِ الذُّنُوْبِ فِي طَلَبِهَا وَ تَرْكِ

اَوَامِرِ رَبِّهِمْ فَلَمْ يَنَالُوْهَا وَ خَرَجُوْا مِنَ الدُّنْيَا مَفَالِيْس لَا اِلٰى هٰؤلَاءِ وَ لَا اِلٰى هٰؤلَاءِ، لَا شَكَرُوْا رَبَّهُمْ فِيمَا قَسَمَ لَهُمْ مِنْ اَقْسَامِهِمْ فَاسْتَعَانُوْا بِهَا عَلٰى طَاعَتِهٖ وَ لَا نَالُوْا مَا طَلَبُوْا مِنْ اَقْسَامِ غَيْرِهِمْ بَلْ ضَيَّعُوْا دُنْيَاهُمْ وَ اٰخِرَتَهُمْ فَهُمْ اَشَرُّ الْخَلِيْقَةِ وَ اَجْهَلُهُمْ وَ اَحْمَقُهُمْ وَ اَخَسُّهُمْ عُقُوْلًا وَ بَصِيْرَةً.

وَ لَوْ اَنَّهُمْ رَضُوْا بِالْقَضَاءِ وَ قَنَعُوْا بِالْعَطَاءِ وَ اَحْسَنُوْا طَاعَةَ الْمَوْلٰى لَأَ تَتْهُمْ اَقْسَامُهُمْ مِنَ الدُّنْيَا مِنْ غَيْرِ تَعْبٍ وَ لَا عناءٍ ثُمَّ نُقِلُوْا اِلٰى جَوَارِ الْعُلِي الْاَعْلٰى فَوَجَدُوْا عِنْدَهٗ كُلَّ مُرَادٍ وَ مُنًى.

جَعَلَنَا اللهُ وَ اِيَّاكُمْ مِمَّنْ رَضِيَ بِالْقَضَاءِ وَ جَعَلَ سُؤَالَهٗ ذٰلِكَ وَالْفَنَاء وَ حِفْظَ الْحَالِ وَالتَّوْفِيقَ لِمَا يُحِبُّهٗ وَ يَرْضَاهُ.

«ثُمَّ كَيْفَ تَشْتَغِلُ بِطَلَبِ الْحُظُوْظِ وَ قَدْ تَرٰى خَلْقًا كَثِيْرًا» جملة حالية أي والحال أنك ترى خلقا كثيرا بهذه الصفة «كُلَّمَا كَثُرَتِ الْحُظُوْظُ عِنْدَهُمْ وَ تَوَاتَرَتْ وَ تَتَابَعَتِ اللَّذَّاتُ وَالنِّعَمُ وَالْاَقْسَامُ اِلَيْهِمْ زَادَ سَخَطُهُمْ عَلٰى رَبِّهِمْ وَ تَضَجُّرُهُمْ» التضجر ضيق القلب «وَ كُفْرُهُمْ بِالنِّعَمِ» لما أنهم طالبون لمزيد من ذلك لحرصهم على الزيادة و عدم وصول مقتضى الحرص يزيدهم سخطا و تضجرًا و كفرانًا للنعم «وَ كَثُرَتْ هُمُوْمُهُمْ وَ غُمُوْمُهُمْ وَ فَقْرُهُمْ» أي احتياجهم «اِلٰى اَقْسَامٍ» أي نعم موصوفة بأنها «لَمْ تُقْسَمْ لَهُمْ» في الإرادة الأزلية، و موصوفة بأنها «غَيْرَ مَا عِنْدَهُمْ» أي غير نعم كائنة عندهم و حاصلة لهم «وَ حَقَرَتْ» معطوف على قوله: "زاد سخطهم" أي كلما كثرت الحظوظ عندهم حقرت و صغرت «وَ قَبُحَتْ اَقْسَامُهُمْ» الكائنة «عِنْدَهُمْ وَ عَظُمَتْ وَ حَسُنَتْ اَقْسَامُ غَيْرِهِمْ فِي قُلُوْبِهِمْ وَ اَعْيُنِهِمْ» فاشتاقوا إليها «فَشَرَعُوْا فِي طَلَبِهَا» بالتوجه إلى الله تعالى أو بالتوجه إلى الخلق و جمع الأسباب بالحيلة والحركة من عند أنفسهم «وَ هي» جملة حالية أي والحال أنها «غَيْرُ مَقْسُوْمَةٍ لَهُمْ» من جانب الله «فَذَهَبَتْ اَعْمَارُهُمْ وَانْحَلَّتْ قُوَاهُمْ

وَ كَبُرَتْ سِنِيْنُهُمْ» في هذا الحال «وَ فَنِيَتْ اَمْوَالُهُمْ وَ تَعِبَتْ اَجْسَادُهُمْ وَ عَرَقَتْ جِبَاهُهُمْ» في طلبها «وَاسْوَدَّتْ صَحَائِفُهُمْ» الأعمالية عند الله تعالى «بِكَثْرِ اٰثَامِهِمْ وَ اِرْتِكَابِ عَظَائِمِ الذُّنُوْبِ في طَلَبِهَا» برعاية الأسباب في تحصيلها «وَ تَرْكِ اَوَامِرِ رَبِّهِمْ» فإنه تعالى أمرهم بعدم التوجه إلى غيره «فَلَمْ يَنَالُوْهَا» أي تلك الأقسام «وَ خَرَجُوْا مِنَ الدُّنْيَا مَفَالِيْس» لا مال و لا طيب الخاطر و لا رضى المولى «لَا اِلٰى هٰؤلَاءِ وَ لَا اِلٰى هٰؤلَاءِ» بمعنى «لَا شَكَرُوْا رَبَّهُمْ فيمَا قَسَمَ لَهُمْ مِنْ اَقْسَامِهِمْ فَاسْتَعَانُوْا بِهَا عَلٰى طَاعَتِهٖ» و يحصل لهم الزيادة بذلك الشكر بمقتضى قوله:

﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيْدَنَّكُمْ﴾[إبراهيم: ١٤،الآية: ٧]

«وَ لَا نَالُوْا مَا طَلَبُوْا مِنْ اَقْسَامِ غَيْرِهِمْ بَلْ ضَيَّعُوْا دُنْيَاهُمْ وَ اٰخِرَتَهُمْ» في طلب ما ليس بمقسوم لهم «فَهُمْ اَشَرُّ الْخَلِيْقَةِ وَ اَجْهَلُهُمْ وَ اَحْمَقُهُمْ وَ اَخَسُّهُمْ عُقُوْلًا وَ بَصِيْرَةً» بتضييع النعم الحالية و بذل الحيوة النفيسة في طلب ما لا يحصل لهم أصلا بل يحصل بدله سخط الرب تعالى «وَ لَوْ اَنَّهُمْ رَضُوْا بِالْقَضَاءِ وَ قَنَعُوْا بِالْعَطَاءِ وَ اَحْسَنُوْا طَاعَةَ الْمَوْلٰى لَأَ تَتْهُمْ اَقْسَامُهُمْ مِنَ الدُّنْيَا مِنْ غَيْرِ تَعْبٍ وَ لَا عنَاءً» أي محنة و مشقة منهم «ثُمَّ نُقِلُوْا» بصيغة المجهول «اِلٰى جَوَارِ الْعُلي الْاَعْلٰى» سبحانه و تعالى «فَوَجَدُوْا عِنْدَهٗ تعالى كُلَّ مُرَادٍ وَ مُنًى» أي مطلوب إذ لم ينقلوا إلى ذلك الرتبة إلا بالقبول، والقبولية سبب لفيضان جميع المطالب و المقاصد «جَعَلَنَا الله» سبحانه «وَ اِيَّاكُمْ مِمَّنْ رَضِيَ بِالْقَضَاءِ وَ جَعَلَ سُؤَالَهٗ ذٰلِكَ» أي الرضا بالقضاء «وَالْفَنَاء» في فعل المولى «وَ حِفْظَ الْحَالِ» الفائض عليه من الله تعالى «وَالتَّوْفيقَ» من الله تعالى «لِمَا يُحِبُّهُ» الله تعالى «وَ يَرْضَاهُ» من الأعمال في الدنيا والآخرة.

اَلْمَقَالَةُ الرَّابِعَةُ وَالْخَمْسُوْنَ

فِي الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةِ

قَالَ رَضِيَ اللهُ تَعَالٰى عَنْهُ: مَنْ اَرَادَالْاٰخِرَةَ فَعَلَيْهِ بِالزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا، وَ مَنْ اَرَادَ اللهَ فَعَلَيْهِ بِالزُّهْدِ فِي الْاٰخِرَةِ، فيتْرُكُ دُنْيَاهُ لِاٰخِرَتِهٖ وَ اٰخِرَتَهٗ لِرَبِّهٖ، فَمَا دَامَ فِي قَلْبِهٖ شَهْوَةٌ مِنْ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا وَ لَذَّةٌ مِّنْ لَذَّاتِهَا اَوْ طَلَبُ رَاحَةٍ مِنْ رَاحَاتِهَا مِنْ سَائِرِ الْاَشْيَاءِ مِنْ مَاْكُوْلٍ وَ مَشْرُوْبٍ وَ مَلْبُوْسٍ وَ مَنْكُوْحٍ وَ مَسْكُوْنٍ وَ مَرْكُوْبٍ وَ وِلَايَةٍ وَ رِيَاسَةٍ وَ طَبَقَةٍ فِي عِلْمٍ مِنْ فُنُوْنِ الْعِلْمِ مِنَ الْفِقْهِ فَوْقَ الْعِبَادَاتِ الْخَمْسِ وَ مِنْ رِوَايَةِ الْحَدِيْثِ وَ قِرَاءَةِ الْقُرْاٰنِ بِرِوَايَاتٍ وَ مِنَ النَّحْوِ وَ اللُّغَةِ وَ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ وَ زَوَالِ الْفَقْرِ وَ وُجُوْدِ الْغِنٰى وَ ذَهَابِ الْبَلِيَّةِ وَ مَجِيْءِالْعَافِيَةِ، وَ فِي الْجُمْلَةِ اِنْكِشَافُ الضَّرَرِ وَ مَجِيْءُ النَّفْعِ فَلَيْسَ بِزَاهِدٍ حَقًّا؛ لِاَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْ هٰذِهِ الْاَشْيَاءِ فِيهِ لَذَّةُ النَّفْسِ وَ مُوَافَقَةُ الْهَوٰى وَ رَاحَةُ الطَّبْعِ وَ حُبٌّ لَّهٗ، وَ كُلُّ ذٰلِكَ مِنَ الدُّنْيَا وَ مِمَّا يُحِبُّ الْبَقَاءَ فيهَا وَ مِمَّا يَحْصُلُ بِهِ السُّكُوْنُ وَالطُّمَانِيَةُ اِلَيْهَا.

«قَالَ رَضِيَ اللهُ تَعَالٰى عَنْهُ: مَنْ اَرَادَالْاٰخِرَةَ» إرادة قلبية صادقة «فَعَلَيْهِ بِالزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا» بأن لا يميل إليها بقلبه «وَ مَنْ اَرَادَ اللهَ» تعالٰى و لقائه و رِضوانه و عِرفانه «فَعَلَيْهِ بِالزُّهْدِ فِي الْاٰخِرَةِ» فلا يميل إليها بالقلب فإن طلب المكوِّن خارج عن الكونين «فيتْرُكُ» الطالب «دُنْيَاهُ لِاٰخِرَتِهٖ، وَ» يترك «اٰخِرَتَهٗ لِرَبِّهٖ» تعالٰى «فَمَا دَامَ فِي قَلْبِهٖ شَهْوَةٌ مِنْ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا وَ لَذَّةٌ مِنْ لَذَّاتِهَا» بَدنيّا أو نفسيّا «اَوْ طَلَبُ رَاحَةٍ مِنْ رَاحَاتِهَا مِنْ سَائِرِ الْاَشْيَاءِ مِنْ مَاْكُوْلٍ» أي مأكول كان «وَ مَشْرُوْبٍ» أي مشروب كان «وَ مَلْبُوْسٍ» أي ملبوس كان «وَ مَنْكُوْحٍ وَ مَسْكُوْنٍ وَ مَرْكُوْبٍ وَ

وِلَايَةٍ وَ رِيَاسَةٍ» لإقْليم أو بلد أو قرية أو محلة «وَ طَبَقَةٍ» أي طلب درجة و مرتبة «فِي عِلْمٍ مِنْ فُنُوْنِ الْعِلْمِ مِنْ» علم «الْفِقْهِ فَوْقَ الْعِبَادَاتِ الْخَمْسِ» و هي العقيدة والصوم والصلوة والزكوة والحج كما في الحديث المتفق عليه:

بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله و أن محمدا عبده و رسوله، و إقام الصلوة، و إيتاء الزكوة، و الحج، و صوم رمضان.[1]

«وَ مِنْ رِوَايَةِ الْحَدِيْثِ وَ قِرَاءَةِ الْقُرْاٰنِ بِرِوَايَاتٍ» أي قراءات فإنها كلها ثابتة بروايات «وَ مِنْ» علم «النَّحْوِ وَ» علم «اللُّغَةِ وَ» علم «الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ» و هو علم المعاني والبيان والبديع «وَ» طلب «زَوَالِ الْفَقْرِ وَ وُجُوْدِ الْغِنٰى وَ ذَهَابِ الْبَلِيَّةِ وَ مَجِيْءِ الْعَافِيَةِ وَ فِي الْجُمْلَةِ» أي أقول في الجملة والإجمال مادام في قلب المريد طلب «اِنْكِشَافِ الضَّرَرِ وَ» طلب «مَجِيْءِ النَّفْعِ فَلَيْسَ» ذلك المريد «بِزَاهِدٍ حَقًّا» أي في الحقيقة و إن كان زاهدا شرعا و عرفا «لِاَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْ هٰذِهِ الْاَشْيَاءِ» المنهية طلبها «فِيْهِ لَذَّةُ النَّفْسِ وَ مُوَافَقَةُ الْهَوٰى وَ رَاحَةُ الطَّبْعِ وَ حُبٌّ لَّهٗ وَ كُلُّ ذٰلِكَ» المذكور من الأشياء «مِنَ الدُّنْيَا وَ مِمَّا يُحِبُّ» المريد «الْبَقَاءَ» بسببه «فِيهَا» أي في الدنيا «وَ مِمَّا يَحْصُلُ بِهٖ» أي بسببه «السُّكُوْنُ وَالطَّمَانِيَةُ اِلَيْهَا» أي إلى الدنيا.

فَيَنْبَغِيْ اَنْ يُجَاهِدَ فِي اِخْرَاجِ جَمِيْعِ ذٰلِكَ عَنِ الْقَلْبِ، وَ يَاْخُذُ نَفْسَهٗ بِاِزَالَةِ ذٰلِكَ وَ قَلْعِهٖ وَالرِّضَا بِالْعَدَمِ وَالْاِفْلَاسِ وَالْفَقْرِ الدَّائِمِ فَلَا يَبْقٰى فِي قَلْبِهٖ مِنْ ذٰلِكَ مِقْدَارُ مَصِّ نَوَاةٍ لِيَخْلُصَ زُهْدُهٗ فِي الدُّنْيَا، فَاِذَا تَمَّ لَهٗ ذٰلِكَ زَالَتِ الْهُمُوْمُ وَالْاَحْزَانُ مِنَ الْقَلْبِ وَالْكَرْبُ عَنِ الْاَحْشَاءِ، وَ جَاءَتِ الرَّاحَاتُ وَالطِّيْبُ وَالْاُنْسُ بِاللهِ عَزَّ وَ جَلَّ،كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ:

"اَلزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا يُرِيْحُ الْقَلْبَ وَالْجَسَدَ".

فَمَا دَامَ فِي قَلْبِهٖ شيء مِّنْ ذٰلِكَ فَالْهُمُوْمُ وَالْغُمُوْمُ وَالْخَوْفُ

(1) أخرجة البخارى في صحيحه برقم:٨، كتاب الإيمان ومسلم في صحيحه برقم:١٦. كتاب الإيمان

وَالْوَجَلُ قَائِمٌ فِي الْقَلْبِ وَالْخِذْلَانُ لَازِمٌ لَهُ، وَالْحِجَابُ عَنِ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ عَنْ قُرْبِهٖ مُتَكَاثِفٌ وَ مُتَرَاكِمٌ فَلَا يَنْكَشِفُ جَمِيْعُ ذٰلِكَ اِلَّا بِزَوَالِ حُبِّ الدُّنْيَا عَنِ الْقَلْبِ عَلَى الْكَمَالِ وَ قَطْعِ الْعَلَائِقِ بِأَسْرِهَا.

فإذا أراد المريد تحقق حصول الزهد له «فينْبَغِيْ اَنْ يُجَاهِدَ فِي اِخْرَاجِ جَمِيْعِ ذٰلِكَ» المذكور من الأمور المعدودة في الدنيا «عَنِ الْقَلْبِ وَ يَاْخُذُ نَفْسَهٗ بِاِزَالَةِ ذٰلِكَ وَ قَلْعِهٖ» عن القلب «وَالرِّضَا» أي ينبغي أن يجاهد في الرضا أي في تحصيل الرضا «بِالْعَدَمِ» أي عدم هذه الأمور «وَالْاِفْلَاسِ» عن هذه الأمور «وَالْفَقْرِ الدَّائِمِ» إلى الله تعالىٰ. فإذا حصل للمريد هذه المرتبة «فَلَا يَبْقيٰ فِي قَلْبِهٖ مِنْ ذٰلِكَ» المذكور من الأمور الدنيوية «مِقْدَارُ مَصِّ نَوَاةٍ» مثل في القلة كجَنَاح بَعُوْضَةٍ.و إنما كان ينبغي له المجاهدة «لِيَخْلُصَ زُهْدُهٗ فِي الدُّنْيَا فَاِذَا تَمَّ لَهٗ» أي للمريد «ذٰلِكَ» أي إخراج جميع المذكورات من القلب «زَالَتِ الْهُمُوْمُ وَالْاَحْزَانُ مِنَ الْقَلْبِ وَالْكَرْبُ عَنِ الْاَحْشَاءِ» لفراغ القلب عن جميع ذلك «وَ جَاءَتِ الرَّاحَاتُ وَالطِّيْبُ وَالْاُنْسُ بِاللهِ عَزَّ وَ جَلَّ،كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ:»

اَلزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا يُرِيْحُ الْقَلْبَ وَالْجَسَدَ.[1]

«فَمَا دَامَ فِي قَلْبِهٖ شيء مِّنْ ذٰلِكَ» المذكور من الأمور الدنيوية «فَالْهُمُوْمُ وَالْغُمُوْمُ وَالْخَوْفُ وَالْوَجَلُ قَائِمٌ فِي الْقَلْبِ» إما لأجل تحصيلها و حصولها و إما لزوالها و زوال أسبابها «وَالْخِذْلَانُ لَازِمٌ لَهٗ» لأنه يحتاج في تحصيله إياها إلى تواضع أشخاص من بني نوعه وتحمل ذل و أذى منهم «وَالْحِجَابُ عَنِ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ عَنْ قُرْبِهٖ مُتَكَاثِفٌ» لا يمكن رفعها «وَ مُتَرَاكِمٌ» لا يمكن كشفها «فَلَا يَنْكَشِفُ جَمِيْعُ ذٰلِكَ» من الهموم والغموم والخوف والوجل والخذلان «اِلَّا بِزَوَالِ حُبِّ الدُّنْيَا عَنِ الْقَلْبِ عَلٰى» وجه «الْكَمَالِ» بحيث لا يبقى شائبة ذلك فيه «وَ قَطْعِ الْعَلَائِقِ بِأَسْرِهَا» فلا يبقى شيءٌ منها.

---

(1) أخرجه الطبراني في الأوسط والبيهقي في شعب الإيمان: ٩٨٣٧

ثُمَّ يَزْهَدُ فِي الْاٰخِرَةِ فَلَا يَطْلُبُ الدَّرَجَاتِ وَالْمَنَازِلَ الْعَالِيَاتِ وَ لَا الْحُوْرَ وَالْقُصُوْرَ وَالْوِلْدَانَ وَالدُّوْرَ وَالْبَسَاتِيْنِ وَ لَا الْمَرَاكِبَ وَالْحُلَلَ وَالْحُلِيَّ وَ الْمَاٰكِلَ وَالْمَشَارِبَ وَ غَيْرَ ذٰلِكَ مِمَّا اَعَدَّهُ اللهُ تَعَالٰى لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِيْنَ، فَلَا يَطْلُبُ عَلٰى عَمَلِهٖ جَزَاءً وَ اَجْرًا مِنَ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ اَلْبَتَّةَ دُنْيَا وَ لَا فِي الْاٰخِرَةِ فَحِيْنَئِذٍ يَجِدُ اللهَ عَزَّ وَ جَلَّ فيوَفيهِ اللهُ حِسَابَهٗ تَفَضُّلًا مِنْهُ وَ رَحْمَةً فيقَرِّبُهٗ مِنْهُ وَ يُدْنِيْهِ وَ يَلْطُفُ بِهٖ وَ يَتَعَرَّفُ اِلَيْهِ بِاَنْوَاعِ اَلْطَافِهٖ وَ بِرِّهٖ كَمَا هُوَ دَابُهٗ عَزَّ وَ جَلَّ مَعَ رُسُلِهٖ وَ اَنْبِيَائِهٖ وَ مع اَوْلِيَائِهٖ وَ خَوَاصِّهٖ وَ اَحِبَّائِهٖ اُولِى الْعِلْمِ بِهٖ عَزَّ وَ جَلَّ فيكُوْنُ الْعَبْدُ كُلَّ يَوْمٍ فِي مَزِيْدٍ مِنْ اَمْرِهٖ مُدَّةَ حَيَاتِهٖ. ثُمَّ يُنْقَلُ اِلٰى دَارِ الْاٰخِرَةِ اِلٰى مَا لَا عَيْنٌ رَاَتْ وَ لَا اُذُنٌ سَمِعَتْ وَ لَا خَطَرَ عَلٰى قَلْبِ بَشَرٍ مِمَّا يُضِيْقُ عَنْهُ الْاَفْهَامُ وَ تَعْجِزُ عَنْهُ الْعِبَارَاتِ.

فإذا تحقق ما ذکرنا تحقق الزهد في الدنیا «ثُمَّ» إن کان صاحب الهمة و یرید الترقي إلی ذروة الکمال لا یقنع بهذا بل بعد زهد في الدنیا «يَزْهَدُ فِي الْاٰخِرَةِ فَلَا يَطْلُبُ الدَّرَجَاتِ» العالیات «وَالْمَنَازِلَ الْعَالِيَاتِ وَ لَا الْحُوْرَ وَالْقُصُوْرَ وَالْوِلْدَان وَالدُّوْرَ» جمع دار و هي ما یشمل البیوت والحجرات «وَالْبَسَاتِيْنَ» جمع بستان و هي مجتمع الأشجار المتنوعة «وَ لَا الْمَرَاكِبَ وَالْحُلَلَ» من الحلي و الاستبرق والسندس الخضر «وَالْحُلِيَّ» من الذهب والفضة والجواهر والیواقیت. واللؤلؤ والمرجان «وَ» لا «الْمَاٰكِلَ وَالْمَشَارِبَ» من الفواکه و لحوم الطیور والعسل والماء البارد الحلو واللبن والخمر الملذ للشاربین لا فیها غول و لا هم عنها ینزفون «وَ غَيْرَ ذٰلِكَ» کما قال تعالٰی:

﴿وَ لَكُمْ فيهَا مَا تَشْتَهِيَ اَنْفُسُكُمْ وَ لَكُمْ فيهَا مَا تَدَّعُوْنَ﴾.[حم السجدة:٤١، الآیة:٣١]

«مِمَّا اَعَدَّهُ اللهُ تَعَالٰى لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِيْنَ» مما لا عین رأت و لا أذن سمعت و لا خطر

على قلب بشر كما نطق به الحديث الصحيح عن النبى الفصيح «فَلَا يَطْلُبُ عَلٰى عَمَلِهٖ جَزَاءً وَ اَجْرًا مِنَ الله عَزَّ وَ جَلَّ اَلْبَتَّةَ دُنْيًا» أي في الدنيا من الدنيا «وَ لَا» في «أخرىٰ» من الآخرة «فَحِيْنَئِذٍ» أي حين زهد في الدنيا و في الاٰخرة و قطع توجه القلب عن الكونين «يَجِدُ الله عَزَّ وَ جَلَّ» الَّذِيْ هو مكوِّن الأكوان مُعِزًّا له مكرما إياه متوليا لأموره متكفلا لمصالحه «فيوَفيهِ الله» تعالىٰ «حِسَابَهٗ» و يعطي بكل حسنة سبع مائة ضِعف بل أز يد منه «تَفَضُّلًا مِنْهُ» تعالى «وَ رَحْمَةً فيقَرِّبُهٗ مِنْهُ» تقر يبا عِنديّا «وَ يُدْنِيْهِ» إدناء ربّيّا «وَ يَلْطُفُ بِهٖ» لُطفا ر بانيا «وَ يَتَعَرَّفُ نَفْسَه» ذاته مع ما لها من صفات الكمال و نعوت الجلال «اِلَيْهِ» إلى ذلك الزاهد «بِأَنْوَاعِ اَلْطَافِهٖ وَ بِرِّهٖ» و إحسانه «كَمَا هُوَ دَابُهٗ» أي عادته «عَزَّ وَ جَلَّ مَعَ رُسُلِهٖ وَ اَنْبِيَائِهٖ» عليهم صلوته وسلامه «وَ مع اَوْلِيَائِهٖ وَ خَوَاصِّهٖ وَ اَحِبَّائِهٖ اُولِى الْعِلْمِ» والمعرفة «بِهٖ عَزَّ وَ جَلَّ» قدس الله أسرارهم «فيكُوْنُ الْعَبْدُ» الزاهد في الدنيا والاٰخرة «كُلَّ يَوْمٍ» من الله تعالىٰ «فِي مَزِيْدٍ مِنْ اَمْرِهٖ» في الألطاف والإحسان «مُدَّةَ حَيَاتِهٖ» فيكون كائنا في الخلق بائنا منهم و يكون في حضور الحق مشاهدا إياه بالقلب فانيا فيه با قيا به محفوظا عن جميع المكاره «ثُمَّ يُنْقَلُ» ذلك العبد الزاهد «اِلٰى دَارِالْاٰخِرَةِ اِلٰى مَا لَا عَيْنٌ رَاَتْ وَ لَا اُذُنٌ سَمِعَتْ وَ لَا خَطَرَ عَلٰى قَلْبِ بَشَرٍ مِّمَّا يُضِيْقُ عَنْهُ الْاَفْهَامُ وَ تَعْجِزُ عَنْهُ الْعِبَارَاتِ» اللّٰهم اجعلنا من المنقطعين إليك عما سواك.

اَلْمَقَالَةُ الْخَامِسَةُ وَالْخَمْسُوْنَ

فِي تَرْكِ الْحُظُوْظِ

قَالَ رَضِيَ اللهُ تَعَالٰى عَنْهُ: تَرْكُ الْحُظُوْظِ ثَلٰث مَرَّاتٍ:-

اَلْاُوْلٰى: بِاَنْ يَكُوْنَ الْعَبْدُ مَارًّا فِي عَشْوَاهُ فِي جَمِيْعِ اَحْوَالِهٖ مِنْ غَيْرِ تَعَبُّدٍ لِرَبِّهٖ وَ لَا زِمَامَ لَهٗ فِي الشَّرْعِ يَرُدُّهٗ وَ لَا حَدَّ مِنْ حُدُوْدٍ يَنْتَهِي اِلَيْهِ مِنْ حُكْمِهٖ فَبَيْنَمَا هُوَ عَلٰى ذٰلِكَ اِذْ يَنْظُرُ اللهُ تَعَالٰى اِلَيْهِ نَظْرًا بِعَيْنِ الرَّحْمَةِ فيبْعَثُ اِلَيْهِ وَاعِظًا مَنْ خَلْقِهٖ مِنْ عِبَادِهِ الصَّالِحِيْنَ فيثْنِيْهِ بِوَاعِظٍ مِنْ نَفْسِهٖ فيتَظَافَرُ الْوَاعِظَانِ عَلٰى نَفْسِهٖ وَ طَبْعِهٖ فَتَعْمَلُ الْمَوْعِظَةُ عَمَلَهَا فيتَبَيَّنُ عِنْدَهَا عَيب مَا هي فيهِ مِنْ رَكُوْبِ مَطِيَّةِ الطَّبْعِ وَ الْمُخَالَفَةِ فَتَمِيْلُ حِيْنَئِذٍ اِلَى الشَّرْعِ فِي جَمِيْعِ تَصَرُّفَاتِهَا فيصِيْرُ الْعَبْدُ مُسْلِمًا قَائِمًا مَعَ الشَّرْعِ فَانِيًا عَنِ الطَّبْعِ، فيتْرُكُ حَرَامَ الدُّنْيَا وَ شُبْهَاتِهَا وَ مِنَنَ الْخَلْقِ، فيأْخُذُ مُبَاحَ الْحَقِّ عَزَّ وَ جَلَّ وَ حَلَالَ الشَّرْعِ فِي مَأْكَلِهٖ وَ مَشْرَبِهٖ وَ مَلْبَسِهٖ وَ مَنْكَحِهٖ وَ مَسْكَنِهٖ وَ جَمِيْعِ اَحْوَالِ مَا لَا بُدَّ مِنْهُ لِيَتَحَفَّظ الْبِنْيَةَ وَ يَتَقَوّٰى عَلٰى طَاعَةِ الرَّبِّ تَعَالٰى وَ لِيَسْتَوْفِي قِسْمَةَ الْمَقْسُوْمِ لَهُ الَّذِيْ لَا يَتَجَاوَزُهٗ وَ لَا سَبِيْلَ اِلَى الْخُرُوْجِ مِنَ الدُّنْيَا قَبْلَ تَنَاوُلِهٖ وَ قَبْلَ التَّلَبُّسِ بِهٖ وَ اِسْتِيْفَائِهٖ فيسِيْرُ عَلٰى مَطِيَّةِ الْمُبَاحِ وَ الْحَلَالِ بِالشَّرْعِ فِي جَمِيْعِ اَحْوَالِهٖ اِلٰى اَنْ يَنْتَهِي بِهٖ هٰذِهِ الْمَطِيَّةُ اِلٰى عَتَبَةِ الْوِلَايَةِ وَ الدُّخُوْلِ فِي زُمْرَةِ الْمُحَقِّقِيْنَ وَالْخَوَاصِّ اَهْلِ الْعَزِيْمَةِ مُرِيْدِى الْحَقِّ عَزَّ وَ جَلَّ فيأْكُلُ بِالْاَمْرِ فَحِيْنَئِذٍ يَسْمَعُ النِّدَاءَ مِنْ قِبَلِ الْحَقِّ عَزَّ وَ جَلَّ مِنْ بَاطِنِهٖ: اُتْرُكْ نَفْسَكَ وَ تَعَالِ، اُتْرُكِ الْحُظُوْظَ اِنْ اَرَدْتَّ الْخَالِقَ وَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ دُنْيَاكَ وَ اُخْرَاكَ، وَ تَجَرَّدْ عَنِ الْاَكْوَانِ وَالْمَوْجُوْدَاتِ وَ مَا

سَيُوْجَدُ وَ الْاَمَانِيْ بِأَسْرِهَا وَ تَعَرَّ عَنِ الجَمِيْعِ وَافْنِ عَنِ الْكُلِّ وَ تَطَيَّبْ بِالتَّوْحِيْدِ وَ تَرْكِ الشِّرْكِ وَ صِدْقِ الْإِرَادَةِ.

ثُمَّ ادْخُلْ وَطاءَ الْبِسَاطِ بِالْاَدَبِ مُطْرِقًا وَ لَا تَنْظُرْ يَمِيْنًا إِلَى الْاٰخِرَةِ وَ لَا شِمَالًا إِلَى الدُّنْيَا وَلَا إِلَى الخَلْقِ وَ لَا إِلَى الْحُظُوْظِ.

فَإِذَا دَخَلَ فِي هٰذَا الْمَقَامِ وَ تَحَقَّقَ لَهُ الْوُصُوْلُ جَاءَتْهُ الْخِلَعُ مِنْ قِبَلِ الْحَقِّ عَزَّ وَ جَلَّ وَ غَشِيَتْهُ اَنْوَارُ الْمَعَارِفِ وَ اَنْوَاعُ الْفَضْلِ، فيقَالُ لَهُ: تَلَبَّسْ بِالنِّعَمِ وَالْفَضْلِ وَ لَا تُسِيءِ الْاَدَبَ بِالرَّدِّ وَ تَرْكِ التَّلَبُّسِ، لِاَنَّ فِي رَدِّ نِعَمِ الْمَلِكِ اِفْتِيَاتًا عَلَى الْمَلِكِ وَ اِسْتِخْفَافًا لِحَضْرَتِهٖ فَحِ يَتَلَبَّسُ بِالْفَضْلِ وَالْقِسْمِ بِاللهِ مِنْ غَيْرِ اَنْ يَكُوْنَ هُوَ فيهِ وَ مِنْ قَبْلُ كَانَ الْعَبْدُ يَتَلَبَّسُ بِهَوَاهُ وَ نَفْسِهٖ وَ كُلَّمَا حَلَّ مَنْزِلًا تَغَيَّرَتْ حَالَتُهٗ فَلَهٗ اَرْبَعُ حَالَاتٍ فِي تَنَاوُلِ الْحُظُوْظِ وَالْاَقْسَامِ.

«قَالَ رَضِيَ اللهُ تَعَالٰى عَنْهُ تَرْكُ الْحُظُوْظِ ثَلث مَرَّاتٍ:» يعني أن بعض السالكين يعتري عليه حالات يتحقق منه باعتبارها ترك الحظوظ ثلث مرات. مرة حين الخروج من الجهالة إلى تعبد الشرع، و مرة حين الوصول إلى عتبة الولاية، و مرة حين الوصول إلى الغوثية والبدلية، و إن كان الترك الثالث غير مصرح كما ستعرف.

«اَلْاُوْلٰى:» أي المرة الأولى من الترك يتحقق «بِاَنْ يَكُوْنَ الْعَبْدُ مَارًّا فِي عَشْوَاهُ» أي حال جهله لأوامر الشرع و نواهيه والتعامي عنها من العشو، و هو ركوب الأمرعلى غير بيان كذا في القاموس «فِي جَمِيْعِ اَحْوَالِهٖ مِنْ غَيْرِ تَعَبُّدٍ لِرَبِّهٖ» و تذلل لأمره «وَ لَا زِمَامَ» أي لا تقيد «لَهٗ فِي الشَّرْعِ يَرُدُّهٗ» من تلك التصرف الطبعي «وَ لَا حَدَّ مِنْ حُدُوْدٍ يَنْتَهِي اِلَيْهِ مِنْ حُكْمِهٖ» أي ليس لحكم طبعه حد من الحدود ينتهي أمره إلى ذلك الحد فلا يمتنع عن أعماله و أفعاله لا بتعبد الرب تعالى، و لا بتقيد الشرع، و لا بالانتهاء إلى حد من حدود الطبع «فَبَيْنَمَا هُوَ» أي ذلك الشخص «عَلٰى ذٰلِكَ» الحال «اِذْ يَنْظُرُ اللهُ تَعَالٰى اِلَيْهِ» إلى ذلك الشخص «نَظْرًا

بِعَيْنِ الرَّحْمَةِ» واللطف والرأفة والعناية الكاملة «فيبْعَثُ اِلَيْهِ وَاعِظًا مَنْ خَلْقِهٖ مِنْ عِبَادِهِ الصَّالِحِيْنَ» فيعظه و يمنعه من تلك الأفعال الشنيعة والأعمال القبيحة وعظ أبٍ مشفق و مرشد ملطف «فيثْنِيْهِ» الله تعالىٰ «بِوَاعِظٍ مِنْ نَفْسِهٖ» أي يبعث الله تعالىٰ إلى ذلك الشخص مع ذلك الواعظ واعظا ثانيا من نفس ذلك العبد و هو عقله المغلوب أولا للقوة الشهو ية والغضبية يمنعه الاٰن بتائيد الله من ارتكاب القبائح «فيتَظَافَرُ الْوَاعِظَانِ عَلٰى نَفْسِهٖ» أي نفس ذلك العبد «وَ طَبْعِهٖ فَتَعْمَلُ الْمَوْعِظَةُ عَمَلَهَا» أي تؤثر الموعظة تأثيرها و نفعها و هوالامتناع عن مشتهيات النفس و مقتضيات الطبع «فيتَبَيَّنُ عِنْدَهَا» أي عند نفس ذلك الشخص «عَيْب مَا» أي الأمور التي «هي» أي نفسه «فيهِ مِنْ رَكُوْبِ مَطِيَّةِ الطَّبْعِ وَ» مركب «الْمُخَالَفَةِ» للشرع «فَتَمِيْلُ حِيْنَئِذٍ إلى الشَّرْعِ في جَمِيْعِ تَصَرُّفَاتِهَا» النفسية والمنزلية و ما يتعلق بهما «فيصِيْرُ الْعَبْدُ مُسْلِمًا» إما بصيغة اسم الفاعل فمعناه مسلِّما نفسَه و ما يلازمها من الأمور إلى الشرع، و إما بصيغة اسم المفعول فمعناه صحيحا سالما عن القبائح والمعاصي الشرعية بحفظ الله تعالىٰ «قَائِمًا مَعَ الشَّرْعِ» يأمر بأوامره و ينتهي بنواهيه «فَانِيًاعَنِ الطَّبْعِ» فلا يجده مزاحما للأمور الشرعية مخالفا لها «فيتْرُكُ حَرَامَ الدُّنْيا» أي الدنيا المحرمة فهو من قبيل إضافة الصفة إلى الموصوف كأخلاق ثياب، أو ما هو حرام في الدنيا فالإضافة لأدنى ملابسة «وَ شُبْهَاتِهَا» أي ما يكون فيه شبهة الحرام من الدنيا أو من أمور الدنيا «وَ» يترك «مِنَنَ الْخَلْقِ» أي ما فيها منن الخلق «فيأْخُذُ مُبَاحَ الْحَقِّ عَزَّ وَ جَلَّ» فيتناوله «وَ حَلَالَ الشَّرْعِ فِي مَأْكَلِهٖ وَ مَشْرَبِهٖ وَ مَلْبَسِهٖ وَ مَنْكَحِهٖ وَ مَسْكَنِهٖ وَ جَمِيْعِ اَحْوَالِ مَا لَا بُدَّ مِنْهُ» من لوازم الانتظام والتعيش بالرفاهية «لِيَتَحَفَّظَ الْبَنِيَةَ وَ يَتَقَوّٰى عَلٰى طَاعَةِ الرَّبِّ تَعَالٰى» برفاهية الحال و فراغ البال «وَ لِيَسْتَوْفِي قِسْمَهُ» أي يأخذ قسمه و نصيبه الأزلي الثابت له في علم الله تعالىٰ على وجه الوفاء والتمام «الْمَقْسُوْمَ لَهُ الَّذِيْ لَا يَتَجَاوَزُهُ» أي لا يمكن له التجاوز عنه «وَ لَا سَبِيْلَ إلى الْخُرُوْجِ مِنَ الدُّنْيَا قَبْلَ تَنَاوُلِهٖ» أي ذلك القِسم المقسوم «وَ قَبْلَ التَّلَبُّسِ بِهٖ وَ اِسْتِيْفَائِهٖ» إلى أخذه على وجه التمام «فيسِيْرُ عَلٰى مَطِيَّةِ الْمُبَاحِ وَ» مركب

«الْحَلَالِ بِالشَّرْعِ» أي بموافقة الشرع «فِي جَمِيْعِ اَحْوَالِهٖ اِلٰى اَنْ يَنْتَهِي بِهٖ هٰذِهِ الْمَطِيَّةُ» أي يبلغه هذا المركب «اِلٰى عَتَبَةِ الْوِلَايَةِ» فإن اتباع ظاهر الشرع على وجه الكمال يوصل إلى الحقيقة التي هي باطن الشرع، و هذا مما اتفق عليه أهل الحقيقة «وَ» يوصله هذا المركب إلى «الدُّخُوْلِ فِي زُمْرَةِ الْمُحَقِّقِيْنَ وَ الْخَوَاصِّ اَهْلِ الْعَزِيْمَةِ» الذين لا يعملون بالرخص «مُرِيْدِي الْحَقِّ عَزَّ وَ جَلَّ» لا مريدي الدنيا و لا مريدي العقبى «فيأْكُلُ» و يشرب و يباشر الأمور «بِالْاَمْرِ» الإلهي الباطني كما يكون لأولياء الله تعالٰى «فَحِيْنَئِذٍ يَسْمَعُ النِّدَاءَ مِنْ قِبَلِ الْحَقِّ عَزَّ وَ جَلَّ مِنْ بَاطِنِهٖ: اُتْرُكْ نَفْسَكَ وَ تَعَالِ» إلى أي افن عن نفسك أبقيك بي «اُتْرُكِ الْحُظُوْظَ» الأخروي أيضا «اِنْ اَرَدْتَّ الْخَالِقَ وَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ» و هما «دُنْيَاكَ وَ اُخْرَاكَ» فإن بساط الحضور يقتضي التأدب التامّ و منه خلع النعال «وَ تَجَرَّدْ عَنِ الْاَكْوَانِ وَالْمَوْجُوْدَاتِ» كلها «وَ مَا سَيُوْجَدُ وَ» اترك «الْاَمَانِيْ» والاٰمال والمقاصد والمطالب «بِأَسْرِهَا وَ تَعَرَّ» أي تخل «عَنِ الْـجَمِيْعِ وَافْنِ عَنِ الْكُلِّ» حتى كاَنَّ شيئا مما سوى الله تعالٰى ليس بموجود في نظر بصيرتك لا أنت و لا آخر. و هذه هي المرة الثانية من المرّات الثلث لترك الحظوظ «وَ تَطَيَّبْ بِالتَّوْحِيْدِ» الوجودي «وَ تَرْكِ الشِّرْكِ» مع الرب شيئا من المخلوقات «وَ صِدْقِ الْاِرَادَةِ» معه تعالٰى في جميع الحالات «ثُمَّ» أي بعد ما ذكرمن خلع النعال والتجرد عن الأكوان والتعري عن الجميع والفناء عن الكل و التطيب بما ذكر «اُدْخُلْ وَطاءَ الْبِسَاطِ بِالْاَدَبِ» التام والحضور التمام «مُطْرِقًا» أي خافضا رأسك «وَ لَا تَنْظُرْ يَمِيْنًا» و هو التوجه «إلى الْاٰخِرَةِ وَ لَا شِمَالًا» و هو التوجه «إلى الدُّنْيَا» من أيّ نوع كان، «وَلا إِلَى الخَلْقِ «وَ لَا إلى الْحُظُوْظِ فإن كلا منهما من الدنيا، و هذه هي المرة الثالثة من المرات الثلث لترك الحظوظ فتأمل، ثم تامل فقد قيل فيه قول آخر، و الفرق بين التركين أن الترك في المرة الثانية كان تركا قلبيا لكن النظر إليها غير منهي عنه، و هنا الترك على وجه المبالغة بحيث لا ينظر إليها و لا يلتفت إليها أصلا فالنظر أيضا منهي عنه.

«فَإِذَا دَخَلَ» العبد المنعم عليه «فِي هٰذَا الْمَقَامِ» العظيم «وَ تَحَقَّقَ لَهُ

الْوُصُوْلُ» بحضرة الخالق تعالٰى «جَاءَتْهُ الْخِلَعُ» الإنعامية و الإكرامية والعرفانية «مِنْ قِبَلِ الْحَقِّ عَزَّ وَ جَلَّ وَ غَشِيَتْهُ اَنْوَارُ الْمَعَارِفِ وَ اَنْوَاعُ الْفَضْلِ» بكثرتها و تنوعاتها «فيقَالُ لَهٗ:» بلسان الحال و مقتضى العلم بما في القدر من التلبس الضروري هو كالأمر في إيجاب التلبس بما جرى به القلم «تَلَبَّسْ بِالنِّعَمِ وَالْفَضْلِ» الَّتِيْ أفيضت عليك لا أمر المقال من جانب الله تعالٰى كما كان في المرة الثانية، و هذا هو الفرق بين المرتين، أو يقال: هو في كلتاالحالتين «وَ لَا تُسِيءِ الْاَدَبَ بِالرَّدِّ» لما أفيضت عليك «وَ تَرْكِ التَّلَبُّسِ» بالأقسام المقضي لك في الأزل «لِاَنَّ فِي رَدِّ نِعَمِ الْمَلِكِ اِقْتِيَاتًا» أي اقتدارا و ترفعا «عَلَى الْمَلِكِ» بإظهار الاستغناء عن نعمه من أقات عليه بمعنى اقتدر صرح به في الصحاح «وَ اِسْتِخْفَافًا لِحَضْرَتِهٖ» أي جعلها خفيفا لا قدر لها، و هذا مستبعد عن العاقل فكيف من العارف «فَحِيْنَئِذٍ» أي حين أمره الحال بالتلبس «يَتَلَبَّسُ بِالْفَضْلِ» أي نعم الحق التي كانت مفاضة عليه بالفضل والإحسان «وَالْقِسْمِ» الأزلي الَّذِيْ قدر الله تعالٰى في حقه «بِالله» أي بملاحظة أمر الله و قضائه و قدره الموجبة للتبلس الاضطراري «مِنْ غَيْرِ اَنْ يَكُوْنَ هُوَ» أي ذلك العبد «فيهِ» أي في ذلك التلبس «وَ مِنْ قَبْلُ» أي في الحالة الاولٰى والثانية والثالثة «كَانَ الْعَبْدُ يَتَلَبَّسُ بِهَوَاهُ وَ نَفْسِهٖ» أي باختياره موافقا للطبع في الأولٰى، و موافقا للشرع في الثانية، و موافقا للأمر الباطني في الثالثة، و لا اختيار في هذه الرابعة أصلا «وَ كُلَّمَا حَلَّ» العبد «مَنْزِلًا» من منازل السلوك والتقرب إلى الحق تعالٰى «تَغَيَّرَتْ حَالَتُهٗ» الأوّلية إلى حالة أخرى و تبدل مقتضاها إلى مقتضى الأخرى، «فَلَهٗ» للعبد السالك بهذا الأسلوب المذكور من مبدأالسلوك إلى منتهاه «اَرْبَعُ حَالَاتٍ فِي تَنَاوُلِ الْحُظُوْظِ وَالْاَقْسَامِ» و ثلثة حالات في تركها أما الأربعة في التناول:

فَالْأُوْلٰى بِالطَّبَعِ: وَ هُوَ الْحَرَامُ.
وَالثَّانِيَةُ بِالشَّرْعِ: وَ هُوَ الْمُبَاحُ وَالْحَلَالُ.

وَالثَّالِثَةُ بِالْاَمْرِ: وَ هي حَالَةُ الْوِلَايَةِ وَ تَرْكُ الْهَوٰى.

وَالرَّابِعَةُ بِالْفَضْلِ: وَ هي حَالَةُ زَوَالِ الْإِرَادَةِ وَ حُصُوْلِ الْبَدَلِيَّةِ.

وَكَوْنِهٖ مُرَادًا قَائِمًا مَعَ الْقَدْرِ الَّذِيْ هُوَ فِعْلُ الْحَقِّ عَزَّ وَ جَلَّ وَ هي حَالَةُ الْعِلْمِ وَالْإِتِّصَافِ بِالصَّلَاحِ، فَلَا يُسَمّٰى صَالِحًا عَلَى الْحَقِيْقَةِ اِلَّا مَنْ وَصَلَ اِلَى هٰذَا الْمَقَامِ، وَ هُوَ قَوْلُهٗ عَزَّ وَ جَلَّ:

اِنَّ وَلِیِّیَ اللّٰهُ الَّذِيْ نَزَّلَ الْكِتٰبَ وَ هُوَ يَتَوَلَّى الصّٰلِحِيْنَ. [الأعراف:١٩٦]

فَهُوَ الْعَبْدُ الَّذِيْ كَفَّتْ يَدُهٗ عَنْ جَلْبِ مَصَالِحِهٖ وَ مَنَافِعِهٖ وَ عَنْ رَدِّ مَضَارِهٖ وَ مَفَاسِدِهٖ كَالطِّفْلِ الرَّضِيْعِ مَعَ الظِّئْرِ وَ كَالْمَيِّتِ الْغَسِيْلِ مَعَ الْغَاسِلِ فيتَوَلَّى الْقَدْرُ تَرْبِيَتَهٗ مِنْ غَيْرِ اَنْ يَكُوْنَ لَهٗ اِخْتِيَارٌ وَ تَدْبِيْرٌ فَانٍ عَنْ جَمِيْعِ ذٰلِكَ لَا حَالاً وَ لَا مَقَامًا وَ لَا اِرَادَةً بَلِ الْقِيَامُ مَعَ الْقَدْرِ، تَارَةً يَبْسُطُهٗ وَ اُخْرٰى يَقْبِضُهٗ وَ تَارَةً يُغْنِيْ وَ تَارَةً يَفْتَقِرُ وَ لَا يَخْتَارُ وَ لَا يَتَمَنّٰى زَوَالَ ذٰلِكَ وَ تَغَيُّرَهٗ بَلِ الرِّضٰى الدَّائِمُ وَالْمُوَافَقَةُ الْاَبَدِيَّةُ فَهُوَ اٰخِرُ مَا يَنْتَهِي اِلَيْهِ حَالُ الْاَوْلِيَاءِ وَالْاَبْدَالِ.

«فَالْاُوْلٰى»: تناوله إياها «بِالطَّبْعِ» الحيواني «وَ هُوَ» التناول «الْحَرَامُ» على العبد من حيث الشريعة والحقيقة، أو تناول الحرام وصفا و إضافةً لكن الحرام في الأخير مختلط بالحلال.[1]

«وَالثَّانِيَةُ»:تلبسه بها «بِالشَّرْعِ» أي بموافقته و حكمه «وَ هُوَ» التناول «الْمُبَاحُ وَالْحَلَالُ» أو تناول المباح والحلال الصرف الخالي عن الحرام من حيث الشريعة و ترك التناول الطبعي، فهذه الحالة الثانية من التناول حالة أُولى من الترك إذ الترقي من الأدنى إلى الأعلى ترك للأدنى فلا يتحقق إلا في المرتبة الثانية فلذا صارت حالات التناول أربعا و حالات الترك ثلاثا، فتأمل.

(1) قوله:"وصفا و إضافة"يعنى هذا التركيب إما توصيفي كما على التقدير الأول أو إضافي كما على التقدير الثاني. من الشارح

«وَالثَّالِثَةُ»: تناوله إياها «بِالْاَمْرِ» الإلٰهي الباطني «وَ هي حَالَةُ الْوِلَايَةِ وَ تَرْكُ الْهَوٰى» من حيث الحقيقة، و هذه الحالة الثالثة من التناول حالة ثانية من الترك.

«وَالرَّابِعَةُ»:تلبسه بها «بِالْفَضْلِ» المحض من جانب الحق الفضل المنعم «وَ هِيَ حَالَةُ زَوَالِ الْاِرَادَةِ» البشرية بالكلية «وَ حُصُوْلِ الْبَدَلِيَّةِ» بالإرادة الحقيقة و هذه الحالة الرابعة من التناول حالة ثالثة من الترك، فتأمل.

«وَ كَوْنِهٖ» أي كون ذلك العبد «مُرَادًا» للحق فإن المقصود من إيجاد العالم و تكو ينه وجود هؤلاء السادات الكرام والباقي طفيلٌ و تبعٌ وكونه «قَائِمًا مَعَ الْقَدْرِ» يدور بدورانه «الذي هُوَ فِعْلُ الْحَقِّ عَزَّ وَ جَلَّ وَ هي» أي هذ الرابعة «حَالَةُ الْعِلْمِ» بالله و أفعاله و قضائه و قدره «وَالْاِتِّصَافِ بِالصَّلَاحِ» الَّذِيْ يطلبه الأنبياء والأولياء والأصفياء كما تسمع كل واحد يقول: رب ادخلني برحمتك في عبادك الصالحين بل يقول: رب توفني مسلما و ألحقني بالصالحين «فَلَا يُسَمّٰى صَالِحًا عَلَى الْحَقِيْقَةِ اِلَّا مَنْ وَصَلَ اِلٰى هٰذَا الْمَقَامِ» الأسنى الأعلى بالنسبة إلى سائر المقامات «وَ هُوَ قَوْلُهٗ عَزَّ وَ جَلَّ» أي مدلول قوله:

﴿اِنَّ وَلِيِّيَ اللهُ الَّذِيْ نَزَّلَ الْكِتٰبَ وَ هُوَ يَتَوَلَّى الصّٰلِحِيْنَ﴾

[الأعراف:٧،الآية:١٩٦]

«فَهُوَ» أي العبد البالغ إلى هذه المرتبة «الْعَبْدُ الَّذِيْ كَفَّتْ يَدُهٗ» أي مُنِعَت و حُفِظت لطفًا و كرمًا «عَنْ جَلْبِ مَصَالِحِهٖ وَ مَنَافِعِهٖ» إلى نفسه باختياره «وَ» كفت «عَنْ رَدِّ مَضَارِهٖ وَ مَفَاسِدِهٖ» عن نفسه باختياره فلا هو جالب نفع و لا دافع ضر إلى نفسه و عن نفسه بنفسه «كَالطِّفْلِ الرَّضِيْعِ مَعَ الظِّئْرِ» بل «وَ» هو «كَالْمَيِّتِ الْغَسِيْلِ مَعَ الْغَاسِلِ» و إنما ذكرت الثانية بكلمة بل لأن الرضيع و إن لم يختر لنفسه لكنه لا يخلو عن شعور و طلب والميت بر يئ من ذلك «فيتَوَلَّى الْقَدْرُ» الإلٰهي «تَرْبِيَتَهٗ» أي يصير كافلا لتربيته «مِنْ غَيْرِ اَنْ يَكُوْنَ لَهٗ» أي لذلك العبد «اِخْتِيَارٌ وَ تَدْبِيْرٌ» بل هو «فَانٍ عَنْ جَمِيْعِ ذٰلِكَ» الاختيار والتدبير «لَا حَالاً وَ لَا مَقَامًا وَ لَا اِرَادَةً» يطلبه باختياره «بَلِ الْقِيَامُ مَعَ الْقَدْرِ» الإلٰهي الحاصل له «تَارَةً يَبْسُطُهٗ»

فيكون في مقام البسط «وَ» تَارة «أُخْرٰى يَقْبِضُهُ» فيكون في حالة القبض «وَ تَارَةً يُغْنِيْ» فيكون غنيا «وَ تَارَةً يَفْتَقِرُ» فيكون فقيرا كل ذلك بالقدر لا بنفسه «وَ لَا يَخْتَارُ» هو «وَ لَا يَتَمَنّٰى» بنفسه «زَوَالَ ذٰلِكَ وَ تَغَيُّرَهُ» أي ذلك البسط والقبض والغنى والفقر «بَلْ» يختار «الرِّضٰى الدَّائِمُ وَالْمُوَافَقَةُ الْاَبَدِيَّةُ فَهُوَ» أي هذا المقام «اٰخِرُ مَا» أي مقامات «يَنْتَهي اِلَيْهِ حَالُ الْاَوْلِيَاءِ وَالْاَبْدَالِ» لا مقام فوقها إلا النبوة.

اَلْمَقَالَةُ السَّادِسَةُ وَالْخَمْسُوْنَ

في بَيَانِ اَنَّ الْوِصَالَ اِنَّمَا هُوَ بَعْدَ الْفَنَاءِ عَنِ الْخَلْقِ وَالنَّفْسِ وَالْهَوٰى

قَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: اِذَا فَنِيَ الْعَبْدُ عَنِ الْخَلْقِ وَالْهَوٰى وَالنَّفْسِ وَالْاِرَادَةِ وَالْاَمَانِيْ دُنْيَا وَ اُخْرٰى وَ لَمْ يُرِدْ اِلَّا اللهَ عَزَّ وَ جَلَّ وَ خَرَجَ الْكُلُّ عَنْ قَلْبِهٖ وَصَلَ اِلَى الْحَقِّ عَزَّ وَ جَلَّ فَاصْطَفَاهُ وَاجْتَبَاهُ وَ اَحَبَّهٗ وَ حَبَّبَهٗ اِلَى الْخَلْقِ وَ جعَلَهٗ يُحِبُّهٗ وَ يُحِبُّ قُرْبَهٗ وَ يَتَنَعَّمُ بِفَضْلِهٖ وَ يَتَقَلَّبُ فِي نِعَمِهٖ، وَ فَتَحَ عَلَيْهِ اَبْوَابَ رَحْمَتِهٖ وَ وَعْدِهٖ وَ لَا يُغْلِقُهَا عَنْهُ اَبَدًا فيخْتَارُ الْعَبْدُ حِيْنَئِذٍ بِاِخْتِيَارِ اللهِ، وَ يُرِيْدُ بِاِرَادَتِهٖ عَزَّ وَ جَلَّ، وَ يُدَبِّرُ بِتَدْبِيْرِهٖ، وَ يَشَاءُ بِمَشِيَّتِهٖ تَعَالٰى، وَ يَرْضٰى بِرِضَاهُ، وَ يَمْتَثِلُ اَمْرَهٗ دُوْنَ غَيْرِهٖ، وَ لَا يَرٰى لِغَيْرِهٖ وُجُوْدًا وَ لَا فِعْلًا فَحِيْنَئِذٍ يَجُوْزُ اَنْ يَّعِدَهُ اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ بِوَعْدٍ ثُمَّ لَا يَظْهَرُ لِلْعَبْدِ وَفَاءُ بِذٰلِكَ وَ لَا يُبَلِّغُهٗ مَا قَدْ تَوَهَّمَهٗ مِنْ ذٰلِكَ، لِاَنَّ الْغَيْرِيَّةَ قَدْ زَالَتْ بِزَوَالِ الْهَوٰى وَالْاِرَادَةِ وَ طَلَبِ الْحُظُوْظِ عَنْهُ فَصَارَ فِي فِعْلِ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ لِاَنَّ هٰذِهٖ صِفَةُ مَنْ لَهٗ هَوًى وَ اِرَادَةٌ فيصِيْرُ الْوَعْدُ حِيْنَئِذٍ في حَقِّهٖ مَعَ اللهِ كَرَجُلٍ عَزَمَ عَلٰى فِعْلِ شيءٍ في نَفْسِهٖ وَ نَوَاهُ ثُمَّ صَرَفَهٗ اِلٰى غَيْرِهٖ وَ كَالنَّاسِخِ وَالْمَنْسُوْخِ فيمَا اَوْحَى اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ اِلٰى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ

قَوْلُهٗ:

﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ اٰيَةٍ اَوْ نُنْسِهَا نَاْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ اَوْ مِثْلِهَا ؕ اَلَمْ تَعْلَمْ اَنَّ اللهَ عَلٰى كُلِّ شيءٍ قَدِيْرٌ﴾ [البقرة:رقم السورة:٢، رقم الآية:١٠٦]

لَمَّا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ مَنْزُوْعَ الْهَوٰى وَالْاِرَادَةِ سِوَى الْمَوَاضِعِ الَّتِي ذَكَرَهَا اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ فِي الْقُرْاٰنِ مِنَ الْاَسْرِ يَوْمَ بَدْرٍ:

﴿تُرِيْدُوْنَ عَرَضَ الدُّنْيَا ۖ وَاللّٰهُ يُرِيْدُ الْاٰخِرَةَ ۗ وَاللّٰهُ عَزِيْزٌ حَكِيْمٌ. لَوْ لَا كِتٰبٌ مِّنَ اللّٰهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ اَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيْمٌ﴾ [الأنفال ، رقم السورة: ٨، رقم الآية: ٦٧،٦٨]

«قَالَ رَضِيَ الله عَنْهُ: اِذَا فَنَى الْعَبْدُ» بتوفيق الله و لطفه «عَنِ الْخَلْقِ وَالْهَوٰى» الدينية والدنيوية «وَالنَّفْسِ وَالْاِرَادَةِ وَالْاَمَانِيْ» والمطالب «دُنْيَا» كان «وَ اُخْرٰى وَ لَمْ يُرِدْ إِلَّا اللهَ عَزَّ وَ جَلَّ وَ خَرَجَ الْكُلُّ» أي جميع ما سوى الله عن قلبه «وَصَلَ إِلَى الْحَقِّ عَزَّ وَ جَلَّ» فوصاله عَزَّ وَ جَلَّ عبارة عن فناء الكل عن قلب العبد بحيث لا يتوجه إلى غيره بالإرادة القلبي فإذا وصل «فَاصْطَفَاهُ» الله تعالىٰ «وَاجْتَبَاهُ وَ اَحَبَّهٗ» من خلقه فهو محبوب الحق تعالىٰ «وَ حَبَّبَهٗ إِلَى الْخَلْقِ» فيكون محبوب الخلق أيضا «وَ جَعَلَهٗ يُحِبُّهٗ» أي يحب الله عَزَّ وَ جَلَّ فيكون مُحِبًّا له تعالىٰ كما كان محبوبا له تعالىٰ «وَ يُحِبُّ قُرْبَهٗ» فيفيض الله تعالىٰ نعمه فيتلبس بتلك النعم «وَ يَتَنَعَّمُ بِفَضْلِهٖ» أي إنعامه المفاض عليه بفضله تعالىٰ «وَ يَتَقَلَّبُ فِي نِعَمِهٖ» ليلا و نهارا «وَ فَتَحَ» الله تعالىٰ «عَلَيْهِ اَبْوَابَ رَحْمَتِهٖ وَ وَعْدِهٖ وَ لَا يُغْلِقُهَا» أي تلك الأبواب «عَنْهُ» أي عن ذلك العبد «اَبَدًا فيخْتَارُ الْعَبْدُ حِيْنَئِذٍ» أي حين فنى عن نفسه و إرادة نفسه و هوى من نفسه «بِاِخْتِيَارِ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ يُرِيْدُ بِاِرَادَتِهٖ عَزَّ وَ جَلَّ» إذ أعطاه الله حين فناء الإرادة البشرية إرادةً إلٰهيةً فيريد بتلك الإرادة «وَ يُدَبِّرُ»في خلق الله تعالىٰ «بِتَدْبِيْرِهٖ» تعالىٰ «وَ يَشَاءُ بِمَشِيَّتِهٖ تَعَالٰى، وَ يَرْضٰى بِرِضَاهُ» و يغضب بغضبه و بالجملة جميع الصفات التي توجد فيه فهي من صفاته تعالىٰ فيخالط الخلق بتلك الصفات الموافقة لصفات الخلق من حيث الظاهر و هي من صفات الله تعالىٰ في الباطن، و لهذه الموافقة الظاهرية لا يتميز العارف عند الخلق من غيره «وَ يَمْتَثِلُ اَمْرَهٗ» تعالىٰ «دُوْنَ غَيْرِهٖ» و إن كان يُرى في الظاهر أنه يمتثل أمرالمخلوقات في بعض الأمور كيف «وَ» هو «لَا يَرٰى لِغَيْرِهٖ تعالىٰ وُجُوْدًا وَ لَا فِعْلًا» فلا موجود إلا الله و لا فعل إلا لله، و إذا بلغ العبد هذه المرتبة «فَحِيْنَئِذٍ يَجُوْزُ اَنْ يَّعِدَهُ اللهُ عَزَّ وَ

جَلَّ بِوَعْدٍ» في أمر من الأمور «ثُمَّ لَا يَظْهَرُ لِلْعَبْدِ» الموعود له «وَفَاءٌ بِذٰلِكَ» الوعد «وَ لَا يُبَلِّغُهُ مَا قَدْ تَوَهَّمَهُ مِنْ ذٰلِكَ» أي لا يوصل الله تعالىٰ إلى ذلك العبد الموعود الَّذِيْ توهم العبد وصول ذلك الموعود اليه من ذلك الوعد «لِاَنَّ الْغَيْرِيَّةَ» بين الله و بين ذلك العبد «قَدْ زَالَتْ بِزَوَالِ الْهَوٰى وَالْاِرَادَةِ وَ» زوال «طَلَبِ الْحُظُوْظِ عَنْهُ» وإذا ارتفع الغيرة «فَصَارَ» العبد «فِي» نَفْسِهٖ «فِعْلَ الله عَزَّ وَ جَلَّ لِاَنَّ هٰذِهٖ» الوعد والخلف «صِفَةُ مَنْ لَهٗ هَوًى وَ اِرَادَةٌ» و لا إرادة و لا هوى لهذا العبد فلا وعد في حقه و لا خلفه «فيصِيْرُ الْوَعْدُ» الموعود «حِيْنَئِذٍ فِي حَقِّهٖ مَعَ الله» أي كأنه وعد مع نفسه فيكون مع الله خبرا لقوله يصير و يكون قوله كرجل تنظير له، أو يكون معنى "مع الله" بالنسبة إلى الله و يكون قوله كرجل خبره على حذف المضاف، و يكون المعنى فيصير الوعد مع ذلك العبد بالنسبة إلى الله «كَ» حال «رَجُلٍ عَزَمَ عَلٰى فِعْلِ شيء فِي نَفْسِهٖ» أي من غير أن يخبر به أحدا «وَ نَوَاهُ ثُمَّ صَرَفَهٗ» أي ذلك العزم «اِلٰى غَيْرِهٖ» أي غير ذلك الفعل، فإن هذا الرجل لا يقال في حقه إنه أخلف و لا عيب له و لا كذب عليه فكذلك وعد الله تعالىٰ مع عبده الفاني فيه لا يقال فيه ذلك «وَ» أيضا يصير الوعد مع ذلك العبد من الله تعالىٰ «كَالنَّاسِخِ وَالْمَنْسُوْخِ فِيمَا اَوْحَى الله عَزَّ وَ جَلَّ» من الأحكام «اِلٰى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ» .فإن الله تعالىٰ أمره بشيء ثم نسخ ذلك المأمور به بشيء اٰخر من غير لزوم شيء من العيوب كما يدل عليه «قَوْلُهٗ :

﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ اٰيَةٍ اَوْ نُنْسِهَا نَاْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ اَوْ مِثْلِهَا ۭ اَلَمْ تَعْلَمْ اَنَّ الله عَلٰى كُلِّ شيء قَدِيْرٌ.﴾ [البقرة، رقم السورة: ٢، رقم الآية: ١٠٦]

فيكون ذلك الوعد الموعود به أوّلا كانّه نُسِخَ و أعطى مكانه شيئا اٰخر، و لا خلف في ذلك فيكون انتقالا له من حالة إلى حالة أخرى كما كان للنبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ بالنسبة إلى الأحكام الواردة عليه، و إليه أشار بقوله: «لَمَّا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ مَنْزُوْعَ الْهَوٰى» أي نزع منه الهوى «وَالْاِرَادَةِ» البشرية «سِوَى الْمَوَاضِعِ الَّتِيْ ذَكَرَهَا الله عَزَّ وَ جَلَّ فِي الْقُرْاٰنِ» مما وجد فيها الإرادة البشرية «مِنَ

الْاَسْرِ يَوْمَ بَدْرٍ» روي أن النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ شاور مع أصحابه في أسارى بدر و تقرر رأيه و رأي أكثر أصحابه على أخذ الفدية و ذهب رأي عمر رضى الله عنه إلى قتلهم فكَرِهَ عليه الصلوة والسلام رأي عمر و عَمِلَ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ برأيه و رأي الأكثر فعاتبه الله تعالىٰ بقوله :

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ اَنْ يَّكُوْنَ لَهٗٓ اَسْرٰى حَتّٰى يُثْخِنَ فِي الْاَرْضِ﴾ أي يبالغ في قتل الكفار ﴿تُرِيْدُوْنَ﴾ أيهاالمؤمنون ﴿عَرَضَ الدُّنْيَا﴾ أي حطامها بأخذ الفداء ﴿وَاللّٰهُ يُرِيْدُ﴾ لكم ﴿الْاٰخِرَةَ﴾ أي ثوابها بقتلهم ﴿وَاللّٰهُ عَزِيْزٌ حَكِيْمٌ. لَوْ لَا كِتٰبٌ مِّنَ اللّٰهِ سَبَقَ﴾ بإحلال الغنائم والأسرى ﴿لَمَسَّكُمْ فِيْمَآ اَخَذْتُمْ﴾ من الفداء ﴿عَذَابٌ عَظِيْمٌ﴾[الأنفال:٨،الآية:٦٧–٦٨]

وَ غَيْرُهٗ وَ هُوَ مُرَادُ الْحَقِّ عَزَّ وَ جَلَّ وَ مَحْبُوْبُهٗ لَمْ يَتْرُكْهُ عَلٰى حَالَةٍ وَاحِدَةٍ وَ عَلٰى شيء وَاحِدٍ وَ وَعْدٍ وَاحِدٍ بَلْ نَقَلَهٗ اِلَى الْقَدْرِ فَاَطْلَقَ عِنَانَ الْقَدْرِ اِلَيْهِ فَصَرَفَهٗ فِي الْقَدْرِ وَ قَلَّبَهٗ فيها نَبَّهَهٗ بِقَوْلِهٖ:

﴿اَلَمْ تَعْلَمْ اَنَّ اللّٰهَ عَلٰى كُلِّ شيء قَدِيْرٌ﴾[البقرة ، رقم السورة: ٢، رقم الأية: ١٠٦]

يَعْنِيْ اَنَّكَ فِي بَحْرِ الْقَدْرِ تُقَلِّبُكَ اَمْوَاجُهٗ تَارَةً كَذَا وَ تَارَةً كَذَا،فَمُنْتَهٰى اَمْرِ الْوَلِيِّ اِبْتِدَاءُ اَمْرِ النَّبِيِّ اِذْ لَيْسَ مَا بَعْدَ الْوِلَايَةِ وَالْبَدَلِيَّةِ اِلَّا النُّبُوَّةُ.

«وَغَيْرُهٗ» من المواضع العديدة فإنها وجد فيها الإرادة البشرية من النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ منها: إذنه صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ للمنافقين في تخلفهم عن غزوة تبوك فعاتبه الله تعالىٰ بقوله:

﴿عَفَا اللّٰهُ عَنْكَ ۚ لِمَ اَذِنْتَ لَهُمْ﴾ [التوبة ، رقم السورة: ٩، رقم الآية: ٤٣]

و منها قوله تعالىٰ:

﴿يٰٓاَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ اَحَلَّ اللّٰهُ لَكَ﴾ [التحريم ، رقم السورة: ٦٦، رقم الآية: ١]

و منها :

﴿عَبَسَ وَ تَوَلّٰى. اَنْ جَآءَهُ الْاَعْمٰى﴾ [عبس ، رقم السورة: ٨٠، رقم الآية: ١،٢]

إلىٰ غير ذلك «وَ هُوَ» أي النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ «مُرَادُ الْحَقِّ عَزَّ وَ جَلَّ» من إيجاد العالم «وَ مَحْبُوْبُهُ لَمْ يَتْرُكْهُ» الله تعالىٰ «عَلٰى حَالَةٍ وَاحِدَةٍ» من المراتب العالية بل في كل لحظة و لمحة في الترقي «وَ عَلٰى شيء وَاحِدٍ» من الأحكام «وَ وَعْدٍ وَاحِدٍ بَلْ نَقَلَهُ» الله تعالىٰ «إلى الْقَدْرِ» فهو سار مع القدر عارفا بمقتضاه «فَاَطْلَقَ» رسول الله «عِنَانَ الْقَدْرِ اِلَيْهِ» تعالىٰ فلا يزاحمه فيه و لا يريد سوا ما يقتضيه «فَصَرَفَهُ» الله تعالىٰ «في الْقَدْرِ وَ قَلَّبَهُ فيهَا» بمقتضاها «و نَبَّهَهُ» الله تعالىٰ «بِقَوْلِهٖ:»

﴿اَلَمْ تَعْلَمْ اَنَّ الله عَلٰى كُلِّ شيء قَدِيْرٌ﴾ [البقرة ، رقم السورة: ٢، رقم الآية: ١٠٦]

«يَعْنِيْ» الله تعالىٰ بهذا الخطاب «اَنَّكَ» يا رسول الله عليك الصلوة والسلام «في بَحْرِ الْقَدْرِ تُقَلِّبُكَ اَمْوَاجُهُ تَارَةً كَذَا» أي إلى حالة و حكم «وَ تَارَةً كَذَا» أي إلىٰ حالة و حكم اٰخر،فكذلك الولي ينقل من حال إلى حال «فَمُنْتَهٰى اَمْرِ الْوَلِيِّ» في الحالات الواردة عليه «اِبْتِدَاءُ اَمْرِ النَّبِيِّ» فيها، و كيف لا يكون كذلك «اِذْ لَيْسَ مَا بَعْدَ الْوِلَايَةِ وَالْبَدَلِيَّةِ اِلَّا النُّبُوَّةُ» فإذ ليس بعدها إلا هي لا جرم يكون منتهاها ابتداءها.

و ما نقل من بعض المشائخ العظام قدس سرهم من أنهم قالوا نهاية الأنبياء بداية الأولياء فليس مرادهم بذلك المراتب بل المراد أن الولي لا يبلغ الولاية و لا يضع قدمه فيها إلا اذا تابع النبي في جميع أحكامه النازلة عليه والحاصلة له في اٰخر مراتبه مثلا من تابع نبينا صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ في أحكامه النازلة عليه قبل الهجرة و لم يتابعه فيما نزل بعدها لا يبلغ الولاية أصلا بل إن أنكر يقع في الكفر فما نزل على سيدنا محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ في آخر عمر من الأحكام المدلول عليها بقوله

﴿اَلْيَوْمَ اَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيْنَكُمْ﴾ [المائدة، رقم السورة: ٥، رقم الآية: ٣]

ما لم يتابعه الولي في جميع ذلك لا يضع قدمه في الولاية.

و قال الشيخ محيي الدين ابن العربي قدس سره في الفصوص في فص حكمة قدر ية في كلمة عُزَ ير ية: فإذا سمعت أخرا من أهل الله يقول، أو ينقل إليك عنه أنه قال: الولاية أعلى من النبوة فليس ير يد ذلك القائل إلا ما ذكرنا من أن ولاية النبي أعلى من نبوته لا أن ولاية الولي أعلى من نبوة النبي، أو يقول: إن الولي فوق النبي والرسول، فإنه يعني بذلك في شخص واحد، و هو أن الرسول من حيث أنه ولي أتم منه من حيث هو نبي و رسول لأن الولي التابع له ليس أعلى منه فإن التابع لا يدرك المتبوع أبدا فيما هو تابع إذ لو أدركه لم يكن تابعا له، فافهم انتهى.

اَلْمَقَالَةُ السَّابِعَةُ وَالْخَمْسُوْنَ

فِي بَيَانِ اَنَّ الْاَحْوَالَ كُلَّهَا قَبْضٌ

قَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: اَلْاَحْوَالُ قَبْضٌ كُلُّهَا.
لِاَنَّهٗ يُؤْمَرُ الْوَلِيُّ بِحِفْظِهَا وَ كُلُّ مَا يُؤْمَرُ بِحِفْظِهَا فَهُوَ قَبْضٌ، وَالْقِيَامُ مَعَ الْقَدْرِ بَسْطٌ؛ لِاَنَّهٗ لَيْسَ هُنَاكَ شيء يُؤْمَرُ بِحِفْظِهٖ سِوٰى كَوْنِهٖ مَوْجُوْدًا فِي الْقَدْرِ فَعَلَيْهِ اَنْ لَّا يُنَازِعَ فِي الْقَدْرِ بَلْ يُوَافِقُ وَ لَا يُنَازِعُ فِي جَمِيْعِ مَا يَجْرِيْ عَلَيْهِ مِمَّا يُحِلِّيْ لِلْوَلِيِّ، وَ يُمِرُّ، وَ الْاَحْوَالُ مَحْدُوْدَةٌ فَأُمِرَ بِحِفْظِ حُدُوْدِهَا، وَالْفِعْلُ الَّذِيْ هُوَ الْقَدْرُ غَيْرُ مَحْدُوْدٍ فيُحْفَظَ.

«قَالَ رَضِيَ اللهُ تَعَالٰى عَنْهُ: اَلْاَحْوَالُ قَبْضٌ كُلُّهَا».

قال سيد الطائفة أبو القاسم جنيد البغدادي قدس الله روحه: الحال نازلة تنزل بالقلب و لا تدوم فمن ذلك(١) المراقبة (٢)ثم القرب (٣)ثم المحبة (٤)ثم الرجاء (٥)ثم الخوف (٦)ثم الحياء (٧)ثم الشرق (٨)ثم الأنس (٩)ثم الطمانينة (١٠)ثم اليقين (١١)ثم المشاهدة ثم يكون فواتح و لوائح و مفائح تعفو العبارة عنها وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها، كذا نقله الشيخ ضياء الدين أبو النجيب السهروردى قدس سره

و فسر كل واحد منها في آداب المريدين فقال:(١) المراقبة: هو النظر بصفاء اليقين إلى المغيبات. و قال غيره من المشائخ: أن المراقبة هو أن يعلم العبد بقلبه أن الله تعالٰى ناظر إليه مطلع على أحواله فما دام ملاحظا لهذا كان مراقبا

و قال: (٢) والقرب: هو جمع الهِمَم بين يدي الله تعالٰى بالغيبة عما سواه.

(٣) والمحبة موافقة المحبوب في محبوبه و مكروهه.

(٤)والرجاء: نوعان علمي و هو لعامة المؤمنين، و حالي و هو لخواصهم و هو تصديق الحق فيما وعد

(٥)والخوف: و هو مطالعة القلب بسطوات الله تعالىٰ و نقامته

(٦)والحياء: هو حصر القلب عن الانبساط و ذلك لأن القرب يقتضي هذه الأحوال

(٧)والشرق: هو هيجان القلب عند ذكر المحبوب

(٨) والأنس: هو السكون إلى الله تعالىٰ والإستعانة به في جميع الأمور

(٩) والطمانينة: هو السكون إلى الله تعالىٰ في مجاري الأقدار

(١٠)واليقين: هو التصديق مع إرتفاع الشك

(١١)والمشاهدة: هي فصل ما بين رؤية اليقين و رؤية العيان لقوله عليه الصلوة والسلام:

كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

قال: و هي أخر الأحوال.

و إنما قال الغوث الأعظم الأحوال كلها قبض «لِأَنَّهٗ» أي الشان «يُؤْمَرُ الْوَلِيُّ» من جانب الله تعالىٰ «بِحِفْظِهَا، وَ كُلُّ مَا يُؤْمَرُ بِحِفْظِهَا فَهُوَ قَبْضٌ» لأنه لا يمكن له التجاوزعن ذلك فيتقيد به والتقييد بالشيء أيًّا كان قبض «وَالْقِيَامُ مَعَ الْقَدْرِ» الإلٰهي والسير مع موافقته «بَسْطٌ لِأَنَّهٗ» أي الشأن «لَيْسَ هُنَاكَ» أي في القيام مع القدر «شيء يُؤْمَرُ بِحِفْظِهٖ» أي بحفظ ذلك الشيء «سِوٰى كَوْنِهٖ» أي كون ذلك الولي «مَوْجُوْدًا في الْقَدْرِ» بمعنى أنه غير غائب عنه بالغفلة لا بمعنى أنه يعرف وجوده متميزا؛ فإن الولاية يقتضي الفناء عن العلم بموجوديته فكيف يحفظ كونه موجودا «فَعَلَيْهِ اَنْ لَّا يُنَازِعَ فِي الْقَدْرِ» بأن يريد خلافه «بَلْ يُوَافِقُ وَ لَا يُنَازِعُ فِي جَمِيْعِ مَا يَجْرِيْ عَلَيْهِ» من أسرار القدر «مِمَّا يُحَلِّيْ لِلْوَلِيِّ» حلاوة الظاهر أو الباطن أو كليهما «وَ يُمِرُّ» مرارةً كذلك «وَ» إنما أمر بحفظ الأحوال إذ «الْاَحْوَالُ مَحْدُوْدَةٌ فَاُمِرَ» الولي «بِحِفْظِ حُدُوْدِهَا» فلا يجوز له التجاوز عنها فيلزمه التقيد و هو عين القبض «وَالْفِعْلُ» أي فعل الله «الذي هُوَ الْقَدْرُغَيْرُ مَحْدُوْدٍ فيحْفَظُ» أي حتى يحفظ بل فيه التسليم لمقتضياته فالقدر كالماء الجاري والعبد العارف فيه كالذي يعلم

السباحة الملقي نفسه فيه فإنه لا يتحرج أصلا، و إن كان العامي الَّذِيْ لا يعلم السباحة فهو يضطرب بل يغرق.

وَ عَلَامَةُ اَنَّ الْعَبْدَ دَخَلَ في مَقَامِ الْقَدْرِ وَالْفِعْلِ وَالْبَسْطِ اَنَّهُ يُؤْمَرُ بِالسُّؤَالِ فِيْ الْحُظُوْظِ بَعْدَ اَنْ اُمِرَ بِتَرْكِهَا وَالزُّهْدِ فيهَا؛ لِاَنَّهُ لَمَّا بَاطِنُهُ مِنَ الْحُظُوْظِ وَ لَمْ يَبْقَ فيهِ غَيْرُ الرَّبِّ عَزَّ وَ جَلَّ بُوْسِطَ فَأُمِرَ بِالسُّؤَالِ وَالتَّشَهِّيْ وَ طَلَبِ الْاَشْيَاءِ الَّتِيْ هِيَ قِسْمُهُ وَ لَا بُدَّ له مِنْ تَنَاوُلِهَا وَالتَّوَصُّلِ اِلَيْهِ بِسُؤَالٍ لِيَتَحَقَّقَ كَرَامَتُهُ عِنْدَ الله عَزَّ وَ جَلَّ وَ مَنْزِلَتُهُ وَ اِمْتِنَانُ الْحَقِّ عَزَّ وَ جَلَّ عَلَيْهِ بِإجَابَتِهِ إلىٰ ذٰلِكَ السُّؤَالِ، وَ الْإِطْلَاقُ مِنْ أَكْثَرِ عَلَامَاتِ الْبَسْطِ بَعْدَ الْقَبْضِ وَالْإِخْرَاجِ وَ مِنَ التَّكَلُّفِ فِيْ حِفْظِ الْحُدُوْدِ.

«وَ عَلَامَةُ اَنَّ الْعَبْدَ دَخَلَ فِيْ مَقَامِ الْقَدْرِ وَالْفِعْلِ وَالْبَسْطِ اَنَّهُ يُؤْمَرُ» من جانب الله تعالىٰ« بِالسُّؤَالِ فِيْ» تحصيل «الْحُظُوْظِ بَعْدَ اَنْ اُمِرَ» في مبدأ السلوك «بِتَرْكِهَا وَالزُّهْدِ فيهَا» أي الإعراض عنها.

و إنما أمر بالسؤال في تحصيلها ثانيا «لِاَنَّهُ» أي ذلك الولي العارف «لَمَّا خَلَا بَاطِنُهُ مِنَ الْحُظُوْظِ» البشرية بمقتضى الطبيعة امتثالا لربه تعالىٰ «وَ لَمْ يَبْقَ فيهِ» أي في قلبه «غَيْرُ الرَّبِّ عَزَّ وَ جَلَّ بُوْسِطَ» أي أعطى له البسط «فَأُمِرَ بِالسُّؤَالِ وَالتَّشَهِّيْ وَ طَلَبِ الْاَشْيَاءِ الَّتِيْ هِيَ قِسْمُهُ» و نصيبه في الأزل «وَ لَا بُدَّ» له «مِنْ تَنَاوُلِهَا» جملة تعليلية «وَالتَّوَصُّلِ» والوصول «اِلَيْهِ بِسُؤَالٍ».

و في بعض النسخ: بِسؤاله أي بسؤال ذلك العبد، و أما إرجاعه إلى الأشياء بتاويل المذكور بجعل إضافة المصدر إلى المفعول فمما لا حاجة إليه، و أما ضمير إليه فهو عائد إلى الأشياء إما باعتبار المذكور و إما باعتبار التعبير عنه بالقسم الَّذِيْ هو مفرد مذكر «لِيَتَحَقَّقَ كَرَامَتُهُ عِنْدَ الله عَزَّ وَ جَلَّ» فإن غيرَه منهي عن السؤال و هو مأمور به، و غيرَه تحصيل الحظوظ منه مبغوض و هذا تحصيل الحظوظ منه محبوب،

فظهر كرامته عند الله عَزَّ وَ جَلَّ «وَ مَنْزِلَتُهُ وَ اِمْتِنَانُ الْحَقِّ عَزَّ وَ جَلَّ» أي منته «عَلَيْهِ بِإِجَابَتِهِ إِلىٰ ذٰلِكَ السُّؤَالِ» فأعطاه الله تعالىٰ ما سأله ذلك العبد كما مر في حديث قرب النوافل من قوله: وإن سألنى لأعطينه «وَ الْإِطْلَاقُ» أي الإذن و الرخصة «مِنْ اَكْثَرِ عَلَامَاتِ الْبَسْطِ بَعْدَ الْقَبْضِ» و روي لفظ أكبر بالباء الموحدة «وَالْإِخْرَاجِ» إما بالجر عطف على البسط أي الإطلاق المذكور من أكبر علامات البسط والإخراج من الأحوال والمقامات «وَ» الإخراج «مِنَ التَّكَلُّفِ» الكائن «فِي حِفْظِ الْحُدُوْدِ» أو بالرفع عطف على الإطلاق بتقدير الخبر من عطف جملة على جملة أي والإخراج المذكور أيضا من أكبر علامات البسط بعد القبض.

فَاِنْ قِيْلَ: هٰذَا يَدُلُّ عَلَى زَوَالِ التَّكْلِيْفِ وَ الْقَوْلِ بِالزَّنْدَقَةِ وَالْخُرُوْجِ عَنِ الْاِسْلَامِ.

وَ رَدِّ قَوْلِهِ عَزَّ وَ جَلَّ:

﴿وَ اعْبُدْ رَبَّكَ حَتّٰى يَأْتِيَكَ الْيَقِيْنُ﴾ [الحجر، رقم السورة: ١٥، رقم الآية: ٩٩]

قِيْلَ: لَا يَدُلُّ عَلَى ذٰلِكَ وَ لَا يُؤَدِّيْ اِلَيْهِ بَلِ اللهُ اَكْرَمُ وَ وَلِيُّهٗ تَعَالٰى اَعَزُّ عَلَيْهِ مِنْ اَنْ يُّدْخِلَهٗ فِي مَقَامِ النَّقْصِ وَ الْقَبِيْحِ فِي شَرْعِهٖ وَ دِيْنِهٖ بَلْ يَعْصِمُهٗ مِنْ جَمِيْعِ مَا ذُكِرَ وَ يَصْرِفُهٗ عَنْهُ وَ يَحْفَظُهٗ وَ يُنَبِّهُهٗ وَ يُسَدِّدُهٗ لِحِفْظِ الْحُدُوْدِ فيَتَحَصَّلُ الْعِصْمَةُ وَ يَتَحَفَّظُ الْحُدُوْدُ مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفٍ مِّنْهُ وَ مُشَقَّةٍ وَ هُوَ عَنْ ذٰلِكَ فِي غَيْبِهٖ فِي الْقُرْبِ مِنْ رَّبِّهٖ عَزَّ وَ جَلَّ قَالَ عَزَّ وَ جَلَّ:

﴿كَذٰلِكَ لِنَصْـــرِفَ عَنْهُ السُّوْٓءَ وَالْفَحْشَآءَ اِنَّهٗ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِيْنَ﴾ [يوسف، رقم السورة:١٢، رقم الآية:٢٤]

وَقَالَ اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ:

﴿اِنَّ عِبَادِيْ لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطٰنٌ﴾.[الحجر، رقم السورة:

١٥، رقم الآية: ٤١،٤٢]

وَ قَالَ عَزَّ وَ جَلَّ : اِلَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِيْنَ.[الصافات، رقم السورة: ٣٧، رقم الآية: ٤٠]

يَا مِسْكِيْنُ:

هُوَ مَحْمُوْلُ الرَّبِّ عَزَّ وَ جَلَّ وَ مُرَادُهٗ وَ هُوَ يُرَبِّيْهِ فِي حَجْرِ قُرْبِهٖ وَ لُطْفِهٖ اَنّٰى يَصِلُ الشَّيْطَانُ اِلَيْهِ وَ يَتَطَرَّقُ الْقَبَائِحُ وَالْمُكَارِهُ فِي الشَّرْعِ نَحْوَهٗ اَبْعَدْتَّ النُّجْعَةَ وَ اَعْظَمْتَ الْقِرْبَةَ قُلْتَ قَوْلًا فَظِيْعًا هَائِلًا عَظِيْمًا تَبًّا لِهٰذِهِ الْهِمَمِ الْخَسِيْسَةِ الدَّنِيَّةِ وَ لِهٰذِهِ الْعُقُوْلِ النَّاقِصَةِ الْبَعِيْدَةِ وَ الْآرَاءِ الْفَاسِدَةِ الْمُخْتَلِفَةِ اَعَاذَنَا اللهُ وَالْإِخْوَانَ مِنَ الضَّلَالَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ بِقُدْرَتِهِ الشَّامِلَةِ وَأَلطَافِهِ الْكَامِلة وَ رَحْمَتِهِ الْوَاسِعَةِ وَ سَتَرَنَا بِاَسْتَارِهِ التَّامَّةِ الْمَانِعَةِ الْحَامِيَةِ، وَ رَبَّانَا بِنِعَمِهِ السَّابِقَةِ وَ فَضَائِلِهِ الدَّائِمَةِ بِمَنِّهٖ وَكَرَمِهٖ.

«فَإِنْ قِيْلَ: هٰذَا» أي الإطلاق بالسؤال في إعطاء الحظوظ، والإخراج من التكلف في حفظ الحدود «يَدُلُّ عَلٰى زَوَالِ التَّكْلِيْفِ» من ذلك العبد العارف «وَ» على «الْقَوْلِ بِالزَّنْدَقَةِ وَالْخُرُوْجِ عَنِ الْإِسْلَامِ» فإن الاسلام هو الانقياد للتكليفات الشرعية و حفظ الحدود «وَ رَدِّ قَوْلِهٖ عَزَّ وَ جَلَّ:

﴿وَ اعْبُدْ رَبَّكَ حَتّٰى يَأْتِيَكَ الْيَقِيْنُ﴾[الحجر، رقم السورة: ١٥، رقم الأية: ٩٩]

أي الموت، والزندقة عبارة عن التدين بدين الإسلام ظاهرا و إبطان عقائد الكفر و اعتقاد زوال التكليف عن العاقل أيضا عُدَّ من الزندقة، لأن الله تعالى قال لرسوله أفضل المخلوقات:

﴿وَ اعْبُدْ رَبَّكَ حَتّٰى يَأْتِيَكَ الْيَقِيْنُ﴾ [الحجر، رقم السورة: ١٥، رقم الأية: ٩٩]

أجمع المفسرون على أن المراد به الموت لا كما يظنه البطلة أن التكليف إنما كان لتحصيل اليقين فإذا حصل اليقين بطل التكليف وارتفع

«قِيْلَ» في الجواب عن تلك الشبهة أن ما ذكرنا من الإطلاق في السؤال

والإخراج من التكليف في حفظ الحدود «لَا يَدُلُّ عَلٰى ذٰلِكَ» الَّذِيْ ذكرت من زوال التكليف «وَ لَايُؤَدِّيْ اِلَيْهِ» أيضا «بَلِ الله» سبحانه «اَكْرَمُ» من أن يغوي وليه كيف «وَ وَلِيُّهٗ تَعَالٰى اَعَزّ عَلَيْهِ تعالٰى مِنْ اَنْ يُّدْخِلَهٗ» أي وليه «فِي مَقَامِ النَّقْصِ وَ» فيما هو «الْقَبِيْحِ فِي شَرْعِهٖ وَ دِيْنِهٖ بَلْ يَعْصِمُهٗ مِنْ جَمِيْعِ مَا ذُكِرَ» من النقص والتقبيح «وَ يَصْرِفُهٗ» ربه «عَنْهُ» أي عن جميع ما ذكر من النقص والقبح الدينى «وَ يَحْفَظُهٗ» عن ارتكابه «وَ يُنَبِّهُهٗ» على ذلك النقص والقبح «وَ يُسَدِّدُهُ» و يصلحه و يقو يه تقو ية من عنده «لِحِفْظِ الْحُدُوْدِ فيتَحَصَّلُ الْعِصْمَةُ» له «وَ يَتَحَفَّظُ الْحُدُوْدُ» منه «مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفٍ مِّنْهُ» أي من ذلك الولي «وَ مُشَقَّةٍ» بل كأنها من طبيعته و جبلته يصدر عنه بسهولة كالأفعال العادية والأعمال الجبلية «وَ هُوَ» أي ذلك الولي «عَنْ ذٰلِكَ» أي تحصل العصمة و تحفظ الحدود «فِي غَيْبِهٖ» تعالٰى أي غير قاصد للعصمة و حفظ الحدود بتكلف و غير متوجه و غير ملتفت إليها كائن «فِي الْقُرْبِ مِنْ رَّبِّهٖ عَزَّ وَ جَلَّ» فإن استغراقه في مشاهدة ربه إما في أفعاله و إما في صفاته و إما في ذاته على قدر ما أعطاه ربه من المراتب مانع له عن التوجه إلى ماسواه حتى نفسه وأفعال نفسه أما ترى كيف «قَالَ» الله «عَزَّ وَ جَلَّ» في دفع النقص والقبح عن يوسف عليه السلام

«كَذٰلِكَ» أي مثل تثبيتنا إياه في دفع مخالطة امرأة العزيز و مباشرتها ثبتناه في سائر المواضع «لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوْٓءَ وَالْفَحْشَآءَ» ثم علل ذلك بقوله «اِنَّهٗ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِيْنَ».

فالدافع في الحقيقة هوالإخلاص و هو مشترك بين الأنبياء والأولياء فكما يحفظ الأنبياء يحفظ الأولياء، ولما كان إخلاص الأنبياء أتم و أكمل كان حفظهم كذلك حتى جُعِلوا معصومين، و كان إخلاص الأولياء تاما كاملا جعلوا محفوظين دون معصومين.

ثم ذكر ما هو عام بمنطوقه فقال:«وقَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ» في جواب إبليس اللعين حيث قال في سورة الحجر:

﴿رَبِّ بِمَآ اَغْوَيْتَنِيْ لَاُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْاَرْضِ وَ لَاُغْوِيَنَّهُمْ اَجْمَعِيْنَ. اِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِيْنَ﴾ [الحجر:١٥، الآية:٣٩-٤٠]

قال الله تعالىٰ:

﴿هٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيْمٌ. اِنَّ عِبَادِيْ لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطٰنٌ اِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغٰوِيْنَ﴾ [الحجر: ١٥، الآية: ٤١-٤٢]

فإن جمهور العلماء على أن المراد بالعباد المومنؤن و بالسلطنة المنفية هوالإيقاع في الكفر، أو المراد بالعباد الكاملون و بالسطنة المنفية هي المعصية. و قال الله تعالىٰ مثل ذلك في سورة بنى إسرائيل أيضا.

ثم أورد دليلا ثالثا على حفظ الله تعالىٰ أولياء ه بقوله: «وَ قَالَ عَزَّ وَ جَلَّ:»

﴿اِلَّا عِبَادَ الله الْمُخْلَصِيْنَ﴾[الصافات: ٢٧، الآية: ٤٠]

قال ذلك في سورة الصافات في أربعة مواضع و إنما استثناهم عما لا يليق بسبب الإخلاص؛ فإن الإخلاص هو سبب الحفظ والعصمة نبيا كان أو وليا.

«يَا مِسْكِيْنُ» إن سألتَ عن حال أولياء الله تعالىٰ حين أطلقهم الله تعالىٰ بالسؤال في إعطاء الحظوظ، و أخرجهم من الأحوال والمقامات والتكليف و حفظ الحدود، واستبعدت ذلك، و توهمته زندقة.

قلنا لك في الجواب: إن ما ذكرنا لا يؤدي إلى ذلك كيف «هُوَ مَحْمُوْلُ الرَّبِّ عَزَّ وَ جَلَّ» أي حفظه الرب بلطفه وكرمه «وَ مُرَادُهُ وَ هُوَ تعالىٰ يُرَبِّيْهِ فِي حَجْرِ قُرْبِهٖ وَ لُطْفِهٖ» أشار قدس سره بهذا الكلام إلى قول المشائخ، و توجيهه و هو أن أولياء الله تعالىٰ أطفال في حجر الحق جل وعلا يحفظهم عن كل مكروه، و وجه التوجيه أن المراد بحجر الحق حجر قربه و لطفه.

فإذا كان حال الولي من القرب كذلك: «اَنّٰى يَصِلُ الشَّيْطَانُ» المطرود المردود من القرب «اِلَيْهِ» أي إلى ذلك الولي «وَ» أنى «يَتَطَرَّقُ» أي يعرض «الْقَبَائِحُ وَالْمَكَارِهُ فِي الشَّرْعِ نَحْوَهُ» أي جانب ذلك الولي فإنه محفوظ عن جميع القبائح الشرعية و عن المكائد الشيطانية يا مسكين «اَبْعَدْتَّ النُّجْعَةَ وَ اَعْظَمْتَ الْقُرْبَةَ» أي ظننتَ أن قربة الله تعالىٰ عظيمة كيف تحصل للعباد و أنها غيره منجعة لا يهضم بل «قُلْتَ قَوْلًا فَظِيْعًا هَائِلًا عَظِيْمًا» هو أن قربة تعالىٰ تدل على زوال التكليف والقول بالزندقة والخروج عن الإسلام و رد قوله عَزَّ وَ جَلَّ:

﴿وَ اعْبُدْ رَبَّكَ حَتّٰى يَأْتِيَكَ الْيَقِيْنُ﴾[الحجر:١٥، الآية:٩٩]

«تَبًّا» هلاكا «لِهٰذِهِ الْهِمَمِ الْخَسِيْسَةِ الدَّنِيَّةِ» المستبعدة لأحوال كَمُلَة الرجال «وَ» هلاكا «لِهٰذِهِ الْعُقُوْلِ النَّاقِصَةِ الْبَعِيْدَةِ» عن إدراك كنه المقال «وَ» هلاكا لهذه «الْاَرَاءِ الْفَاسِدَةِ الْمُخْتَلِفَةِ» الجاهلة عن حقيقةالحال «اَعَاذَنَا الله تعالٰى وَالْإِخْوَانَ» الكملة «مِنَ الضَّلَالَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ» من الجهلة «بِقُدْرَتِهِ» تعالٰى «الشَّامِلَةِ» المدلولة عليها بقوله: ﴿اِنَّ الله عَلٰى كُلِّ شيء قَدْيْرٌ﴾ [البقرة:٢، الآية:١٢٠]

«وَ اَلْطَافِهِ الْكَامِلَةِ» على أوليائه المشار إليها بقوله تعالٰى ﴿اَللهُ لَطِيْفٌ بِعِبَادِهٖ﴾ [الشورى:٤٢، الآية:١٩] فإن الصفة المشبهة يدل على كمال المشتق منه و هو اللطف هنا «وَ رَحْمَتِهِ الْوَاسِعَةِ» على جميع خلقه المصرحة بقوله:﴿عَذَابِيْ أُصِيْبُ بِهٖ مَنْ أَشَاءُ، وَ رَحْمَتِيْ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[الأعراف:٧، الآية:١٥٦] و هي من آثار سبق رحمة ربنا على غضبه المذكور في الحديث القدسي: سبقت رحمتي غضبي[1] «وَ سَتَرَنَا» معشر أهل العرفان بل أهل الإيمان «بِاَسْتَارِهِ التَّامَّةِ» بحيث لا يمكن كشفها عن شياطين الإنس والجن «الْمَانِعَةِ» عن تطرق مكائد هما «الْحَامِيَةِ» الحافظة عن مكرهما «وَ رَبَّانَا» رب الأرباب «بِنِعَمِهِ السَّابِقَةِ» كما ذكر ذلك في القرآن الكريم، هو الذي:

﴿ اَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهٗ ظَاهِرَةً وَّ بَاطِنَةً﴾[لقمان:٣١،الآية:٢٠]

«وَ فَضَائِلِهِ الدَّائِمَةِ» المشارإليها بقوله:

﴿اِنَّ الله لَذُوْ فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾[البقرة:٢،الآية:٢٤٣]

«بِمَنِّهٖ وَ كَرَمِهٖ» وامتنانه.

---

(1) رواه الإمام البخارى فى صحيحه برقم:٧٤٢٢، ٩/ ١٢٥ ،باب (وكان عرشه على الماء) من كتاب التوحيد. والإمام مسلم في صحيحه برقم:١٨٩، ١٦٨، باب في سعة رحمة الله تعالٰى من كتاب التوبة.

اَلْمَقَالَةُ الثَّامِنَةُ وَالْخَمْسُوْنَ

في الْاَمْرِ بِتَعامِى السَّالِكِ عَنِ الْجِهَاتِ كُلِّهَا حَتّٰى يَصْلُحَ لِفيضَانِ فَضْلِ الله تَعَالٰى وَ قُرْبِهٖ عَلَيْهِ

قَالَ رَضِيَ الله عَنْهُ: تَعَامِ عَنِ الْجِهَاتِ كُلِّهَا وَ لَا تُبَصْبِصْ عَلٰى شيء مِّنْهَا، فَمَا دُمْتَ تَنْظُرُ إِلٰى وَاحِدَةٍ مِّنْهَا لَا يَفْتَحُ لَكَ جِهَةُ فَضْلِ الله عَزَّ وَ جَلَّ وَ قُرْبِهٖ، فَسَدِّ الْجِهَاتِ جَمِيْعًا بِتَوْحِيْدِكَ وَ بِإِمْحَاءِ نَفْسِكَ وَ فَنَائِكَ وَ مَحْوِكَ وَ عِلْمِكَ فَحِيْنَئِذٍ يُفْتَحُ فِيْ عَيْنِ قَلْبِكَ جِهَةُ فَضْلِ الله الْعَظِيْمِ فَتَرَاهَا بِعَيْنَي رَاْسِكَ إِذْ ذَاكَ بِشُعَاعِ نُوْرِ قَلْبِكَ وَ إِيْمَانِكَ وَ يَقِيْنِكَ وَ عِلْمِكَ فَيَظْهَرُ عِنْدَ ذٰلِكَ النُّوْرُ مِنْ بَاطِنِكَ عَلٰى ظَاهِرِكَ كَنُوْرِ الشَّمْعَةِ الَّتِيْ فِي الْبَيْتِ الْمُظْلِمِ فِي لَيْلَةٍ ظَلْمَاء يَظْهَرُ مِنْ كُوَى الْبَيْتِ وَ مَنَافِذِهٖ فيشْرُقُ ظَاهِرُ الْبَيْتِ بِنُوْرِ بَاطِنِهٖ فَتَسْكُنُ النَّفْسُ وَالْجَوَارِحُ إِلٰى وَعْدِ الله وَ عَطَائِهٖ عَنْ عَطَاءِ غَيْرِهٖ وَ وَعْدِ غَيْرِهٖ عَزَّ وَ جَلَّ.

«قَالَ رَضِيَ الله عَنْهُ: تَعَامِ» أمر من العمى أي صِرْ اَعْمٰى يا سالك «عَنِ الْجِهَاتِ» التي لا توصلك إلى الله تعالٰى «كُلِّهَا» أي جهة كان فإنه لما لايؤدي إلى الله تعالٰى كان سببا للبعد عنه تعالٰى و هو واجب الاحتراز للسالك «وَ لَا تُبَصْبِصْ» أي لا تفتح عينك «عَلٰى شيء مِّنْهَا» أي من الجهات بالتعلق القلبي «فَمَا دُمْتَ تَنْظُرُ إِلٰى وَاحِدَةٍ مِّنْهَا» طامعا فيها «لَا يَفْتَحُ لَكَ» لأجل نفعك «جِهَةُ فَضْلِ الله عَزَّ وَ جَلَّ» و هو فيضه الخاص بأوليائه لا مطلق النعم، فإنها من فضل الله الفائض على سائر خلقه «وَ» لا يكشف لك جهة «قُرْبِهٖ فَسَدِّ الْجِهَاتِ جَمِيْعًا» و لتغلق الأبواب كلها «بِتَوْحِيْدِكَ» لله تعالٰى في الأفعال والصفات والذات فلا تعلم لغير الله فعلا و لا صفة و لا ذاتا «وَ» اقطع نظر بصيرتك عن جميع ذلك «بِإِمْحَاءِ نَفْسِكَ» فلا تعلم

نفسك بأنها موجودة «وَ» إمحاء «فَنَائِكَ وَ مَحْوِكَ» فلا تشعر بأنك صرت فانيا و محوا «وَ» إمحاء «عِلْمِكَ» بأنك صرت فانيا فإن الفناء والمحو والعلم من صفاتك و إنك إذا فنيت بذاتك فأين صفاتك، فإن الشعور بالشيء، والشعور بالشعورمن صفات الشاعر فإن بقي شيء منها لم يحصل الفناء التام «فَحِيْنَئِذٍ» أي حين سدك الجهات جميعا بتوحيدك و إمحاء نفسك ثم إمحاء فنائك و محوك و علمك بذلك «يُفْتَحُ» من جانب الله تعالىٰ بعنايته و لطفه «فِيْ عَيْنِ قَلْبِكَ» و نظر بصيرتك «جِهَةُ فَضْلِ اللهِ الْعَظِيْمِ فَتَرَاهَا» أي تلك الجهة الفضلية «بِعَيْنَيْ رَأْسِكَ اِذْ ذَاكَ» أي وقت حصول ذلك الحال لك «بِشُعَاعِ نُوْرِ قَلْبِكَ وَ اِيْمَانِكَ وَ يَقِيْنِكَ وَ عِلْمِكَ» كما ترى بنور الشمس المحسوسات ترى بنور القلب المنظور للحق المنور بنوره تعالىٰ جهة فضله تعالىٰ «فَيَظْهَرُ عِنْدَ ذٰلِكَ» أي حين بلوغك إلى هذا الحال الرفيع والقدر المنيع لك «النُّوْرُ مِنْ بَاطِنِكَ عَلٰى ظَاهِرِكَ كَنُوْرِ الشَّمْعَةِ الَّتِيْ فِي الْبَيْتِ الْمُظْلِمِ فِي لَيْلَةٍ ظَلْمَاء يَظْهَرُ مِنْ كُوَى الْبَيْتِ وَ مَنَافِذِهٖ فيشْرُقُ ظَاهِرُ الْبَيْتِ بِنُوْرِ بَاطِنِهٖ» كذلك تنور ظاهرك بنور باطنك من منافذ الحواس وكوى القوى «فَتَسْكُنُ النَّفْسُ وَالْجَوَارِحُ» أي الظاهر والباطن «اِلٰى وَعْدِ اللهِ تعالىٰ وَ عَطَائِهٖ» الموعود بلسان أنبيائه و أوليائه معرضا «عَنْ عَطَاءِ غَيْرِهٖ وَ وَعْدِ غَيْرِهٖ عَزَّ وَ جَلَّ» لأنك تعلم فناء الغير و عطاءه و وعده فكيف تميل إليه فينبغي لك أن تحصّل هذا الحال الرفيع الشأن فجِد و اسْعِ في تحصيله بقطع التوجه والالتفات إلى الغير.

وَارْحَمْ نَفْسَكَ وَ لَا تَظْلِمْ عَلَيْهَا وَ لَا تُلْقِهَا فِي ظُلْمَاتِ جَهْلِكَ وَ رَعُوْنَتِكَ فَتَنْظُرَ اِلَى الْجِهَاتِ وَ اِلَى الْخَلْقِ وَالْحَوْلِ وَ الْقُوَّةِ وَالْكَسْبِ وَالْاَسْبَابِ فَتَتَّكِلُ عَلَيْهَا فينْسَدُّ عَنْكَ الْجِهَاتُ وَ لَمْ يُفْتَحْ لَكَ جِهَةُ فَضْلِ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ عُقُوْبَةً وَ مُقَابَلَةً لِشِرْكِكَ بِالنَّظْرِ اِلٰى غَيْرِهٖ عَزَّ وَ جَلَّ فَاِذَا وَجَدْتَّهٗ عَزَّ وَ جَلَّ وَ نَظَرْتَ اِلٰى فَضْلِهٖ وَ رَجَوْتَهٗ دُوْنَ غَيْرِهٖ وَ تَعَامَيْتَ قَرَّبَكَ وَ اَدْنَاكَ وَ رَحِمَكَ وَ رَبَّاكَ وَ اَطْعَمَكَ وَ سَقَاكَ وَ

دَاوَاكَ وَ عَافَاكَ وَ اَعْطَاكَ وَ اَغْنَاكَ وَ نَصَرَكَ وَ وَلّاكَ ثُمَّ مَحَاكَ عَنِ الْخَلْقِ وَ عَنْ نَفْسِكَ وَ اَفْنَاكَ فَلَا تَرٰى بَعْدَ ذٰلِكَ لَا فَقْرَكَ وَ لَا غِنَاكَ.

«وَارْحَمْ نَفْسَكَ» بتحصيل هذه الرتبة لها «وَ لَا تَظْلِمْ عَلَيْهَا» بأن تجعلها محرومة عنها «وَ لَا تُلْقِهَا فِي ظُلُمَاتِ جَهْلِكَ وَ رَعُوْنَتِكَ» أي حماقتك بترك التوجه والسعى إلى هذه الرتبة بكثرة الاشتغال بالأمور الدنيوية الخسيسة أو الأخروية الشريفة «فَيَنْظُرَ إِلَى الْجِهَاتِ» المُبَعِّدة لك عن قرب ربك «وَ» هي النظر «إِلَى الْخَلْقِ وَالْحَوْلِ وَ الْقُوَّةِ وَالْكَسْبِ وَالْاَسْبَابِ» بأنها نافعة لك في مطالبك و يحصل لك بها مقاصدك «فَتَتَّكِلُ» و تعتمد «عَلَيْهَا» في حصول مراداتك «فينْسَدُّ عَنْكَ الْجِهَاتُ» المقربة لك إلى ربك تعالٰى «وَ لَمْ يُفْتَحْ لَكَ جِهَةُ فَضْلِ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ عُقُوْبَةً» مفعول له لإثبات الفعل و نفيه فيكون علة لهما لا للفعل المنفي أي يكون انسداد الجهات و عدم فتح جهة فضله لك لأجل العقوبة عليك من جانب الله تعالٰى «وَ مُقَابَلَةً» أي لأجل المجازاة والمكافأة «لِشِرْكِكَ» الصادر عنك «بِالنَّظَرِ» والالتفات «إِلٰى غَيْرِهٖ عَزَّ وَ جَلَّ» من الخلق والحول والقوة والكسب والاسباب «فَإِذَا وَجَدْتَّهٗ عَزَّ وَ جَلَّ» واحدا لا شريك له في الأفعال والصفات والوجود «وَ نَظَرْتَ إِلٰى فَضْلِهٖ» تعالٰى دون فضل غيره «وَ رَجَوْتَهٗ دُوْنَ غَيْرِهٖ وَ تَعَامَيْتَ» و غمزت عينيك عما سواه تعالٰى «قَرَّبَكَ» ربك «وَ اَدْنَاكَ» أي زاد في تقريبك عنده «وَ رَحِمَكَ» بتائيد من عنده بحفظك عن التوجه إلى غيره تعالٰى «وَ رَبَّاكَ» ربك بانواع التربية الظاهرية والباطنية «وَ اَطْعَمَكَ وَ سَقَاكَ» بطعام و شراب يصلح لغذاء الباطن و قوّة الروح والعقل «وَ دَاوَاكَ» بدواء يزيل مرض الحرمان عن وجدان كمال الإنسان «وَ عَافَاكَ» عن مرض التنزل إلى رتبة الحيوان «وَ اَعْطَاكَ» كمال العلم والعرفان «وَ اَغْنَاكَ» عن جميع ما سواه تعالٰى من إنس و جان «وَ نَصَرَكَ» على أعدائك من نفسك والشيطان «وَ وَلّاكَ» أي جعلك متوليا لامور نفسك والخلق «ثُمَّ مَحَاكَ» ربك عَنِ الْخَلْقِ وَ عَنْ نَفْسِكَ وَ اَفْنَاكَ فَلَا تَرٰى بَعْدَ ذٰلِكَ لَا فَقْرَكَ وَ لَا غِنَاكَ» و قد كنتَ أوّلا رائيا فقرك و معرضا بالتكلف عن تأثير الخلق والنفس والأسباب، والاٰن صرت عارفا أن لا وجود في الحقيقة إلا الله الَّذِيْ لا إله إلاهو.

المقالة التاسعة والخمسون

في بيان التصبرو الصبروالرضا و الموافقة والفناء

قَالَ رِضِيَ الله تَعَالٰی عَنْهُ: لَا تَخْلُوْ حَالَتُكَ اِمَّا اَنْ تَكُوْنَ بَلِيَّةً اَوْ نِعْمَةً: فَاِنْ كَانت بَلِيَّةً فَتُطَالَبُ فيهَا بِالتَّصَبُّرِ وَ هُوَ الْاَدْنٰى، وَالصَّبْرِ، ثُمَّ الرِّضَا وَالْمُوَافَقَةِ، ثُمَّ الْفَنَاءِ وَ هُوَ لِلْاَبْدَالِ وَ الْعَارِفِينَ اَهْلِ الْعِلْمِ بِالله عَزَّ وَ جَلَّ وَإِنْ كَانت نِعْمَةً فَتُطَالَبُ فيهَا بِالشُّكْرِ عَلَيْهَا، وَالشُّكْرُ بِاللِّسَانِ وَالْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ. اَمَّا بِاللِّسَانِ فَبِالْاِعْتِرَافِ بِالنِّعْمَةِ اَنَّهَا مِنَ الله عَزَّ وَ جَلَّ وَ تَرْكِ الْاِضَافَةِ إِلى الْخَلْقِ لَا إِلٰى نَفْسِكَ وَ حَوْلِكَ وَ قُوَّتِكَ وَ حَرَكَتِكَ وَ كَسْبِكَ وَ لَا إِلٰى غَيْرِكَ مِنَ الذينَ جَرَتْ تِلْكَ النِّعْمَةُ عَلٰى اَيْدِيْهِمْ؛ لِاَنَّكَ وَ اِيَّاهُمْ اَسْبَابٌ وَ اٰلَاتٌ وَ اَدَاةٌ لَهَا، وَقَاسِمُهَا وَ مُجْرِيْهَا وَ مُوْجِدُهَا وَالْفَاعِلُ فيهَا وَالْمُسَبِّبُ لَهَا هُوَ اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ وَ إذا كَانَ الْقَاسِمُ هُوَ الله عَزَّ وَ جَلَّ، وَالْمُجْرِىْ هُوَ، وَالْمُوْجِدُ هُوَ، فَهُوَ تَعَالٰى اَحَقُّ بِالشُّكْرِ مِنْ غَيْرِهٖ. لَا نَظَرَ إِلى الْغُلَامِ الْحَمَّالِ لِلْهَدِيَّةِ اِنَّمَا النَّظَرُ إِلى الْأُسْتَاذِ الْمُنْفِّذِ الْمُنْعِمِ بِهَا.

قَالَ الله تَعَالٰى في حَقِّ مَنْ عَدِمَ هٰذَا النَّظَرَ :

﴿يَعْلَمُوْنَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا ۚ وَ هُمْ عَنِ الْاٰخِرَةِ هُمْ غَافِلُوْنَ﴾[الروم: ٣٠، الآية: ٧]

فَمَنْ نَظَرَ إِلى الظَّاهِرِ وَالسَّبَبِ وَ لَمْ يُجَاوِزْهُمَا عِلْمُهٗ وَ مَعْرِفَتُهٗ فَهُوَ الْجَاهِلُ النَّاقِصُ قَاصِرُ الْعَقْلِ، وَ اِنَّمَا سُمِّيَ الْعَاقِلُ عَاقِلًا لِنَظَرِهٖ في الْعَوَاقِبِ.

قَالَ رِضَيَ الله تَعَالٰى عَنْهُ: لَا تَخْلُوْ حَالَتُكَ» يا طالب العلم والعرفان في كل

وقت و زمان و كل منزل و مكان «إِمَّا اَنْ تَكُوْنَ» هي حالة «بَلِيَّةً» و هي ما يحزنك و يسؤك من أي جنس كانت «اَوْ» حالة «نِعْمَةً» و هي ما تسرك من أي جنس كانت «فَاِنْ كَانَت» حالتك «بَلِيَّةً» أي حالة بلية من أي جنس كانت «فَتُطَالَبُ» أنت من جانب الله تعالىٰ «فيهَا» أي في تلك الحالة «بِالتَّصَبُّرِ» و هو التكلف في الصبر و إظهاره و توطين النفس عليه بمحنة و مشقة «وَ هُوَ» أي التصبر المرتبة «الْاَدْنٰى» من مراتب عباد الله المؤمنين المرضيين المقبولين «وَالصَّبْرِ» و هو تحمل المكروه بقوة القلب من غير جزع و فزع و بث الشكوى عند الخلق كما كان حال أيوب عليه السلام «ثُمَّ» بعد الصبر «الرِّضَا» و هو ظهور البشاشة والسرور بوصول المكروه كما كان بوصول النعمة «وَالْمُوَافَقَةِ» لقضاء الله تعالىٰ و قدره من غير سعي في دفع ذلك المكروه بدواء أو دعاء كما كان حال إبراهيم حين اُلقي في نار نمرود، و قال له جبرئيل عليه السلام: ألك حاجة، قال: أما إليك فلا، قال: فاسأل ربك، قال: حسبي عن سؤالي علمُهُ بحالي «ثُمَّ» بعد الرضا والموافقة «الْفَنَاءِ» عن تلك البلية بالفناء عن النفس في الله تعالىٰ فمن فني عن النفس لا يجد النفس فأين لوازمها و متفرعاتها التي من جملتها البلية والمحنة بتلك البلية والسرور بها «وَ هُوَ» أي الفناء إنما يكون «لِلْاَبْدَالِ وَ الْعَارِفِينَ» الكاملين من الأولياء «اَهْلِ الْعِلْمِ بِالله عَزَّ وَ جَلَّ» فإنهم ما بقي فيهم إلا العلم بالله عَزَّ وَ جَلَّ، وانتفى عنهم سائر العلوم و من جملتها العلم بالنفس و لوازمها «وَإِنْ كَانت» حالتك «نِعْمَةً» أي حالة نعمة من أي جنس كانت «فَتُطَالَبُ» أنت من جانب الله تعالىٰ «فيهَا» أي في تلك الحالة «بِالشُّكْرِ عَلَيْهَا» أي على تلك النعمة «وَالشُّكْرُ» يعم الموارد كلها «بِاللِّسَانِ وَالْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ[1] اَمَّا» طريق أداء الشكر «بِاللِّسَانِ فَبِالْاِعْتِرَافِ بِالنِّعْمَةِ اَنَّهَا مِنَ الله عَزَّ وَ جَلَّ وَ تَرْكِ الْاِضَافَةِ إِلى الْخَلْقِ» و إن وصلتك تلك النعمة من جانبهم أيّ خلق كان فاترك الإضافة إليه فلا

(1) قال الشاعر: أفادتكم النعماء مني ثلاثة. يدي ولساني والضميرَ المحجبا. من شرح الشيخ عبدالعزيز رحمه الله.

تضف «لَا إلىٰ نَفْسِكَ وَ حَوْلِكَ وَ قُوَّتِكَ وَ حَرَكَتِكَ وَ كَسْبِكَ» و إن كانت نفسك بهذه الطرق في حصول تلك النعمة سببا بحسب الظاهر «وَ لَا إلىٰ غَيْرِكَ مِنَ الذينَ جَرَتْ تِلْكَ النِّعْمَةُ عَلىٰ اَيْدِيْهِمْ» و إنما أُمِرْتَ بترك الإضافة إلى الخلق مطلقا نفسك أو غيرك «لِاَنَّكَ وَ اِيَّاهُمْ اَسْبَابٌ وَ اٰلَاتٌ وَ اَدَاةٌ لَهَا» أي لتلك النعمة. الكلمات الثلاث كلها بمعنى واحد و كونها أسبابا و آلاتا و أدواتا أيضًا بجعل الله تعالىٰ لا لخاصية في ذواتهم كما بيَّن ذلك بقوله «وَقَاسِمُهَا» أي قاسم النعمة مطلقا على جميع مخلوقاته «وَ مُجْرِيْهَا» أي مجري النعمة مطلقا بيدي المخلوقات على المخلوقات «وَ مُوْجِدُهَا» أي موجد النعمة مطلقا «وَالْفَاعِلُ فيهَا» أي المؤثر فيها «وَالْمُسَبِّبُ لَهَا هُوَ الله عَزَّ وَ جَلَّ» فوجب إضافة النعمة إليه تعالىٰ و إضافتها إلى الوسائط من حيث الوساطة و أما إضافتها إليهم من حيث التأثير فهي جهل و حماقة «وَ إذَا كَانَ الْقَاسِمُ» للنعم على المخلوقات «هُوَ الله عَزَّ وَ جَلَّ وَالْمُجْرِيْ» للنعم بيدالعباد «هُوَ، وَالْمُوْجِدُ» للنعم والعباد «هُوَ» الله تعالىٰ «فَهُوَ تعالىٰ اَحَقُّ بِالشُّكْرِ مِنْ غَيْرِهٖ» تعالىٰ الَّذِيْ يظهر النعمة بيده و إن كان شكر السببية حقا له أيضًا على ما نطق به حديث:

مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ الله.(١)

ثم بين له نظيرا فقال: «لَا نَظَرَ» من العاقل أي لا ينبغي النظر من المهدى الفطن العاقل «إلى الْغُلَامِ الْحَمَّالِ لِلْهَدِيَّةِ» التي أرسله بها صاحب الغلام إلى شخص «اِنَّمَا النَّظَرُ» في إرسال تلك الهدية «إلى الْاُسْتَاذِ الْمُنَفِّذِ» أي المرسل «الْمُنْعِمِ بِهَا» أي بتلك الهدية، و يجب إضافة تلك الهدية إلى الأستاذ و الامتنان بها منه لا إلى الغلام و لا منه «قَالَ الله تَعَالىٰ فِي حَقِّ مَنْ عَدِمَ هٰذَا النَّظَرَ» و غفل عنها ﴿«لِلّٰهِ الْاَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْۢ بَعْدُ وَ يَوْمَئِذٍ يَّفْرَحُ الْمُؤْمِنُوْنَ بِنَصْرِ اللهِ يَنْصُرُ مَنْ يَّشَآءُ وَ هُوَ الْعَزِيْزُ الرَّحِيْمُ وَعْدَ اللهِ لَا يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهٗ وَلٰكِنَّ اَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُوْنَ يَعْلَمُوْنَ ظٰهِرًا مِّنَ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْاٰخِرَةِ هُمْ غٰفِلُوْنَ»﴾ و هو

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه برقم:١٩٥٥،٤/ ٣٣٩، باب ماجاء في الشكر من أبواب البر والصلة

التمتع بزخارفها و التنعم بملاذها، و باطن الدنيا هو كونها مزرعة الآخرة إذ به يحصل الآخرة إن لوحظ في أمورها ملاحظة أمر الله تعالىٰ و رسوله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ ﴿«وَ هُمْ عَنِ الْاٰخِرَةِ»﴾ أي ما يفيد هم في الآخرة و هو معرفة المنعم و أداء شكره بما أنعم ﴿«هُمْ غَافِلُوْنَ»﴾

لا يخطر ذلك الَّذِيْ ذكرنا ببالهم «فَمَنْ نَظَرَ إلى الظَّاهِرِ وَالسَّبَبِ» و قصَّر النظر عليهما «وَ لَمْ يُجَاوِزْهُمَا» أي الظاهر والسبب «عِلْمُهٗ وَ مَعْرِفَتُهٗ» إلى معرفة المنعم الحقيقي و أداء الشكرإليه والامتنان منه «فَهُوَ الْجَاهِلُ» لحقيقة النعمة و حق المنعم «النَّاقِصُ» في معرفة كنه الأشياء «قَاصِرُ الْعَقْلِ» عما خلق له، و ذلك لأن العقل على ما فسره القوم هو نورأي قوة شبيهة بالنور يضيئ به طر يق يبتدأ به من حيث ينتهي إليه أي من محل ينتهي إليه درك الحواس فيتبَدّٰى أي يظهر المطلوب للقلب أي الروح المسمى بالقوة العاقلة والنفس الناطقة فيدركه القلب بتأمله أي التفاته إليه والتوجه نحوه بتوفيق الله تعالىٰ و إلهامه لا بتأثير النفس أو توليدها كما ذهب إليه غير أهل السنة والجماعة، و محلها قيل: الرأس، و قيل: القلب، و قيل :بدن الإنسان فقاصر النظر على الظاهر غيرمدرك للحقيقة فلا يكون إلا ناقص العقل بل لا يسمى عاقلا لعدم نظره في عواقب الأمور «وَ اِنَّمَا سُمِّيَ الْعَاقِلُ عَاقِلًا لِنَظَرِهٖ فِي الْعَوَاقِبِ» فكان حق المنعم عليه أن ينظر إلى المنعم الحقيقي و يؤدي الشكر إليه والامتنان منه حتى يستحق المز يد فالنظر إلى الظاهر والسبب ليس نظرا في العواقب فلا يسمى الناظر إليهما عاقلا في الحقيقة بل جاهلا ناقصا.

وَ اَمَّا الشُّكْرُ بِالْقَلْبِ فَبِالْاِعْتِقَادِ الدَّائِمِ وَالْعَقْدِ الْوَثِيْقِ الشَّدِيْدِ الْمُبَرَّمِ اِنَّ جَمِيْعَ مَا بِكَ مِنَ النِّعَمِ وَالْمَنَافِعِ وَاللَّذَّاتِ فِي الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ فِي حَرَكَاتِكَ وَ سَكَنَاتِكَ مِنَ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ لَا مِنْ غَيْرِهٖ، وَ يَكُوْنُ شُكْرُكَ بِلِسَانِكَ مُعَبِّرًا عَمَّا فِي قَلْبِكَ. وَ قَدْ قَالَ عَزَّ وَ جَلَّ ﴿وَ مَا بِكُمْ مِّنْ نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ﴾ [النحل:١٦،الآية:٥٣]

وَ قَالَ:

﴿وَ اَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهٗ ظَاهِرَةً وَّ بَاطِنَةً﴾ [لقمان:٣١، الآية:٢٠]

وَ قَالَ:

﴿وَ اِنْ تَعُدُّوْا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوْهَا﴾[النحل:١٦،الآية:١٨]

فَمَعَ هٰذَا لَا يَبْقٰى لِمُؤْمِنٍ مُنْعِمٌ سِوَى اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ.

«وَ اَمَّا الشُّكْرُ بِالْقَلْبِ» أي طريق أداء الشكر بالقلب «فَ» يتحقق «بِالْاِعْتِقَادِ الدَّائِمِ وَالْعَقْدِ الْوَثِيْقِ» أي المحكم «الشَّدِيْدِ» الَّذِيْ لا يتزلزل «الْمُتَبَرَّمِ» القاطع الجازم «اِنَّ جَمِيْعَ مَا بِكَ» أيها السالك المنعم عليه «مِنَ النِّعَمِ وَالْمَنَافِعِ وَاللَّذَّاتِ فِي الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ فِي» جميع «حَرَكَاتِكَ وَ سَكَنَاتِكَ مِنَ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ لَا مِنْ غَيْرِهٖ تعالىٰ وَ يَكُوْنُ شُكْرُكَ بِلِسَانِكَ مُعَبِّرًا عَمَّا فِي قَلْبِكَ» من اعتقاد أن النعم كلها من الله تعالىٰ واصلة إليك، و إن كانت بحسب الظاهر من الخلق «وَ قَدْ قَالَ عَزَّ وَ جَلَّ

﴿«وَ مَا بِكُمْ مِّنْ نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ»﴾ [النحل:١٦،الآية:٥٣]

«وَ قَالَ:»

﴿«وَ اَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهٗ ظَاهِرَةً وَّ بَاطِنَةً»﴾[لقمان:٣١، الآية:٢٠]

«وَ قَالَ:»

﴿«وَ اِنْ تَعُدُّوْا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوْهَا»﴾[النحل:١٦، الآية:١٨]

«فَمَعَ هٰذَا» الكلام من الله العزيز العلّام «لَا يَبْقٰى لِمُؤْمِنٍ» بالله و رسوله و كلامه «مُنْعِمٌ سِوَى اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ» فيجب أن يعلم أن منعم كل النعم هو الله فيحمد الله و يشكره و إن وصلت إليه بيدالخلق.

وَ اَمَّا الْجَوَارِحُ فَبِاَنْ تُحَرِّكَهَا وَ تَسْتَعْمِلَهَا فِي طَاعَتِهٖ عَزَّ وَ جَلَّ دُوْنَ غَيْرِهٖ مِنَ الْخَلْقِ فَلَا تُجِيْبُ اَحَدًا مِنَ الْخَلْقِ فِيمَا فِيهِ اِعْرَاضٌ عَنِ اللهِ، وَ هٰذَا يَعُمُّ النَّفْسَ وَالْهَوٰى وَالْاِرَادَاتِ وَالْاَمَانِيِّ وَ سَائِرَ

الْخَلِيْقَةِ، تَجْعَلُ طَاعَةَ اللهِ الْمَوْضُوْعَةَ اَصْلًا مَتْبُوْعًا اِمَامًا وَ مَا سِوَاهَا فَرْعًا وَ تَابِعًا و مَأْمُوْمًا، فَاِنْ فَعَلْتَ غَيْرَ ذٰلِكَ كُنْتَ جَائِرًا ظَالِمًا حَاكِمًا بِغَيْرِ حُكْمِ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ الْمَوْضُوْعِ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِيْنَ، وَ سَالِكًا غَيْرَ سَبِيْلِ الصَّالِحِيْنَ. قَالَ اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ:

﴿وَ مَنْ لَّمْ يَحْكُمْ بِمَآ اَنْزَلَ اللهُ فَاُولٰٓئِكَ هُمُ الْكٰفِرُوْنَ﴾ [المائدة:٥،الآية:٤٤]

و في اٰية اُخرى:

﴿وَ مَنْ لَّمْ يَحْكُمْ بِمَآ اَنْزَلَ اللهُ فَاُولٰٓئِكَ هُمُ الظّٰلِمُوْنَ﴾ [المائدة:٥،الآية:٤٥]

وَ في اُخْرٰى:

﴿وَ مَنْ لَّمْ يَحْكُمْ بِمَآ اَنْزَلَ اللهُ فَاُولٰٓئِكَ هُمُ الْفٰسِقُوْنَ﴾ [المائدة:٥، الآية:٤٧]

فيكُوْنُ اِنْتِهَاءُكَ إلى النَّارِ التي وَقُوْدُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ، وَ أنت لَا تَصْبِرُ عَلى حُمّٰى سَاعَةٍ في الدُّنْيَا وَ اَقَلِّ شَظِيَّةٍ وَ شَرَارَةٍ مِنْ نَّارٍ فيهَا فَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى الْخُلُوْدِ في الْهَاوِيَةِ مَعَ اَهْلِهَا اَلنَّجَا اَلنَّجَا، اَلْوَحَا اَلْوَحَا، الله الله.

«وَ اَمَّا الْجَوَارِحُ» أي طريق أداء الشكر بالجوارح «فَبِاَنْ تُحَرِّكَهَا وَ تَسْتَعْمِلَهَا» أي الجوارح في «طَاعَتِهٖ عَزَّ وَ جَلَّ دُوْنَ» طاعة «غَيْرِهٖ مِنَ الْخَلْقِ فَلَا تُجِيْبُ اَحَدًا مِنَ الْخَلْقِ فيمَا» أي في شيء «فيهِ اِعْرَاضٌ عَنِ الله» تعالٰى كالقتل والزنا والشرب والقذف و غير ذلك مما هو معصية و إليه يشير حديث رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ:

"لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوْقٍ في مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ".[1]

(1) مر تخريجه

«وَ هٰذَا» أي الخلق «يَعُمُّ النَّفْسَ وَالْهَوٰى وَالْإِرَادَاتِ» النفسية «وَالْاَمَانِيِّ» الهوائية «وَ سَائِرَ الْخَلِيْقَةِ» فيجب عليك أن لا تتبع شيئا منها بل «تَجْعَلُ طَاعَةَ اللهِ الْمَوْضُوْعَةَ» أي المفروضة عليك «اَصْلًا مَتْبُوْعًا اِمَامًا وَ مَا سِوَاهَا» أي ما سوى طاعة الله الموضوعة بأن يكون طاعة المخلوق أو طاعة الله الـمُتَنَفِّلة «فَرْعًا» و في بعض النسخ: و أماما سواها فَفَرْعًا «وَ تَابِعًا و مَأْمُوْمًا» لطاعة الله المفروضة فتؤدي على وجه لا تُضِيْعُها و لا تخالفها؛ فإن طاعة الله المفروضة رأس المال، و طاعة المخلوق الَّذِيْ ثبت حقه على الناس كالأب والأم والأستاذ والزوجة والولد والسيد والغلام وكذا طاعته تعالٰى المتنفلة ربح فحق الربح أن لا يضيع رأس المال «فَاِنْ فَعَلْتَ غَيْرَ ذٰلِكَ» بأن جعلت طاعة المخلوق أصلا و طاعة الله فرعا، أو طاعة الله المتنفلة أصلا والمفروضة فرعا «كُنْتَ جَائِرًا ظَالِمًا» بوضع الشيء في غير موضعه «حَاكِمًا بِغَيْرِ حُكْمِ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ الْمَوْضُوْعِ» المفروض المثبت المقرر «لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِيْنَ» و هو أن لا يعبدوا إلا لله وحده كما بين ذلك بقوله:

﴿وَ مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْاِنْسَ اِلَّا لِيَعْبُدُوْنِ﴾ [الذّٰريٰت:،السورة:٥١، الآية:٥٦]

و بقولهٖ: ﴿وَ مَآ اُمِرُوْٓا اِلَّا لِيَعْبُدُوْٓا اِلٰهًا وَّاحِدًا﴾ [التوبه:٩، الآية٣١]

و بقولهٖ: ﴿وَ مَآ اُمِرُوْٓا اِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِيْنَ لَهُ الدِّيْنَ﴾ [البينة:٩٨، الآية:٥]

و بقولهٖ: ﴿وَ قَضٰى رَبُّكَ اَلَّا تَعْبُدُوْٓا اِلَّآ اِيَّاهُ﴾ [بنى اسرائيل:١٧، الآية:٢٣]

«وَ سَالِكًا غَيْرَ سَبِيْلِ الصَّالِحِيْنَ» من عباده تعالٰى «قَالَ اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ»:

﴿«وَ مَنْ لَّمْ يَحْكُمْ بِمَآ اَنْزَلَ اللهُ فَاُولٰٓئِكَ هُمُ الْكٰفِرُوْنَ»﴾ [المائدة:٥، الآية:٤٤]

«و في أية أُخرى:»

﴿«وَ مَنْ لَّمْ يَحْكُمْ بِمَآ اَنْزَلَ اللهُ فَاُولٰٓئِكَ هُمُ الظّٰلِمُوْنَ»﴾ [المائدة:٥، الآية:٤٥]

وَ في اُخْرٰى:

﴿وَ مَنْ لَّمْ يَحْكُمْ بِمَآ اَنْزَلَ اللهُ فَاُولٰٓئِكَ هُمُ الْفٰسِقُوْنَ﴾ [المائده:٤٧]

«فيكُوْنُ اِنْتِهَاءُكَ» بسبب ظلمك و حكمك بغير حكم الله عَزَّ وَ جَلَّ و

سلوكك غير سبيل الصالحين و هو جعل طاعة المخلوق أصلا و طاعة الخالق فرعا «إلى النَّارِ التي وَقُوْدُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ» و لا تظن أنك تقدر على حملها والصبر عليها و كيف تصبر «وَ أنت» أي والحال أنك «لَا تَصْبِرُ عَلٰى حُمّٰى سَاعَةٍ فِي الدُّنْيَا وَ اَقَلِّ شَظِيَّةٍ» أي قِطعة و كِسرة، قال في القاموس: الشظية الفِلقة من كل شيء، و قال: الفِلقة الكِسرة «وَ شَرَارَةٍ» عطف تفسيري لشظية «مِنْ نَّارٍ فيهَا» أي في الدنيا «فَكَيْفَ تَصْبِرُ» مع هذا الضُّعف «عَلَى الْخُلُوْدِ فِي الْهَاوِيَةِ» علم للنار.

قال تعالىٰ:

﴿وَ اَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِيْنُهٗ.فَاُمُّهٗ هَاوِيَةٌ. وَ مَآ اَدْرَاكَ مَاهِيَهْ.نَارٌ حَامِيَةٌ﴾

[القارعة،السورة:١٠١،الآية:٨ إلى ١١]

«مَعَ اَهْلِهَا» فإن الإقامة في محل الغضب مع المغضوبين المعذبين بأنواع العذاب المصيحين بالأصوات الهائلة والاضطرابات المفزِعة أشد من نفس الشدة «اَلنَّجَا اَلنَّجَا» أي اطلبوا النجاة، والنجا اسم، قوله: «اَلْوَحَا اَلْوَحَا» بالحاء المهملة فإنه جاء لمعان كثيرة منها العجلة والإسراع و هو يناسب ههنا بمعنى احذر العجلةَ والسرعةَ كما في قوله: «الله الله» أي اتق الله في أمورك و لا تغفل عن شكر نعمائه و لا تنسبها إلى الأسباب حقيقة، والحذر من السرعة أيضا بهذا المعنى أي احذر من نسبتها إلى الأسباب بظاهر وجدان وصولك منها بل تأمّل فيها حتى تجد أنها من الله تعالىٰ فتشكر الله تعالىٰ على إعطائها و تشكر السبب على سببيّتها لا على مؤثريتها.

اِحْفَظِ الْحَالَتَيْنِ وَ احفَظ شُرُوْطَهُمَا فَاِنَّكَ لَا تَخْلُوْ فِي جَمِيْعِ عُمْرِكَ مِنْ اِحْدٰهُمَا:

اِمَّا الْبَلِيَّةُ وَ اِمَّا النِّعْمَةُ فَاعْطِ كُلَّ حَالَةٍ حَظَّهَا وَ حَقَّهَا مِنَ الصَّبْرِ وَالشُّكْرِ عَلٰى مَا بَيَّنْتُ لَكَ فَلَا تَشْكُوَنَّ فِي حَالَةِ الْبَلِيَّةِ اِلٰى اَحَدٍ مِّنْ خَلْقٍ، وَ لَا تُظْهِرَنَّ الضَّجْرَلِأَحَدٍ وَ لَا تَتَّهِمَنَّ رَبَّكَ فِي بَاطِنِكَ، وَ لَا تَشْكُنَّ فِي حِكْمَتِهٖ وَ اِخْتِيَارِ الْاَصْلَحِ لَكَ فِي دُنْيَاكَ وَ اٰخِرَتِكَ فَلَا

تَذْهَبَنَّ بِهَمِّكَ إِلىٰ اَحَدٍ مِّنْ خَلْقِهٖ فِي مُعَافَاتِكَ فَإِنَّ ذٰلِكَ إِشْرَاكٌ مِّنْكَ بِهٖ عَزَّ وَ جَلَّ وَ لَا يَمْلِكُ مَعَهٗ عَزَّ وَ جَلَّ فِي مُلْكِهٖ اَحَدٌ شَيْئًا لَا ضَارَّ وَ لَا نَافِعَ وَ لَا دَافِعَ وَ لَا جَالِبَ وَ لَا مُقْسِمَ وَ لَا مُبْلِيَ وَ لَا مُعَافِي وَ لَا مُبْرِئَ غَيْرُهٗ عَزَّ وَ جَلَّ فَلَا تَشْتَغِلَنَّ بِالْخَلْقِ فِي الظَّاهِرِ وَ لَا فِي الْبَاطِنِ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوْا عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا بَلْ اِلْزَمِ الصَّبْرَ وَالرِّضَا وَالْمُوَافَقَةَ وَالْفَنَاءَ فِي فِعْلِهٖ عَزَّ وَ جَلَّ فَإِنْ حُرِمْتَ ذٰلِكَ كُلَّهٗ فَعَلَيْكَ بِالْاِسْتِغَاثَةِ اِلَيْهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَالتَّضَرُّعِ وَالْاِعْتِرَافِ بِالذُّنُوْبِ وَالتَّظَلُّمِ مِنْ شُؤْمِ النَّفْسِ بِنَزَاهَةِ الْحَقِّ عَزَّ وَ جَلَّ وَالْاِعْتِرَافِ لَهٗ بِالتَّوْحِيْدِ وَ النَّعِيْمِ وَ بِالتَّبَرِّيْ مِنَ الشِّرْكِ وَ بِطَلْبِ الصَّبْرِ وَالرِّضَا وَالْمُوَافَقَةِ إِلىٰ حِيْنٍ اَنْ يَّبْلُغَ الْكِتَابُ اَجَلَهٗ فَتَزُوْلُ الْبَلِيَّةُ وَ تَنْكَشِفُ الْكُرْبَةُ وَ تَأْتِي النِّعْمَةُ وَالسَّعَةُ وَالْفَرْحَةُ وَالسُّرُوْرُ كَمَا كَانَ فِي حَقِّ نَبِيِّ اللهِ اَيُّوْبَ عَلَيْهِ الصَّلٰوةُ وَالسَّلَامُ كَمَا يَذْهَبُ سَوَادُ اللَّيْلِ وَ يَأْتِيْ بَيَاضُ النَّهَارِ وَ يَذْهَبُ بَرْدُ الشِّتَاءِ وَ يَأْتِيْ نَسِيْمُ الصَّيْفِ وَ طِيْبُهٗ لِاَنَّ لِكُلِّ شيء ضِدًّا وَ خِلَافًا وَ غَايَةً وَ اَمَدًا وَ مُنْتَهىٰ فَالصَّبْرُ مِفْتَاحُهٗ وَ اِبْتِدَاءُهٗ وَ اِنْتِهَاءُهٗ وَ جَمَالُهٗ كَمَا جَاءَ فِي الْخَبَرِ:

اَلصَّبْرُ مِنَ الْاِيْمَانِ كَالرَّاْسِ مِنَ الْجَسَدِ.

وَ فِي لَفْظٍ:

اَلصَّبْرُ نِصْفُ الْاِيْمَانِ وَالْيَقِيْنُ الْاِيْمَانُ كُلُّهٗ.

وَ قَدْ يَكُوْنُ الشُّكْرُ هُوَ التَّلَبُّسُ بِالنِّعَمِ وَ هِيَ اَقْسَامُكَ الْمَقْسُوْمَةُ فَشُكْرُكَ التَّلَبُّسُ بِهَا فِي حَالِ فَنَائِكَ وَ زَوَالِ الْهَوٰى وَالْحَمِيَّةِ وَالْحِفْظِ وَ هٰذِهٖ حَالَةُ الْاَبْدَالِ وَ هِيَ الْمُنْتَهىٰ اِعْتَبِرْ مَا ذَكَرْتُ لَكَ تُرْشَدْ اِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالىٰ.

«اِحْفَظِ الْحَالَتَيْنِ» حالة النعمة و حالة البلية «وَ احفَظ شُرُوْطَهُمَا» و هو

الشكر على الأولى و صرفها إلى محلها و عدم رؤية النفس فيها، والصبر على الثانية، أوالرضا بها أو الفناء عنها على قدرعرفانك والشكر على عدم الزيادة فيها، و عدم كونها في الدين فقد روي عن السلف أنهم قالوا: لله على العبيد في الابتلاء ثلث نِعَمٍ أنها ليس في الدين و أنها لم تزد منها، و أنها موجبة للأجر. «فَاِنَّكَ لَا تَخْلُوْ فِي جَمِيْعِ عُمْرِكَ مِنْ اِحْدٰهُمَا»: أي الحالتين، «اِمَّا الْبَلِيَّةُ وَ اِمَّا النِّعْمَةُ فَاعْطِ كُلَّ حَالَةٍ» لحقتك «حَظَّهَا» أي نصيبها «وَ حَقَّهَا مِنَ الصَّبْرِ» إن كانت بلية «وَالشُّكْرِ» إن كانت عطية «عَلٰى مَا بَيَّنْتُ لَكَ» من مفتتح المقالة إلى هنا و هوالتصبر والصبر والموافقة والفناء في حالة البلية والشكر باللسان والقلب والجوارح في حالة النعمة. ثم فرع على كل حالة ما يليق بها فقال: «فَلَا تَشْكُوَنَّ فِي حَالَةِ الْبَلِيَّةِ اِلٰى اَحَدٍ مِّنْ خَلْقٍ» لأن الشكاية مطلقا تدل على عدم التراضي «وَ لَا تُظْهِرَنَّ الضَّجْرَ» و هو ضيق القلب «لأحَدٍ وَ لَا تَتَّهِمَنَّ رَبَّكَ فِي بَاطِنِكَ» بأنه تعالٰى لا يعطيك العافية من هذه البلية اللاحقة بك «وَ لَا تَشْكُنَّ» بسبب لحوق البلية بك و تأخير الخلاص «فِي حِكْمَتِهٖ» بأنه تعالٰى فعل خلاف الحكمة، فإنه تعالٰى لا يفعل إلا ما فيه حكمة، غاية الأمر أنه لم ينكشف وجه حكمته تعالٰى عليك، و لا بُعد في ذلك فإنه يخفى على الأنبياء والأولياء، فإنه تعالٰى لا يظهر وجه الحكمة على أحد إلا على من شاء بما شاء «وَ» كذا لا تشكن في «اِخْتِيَارِ الْاَصْلَحِ لَكَ فِي دُنْيَاكَ وَ اٰخِرَتِكَ» فإنه تعالٰى و إن لم يكن ما هوالأصلح للعباد عليه تعالٰى واجبا لكنه لا يفعل في حق عباده المؤمنين إلا الأصلح تفضلًا و كرمًا خصوصا في حق هذه الأمة المرحومة، فإنه تعالٰى أوحى إلى رسوله في حقها: أنا رب كريم، و أنت نبي رحيم و أمتك ضعيفة، والضعيف بين كريم و رحيم لا يضيع، هكذا نقل في تفسير الدرر اَوْ كلاما هذا حاصله «فَلَا تَذْهَبَنَّ بِهَمِّكَ» أي قصد قلبك «اِلٰى اَحَدٍ مِّنْ خَلْقِهٖ» تعالٰى «فِي مُعَافَاتِكَ» أي لأجل معافاتك ظنا منك أن العافية تحصل لك منه «فَاِنَّ ذٰلِكَ» الهم والظن «اِشْرَاكٌ مِّنْكَ بِهٖ عَزَّ وَ جَلَّ» فإن المؤثر في الحقيقة في جميع الأمور ليس إلا الله سبحانه «وَ لَا يَمْلِكُ مَعَهٗ عَزَّ وَ جَلَّ فِي مُلْكِهٖ اَحَدٌ شَيْئًا» حتى حركات النفس و

إرادات القلب بل تيقن بقلبك أن «لَا ضَارَّ وَ لَا نَافِعَ» أي ضرر كان، و أي نفع كان «وَ لَا دَافِعَ» للمحنة اللاحقة أو الاٰتية «وَ لَا جَالِبَ» للخير اللاحقة أو الاٰتية «وَ لَا مُقْسِمَ» للأقسام والحظوظ في الخلق «وَ لَا مُبْلِيَ» بأنواع البلية للخلق «وَ لَا مُعَافِي» لأحد من خلقه من البلية اللاحقة بهم «وَ لَا مُبْرِئَ» منها إياهم «غَيْرُهٗ عَزَّ وَ جَلَّ فَلَا تَشْتَغِلَنَّ بِالْخَلْقِ فِي الظَّاهِرِ وَ لَا فِي الْبَاطِنِ» في جلب الخير و دفع الشر «فَإِنَّهُمْ» أي الخلق «لَنْ يُغْنُوْا» أي لن يدفعوا «عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا بَلْ الْزَمِ الصَّبْرَ» على البلية «وَالرِّضَا بها «وَالْمُوَافَقَةَ» معها «وَالْفَنَاءَ فِي فِعْلِهٖ عَزَّ وَ جَلَّ فَإِنْ حُرِمْتَ ذٰلِكَ كُلَّهٗ» أي جُعِلْتَ محروما عن جميع ذلك «فَعَلَيْكَ» أي فالزم و استمسك «بِالْإِسْتِغَاثَةِ إِلَيْهِ عَزَّ وَ جَلَّ» في حصول ذلك «وَالتَّضَرُّعِ وَالْإِعْتِرَافِ بِالذُّنُوْبِ وَالتَّظَلُّمِ» أي إظهار مظلوميتك والظلم «مِنْ شُؤْمِ النَّفْسِ» و الزم و اعترف «بِنَزَاهَةِ الْحَقِّ عَزَّ وَ جَلَّ وَالْإِعْتِرَافِ لَهٗ» تعالٰى «بِالتَّوْحِيْدِ» فإنه تعالٰى أحدٌ في ذاته، و واحد في صفاته، و مايظهر في العالم فهو من شُيونات الذات و اٰثار الصفات و إن لم يظهر للعقول القاصرة والأذهان الفاترة حقيقية ذلك الظهور «وَ» اعترف له تعالٰى بإفاضة «النَّعِيْمِ» على الخلق «وَ» الزم و استمسك «بِالتَّبَرِّيْ مِنَ الشِّرْكِ» بالله فلا تشرك به أحدا «وَ» الزم «بِطَلْبِ الصَّبْرِ وَالرِّضَا وَالْمُوَافَقَةِ» و إن تأخر حصول ذلك «إِلٰى حِيْنٍ اَنْ يَّبْلُغَ الْكِتَابُ اَجَلَهٗ» أي يبلغ الموعود وقته المكتوب المقدر فإن الأشياء مرهونة بأوقاتها «فَتَزُوْلُ الْبَلِيَّةُ» عنك «وَ تَنْكَشِفُ الْكُرْبَةُ» عنك «وَ تَأْتِي النِّعْمَةُ وَالسَّعَةُ» في تلك النعمة «وَالْفَرْحَةُ وَالسُّرُوْرُ» بكل ما تشتهي «كَمَا كَانَ» أي وجد ما ذكرنا من النعمة والسعة والفرح والسرور بعد بلوغ الوقت المقدر «فِي حَقِّ نَبِيِّ اللهِ اَيُّوْبَ عَلَيْهِ الصَّلٰوةُ وَالسَّلَامُ».

نقل ابن أبي حاتم عن رسول الله صَلَّى الله عليه و على اٰله و صحبه و سلم أن أيوب لَبَّ[1] به بلاؤه ثماني عشرة سنة، و يذهب البلية بعد بلوغ الوقت «كَمَا يَذْهَبُ سَوَادُ اللَّيْلِ وَ يَأْتِيْ بَيَاضُ النَّهَارِ» بعد انقضاء مدة الليل «وَ كما يَذْهَبُ بَرْدُ الشِّتَاءِ وَ

(1) لب: أي قام ولزم ١٢، منه

يَأْتِيْ نَسِيْمُ الصَّيْفِ وَ طِيْبُهٗ» بعد انقضاء مدة الشتاء «لِأَنَّ لِكُلِّ شيء ضِدًّا وَ خِلَافًا وَ غَايَةً وَ اَمَدًا وَ مُنْتَهًى فَالصَّبْرُ مِفْتَاحُهٗ وَ اِبْتِدَاءُهٗ وَ اِنْتِهَاءُهٗ وَ جَمَالُهٗ كَمَا جَاءَ فِي الْخَبَرِ:»

اَلصَّبْرُ مِنَ الْإِيْمَانِ كَالرَّأسِ مِنَ الْجَسَدِ.(١)

«وَ فِي لَفْظٍ» من الحديث الاٰخر:

«اَلصَّبْرُ نِصْفُ الْإِيْمَانِ وَالْيَقِيْنُ الْإِيْمَانُ كُلُّهٗ»(٢)

و لما كان هنا نوع من الشكر غير ما تعارفه الناس بينه بقوله «وَ قَدْ يَكُوْنُ الشُّكْرُ هُوَ التَّلَبُّسُ بِالنِّعَمِ» التي جرت التقدير بوصولها إلى المنعم عليه «وَ هِيَ» في حقك أيها السالك «اَقْسَامُكَ» أي حظوظك و نصيبك «الْمَقْسُوْمَةُ» في سابق العلم الأزلي «لَكَ فَشُكْرُكَ» على النعم هو «التَّلَبُّسُ بِهَا» والشكر بهذا الطريق إنما يكون «فِي حَالِ فَنَائِكَ» عنك و عن صفاتك في الله تعالٰى و صفاته «وَ زَوَالِ الْهَوٰى» النفسية «وَالْحَمِيَّةِ» الجاهلية «وَالْحِفْظِ» الطبيعي والنفسي «وَ هٰذِهٖ» الحالة «حَالَةُ الْاَبْدَالِ» الكمل من الأولياء والعرفاء «وَ هِيَ الْمُنْتَهٰى» من الحالات والمراتب «اِعْتَبِرْ» أيها السالك «مَا ذَكَرْتُ لَكَ» من السلوك في حالتي البلية والنعمة و لوازمها واسلك في تلك المسالك «تُرْشَدْ» بصيغة المجهول أي أرشدك الله تعالٰى طريق المعرفة و سبيل الوصول إليه تعالٰى «اِنْ شَاءَ الله تَعَالٰى».

جلعنا الله سبحانه بفضله و منّه من العارفين الواصلين.

---

(1) انظر الجامع الصغير للسيوطي ،رقم الحديث ٥١٣٦، وكذا في مسند الفردوس للديلمي، وشعب الإيمان للبيهقي.

(2) انظر الجامع الصغير للسيوطي ،برقم:٥١٣٠، وكذا في الحلية لأبي نعيم، وشعب الإيمان للبيهقي.

اَلْمَقَالَةُ السِّتُّوْنَ

في بيَانِ اَنَّ الْبِدَايَةَ هِيَ الْخُرُوْجُ مِنَ الْـمَعْهُوْدِ إلى الْـمَشْرُوْعِ ثُمَّ إلى الْمَقْدُوْرِ ثُمَّ الرَّجُوْعُ إلى الْـمَعْهُوْدِ بِشَرْطِ حِفْظِ الْحُدُوْدِ

قَالَ رَضِيَ الله تَعَالٰى عَنْهُ: اَلْبِدَايَةُ: هِيَ الْخُرُوْجُ مِنَ الْـمَعْهُوْدِ إلى الْمَشْرُوْعِ ثُمَّ إلى الْـمَقْدُوْرِ، ثُمَّ الرُّجُوْعُ إلى الْـمَعْهُوْدِ بِشَرْطِ حِفْظِ الْحُدُوْدِ فَتَخْرُجُ مِنْ مَعْهُوْدِكَ مِنَ الْمَاْكُوْلِ وَالْمَشْرُوْبِ وَالْمَلْبُوْسِ وَالْمَنْكُوْحِ وَالْمَسْكُوْنِ وَالطَّبْعِ وَالْعَادَةِ إلىٰ اَمْرِالشَّرْعِ وَ نَهْيِهٖ فَتَتَّبِعْ كِتَابَ الله عَزَّ وَ جَلَّ وَ سُنَّةَ رَسُوْلِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ.

كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالٰى :

﴿وَ مَآ اٰتٰكُمُ الرَّسُوْلُ فَخُذُوْهُ ق مَا نَهٰكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوْا﴾ [الحشر،السورة:٥٩، الآية:٧]

وَ قَالَ تَعَالٰى:

﴿قُلْ اِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّوْنَ اللهَ فَاتَّبِعُوْنِيْ يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾[آل عمران، السورة:٣، الآية:٣١]

«قَالَ رَضِيَ الله تَعَالٰى عَنْهُ: اَلْبِدَايَةُ» في السلوك «هِيَ الْخُرُوْجُ مِنَ الْـمَعْهُوْدِ» الطبعي والمعروف العرفي «إلى الْـمَشْرُوْعِ» الشرعي فيترك الحمية الجاهلية، والناموس الطبعي والعرفي بملاحظة الشرع المصطفوي فلا يحكم بالحُسن والقبح الطبعي والعقلي بل الحَسَن ما حكم الشرع بحسنه، والقبيح ما حَكَمَ الشرع بقبحه فيختار باختيار الشرع، و يترك بحكمه بالترك «ثُمَّ» الحالة المتوسطة و هي الخروج «إلَى الْـمَقْدُوْرِ» الأزلي و هي إنما يكون حالة الفناء عن النفس والخلق فلا يرى إلا فعل الحق فيباشر ما قدر الله تعالٰى في علمه الأزلي مباشرته، و يترك ما قدر الله في

علمه الأزلي تركه و إن كان بحسب الظاهر لا يوافق الشرع لكن الولي محفوظ من جانب الله تعالىٰ عن مخالفة الشرع بحسب نفس الأمر و ان صدر عنه ما يخالفه حينًا مّا يرجع عنه سريعا بتنبيه الله تعالىٰ إياه على ذلك إلا المجذوبين «ثُمَّ» بعد هاتين الحالتين حالة ثالثة و هي منتهى الحالات وَ هِيَ «الرُّجُوْعُ إلى الْمَعْهُوْدِ» المتعارف بين الناس فيخالط الناس كأنه واحد منهم بأمر الله تعالىٰ كما ورد"كن في الناس كأحد من الناس" لكن «بِشَرْطِ حِفْظِ الْحُدُوْدِ» شريعةً و حقيقةً فإنه يطلع من جانب الله تعالىٰ على الحدود المذكورة فلا يخالفها، و إليه يشير قول المشائخ: النهاية هي الرجوع إلى البداية «فَ» إن كنت أيها الطالب تريد السلوك في الوصول إلى الله تعالىٰ فلا تتساهل في أمورك بل «تُخْرَجُ مِنْ مَعْهُوْدِكَ» أي معهود كان طبعيا أو عرفيا «مِنَ الْمَأْكُوْلِ وَالْمَشْرُوْبِ وَالْمَلْبُوْسِ وَالْمَنْكُوْحِ وَالْمَسْكُوْنِ بِالطَّبْعِ وَالْعَادَةِ إلىٰ اَمْرِالشَّرْعِ وَ نَهْيِهٖ فَتَتَّبِعْ كِتَابَ الله عَزَّ وَ جَلَّ وَ سُنَّةَ رَسُوْلِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ» .

«كَمَا قَالَ الله تَعَالىٰ» :

﴿«وَ مَآ اٰتٰكُمُ الرَّسُوْلُ فَخُذُوْهُ ۚ وَ مَا نَهٰكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوْا»﴾[الحشر، السورة:٥٩، الآية:٧]

و هذا الحكم و إن نزل في حق غنائم البدر لكن هو عام بحسب مفهومه «وَ قَالَ تَعَالىٰ» :

﴿«قُلْ»﴾ يا محمد ﴿«اِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّوْنَ الله» فَاتَّبِعُوْنِيْ يُحْبِبْكُمُ الله وَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوْبَكُمْ﴾ [اٰل عمران، السورة:٣، الآية:٣١]

فَتَفْنٰى عَنْ هَوَاكَ وَ نَفْسِكَ وَ رَعُوْنَاتِهَا فِي ظَاهِرِكَ وَ بَاطِنِكَ فَلَا يَكُوْنُ فِي بَاطِنِكَ غَيْرُ تَوْحِيْدِ اللهِ، وَفِيْ ظَاهِرِكَ غَيْرُ طَاعَةِ الله وَ عِبَادَتِهٖ مِمَّا اَمَرَ وَ نَهَا فيكُوْنُ هٰذَا دَأْبُكَ وَ شِعَارُكَ وَ دِثَارُكَ فِي حَرَكَتِكَ وَ سُكُوْنِكَ فِي لَيْلِكَ وَ نَهَارِكَ وَ سَفَرِكَ وَ حَضَرِكَ وَ شِدَّتِكَ وَ رَخَائِكَ

وَ صِحَّتِكَ وَ سُقْمِكَ بَلْ اَحْوَالِكَ كُلِّهَا.
ثُمَّ تُحْمَلُ إِلىٰ وَادِي الْقَدْرِ فيتَصَرَّفُ فيكَ الْقَدْرُ فَتُفْنٰى عَنْ جِدِّكَ وَ اِجْتِهَادِكَ وَ حَوْلِكَ وَ قُوَّتِكَ فَتَسَاقُ اِلَيْكَ الْأَقْسَامُ الَّتِيْ جَفَّ بِهَا الْقَلَمُ وَ سَبَقَ بِهَا الْعِلْمُ فَتَلَبَّسَ بِهَا وَ تُعْطٰى فيهَا الْحِفْظَ وَالسَّلَامَةَ فَتُحْفَظُ فيهَا الْحُدُوْدُ وَ تَحْصُلُ فيهَا الْمُوَافَقَةُ لِفِعْلِ الْمَوْلٰى وَ لَا تَنْخَرِقُ قَاعِدَةُ الشَّرْعِ عَلىٰ الزَّنْدَقَةِ وَ اِبَاحَةِ الْمُحَرَّمِ وَالْإِسْتِهَانَةِ بِالْمَأْمُوْرِ وقَالَ عَزَّ وَ جَلَّ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُوْنَ﴾ [الحجر:١٥، الآية:٩]
وَقَالَ عَزَّوَجَلَّ:
﴿كَذٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوْٓءَ وَالْفَحْشَآءَ ؕ اِنَّهٗ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِيْنَ﴾ [يوسف:١٢، الآية:٣٧]

فإذا عرفت ما ذكرنا لك فيجب عليك أن «تُفْنٰى عَنْ هَوَاكَ وَ نَفْسِكَ وَ رَعُوْنَاتِهَا» أي جهالاتها و حماقاتها «فِي ظَاهِرِكَ وَ بَاطِنِكَ» فإذا حصل لك ذلك «فَلَا يَكُوْنُ فِي بَاطِنِكَ غَيْرَ تَوْحِيْدِ الله» تعالىٰ من وجودك و وجود الخلق «وَ» لا يكون «فِي ظَاهِرِكَ غَيْرَ طَاعَةِ الله» تعالىٰ «وَ عِبَادَتِهٖ مِمَّا اَمَرَ» الله تعالىٰ «وَ نَهَا فيكُوْنُ هٰذَا» الحال «دَاْبُكَ» أي عادتك «وَ شِعَارُكَ وَ دِثَارُكَ» و هما في الأصل ثوبان مضموم أحدهما بالآخر فما يلي الجسد من شعر البشرة شِعار و ما فوقها دِثار و يستعملان في الكلام كناية عن الاستقامة و استواء الحال في الستر والعلن فهما في الاستعمال مرادفان للعادة فالمعنى يكون هذا الحال عادتك «فِي حَرَكَتِكَ وَ سُكُوْنِكَ فِي لَيْلِكَ وَ نَهَارِكَ وَ سَفَرِكَ وَ حَضَرِكَ وَ شِدَّتِكَ» أي فقرك «وَ رَخَائِكَ» أي سعتك «وَ صِحَّتِكَ وَ سُقْمِكَ بَلْ» في «اَحْوَالِكَ كُلِّهَا».

«ثُمَّ تُحْمَلُ» بصيغة المجهول أي رفعك الله تعالىٰ بلطفه و فضله «إِلىٰ وَادِي الْقَدْرِ» فتقع فيها «فيتَصَرَّفُ فيكَ الْقَدْرُ» بما أراد الله تعالىٰ في حقك مما لم يخطر ببالك «فَتُفْنٰى» بصيغة المجهول أي أفناك الله تعالىٰ «عَنْ جِدِّكَ وَ اِجْتِهَادِكَ وَ

حَوْلِكَ» أي امتناعك عن المعصية «وَ قُوَّتِكَ» على الطاعة «فَتُسَاقُ اِلَيْكَ الْاَقْسَامُ الَّتِيْ» قدرت لك في الأزل وَ «جَفَّ بِهَا الْقَلَمُ» التقديري «وَ سَبَقَ بِهَا الْعِلْمُ» الأزلى فَتُلَبَّس بِهَا» بصيغة المجهول أي لبسك الله تعالىٰ بتلك الأقسام المقدرة لك في الأزل «وَ تُعْطٰى فيهَا الْحِفْظَ» أي أعطاك الله تعالىٰ في تلبسك بتلك الأقسام الحفظ «وَالسَّلَامَةَ فَتُحْفَظُ فيهَا الْحُدُوْدُ» أي تكون الحدود الشرعي والطريقي والحقيقي في التلبس بتلك الأقسام محفوظة «وَ تَحْصُلُ» لك من جانب الله تعالىٰ «فيهَا الْمُوَافقَةُ لِفِعْلِ الْمَوْلٰى وَ لَا تَنْخَرِقُ» و لا تنهدم و لا تهتك «قَاعِدَةُ الشَّرْعِ عَلَى الزَّنْدَقَةِ وَ اِبَاحَةِ الْمُحَرَّمِ وَالْاِسْتِهَانَةِ بِالْمَاْمُوْرِ» الشرعي. هذان الجملتان مُبَيِّنتان للأولى، «وقَالَ عَزَّ وَ جَلَّ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهٗ لَحَافِظُوْنَ»﴾ [الحجر:١٥،الآية:٩] هذه الأية الكريمة و إن ورد في حفظ القرأن الكريم لكن بحسب اللفظ يعم الأذكار كلها و حفظ الذكر إنما هو بحفظ الذاكرفالله تعالىٰ يحفظ وليّه الذاكر له عن خرق قاعدة الشرع البتة لكن كرما فضلا لا وجوبا عليه لعدم وجوب شيء على الله تعالىٰ عند أهل السنة والجماعة «وَ» أيضا «قَالَ عَزَّ وَ جَلَّ»:

﴿«كَذٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوْٓءَ وَالْفَحْشَآءَ ط اِنَّهٗ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِيْنَ.»﴾ [يوسف، السورة:١٢، الآية:٣٤]

و هذا و إن ورد في حق يوسف عليه السلام لكن تعليله بكونه "من عبادنا المخلصين" يقتضي تعيم حكم صرف السوء و الفحشاء عن جميع عباده المخلصين والأولياء منهم فيصرف عنهم السوء والفحشاء أيضا البتة، و هو عين الحفظ عن خرق قاعدة الشرع؛ فإن خرق قاعدة الشرع من السوء والفحشاء و هي مصروفة عن الولي فيكون محفوظا منه البتة.

فيسْتَصْحِبُ الْحِفْظَ وَالْحَمِيَّةَ إِلىٰ حِيْنِ اللِّقَاءِ بِرَحْمَةِ الله عَزَّ وَ جَلَّ اِذْ هِيَ اَقْسَامُكَ مُعَدَّةٌ لَكَ فَحُبِسَتْ عَنْكَ فِي حَالِ سَيْرِكَ في طَرِيْقِكَ وَ سُلُوْكِكَ فَيافِي الطَّبْعِ وَ مَفَاوِزِالْهَوٰى والْمَعْهُوْدِ لِاَنَّهَا

اَثْقَالٌ وَ اَحْمَالٌ فَاُرِيْحَتْ عَنْكَ لِئَلَّا يُثْقِلَكَ فَتُضْعِفَكَ وَ تُبَطِّاكَ عَنْ مَقْصُوْدِ كَ وَ مَطْلُوْبِكَ اِلٰى حِيْنِ الْوُصُوْلِ اِلٰى عُتْبَةِ الْفَنَاءِ، وَ هُوَ الْوُصُوْلُ اِلٰى قُرْبِ الْحَقِّ عَزَّ وَ جَلَّ وَالْمَعْرِفَةُ بِهٖ عَزَّ وَ جَلَّ، وَالْاِخْتِصَاصُ بِالْاَسْرَارِالْاِلٰهِيَّةِ وَالْعُلُوْمِ الدِّيْنِيَّةِ، وَالدُّخُوْلُ فِي بِحَارِالْاَنْوَارِ حَيْثُ لَا تَضُرُّ ظُلْمَةُ الطَّبَائِعِ الْاَنْوَارَ فَالطَّبْعُ بَاقٍ اِلٰى اَنْ تُفَارِقَ الرُّوْحُ الْجَسَدَ لِاسْتِيْفَاءِ الْاَقْسَامِ اِذْ لَوْ زَالَ الطَّبْعُ مِنَ الْاٰدَمِيِّ لَالْتَحَقَ بِالْمَلَائِكَةِ وَ انْخَرَمَ النِّظَامُ وَ بَطَلَتِ الْحِكْمَةُ فَيَبْقَى الطَّبْعُ فِيكَ لِتَسْتَوْفِي بِهِ الْاَقْسَامَ وَالْحُظُوْظَ فيكُوْنُ ذٰلِكَ وَظَائِفَ وَاصِلَةً اِلَيْكَ لَا اَصْلَهَا كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ:

"حُبِّبَ اِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلٰثٌ :اَلطِّيْبُ وَالنِّسَاءُ وَ جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِيْ فِي الصَّلٰوةِ".

فَلَمَّا فَنَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ عَنِ الدُّنْيَا وَ مَا فيهَا رُدَّتْ اِلَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ اَقْسَامُهُ الْمَحْبُوْسَةُ عَنْهُ فِي حَالِ مَسِيْرِهٖ اِلٰى رَبِّهٖ عَزَّ وَ جَلَّ فَاسْتَوْفٰهَا مُوَافَقَةً لِرَبِّهٖ عَزَّ وَ جَلَّ وَ رِضَا بِفِعْلِهٖ وَ مُمْتَثِلًا لِاَمْرِهٖ تَقَدَّسَتْ اَسْمَائُهُ وَ عَمَّتْ رَحْمَتُهُ، وَ شَمَلَ فَضْلُهُ لِاَوْلِيَائِهٖ وَ اَنْبِيَائِهٖ فَهٰكَذَا الْوَلِيُّ فِي هٰذَا الْبَابِ ثُمَّ تُرَدُّ اِلَيْهِ اَقْسَامُهُ وَ حُظُوْظُهُ بَعْدَ الْفَنَاءِ مَعَ حِفْظِ الْحُدُوْدِ فَهُوَ الرُّجُوْعُ مِنَ النِّهَايَةِ اِلَى الْبِدَايَةِ.

«فيسْتَصْحِبُ الْحِفْظَ وَالْحِمِيَّةَ» لك يا ولي الله «اِلٰى حِيْنِ اللِّقَاءِ بِرَحْمَةِ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ» و هو عبارة عن الموت، و إنما جُعِلْتَ ملتبسا بتلك الأقسام المفاضة عليك «اِذْ هِيَ اَقْسَامُكَ مُعَدَّةٌ لَكَ» في الأزل "معدة" بصيغة اسم المفعول أي أعدها الله تعالىٰ لك «فَحُبِسَتْ عَنْكَ فِي حَالِ سَيْرِكَ فِي طَرِيْقِكَ» إلى وصول الحق تعالىٰ «وَ سُلُوْكِكَ فيافِي الطَّبْعِ» أي ميادينها «وَ مَفَاوِزِالْهَوٰى» أي واديها «وَ» وادي «الْمَعْهُوْدِ» سلوكك فيافي الطبع و مفاوز الهوىٰ والمعهود كناية عن تركها

والخروج عنها «لِاَنَّهَا» أي تلك الأقسام «اَثْقَالٌ وَ اَحْمَالٌ» جمعا ثِقل و حَمل لأنها لا تخلو من حلال و حرام ففي حرامها عقاب و في حلالها حساب «فَأُزِيْحَتْ عَنْكَ» في أثناء سلوكك تلك الأثقال و أزيلت عنك في سيرك تلك الأحمال «لِئَلَّا يُثْقِلَكَ» تلك الأثقال والأحمال «فَتُضْعِفَكَ» عن سلوكك «وَ تَبْطَاكَ» في سيرك «عَنْ مَقْصُوْدِكَ وَ مَطْلُوْبِكَ إِلٰى حِيْنِ الْوُصُوْلِ إِلٰى عُتْبَةِ الْفَنَاءِ» عنك و عن الخلق كله في الله تعالىٰ «وَ هُوَ الْوُصُوْلُ إِلٰى قُرْبِ الْحَقِّ عَزَّ وَ جَلَّ وَالْمَعْرِفَةُ بِهٖ عَزَّ وَ جَلَّ وَالْاِخْتِصَاصُ بِالْاَسْرَارِ الْاِلٰهِيَّةِ وَالْعُلُوْمِ الدِّيْنِيَّةِ وَالدُّخُوْلُ فِي بِحَارِالْاَنْوَارِ» الربانية «حَيْثُ لَا تَضُرُّ ظُلْمَةُ الطَّبَائِعِ الْاَنْوَارَ» و لا تغلب عليها «فَالطَّبْعُ بَاقٍ» في العبد الفاني في الله والباقي به لا يزول عنه بالكلية و كذا النفس باقية «إِلٰى اَنْ تُفَارِقَ الرُّوْحُ الْجَسَدَ» و يموت العبد «لِاسْتِيْفَاءِ الْاَقْسَامِ» علة للبقاء أي لأجل استيفاء حظوظها المقدرة في سابقة علم الله تعالىٰ الأزلي «اِذْ لَوْ زَالَ الطَّبْعُ مِنَ الْاٰدَمِيِّ» والنفس من الإنسان «لَالْتَحَقَ بِالْمَلَائِكَةِ» اللذين لا طبع لهم و لا نفس، و إنما هم مجبولون على العبادة فلا يميلون عنها إلى ما يخالفها «وَ اِنْخَرَمَ النِّظَامُ» التكليفي «وَ بَطَلَتِ الْحِكْمَةُ» الإلٰهية الربوبية القهارية، والرحمانية الجمالية والجلالية؛ فإن آثارالجلال والجمال إنما تظهر حين يصدر الطاعة والمعصية ليصادف كل صفة محلها فلأجل ذلك تبقى الطباع في الآدمي «فيبْقَى الطَّبْعُ فيكَ لِتَسْتَوْفِي بِهِ الْاَقْسَامَ وَالْحُظُوْظَ» المقدرة في حقك لكن لا تلك الطبع التي جبل الإنسان عليها بل الطبيعة الموهوبة من عند الله تعالىٰ «فيكُوْنُ ذٰلِكَ» المذكور من بقاء الطبع ووصول الأقسام و استيفاء حظوظها «وَظَائِفَ وَاصِلَةً اِلَيْكَ» من عند الله تعالىٰ «لَا اَصْلهَا» عطف على قوله فيبقى الطبع فيك لتستوفي به الأقسام باعتبار محصولها؛ فإن محصولها بقاء الطبع لهذا الغرض، والباقي لهذا الغرض هو الطبع الموهوب لا أصل الطبع و هو الطبع المجبول «كَمَا» يستفاد ذلك البقاء مما «قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ»:

«حُبِّبَ إلي مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلٰثٌ :اَلطِّيْبُ وَالنِّسَاءُ وَ جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِيْ فِي

الصَّلٰوةِ».[1]

فإن قوله عليه الصلوة والسلام "حبب" بصيغة المجهول يدل على أن تحبيب الأمور الثلثة من عند الله تعالىٰ و قد مر معنى الحديث في المقالة السادسة.

«فَلَمَّا فَنَى النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ عَنِ الدُّنْيَا وَ مَا فيهَا» من الحظوظ «رُدَّتْ اِلَيْهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ» أي رد الله تعالىٰ إلى النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ، «اَقْسَامُهٗ» و حظوظه «الْمَحْبُوْسَةُ عَنْهُ» عليه الصلوة والسلام «فِيْ حَالِ مَسِيْرِهٖ إِلىٰ رَبِّهٖ عَزَّ وَ جَلَّ» و سلوكه إلى وصوله فلمّا وصل أعطاه الله تعالى طبيعةً موهوبةً لاستيفاء تلك الأقسام و أفاض عليه الأقسام «فَاسْتَوْفٰهَا» عليه الصلوة والسلام «مُوَافَقَةً لِرَبِّهٖ عَزَّ وَ جَلَّ وَ رِضَا بِفِعْلِهٖ» تعالى «وَ مُمْتَثِلًا لِاَمْرِهٖ» الأعلى «تَقَدَّسَتْ اَسْمَائُهٗ وَ عَمَّتْ رَحْمَتُهٗ» لجميع المخلوقات «وَ شَمَلَ فَضْلُهٗ لِاَوْلِيَائِهٖ وَ اَنْبِيَائِهٖ» عليهم الصلٰوة والسلام «فَهٰكَذَا الْوَلِيُّ في هٰذَا الْبَابِ» يحفظ عنه الأقسام حين السلوك «ثُمَّ تُرَدُّ اِلَيْهِ اَقْسَامُهٗ وَ حُظُوْظُهٗ بَعْدَ الْفَنَاءِ مَعَ حِفْظِ الْحُدُوْدِ» الشرعي عما يوجب خرقها و هدمَها «فَهُوَ» أي هذا الحال «الرُّجُوْعُ مِنَ النِّهَايَةِ إلى الْبِدَايَةِ» أي عبارة عنه.

---

(١) انظر سنن النسائى ،باب حب النساء، رقم الحديث ٣٩٣٩،والسنن الكبرى للبيهقى، رقم الحديث ١٣٤٥٤، ومسند الإمام أحمد بن حنبل، ١٢٢٩٣، والجامع الصغير للسيوطي برقم: ٣٦٦٩

اَلْمَقَالَةُ الْحَادِيَة وَالسِّتُّوْنَ

في بَيَانِ اَنَّ كُلَّ مُؤمِنٍ مُكَلَّفٌ بِالتَّوَقُّفِ وَالتَّفْتِيْشِ فِي الشُّرُوْعِ فِي الْاُمُوْرِ وَ اَخْذِ الْفُتُوْحِ

قَالَ رَضِيَ اللهُ تَعَالٰى عَنْهُ: كُلُّ مُؤْمِنٍ مُكَلَّفٌ بِالتَّوَقُّفِ وَالتَّفْتِيْشِ عِنْدَ حُضُوْرِ الْاَقْسَامِ عِنْدَ التَّنَاوُلِ وَالْاَخْذِ حَتّٰى يَشْهَدَ لَهُ الْحُكْمُ بِالْاِبَاحَةِ اَوِ الْعِلْمُ بِالْقِسْمِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ: "اَلْمُؤْمِنُ فَتَّاشٌ وَالْمُنَافِقُ لَقَّافٌ" وَ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ: "الْمُؤْمِنُ وَقَّافٌ" وَ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ: "دَعْ مَا يُرِيْبُكَ إِلٰى مَا لَا يُرِيْبُكَ".

فَالْمُؤْمِنُ يَقِفُ عِنْدَ كُلِّ قِسْمٍ مِّنْ مَاكُوْلٍ وَ مَشْرُوْبٍ وَ مَلْبُوْسٍ وَ مَنْكُوْحٍ وَ سَائِرِ الْاَشْيَاءِ الَّتِيْ تُفْتَحُ لَهُ فَلَا يَاْخُذُ حَتّٰى يَحْكُمَ لَهُ بِجَوَازِ الْاَخْذِ وَالتَّنَاوُلِ الْحُكْم إِذَاكَانَ فِي حَالَةِ التَّقْوٰى، اَوْ حَتّٰى يَحْكُمَ لَهُ بِذٰلِكَ الْاَمْر اِذَا كَانَ فِي حَالَةِ الْوِلَايَةِ، اَوْ حَتّٰى يَحْكُمَ لَهُ الْعِلْمُ اِذَا كَانَ فِي حَالَةِ الْبَدَلِيَّةِ اَوِ الْغَوْثِيَّةِ وَالْفِعْلِ الَّذِيْ هُوَالْقَدْرُ الْمَحْضُ وَ هِيَ حَالَةُ الْفَنَاءِ.

ثُمَّ تَاْتِيْهِ حَالَةٌ اُخْرٰى يَتَنَاوَلُ كُلَّ مَا يَاْتِيْهِ وَ يُفْتَحُ لَهُ عَلَى الْإِطْلَاقِ مَا لَمْ يَعْتَرِضْ عَلَيْهِ الْحُكْمُ اَوِ الْاَمْرُ اَوِالْعِلْمُ فَإِذَا اعْتَرَضَ اَحَدُ هٰذِهِ الْاَشْيَاءِ اِمْتَنَعَ مِنَ التَّنَاوُلِ وَ تَرَكَهُ فَهِيَ ضِدُّ الْاُوْلٰى فَفِي الْاُوْلٰى الْغَالِبُ عَلَيْهِ التَّوَقُّفُ وَالتَّثَبُّتُ وَ فِي الثَّانِيَةِ الْغَالِبُ عَلَيْهِ التَّنَاوُلُ وَالْاَخْذُ وَالتَّلَبُّسُ بِالْمُفْتُوْحِ ثُمَّ تَاْتِي الْحَالَةُ الثَّالِثَةُ فَالتَّنَاوُلُ الْمَحْضُ وَالتَّلَبُّسُ بِمَا يُفْتَحُ عَلَيْهِ مِنَ النِّعَمِ مِنْ غَيْرِ اِعْتِرَاضِ اَحَدِ هٰذِهِ الْاَشْيَاءِ الثَّلٰثَةِ وَ هِيَ حَقِيْقَةُ الْفَنَاءِ.

«قَالَ رَضِيَ اللهُ تَعَالٰى عَنْهُ: كُلُّ مُؤْمِنٍ مُكَلَّفٌ» من جانب الله تعالٰی

«بِالتَّوَقُّفِ وَالتَّفْتِيْشِ عِنْدَ حُضُوْرِ الْاَقْسَامِ» الحاصلة لَديه إمَّا بالكسب أو بالهبة أو غيرهما «عِنْدَ التَّنَاوُلِ وَالْاَخْذِ» لتلك الأقسام الحاضرة لديه «حَتّٰى يَشْهَدَ لَهٗ» أي للمكلف «الْحُكْمُ» من جانب الشرع «بِالْإِبَاحَةِ» الألف واللام عوض عن المضاف إليه أي بإباحة تلك الأقسام الحاضرة عند المكلف إن لم يكن من أهل البدلية والغوثية «اَوْ» يشهد له «الْعِلْمُ بِالْقِسْمِ» بأنه مقدر أزلي لذلك المكلف إن كان من أهل البدلية والغوثية «كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ»:

«اَلْمُؤْمِنُ فَتَّاشٌ وَالْمُنَافِقُ لَقَّافٌ».[1]

و في بعض الروايات: المؤمن وقاف والمنافق لفاق. يعنى أن المؤمن يفتش عن الأحوال والأوضاع سيما في أخذ الفتوح، والمنافق يأخذ كل ما يجد من غير تأمل و تفكر، فإن الفتش و التفتيش طلب من بحث، واللقف واللقفان التناول بسرعة، كذا في القاموس.

«وَ قَالَ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ: اَلْمُؤْمِنُ وَقَّافٌ».

أي كثير التوقف في التلبس بالأمور حفظًا لحدود الشرع.

«وَ قَالَ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ: "دَعْ مَا يُرِ يْبُكَ إِلىٰ مَا لَا يُرِ يْبُكَ"».[2]

و قد مر بيان هذا الحديث في المقالة العشرون «فَالْمُؤْمِنُ يَقِفُ» أي من شأنه واللائق به أن يقف «عِنْدَ كُلِّ قِسْمٍ مِّنْ مَاْكُوْلٍ وَ مَشْرُوْبٍ وَ مَلْبُوْسٍ وَ مَنْكُوْحٍ وَ سَائِرِ الْاَشْيَاءِ التي تُفْتَحُ لَهٗ» من أي جهة كان كسبا أو إرثا أو هبة «فَلَا يَاْخُذُ» شيئا مما فتح «حَتّٰى يَحْكُمَ لَهٗ بِجَوَازِ الْاَخْذِ وَالتَّنَاوُلِ الْحُكْم» الشرعي إما بالاستفسار من العلماء إن كان صلحاء الجهلاء، أو بالتتبع من الكتب الفقهية إن كان من أتقياء العلماء، و إما بالاستنباط من الكتاب والسنة والإجماع والقياس إن كان من المجتهدين، هذا كله «اِذَا كَانَ» العبد المؤمن عاميا كان أو عالما أو مجتهدا «في حَالَةِ التَّقْوٰى» والسلوك «اَوْ» لا يأخذ «حَتّٰى يَحْكُمَ لَهٗ» أي لذلك المؤمن «بِذٰلِكَ»

---

(1) رواه البيهقي في الكبرى ٢/ ٢٤١

(2) رواه البخارى ٢/ ٧٢٤، والحاكم في المستدرك ١/ ١١٦، والترمذي ٤/ ٦٦٨

الأخذ والتناول للمفتوح «الْأَمْر» الباطني من جانب الله تعالىٰ إما بالإلهام أو بالمنام أو بالهاتف الغيبي بالطريق التي مر ذكره في المقالات السابقة «إِذَا كَانَ» العبد المؤمن «فِيْ حَالَةِ الْوِلَايَةِ اَوْ حَتّٰى يَحْكُمَ لَهُ» أي لذلك العبد المؤمن «الْعِلْمُ» القدري المنكشف له بأي طريق كشف الله عليه بفضله فيعلم أنه نصيب له في التقدير السابق فلابد له من تناوله «إِذَا كَانَ» ذلك العبد المؤمن «في حَالَةِ الْبَدَلِيَّةِ اَوِ الْغَوْثِيَّةِ وَالْفِعْلِ الَّذِيْ هُوَالْقَدْرُ الْمَحْضُ» الظاهر أنه عطف على البدلية والغوثية أي إذا كان العبد المؤمن في حالة الفعل أي في حالة يصير العبد فيها فعل الله الَّذِيْ هوالقدر المحض، و هذاالمعنى مما صرح به القطب الرباني في المقالة السادسة والخمسون «وَ هِيَ» أي هذه الحالة «حَالَةُ الْفَنَاءِ» أي حال ظهور أثر الفناء لما سيأتي بعد هذا حالة أخرى فيها حقيقة الفناء.

«ثُمَّ» أي بعد وصول العبد إلى هذه الحالة و رسوخه فيها «تَأْتِيْهِ حَالَةٌ أُخْرٰى» لا يتوقف فيها على الحكم الشرعي والأمر الباطني بل «يَتَنَاوَلُ كُلَّ مَا يَأْتِيْهِ وَ يَفْتَحُ لَهُ عَلَى الْإِطْلَاقِ» من غير تقييد بشيء من الحكم والأمر والعلم «مَا لَمْ يَعْتَرِضْ عَلَيْهِ الْحُكْمُ اَوِ الْاَمْرُ اَوِالْعِلْمُ فَإِذَا اعْتَرَضَ» على العبد المؤمن «اَحَدُ هٰذِهِ الْاَشْيَاءِ» الثلثة بالمنع عن الأخذ والتناول «إِمْتَنَعَ» العبد المؤمن «مِنَ التَّنَاوُلِ» لما فتح له «وَ تَرَكَهُ» أي ترك ما فتح له فلايأخذه «فَهِيَ» أي هذه الحالة الأخيرة «ضِدٌّ» الحالة «الْأُوْلَةِ» و عكسها «فَفِي» الفاء تعليلية أي إنما كانت هذه ضد الأولىٰ لأن في «الْأُوْلىٰ الْغَالِبُ عَلَيْهِ» أي العبد المؤمن العارف «التَّوَقُّفُ وَالتَّثَبُّتُ» في الأخذ مما فتح له إلى ظهورالحكم الشرعي أو الأمر الباطني أوالعلم القدري فإذا ظهر شيء منها يأخذ بمقتضاه «وَ في الثَّانِيَةِ» الأخيرة «الْغَالِبُ عَلَيْهِ التَّنَاوُلُ وَالْاَخْذُ وَالتَّلَبُّسُ بِالْمَفْتُوْحِ» إلى أن يظهر منع الحكم الشرعي أو الأمر الباطني أوالعلم القدري.

«ثُمَّ» بعد هذه الحالة التي الغالب فيها الأخذ إلى أن يمنع مانع من الحكم أو الأمر أوالعلم «تَأْتِيْ» للعبد المؤمن العارف «الْحَالَةُ الثَّالِثَةُ» و هي حالة لا يمنع فيها من الأخذ مانع من تلك الأمور الثلثة بل لم يسق الله تعالىٰ إليه و لم يفتح عليه من

السوق إلا ما هو جائز الأخذ له «فَ» ليس له فيها إلا «التَّنَاوُلُ الْمَحْضُ» من غير تصور مانع «وَالتَّلَبُّسُ بِمَا يُفْتَحُ عَلَيْهِ مِنَ النِّعَمِ مِنْ غَيْرِ اِعْتِرَاضِ اَحَدِ هٰذِهِ الْاَشْيَاءِ الثَّلٰثَةِ وَ هِيَ» أي الحالة السالمة عن اعتراض معترض «حَقِيْقَةُ الْفَنَاءِ» الَّذِيْ لا يوجد معها أثر من أثار العبد.

فيكُوْنُ الْمُؤْمِنُ فيهَا مَحْفُوْظًا مِنَ الْاٰفَاتِ وَ خَرْقِ حُدُوْدِ الشَّرْعِ مُصَانًا مَصْرُوْفًا عَنْهُ الْاَسْوَاء كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالٰى:

﴿كَذٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوْٓءَ وَالْفَحْشَآءَ ؕ اِنَّهٗ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِيْنَ﴾[يوسف:٢٤]

فيصِيْرُ الْعَبْدُ مَعَ الْحِفْظِ مِنْ خَرْقِ الْحُدُوْدِ كَالْمُفَوَّضِ اِلَيْهِ الْمَاْذُوْنِ لَهٗ وَالْمُطْلَقِ لَهٗ فِي الْاِبَاحَاتِ الْمُيَسَّرِ لَهُ الْخَيْرُ فَجَمِيْعُ مَا يَاْتِيْهِ قِسْمَهٗ الْمُصَفّٰى لَهٗ مِنَ الْاٰفَاتِ وَالتَّبِعَاتِ فِي الدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةِ، وَ الْمُوَافِقِ لِاِرَادَةِ الْحَقِّ عَزَّ وَ جَلَّ وَ رِضَاهُ وَ فِعْلِهٖ وَ لَا حَالَةَ فَوْقَهَا وَ هِيَ الْغَايَةُ وَ هِيَ لِسَادَاتِ الْاَوْلِيَاءِ وَ الْكِبَارِ الْخُلَّصِ اَصْحَابِ الْاَسْرَارِ الَّذِيْنَ اَشْرَفُوْا عَلٰى عُتْبَةِ اَحْوَالِ الْاَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ اَجْمَعِيْنَ.

فإذا بلغ العبد هده الحالة «فيكُوْنُ الْمُؤْمِنُ فيهَا مَحْفُوْظًا مِنَ الْاٰفَاتِ» الدينية «وَ خَرْقِ حُدُوْدِ الشَّرْعِ مُصَانًا» أي مصونا محفوظا «مَصْرُوْفًا عَنْهُ الْاَسْوَاء» جمع سوء «كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالٰى» في حق يوسف عليه السلام:

﴿كَذٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوْٓءَ وَالْفَحْشَآءَ ؕ اِنَّهٗ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِيْنَ﴾

[يوسف:١٢/ ٢٤]

و قد مر أن هذا و إن ورد في حق يوسف عليه السلام لكن تعقيبه بكونه "من عبادنا المخلصين" يعم جميعَ الصالحين «فيصِيْرُ الْعَبْدُ» المؤمن البالغ إلى هذه المرتبة «مَعَ الْحِفْظِ» مصدر مجهول ليصير صفة للعبد و يوافق الصفة الاٰتية أي كونه محفوظا «مِنْ خَرْقِ الْحُدُوْدِ كَالْمُفَوَّضِ اِلَيْهِ الْمَاْذُوْنِ لَهٗ وَالْمُطْلَقِ لَهٗ» أي فوض إليه

التصرف في الأمور و أذن له بالتصرف فيها و أطلق له التصرف «فِي الْإِبَاحَاتِ» فلا يفتح إلا ما هو المباح له «الْمُيَسَّرِ لَهُ الْخَيْرُ» من غير انتظار إلى الحكم بالأخذ أوالأمر به والعلم به، و من غير خطور منع من الأخذ بالحكم أوالأمر أوالعلم «فَجَمِيْعُ مَا يَأْتِيْهِ قِسْمُهُ» و نصيبه «الْمُصَفّٰى لَهُ مِنَ الْاٰفَاتِ» والكدورات «وَالتَّبِعَاتِ فِي الدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةِ» لا من حيث الشريعة و لا الطريقة و لا الحقيقة «وَ» جميع ما يأتيه حظه «الْمُوَافِقِ لِإِرَادَةِ الْحَقِّ عَزَّ وَ جَلَّ وَ رِضَاهُ وَ فِعْلِهٖ» و هذه الحالة أعلى الحالات و أرفعها و أسناها «وَ لَا حَالَةَ فَوْقَهَا وَ هِيَ الْغَايَةُ» القصوى للسالكين «وَ هِيَ» إنما تحصل «لِسَادَاتِ الْاَوْلِيَاءِ وَ الْكِبَارِ الْخُلَّصِ اَصْحَابِ الْاَسْرَارِ الَّذِيْنَ اَشْرَفُوْا» أي اطلعوا «عَلٰى عُتْبَةِ اَحْوَالِ الْاَنْبِيَاءِ» و وقفوا على سدة مراتب الرسل «صَلَوَاتُ الله تعالٰى» و سلامه «عَلَيْهِمْ اَجْمَعِيْنَ».

اَلْمَقَالَةُ الثَّانِيَةُ وَالسِّتُّوْنَ

في بيَانِ تَرْكِ الشِّكَايَةِ عَنِ الله عَزَّ وَ جَلَّ

قَالَ رَضِيَ الله تَعَالٰى عَنْهُ: مَا اَكْثَرَ مَا تَقُوْلُ قُرِّبَ فُلَانٌ وَ بُعِّدْتُ، وَ اُعْطِيَ فُلَانٌ وَ حُرِّمْتُ، وَ اُغْنِيَ فُلَانٌ وَ اُفْقِرْتُ، وَ عُوْفِي فُلَانٌ وَ اُسْقِمْتُ، وَ عُظِّمَ فُلَانٌ وَ حُقِّرْتُ، وَ حُمِدَ فُلَانٌ وَ ذُمِّمْتُ، وَ صُدِّقَ فُلَانٌ وَ كُذِّبْتُ. اَمَا تَعْلَمُ اَنَّهٗ الْوَاحِدُ وَ اَنَّ الْوَاحِدَ يُحِبُّ الْوَحْدَانِيَّةَ فِي الْمَحَبَّةِ وَ يُحِبُّ الْوَاحِدَ فِي مَحَبَّتِهٖ. اِذَا قَرَّبَكَ بِطَرِيْقِ غَيْرِهٖ نَقَصَتْ مَحَبَّتُكَ لَهٗ عَزَّ وَ جَلَّ وَ تَشَعَّبَتْ فَرُبَمَا دَخَلَكَ الْمَيْلُ اِلٰى مَنْ ظَهَرَتِ الْمُوَاصَلَةُ وَالنِّعْمَةُ عَلٰى يَدَيْهِ، فَتَنْقُصُ مَحَبَّةُ الله عَزَّ وَ جَلَّ فِي قَلْبِكَ وَ هُوَ الله عَزَّ وَ جَلَّ غَيُوْرٌ لَا يُحِبُّ شَرِيْكًا فَكَفَّ اَيْدِي الْغَيْرِ عَنْكَ بِالْمُوَاصَلَةِ وَ لِسَانَهٗ عَنْ حَمْدِكَ وَ ثَنَائِكَ وَ رِجْلَيْهِ عَنِ السَّعْيِ اِلَيْكَ كَيْلَا تَشْتَغِلَ بِذٰلِكَ ، اَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ:

"جُبِلَتِ الْقُلُوْبُ عَلٰى حُبِّ مَنْ اَحْسَنَ اِلَيْهَا وَ بُغْضِ مَنْ اَسَاءَ اِلَيْهَا".

فَهُوَ عَزَّ وَ جَلَّ يَكُفُّ الْخَلْقَ عَنِ الْاِحْسَانِ اِلَيْكَ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ وَ سَبَبٍ حَتّٰى تُوَحِّدَهٗ وَ تُحِبَّهٗ وَ تَصِيْرَ لَهٗ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ بِظَاهِرِكَ وَ بَاطِنِكَ فِي حَرَكَاتِكَ وَ سَكَنَاتِكَ فَلَا تَرَى الْخَيْرَ اِلَّا مِنْهُ تَعَالٰى وَ لَا الشَّرَّ اِلَّا مِنْهُ عَزَّ وَ جَلَّ وَ تَفْنٰى عَنِ الْخَلْقِ وَالنَّفْسِ وَالْهَوٰى وَ الْاِرَادَاتِ وَالْمُنٰى وَ عَنْ جَمِيْعِ مَا سِوَى الْمَوْلٰى.

«قَالَ رَضِيَ الله تَعَالٰى عَنْهُ» : تعجبًا من حال المشتغل بصلاح الظاهر الغافل عن صلاح الباطن «مَا اَكْثَرَ مَا تَقُوْلُ» إذا نظرت إلى أحوال المترفِّهين من أبناء

جنسك «قُرِّبَ فُلَانٌ» عند أهل الدنيا «وَ بُعِّدْتُ» عن قربهم «وَ اُعْطِيَ فُلَانٌ» من الدنيا «وَ حُرِّمْتُ، وَ اُغْنِيَ فُلَانٌ وَ اُفْقِرْتُ» أي جُعل فلان غنيا و جُعِلْتُ فقيرا «وَ عُوْفِي فُلَانٌ» من الأمراض والأوجاع «وَ اُسْقِمْتُ» أي جُعِلْتُ سقيما عليلا مريضا «وَ عُظِّمَ فُلَانٌ» بالعزة والمال والجاه «وَ حُقِّرْتُ وَ حُمِدَ فُلَانٌ» بحسن الخصال و حسن الفعال «وَ ذُمِّمْتُ» مع الاشتراك في تلك الفعال «وَ صُدِّقَ فُلَانٌ» فيما صدر منه من المقال «وَكُذِّبْتُ» فيما لي من المقال.

و هذا مما لا ينبغي للعقلاء من الرجال سيما من أمثالك من صاحب الكمال «اَمَا تَعْلَمُ اَنَّهٗ» أي الله الكبير المتعال «الْوَاحِدُ» الكامل في الوحدانية «وَاَنَّ الْوَاحِدَ» من جميع الجهات من حيث الذات والصفات «يُحِبُّ الْوَحْدَانِيَّةَ فِي الْمَحَبَّةِ» فجعلك بحيث يحبك وحده إياك، و لا يتركك أن يحبك غيره فيشاركه تعالٰى في صفة المحبة لك غيره تعالٰى «وَ يُحِبُّ الْوَاحِدَ فِي مَحَبَّتِهٖ» فقطع حبك عن الغير مطلقا فلا تحب أحدا إلا الله تعالٰى.

فاعلم أن الله تعالٰى «اِذَا قَرَّبَكَ» إلى فضله و نعمته «بِطَرِيْقِ غَيْرِهٖ» بأن يظهر لك النعمة على يديه و يحبك الخلق و تحب أنت الخلق «نَقَصَتْ مَحَبَّتُكَ لَهٗ عَزَّ وَ جَلَّ وَ تَشَعَّبَتْ» محبتك في شعب مختلفة و طرق متعددة «فَرُبَمَا دَخَلَكَ» أي دخل في قلبك «الْمَيْلُ اِلٰى مَنْ ظَهَرَتِ الْمُوَاصَلَةُ» معك «وَالنِّعْمَةُ» منه عليك «عَلٰى يَدَيْهِ» فإن النفوس مجبولة على حب من أحسن إليها «فَتَنْقُصُ مَحَبَّةُ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ فِي قَلْبِكَ» بصرف بعضه منها إلى من أحسن إليك «وَ هُوَ اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ غَيُّوْرٌ» كمال الغيرة في جميع الأمور سيما في المحبة والعبادة «لَا يُحِبُّ شَرِيْكًا» أصلا «فَ» لأجل عدم محبته اشتراكَ الغير في المحبة «كَفَّ اَيْدِي الْغَيْرِ عَنْكَ بِالْمُوَاصَلَةِ» معك والإحسان إليك «وَ» كف «لِسَانَهٗ» أي الغير «عَنْ حَمْدِكَ وَ ثَنَائِكَ وَ» كف «رِجْلَيْهِ عَنِ السَّعْيِ اِلَيْكَ كَيْلَا تَشْتَغِلَ بِذٰلِكَ» الغير بسبب إحسانه إليك معرضا عَنْهُ عَزَّ وَ جَلَّ.

«اَ مَا سَمِعْتَ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ»:

«جُبِلَتِ الْقُلُوْبُ عَلٰى حُبِّ مَنْ اَحْسَنَ اِلَيْهَا وَ بُغْضِ مَنْ اَسَاءَ اِلَيْهَا».[1]

«فَهُوَ عَزَّ وَ جَلَّ يَكُفُّ الْخَلْقَ» و يصرفه «عَنِ الْاِحْسَانِ اِلَيْكَ» والمداراة والمؤاساة معك «مِنْ كُلِّ وَجْهٍ وَ سَبَبٍ حَتّٰى تُوَحِّدَهُ» تعالىٰ في الإحسان إليك «وَ تُحِبَّهُ» بكليّةِ محبتك «وَ تَصِيْرَ لَهُ تعالىٰ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ بِظَاهِرِكَ وَ بَاطِنِكَ فِي حَرَكَاتِكَ وَ سَكَنَاتِكَ» فإنك مخلوقه و مرزوقه و مربو به فأنت في الباطن له تعالىٰ فبحسب الظاهر أيضًا قطع تعالىٰ علائقك مع الخلق لتكون بظاهرك أيضًا له تعالىٰ فتصير بكليتك له تعالىٰ «فَلَا تَرَى الْخَيْرَ» الواصل بك والمرجو لك «اِلَّا مِنْهُ تَعَالٰى وَ لَا» ترى «الشَّرَّ» اللاحق بك والمخوف منه عندك «اِلَّا مِنْهُ عَزَّ وَ جَلَّ وَ تَفْنِيْ» أنت «عَنِ الْخَلْقِ وَالنَّفْسِ وَالْهَوٰى وَ الْاِرَادَاتِ وَالْمُنٰى» بل «وَ عَنْ جَمِيْعِ مَا سوَى الْمَوْلٰى».

أما الفناء عن الخلق فبصرف الله تعالىٰ إحسانهم عنك، و أما عن النفس فلأنك لما عَوَّدْت بالتوجه إلى الله تعالىٰ في جميع أمورك أحسن الله تعالىٰ إليك بالتخليص لك عنك، والهوى و الإرادات فرع النفس فبفنائها فنيت لوازمها.

ثُمَّ يُطْلَقُ الْاَيْدِيْ اِلَيْكَ بِالْبَسْطِ وَالْبَذْلِ وَالْعَطَاءِ، وَ الْاَلْسُنُ بِالْحَمْدِ وَالثَّنَاءِ فَاَنْتَ بِذٰلِكَ اَبَدًا فِي الدُّنْيَا ثُمَّ فِي الْعُقْبٰى فَلَا تُسِيءِ الْاَدَبَ، اُنْظُرْ اِلٰى مَنْ يَنْظُرُ اِلَيْكَ، وَ اَقْبِلْ عَلٰى مَنْ اَقْبَلَ اِلَيْكَ، وَاحْبِبْ مَنْ يُحِبُّكَ، وَاسْتَجِبْ مَنْ يَدْعُوْكَ، وَ اَعْطِ يَدَكَ مَنْ يُثَبِّتُكَ مِنْ سَقَطِكَ وَ يُخْرِجُكَ مِنْ ظُلُمَاتِ جَهْلِكَ وَ يُنْجِيْكَ مِنْ هَلْكَتِكَ وَ يَغْسِلُكَ مِنَ اَنْجَاسِكَ وَ يُنَظِّفُكَ مِنْ اَوْسَاخِكَ وَ يُخَلِّصُكَ مِنْ جِيْفِكَ وَ نَتْنِكَ وَ مِنْ هِمَّتِكَ الرَّدِيَّةِ وَ مِنْ نَفْسِكَ الْاَمَّارَةِ بِالسُّوْءِ وَ اَقْرَانِكَ الضُّلَّالِ الْمُضِلِّيْنَ شَيَاطِيْنِكَ، وَ عَنْ هَوَاكَ وَ اَخِلَّائِكَ الْجُهَّالِ قُطَّاعِ طَرِيْقِ الْحَقِّ عَزَّ وَ جَلَّ الْحَائِلِيْنَ بَيْنَكَ وَ بَيْنَ كُلِّ نَفِيسٍ وَ ثَمِيْنٍ وَ عَزِيْزٍ.

اِلٰى مَتَى الْعَادَةُ، اِلٰى مَتَى الْخَلْقُ، اِلٰى مَتَى الْهَوٰى، اِلٰى مَتَى الرَّعُوْنَةُ، اِلٰى مَتَى الدُّنْيَا، اِلٰى مَتَى الْاُخْرٰى، اِلٰى مَتٰى مَا سِوَى الْمَوْلٰى؟ فَاَيْنَ أنت

(1) انظر الجامع الصغير رقم الحديث ٣٥٨٠، و الكامل لابن عدي.

مِنْ خَالِقِ الْاَشْيَاءِ الْمُكَوِّنِ الْاَوَّلِ وَالْاٰخِرِ الظَّاهِرِ الْبَاطِنِ وَالْمَرْجِعِ وَالْمَصْدَرِ اِلَيْهِ، وَ لَهُ الْقُلُوْبُ وَ طَمَانِيْنَةُ الْاَرْوَاحِ وَ مَحَطُّ الْاَثْقَالِ وَالْعَطَاءِ بِلَا اِمْتِنَانٍ.

«ثُمَّ» بعد ما فنيت عن الخلق والنفس والهوى والإرادات والمنى «يُطْلَقُ الْاَيْدِيْ اِلَيْكَ» من جانب الله تعالىٰ «بِالْبَسْطِ وَالْبَذْلِ وَالْعَطَاءِ، وَ» يطلق «الْاَلْسُنُ بِالْحَمْدِ وَالثَّنَاءِ» فيخدمك جميع خلق الله تعالىٰ بإذنه، و لا يضرك حينئذ توجه الخلق إليك «فَأنت» تكون ملتبسا «بِذٰلِكَ» الحال أي خدمة الخلق لك «اَبَدًا» و لا يسلب عنك ذلك «فِي الدُّنْيَا» ما دمت حيّا «ثُمَّ فِي الْعُقْبٰى» فإذا وجدت فيك هذا الحال «فَلَا تُسِيْءِ الْاَدَبَ» مع الله الملك المتعال «اُنْظُرْ اِلٰى مَنْ يَنْظُرُ اِلَيْكَ وَ» هو الله عَزَّ وَ جَلَّ في كل حال «اَقْبِلْ» بالطاعة والتوجه والإخلاص والمحبة والتوكل والتفويض والتسليم والرضا بالقضاء والشكر والثناء «عَلٰى مَنْ اَقْبَلَ» باللطف و الإحسان والرأفة والرضوان والرحمة والغفران والعطاء والامتنان «إلَيْكَ وَاحْبِبْ» بالحب الكلي «مَنْ يُحِبُّكَ» مع كثرة عبيده المحبين له «وَاسْتَجِبْ» بكليتك «مَنْ يَدْعُوْكَ» باللطف إليه «وَ اَعْطِ يَدَكَ» بالاعتماد الكلي «مَنْ يُثَبِّتُكَ» على استقامة العبودية بالفناء ثم الإبقاء «مِنْ سَقَطِكَ» عن ذروة القبولية إلى حضيض البهيمية «وَ يُخْرِجُكَ مِنْ ظُلُمَاتِ جَهْلِكَ» عن معرفة الربوبية والعبودية «وَ يُنْجِيْكَ» نجاة أبديا سرمديا «مِنْ هَلْكَتِكَ» بحسبان نفسك و غيرك من جزئيات العالم موجوداتٍ حقيقةً «وَ يَغْسِلُكَ» ظاهرا و باطنا «مِنْ اَنْجَاسِكَ» بالتوجه إلى ما سوى الله تعالىٰ في أمورك «وَ يُنَظِّفُكَ» تنظيفا عرفانيا «مِنْ اَوْسَاخِكَ» الجهلية عن حقائق الموجودات «وَ يُخَلِّصُكَ» خلاصا ظاهريًا و باطنيًا «مِنْ جِيْفِكَ وَ نَتْنِكَ» ببقاء بشريتك و صفاتها «وَ مِنْ هِمَّكَ الرَّدِيَّةِ» بحب المال والجاه والولد والوالد والعمارة مما هو من لوازم الدنيا «وَ» يخلصك «مِنْ نَفْسِكَ الْاَمَّارَةِ بِالسُّوْءِ» كالرياء والعجب والسمعة والتفاخر والتشاجر والتباغض والتحاسد «وَ» يخلصك «من اَقْرَانِكَ الضُّلَالِ» في أنفسهم عن طرق المعرفة و

سبل العلم جمع ضَالَّ كطُلَّاب و قُطَّاع جمع طالب و قاطع «الْمُضِلِّيْنَ» لمن قارنهم و خالطهم عن تلك الطرق العرفانية «شَيَاطِيْنِكَ» بأن يصيروا سببا لغفلتك عن التوجه التام إلى خالقك و ربك «وَ» يخلصك «عَنْ هَوَاكَ» المُرديّة المُهلِكَةِ «وَ» يخلصك عن «اَخِلَّائِكَ» الدنيوية جمع خليل «الْجُهَّالِ» عن طريق العروج إلى ذروة المعرفة «قُطَّاعِ طَرِيْقِ الْحَقِّ عَزَّ وَ جَلَّ» بالإغفال عنها بطريق الاشتغال بالرسوم والعادات والتقيدات بالحظوظ النفسانية و الشهوانية «الْحَائِلِيْنَ بَيْنَكَ وَ بَيْنَ كُلِّ» أمر «نَفيسٍ وَ ثَمِيْنٍ وَ عَزِيْزٍ» في الشريعة والطريقة والحقيقة فاحذرعن جميع ما ذكر لك بعد التنبيه على ضررها و لا تَمِل إلى شيء منها.

«اِلٰى مَتَى الْعَادَةُ» أي إلى أي وقت تشتغل و تتقيد بالعادة والرسم «إِلٰى مَتَى الْخَلْقُ» و ملاحظته والاشتغال به «إِلٰى مَتَى الْهَوٰى» والتقييد بها والعمل بمقتضاها «إِلٰى مَتَى الرَّعُوْنَةُ» أي النفسانية والجهل والحماقة «إِلٰى مَتَى الدُّنْيا» والاشتغال بها «إِلٰى مَتَى الْأُخْرٰى» والعمل بها «إِلٰى مَتٰى مَا سِوَى الْمَوْلٰى» والتوجه إليه فتنبه أيها العاقل «فَاَيْنَ أنت مِنْ خَالِقِ الْأَشْيَاءِ» و كيف تَبْعُدُ عنه تعالٰى، التوجه إلى الخالق خير لك أم إلى المخلوق، أين أنت من «الْمُكَوِّنِ» لِلْاَكْوَانِ كلها «الْاَوَّلِ» من كل شيء «وَالْاٰخِرِ» الباقي بعد كل شيء «الظَّاهِرِ» في المظاهر كلها «الْبَاطِنِ» لكل شيء «وَالْمَرْجِعِ» للكل «وَالْمَصْدَرِ» للكل هذا إن جعل المرجع والمصدر ظرفي مكانٍ، و إن جُعِلا مصدرين كان المعنى رجوع الكل «اِلَيْهِ» تعالٰى في جميع الأمور، والأول هوالأصوب بل الصواب إذ به يظهر صلاح الكلام الأتي كما سيأتي «وَ لَهُ الْقُلُوْبُ وَ طَمَانِيْنَةُ الْاَرْوَاحِ» كما قال تعالٰى:

﴿قُلْ اِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَنْ يَّشَآءُ وَ يَهْدِيْٓ اِلَيْهِ مَنْ اَنَابَ.الذين اٰمَنُوْا وَ تَطْمَئِنُّ قُلُوْبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ ؕ اَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوْبُ. الذينَ اٰمَنُوْا وَ عَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ طُوْبٰى لَهُمْ وَ حُسْنُ مَاٰبٍ﴾ [الرعد:السورة:١٣، الآية:٢٧،٢٨،٢٩]

«وَ مَحَطُّ الْاَثْقَالِ وَالْعَطَاءِ بِلَا اِمْتِنَانٍ» الظاهر أن هذه الأمور الأربعة مرتبطة بقوله إليه و له كليهما أي إليه ينتهي القلوب سلوكا و له القلوب مِلكا و تعلقا و

معرفةً.وكذلك طمانينة الأرواح و إليه محط الأثقال أي إليه ينتهي حَطُّ أثقال البشرية و صفاتها؛ فإن السالك إذا انتهى سلوكه إلى الله تعالى ذهب بشريته و صفاتها، و فنى ذاته الخلق جميعا؛ فإن المانع من الوصول والرجوع هو البشرية والنفسانية و حب المال والجاه والتعلق بالعلائق، فجميع هذه الأمور أثقال على السالك فمحطها إلى الله تعالى و له أي لأجله و إليه ينتهي العطاء بلا امتنان؛ فإن عطاء المخلوقات لا يخلو عن امتنان و إِن يخلو فإنما هو لأجل أن فاعلَه فاني في الله تعالى أو مريد للفناء إن كان من أهل السلوك أو للقبول والرضا إن كان من أهل ظاهر الشريعة فظهر أن العطاء بلا امتنان ينتهي إلى الله تعالى و ثابت له تعالى أوّلا في بعض المواضع و آخرًا في بعضها.

اَلْمَقَالَةُ الثَّالِثَةُ وَالسِّتُّوْنَ

فِي بَيَانِ حَالِ مَنَامِهِ

قَالَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ: رَاَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَاَنِّيْ اَقُوْلُ يَا مُشْرِكًا بِرَبِّهٖ فِي بَاطِنِهٖ بِنَفْسِهٖ وَ فِي ظَاهِرِهٖ بِخَلْقِهٖ وَ فِي عَمَلِهٖ بِإِرَادَتِهٖ، فَقَالَ رَجُلٌ فِي جَنْبِيْ مَا هٰذَا الْكَلَامُ، فَقُلْتُ هٰذَا نَوْعٌ مِّنَ الْمَعْرِفَةِ.

«قَالَ رَضِيَ اللهُ تَعَالٰى عَنْهُ: رَاَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَاَنِّيْ أَقُوْلُ» حا ل كوني في جماعة عِتابًا و خطابا للغافل عن الفناء على وجه ينبىء عن طر يق الفناء «يَا مُشْرِكًا بِرَبِّهٖ» هذا إجمال تفصيله ما بعده «فِي بَاطِنِهٖ» مشرك «بِنَفْسِهٖ» مشغول بها غير غافل عنها مشتغلا بالرب «وَ فِي ظَاهِرِهٖ» مشرك «بِخَلْقِهٖ» تعالٰى، مخالط معه، مبتلى بالرسوم و العادات غير تارك له متوجها إلى الخالق «وَ فِي عَمَلِهٖ» مشرك «بِإِرَادَتِهٖ» غير مفنٍ لها في إرادة الرب فأين الفناء والوصول إلى الله تعالٰى والقرب منه «فَقَالَ رَجُلٌ» كائن «فِي جَنْبِيْ»: في المنام «مَا هٰذَا الْكَلَامُ»؟ و ما معناه و أي غرض منه «فَقُلْتُ: هٰذَا نَوْعٌ مِّنَ الْمَعْرِفَةِ» فإن من عرف حاله في الباطن والظاهر والعمل أنه مشتغل بهذه الاشتغال عرف داءه فيمكن له السعي في تحصيل الدواء، و من لا يعرف الداء لا يمكن له تحصيل الدواء فيكون إدراك هذا الحال أيضًا نوعا من المعرفة. و لعل الغرض من إيراد هذا المنام الإشارة إلى بيان أن أرباب معالي الهِمَمِ جُلُّ همتهم في اليقظة والمنام إلى نفي الشرك الخفي، و تحصيل الفناء تعليما و إرشادا للطالبين.

اَلْمَقَالَةُ الرَّابِعَةُ وَالسِّتُّوْنَ

فِي بَيَانِ حَالَةِ نَفْسِهِ الشَّرِيْفَةِ وَ ضِيْقِ الْاَمْرِ عَلَيْهَا يَوْمًا وَ مَا جَرٰى فِيهِ

قَالَ رَضِيَ الله تَعَالٰى عَنْهُ: ضَاقَ بِيَ الْاَمْرُ يَوْمًا فَتَحَرَّكَتِ النَّفْسُ تَحْتَ حَمْلِهَا، وَ طَلَبَتِ الرَّاحَةَ وَالْمَخْرَجَ وَالْفَرْجَ، فَقِيْلَ لِيْ: مَاذَا تُرِيْدُ ؟ فَقُلْتُ: اُرِيْدُ مَوْتًا لَا حَيَاةَ فِيهِ وَ حَيَاةً لَا مَوْتَ فِيهَا. فَقِيْلَ لِيْ: مَاالْمَوْتُ الَّذِيْ لَا حَيٰوةَ فِيهِ وَالْحَيٰوةُ التِي لَا مَوْتَ فِيهَا؟ قُلْتُ: اَلْمَوْتُ الَّذِيْ لَا حَيٰوةَ فِيهِ مَوْتِيْ عَنْ جِنْسِيْ مِنَ الْخَلْقِ فَلَا اَرَاهُمْ فِي الضَّرِّ وَالنَّفْعِ، وَ مَوْتِيْ عَنْ نَفْسِيْ وَ هَوَائِيْ وَ اِرَادَتِيْ وَ مُنَائِيْ فِي الدُّنْيَاىَ وَ الأُخْرٰى فَلَا اُحْيٰ فِي جَمِيْعِ ذٰلِكَ وَ لَا اُوْجَدُ.

وَ اَمَّا الْحَيٰوةُ التِي لَا مَوْتَ فِيهَا فَحَيَاتِيْ بِفِعْلِ رَبِّيْ عَزَّ وَ جَلَّ بِلَا وُجُوْدِيْ وَالْمَوْتُ فِيْ ذٰلِكَ وَجُوْدِيْ مَعَهُ عَزَّوَجَلَّ فَكَانت هٰذِهِ الْاِرَادَةُ اَنْفُس الْاِرَادَاتِ التِي اَرَدْتُّهَا مُنْذُ عَقَلْتُ.

«قَالَ رَضِيَ الله تَعَالٰى عَنْهُ: ضَاقَ بِيَ الْاَمْرُ يَوْمًا» و لا أجد مخلصا منه «فَتَحَرَّكَتِ النَّفْسُ تَحْتَ حَمْلِهَا» واضطربت من ثقلها و عجزت من شدتها «وَ طَلَبَتِ الرَّاحَةَ» بالخلاص عنها «وَالْمَخْرَجَ وَالْفَرْجَ» بزوالها «فَقِيْلَ لِيْ» في الواقعة «مَاذَا تُرِيْدُ» يا فلان؟ «فَقُلْتُ: اُرِيْدُ مَوْتًا لَا حَيَاةَ فِيهِ، وَ حَيَاةً لَا مَوْتَ فِيهَا. فَقِيْلَ لِيْ: مَاالْمَوْتُ الَّذِيْ لَا حَيٰوةَ فِيهِ وَالْحَيَاةُ التِي لَا مَوْتَ فِيهَا»؟

«قُلْتُ: اَلْمَوْتُ الَّذِيْ لَا حَيٰوةَ فِيهِ مَوْتِيْ عَنْ جِنْسِيْ مِنَ الْخَلْقِ فَلَا اَرَاهُمْ» أي الخلق و لأ التفت اليهم و لا أشعر بهم كالميت «فِي الضَّرِّ وَالنَّفْعِ» فلا أخاف ضرهم و لا أرجو نفعهم لغيبتهم عن نظر الشهود «وَ موتى عَنْ نَفْسِيْ وَ هَوَائِيْ وَ اِرَادَتِيْ وَ مُنَائِيْ فِي الدُّنْيَا وَ الأُخْرٰى فَلَا اُحْيٰ فِي جَمِيْعِ ذٰلِكَ وَ لَا اُوْجَدُ» بصيغة المجهول أي لا

أرى نفسي و لا أجدها، و لا هوائي و لا إرادتي و منائي بل أَتَخَلَّصُ عن جميع ذلك و أفنى عنها.

«وَ اَمَّا الْحَيَاةُ التي لَا مَوْتَ فيهَا فَحَيَاتِيْ بِفِعْلِ رَبِّيْ» أي بالفناء في فعل ربي «عَزَّ وَ جَلَّ بِلَا وُجُوْدِيْ فيهِ» أي في ذلك الفعل الَّذِيْ هو عبارة عن القدر المحض إذ به يحصل للقلب شهود الرب تعالىٰ، و إذا حصل الشهود للقلب يصير به حيًّا منورا ذا راحةٍ و سرور عظيم فخيم و أي حياة أعظم من حيٰوة القلب بمشاهدة الرب؛ فإن الخلق العام حيٌّ بالنفس والروح، والخاص بالقلب فمن حصل له حيَاة القلب فهو حي أبديّ لا يموت أصلا «وَالْمَوْتُ فِي ذٰلِكَ» الحال «وُجُوْدِيٌّ مَعَهٗ عَزَّ وَ جَلَّ» فإن وجودي معه إشراك في الوجود و هو تعالىٰ بريئ منه، فإن وحدة الوجود أبية عن شهود الوجود الاٰخر فشهود الوحدة حيَاة و شهود الكثرة مماة، و بهذا المعنى ورد "وجودك ذنب لا يقاس بها ذنب" و ورد: "دع نفسك و تعال" «فكَأَنت هٰذِهِ الْاِرَادَةُ» التي ذكرتها «اَنْفُس الْاِرَادَاتِ» و أحسنها و أجملها و أكملها و أفضلها «الَّتِي اَرَدْتُّهَا مُنْذُ عَقَلْتُ» شيئا و صرت ذا شعور.

اَلْمَقَالَةُ الْخَامِسَةُ وَالسِّتُّوْنَ

فِي النَّهْيِ عَنِ التَّسَخُّطِ عَلَى الرَّبِّ تَعَالٰى بِسَبَبِ التَّأْخِيْرِ فِي اِسْتِجَابَةِ الدُّعَاءِ

قَالَ رَضِيَ اللهُ تَعَالٰى عَنْهُ: مَا هٰذَا التَّسَخُّطُ عَلٰى رَبِّكَ عَزَّ وَ جَلَّ لِأَجْلِ تَأْخِيْرِ اِجَابَةِ الدُّعَاءِ تَقُوْلُ حَرَّمَ اللهُ عَلَيَّ السُّؤَالَ لِلْخَلْقِ وَ اَوْجَبَ عَلَيَّ السُّؤَالَ لَهٗ وَ اَنَا اَدْعُوْهُ وَ هُوَ لَا يُجِيْبُنِيْ، فيقَالُ لَكَ اَ حُرٌّ أنت اَمْ عَبْدٌ فَاِنْ قُلْتَ اَنَا حُرٌّ فَأنت كَافِرٌ وَ اِنْ قُلْتَ اَنَا عَبْدٌ فيقَالُ لَكَ اَ مُتَّهِمٌ أنتَ لِمَوْلَاكَ فِي تَأْخِيْرِ اِجَابَةِ دُعَائِكَ وَ شَاكٌّ فِي حِكْمَتِهٖ وَ رَحْمَتِهٖ بِكَ وَ بِجَمِيْعِ خَلْقِهٖ وَ عِلْمِهٖ بِاَحْوَالِهِمْ اَوْ غَيْرُ مُتَّهِمٍ لَهٗ عَزَّ وَ جَلَّ؟ فَاِنْ كُنْتَ غَيْرَ مُتَّهِمٍ لَهٗ وَ مُقِرًّا بِحِكْمَتِهٖ وَ اِرَادَاتِهٖ وَ مَصْلِحَتِهٖ فِي تَأْخِيْرِ ذٰلِكَ فَعَلَيْكَ بِالشُّكْرِ لَهٗ عَزَّ وَ جَلَّ لِاَنَّهٗ اِخْتَارَ لَكَ الْاَصْلَحَ وَالنِّعْمَةَ، وَ دَفَعَ الْفَسَادِ عَنْكَ، وَ اِنْ كُنْتَ مُتَّهِمًا لَهٗ عَزَّ وَ جَلَّ فِي ذٰلِكَ فَأنت كَافِرٌ بِتُهْمَتِكَ لَهٗ لِاَنَّكَ بِذٰلِكَ الْفِعْلِ نَاسَبْتَ لَهٗ اِلَى الظُّلْمِ وَ هُوَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيْدِ وَ يَسْتَحِيْلُ عَلَيْهِ تَعَالٰى اَنْ يَظْلِمَ وَ هُوَ مَالِكُكَ وَ مَالِكُ كُلِّ شيءٍ وَالْمَالِكُ لَهُ التَّصَرُّفُ فِي مِلْكِهٖ كَيْفَ يَشَاءُ فَلَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ اِسْمُ الظَّالِمِ وَ اِنَّمَا الظَّالِمُ مَنْ يَتَصَرَّفُ فِي مِلْكِ غَيْرِهٖ بِغَيْرِ اِذْنِهٖ. فَاسْدُدْ عَلَيْكَ سَبِيْلَ التَّسَخُّطِ عَلَيْهِ فِي فِعْلِهٖ فِيكَ بِمَا يُخَالِفُ طَبْعَكَ وَ شَهْوَةَ نَفْسِكَ وَ اِنْ كَانَ فِي الظَّاهِرِ مَفْسَدَةٌ لَكَ، فَعَلَيْكَ بِالشُّكْرِ وَالصَّبْرِ وَالْمُوَافَقَةِ وَالرِّضَا وَ تَرْكِ التَّسَخُّطِ وَالتُّهْمَةِ وَ الْقِيَامِ مَعَ رَعُوْنَةِ النَّفْسِ وَهَوَاهَا الَّذِيْ يُضِلُّ عَنْ سَبِيْلِ اللهِ تَعَالٰى. وَ عَلَيْكَ بِدَوَامِ الدُّعَاءِ وَ صِدْقِ اللَّجَاءِ وَ حُسْنِ الظَّنِّ بِرَبِّكَ عَزَّ وَ جَلَّ وَ اِنْتِظَارِ الْفَرَجِ وَالتَّصْدِيْقِ بِوَعْدِهٖ وَالْحَيَاءِ مِنْهُ وَ

بِالْمُوَافَقَةِ لِأَمْرِهٖ وَ بِحِفْظِ تَوْحِيْدِهٖ وَ بِالْمُسَارَعَةِ إِلٰى اَدَاءِ اَوَامِرِهٖ تَعَالٰى وَ التَّقَاعُدِ عَنْ اِرْتِكَابِ نَهْيِهٖ وَ بِالتَّمَاوُتِ عِنْدَ نُزُلِ قَدْرِهٖ بِكَ وَبِفِعْلِهٖ فِيْكَ، وَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ أَنْ تَتَّهِمَ وتُسِيءَ الظَّنَّ فَنَفْسُكَ الأَمَّارَةُ بِالسُّوْءِ العَاصِيَةُ لِرَبِّهَا عَزَّوَجَلَّ أَوْلٰى بِهِمَا، وَنِسْبَتُكَ الظُّلْمَ إِلَيْهَا أَحْرىٰ مِنْ مَوْلَاكَ فَاحْذَرْ مُوَا فَقَتَهَا وَمُوَالَاتِهَا، وَالرِّضَا بِفِعْلِهَا وَقَوْلِهَا فِيْ الأَحْوالِ كِلِّهَا، لِأَنَّهَا عُدْوَةُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَعَدُوَّتُكَ وَمُوَالِيَةٌ لِعَدُوِّ اللهِ وَعَدُوِّكَ الشَيْطٰنِ الرَّجِيْمِ، هِيَ خَلِيْفَتُهُ وَ جَاسُوْسَتُهُ وَ مُصَافِيَتُهُ اللهَ اللهَ اَلْحَذْرَ اَلْحَذْرَ وَالنَّجَا وَالنَّجَا اِتَّهِمْهَا اَبَدًا وَانْسُبِ الظُّلْمَ اِلَيْهَا وَاقْرَأْ عَلَيْهَا قَوْلَهٗ عَزَّ وَ جَلَّ:

﴿مَا يَفْعَلُ اللهُ بِعَذَابِكُمْ اِنْ شَكَرْتُمْ وَ اٰمَنْتُمْ ؕ﴾ [النساء، السورة:٤، الآية:١٤٧]

وَ قَوْلَهٗ عَزَّ وَ جَلَّ:

﴿ذٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَ اَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيْدِ﴾[الحج، السورة:٢٢، الآية:٤٤]

وَ قَوْلَهٗ تَعَالٰى :

﴿اِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَّ لٰكِنَّ النَّاسَ اَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُوْنَ﴾ [يونس:٨ إلى ١٠]

وَ غَيْرَهَا مِنَ الْاٰيَاتِ وَالْاَخْبَارِ. كُنْ خَصْمًا لله عَلٰى نَفْسِكَ وَ مُجَادِلًا لَهَا عَنْهُ عَزَّ وَ جَلَّ وَ مُحَارِبًا وَ سَيَّافًا، وَ كُنْ صَاحِبَ جُنْدِهٖ وَ عَسْكَرِهٖ فَاِنَّهَا اَعْدٰى عَدُوِّ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ قَالَ اللهُ تَعَالٰى:

"يَا دَاوٗدُ اُهْجُرْ هَوَاكَ فَاِنَّهٗ لَا مُنَازِعَ يُنَازِعُنِيْ فِي مُلْكِيْ غَيْرَ الْهَوٰى".

«قَالَ رَضِيَ اللهُ تَعَالٰى عَنْهُ: مَا هٰذَا التَّسَخُّطُ» والغضب منك يا عبدالله «عَلى

رَبِّكَ عَزَّ وَ جَلَّ لِاَجْلِ تَأخِيْرِ اِجَابَةِ الدُّعَاءِ» الَّذِيْ دعوتها في حصول مطالبك و مقاصدك «تَقُوْلُ: حَرَّمَ الله» تعالى بلسان رسوله «عَلَيَّ السُّؤَالَ لِلْخَلْقِ» أي عنهم «وَ اَوْجَبَ عَلَيَّ السُّؤَالَ لَهُ» أي عنه عَزَّ وَ جَلَّ «وَ» الحال «اَنَا اَدْعُوْهُ وَ هُوَ تعالى لَا يُجِيْبُنِيْ، فيقَالُ لَكَ» في جواب شبهتك «أحُرٌّ أنت» أي غير داخل في عبودية الله تعالى «اَمْ عَبْدٌ» لله تعالى «فَاِنْ قُلْتَ» بجهلك و نفسانيتك و ملاحظة نفي رقبتك لمخلوق من مخلوقات الله «اَنَا حُرٌّ. فَأنت» في الحقيقة «كَافِرٌ» بنفي عبوديتك لله تعالى «وَ اِنْ قُلْتَ اَنَا عَبْدٌ» كما كنت في نفس الأمر «فيقَالُ لَكَ» في تسخطك على ربك لأجل تأخير إجابة دعائك «اَ مُتَّهِمٌ أنت لِمَوْلَاكَ» أنه فعل بك ما لا يليق بك «فِي تَأخِيْرِ إجَابَةِ دُعَائِكَ وَ» أ«شَاكٌّ» أنت «فِي حِكْمَتِهٖ» تعالى بأن التأخير خلاف الحكمة «وَ» شاك في «رَحْمَتِهٖ بِكَ وَ بِجَمِيْعِ خَلْقِهٖ» مع علمه تعالى، وَ شَاكٌّ فِي «عِلْمِهٖ بِاَحْوَالِهِمْ» بزعمك أن التأخير إنما حصل بسبب عدم الاطلاع على حقيقة الحال «اَوْ غَيْرُ مُتَّهِمٍ لَهُ عَزَّ وَ جَلَّ» في ذلك التأخير «فَاِنْ كُنْتَ غَيْرَ مُتَّهِمٍ لَهُ» تعالى في ذلك «وَ» كنت «مُقِرًّا بِحِكْمَتِهٖ» في جميع أفعاله «وَ اِرَادَ اتِهٖ وَ» علمه فإنها لا تكون بدونه «وَ مَصْلِحَتِهٖ» تعالى لك أي صلاح لك من جانب الله تعالى «فِي تَأخِيْرِ ذٰلِكَ» أي قبول دعوتك «فَعَلَيْكَ بِالشُّكْرِ» أي استمسك به «لَهُ عَزَّ وَ جَلَّ لِاَنَّهُ» تعالى «اِخْتَارَ لَكَ الْاَصْلَحَ وَالنِّعْمَةَ، وَ دَفَعَ الْفَسَادِ عَنْكَ» تفضلا منه تعالى من غير وجوب عليه عَزَّ وَ جَلَّ عند أهل الحق «وَ اِنْ كُنْتَ» أيها السالك «مُتَّهِمًا لَهُ عَزَّ وَ جَلَّ فِي ذٰلِكَ» التأخير و عدم الإجابة على الفور و في الحال «فَأنت كَافِرٌ» في الطريقة «بِتُهْمَتِكَ لَهُ» تعالى «لِاَنَّكَ بِذٰلِكَ الْفِعْلِ» الَّذِيْ هي التهمة «نَاسَبْتَ لَهُ» بمعنى نسبته «إلى الظُّلْمِ وَ هُوَ» الحال أنه تعالى «لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيْدِ، وَ يَسْتَحِيْلُ عَلَيْهِ تَعَالٰى اَنْ يَظْلِمَ» إذ الظلم عبارة عن وضع الشيء في غير محله «وَ هُوَ» تعالى «مَالِكُكَ وَ مَالِكُ كُلِّ شيء وَالْمَالِكُ» يجوز «لَهُ التَّصَرُّفُ فِي مِلْكِهٖ كَيْفَ يَشَاءُ فَلَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ» أي على تصرفه تعالى «اِسْمُ الظَّالِمِ وَ اِنَّمَا الظَّالِمُ مَنْ يَتَصَرَّفُ فِي مِلْكِ غَيْرِهٖ بِغَيْرِ اِذْنِهٖ».

إذا عرفت وجه تأخير دعائك، و عرفت أنه تعالىٰ فعل بك ما هو أصلح و أنفع لك فلا وجه لتسخطك عليه تعالىٰ «فَاسْدُدْ عَلَيْكَ سَبِيْلَ التَّسَخُّطِ عَلَيْهِ» وأغلق عليك باب التسخط سدًا و غلقًا لا يفتح عليك بابه أصلا «فِي فِعْلِهِ» تعالىٰ «فيكَ بِمَايُخَالِفُ طَبْعَكَ وَ شَهْوَةَ نَفْسِكَ، وَ اِنْ كَانَ» فعله تعالىٰ فيك «فِي الظَّاهِرِ» بسوء ظنك و جهلك و جهل أناس اٰخر مثلك «مَفْسَدَةٌ لَكَ» كسقوط البيت و ذهاب المال و موت الولد و نحوذلك، فاعلم أنه لا خطأ في صنع الحكيم؛ فإن الحكيم لا يفعل إلا ما فيه حكمة، و هو تعالىٰ عالم بعواقب الأمور كلها فلم يفعل بك ذلك إلا لصلاحك «فَعَلَيْكَ بِالشُّكْرِ» أي استمسك بالشكر على باطن ذلك الفعل؛ فإنه نعمة لك «وَالصَّبْرِ وَالْمُوَافَقَةِ وَالرِّضَا» بذلك الفعل الَّذِيْ يخالف إرادتك، و تظنه مفسدة «وَ تَرْكِ التَّسَخُّطِ وَالتُّهْمَةِ وَ» ترك «الْقِيَامِ مَعَ رَعُوْنَةِ النَّفْسِ» أي جهلها و حُمقها الحاكمة بإساءة ذلك الفعل «وَ» ترك «هَوَاهَا» الَّذِيْ يُضِلُّ عَنْ سَبِيْلِ الله تَعَالٰى، وَ عَلَيْكَ بِدَوَامِ الدُّعَاءِ وَ صِدْقِ اللَّجَاءِ» أي الالتجاء إلى الله تعالىٰ «وَ حُسْنِ الظَّنِّ بِرَبِّكَ عَزَّ وَ جَلَّ» و قد ورد في الحديث:

"و احسنوا الظن بالله تعالىٰ فإن حسن الظن من العبادة".

«وَ اِنْتِظَارِ الْفَرَجِ» فورد في حديث غريب: "سَلُوا الله من فضله فإن الله تعالىٰ يحب أن يُسأل و أفضلُ العبادة انتظار الفرج «وَالتَّصْدِيْقِ بِوَعْدِهٖ» فإنه تعالىٰ لا يخلف الميعاد «وَالْحَيَاءِ مِنْهُ» تعالىٰ في التسخط والاعتراض عليه تعالىٰ بتأخير إجابة الدعاء مع أنه تعالىٰ أنعم عليك بنِعَم لا تعد و لا تحصى فنسيان جميع النعم والاعتراض بترك واحدة متخيلة النفع هل يجوز عند العقلاء «وَ» اِسْتَمْسِكْ «بِالْمُوَافَقَةِ لِاَمْرِهٖ» تعالىٰ «وَ» استمسك «بِحِفْظِ تَوْحِيْدِهٖ» تعالىٰ فلا تجعل لغيره تعالىٰ، حكما و دخلا في فعله تعالىٰ، و نفسك و هواك أيضًا من الغير فلا تتبعهما «وَ» استمسك «بِالْمُسَارَعَةِ إِلٰى اَدَاءِ اَوَامِرِهٖ تَعَالٰى» فرضا كان الأمر أو استحبابا «وَ» إلى «التَّقَاعُدِ» و التباعد «عَنْ اِرْتِكَابِ نَهْيِهٖ» محرما كان أو مكروها، فإن ذلك مثمر للفناء في الله والبقاء به كما يدل عليه حديث قرب الفرائض والنوافل.

قال ابن عطاء: ما فتح الله تعالىٰ على عبد حالةً سنيّة إلا باتباع الأوامر و إخلاص الطاعات و لزوم المحاريب.

و قال سليمان الداراني: لا يفوت أحدا الصلوةُ بجماعة إلا لذنب.

و في الخزانة الجلالي: أن الخير يدعو إلى الخير، والشر يدعو إلى الشر،والقليل من كل منهما يَجُرُّ إلى الكثير «وَ» استمسك «بِالتَّمَاوُتِ» أي جعل نفسك ميّتا «عِنْدَ نُزُوْلِ قَدْرِهٖ» تعالىٰ «بِكَ وَ بِفِعْلِهٖ» تعالىٰ «فيكَ» و إن كان ذلك القدر مخالفا لرأيك فاجبر نفسك بالتسليم والسكوت «وَ اِنْ كَانَ» نفسك لا تسكن و لا تسكت و «لَا بُدَّ» لك «اَنْ تَتَّهِمَ وَ تُسِيْءَ الظَّنَّ فَنَفْسُكَ الْاَمَّارَةُ بِالسُّوْءِ الْعَاصِيَةُ لِرَبِّهَا عَزَّ وَ جَلَّ اَوْلٰى بِهِمَا» أي بالاتهام و سوء الظن فإنها منشأ و مأوى كل شر فملامتك لنفسك «وَ نِسْبَتُكَ الظُّلْمَ اِلَيْهَا اَحْرٰى مِنْ مَوْلَاكَ» الَّذِيْ أولاك بنعم لا تعد و لا تحصى «فَاحْذَرْ» أيها الحاذق المؤدب «مُوَافَقَتَهَا» أي النفس «وَ مُوَالَاتِهَا» و محبتها «وَالرِّضَا بِفِعْلِهَا» و حكمها «وَ قَوْلِهَا فِي الْاَحْوَالِ كُلِّهَا؛ لِاَنَّهَا عُدْوَةُ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ» فإنه تعالىٰ في كمال التنزه ذاتا و صفاتا، و هي في كمال الدناء ة و الخساسة ذاتا و صفاتا فلا يمكن موالاتها و محبتها مع الله تعالىٰ «وَ» أنها «عَدُوَّتُكَ» أيضًا بانجرارك إلى مقتضياتها و مشتهياتها المبغوضة والمكروهة للرب عَزَّ وَ جَلَّ «وَ» أنها «مُوَالِيَةٌ» و محبة و موافقة «لِعَدُوِّ اللهِ» تعالىٰ «وَ عَدُوِّكَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ» أي ذلك العدو لله و لك هو الشيطان الرجيم أو أعنى به ذلك أو يجر على البدلية «هِيَ» أي نفسك «خَلِيْفَتُهُ» أي خليفة الشيطان «وَ جَاسُوْسَتُهُ وَ مُصَافيتُهُ» أي موافقته مع المحبة الخالصة لأنهما مبغوضان و طالبان للسفل والخساسة والدناءة و حب الشهوات «الله الله» أي اتق الله كرر المحذر منه مبالغة في الاتقاء والتحذير لئلا يُغفَل و يُسهو فإن المقام يقتضي المبالغة، و لذا قال رضي الله تعالىٰ عنه: «اَلْحَذْرَ اَلْحَذْرَ» عن موافقة النفس و كذا الشيطان «وَالنَّجا وَالنَّجا» أي اطلب النجاة بمعاداتها و ترك موافقتها بل «اِتَّهِمْهُمَا اَبَدًا» فإنها منشأ الشر والفساد «وَانْسُبِ الظُّلْمَ اِلَيْهَا» فإنها ظالمة عليك بالإبعاد عن ساحة الحضور و

فيضان النور «وَاقْرَأ عَلَيْهَا قَوْلَهٗ عَزَّ وَ جَلَّ» في حق المنافقين:

﴿اِنَّ الْمُنٰفِقِيْنَ فِي الدَّرْكِ الْاَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ۚ وَ لَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيْرًا. اِلَّا الذين تَابُوْا وَ اَصْلَحُوْا وَ اعْتَصَمُوْا بِاللهِ وَ اَخْلَصُوْا دِيْنَهُمْ لِلّٰهِ فَاُولٰٓئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِيْنَ ؕ وَ سَوْفَ يُؤْتِ اللهُ الْمُؤْمِنِيْنَ اَجْرًا عَظِيْمًا. «مَا يَفْعَلُ اللهُ بِعَذَابِكُمْ اِنْ شَكَرْتُمْ وَ اٰمَنْتُمْ ؕ»﴾[النساء، السورة:٤، الآية:١٤٥ إلى ١٤٧]

يعني أن منشأ العذاب إنما هو الكفر بالمنعم و النعمة، فإن شكرتم أيها المنافقون آلاء الله تعالٰى التي أفاض عليكم، و أمنتم بالله لا يعذبكم كما لا يعذب المؤمنين الشاكرين «وَ» اقرأ عليها «قَوْلَهٗ عَزَّ وَ جَلَّ»:

﴿وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُّجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَّ لَا هُدًى وَّ لَا كِتٰبٍ مُّنِيْرٍ. ثَانِيَ عِطْفِهٖ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيْلِ اللهِ لَهٗ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَّ نُذِيْقُهٗ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ عَذَابَ الْحَرِيْقِ. «ذٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَ اَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيْدِ»﴾[الحج، السورة٢٢، الآية:٨ إلى ١٠]

كي تمتنع عن المجادلة في الله و عن إضلالك «وَ» اقرأ عليها «قَوْلَهٗ تَعَالٰى»:

﴿«اِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَّ لٰكِنَّ النَّاسَ اَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُوْنَ»﴾.[يونس، السورة:١٠، الآية:٤٤]

كي تتوب عن الظلم عليك «وَ» اقرأ عليها «غَيْرَهَا» أي غير ما تلونا عليك «مِنَ الْاٰيَاتِ» القرآنية «وَالْاَخْبَارِ» النبوية، فإذا وقفت على ما ذكرنا فَكُنْ حافظا و مراقبا لنفسك بل «كُنْ خَصْمًا لله» تعالٰى، و في نسخة: خصيما و هما بمعنى واحد أي من جانب الله تعالٰى «عَلٰى نَفْسِكَ وَ مُجَادِلًا لَهَا» أي معها «عَنْهُ عَزَّ وَ جَلَّ وَ مُحَارِبًا» مع النفس من جانب الله عَزَّ وَ جَلَّ «وَ سَيَّافًا» أي قتّالا لها لأجل الله تعالٰى «وَ كُنْ صَاحِبَ جُنْدِهٖ» أي الله تعالٰى «وَ» صاحب «عَسْكَرِهٖ» أي الله تعالٰى على النفس فكما أن جنده تعالٰى و عسكره تعالٰى إذا بعث الله تعالٰى على عدوّه كيف يحارب معه و يقاتله أو يهزمه فكن أنت كذلك من جانب الله تعالٰى مع نفسك «فَاِنَّهَا اَعْدٰى عَدُوِّ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ» أما سمعتَ كيف «قَالَ اللهُ تَعَالٰى» لنبيه داؤد عليه السلام:

﴿«يَا دَاوُدُ اُهْجُرْ هَوَاكَ فَإِنَّهُ»﴾ أي الشأن ﴿«لَا مُنَازِعَ يُنَازِعُنِيْ فِي مُلْكِيْ غَيْرَ الْهَوٰى»﴾ و ذلك لأن منشأ كل سوء إنما هي الهوى فإن الكفر مع أقسامه، و الفسق بأنواعه مع كثرة فاعليه إنما كان منشأهما الهوٰى.

اَلْمَقَالَةُ السَّادِسَةُ وَالسِّتُّوْنَ

فِي النَّهْيِ عَنْ تَرْكِ الدُّعَاءِ

قَالَ رَضِيَ الله تَعَالٰى عَنْهُ: لَا تَقُلْ لَا اَدْعُو الله عَزَّ وَ جَلَّ فَاِنْ كَانَ مَا اَسْاَلُهٗ مَقْسُوْمًا فيأْتِيْنِيْ اِنْ سَاَلْتُهٗ اَمْ لَمْ اَسْاَلْهُ عَزَّ وَ جَلَّ، وَ اِنْ كَانَ غَيْرَ مَقْسُوْمٍ فَلَا يُعْطِيْنِيْ بِسُوَالِيْ بَلْ اسْاَلْهُ عَزَّ وَ جَلَّ جَمِيْعَ مَا تُرِيْدُ وَ تَحْتَاجُ اِلَيْهِ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةِ مَا لَمْ يَكُنْ فيهِ مُحَرَّمٌ وَ مَفْسَدَةٌ لِاَنَّ الله عَزَّ وَ جَلَّ اَمَرَ بِالسُّؤَالِ لَهُ وَ حَثَّ عَلَيْهِ. وَ قَالَ:

اُدْعُوْنِيْ اَسْتَجِبْ لَكُمْ. [المؤمن، السورة: ٤٠، الآية: ٦٠]

وَ قَالَ: وَا سْئَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ. [النساء، السورة ٤، الآية: ٣٢]

وَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ:

اِسْاَلُوا اللهَ وَ اَنْتُمْ مُّوْقِنُوْنَ بِالْاِجَابَةِ.

وَ قَالَ: وَاسْاَلُوا الله بِبُطُوْنِ اَكُفِّكُمْ.

وَ غَيْرُ ذٰلِكَ مِنَ الْاَخْبَارِ.

وَ لَا تَقُلْ اِنِّيْ اَسْاَلُهٗ فَلَا يُعْطِيْنِيْ فَاِذًا لَا اَسْاَلُهٗ بَلْ دُمْ عَلٰى دُعَائِهٖ مِنْهُ عَزَّ وَ جَلَّ فَاِنَّهٗ اِنْ كَانَ لَكَ مَقْسُوْمًا سَاقَهٗ اِلَيْكَ بَعْدَ اَنْ تَسْاَلَهٗ فيزِيْدُكَ ذٰلِكَ اِيْمَانًا وَ يَقِيْنًاوَ تَوْحِيْدًا وَ تَرْكَ سُؤَالِ الْخَلْقِ وَ الرُّجُوْعَ اِلَيْهِ تَعَالٰى فِي جَمِيْعِ اَحْوَالِكَ وَ اِنْزَالَ حَوَائِجِكَ بِهٖ عَزَّ وَ جَلَّ، وَ اِنْ لَمْ يَكُنْ مَقْسُوْمًا لَكَ اَعْطَاكَ الْغِنَاءَ عَنْهُ وَ الرِّضَا عَنْهُ عَزَّ وَ جَلَّ بِالْفَقْرِ فَاِنْ كَانَ مَسْؤُلُكَ فَقْرًا اَوْ مَرَضًا اَرْضَاكَ بِهِمَا. وَ اِنْ كَانَ دَيْنًا قَلَّبَ قَلْبَ صَاحِبِ الدَّيْنِ مِنْ سُوْءِ الْمُطَالَبَةِ اِلَى الرِّفْقِ بِكَ وَالتَّاخِيْرِ وَالتَّسْهِيْلِ اِلٰى حِيْنِ مَيْسِرَتِكَ اَوْ اِسْقَاطِهٖ عَنْكَ اَوْ نَقْصِهٖ فَاِنْ لَمْ يَسْقُطْ

عَنْكَ وَ لَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ فِيْ الدُّنْيَا اَعْطَاكَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ ثَوَابًا جَزِيْلًا بَدْلَ مَا لَمْ يُعْطِكَ بِسُؤَالِكَ فِي الدُّنْيَا لِاَنَّهُ كَرِيْمٌ غَنِيٌّ رَحِيْمٌ فَلَا يُخَيِّبُ سَائِلَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةِ فَلَا بُدَّ مِنْ فَائِدَةٍ وَ نَائِلَةٍ اِمَّا عَاجِلًا وَ اِمَّا اٰجِلًا، وَقَدْ جَاءَ فِيْ الحَدِيْثِ:

اِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرٰى فِي صَحِيْفَتِهٖ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ حَسَنَاتٍ لَمْ يَعْمَلْهَا وَ لَمْ يَدْرِ بِهَا، فَيُقَالُ لَهٗ: اَ تَعْرِفُهَا؟ فَيَقُوْلُ: مَا اَعْرِفُهَا مِنْ اَيْنَ لِيْ هٰذِهٖ؟ فَيُقَالُ لَهٗ: اِنَّهَا بَدَلُ مَسْئَلَتِكَ الَّتِيْ كُنْتَ سَاَلْتَهَا فِي دَارِ الدُّنْيَا وَ ذٰلِكَ اَنَّهٗ بِسُؤَالِهٖ عَزَّ وَ جَلَّ يَكُوْنُ ذَاكِرًا لله تَعَالٰى وَ مُوَحِّدًا وَ وَاضِعَ الشَّيْءِ فِي مَوْضِعِهٖ وَ مُتَبَرِّيًا مِنْ حَوْلِهٖ وَ قُوَّتِهٖ وَ تَارِكًا لِلتَّكَبُّرِ وَالتَّعْظِيْمِ وَالْاَنَفَةِ وَ جَمِيْعُ ذٰلِكَ اَعْمَالٌ صَالِحَةٌ لَهَا ثَوَابٌ عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ.

«قَالَ رَضِيَ الله تَعَالٰى عَنْهُ»: إن كنت أيها السالك في مقام العبودية فراع حالها واحفَظها واسأل من الله تعالٰى مطالبك و مقاصدك فإن السؤال من الله تعالٰى مظهِرٌ لذُلّ العبودية و عِزّالربوبية فافعل ذلك و «لَا تَقُلْ لَا اَدْعُو الله عَزَّ وَ جَلَّ» شيئا «فَاِنْ كَانَ مَا اَسْاَلُهُ مَقْسُوْمًا» لي في الأزل «فيأْتِيْنِيْ» البتة بلا طلب «اِنْ سَاَلْتُهٗ اَمْ لَمْ اَسْاَلْهُ عَزَّ وَ جَلَّ» فإن ما قضى الله تعالٰى و قدره واجب الوقوع لا يُدفَع بدفع دافع «وَ اِنْ كَانَ» ما أسأله «غَيْرَ مَقْسُوْمٍ» و غير مقضي في الأزل «فَلَا يُعْطِيْنِي» الله تعالٰى «بِسُؤَالِيْ» فإن القضاء لا يرد بطلب طالب و هرب هارب «بَلْ» احفظ الأدب مع الله وَ «اسْاَلْهُ عَزَّ وَ جَلَّ جَمِيْعَ مَا تُرِيْدُ وَ تَحْتَاجُ اِلَيْهِ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةِ مَا لَمْ يَكُنْ فيهِ» أي مرادك وماتحتاج إليه «مُحَرَّمٌ وَ مَفْسَدَةٌ» فعن جابر رضي الله تعالٰى عنه قال: قال رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ:

”ما من أحد يدعو بدعاء إلا آتاه الله تعالٰى ما سأل أو كفَّ عنه من السوء مثله ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم“،[1] انتهى.

(1) رواه الترمذي في أبواب الدعوات، باب ماجاء أن دعوة المسلم مستجابة برقم:٣٣٨١

و إنما أمرناك بالسؤال «لِاَنَّ اللهَ عَزَّ وَ جَلَّ اَمَرَ» العباد «بِالسُّؤَالِ لَهٗ» أي منه «وَ حَثَّ» العباد «عَلَيْهِ».

«وَ قَالَ تعالىٰ: ﴿اُدْعُوْنِيْ اَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [المؤمن، السورة: ٤٠، الآية: ٦٠]

«وَ قَالَ تعالىٰ: ﴿وَ سْئَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهٖ﴾ [النساء، السورة ٤، الآية: ٣٢]

«وَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ»:

«اِسْاَلُوا اللهَ وَ اَنْتُمْ مُّوْقِنُوْنَ بِالْاِجَابَةِ».[1]

«وَ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ»:

«وَاسْاَلُوا اللهَ بِبُطُوْنِ اَكُفِّكُمْ» وَ لَا تَسْاَلُوْهُ بِظُهُوْرِهَا فَاِذَا فَرَغْتُمْ فَامْسَحُوْا بِهَا وُجُوْهَكُمْ،[2] انتهى.

«وَ غَيْرُ ذٰلِكَ مِنَ الْاَخْبَارِ» كما ورد

"اَلدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ".

"و ورد: اَلدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ".[3]

و ورد أيضا: من لم يسأل الله يغضب عليه.[4]

«وَ لَا تَقُلْ اِنِّيْ اَسْاَلُهٗ» أي الله تعالىٰ «فَلَا يُعْطِيْنِيْ» مقاصدي «فَاِذًا» أي حين لا يعطيني «لَا اَسْاَلُهٗ بَلْ دُمْ عَلٰى دُعَائِهٖ» أي السؤال «مِنْهُ عَزَّ وَ جَلَّ فَاِنَّهٗ» أي مسؤلك «اِنْ كَانَ لَكَ مَقْسُوْمًا» في علمه الأزلي «سَاقَهٗ اِلَيْكَ بَعْدَ اَنْ تَسْاَلَهٗ» بل ربما كان وصوله إليك مشروطا بسؤالك فلا يُعطِيْكه إلا بعد سؤالك «فيزِيْدُكَ ذٰلِكَ» العطاء «اِيْمَانًا» بأنه معطي السائلين «وَ يَقِيْنًا» بأنه يُحِبُّك «وَ تَوْحِيْدًا» بأنه قاضي الحاجات «وَ» يفيدك «تَرْكَ سُؤَالِ الْخَلْقِ» أي إذا حصل لك العلم بأن الله تعالىٰ هو القاضي للحاجات والمعطي للمسؤلات يفيدك ذلك تركَ السوال عن

(1) رواه الترمذي ٥/ ٥١٧، والحاكم في مستدرك ١/ ٦٧٠، وأحمد في المسند ٢/ ١٧٧.

(2) رواه الحاكم في مستدرك ١/ ٧١٩، والبيهقي في الكبرىٰ ٢/ ٢١٢.

(3) رواه الترمذي في أبواب الدعوات، باب ماجاء في فضل الدعاء، برقم: ٣٣٧١.

(4) رواه الترمذي في أبواب الدعوات، باب منه، برقم: ٣٣٧٣.

الخلق «وَ» يفيدك «الرُّجُوْعَ اِلَيْهِ تَعَالٰى فِي جَمِيْعِ اَحْوَالِكَ وَ» يفيدك «اِنْزَالَ حَوَائِجِكَ بِهٖ عَزَّ وَ جَلَّ، وَ اِنْ لَمْ يَكُنْ» مسؤلك «مَقْسُوْمًا لَكَ» في علمه الأزلي و مع ذلك تسأله من الله تعالٰى «اَعْطَاكَ» الله تعالٰى ببركة رجوعك إليه و إظهار ذل عبوديتك له و امتثالك لأمره بالدعاء منه «الْغِنَاءَ عَنْهُ» أي عن ذلك المسؤل في الْبَاطِنِ «وَ» أعطاك «الرِّضَا عَنْهُ عَزَّ وَ جَلَّ بِالْفَقْرِفَاِنْ كَانَ مَسْؤُلُكَ» الَّذِيْ سئلت دفعَه اللاحق بك «فَقْرًا اَوْ مَرَضًا» و لم يكن دفعهما عنك مقسوما لك في علمه الأزلي «أرْضَاكَ بِهِمَا» أي يرضيك بذلك الفقر والمرض اللاحقين بك الدين سألت دفعهما ترضيةً يحصل معها رضاك بهما و لا اضطراب معهما «وَ اِنْ كَانَ» ما سألت دفعه «دَيْنًا» و لم يكن ذلك الدفع مقسوما لك في علم الله الأزلي «قَلَّبَ» أي يقلب «قَلْبَ صَاحِبِ الدَّيْنِ» الطالب منك «مِنْ سُوْءِ الْمُطَالَبَةِ» بك «إلى الرِّفْقِ بِكَ» في الطلب «وَالتَّاخِيْرِ وَالتَّسْهِيْلِ إِلٰى حِيْنِ مَيْسِرَتِكَ» أي حصول الغنا لك «اَوْ اِسْقَاطِهٖ» أي إسقاط دينه الكائن عليك «عَنْكَ» بالكلية بأن يهب لك ما كان له عليك كله «اَوْ نَقْصِهٖ» أي نقص دينه تنصيفًا أو تَثليثًا أو تَر بيعًا أو نحو ذلك «فَاِنْ» لم يرفق الدائن بك و «لَمْ يُسْقِطْ عَنْكَ» دَينه بالكلية «وَ لَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ» أي من ذلك الدين شيئا «فِي الدُّنْيَا اَعْطَاكَ الله عَزَّ وَ جَلَّ ثَوَابًا جَزِ يْلًا» البتة «بَدْلَ مَا لَمْ يُعْطِكَ بِسُؤَالِكَ» الكائن «في الدُّنْيَا» أو لم يعطك في الدنيا بسؤالك والأخير أولٰى لاستلزامه الأول. و إنما يعطيك في الآخرة البتة «لِاَنَّهٗ كَرِ يْمٌ غَنِيٌّ رَحِيْمٌ فَلَا يُخَيِّبُ سَائِلَهٗ فِي الدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةِ» جميعا فإن الكرم والغنى والرحمة اَبَتْ عن المنع من العطاء فظهر أن السؤال من الله تعالٰى نافع البته «فَلَا بُدَّ» في السؤال «مِنْ فَائِدَةٍ وَ نَائِلَةٍ» أي عطاء إما في الدنيا والآخرة كليهما أو في احدٰهما «اِمَّا عَاجِلًا» بأن يعطي الله تعالٰى مطلو بك في الدنيا إما بعينه أو يعوض عنه بإعطاء أمر اٰخر مكانه أو يعفو من سيّاٰتك «وَ اِمَّا اٰجِلًا» أي في الآخرة أيضا كذلك إما في احدى الدار ين أو كليهما، و أمّا منع العطاء مطلقا في الدنيا فغير ثابت و غير صحيح، و كيف يخلوالمسألة من

الفائدة «وَ قَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيْثِ»:

«اِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرٰى فِي صَحِيْفَتِهٖ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ حَسَنَاتٍ لَمْ يَعْمَلْهَا وَ لَمْ يَدْرِ بِهَا» في الدنيا «فيقَالُ لَهٗ: اَ تَعْرِفُهَا فيقُوْلُ» العبد «مَا اَعْرِفُهَا مِنْ اَيْنَ لِيْ هٰذِهٖ، فيقَالُ لَهٗ: اِنَّهَا» أي الحسنات التي تجدها في صحيفة الأعمال من غير كسب لها «بَدَلُ مَسْئَلَتِكَ التِي كُنْتَ سَاَلْتَهَا فِي دَارِالدُّنْيَا» و لم يعطها لك فيها. ثم بين لحصول الفائدة من السؤال دليلا عقليا فقال: «وَ ذٰلِكَ» أي حصول الفائدة بالسؤال «اَنَّهٗ» لأنه فإن حذف الجر من "اَنْ" و "اَنَّ" قياس مطرد أي لأن السائل «بِسُؤَالِهٖ عَزَّ وَ جَلَّ يَكُوْنُ ذَاكِرًا الله تَعَالٰى وَ مُوَحِّدًا» حيث ترك المسألة من الخلق و سأله من الله عَزَّ وَ جَلَّ «وَ وَاضِعَ الشَّيْءِ» أعني المسئلة «فِي مَوْضِعِهٖ» و هو الله تعالٰى فإنه المانع والمعطي والقاضي للحاجات «وَ» يكون سؤاله من الله تعالٰى «مُتَبَرِّيًا» و خارجا «مِنْ حَوْلِهٖ وَ قُوَّتِهٖ» فإن الالتجاء إلى الحق في جميع الأمور مظهر للعجز و خروج عن قوة النفس و حيله «وَ تَارِكًا لِلتَّكَبُّرِ وَالتَّعْظِيْمِ وَالْاَنْفَةِ» أي الاستنكاف «وَ جَمِيْعُ ذٰلِكَ اَعْمَالٌ صَالِحَةٌ» نافعة للسالك «لَهَا ثَوَابٌ عِنْدَ الله عَزَّ وَ جَلَّ» فينبغي السعي فيها.

واعلم أن ما ذكره قدس سره في هذه المقالة من الأمر با لدعاء إنما هو باعتبار مقام العبودية، و هو نافع للسالك في ابتداء السلوك حتى إذا بلغه الله تعالٰى مقام التوكل والتسليم والتفويض، فإنه يترك السؤال بكمال قوته و رسوخه و اعتمادہ و رغبته و قصده بالله و على الله و في الله و إلى الله[1] فما ذكره قدس سره من النهي عن السؤال مطلقا في المقالة السابعة فإنما هو باعتبار تلك المقامات فلا تناقض و لا منافاة.

(1) في الكلام لف و نشر يعنى يترك السؤال بكمال قوته و رسوخه بالله و بكمال اعتماده على الله و بكمال رغبته في الله و بكمال قصده إلى الله. ١٢، من الشارح

اَلْمُقَالَةُ السَّابِعَةُ وَالسِّتُّوْنَ

في بَيَانِ الْمُجَاهَدَةِ مَعَ النَّفْسِ وَ قَتْلِهَا بِسَيْفِ الْمُخَالَفَةِ وَ اِحْيَاءِ الله تَعَالٰى بَعْدَ ذٰلِكَ

قَالَ رَضِيَ الله تَعَالٰى عَنْهُ: كُلَّمَا جَاهَدْتَ النَّفْسَ وَ غَلَبْتَهَا وَ قَتَلْتَهَا بِسَيْفِ الْمُخَالَفَةِ اَحْيَاهَا اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ وَ نَازَعَتْكَ وَ طَلَبَتْ مِنْكَ الشَّهَوَاتِ وَاللَّذَّاتِ اَلْجُنَاحَ مِنْهَا وَالْمُبَاحَ لِتَعُوْدَ إِلَى الْمُجَاهَدَةِ وَالْمُسَابَقَةِ لِيَكْتُبَ ذٰلِكَ ثَوَابًا دَائِمًا وَ هُوَ مَعْنٰى قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ: "رَجَعْنَا مِنَ الْجِهَادِ الْاَصْغَرِ إِلَى الْجِهَادِ الْاَكْبَرِ"[1] اَرَادَ بِهٖ مُجَاهَدَةَ النَّفْسِ لِدَوَامِهَا وَ اِسْتِمْرَارِهَا عَلَى الشَّهَوَاتِ وَ اللَّذَّاتِ وَ اِنْهِمَاكِهَا فِي الْمَعَاصِيْ.

وَ هُوَ مَعْنٰى قَوْلِهٖ عَزَّ وَ جَلَّ:

﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتّٰى يَاتِيَكَ الْيَقِيْنُ﴾ [الحجر،السورة:١٥، الآية:٩٩]

اَمَرَ الله عَزَّ وَ جَلَّ لِنَبِيِّهٖ عَلَيْهِ الصَّلٰوةُ وَالسَّلَامُ بِالْعِبَادَةِ وَ هِيَ مُخَالَفَةُ النَّفْسِ؛ لِاَنَّ الْعِبَادَةَ كُلَّهَا تَأْبَاهَا النفسُ وَ تُرِيْدُ ضِدَّهَا إِلٰى اَنْ يَاتِيَهُ الْيَقِيْنُ يَعْنِى الْمَوْتَ.

«قَالَ رَضِيَ الله تَعَالٰى عَنْهُ: كُلَّمَا جَاهَدْتَ» أيها السالك في أحسن المسالك

(١) أورده العجلوني في كشف الخفاء برقم:١٣٦٢. وقال ابن حجر في تسديد القوس: هو مشهور على الألسنة، وهو من كلام إبراهيم بن علية، انتهى. وأقول: الحديث في الإحياء، قال العراقي: رواه البيهقي بسند ضعيف عن جابر، ورواه الخطيب في تاريخه عن جابر بلفظ: قدم النبي صلى الله عليه وسلم من غزاة، فقال عليه الصلاة والسلام: قدمتم من خير مقدم، وقد متم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، قالوا: وما الجهاد الأكبر، قال مجاهدة العبد.

«النَّفْسَ» بالمنع عن الشهوات المستلذات بملاحظة الشريعة والطريقة و الحقيقة (وَ) بالتوجه إلى الله تعالىٰ، و بالاقتداء برسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ، و التوسل بالشيخ الكامل «غَلَبْتَهَا وَ قَتَلْتَهَا» بتائيد الله تعالىٰ و إعانته و نصرته «بِسَيْفِ الْمُخَالَفَةِ» التي أعطاكها الله تعالىٰ باستعانتك منه تعالىٰ على عدوّه و عدوك «اَحْيَاهَا الله عَزَّ وَ جَلَّ» بمقتضى جريان عادته تعالىٰ بأن لا يميتها مرّة واحدة حتى ينقطعَ المجاهدةُ والمحاربةُ معها بل هي معك كلّما اَمَتَّها و قتلتَها أحياها الله عَزَّ وَ جَلَّ «وَ نَازَعَتْكَ» في وصولها إلى مشتهياتها و امتناعها عن مكروهاتها «وَ طَلَبَتْ مِنْكَ الشَّهَوَاتِ وَاللَّذَّاتِ» أي طلبت إعطاء ها كلها «اَلْجُنَاحَ مِنْهَا وَالْمُبَاحَ» أي حرامًا كانت تلك الشهوات واللذات أو حلالا «لِتَعُوْدَ» غاية لإحياء الله تعالىٰ أي أحياها الله تعالىٰ بصفة المنازعة معك لتعود أنت «إلى الْمُجَاهَدَةِ» معها «وَالْمُسَابَقَةِ» والمغالبة عليها «لِيَكْتُبَ» علة للفعل مع غايته أي إنما أحياها الله لعودك إلى المجاهدة معها كي يكتب الله تعالىٰ «ذٰلِكَ» العود الكائن منك «ثَوَابًا» لك «دَائِمًا» و ذلك إنما يكون إذا حصل منك المجاهدة دائما، و إنما يكون ذلك إذا أحياها الله تعالىٰ بصفة المنازعة معك «وَ هُوَ» أي العود إلى المجاهدة مع النفس دائما «مَعْنٰى قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ» حين رجوعه من الغزوات مع الكفار «رَجَعْنَا مِنَ الْجِهَادِ الْاَصْغَرِ» و هوالجهاد مع الكفار «إلى الْجِهَادِ الْاَكْبَرِ. اَرَادَ» رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ «بِهٖ» أي بالجهاد الأكبر «مُجَاهَدَةَ النَّفْسِ» و إنما كان هذه المجاهدة أكبر «لِدَوَامِهَا» أي النفس «وَ اِسْتِمْرَارِهَا عَلَى الشَّهَوَاتِ وَ اللَّذَّاتِ وَ اِنْهِمَاكِهَا» و توغلها «فِي الْمَعَاصِيْ».

ثم إن ملابستها دائمة لا يخلو طرفة عين، ثم إنها محبوبة بالجبلة الطبعيّة، و عيب المحبوب لا يظهر و إن ظهر يسامح معها، ثم إنها مستورة داخلية لا يطلع على وجه غوائلها إلا بدقّة النظر فيكون المحاربة معها أشد، والجهاد معها أكبر. «وَ هُوَ» أي الجهاد الأكبر «مَعْنٰى قَوْلِهٖ عَزَّ وَ جَلَّ»:

﴿«وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتّٰى يَاتِيَكَ الْيَقِيْنُ»﴾ [الحجر:١٥/ ٩٩]

«اَمَرَ اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ لِنَبِيِّهٖ عَلَيْهِ الصَّلٰوةُ وَالسَّلَامُ بِالْعِبَادَةِ وَ هِيَ مُخَالَفَةُ النَّفْسِ» و إنما تكون العبادة مخالفة لها «لِاَنَّ الْعِبَادَةَ كُلَّهَا تَأبَاهَا» و تمتنع عنها «النَّفْسُ وَ تُرِيْدُ ضِدَّهَا» أي ضد العبادة لأنها سفلية ميلها دائما إلى السفل بالاشتغال بالشهوات واللذات البهيمية والتزيُّن الطاؤسي والغضب السَّبعية، و لا ترضى بحصول مرادها حينا دون حين بل يطلبه دائما «إلىٰ اَنْ يَاتِيَهُ» أي صاحب النفس «الْيَقِيْنُ يَعْنِي» باليقين «الْمَوْتَ».كما أجمع عليه المفسرون لا اطمينان القلب بحصول المعرفة التامة الكاملة كما ظنه البَطَلَةُ الْمُلَاحِدَة؛ فإنهم ظنوا أن العبادة إنما يحتاج إليها إلى حصول اليقين، فإذا حصل اليقين ارتفع التكليف تمسكا بهذه الآية و ذلك ظن باطل و تمسك فاسد بإجماع أهل اليقين من العلماء والعارفين.

فَاِنْ قِيْلَ: كَيْفَ تَابٰى نَفْسُ رَسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ الْعِبَادَةَ وَ هُوَ عَلَيْهِ الصَّلٰوةُ وَالسَّلَامُ بَرِيْءٌ عَنِ الْهَوٰى لَا هَوٰى لَهٗ، وَ قَدْ قَالَ اللهُ تَعَالىٰ:

وَ مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوٰى. اِنْ هُوَ اِلَّا وَحْيٌ يُوْحٰى.[النجم، السورة٥٣، الآية:٣-٤]

فيقَالُ: اِنَّهٗ عَزَّ وَ جَلَّ خَاطَبَ نَبِيَّهٗ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ بِهٰذَاالْخِطَابِ لِيُقَرِّرَ بِهِ الشَّرْعَ فيكُوْنُ عَامًا بَيْنَ اُمَّتِهٖ إِلىٰ اَنْ تَقُوْمَ السَّاعَةُ. ثُمَّ هُوَ عَزَّ وَ جَلَّ اَعْطٰى نَبِيَّهُ الْقُوَّةَ عَلَى النَّفْسِ وَالْهَوٰى كَيْلَا يَضُرَّاهُ وَ لَا يُخْرِجَاهُ إلى الْمُجَاهَدَةِ وَالْمُحَارَبَةِ بِخِلَافِ اُمَّتِهٖ

«فَاِنْ قِيْلَ: كَيْفَ تَابٰى نَفْسُ رَسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ الْعِبَادَةَ وَ هُوَ عَلَيْهِ الصَّلٰوةُ وَالسَّلَامُ بَرِيْءٌ عَنِ الْهَوٰى لَا هَوٰى لَهٗ» أصلا و كيف يكون له الهوى «وَ قَدْ قَالَ اللهُ تَعَالىٰ» في وصفه:

﴿«وَ مَا يَنْطِقُ»﴾ بشيء مماينطق ﴿«عَنِ الْهَوٰى. اِنْ هُوَ»﴾أي ماينطق كله ﴿«اِلَّا وَحْيٌ»﴾ من جانب الله تعالىٰ إما ظاهرا و إما خفيا ﴿«يُوْحٰى»﴾ إليه فكما

هو حال النطق فكذلك حال جميع أفعاله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ في الصيانة عن الهوىٰ فأين الإباء عن العبادة.

«فيقَالُ» في الجواب «إِنَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ خَاطَبَ نَبِيَّهُ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ بِهٰذَاالْخِطَابِ» ليس لذاته الشريفة حتى يشكل بل «لِيُقَرِّرَ بِهِ» أي بهذا الأمر «الشَّرْعَ فيكُوْنُ عَامًا بَيْنَ أُمَّتِهٖ» مستمرا إلى الأبد «إِلىٰ اَنْ تَقُوْمَ السَّاعَةُ. ثُمَّ» إن قوله تعالىٰ ﴿وَ مَا يَنْطِقُ عَنِ الْـهَوٰى﴾ لا يدل على مسلوبية الهوى والنفس؛ فإن وجودهما مما يحقق البشرية و من لوازمها البينة التي لا انفكاك لهما عنها لكن «هُوَ» الله ربى «عَزَّ وَ جَلَّ اَعْطٰى نَبِيَّهُ» وكذا أخص توابعيه «اَلْقُوَّةَ» القدسية «عَلَى النَّفْسِ وَالْهَوٰى كَيْلَا يَضُرُّاهُ» بالميل إلى مقتضياتها و مشتهياتها «وَ لَا يُخْرِجَاهُ إِلى الْمُجَاهَدَةِ وَالْمُحَارَبَةِ» فكيف يكون هو مرادا بالخطاب المذكور «بِخِلَافِ اُمَّتِهٖ» صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ فإنها تحتاج إلى دفع ضررهما و خداعهما إلى المجاهدة والمحاربة التامة أبدا فيكون الأمة هي المراد من الخطاب، و مثل هذا في القرآن الكريم كثير، منه قوله تعالىٰ:

﴿لَئِنْ اَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[الزمر، السورة:٣٩، الآية:٦٥]

فإن الشرك من النبي محال فيكون المراد الأمة، و على هذا فقوله ثم هو عَزَّ وَ جَلَّ اعطى نبيه القوة دليل لصرف الخطاب إلى الأمة، فتأمل.

فَإِذَا دَاوَمَ الْمُؤْمِنُ عَلٰى هٰذِهِ الْمُجَاهَدَةِ إِلىٰ اَنْ يَّاتِيَهُ الْمَوْتُ وَ يَلْحَقَ بِرَبِّهٖ عَزَّ وَ جَلَّ بِسَيْفٍ مَسْلُوْلٍ مُلَطَّخٍ بِدَمِ النَّفْسِ وَالْهَوٰى اَعْطَاهُ مَا ضَمِنَ لَهٗ مِنَ الْجَنَّةِ بِقَوْلِهٖ:

وَ اَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهٖ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوٰى. فَاِنَّ الْجَنَّةَ هِىَ الْمَاْوٰى.[النازعات: ٤٠-٤١]

فَإِذَا اَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ وَ جَعَلَهَا دَارَهٗ وَ مَقَرَّهٗ وَ مَصِيْرَهٗ وَ اَمَانَهٗ مِنَ التَّحْوِيْلِ عَنْهَا وَ النَّقْلَةِ إِلىٰ غَيْرِهَاوَالعَوْدَةِ إِلىٰ دَارِ الدُّنْيَا جَدَّدَ لَهٗ كُلَّ

يَوْمٍ وَ كُلَّ سَاعَةٍ مِنْ اَنْوَاعِ النَّعِيْمِ وَ يُغَيِّرُ عَلَيْهِ اَنْوَاعَ الْحُلَلِ وَالْحُلِيِّ إِلٰى مَا لَا نِهَايَةَ لَهٗ وَ لَا غَايَةَ وَ لَا نَفَادَ كَمَا جَدَّدَ هُوَ فِي الدُّنْيَا كُلَّ يَوْمٍ وَ كُلَّ سَاعَةٍ وَ كُلَّ لَحْظَةٍ مُجَاهَدَةَ النَّفْسِ وَالْهَوٰى.

وَ اَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ وَالْعَاصِيْ لَمَّا تَرَكُوْا مُجَاهَدَةَ النَّفْسِ وَالْهَوٰى فِي الدُّنْيَا وَ تَابَعُوْا لَهُمَا وَ وَافَقُوا الشَّيْطَانَ فَانْمَرَجُوْا فِي اَنْوَاعِ الْمَعَاصِيْ مِنَ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ وَ مَا دُوْنَهُمَا حَتّٰى اَتَاهُمُ الْمَوْتُ مِنْ غَيْرِ الْإِسْلَامِ وَ غَيْرِ التَّوْبَةِ اَدْخَلَهُمُ اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ النَّارَ الَّتِي اُعِدَّتْ لِلْكَافِرِيْنَ فِي قَوْلِهٖ عَزَّ وَ جَلَّ: وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِيٓ اُعِدَّتْ لِلْكٰفِرِيْنَ. [آل عمران: ١٣١]

«فَإِذَا دَاوَمَ الْمُؤْمِنُ عَلٰى هٰذِهِ الْمُجَاهَدَةِ» النفسية «إِلٰى اَنْ يَّاتِيَهُ الْمَوْتُ وَ» إلى أن «يَلْحَقَ بِرَبِّهٖ عَزَّ وَ جَلَّ بِسَيْفٍ» من التوجه إلى الحق «مَسْلُوْلٍ» من غِمد الغفلة والغرور «مُلَطَّخٍ بِدَمِ النَّفْسِ وَالْهَوٰى» اللتين قتلهما بالمجاهدة «اَعْطَاهُ» جواب إذا أي إذا فعل المؤمن ذلك و حصل له ذلك أعطاه الله تعالى «مَا ضَمِنَ لَهٗ مِنَ الْجَنَّةِ بِقَوْلِهٖ»:

﴿«وَ اَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهٖ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوٰى فَاِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَاْوٰى»﴾[النازعات، السورة:٧٩، الآية: ٤٠-٤١]

أي من علم أن له مقاما يوم القيمة في ساحة حضور ربه للحساب لعلمه بالمبدأ والمعاد و نهى النفس الأمارة بالسوء عن الهوى المردية أي المهلكة بزجرها عن الشهوات كلّما هَمَّ النفس بهواها إلى المعصية ذكر هو مقامه عند ربه للحساب فيتركها؛ فإن مأوٰه و مرجعه هي الجنة لا يرجع إلى الجحيم «فَإِذَا اَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ وَ جَعَلَهَا دَارَهٗ وَ مَقَرَّهٗ وَ مَصِيْرَهٗ وَ اَمَانَهٗ» أي محل قراره و رجوعه و أمنه «مِنَ التَّحْوِيْلِ عَنْهَا» إلى دارالنار «وَ» أمنه من «النَّقْلَةِ» أي الانتقال منها «إِلٰى غَيْرِهَا وَ» أمنه من «الْعَوْدَةِ إِلٰى دَارِ الدُّنْيَا» فإن العود إلى الدنيا بعد الموت لم يجز في الشرع، و إنما جوّزه أهل التناسخ «جَدَّدَ» الله تعالى «لَهٗ كُلَّ يَوْمٍ وَ كُلَّ سَاعَةٍ مِنْ اَنْوَاعِ

النَّعِيْمِ وَ يُغَيِّرُ عَلَيْهِ اَنْوَاعَ الْحُلَلِ» من الحرير والسندس والاستبرق الأخضر «وَالْحُلِيّ» الذهبي والفضتي مما لا يعلم وصفه إلا الله تعالٰى «إِلٰى مَا لَا نِهَايَةَ لَهٗ وَ لَا غَايَةَ وَ لَا نفَادَ» أي انتقاص «كَمَا جَدَّدَ هُوَ» أي العبد المؤمن «فِي الدُّنْيَا كُلَّ يَوْمٍ وَ كُلَّ سَاعَةٍ وَ كُلَّ لَحْظَةٍ مُجَاهَدَةَ النَّفْسِ وَالْهَوٰى» بالمنع عن مقتضياتها و مشتهياتها فهذا حال المؤمن المطيع عملا منه و جزاء من الله تعالٰى.

«وَ اَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ وَالْعَاصِيْ» الكافر الَّذِيْ يُجَاهر بالكفر و يُبْطِنه. والمنافق الَّذِيْ يظهر الإيمان و يبطن الكفر. والعاصي الَّذِيْ يظهر الإيمان و يبطنه لكن عصى في الأعمال لحظِّ النفس «لَمَّا تَرَكُوْا مُجَاهَدَةَ النَّفْسِ وَالْهَوٰى فِي الدُّنْيَا وَ تَابَعُوْا لَهُمَا» أي النفس والهوى في مقتضياتهما و مشتهياتهما كفرا و نفاقا و معصية «وَ وَافَقُوا الشَّيْطَانَ» في إضلاله و إغوائه إياهم في الوجوه المذكورة «فَانْمَرَجُوْا» أي اختلطوا من مَرَجْتُه فانمرج أي خلطته فاختلط، أو أجريتُه فجرى «فِي اَنْوَاعِ الْمَعَاصِيْ مِنَ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ وَ مَا دُوْنَهُمَا» من المعاصي «حَتّٰى اَتَاهُمُ الْمَوْتُ مِنْ غَيْرِ الْإِسْلَامِ» من الكافر والمنافق «وَ» من «غَيْرِ التَّوْبَةِ» من العاصي الفاسق «اَدْخَلَهُمُ اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ النَّارَ التِي اُعِدَّتْ لِلْكَافِرِيْنَ» كما ذكر «فِي قَوْلِهٖ عَزَّ وَ جَلَّ»:

﴿«وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِيْٓ اُعِدَّتْ لِلْكٰفِرِيْنَ»﴾ [آل عمران،السورة:٣، الآية:١٣١]

فَاِذَا اَدْخَلَهُمْ وَ جَعَلَهَا مَقَرَّهُمْ وَ مَصِيْرَهُمْ وَ اُمَّهُمْ وَ اَحْرَقَتْ جُلُوْدَهُمْ وَ لُحُوْمَهُمْ جَدَّدَ عَزَّ وَ جَلَّ لَهُمْ جُلُوْدًا وَ لُحُوْمًا غَيْرَهَا كَمَا قَالَ عَزَّ وَ جَلَّ:

﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُوْدُهُمْ بَدَّلْنٰهُمْ جُلُوْدًا غَيْرَهَا﴾[النساء، السورة:٤، الآية:٥٦]

يَفْعَلُ عَزَّ وَ جَلَّ بِهِمْ ذٰلِكَ كَمَا وَافَقُوْا اَنْفُسَهُمْ وَ اَهْوَاءَهُمْ فِي الدُّنْيَا فِي مَعَاصِيْهِ عَزَّ وَ جَلَّ فَاَهْلُ النَّارِ تُجَدَّدُ لَهُمْ كُلَّ وَقْتٍ جُلُوْدٌ وَ لُحُوْمٌ لِاِيْصَالِ الْعَذَابِ وَالْاٰلَامِ اِلَيْهِمْ وَ اَهْلُ الْجَنَّةِ يُجَدَّدُ لَهُمْ كُلَّ

وَقْتٍ اَلنَّعِيْمُ لِيَتَضَاعَفَ اللَّذَّاتُ وَالشَّهَوَاتُ لَدَيْهِمْ وَ سَبَبُ ذٰلِكَ مُجَاهَدَةُ النَّفْسِ وَ تَرْكُ مُوَافَقَتِهَا فِي دَارِالدُّنْيَا وَ هُوَ مَعْنٰى قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ: اَلدُّنْيَا مَزْرَعَةٌ.

«فَاِذَا اَدْخَلَهُمْ» الله تعالٰى في النار جزاء و مقتا «وَ جَعَلَهَا مَقَرَّهُمْ وَ مَصِيْرَهُمْ وَ اُمَّهُمْ».

كما قال تعالٰى:

﴿وَ اَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِ يْنُهٗ. فَاُمُّهٗ هَاوِ يَةٌ. وَ مَآ اَدْرَاكَ مَاهِيَهْ. نَارٌ حَامِيَةٌ﴾.

[القارعة،السورة: ١٠١، الآية: ٨ إلى ١١]

«وَ اَحْرَقَتْ» تلك النار الجهنمية «جُلُوْدَهُمْ وَ لُحُوْمَهُمْ جَدَّدَ عَزَّ وَ جَلَّ لَهُمْ جُلُوْدًا وَ لُحُوْمًا غَيْرَهَا كَمَا قَالَ عَزَّ وَ جَلَّ»:

﴿«كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُوْدُهُمْ بَدَّلْنٰهُمْ جُلُوْدًا غَيْرَهَا» لِيَذُوْقُوا الْعَذَابَ﴾

[النساء: ٤/ ٥٦]

هذا الجزاء للكفار و المنافقين على الأبد، و للعاصين مادام علم الله جزاءه و قدره في علمه على مااستقَرَّتْ عليه الشريعة المطهرة بدلالة النصوص والإجماع «يَفْعَلُ عَزَّ وَ جَلَّ بِهِمْ ذٰلِكَ» الجزاء «كَمَا وَافَقُوْا اَنْفُسَهُمْ وَ اَهْوَاءَهُمْ فِي الدُّنْيَا فِي مَعَاصِيْهِ عَزَّ وَ جَلَّ فَاَهْلُ النَّارِ تُجَدَّدُ لَهُمْ كُلَّ وَقْتٍ جُلُوْدٌ وَ لُحُوْمٌ لِاِيْصَالِ الْعَذَابِ وَالْاٰلَامِ اِلَيْهِمْ، وَ أَهْلُ الْجَنَّةِ» سواء كانوا داخلين فيها بغير حساب و لا عقاب أو بعد حساب و عقاب «يُجَدَّدُ لَهُمْ كُلَّ وَقْتٍ النَّعِيْمُ لِيَتَضَاعَفَ اللَّذَّاتُ وَالشَّهَوَاتُ» الإنسية «لَدَيْهِمْ وَ سَبَبُ ذٰلِكَ» الجزاء المتضاعف كل وقت «مُجَاهَدَةُ النَّفْسِ وَ تَرْكُ مُوَافَقَتِهَا فِي دَارِالدُّنْيَا وَ» هذا المذكور من تضاعف جزاء كل فريق في كل زمان على حسب سعيه في الأعمال الصالحة والسيّئة في الدنيا «هُوَ مَعْنٰى قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ:

«اَلدُّنْيَا مَزْرَعَةٌ».[1] فإن الزراعة حالها هكذا ما بَذَرَ حَفَدَ و حَصَدَ. واعلم أن المؤمن العاصيَ واجب الدخول في الجنة إما ابتداءً بفضل الله و رحمته أو بعد تعذيبه بقدر معصيته على حسب ما قدر الله تعالٰى في حقه من الجزاء و هذا هو عقيدة أهل السنة والجماعة.

(١) أورده القاري في المصنوع ص: ١٠١، والعجلوني في كشف الخفاء ١/ ٤٩٥، ٢/ ٣٢٩.

اَلْمَقَالَةُ الثَّامِنَةُ وَالسِّتُّوْنَ

في بَيَانِ اَنَّ اِجَابَةَ الله تَعَالٰى لِمَسْئُوْلِ الْعَبْدِ، وَ اِعْطَائَهُ لِمَطْلُوْبِهٖ لَا يَدْفَعُ اِرَادَتُهُ تَعَالٰى وَ مَا جَفَّ بِهِ الْقَلَمُ

قَالَ رَضِيَ الله تَعَالٰى عَنْهُ: إِذَا اَجَابَ اللهُ تَعَالٰى عَبْدًا مَا سَاَلَهُ وَ اَعْطَاهُ مَا طَلَبَهُ لَمْ تَنْخَرِمْ بِذٰلِكَ اِرَادَتُهُ تَعَالٰى وَ لَا مَا جَفَّ بِهِ الْقَلَمُ وَ سَبَقَ بِهِ الْعِلْمُ لٰكِنَّهُ يُوَافِقُ سُؤَالُهُ مُرَادَ رَبِّهٖ عَزَّ وَ جَلَّ فِي وَقْتِهٖ فَتَحْصُلُ الْاِجَابَةُ وَ قَضَاءُ الْحَاجَةِ فِي الْوَقْتِ الْمُقَدَّرِ الَّذِيْ قُدِّرَ لَهُ فِي السَّابِقَةِ وَ الْعِلْمِ لِبُلُوْغِ الْقَدْرِ وَقْتَهُ كَمَا قَالَ اَهْلُ الْعِلْمِ فِي قَوْلِهٖ عَزَّ وَ جَلَّ: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَاْنٍ﴾[الرحمن،السورة:٥٥، الآية:٢٩]

اَيْ يَسُوْقُ الْمَقَادِيْرَ إِلَى الْمَوَاقِيْتِ فَلَا يُعْطِي الله اَحَدًا شَيْئًا بِمُجَرَّدِ دُعَائِهٖ وَ كَذٰلِكَ لَا يَصْرِفُ عَنْهُ شَيْئًا بِدُعَائِهِ الْمُجَرَّدِ وَالَّذِيْ وَرَدَ فِي الْحَدِيْثِ:

"لَا يَرُدُّ الْقَضَاءَ اِلَّا الدُّعَاءُ".

قِيْلَ: إِنَّ الْمُرَادُ بِهٖ لَا يَرُدُّ الْقَضَاءَ اِلَّا الدُّعَاءُ الَّذِيْ قَضَى الله تَعَالٰى اَنْ يَرُدَّ لِقَضَاءِهٖ وَ كَذٰلِكَ لَا يَدْخُلُ اَحَدٌ الْجَنَّةَ فِي الْاٰخِرَةِ بِعَمَلِهٖ بَلْ بِرَحْمَةِ الله عَزَّ وَ جَلَّ لٰكِنَّهُ يُعْطِي الْعِبَادَ الدَّرَجَاتِ فِي الْجَنَّةِ عَلٰى قَدْرِ اَعْمَالِهِمْ.

وَ قَدْ وَرَدَ فِي حَدِيْثِ عَائِشَةَ رَضِيَ الله تَعَالٰى عَنْهَا: اَنَّهَا سَاَلَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ يَدْخُلُ اَحَدٌ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهٖ، فَقَالَ لَا بَلْ بِرَحْمَةِ الله، فَقَالَتْ وَ لَا أنت، فَقَالَ وَ لَا اَنَا اِلَّا اَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ الله بِرَحْمَتِهٖ وَ وَضَعَ يَدَهُ عَلٰى هَامَّتِهٖ".

وَ ذٰلِكَ لِاَنَّ الله عَزَّ وَ جَلَّ لَا يَجِبُ عَلَيْهِ لِاَحَدٍ حَقٌّ وَ لَا يَلْزَمُهُ

الْوَفَاءُ بِالْعَهْدِ بَلْ يَفْعَلُ مَا يُرِيْدُ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيْدُ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَ هُمْ يُسْأَلُوْنَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ بِفَضْلِ رَحْمَتِهٖ وَ مِنَّتِهٖ وَ يَمْنَعُ مَنْ يَشَاءُ بِعَدْلِهٖ وَ كَيْفَ لَا يَكُوْنُ كَذٰلِكَ وَالْخَلْقُ مِنْ لَدُنِ الْعَرْشِ إِلَى الثَّرٰى الَّتِي هِيَ الْأَرْضُ السَّابِعَةُ السُّفْلٰى مُلْكُهُ وَ صُنْعُهُ لَا مَالِكَ لَهُمْ غَيْرُهٗ وَ لَا صَانِعَ لَهُمْ غَيْرُهٗ قَالَ اللهُ تَعَالٰى:

﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ﴾ [فاطر، السورة:٣٥،الآية:٣]

وَقَالَ تَعَالٰى:

﴿ءَ اِلٰهٌ مَّعَ اللهِ﴾[النمل، السورة:٢٧، الآية:٦٣]

وَقَالَ تَعَالٰى:

﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهٗ سَمِيًّا﴾[مريم،السورة:١٩،الآية:٦٥]

وَقَالَ تَعَالٰى:

قُلِ اللّٰهُمَّ مٰلِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِى الْمُلْكَ مَنْ تَشَآءُ وَ تَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَآءُ ۫ وَ تُعِزُّ مَنْ تَشَآءُ وَ تُذِلُّ مَنْ تَشَآءُ ؕ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ؕ اِنَّكَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ -اِلٰى قَوْلِهٖ- وَ تَرْزُقُ مَنْ تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ.[آل عمران، السورة٣، الآية:٢٦-٢٧]

«قَالَ رَضِيَ اللهُ تَعَالٰى عَنْهُ: اِذَا اَجَابَ اللهُ تَعَالٰى عَبْدًا» من عباده «مَا سَأَلَهُ» أي ما سأل منه من حاجاته «وَ اَعْطَاهُ» الله تعالٰى «مَا طَلَبَهُ» أي ما طلب منه من مطلوباته «لَمْ تَنْخَرِمْ بِذٰلِكَ» الإجابة والإعطاء «اِرَادَتُهُ تَعَالٰى» الأزلية «وَ لَا مَا جَفَّ بِهِ الْقَلَمُ» الإلٰهي «وَ سَبَقَ بِهِ الْعِلْمُ» الأزلي «لٰكِنَّهُ» أي الشأن «يُوَافِقُ سُؤَالُهُ» أي سؤال العبد «مُرَادَ رَبِّهٖ عَزَّ وَ جَلَّ فِي وَقْتِهٖ فَتَحْصُلُ الْاِجَابَةُ» لأجل تلك الموافقة «وَ قَضَاءُ الْحَاجَةِ فِي الْوَقْتِ الْمُقَدَّرِ الَّذِيْ قُدِّرَ لَهُ فِي» الإرادة «السَّابِقَةِ» الأزلية «وَ الْعِلْمِ» الأزلي فيكون إنجاح مطلوبه و إعطاء مرغوبه «لِبُلُوْغِ الْقَدْرِ وَقْتَهُ» الَّذِيْ

عينه الله تعالىٰ، و هذا «كَمَا قَالَ اَهْلُ الْعِلْمِ فِي قَوْلِهٖ عَزَّ وَ جَلَّ»:

﴿«كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ»﴾[الرحمن، السورة:٥٥، الآية:٢٩]

«اَيْ يَسُوْقُ الْمَقَادِيْرَ» أي الحوادث «إِلىٰ الْمَوَاقِيْتِ» أي الأوقات التي قدرها الله تعالىٰ لحصول الحوادث «فَلَا يُعْطِي» الله تعالىٰ «اَحَدًا شَيْئًا» من المطالب و المقاصد الدنيوية والأخروية في الدنيا «بِمُجَرَّدِ دُعَائِهٖ وَ كَذٰلِكَ لَا يَصْرِفُ عَنْهُ شَيْئًا» من المحن والشدائد الدنيوية والأخروية «بِدُعَائِهِ الْمُجَرَّدِ» و لما كان ذكره قدس سره من نفي تأثير الدعاء مطلقا في جلب الخير و دفع الضير مخالفا بحسب الظاهر للأحاديث الواردة في بيان تأثيرها أجاب بقوله «وَالذي وَرَدَ فِي الْحَدِيْثِ»:

«لَا يَرُدُّ الْقَضَاءَ اِلَّا الدُّعَاءُ».

«قِيْلَ: إنّ الْمُرَادُ بِهٖ» و معناه «لَا يَرُدُّ الْقَضَاءَ اِلَّا الدُّعَاءُ الَّذِيْ قَضَى الله تَعَالىٰ اَنْ يَرُدَّ لِقَضَاءِهٖ» و تحقيقه أن المراد بالقضاء الَّذِيْ يرد بالدعاء القضاء المعلق لا القضاء الـمُبْرَم و إن كان مآل المعلق أيضا إلى المبرم، فالدعاء أيضا من القضاء، فإن الله تعالىٰ كتب أن هذا البلاء مقضي عليه فإن فعل ذلك الفعل أو دعا بذلك الدعاء يرد عنه و إلا يقع عليه لكن يدعو فيدفع عنه أو لا يدعو فيقع «وَ كَذٰلِكَ» أي كما لا يحصل النفع و لا يدفع الضر بالدعاء كذلك «لَا يَدْخُلُ اَحَدٌ الْجَنَّةَ فِي الْاٰخِرَةِ بِعَمَلِهٖ بَلْ» إنما يدخل من يدخل «بِرَحْمَةِ الله عَزَّ وَ جَلَّ لٰكِنَّهٗ» أي الله تعالىٰ «يُعْطِي الْعِبَادَ الدَّرَجَاتِ» العالية والمراتب الرفيعة «فِي الْجَنَّةِ عَلىٰ قَدْرِ اَعْمَالِهِمْ» في الدنيا من غير أن يكون الأعمال موجبة لها.

«وَ قَدْ وَرَدَ فِي حَدِيْثِ عَائِشَةَ رَضِيَ الله تَعَالىٰ عَنْهَا أَنَّهَا سَأَلَتِ النَّبِيَّ صَلىَّ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ يَدْخُلُ اَحَدٌ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهٖ، فَقَالَ: لَا بَلْ بِرَحْمَةِ الله، فَقَالَتْ: وَ لَا أنت، فَقَالَ: وَ لَا اَنَا اِلَّا اَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ الله بِرَحْمَتِهٖ وَ وَضَعَ يَدَهٗ عَلىٰ هَامَّتِهٖ.[1]

و في وضع اليد على الهامة إشارة إلى افتقاره كل الافتقار إلى شمول رحمة الله له

(1) رواه ابن حبان ٢/ ٦٠، والربيع في مسنده: ١/ ٢٨٢، وأحمد في المسند:٣/ ٣٣٧،٥٢، والطبراني في الأوسط:٦/ ٣٣٢.

من رأسه إلى قدمه «وَذٰلِكَ» أي عدم الدخول إلا برحمته تعالى إنما يكون «لِأَنَّ الله عَزَّ وَ جَلَّ لَا يَجِبُ عَلَيْهِ لِأَحَدٍ حَقٌّ» عند أهل السنة والجماعة «وَ لَا يَلْزَمُهُ الْوَفَاءُ بِالْعَهْدِ» إلا بمحض تفضله و إيجابه بكرمه و رحمته «بَلْ» هوالفاعل المختار «يَفْعَلُ» ما يشاء و يحكم «مَا يُرِيْدُ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ» من خلقه «وَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيْدُ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَ هُمْ يُسْأَلُوْنَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ بِفَضْلِ رَحْمَتِهٖ» تعالى «وَ مِنَّتِهٖ وَ يَمْنَعُ مَنْ يَشَاءُ» من رزقه «بِعَدْلِهٖ وَ كَيْفَ لَا يَكُوْنُ كَذٰلِكَ» أي فاعلا لما يشاء من تعذيب من يشاء، و مغفرة من يشاء، و رحمة من يشاء، و تنعيم من يشاء، و رزق من يشاء، و منع من يشاء «وَالْخَلْقُ» أي والحال أن الخلق «مِنْ لَدُنِ الْعَرْشِ إلى الثَّرَى التي هِيَ الْأَرْضُ السَّابِعَةُ السُّفْلى مُلْكُهُ وَ صُنْعُهُ» أي خلقه «لَا مَالِكَ لَهُمْ» أي للخلق كله، و إنما أورد ضمير العقلاء تغليبا لهم على غيرهم «غَيْرُهٗ» أي غير الله تعالى «وَ لَا صَانِعَ لَهُمْ» أي لا خالق للخلق «غَيْرُهٗ» كما «قَالَ الله تَعَالىٰ»:

﴿«هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ»﴾[فاطر، السورة:٣٥، الآية:٣]

«وقال تعالىٰ» في موضع اٰخر:

﴿«ءَ إِلٰهٌ مَّعَ اللهِ»﴾[النمل، السورة:٢٧، الآية:٦٣]

«وقال تعالىٰ» في اٰية: ﴿«هَلْ تَعْلَمُ لَهٗ سَمِيًّا»﴾[مريم، السورة:١٩، الآية:٦٥]

أي هل تعلم من يسمى بالله حتى يكون له شريك في الاسم يعني ليس له شريك في اسم الذات فأنّٰى يكون له شريك في ذاته تعالى و تقدس، «وَ قَالَ تَعَالىٰ» في محل اٰخر:

﴿«قُلِ اللّٰهُمَّ مٰلِكَ الْمُلْكِ»﴾ يتصرَّفُ فيه تصرفَ المُلَّاك فيما يملكونه من غير مبالاة أحد ﴿«تُؤْتِى»﴾ أي تعطي ﴿«الْمُلْكَ مَنْ تَشَآءُ»﴾ من خلقك ﴿«وَ تَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَ تُعِزُّ مَنْ تَشَآءُ»﴾ باياتائه ﴿«وَ تُذِلُّ مَنْ تَشَآء»﴾ ينزعه منه ﴿«بِيَدِكَ»﴾ أي بقدرتك ﴿«الْخَيْرُ»﴾ أي الخيرو الشركلاهما لكن اكتفي بذكر

أحد الضدين عن ذكر الآخر لدلالته عليه؛ فإن الضد يعلم من الضد ﴿«اِنَّكَ عَلٰى كُلِّ شيء قَدِيْرٌ»﴾ إِلىٰ قَوْلِهٖ ﴿«وَ تَرْزُقُ مَنْ تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ»﴾ و هو قوله ﴿تُوْلِجُ الَّيْلَ﴾ أي تدخله ﴿فِي النَّهَارِ وَ تُوْلِجُ النَّهَارَ﴾ أي تدخله ﴿فِي الَّيْلِ﴾ ز فيزيدكل منهما بما ينقص من الآخر ﴿وَ تُخْرِجُ الْحَىَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ كالإنسان والطائرمن النطفة والبيضة ﴿وَ تُخْرِجُ الْمَيِّتَ﴾ كالنطفة والبيضة ﴿مِنَ الْحَيِّ﴾ كالإنسان والطائر ﴿وَ تَرْزُقُ مَنْ تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي رزقاواسعا.

اَلْمَقَالَةُ التَّاسِعَةُ وَالسِّتُّوْنَ

في الْحَثِّ عَلى اَنْ لَّا يَطْلُبَ مِنَ اللهِ اِلَّا مَغْفِرَةَ الذُّنُوْبِ الْمَاضِيَةِ وَالْعِصْمَةَ عَنْهَا في الْاِسْتِقْبَالِ

وَالتَّوْفيقَ عَلَى الطَّاعَةِ وَالرِّضا بِالْقَضاءِ وَالشُّكْرَ عَلَى النَّعْماءِ وَالصَّبْرَ عَلَى الْبَلَاءِ

قَالَ رَضِيَ اللهُ تَعَالٰى عَنْهُ: لَا تَطْلُبَنَّ مِنَ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ شَيْئًا سِوَى الْمَغْفِرَةِ لِلذُّنُوْبِ السَّابِقَةِ فَلَا تَطْلُبْ سِوَى الْعِصْمَةِ مِنْهَا في الْاَيَّامِ الْاٰتِيَةِ اللَّاحِقَةِ فَلَا تَطْلُبْ سِوَى التَّوْفيقِ لِحُسْنِ الطَّاعَةِ وَ اِمْتِثَالِ الْاَوَامِرِ وَالْاِنْتِهَاءِ عَنِ النَّوَاهِيْ وَالرِّضَا بِمُرِّ الْقَضَاءِ وَالصَّبْرِ عَلَى الشَّدَائِدِ وَالْبَلْوٰى وَالشُّكْرِ عَلى جَزِيْلِ النَّعْمَاءِ وَالْعَطَاءِ ثُمَّ الْمُوَافَاتِ بِخَاتِمَةِ الْخَيْرِ وَاللُّحُوْقِ بِالْاَنْبِيَاءِ وَالصِّدِّيْقِيْنَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِيْنَ وَ حَسُنَ اُولٰئِكَ رَفيقًا وَ لَا تَطْلُبْ مِنْهُ الدُّنْيَا وَ لَا كَشْفَ الْفَقْرِ وَ الْبَلَاءِ اِلى الْغِنَا وَالْعَافيةِ بَلِ ارْضَ بِمَا قَسَّمَ وَ دَبَّرَ وَاسْاَلْهُ الْحِفْظَ الدَّائِمَ عَلى مَا اَقَامَكَ فيهِ وَ اَحَلَّكَ فيهِ وَابْتَلَاكَ بِهٖ اِلىٰ اَنْ يُنْقِلَكَ مِنْهُ اِلىٰ غَيْرِهٖ لِاَنَّكَ لَا تَعْلَمُ الْخَيْرَ في اَيِّهِمَا في الْفَقْرِ اَوْ في الْغِنٰى، فِيْ الْبَلَاءِ اَوِالْعَافيةِ، طَوٰى عَنْكَ عِلْمَ الْاَشْيَاءِ وَ تَفَرَّدَ هُوَ عَزَّ وَ جَلَّ لِمَصَالِحِهَا وَ مَفَاسِدِهَا.

«قَالَ رَضِيَ اللهُ تَعَالٰى عَنْهُ: لَا تَطْلُبَنَّ» يا عبدالله «مِنَ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ شَيْئًا سِوَى الْمَغْفِرَةِ لِلذُّنُوْبِ السَّابِقَةِ» فإذا غفر لك صرت صالحا للعصمة «فَلَا تَطْلُبْ سِوَى الْعِصْمَةِ مِنْهَا» أي من الذنوب «في الْاَيَّامِ الْاٰتِيَةِ اللَّاحِقَةِ» فإذا عُصِمت من الذنوب «فَلَا تَطْلُبْ سِوَى التَّوْفيقِ لِحُسْنِ الطَّاعَةِ» و حسن الطاعة ما فسَّره النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَ سَلَّمَ بقوله: "الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك"[1]

«وَ اِمْتِثَالِ الْاَوَامِرِ» الإلهي الشرعي «وَالْاِنْتِهَاءِ عَنِ النَّوَاهِيْ» الشرعية «وَالرِّضَا بِمُرِّ الْقَضَاءِ» مُرُّ القضاء كناية عن تقدير البلايا والمصائب فإن الرضاء بِحُلْوِ القضاء سهل و بمرها عسر «وَالصَّبْرِ عَلَى الشَّدَائِدِ وَالْبَلْوٰى، وَالشُّكْرِ عَلٰى جَزِيْلِ النَّعْمَاءِ وَالْعَطَاءِ» الشكر لله تعالٰى حقيقةً و ظاهرًا فيما وصل من الله تعالٰى بلا واسطة و حقيقة له تعالٰى و ظاهرًا للخلق فيما وصل منه تعالٰى بواسطة الخلق «ثُمَّ» لا تطلب من الله تعالٰى سوى «الْمُوَافَاتِ» والمواصلة «بِخَاتِمَةِ الْخَيْرِ وَاللُّحُوْقِ بِالْاَنْبِيَاءِ وَالصِّدِّيْقِيْنَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِيْنَ وَ حَسُنَ اُولٰئِكَ رَفِيقًا» و قد علقه الله تعالٰى[2] بالاتباع والإطاعة لله تعالٰى و لرسوله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ كما أخبر به في كتابه الكريم:

﴿وَ مَنْ يُّطِعِ اللهَ وَالرَّسُوْلَ فَاُولٰٓئِكَ مَعَ الذينَ اَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِّنَ النَّبِيّٖنَ وَالصِّدِّيْقِيْنَ وَالشُّهَدَآءِ وَالصّٰلِحِيْنَ ج وَ حَسُنَ اُولٰٓئِكَ رَفِيقًا. ذٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللهِ وَ كَفٰى بِاللهِ عَلِيْمًا﴾ [النساء:٤، الآية:٦٩-٧٠]

«وَ لَا تَطْلُبْ مِنْهُ» أي من الله تعالٰى «الدُّنْيَا» أما طلبها على الانفراد فهي منهية على الإطلاق و طلبها مع الآخرة أيضًا منهية بل طلب الاخرة ايضًا لطالب المولٰى منهية كما أشار إليه رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ بقوله :

"الدنيا لكم والعقبى لكم والمولى لي".

«وَ لَا» تطلب من الله تعالٰى «كَشْفَ الْفَقْرِ وَ» كشف «الْبَلَاءِ» ميلا «إلى» حصول «الْغِنَا وَالْعَافِيَةِ بَلِ» أيها الطالب لأعْلَى المطالب «ارْضَ بِمَا قَسَّمَ» الله تعالٰى لك «وَ دَبَّرَ» لك «وَاسْاَلْهُ» تعالٰى «الْحِفْظَ الدَّائِمَ عَلٰى مَا اَقَامَكَ فِيهِ» من الحال «وَ اَحَلَّكَ فيهِ» حلول امتحان «وَابْتَلَاكَ بِهِ» ابتلاءَ لُطف لا إهانة و طرد من لحوق الاضطرار و الاضطراب المفضي إلى عدم الرضا بفعل الله «إلىٰ اَنْ يُنْقِلَكَ»

(1) أخرجه البخاري في حيحه، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم، برقم:٤٩.

(2) أي علق اللحوق بالأنبياء. من الشارح

أي اسأل الله تعالىٰ الحفظ على ذلك الحال إلى زمان نقله إياك «مِنْهُ» أي مما أقامك فيه من الحال، و أحلك فيه، وابتلاك به «إلىٰ غَيْرِهٖ» أي غير ذلك الحال المشتهي لك، و إنما نهينا عن طلب ما ذكرنا و أمرناك بسؤال الحفظ على ما أقامك فيه «لِاَنَّكَ لَا تَعْلَمُ الْخَيْرَ فِي اَيِّهِمَا» أي ما أقامك الله تعالىٰ و ما تريد. ثم بيّنهما بقوله «فِي الْفَقْرِ اَوْ فِي الْغِنٰى، فِيْ الْبَلَاءِ اَوِالْعَافِيَةِ طَوٰى عَنْكَ عِلْمَ الْاَشْيَاءِ» و ستر عنك «وَتَفَرَّدَ هُوَ» أي الله «عَزَّ وَ جَلَّ لِمَصَالِحِهَا» أي مصالح الأشياء «وَ مَفَاسِدِهَا» فلا تعلم الخير من الشر فلا تطلب شيئا جهل حقيقته بل فوض الأمر إلى مولاك، فإن ذلك دأب السلف.

وَ قَدْ وَرَدَ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ اَنَّهٗ قَالَ: لَا اُبَالِيْ عَلٰى أَيِّ حَالٍ اَصْبَحُ عَلٰى مَا اَكْرَهُ اَوْ عَلٰى مَا اُحِبُّ لِاَنِّيْ لَا اَدْرِي الْخَيْرَ فِي اَيِّهِمَا، قَالَ ذٰلِكَ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِ لِحُسْنِ رِضَاهُ بِتَدْبِيْرِ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ لَهٗ وَ فِي حَقِّهٖ وَالطَّمَانِيْنَةِ إِلىٰ اِخْتِيَارِهٖ وَ قَضَائِهٖ عَزَّ وَ جَلَّ. قَالَ اللهُ تَعَالٰى:

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَ هُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۚ وَ عَسٰى اَنْ تَكْرَهُوْا شَيْئًا وَّ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَ عَسٰى اَنْ تُحِبُّوْا شَيْئًا وَّ هُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ؕ وَاللهُ يَعْلَمُ وَ اَنْتُمْ لَا تَعْلَمُوْنَ﴾[البقرة، السورة:٢، الآية:٢١٦]

وَ كُنْ عَلٰى هٰذَا الْحَالِ إِلىٰ اَنْ يَزُوْلَ عَنْكَ هَوَاكَ وَ تَنْكَسِرَ نَفْسُكَ فَتَكُوْنُ ذَلِيْلَةً مَغْلُوْبَةً تَابِعَةً لَكَ. ثُمَّ تَزُوْلُ اِرَادَتُكَ وَ اَمَانِيَّتُكَ وَتَخْرُجُ الْاَكْوَانُ مِنْ قَلْبِكَ فَلَا يَبْقٰى فِي قَلْبِكَ شَيْءٌ سِوَى اللهِ تَعَالٰى فَيَمْتَلِئ قَلْبُكَ بِحُبِّ اللهِ تَعَالٰى، وَ تَصْدُقُ اِرَادَتُكَ فِي طَلَبِهٖ عَزَّ وَ جَلَّ فَيَرُدُّ اِلَيْكَ الْاِرَادَةُ بِاَمْرِهٖ تَعَالٰى بِطَلَبِ حَظٍّ مِنَ الْحُظُوْظِ دُنْيَوِيَّةٍ وَ اُخْرَوِيَّةٍ.

فَح يَرُدُّ اللهُ تَعَالٰى اِلَيْكَ اِرَادَةً بِاَمْرِهٖ تَسْاَلُهٗ عَزَّ وَ جَلَّ بِذٰلِكَ وَ تَطْلُبُهٗ مُمْتَثِلًا لِاَمْرِهٖ وَ مُوَافِقًا لَهٗ. اِنْ اَعْطَاكَ شَكَرْتَهٗ وَ تَلَبَّسْتَ بِهٖ وَ اِنْ

مَنَعَكَ لَمْ تَتَسَخَّطْ عَلَيْهِ وَ لَمْ تَتَغَيَّرْ عَلَيْهِ فِي بَاطِنِكَ وَ لَا تَتَّهِمْهُ فِي ذٰلِكَ، لِاَنَّكَ لَمْ تَكُنْ طَلَبْتَهُ بِهَوَاكَ وَ اِرَادَتِكَ؛ لِاَنَّكَ فَارِغُ الْقَلْبِ عَنْ ذٰلِكَ غَيْرُ مُرِيْدٍ لَهُ بَلْ مُمْتَثِلًا لِلْاَمْرِ بِالسُّؤَالِ وَالسَّلَامِ.

«وَ قَدْ وَرَدَ عَنْ» أمير المؤمنين «عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ الله عَنْهُ اَنَّهُ قَالَ: لَا اُبَالِيْ عَلٰى أي حَالٍ اَصْبَحُ عَلٰى مَا اَكْرَهُ اَوْ عَلٰى مَا اُحِبُّ لِاَنِّيْ لَا اَدْرِى الْخَيْرَ فِي اَيِّهِمَا» أي في حال أكرهه أو في حال أُحِبُّه إنما «قَالَ ذٰلِكَ» عمر «رِضْوَانُ الله تعالٰى عَلَيْهِ لِحُسْنِ رِضَاهُ بِتَدْبِيْرِ الله عَزَّ وَ جَلَّ لَهُ وَ فِي حَقِّهٖ وَالطَّمَانِيْنَةِ» أي السكون والاطمينان والقرار «إِلٰى اِخْتِيَارِهٖ» أي الله تعالٰى «وَ قَضَائِهٖ عَزَّ وَ جَلَّ» و قد أخبر الله تعالٰى عن طيّ علم الأشياء منك حَيْثُ «قَالَ الله تَعَالٰى»:

﴿«كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَ هُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۚ وَ عَسٰى اَنْ تَكْرَهُوْا شَيْئًا وَّ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَ عَسٰى اَنْ تُحِبُّوْا شَيْئًا وَّ هُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ؕ وَاللهُ يَعْلَمُ وَ اَنْتُمْ لَا تَعْلَمُوْنَ»﴾ [البقرة:٢/ ٢١٦]

و هذا و إن نزل في حق الجهاد لكن بعبارته يدل على العموم حيث ذكر لفظ الشيء الدال على العموم دلالة ظاهرة. و إذا إطلعت على ما ذكرنا لك فحافظ حالك من عدم الطلب للشيء طلبا نفسيا و اسأل دوام حفظ الله تعالٰى فيما أقامك فيه إلى حين نقله إياك منه إلى ضده «وَ كُنْ عَلٰى هٰذَا الْحَالِ» الَّذِيْ ذكرناه و وصفناه «إِلٰى اَنْ يَزُوْلَ عَنْكَ هَوَاكَ وَ تَنْكَسِرَ» بالتوجه إلى الله تعالٰى و ملازمة ذكره خلاءً و ملاءً «نَفْسُكَ فَتَكُوْنُ» النفس «ذَلِيْلَةً مَغْلُوْبَةً تَابِعَةً لَكَ» و إن لم تخرج أنت من إرادتك بالكلية «ثُمَّ» بعد ذلك «تَزُوْلُ اِرَادَتُكَ وَ اَمَانِيُّكَ وَتَخْرُجُ الْاَكْوَانُ» بأجمعها «مِنْ قَلْبِكَ فَلَا يَبْقٰى فِي قَلْبِكَ شيء سِوَى الله تَعَالٰى فيمْتَلِئُ قَلْبُكَ بِحُبِّ الله تَعَالٰى» بخروج حب غير الله تعالٰى «وَ تَصْدُقُ اِرَادَتُكَ فِي طَلَبِهٖ عَزَّ وَ جَلَّ» فتكون حينئذ مريدا صادقا لله، و طالبا محقا له تعالٰى. فإذا حصل لك ما ذكرنا من ذهاب إرادتك و امتلاء قلبك بحب الله تعالٰى «فَ» حينئذ «يُرَدُّ اِلَيْكَ الْاِرَادَةُ بِاَمْرِهٖ تَعَالٰى

بِطَلَبِ حَظٍّ مِنَ الْحُظُوْظِ دُنْيَوِيَةٍ وَ اُخْرَوِيَةٍ» إمابالجر على البدلية من الحظوظ أو بالنصب على خبرية كان بمعنى أي حظوظ دنيو ية كانت أو أخرو ية «فَحِيْنَئِذٍ» أي حين «يَرُدُّ الله تَعَالٰى اِلَيْكَ اِرَادَةً بِاَمْرِهٖ تَسْاَلُهُ عَزَّ وَ جَلَّ بِذٰلِكَ» الحظ الَّذِيْ يخطر ببالك و يشتهي قلبك «وَ تَطْلُبُهُ» أي ذلك الحظ «مُمْتَثِلًا لِاَمْرِهٖ تعالٰى» فإن إرادتك حِيْنَئِذٍ حاصلة من أمر الله تعالٰى «وَ مُوَافِقًا لَهٗ» أي لأمره تعالٰى «اِنْ اَعْطَاكَ» الله تعالٰى ما سألته و طلبته «شَكَرْتَهٗ» تعالٰى على إعطاء ذلك المطلوب «وَ تَلَبَّسْتَ بِهٖ» أي بمسؤلك و مطلو بك بالتصرف فيه على ما يناسبه «وَ اِنْ مَنَعَكَ» الله تعالٰى ذلك المسؤل والمطلوب «لَمْ تَتَسَخَّطْ» و لم تغضب «عَلَيْهِ» أي على الله تعالٰى «وَ لَمْ تَتَغَيَّرْ عَلَيْهِ» تعالٰى «فِي بَاطِنِكَ» بسبب عدم إعطاء مطلو بك «وَ لَا تَتَّهِمْهُ» تعالٰى «فِي ذٰلِكَ» المنع و إنما حصل لك ذلك «لِاَنَّكَ لَمْ تَكُنْ طَلَبْتَهٗ» أي ذلك المطلوب «بِهَوَاكَ وَ اِرَادَتِكَ لِاَنَّكَ فَارِغُ الْقَلْبِ عَنْ ذٰلِكَ» أي هواك و إرادتك لذهابهما عنك بالكلية «غَيْرُ مُرِيْدٍ لَهٗ» أي لذلك المسؤل والمطلوب بإرادة نفسك «بَلْ» كنت سألته و طلبته «مُمْتَثِلًا لِلْاَمْرِ بِالسُّؤَالِ» من جانب مولاك تعالٰى و تقدس «وَالسَّلَامِ».

واعلم أن لفظ "والسلام" في اٰخر الكلام يستعمل على ثلثة اوجه:

أحدها: علامة تمام الكلام و لا معنى له سواه.

و ثانيها: بمعنى فقط و معناه هنا بل إنك إنما سألت ذلك السؤال ممتثلا لأمر الله تعالٰى فقط لا بالامتثال و إرادة النفس.

و ثالثها: أن السلام بمعنى السلامة، و هو مبتدأمحذوف الخبر هو قولنا في ذلك أي السلامة في ذلك أعني الامتثال الأمري.

اَلْمَقَالَةُ السَّبْعُوْنَ

في النَّهْيِ عَنِ الْعُجْبِ بِالْاَعْمَالِ وَ رُؤْيَةِ النَّفْسِ فيهَا وَ طَلَبِ الْعِوَضِ عَلَيْهَا

قَالَ رَضِيَ الله تَعَالٰى عَنْهُ: كَيْفَ يَحْسُنُ مِنْكَ الْعُجْبُ فِي اَعْمَالِكَ وَ رُؤْيَةُ نَفْسِكَ فيهَا وَ طَلَبُ الْاَعْوَاضِ عَلَيْهَا، وَ جَمِيْعُ ذٰلِكَ بِتَوْفيقِ الله عَزَّ وَ جَلَّ وَ عَوْنِهٖ وَ قُوَّتِهٖ وَ اِرَادَتِهٖ وَ فَضْلِهٖ، وَ اِنْ كَانَ تَرْك مَعْصِيَةٍ فَبِعِصْمَتِهٖ عَزَّ وَ جَلَّ وَ حِفْظِهٖ وَ حَمِيَّتِهٖ اَيْنَ أنت مِنْ الشُّكْرِ عَلٰى ذٰلِكَ وَ مِنَ الْاِعْتِرَافِ بِهٰذِهِ النِّعَمِ التي اَوْلَاكَهَا، مَا هٰذِهِ الرَّعُوْنَةُ وَالْجَهْلُ، تُعْجِبُ بِشُجَاعَةِ غَيْرِكَ وَ سَخَاهُ وَ بَذْلِهٖ لِمَالِهٖ اِذَا لَمْ تَكُنْ قَاتِلًا لِعَدُوِّكَ اِلَّا بَعْدَ مُعَاوَنَةِ شُجَاعٍ ضَرَبَ فِي عَدُوِّكَ ثُمَّ تَمَّمْتَ قَتْلَهٗ وَ لَوْلَاهُ كُنْتَ مَصْرُوْعًا مَكَانَهٗ وَ بَذْلَهٗ، وَ لَا بَاذِلًا لِبَعْضِ مَالِكَ اِلَّا بَعْدَ ضَمَانِ صَادِقٍ كَرِيْمٍ اَمِيْنٍ ضَمِنَ لَكَ عِوَضَهٗ وَ خَلَفَهٗ وَ لَوْلَا قَوْلُهٗ وَ طَمَعُكَ فيمَا وَعَدَ لَكَ وَ ضَمِنَ لَكَ لَبَخِلتَ وَ مَا بَذَلْتَ حَبَّةً مِّنْهُ كَيْفَ تُعْجِبُ بِمُجَرَّدِ فِعْلِكَ. اَحْسَنُ حَالِكَ اَلشُّكْرُ وَالثَّنَاءُ عَلَى الْمُعِيْنِ وَالْحَمْدُ الدَّائِمُ لله وَ اِضَافَةُ ذٰلِكَ اِلَيْهِ تعالى فِي الْاَحْوَالِ كُلِّهَا اِلَّا الشَّرّ وَالْمَعَاصِيْ وَاللَّوْم فَاِنَّك تُضِيْفُهَا اِلٰى نَفْسِكَ وَ تَنْسِبُهَا اِلى الظُّلْمِ وَ سُوْءِ الْاَدَبِ وَ تَتَّهِمُهَا بِهٖ، فَهِيَ اَحَقُّ بِذٰلِكَ لِاَنَّهَا مَاْوٰى كُلِّ شَرٍّ وَ اَمَّارَةٌ بِكُلِّ سُوْءٍ وَ دَاهِيَةٍ وَ اِنْ كَانَ هُوَ عَزَّ وَ جَلَّ خَالِقَكَ وَ خَالِقَ اَفْعَالِكَ مَعَ كَسْبِكَ، أنت الْكَاسِبُ وَ هُوَ الْخَالِقُ كَمَا قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ بِالله عَزَّ وَ جَلَّ يَجِيْءُ فِعْلُكَ وَ لَا بُدَّ لَكَ مِنْكَ وَ قَوْلِه عَلَيْهِ الصَّلٰوةُ وَالسَّلَامُ: اِعْمَلُوْا وَ قَارِبُوْا وَ سَدِّدُوْا، فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهٗ.

«قَالَ رَضِيَ الله تَعَالٰى عَنْهُ: كَيْفَ يَحْسُنُ مِنْكَ الْعُجْبُ» يا عبدالله «فِيْ

اَعْمَالِكَ» الصالحة مثل البطلة الحمقاء «وَ» كيف يحسن منك «رُؤْ يَةُ نَفْسِكَ فيهَا» أي في أعمالك أيها العاقل مثل الجهلة السفهاء «وَ» كيف يحسن منك «طَلَبُ الْاَعْوَاضِ عَلَيْهَا» مثل الأجير السوء لا يعمل ما لم يوت أجره «وَ جَمِيْعُ» أي و الحال أن جميع «ذٰلِكَ» الأعمال الصالحة إنما صدرت عنك «بِتَوْفيقِ الله عَزَّ وَ جَلَّ وَ عَوْنِهِ وَ قُوَّتِهِ وَ اِرَادَتِهِ وَ فَضْلِهِ وَ اِنْ كَانَ» عملك «تَرْك مَعْصِيَةٍ فَ» إنما صدر ذلك الترك «بِعِصْمَتِهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ حِفْظِهِ وَ حَمِيَّتِهِ» أما تقول: لا حول و لا قوة إلا بالله، و أما سمعتَ معناه: لا عصمة من الذنوب و لا قوة على الطاعة إلا بتوفيق الله عَزَّ وَ جَلَّ «اَيْنَ أنت مِن الشُّكْرِ» للرب المنعم المعطي المفضِل المحسن «عَلٰى ذٰلِكَ» العطاء والتوفيق «وَ» أين أنت «مِنَ الْاِعْتِرَافِ بِهٰذِهِ النِّعَمِ» الخارجة عن الحصر والعد «التي اَوْلَاكَهَا» الله تعالى و أعطاكها و أنعم عليك بها «مَا هٰذِهِ الرَّعُوْنَةُ» أي الحماقة «وَالْجَهْلُ» فإن التوفيق على الأعمال الحسنة لما كان من الله تعالى ما كنت إلا كبابٍ يغلق بغلق غالق و يُفتح بفتح فاتح ما أحسن في حقك ضرب هذا المثل «تُعْجِبُ بِشُجَاعَةِ غَيْرِكَ وَ سَخَاهُ» أي تعجب بسخاوة غيرك «وَ بَذْلِهِ» و إنفاقه «لِمَالِهِ» أنصف من نفسك أيها العاقل إنك «اِذَا لَمْ تَكُنْ قَاتِلًا لِعَدُوِّكَ اِلَّا بَعْدَ مُعَاوَنَةِ شُجَاعٍ ضَرَبَ في» رأس «عَدُوِّكَ» بحيث عطله عن المحاربة معك «ثُمَّ تَمَّمْتَ قَتْلَهُ وَ لَوْلَاهُ» أي لولا ذلك الشجاع الضارب لعدوك «كُنْتَ مَصْرُوْعًا» ساقطا على الأرض بل مقتولا «مَكَانَهُ» أي مكان ذلك العدو «وَ بَذْلَهُ، وَ لَا بَاذِلًا» عطف على قوله قاتلا أي وأنصف من نفسك أيها العاقل إذا لم تكن باذلا «لِبَعْضِ مَالِكَ» للأولياء والأقرباء «اِلَّا بَعْدَ ضَمَانِ صَادِقٍ كَرِيْمٍ اَمِيْنٍ» و هو الله تعالى «ضَمِنَ لَكَ عِوَضَهُ وَ خَلْفَهُ» والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة فتأملتَ من كلام الله و كلام رسوله ما يوجب الضمان، و قد علمتَ صدقه تعالى و صدق رسوله فَسَهل عليك بذل بعض مالك «وَ لَوْلَا قَوْلُهُ» تعالى في إعطاء العوض والبدل «وَ» لولا «طَمَعُكَ فيمَا وَعَدَ لَكَ وَ ضَمِنَ لَكَ لَبَخِلْتَ» في إنفاق مالك «وَ مَا بَذَلْتَ حَبَّةً مِّنْهُ» و لا أنفقتَ شيئا منه كيف يحسن منك أن تدعي

الشجاعة والسخاوة لنفسك و «كَيْفَ تُعْجِبُ بِمُجَرَّدِ فِعْلِكَ» بهذه الطريق ماأسوء حالك إن فعلت كذلك بل «اَحْسَنُ حَالِكَ» إن علمتَ حقيقة الحال و قبِلْتَ و فَهِمْتَ نُصْحَ المقال «اَلشُّكْرُ» للواهب المفضال الكبير المتعال على عطاء النعم والتوفيق لإنفاقها على مصارفها «وَالثَّنَاءُ عَلَى» الرب «الْمُعِيْنِ» على قتل عدوك و إنفاق مالك مع إيجاب الضمان «وَالْحَمْدُ الدَّائِمُ لله» المعطي الموفق.

واعلم أن في كل نعمة وصل منك إلى أحد مِنَنٌ أربع من الله تعالىٰ عليك:

أحدها: وصول ذات النعمة إليك.

وثانيها: إيصالها بيدك إلى عباده.

والثالثة: حصول شرف القبول لك عند الله تعالىٰ بقبول ذلك العبد منك.

والرابعة: ترتب الجزاء الجميل والثواب الكميل على تلك الإيصال «وَ» أحسن حالك «اِضَافَةُ ذٰلِكَ» أي كل عمل «اِلَيْهِ تعالىٰ فِي الْاَحْوَالِ كُلِّهَا اِلَّا الشَّرّ وَالْمَعَاصِيْ وَاللَّوْم فَاِنَّك» لا تضيفها إلى الله تعالىٰ، فإن خلق الشر ليس بشرإذ فيه حكمة لا نعلمها، و إنما الشر كسب الشروالتلبس به، و ذلك منك فحقيق لك أن «تُضِيْفُهَا اِلٰى نَفْسِكَ وَ تَنْسِبُهَا» أي نفسك «إلى الظُّلْمِ وَ سُوْءِ الْاَدَبِ وَ تَتَّهِمُهَا» أي نفسك «بِهٖ» أي بالظلم و سوء الأدب «فَهِيَ» أي نفسك «اَحَقُّ بِذٰلِكَ» الاتهام والنسبة و الإضافة «لِاَنَّهَا» نفسك «مَاْوٰى كُلِّ شَرٍّ وَ» أنها «اَمَّارَةٌ بِكُلِّ سُوْءٍ وَ دَاهِيَةٍ» كناية عن المكروه والمؤذي «وَ اِنْ كَانَ هُوَ عَزَّ وَ جَلَّ خَالِقَكَ وَ خَالِقَ اَفْعَالِكَ مَعَ كَسْبِكَ» فإن كسبك أيضًا ليس منك على وجه الاستقلال بل إنما «أنت الْكَاسِبُ» بحسب الظاهر «وَ هُوَ» أي الله «الْخَالِقُ» في الحقيقة فلا تقطع نظر بصيرتك عن خلق الله تعالىٰ و لا عن كسبك، فإن الكسب ستر الخلق «كَمَا قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ بِالله عَزَّ وَ جَلَّ» من العرفاء الكاملين: «يَجِيْءُ فِعْلُكَ» من الله تعالىٰ باعتبار الخلق و الإنشاء و ليس لك في ذلك دخل «وَ» لكن مع ذلك «لَا بُدَّ لَكَ» في عملك «مِنْكَ» ليصح نسبة الكسب إليك، فإن الكسب سترالخلق و لا يصح هتك الستر لا في ظاهر الشريعة و لا في نظر التحقيق.

«وَ قَوْلهُ عَلَيْهِ الصَّلٰوةُ وَالسَّلَامُ» الظاهر أنه بالجر عطف على ما قال في قوله كما قال بعض العلماء، فإن ما فيه مصدر ية فهى في المعنى كقول بعض العلماء و قوله عَلَيْهِ الصَّلٰوةُ وَالسَّلَامُ:

« اِعْمَلُوْا وَ قَارِبُوْا »

قيل: معناه اطلبوا قربة الله تعالٰى بطاعته، و قيل: هو من قَارب في الأمر إذا ترك الْغُلُوَّ و قصد السداد «وَ سَدِّدُوْا» أي اجعلوا أعمالكم مستقيمة على طر يق الحق ظاهرا برعاية الشروط و الأركان والسنن والآداب، و باطنا بالاجتناب عن الر ياء والعجب «فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَاخُلِقَ لَهُ» فأما من كان من أهل السعادة فسيُيَسّر لعمل أهل السعادة، و أما من كان من أهل الشقاوة فسيُيَسّر لعمل الشقاوة، واعلم أن الحديث بهذه الألفاظ لم أجد في كتب الحديث بل إنما هي مركبة من حديثين.

اَلْمَقَالَةُ الْحَادِيَةُ وَالسَّبْعُوْنَ

في بَيَانِ حَالِ السَّالِكِ بِاَنْ لَا يَخْلُو اِمَّا اَنْ يَكُوْنَ مُرِيْدًا اَوْ مُرَادًا وَ مَا يَلِيْقُ بِكُلٍّ مِّنْهُمَا

قَالَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ: لَا تَخْلُوْ اِمَّا اَنْ تَكُوْنَ مُرِيْدًا اَوْ مُرَادًا فَاِنْ كُنْتَ مُرِيْدًا فَأنت مُحَمَّلٌ وَ حَمَّالٌ تَحْمِلُ كُلَّ ثَقِيْلٍ وَ شَدِيْدٍ لِاَنَّكَ طَالِبٌ وَالطَّالِبُ مَشْقُوْقٌ عَلَيْهِ مَتْعُوْبٌ حَتّٰى يَصِلَ اِلٰى مَطْلُوْبِهٖ وَ يَظْفَرَ بِمَحْبُوْبِهٖ وَ يُدْرِكَ مَرَامَهُ وَ لَا يَنْبَغِيْ لَكَ اَنْ تَنْفِرَ مِنْ بَلَاءٍ يَنْزِلُ بِكَ فِي النَّفْسِ وَالْمَالِ وَالْاَهْلِ وَالْوَلَدِ اِلٰى اَنْ يُحَطَّ عَنْكَ الْاَحْمَالُ وَ يُزَالَ عَنْكَ الْاَثْقَالُ وَ يُرْفَعَ عَنْكَ الْاٰلَامُ وَ يُزَالَ عَنْكَ الْاَذٰى وَالْاِذْلَالُ فَتُصَانُ مِنْ جَمِيْعِ الرَّذَائِلِ وَالْاَدْرَانِ وَالْاَوْسَاخِ وَالْمَهَانَاتِ وَالْاَدْوَاءِ وَالْاَوْجَاعِ وَالْاِفْتِقَارِ اِلٰى الْخَلِيْقَةِ وَ الْبَرِيَّاتِ فَتَدْخُلَ فِي زُمْرَةِ الْمَحْبُوْبِيْنَ الْمُدَلَّلِيْنَ الْمُرَادِيْنَ.

«قَالَ رَضِيَ اللهُ تَعَالٰى عَنْهُ: لَا تَخْلُوْ» أيها السالك «اِمَّا اَنْ تَكُوْنَ مُرِيْدًا» أي طالبا لله عَزَّ وَ جَلَّ «اَوْ مُرَادًا» مطلوبا له تعالٰى «فَاِنْ كُنْتَ مُرِيْدًا فَأنت مُحَمَّلٌ» أي وضع عليك الحمل والثقل والتكليف والمشقة من تحصيل مُرَادِ مُرادك و رضاه ففي القاموس: حَمّله الأمرَ تحميلا و حِمَالًا فتَحمله تحملا و تُحُمَالا فعلى قوله محمل اسم مفعول، و ما أعرب في بعض النسخ إعراب اسم فاعل فلا يصح، لأنه متعدّ إلى المفعولين «وَ حَمَّالٌ تَحْمِلُ كُلَّ ثَقِيْلٍ وَ شَدِيْدٍ» من لوازم الإرادة والطلب «لِاَنَّكَ طَالِبٌ وَالطَّالِبُ مَشْقُوْقٌ عَلَيْهِ» أي حُمِلَ عليه الأمرُالمشاق حتى وقع عليه شاقّا «مَتْعُوْبٌ» أي أُوقع في التعب والمشقة «حَتّٰى يَصِلَ» الطالب «اِلٰى مَطْلُوْبِهٖ وَ يَظْفَرَ بِمَحْبُوْبِهٖ وَ يُدْرِكَ مَرَامَهُ» فإن المريد لا يجد لذة في شيء من لذائذ النفس غير المراد و إلّا لا يكون مريدا صادقا، والمراد لا يُصَدِّقُه في الإرادة سيما الله تعالٰى، فإن عادته

جار ية بذلك حتى قال: "فإن تطلب سوائي لم تجدنى" قال بالفارسية:

گر طالب مائی مطلب ہیچ مراد
کز یافتن ماست ترا جملہ مراد

«وَ لَا يَنْبَغِيْ لَكَ اَنْ تَنْفِرَ مِنْ بَلَاءٍ يَنْزِلُ بِكَ فِي النَّفْسِ» من مرض و محنة «وَالْمَالِ» بالنقص والزوال «وَالْاَهْلِ وَالْوَلَدِ» بالفوات والممات والمخالفة والمفارقة، فإنك متعوب بهذه الأمور غالبا «اِلٰى اَنْ يُحَطَّ عَنْكَ الْاَحْمَالُ وَ يُزَالَ عَنْكَ الْاَثْقَالُ وَ يُرْفَعَ عَنْكَ الْاٰلَامُ وَ يُزَالَ عَنْكَ الْاَذٰى وَالْإِذْلَالُ» اللاحق بك في تلك الأحمال والأثقال و رُفعتَ إلى مقام المرادية والمطلوبية والمحبوبية «فَتُصَانُ» و تحفظ «مِنْ جَمِيْعِ الرَّذَائِلِ» جمع رذيلة و هى ضد الفضيلة «وَالْاَدْرَانِ» جمع دَرَنٍ و هي الوسخ أو تلطخه «وَالْاَوْسَاخِ» جمع وسخ «وَالْمُهَانَاتِ» أي الأمور التى تهان بها صاحبها «وَالْاَدْوَاءِ» جمع داء بمعنى المرض «وَالْاَوْجَاعِ» جمع وجع بمعنى ألم «وَالِافْتِقَارِ إلى الْخَلِيْقَةِ وَ الْبَرِيَّاتِ» جمع بريّة بمعنى الخلق أي تصان و تحفظ عن جميع هذه المكاره والمؤذيات «فَتُدْخَلُ فِي زُمْرَةِ الْمَحْبُوْبِيْنَ الْمُدَلَّلِيْنَ الْمُرَادِيْنَ» لله، تعالى والمحبوب المدلل المراد محفوظ عن جميع المكاره والأذى.

وَ اِنْ كُنْتَ مُرَادًا فَلَا تَتَّهِمَنَّ الْحَقَّ عَزَّ وَ جَلَّ فِي اِنْزَالِ الْبَلِيَّةِ بِكَ اَيْضًا وَ لَا تَشْكُنَّ فِي مَنْزِلَتِكَ وَ قَدْرِكَ عِنْدَهٗ عَزَّ وَ جَلَّ لِاَنَّهٗ قَدْ يَبْتَلِيْكَ لِيَبْلُغَكَ مَبْلَغَ الرِّجَالِ وَ يَرْفَعَ مَنْزِلَتَكَ اِلٰى مَنَازِلِ الْاَوْلِيَاءِ وَالْاَبْدَالِ. اَ تُحِبُّ اَنْ تَحُطَّ مَنْزِلَتُكَ عَنْ مَنَازِلِهِمْ وَ دَرَجَتُكَ عَنْ دَرَجَاتِهِمْ وَ اَنْ تَكُوْنَ خَلْعَتُكَ وَ اَنْوَارُكَ وَ نَعِيْمُكَ دُوْنَ مَا لَهُمْ. فَاِنْ رَضِيْتَ أنت بِالدُّوْنِ فَالْحَقُّ عَزَّ وَ جَلَّ لَا يَرْضٰى لَكَ بِذٰلِكَ. قَالَ اللهُ تَعَالٰى:

﴿وَاللهُ يَعْلَمُ وَ اَنْتُمْ لَا تَعْلَمُوْنَ﴾. [البقرة، السورة:٢، الآية:٢١٦]

يَخْتَارُ لَكَ الْاَعْـــلٰى وَالْاَسْنٰى وَالْاَرْفَـعَ وَالْاَصْـلَحَ وَ

أنت تَأْبى عَنْ ذٰلِكَ.

«وَ اِنْ كُنْتَ» أيها السالك ترقيت من زمرة المريدين و صرت «مُرَادًا» محبوبا لله تعالىٰ، و نزل بك بلاء و محنة «فَلَا تَتَّهِمَنَّ الْحَقَّ عَزَّ وَ جَلَّ فِي اِنْزَالِ» تلك «الْبَلِيَّةِ» اللاحقة «بِكَ اَيْضًا» كما لا ينبغي لك ذلك الاتهام حين كنت في مقام المريدية «وَ لَا تَشْكُنَّ» أيها المحبوب المطلوب «فِيْ» رفعة «مَنْزِلَتِكَ وَ» علو «قَدْرِكَ عِنْدَهٗ عَزَّ وَ جَلَّ لِاَنَّهٗ تعالىٰ قَدْ يَبْتَلِيْكَ» بالبلية والأذى مع كونك في مقام المرادية والمحبوبية لله تعالىٰ لا ليحط رتبتك عن ذروة الكمال بل «لِيَبْلَغَكَ مَبْلَغَ الرِّجَالِ» البالغين إلى أحسن الأحوال «وَ يَرْفَعَ مَنْزِلَتَكَ اِلٰى مَنَازِلِ الْاَوْلِيَاءِ وَالْاَبْدَالِ. اَ تُحِبُّ اَنْ تَحُطَّ مَنْزِلَتُكَ عَنْ مَنَازِلِهِمْ» العليّة «وَ» تزل «دَرَجَتُكَ عَنْ دَرَجَاتِهِمْ» السنيّة «وَ» أتحب و ترضى «اَنْ تَكُوْنَ خَلْعَتُكَ وَ اَنْوَارُكَ وَ نَعِيْمُكَ» الفائضة عليك من ربك «دُوْنَ مَا لَهُمْ» أي لهؤلاء السادات من المنازل والمقامات والحالات «فَاِنْ» صرتَ دني الهمة و «رَضِيْتَ أنت بِالدُّوْنِ فَالْحَقُّ عَزَّ وَ جَلَّ» لكمال اللطف والعناية بك «لَا يَرْضٰى لَكَ بِذٰلِكَ» الدون الَّذِيْ رضيت أنت به فأنزل بك تلك البلية لِإِبْلَاغِك إلى منازلهم فإن خفي عليك سره فلا تعجب. أما سمعتَ ما «قَالَ الله تَعَالٰى»:

﴿«وَاللهُ يَعْلَمُ وَ اَنْتُمْ لَا تَعْلَمُوْنَ﴾»[البقرة،السورة:٢،الآية:٢١٦]

و هو تعالىٰ «يَخْتَارُ لَكَ الْاَعْلٰى وَالْاَسْنٰى وَالْاَرْفَعَ وَالْاَصْلَحَ» من الحالات و المقامات والمراتب والمطالب «وَ أنت تَأْبٰى عَنْ ذٰلِكَ» بإكراه المحن والبلية اللاحقة بك. فهذا شأن عجيب و وضع غريب.

فَاِنْ قُلْتَ: كَيْفَ يَصِحُّ اِبْتِلَاءُ الْمُرَادِ مَعَ هٰذَا التَّقْسِيْمِ وَالْبَيَانِ مَعَ اَنَّ الاِبْتِلَاءَ اِنَّمَا لِلْمُحِبِّ وَالْمُدَلَّلُ اِنَّمَا هُوَ الْمَحْبُوْبُ.
يُقَالُ لَكَ ذَكَرْنَا لَكَ الْاَغْلَبَ اَوَّلًا وَ ثَمَّرْنَا بِالنَّادِرِ الْمُمْكِنِ ثَانِيًا.
لَا خِلَافَ اَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ كَانَ سَيِّدَ الْمَحْبُوْبِيْنَ وَ كَانَ

اَشَدَّ النَّاسِ بَلَاءً وَ قَدْ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ: لَقَدْ خِفْتُ فِي اللهِ مَا لَا يُخَافُ اَحَدٌ وَ لَقَدْ أُوْذِيْتُ فِي اللهِ مَا لَمْ يُؤْذَ اَحَدٌ وَ لَقَدْ اَتٰى عَلَيَّ ثَلٰثُوْنَ مِنْ يَوْمٍ وَ لَيْلَةٍ وَ مَا لَنَا طَعَامٌ اِلَّا شيء يُوَارِيْ اِبط بِلَالٍ.(١)

وَ قَدْ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ:

اَنَا مَعَاشِرُ الْاَنْبِيَاءِ اَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً ثُمَّ الْاَمْثَلُ فَالْاَمْثَلُ.(٢)

وَ قَدْ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ: اَنَا اَعْرَفُكُمْ بِاللهِ وَ اَشَدُّكُمْ مِنْهُ خَوْفًا.(٣)

فَكَيْفَ يُبْتَلَى الْمَحْبُوْبُ وَ يُخَوَّفُ الْمُدَلَّلُ الْمُرَادُ وَ لَمْ يَكُنْ ذٰلِكَ اِلَّا بِمَا اَشَرْنَا اِلَيْهِ مِنْ بُلُوْغِ الْمَنَازِلِ الْعَالِيَةِ فِي الْجَنَّةِ عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ لِاَنَّ الْمَنَازِلَ فِي الْجَنَّةِ لَا تُشَيَّدُ وَ لَا تُرْفَعُ اِلَّا بِالْاَعْمَالِ فِي الدُّنْيَا. الدُّنْيَا مَزْرَعَةُ الْاٰخِرَةِ وَ اَعْمَالُ الْاَنْبِيَاءِ وَ الْاَوْلِيَاءِ بَعْدَ اَدَاءِ الْاَوَامِرِ وَ اِنْتِهَاءِ النَّوَاهِيْ اِنَّمَا هِيَ الصَّبْرُ وَالرِّضَا وَالْمُوَافَقَةُ فِي حَالَةِ الْبَلَاءِ يُكْشَفُ عَنْهُمُ الْبَلَاءُ وَ يُوَاصِلُوْنَ بِالنَّعِيْمِ وَالْفَضْلِ وَالدَّلَالِ وَ اللِّقَاءِ اَبَدَ الْاٰبَادِ.

«فَاِنْ قُلْتَ» أيها السائل «كَيْفَ يَصِحُّ اِبْتِلَاءُ الْمُرَادِ مَعَ هٰذَا التَّقْسِيْمِ وَالْبَيَانِ» الدال على أن المر يد والمحب متعوب و مذلل، والمحبوب مسرورو مدلل «مَعَ اَنَّ الاِبْتِلَاءَ اِنَّمَا لِلْمُحِبِّ، وَالْمُدَلَّلُ اِنَّمَا هُوَ الْمَحْبُوْبُ» و"مع" الثانية إلى أخره بدل من "مع" الأولى بدل تفصيل أو يجعل مع الأولى بمعنى في كما قيل.

«يُقَالُ لَكَ» في الجواب «ذَكَرْنَا لَكَ الْاَغْلَبَ» والاكثر وقوعا «اَوَّلًا» في التقسيم المذكور «وَ شَمَّرْنَا» التشمير رفع الذ للجِدِّ في الأمر أي استعدنا للبيان

(1) هذا الأثرلم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

(2) رواه الحاكم بلفظ: أى الناس أشد بلاء، قال: الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، برقم: ١٢٠، ورواه ابن حبان بنحوه.

(3) أورده العجلوني في كشف الخفاء برقم: ١/ ٢٣١، قال في المقاصد قال شيخنا: صحيح، وقد ترجم البخاري في صحيحه بقوله صلى الله عليه وسلم "أنا أعلمكم بالله"

«بِالنَّادِرِ الْمُمْكِنِ ثَانِيًا» يعنى ان الاغلب والأكثر أن يكون المر يد متعو با مذللا والمراد محبو با مدللا و قلّ ما يعكس الأمر بأن يجعل المر يد منعما محظوظا محفوظا كيلا يفتر عن الجِدِّ بوقوع المشاق و عدم حصول المقصود، و يجعل المراد مبتلى للإبلاغ إلى أكمل المراتب و أجملها و أحسن المناقب و أفضلها، أما تعلم أنه «لَا خِلَافَ» لأحد من العلماء والعرفاء في «اَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ كَانَ سَيِّدَ الْمَحْبُوْبِيْنَ» و أفضل النبيين و أكمل المرسلين عند رب العالمين «وَ كَانَ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ اَشَدَّ النَّاسِ بَلَاءً» وكيف لا يكون «وَ قَدْ قَالَ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ: لَقَدْ خِفْتُ فِي الله مَا لَا يُخَافُ اَحَدٌ وَ لَقَدْ اُوْذِيْتُ فِي الله مَا لَمْ يُوْذَ اَحَدٌ وَ لَقَدْ اَتٰى» و في رواية: أتت «عَلَيَّ ثَلٰثُوْنَ مِنْ يَوْمٍ وَ لَيْلَةٍ وَ مَا لَنَا طَعَامٌ اِلَّا شيء يُوَارِيْ اِبطَ بِلَالٍ» هذه عادة الله تعالى بأحبائه و أصفيائه، و ذلك لأن الامتحان عنوان الإيمان، والمحنة والمحبة توأمان و عند الامتحان يُكرَم الرجل أو يُهان.

«وَ قَدْ قَالَ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ:»

«اَنَا مَعَاشِرُ الْاَنْبِيَاءِ اَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً ثُمَّ الْاَمْثَلُ فَالْاَمْثَلُ».

«فَ» انظر «كَيْفَ يُبْتَلَى الْمَحْبُوْبُ وَ يُخَوَّفُ الْمُدَلَّلُ الـمُرَادُ» مع أنه لا احتياج إلى امتحانه و افتنانه «وَ لَمْ يَكُنْ ذٰلِكَ» الافتنان والابتلاء «اِلَّا بِمَا اَشَرْنَا اِلَيْهِ مِنْ بُلُوْغِ الْمَنَازِلِ الْعَالِيَةِ فِي الْجَنَّةِ» العالية «عِنْدَ الله عَزَّ وَ جَلَّ لِاَنَّ» عادة الله تعالى جارية بأن «الْمَنَازِلَ فِي الْجَنَّةِ لَا تُشَيَّدُ» أي لا تستحكم «وَ لَا تُرْفَعُ اِلَّا بِالْاَعْمَالِ فِي الدُّنْيَا» و إنما يكون ذلك إذ «الدُّنْيَا مَزْرَعَةُ الْاٰخِرَةِ» فإن الله تعالى بكمال حكمته جعل الجزاء مرتبة على الأعمال حُسْنًا و قُبحًا و قُوَّة و ضُعفًا و كمًا و كيفًا، و جعل محل الأعمال الدنيا، و محل الجزاء الآخرة «وَ اَعْمَالُ الْاَنْبِيَاءِ وَ الْاَوْلِيَاءِ بَعْدَ اَدَاءِ الْاَوَامِرِ» الشرعية «وَ اِنْتِهَاءِ النَّوَاهِيْ» الشرعية «اِنَّمَا هِيَ الصَّبْرُ» على البلايا «وَالرِّضَا وَالْمُوَافَقَةُ فِي حَالَةِ الْبَلَاءِ» لفعل المولى و إرادته طلبا لقضائه و تشرفا بلقائه ثُمَّ «يُكْشَفُ عَنْهُمُ الْبَلَاءُ وَ يُوَاصِلُوْنَ بِالنَّعِيْمِ وَالْفَضْلِ وَالدَّلَالِ وَ اللِّقَاءِ اَبَدَالْاٰبَادِ» بلا انقطاع و لا فناء و لا محنة و إيذاء، فإن دارالبلاء والمحنة هي الدنيا.

اَلْمَقَالَةُ الثَّانِيَةُ وَالسَّبْعُوْنَ

في بَيَانِ اَقْسَامِ الْمُشْتَغِلِيْنَ بِالدُّنْيَا عَلٰى وَجْهِ التَّشَهِّيْ لَهَا اَوِ التَّنَبُّهِ بِهَا اَوِ الْاِعْرَاضِ عَنْهَا

قَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: اَلَّذِيْنَ يَدْخُلُوْنَ الْاَسْوَاقَ مِنْ اَهْلِ الدِّيْنِ وَالنُّسُكِ فِي مَخْرَجِهِمْ اِلٰى اَدَاءِ اَوَامِرِ اللهِ تَعَالٰى مِنْ صَلٰوةِ الْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَاتِ وَ قَضَاءِ الْحَوَائِجِ يَسْنَحُ لَهُمْ فِيهَا عَلٰى اَضْرَابٍ:

فَمِنْهُمْ مَنْ اِذَا دَخَلَ السُّوْقَ وَ رَاٰى فِيهِ مِنْ اَنْوَاعِ الشَّهَوَاتِ وَاللَّذَّاتِ تَقَيَّدَ بِهَا وَ عَلَّقَتْ بِقَلْبِهٖ فَافْتَتَنَ بِهَا وَ كَانَ ذٰلِكَ سَبَبَ هَلَاكِهٖ وَ تَرَكِ دِيْنِهٖ وَ رُجُوْعِهٖ اِلٰى مُوَافَقَةِ طَبْعِهٖ وَ اِتِّبَاعِ هَوَاهُ اِلَّا اَنْ يَتَدَارَكَهُ اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ بِرَحْمَتِهٖ وَ عِصْمَتِهٖ وَ اِصْبَارِهٖ اِيَّاهُ عَنْهَا فيسْلَمُ.

وَ مِنْهُمْ مَنْ اِذَا رَاٰى ذٰلِكَ وَ كَادَ اَنْ يَهْلِكَ بِهَا رَجَعَ اِلٰى عَقْلِهٖ وَ دِيْنِهٖ وَ تَكَلَّفَ وَ تَجَرَّعَ مَرَارَةَ تَرْكِهَا فَهُوَ كَالْمُجَاهِدِ يَنْصُرُهُ اللهُ عَلٰى نَفْسِهٖ وَ طَبْعِهٖ وَ هَوَاهُ وَ شَهْوَتِهٖ، وَ يَكْتُبُ لَهُ الثَّوَابَ الْجَزِيْلَ فِي الْاٰخِرَةِ كَمَا جَاءَ فِي بَعْضِ الْاَخْبَارِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ اَنَّهُ قَالَ: يُكْتَبُ لِلْمُؤمِنِ بِتَرْكِ كُلِّ شَهْوَةٍ عِنْدَ الْعَجْزِ عَنْهَا اَوْ عِنْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهَا سَبْعُوْنَ حَسَنَةً.[1]

«قَالَ رَضِيَ اللهُ تَعَالٰى عَنْهُ: الذين يَدْخُلُوْنَ الْاَسْوَاقَ مِنْ اَهْلِ الدِّيْنِ وَالنُّسُكِ» أي العبادة «فِي مَخْرَجِهِمْ» أي حين خروجهم «اِلٰى اَدَاءِ اَوَامِرِ اللهِ تَعَالٰى مِنْ صَلٰوةِ الجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَاتِ» والأعياد و من العيادة للمرضى، أوالزيارة للعلماء والمشائخ «وَ قَضَاءِ الْحَوَائِجِ يَسْنَحُ» أي يظهر «لَهُمْ فيهَا» أي في الأسواق «عَلٰى اَضْرَابٍ» خبر لقوله: "الذين" يعنى الداخلون في الأسواق للأغراض الدينية أقسام خمسة:

(1) هذا الأثرلم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

«فَمِنْهُمْ مَنْ اِذَا دَخَلَ السُّوْقَ وَ رَاٰى فيهِ مِنْ اَنْوَاعِ الشَّهَوَاتِ» أي المشتهيات التى هى أثر الشهوات «وَاللَّذَّاتِ» أي المستلذات التى هى متعلقات اللذات «تَقَيَّدَ بِهَا» أي بتلك الشهوات واللذات «وَ عَلَّقَتْ» هي «بِقَلْبِهِ فَافْتَتَنَ بِهَا» و لم يقدر على حفظ النفس عنها «وَ كَانَ ذٰلِكَ» التقييد والتعلق «سَبَبَ هَلَاكِهِ وَ تَرَكِ دِيْنِهِ، وَ» سبب «رُجُوْعِهِ اِلٰى مُوَافَقَةِ طَبْعِهِ وَ اِتِّبَاعِ هَوَاهُ» اللذين كانتا مغلوبين للشريعة المطهرة المحمدية على صاحبها أسنى الصلوة و أزكى السلام من الملك العلام «اِلَّا اَنْ يَتَدَارَكَهُ الله عَزَّ وَ جَلَّ بِرَحْمَتِهِ وَ عِصْمَتِهِ» أي ذلك المفتتن بالشهوات واللذات هالك بموافقة الطبع و اتباع الهوى إلا أن يحفظه الله تعالٰى بكمال رحمته و بعصمته بكمال لطفه عن تلك المشتهيات و المستلذات «وَ اِصْبَارِهِ اِيَّاهُ عَنْهَا» أي جعل الله تعالٰى ذلك المفتون برحمة الله و عصمته و إصباره عن الهلاك، و هذا النوع أدون الأنواع صابرا عن تلك المشتهيات والمستلذات المخالفة للشرع إما حرمة و إما كراهة «فيسْلَمُ» ذلك المفتون برحمة الله تعالٰى و عصمته و اصباره عن الهلاك، و هذا النوع أدون الأنواع.

«وَ» ضرب أخر «مِنْهُمْ» أي من اولئك الداخلين في الأسواق للأغراض الدينية الرائين فيها المشتهيات و المستلذات «مَنْ اِذَا رَاٰى ذٰلِكَ» المذكور في القسم الأول من مشتهيات الدنيا و مستلذاتها «وَ كَادَ» أي قرب «اَنْ يَهْلِكَ بِهَا» أي بسبب الافتنان بها «رَجَعَ اِلٰى عَقْلِهِ وَ دِيْنِهِ» مستعيذا بربه «وَ تَكَلَّفَ» أي دفع تعلقها عن نفسه بتكلف و مشقة «وَ تَجَرَّعَ مَرَارَةَ تَرْكِهَا» بجدّ و اجتهاد و قهر النفس و زجر الهوى «فَهُوَ» أي هذا الشخص «كَالْمُجَاهِدِ» في سبيل الله تعالٰى بالجهاد الأكبر مع نفسه الطالبة للدنيا و مستلذاتها «يَنْصُرُهُ الله» لكمال لطفه و عنايته به «عَلٰى نَفْسِهِ وَ طَبْعِهِ وَ هَوَاهُ وَ شَهْوَتِهِ» كما قال تعالٰى:

﴿وَ كَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِيْنَ﴾[الروم،السورة ٣٠،الآية:٤٧]

«وَ يَكْتُبُ» الله تعالٰى «لَهُ» أي لذلك الشخص المنصور على النفس والهوى «الثَّوَابَ الْجَزِيْلَ فِي الْاٰخِرَةِ كَمَا جَاءَ فِي بَعْضِ الْاَخْبَارِ عَنِ النَّبِيِّ» المختار «صَلَّى الله

عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ اَنَّهُ قَالَ: يُكْتَبُ لِلْمُؤمِنِ بِتَرْكِ كُلِّ شَهْوَةٍ عِنْدَ الْعَجْزِ عَنْهَا» كالفقير الصابر «اَوْ عِنْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهَا» كالغني الشاكر الصابر «سَبْعُوْنَ حَسَنَةً» و ذلك عند قصد الترك.

وَ مِنْهُمْ مَنْ يَتَنَاوَلُهَا وَ يَتَلَبَّسُ بِهَا وَ يُحَصِّلُهَا بِفَضْلِ نِعْمَةِ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ الَّتِيْ عِنْدَهُ مِنْ سَعَةِ الدُّنْيَا وَ الْمَالِ وَ يَشْكُرُ اللهَ عَزَّ وَ جَلَّ عَلَيْهَا.

وَ مِنْهُمْ مَنْ لَا يَرَاهَا وَ لَا يَشْعَرُ بِهَا فَهُوَ كَاَنَّهُ اَعْمٰى عَمَّا سِوَى اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ فَلَا يَرٰى غَيْرَهُ عِنْدَهُ شُغْلٌ عَنِ النَّظَرِ اِلٰى غَيْرِ مَحْبُوْبِهِ وَ عَنْ اِشْتِهَائِهِ فَهُوَ فِي مَعْزِلٍ عَمَّا الْعَالَمُ فيهِ فَاِذَا رَاَيْتَهُ وَ قَدْ دَخَلَ السُّوْقَ فَسَاَلْتَهُ عَمَّاذَا رَاٰى فِي السُّوْقِ، يَقُوْلُ: مَا رَاَيْتُ شَيْئًا نَعَمْ هُوَ قَدْ رَاٰى الْاَشْيَاءَ لٰكِنْ رَاٰهَا بِبَصَرِ رَاْسِهِ لَا بِبَصَرِ قَلْبِهِ، وَ نَظَرَهُ نَظَرَ فُجَاةٍ لَا نَظَرَ شَهْوَةٍ، نَظَرَ صُوْرَةٍ لَا نَظَرَ مَعْنًى، نَظَرَ الظَّاهِرِ لَا نَظَرَ الْبَاطِنِ فَهُوَ بِظَاهِرِهِ يَنْظُرُ اِلٰى مَا فِي السُّوْقِ وَ بِقَلْبِهِ يَنْظُرُ اِلٰى رَبِّهِ عَزَّ وَ جَلَّ اِلٰى جَلَالِهِ تَارَةً وَ اِلٰى جَمَالِهِ تَارَةً اُخْرٰى.

«وَ» ضرب «مِنْهُمْ» أي من هذه الضروب الخمسة الداخلة في الأسواق الرائي لمستلذات الدنيا «مَنْ يَتَنَاوَلُهَا» أي تلك المستلذات «وَ يَتَلَبَّسُ بِهَا وَ يُحَصِّلُهَا» لكن لا بمجرد اشهتاء النفس و هواها «بل بِفَضْلِ نِعْمَةِ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ الَّتِيْ عِنْدَهُ مِنْ سَعَةِ الدُّنْيَا وَ» سعة «الْمَالِ» على الوجه المشروع المرضي لله تعالٰى و لرسوله عليه الصلوة والسلام من الملك العلام «وَ يَشْكُرُ اللهَ عَزَّ وَ جَلَّ عَلَيْهَا» فإن الله تعالٰى يحب من المنعم عليه أن يظهر أثر نعمة الله تعالٰى عليه قولا و فعلا كما نطق به الأحاديث و أشار إليه القراٰن.

«وَ» ضرب «مِنْهُمْ» أي من الأقسام الخمسة المذكوره «مَنْ لَا يَرَاهَا» أي المشتهيات والمستلذات الكائنة في الأسواق «وَ لَا يَشْعَرُ بِهَا» أصلا لأجل كمال

اشتغاله بربه و انهماكه في ذكره «فَهُوَ» أي ذلك الشخص «كَاَنَّهٗ اَعْمٰى عَمَّا سِوَى اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ فَلَا يَرٰى غَيْرَهٗ» و إنما كان كذلك لأن «عِنْدَهٗ شُغْلٌ» بربه تعالٰى أشغله و أعرضه «عَنِ النَّظَرِ اِلٰى غَيْرِ مَحْبُوْبِهٖ وَ» أشغله «عَنْ اِشْتِهَائِهٖ» أي غير المحبوب الَّذِيْ هو الله تعالٰى «فَهُوَ» أي ذلك الرجل المشغول بالله عن غير الله «فِي مَعْزِلٍ» و بعد «عَمَّا» كان «الْعَالِمُ فيهِ» من الاشتغال بالنفس والأهل والولد والحظوظ «فَاِذَا رَاَيْتَهٗ وَ قَدْ دَخَلَ السُّوْقَ» أي إذا رايت أنت أيها المخاطب ذلك الرجلَ العارف المستغرقَ في تجليات الله تعالٰى الجلالية والجمالية حال كونه دخل في السوق الَّذِيْ هو مملو بالناس و المتاع «فَسَاَلْتَهٗ عَمَّاذَا رَاٰى فِي السُّوْقِ يَقُوْلُ» لك لعدم توجهه إلى شيء «مَا رَاَيْتُ شَيْئًا» فإن تعجبت من نفيه رؤ ية الا شياء بأنه كيف لم ير و هو صحيح البصر مفتوح العين، يقال لك في الجواب: «نَعَمْ هُوَ قَدْ رَاَى الْاَشْيَاءَ لٰكِنْ رَاٰهَا بِبَصَرِ رَاْسِهٖ لَا بِبَصَرِ قَلْبِهٖ وَ» لم يتوجه إلى الاشياء بقلبه، و ما لم يتوجه إلى شيء بالقلب لا يعرفه كما هو مقرر عند كل أحد «و نَظَرَهٗ »إلى الاشياء «نَظَرَ فُجَاةٍ» من غير توجه إليها «لَا نَظَرَ شَهْوَةٍ» أي اشتهاء و ميل حتى يتوجه و يعرف تفصيلها وكنه حقيقتها، و نظره «نَظَرَ صُوْرَةٍ» بلا توجه «لَا نَظَرَ مَعْنًى» بالتوجه، و نظره «نَظَرَ الظَّاهِرِ» القالبية «لَا نَظَرَ الْبَاطِنِ» القلبي «فَهُوَ بِظَاهِرِهٖ يَنْظُرُ اِلٰى مَا فِي السُّوْقِ» من الخلائق «وَ بِقَلْبِهٖ يَنْظُرُ اِلٰى رَبِّهٖ »الخالق «عَزَّ وَ جَلَّ» في تجلياته الكائنة في الخلق جلالا و جمالا فينظر «اِلٰى جَلَالِهٖ تعالٰى تَارَةً» واحدة «وَ اِلٰى جَمَالِهٖ» تعالٰى «تَارَةً اُخْرٰى» فإن ظهور العالم و بقاءه كان بالتجلي الجلالي والجمالي، فإن الجلال يقتضي التغير والتبديل والتحو يل، والجمال يقتضى الثبات والقرار والبقاء.

وَ مِنْهُمْ مَنْ اِذَا دَخَلَ السُّوْقَ اِمْتَلَاَ قَلْبُهٗ رَحْمَةً لِاَهْلِهٖ فَتَشْغُلُهٗ الرَّحْمَةُ لَهُمْ عَنِ النَّظَرِ اِلٰى مَا لَهُمْ فَهُوَ مِنْ حَيْنِ دُخُوْلِهٖ اِلٰى حِيْنِ خُرُوْجِهٖ فِي الدُّعَاءِ وَالْاِسْتِغْفَارِ وَ شَفَاعَةِ اَهْلِهٖ وَ شَفْقَتِهٖ وَ رَحْمَتِهٖ فَقَلْبُهٗ يَحْتَرِقُ عَلَيْهِمْ وَ لَهُمْ وَ عَيْنُهٗ مَغْرُوْرَةٌ لِاَجْلِهِمْ وَ لِسَانُهٗ فِي ثَنَاءٍ وَ حَمْدٍ لِلّٰهِ

عَزَّ وَ جَلَّ لِمَا اَوْلَى الْكَافَّةِ مِنْ نِعَمِهٖ وَ فَضْلِهٖ فَهٰذَا يُسَمّٰى شِحْنَةَ الْبِلَادِ وَ اِنْ شِئْتَ فَسَمِّهٖ عَارِفًا وَ بَدَلًا وَ زَاهِدًا وَ عَالِمًا غَيْبًا وَ وَتَدًا مَحْبُوْبًا مُرَادًا وَ نَائِبًا فِي الْاَرْضِ عَلٰى عِبَادِهٖ وَ سَفِيرًا وَ جِهْبِذًا وَ هَادِيًا وَ مَهْدِيًّا وَ دَالًّا وَ مُرْشِدًا فَهٰذَا هُوَالْكِبْرِيْتُ الْاَحْمَرُ وَ بَيْضَةُ الْعَقْعَقِ.فَرِضْوَانُ اللهِ وَ صَلٰوتُهٗ عَلَيْهِ وَ عَلٰى كُلِّ مُؤْمِنٍ مُرِيْدٍ لله عَزَّ وَ جَلَّ وَصَلَ اِلٰى اِنْتِهَاءِ الْمَقَامِ.

«وَ» ضرب «مِنْهُمْ» أي من هؤلاء الأقسام الخمسة الداخلة في الأسواق المملوة بالخلق و لوازم معاشهم و معاشرتهم «مَنْ اِذَا دَخَلَ السُّوْقَ اِمْتَلَاَ قَلْبُهٗ» أي بالتوجه الجديد إلى الله تعالٰى «رَحْمَةً لِاَهْلِهٖ» أي لأهل السوق و هو خلق الله تعالٰى لما رأى أنهم عاجزون في تحصيل ما ينفعهم و دفع ما يضرهم و قد نصبه الله تعالٰى لتربية الخلائق فإذا رأى عجزهم عن الأمرين «فَتَشْغُلُهٗ» إياه «الرَّحْمَةُ» الكائنة باعتبار منصب التربية «لَهُمْ» أي لأهل السوق «عَنِ النَّظَرِ اِلٰى مَا لَهُمْ» من الأشياء الكائنة بين أيديهم لاستغراقه في التوجه إلى الله تعالٰى لفيضان جلب الخير و دفع الضير «فَهُوَ مِنْ حَيْنِ دُخُوْلِهٖ» في السوق «اِلٰى حِيْنِ خُرُوْجِهٖ» منه «فِي الدُّعَاءِ وَالْاِسْتِغْفَارِ وَ شَفَاعَةِ اَهْلِهٖ وَ شَفْقَتِهٖ وَ رَحْمَتِهٖ» و في بعض النسخ في دعاء و شفاعة لأهله أي دعاء لأهل السوق في جلب ما ينفعهم، و استغفار لما صدر عنهم مما يوجب الغضب عليهم، و شفاعة لإصلاح حالهم و شفقة عليهم و رحمة لهم في جلب الخير و دفع الضير «فَقَلْبُهٗ يَحْتَرِقُ عَلَيْهِمْ» بأنهم كيف لا يحترزون ما يوجب الضرر عليهم «وَ» يحزن «لَهُمْ» بأنهم كيف لا يحصلون ما ينفعهم، و لم يغلفون عن الأمرين «وَ عَيْنُهٗ مَفْرُوْزَةٌ لِاَجْلِهِمْ» المفروز في اللغة بمعنى المقسوم يقال: نصيب مفروز أي مقسوم، و يقال: فرزت الشيء و أفرزته إذا قسمته كذا في النهاية، و لا يلائم ذلك هنا كثير ملائمة إلا أن يحمل على الانتشار، فإن التقسيم يوجبه فهو لازم لها فاستعمل في اللازم أي منتشرة لأجلهم كيف نفعهم يحصل بالتوجه إلى

الله، فإن التوجه التام ربما يفرّق النظر و لا يُقِرُّه. و في بعض النسخ مفروقة لأجلهم، و هو أيضا بالمعنى المذكور، أو بمعنى مفتوحة من فرق بمعنى ظهر «وَ لِسَانُهٗ فِي ثَنَاءٍ وَ حَمْدٍ لله عَزَّ وَ جَلَّ لِمَا» و في بعض النسخ بما «اَوْلٰى» أى أعطى «الْكَافَّةِ» أي كافة الخلق «مِنْ نِعَمِهٖ وَ فَضْلِهٖ» تعالىٰ أنواعًا مختلفة «فَهٰذَا» النوع الأخير الَّذِيْ هو أكمل سائر الأنواع «يُسَمّٰى شِحْنَةَ الْبِلَادِ» بمعنى حافظها و ناصرها «وَ اِنْ شِئْتَ لهذا الرجل تسمية أُخرى «فَسَمِّهٖ عَارِفًا» بالله «وَ بَدَلًا» من أبدال الله «وَ زَاهِدًا» من زهاد الدين «وَ عَالِمًا» من العلماء الربانيين «غَيْبًا» عن التوجه إلى الخلق بالتوجه إلى الحق عَزَّ وَ جَلَّ «وَوَتَدًا» من الأوتاد الذين جعل الله تعالىٰ قرار العالم و ثباته بهم كما جعل الجبال أوتادًا لقرار الأرض «مَحْبُوْبًا» لله تعالىٰ و لرسوله و لعباده العارفين بحاله «مُرَادًا» لله تعالىٰ رقاه الله تعالىٰ من مرتبة المريدية «وَنَائِبًا» عن الله تعالىٰ «فِي الْاَرْضِ عَلٰى عِبَادِهٖ» و خليفة لله تعالىٰ عليهم «وَ سَفيرًا» أي رسولا من جانب الله إلى الخلق لا بمعنى الرسول الشرعي بل بمعنى المُصلِح والمربي للخلق بحكم الله تعالىٰ و باتباع نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ «وَ جِهبِذًا» أي نقادا خبيرا بأحوال العالم ما يصلحه و يفسده، قال في القاموس الجهبذ بالكسر النقّاد الخبير «وَ هَادِيًا» للخلائق عن ضلالة الجهل والطبع «وَمَهْدِيًّا» في نفسه من جانب الله تعالىٰ «وَدَالًّا» للخلق على الطريق المستقيم «وَمُرْشِدًا» للخلائق «فَهٰذَا» الرجل العارف الكامل المكمل «هُوَالْكِبْرِيْتُ الْاَحْمَرُ» و في القاموس:الكبريت من الحجارة الموقد بها والياقوت الأحمر والذهب أو جوهر معدنه خلف التبت بواد النمل. و في اصطلاح الناس:هو ما يصير غير الذهب بمخالطته ذهبا.

و هذا الرجل المكمل من يصحبه يصير كاملا عارفا بالله تعالىٰ، فانيا فيه، باقيا به «وَ بَيْضَةُ الْعَقْعَقِ» و في القاموس: العقعق طائر أبلق يشبه صوته العين والقاف، و في النهاية: هو طائر معروف ذو لونين أبيض و أسود طويل الذنب، و يقال له: القَعْقَعُ جاز قتله للمحرم لأنه نوع من الغربان، انتهى. و هو في العرف طائر صغير مشوم و إليه أشار الشاعر ۔

إن من صاد عقعقا لمشوم
كيف من صاد عقعقان و بوم

و ظاهر أنه لا يناسب شيء منها ههنا بل الَّذِيْ يخطر بالبال في توجيه هذا المقال أن العقعق ههنا بمعنى العنقاء و هو يسمع و لا يوجد فأين يوجد بيضته فهو مَثَلٌ للذى يسمع و لا يوجد. و يحتمل أن يكون المراد به هو الظاهر والتمثيل باعتبار إخفاء بيضته و عدم الظفر عليها إذ من عادته إخفاءها، فإنها يسكن القفار والمفاوز لا يظهر عشه فأين يوجد بيضته. و يحمتل أن يكون فيها منافع للخلق بحكمة الله تعالىٰ فالتمثيل باعتبار كثرة المنافع و قلة الوجدان «فَرِضْوَانُ الله تعالىٰ وَ صَلٰوتُهٗ عَلَيْهِ» أي على ذلك العارف الكامل «وَ عَلٰى كُلِّ مُؤْمِنٍ مُرِيْدٍ لله عَزَّ وَ جَلَّ» طالب له الَّذِيْ «وَصَلَ اِلٰى اِنْتِهَاءِ الْمَقَامِ» الَّذِيْ هو عتبة الأنبياء و سدة المرسلين لا يتجاوزه غيرهم من كُمَلاء العارفين.

اَلْمَقَالَةُ الثَّالِثَةُ وَالسَّبْعُوْنَ

في اَنَّ الله تَعَالٰى يَظْهَرُ وَلِيَّهٗ وَ يَطِّلِعُهٗ عَلٰى عُيُوْبِ بَعْضِ اَفْرَادِ النَّاسِ الْمُدَّعِيْنَ لِلْمَرَاتِبِ الْكَاذِبِيْنَ فِي دَعْوَاهُمْ

قَالَ رَضِي اللهُ عَنْهُ: قَدْ يَظْهَرُ الله وَ يَطَّلِعُ وَلِيَّهٗ عَلٰى عُيُوْبِ غَيْرِهٖ وَ كِذْبِهٖ وَ دَعْوَاهُ وَ شِرْكِهٖ فِي اَفْعَالِهٖ وَ اَقْوَالِهٖ وَ اِضْمَارِهٖ وَ نِيَّتِهٖ فيغَارُ وَلِيُّ الله عَزَّ وَ جَلَّ لِرَبِّهٖ وَ لِرُسُوْلِهٖ وَ دِيْنِهٖ فيشْتَدُّ غَضَبُ بَاطِنِهٖ ثُمَّ ظَاهِرِهٖ، كَيْفَ يَدَّعِي السَّلَامَةَ مَعَ الْعِلَلِ وَالْاَوْجَاعِ الْبَاطِنَةِ وَ الظَّاهِرَةِ؟ وَ كَيْفَ يَدَّعِي التَّوْحِيْدَ مَعَ الشِّرْكِ الْخَفي، وَالشِّرْكُ كُفْرٌ مُبَعِّدٌ مِنْ قُرْبِ الله عَزَّ وَ جَلَّ وَ هُوَ صِفَةُ الْعَدُوِّ الشَّيْطَانِ اللَّعِيْنِ وَ الْمُنَافِقِيْنَ الْمَقْطُوْعِ لَهُمْ بِالدَّرْكِ الْاَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَ بِالْخُلُوْدِ فيهَا فيجْرِيْ عَلٰى لِسَانِ الْوَلِيِّ ذِكْرُ عُيُوْبِهٖ وَ اَفْعَالِهِ الْخَبِيْثَةِ وَ وَقَاحَتِهٖ بِعَرِيْضِ دَعَاوِيْهِ وَ اِدِّعَائِهٖ اَحْوَالَ الصِّدِّيْقِيْنَ وَ مُزَاحَمَتِهٖ لِلْفَانِيْنَ فِي قَدْرِ الله تَعَالٰى وَ فِعْلِهٖ وَالْمُرَادِيْنَ عَلٰى وَجْهِ الْغَيْرَةِ لله عَزَّ وَ جَلَّ، مَرَّةً عَلٰى وَجْهِ الْاِنْكَارِ عَلَيْهِ وَالْوَعْظِ لَهٗ أخرىٰ، وَ عَلٰى وَجْهِ الْغَلَبَةِ بِفِعْلِ الله عَزَّ وَ جَلَّ وَ اِرَادَتِهٖ وَ شِدَّةِ غَضَبِهٖ عَلَى الْكَذَّابِ الْمُكَذِّبِ اُخْرٰى فيضَافُ اِلٰى وَلِيِّ الله غِيْبَةٌ فَيُقَالُ يَغْتَابُ الْوَلِيُّ وَ هُوَ يَمْنَعُ مِنْهَا اَوَ يَذْكُرُ الْغَائِبَ اَوِالْحَاضِرَ بِمَا لَمْ يَظْهُرْ عِنْدَ الْعَامِ وَالْخَاصِ فيصِيْرُ ذٰلِكَ الْاِنْكَارُ فِي حَقِّهِمْ كَمَا قَالَ اللهُ:

﴿وَ اِثْمُهُمَآ اَكْبَرُ مِنْ نَّفْعِهِمَا﴾[البقرة:٢،الآية:٢١٩]

فَهٰذَا فِي الظَّاهِرِ اِنْكَارُ الْمُنْكَرِ وَ فِي الْبَاطِنِ اِسْخَاطُ الرَّبِّ وَالْاِعْتِرَاضُ عَلَيْهِ فيصِيْرُ حَالُهُ الْحَيْرَةُ فيكُوْنُ فَرْضُهُمْ فيهَا السُّكُوْتُ وَالتَّسْلِيْمُ وَ طَلَبُ الْمُسَاغِ لِذٰلِكَ فِي الشَّرْعِ، وَالْجَوَازِ لَا الْاِعْتِرَاضُ عَلٰى

الرَّبِّ عَزَّ وَ جَلَّ لِافْتِرَائِهٖ وَ كِذْبِهٖ، وَ قَدْ يَكُوْنُ ذٰلِكَ سَبَبًا لِاقْلَاعِهٖ وَ تَبَرِيْهٖ عَنْ ذٰلِكَ الدَّعْوٰى الْكَاذِبِ وَ تَوْبَتِهٖ وَ رُجُوْعِهٖ عَنْ جَهْلِهٖ فيَكُوْنُ كَرَامَةً لِلْوَلِيِّ وَ نَفْعًا لِلْمَغْرُوْرِ الْهَالِكِ بِغُرُوْرِهٖ وَ رُعُوْنَتِهٖ: ﴿وَاللّٰهُ يَهْدِىْ مَنْ يَّشَآءُ اِلٰى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍ﴾ [النور٤٦، الآية:٢٤]

«قَالَ رَضِيَ اللهُ تَعَالٰى عَنْهُ: قَدْ يَظْهَرُ اللهُ وَ يَطَّلِعُ وَلِيَّهٗ عَلٰى عُيُوْبِ غَيْرِهٖ» من أفراد الإنسان «وَ كِذْبِهٖ وَ دَعْوَاهُ وَ شِرْكِهٖ فِي اَفْعَالِهٖ وَ اَقْوَالِهٖ وَ اِضْمَارِهٖ وَ نِيَّتِهٖ» المخالفة لدعواه كما اطلع الله تعالٰى رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ على باطن المنافقين في عهده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ «فيغَارُ وَلِيُّ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ» أي أوقع ولي الله في الغيرة على ذلك المعيوب المخالف ظاهره لباطنه و باطنه لظاهره فيغِيْرُ عليه غيرة شديدة «لِرَبِّهٖ وَ لِرَسُوْلِهٖ وَ دِيْنِهٖ» أي لأجل الله تعالٰى و لأجل رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ أنه كيف يفتري على الله تعالٰى و يخالف سنة رسوله بل لحكم رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ، وكيف يُخَرِّب الدين و يغوي الخلق و يكذبه مع الله تعالٰى لا لأجل نفسه، فإن أولياء الله تعالٰى لا يتغيرون للنفس،فإنهم بذلوها في سبيل الله فلا يلاحظونها «فيشْتَدُّ غَضَبُ بَاطِنِهٖ ثُمَّ» يظهر أثر ذلك الغضب على «ظَاهِرِهٖ» بأنه «كَيْفَ يَدَّعِي السَّلَامَةَ» أي يدعي في الظاهر سلامة باطنه «مَعَ» تلوث باطنه بالرذائل «الْعِلَلِ وَالْاَوْجَاعِ الْبَاطِنَةِ» من الرياء والعجب والحرص وحب الدنيا، و حب الجاه والرياسة «وَ»العلل والأوجاع «الظَّاهِرَةِ» من الكبر والاشتغال بالدنيا الدنية تحصيلا و بقاء «وَ كَيْفَ يَدَّعِي التَّوْحِيْدَ مَعَ الشِّرْكِ الْخَفِي» ببقاء النفس و صفاتها قالوا: و ما وصل إلى صريح الحُرِّية مَن بقى عليه من نفسه بقية فأين من هو تحت أمرها مأمور، و في سولتها مغلوب، و هي عنده محبوب و مشهياتها لديه مرغوب «وَالشِّرْكُ» أي والحال أن الشرك مطلقا «كُفْرٌ» ظاهره في الشريعة و باطنه في الحقيقة «مُبَعِّدٌ مِنْ قُرْبِ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ» كما قال تعالٰى:

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوْا لِقَآءَ رَبِّهٖ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَّ لَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهٖٓ اَحَدًا﴾ [الكهف، السورة: ١٠،الآية: ١١]

و كيف لا «وَ هُوَ صِفَةُ الْعَدُوِّ الشَّيْطَانِ اللَّعِيْنِ وَ» صفة «الْمُنَافِقِيْنَ الْمَقْطُوْعِ لَهُمْ بِالدَّرْكِ الْاَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَ» المقطوع «بِالْخُلُوْدِ فيهَا» فإذا غضب الولي على ذلك المدعى الكاذب «فَ» ربما «يَجْرِىْ عَلٰى لِسَانِ» ذلك «الْوَلِيّ» الَّذِيْ أخذته الغيرة الدينية «ذِكْرُ عُيُوْبِهٖ وَ اَفْعَالِهِ الْخَبِيْثَةِ وَ وَقَاحَتِهٖ» أي عدم استحيائه ففي القاموس وقح الرجل ككرُم و فرِح و وعد وقاحة و وقوحة و قِحَةً و قَحَةً و وَقْحًا قَلَّ حياءُه «بِعَرِيْضِ دَعَاوِيْهِ» أي كثرة دعواه في الحلم والمروّة والصبر والمشيخة و عُلُوّ الهمة و نحو ذلك «وَ اِدِّعَائِهٖ اَحْوَالَ الصِّدِّيْقِيْنَ» في الاشتغال بالله والإعراض عما سواه تعالٰى «وَ مُزَاحَمَتِهٖ لِلْفَانِيْنَ فِي قَدْرِ الله تَعَالٰى وَ فِعْلِهٖ وَالْمُرَادِيْنَ» لله تعالٰى أي دخوله فيهم بالشدة بمجرد الدعوى «جَرْيًا قصديًّا» على وجهين «عَلٰى وَجْهِ الْغَيْرَةِ لله عَزَّ وَ جَلَّ» من غير ملاحظة صلاحه «مَرَّةً، وَ عَلٰى وَجْهِ الْاِنْكَارِ عَلَيْهِ وَالْوَعْظِ» والنصيحة إصلاحا «لَهٗ» مرة «اُخْرٰى وَ» جريانا غير قصدي و اختياري «عَلٰى وَجْهِ الْغَلَبَةِ بِفِعْلِ الله عَزَّ وَ جَلَّ وَ اِرَادَتِهٖ وَ شِدَّةِ غَضَبِهٖ عَلَى الْكَذَّابِ» كثير الكذب «الْمُكَذَّبِ» ظاهر الكذب مرة «اُخْرٰى» يعنى أجرى الله تعالٰى على لسان وليه ذكر عيوب الكذاب في محبة الله تعالٰى إما بتوسط قصد ذلك الولي في ذلك الذكر لمجرد الغيرة الدينية أو مع قصد صلاحه أيضًا.

و إما بغير توسط قصده بل بمجرد إظهار إرادته افتضاحه، و غضبه افتخارَه «فيضَافُ» بحسب الظاهر بسبب ذلك الجريان القصدي غيرة و إصلاحا، أو المغلوبى «اِلٰى وَلِيّ الله تعالٰى غِيْبَةٌ فَ» يشكل ذلك و «يُقَالُ» كيف يصح من ولي الله تعالٰى إظهار عيوب الخلائق «اَ يَغْتَابُ الْوَلِيُّ وَ هُوَ» أي والحال أنه «يَمْنَعُ مِنْهَا اَوَ يَذْكُرُ» ولي الله الشخص «الْغَائِبَ اَوِالْحَاضِرَ بِمَا لَمْ يَظْهُرْ عِنْدَ الْعَامِ وَالْخَاصِ» من أوصافه و عيوبه «فيصِيْرُ» أي يعود «ذٰلِكَ الْاِنْكَارُ» الصادر من الخلائق في حق ذلك الولي «فِي حَقِّهِمْ كَمَا قَالَ الله» تعالٰى في حق الخمر والميسر:

﴿يَسْئَلُوْنَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ؕ قُلْ فيهِمَآ اِثْمٌ كَبِيْرٌ وَّ مَنَافِعُ لِلنَّاسِ ز «وَ اِثْمُهُمَآ اَكْبَرُ مِنْ نَّفْعِهِمَا»﴾ [البقرة:٢،الآية:٢١٩]

و إنما كان مثله لأن الغيبة قبيحة منهية في الشرع فإنكاره حسن لكن لما كان

ذلك الإنكار على فعل الولي المطلع على خبث باطن الكذاب الصادر منه غيرة و إصلاحا أو مغلوبًا بالقدر يكون قبيحا «فَهٰذَا» الإنكار «فِي الظَّاهِرِ اِنْكَارُ الْمُنْكَرِ» الشرعي، و هى الغيبة و هو حسن «وَ فِي الْبَاطِنِ اِسْخَاطُ الرَّبِّ وَالْإِعْتِرَاضُ عَلَيْهِ» تعالىٰ لأنه تعالىٰ أجرىٰ على لسان وليه بواسطة قصده أو بدونه لغرض صحيح فهو من الله لله بلسان ولي الله فالاعتراض على هذا الفعل اعتراض على الله تعالىٰ، والاعتراض على الله موجب لسخط الله «فيصِيْرُ حَالُهُ» أي حال ذلك المدعي الكذاب «الْحَيْرَةُ» بالافتضاح لدى الخاص والعام.

و هذه الجملة هنا أجنبية كأنه وقع من الناسخ بأن يكون في الأصل المنقول عنه تركا مُوَجّها بعد قوله: "لا الاعتراض على الرب عَزَّ وَ جَلَّ" فكتبه الكاتب سهوا و غلطا ههنا و يكون بعد قوله: "والاعتراض عليه" تعالىٰ قوله:

«فيكُوْنُ فَرْضُهُمْ» أي لما ظهر أن ما جرىٰ على لسان ولي الله من ذكر معائب ذلك المدعي الكاذب حق، والاعتراض عليه اعتراض على الله فما صح ظن الخلق بولي الله أن ذلك غيبة منه فيكون الفرض عليهم «فيهَا» أي فيما جرى على لسان ولي الله «السُّكُوْتُ وَالتَّسْلِيْمُ وَ طَلَبُ الْمَسَاغِ» أي الجواز «لِذٰلِكَ فِي الشَّرْعِ وَالْجَوَازِ» فإن ذلك مقتضى الظن بأولياء الله تعالىٰ، فإنهم محفوظون عن الغيبة بر يئون عن التهمة «لَا الْإِعْتِرَاضُ عَلَى الرَّبِّ عَزَّ وَ جَلَّ» فإنه موجب لإسخاطه، و إسخاطه موجب لانتقامه، و انتقامه موجب لهلاك من انتقم منه. و كان ينبغي ههنا قوله: "فيصِيْرُ حَالُهُ" أي لما فضحه الله تعالىٰ على لسان وليه على رؤوس الخلائق فيصير حاله "الْحَيْرَة" «لِ» ظهور «اِفْتِرَائِهِ وَ كِذْبِهِ» فيما أخبر عن عُلُوِّ حاله كما افتضح المنافقون والكافرون بلسان نبيه فتحيروا في أمرهم ماذا يفعلون «وَ قَدْ يَكُوْنُ ذٰلِكَ» المذكور من جريان عيوب ذلك المدعي الكاذب على لسان وليه «سَبَبًا لِإِقْلَاعِهِ وَ تَبْرِيْهِ عَنْ ذٰلِكَ الدَّعْوٰى الْكَاذِبِ وَ تَوْبَتِهِ وَ رُجُوْعِهِ عَنْ جَهْلِهِ» بذلك الدعوى و حيرته بعد افتضاحه «فيكُوْنُ» ذكر الولي عيوبه «كَرَامَةً لِلْوَلِيِّ وَ نَفْعًا» لذلك «الْمَغْرُوْرِ الْهَالِكِ بِغُرُوْرِهِ وَ رُعُوْنَتِهِ» و حماقته

﴿«وَاللهُ يَهْدِىْ مَنْ يَّشَآءُ اِلٰى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍ»﴾ [النور،السورة:٢٤، الآية:٤٦]

اَلْمَقَالَةُ الرَّابِعَةُ وَالسَّبْعُوْنَ

فِي مَا يَنْظُرُ الْعَاقِلُ فِي صِفَةِ نَفْسِهٖ وَ تَرْكِيْبِهٖ

قَالَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ: قِيْلَ: اَوَّلُ مَا يَنْظُرُ الْعَاقِلُ فِي صِفَةِ نَفْسِهٖ وَ تَرْكِيْبِهٖ ثُمَّ فِي جَمِيْعِ الْمَخْلُوْقَاتِ وَالْمُبْدَعَاتِ فَيَسْتَدِلُّ بِذٰلِكَ عَلٰى خَالِقِهَا وَ مُبْدِعِهَا؛ لِاَنَّ فِي الصَّنْعَةِ دَلَالَةً عَلَى الصَّانِعِ وَ فِي الْقُدْرَةِ الْمُحْكَمَةِ اٰيَةً تَدُلُّ عَلَى الْفَاعِلِ الْحَكِيْمِ؛ فَاِنَّ الْاَشْيَاءَ كُلَّهَا مَوْجُوْدَةٌ بِهٖ تَعَالٰى، هٰذَا فِي مَعْنٰى مَا ذُكِرَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللّٰه تَعَالٰى عَنْهُمَا فِي تَفْسِيْرِ قَوْلِهٖ تَعَالٰى:

﴿وَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمٰوٰتِ وَ مَا فِي الْاَرْضِ جَمِيْعًا مِّنْهُ﴾

[الجاثية، السورة:٤٥، الآية:١٣]

اَيِ الْكُلُّ مِنْهُ، فَقَالَ: فِي كُلِّ شيءٍ اِسْمٌ مِنْ اَسْمَائِهٖ وَ اِسْمُ كُلِّ شيءٍ مِّنْ اِسْمِهٖ فَاِنَّمَا أنت بَيْنَ اَسْمَائِهٖ وَ صِفَاتِهٖ وَ اَفْعَالِهٖ، بَاطِنٌ بِقُدْرَتِهٖ وَ ظَاهِرٌ بِحِكْمَتِهٖ ظَهَرَ بِصِفَاتِهٖ وَ بَطَنَ بِذَاتِهٖ حَجَبَ الذَّاتَ بِالصِّفَاتِ وَ حَجَبَ الصِّفَاتِ بِالْاَفْعَالِ وَ كَشَفَ الْعِلْمَ بِالْاِرَادَةِ وَ اَظْهَرَ الْاِرَادَةَ بِالْحَرَكَاتِ وَ اَخْفَى الصَّنْعَ بِالْاِرَادَاتِ وَ هُوَ بَاطِنٌ فِي غَيْبِهٖ وَ ظَاهِرٌ فِي حِكْمَتِهٖ وَ قُدْرَتِهٖ.

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهٖ شيءٌ وَ هُوَ السَّمِيْعُ الْبَصِيْرُ﴾

[الشورى،السورة:٤٢،الآية:١١]

وَ لَقَدْ اَظْهَرَ فِي هٰذَا الْكَلَامِ مِنْ اَسْرَارِ الْمَعْرِفَةِ مَا لَا يَظْهَرُ اِلَّا مِنْ مِشْكٰوةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ هِيَ اَثَرُ رَفْعِ يَدِ الْعِصْمَةِ بِابْتِهَالٍ. اَللّٰهُمَّ فَقِّهْهُ فِي

الدِّيْنِ وَ عَلِّمْهُ التَّاوِيْلَ. اَنَالَنَا اللهُ تَعَالٰى بَرَكَاتِهِمْ وَ حَشَرَنَا فِي زُمْرَتِهِمْ.

ثم أراد الغوث الأعظم قدس الله سره العزيز أن يبين الإشارة إلى طريق كيفية الفناء في الله تعالى والبقاء به فـ «قَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:»

«قِيْلَ اَوَّلُ مَا» أي أول حين «يَنْظُرُ الْعَاقِلُ فِي صِفَةِ نَفْسِهِ وَ تَرْكِيْبِهٖ ثُمَّ فِي جَمِيْعِ الْمَخْلُوْقَاتِ وَالْمُبْدَعَاتِ فَيَسْتَدِلُّ بِذٰلِكَ عَلٰى خَالِقِهَا وَ مُبْدِعِهَا، لِاَنَّ فِي الصَّنْعَةِ دَلَالَةً عَلَى الصَّانِعِ وَ فِي الْقُدْرَةِ الْمُحْكَمَةِ اٰيَةً تَدُلُّ عَلَى الْفَاعِلِ الْحَكِيْمِ، فَاِنَّ الْاَشْيَاءَ كُلَّهَا مَوْجُوْدَةٌ بِهٖ تَعَالٰى» ليس لها في ذاتها وجود بل اذا تعمق النظر الصائب يعرف أن الأشياء لم يشم رائحة الوجود، و أن الوجود هو جزئي حقيقي ليس فيه تعدد و لا اشتراك، و إنما يرى الأشياء موجودة بمعنى أن لها نسبة إلى حضرة الوجود مجهول الكيفية على وجوه مختلفة و أنحاء شتى، و في قوله قدس سره: "إن الأشياء كلها موجودة به تعالى" إشارة إلى ما ذكرنا فتأمل، و إليه يشير قوله تعالى:

﴿سَنُرِيْهِمْ اٰيٰتِنَا فِي الْاٰفَاقِ وَ فِيْ اَنْفُسِهِمْ حَتّٰى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ اَنَّهُ الْحَقُّ ط اَلَاۤ اِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْ لِّقَاۤءِ رَبِّهِمْ ط اَلَاۤ اِنَّهٗ بِكُلِّ شيء مُّحِيْطٌ﴾[حم السجدة، السورة:٤١، الآية:٥٣، ٥٤]

و في هذه الآية الكريمة لأرباب الإشارة كلام يدل على عُلُوِّ حالٍ و سُنُوِّ مقامٍ، و هم حملوا الإحاطة على الإحاطة الذاتية، و حملها أرباب العلم على الإحاطة العلمية كما ورد مفسرا في أية أُخرى:

﴿وَ اَنَّ اللهَ قَدْ اَحَاطَ بِكُلِّ شيء عِلْمًا﴾.[الطلاق،السورة:٦٥،الآية:١٢]

«هٰذَا» الَّذِيْ ذكرنا من طريق الاستدلال بالنظر العاقل في صفة نفسه و تركيبه ثم في جميع المخلوقات «فِي مَعْنٰى مَا ذُكِرَ» و يستفاد مَا نقل «عَنِ» عبدالله «ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ تَعَالٰى عَنْهُمَا فِي تَفْسِيْرِ قَوْلِهٖ تَعَالٰى:»

﴿اَللهُ الَّذِيْ سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِاَمْرِهٖ وَ لِتَبْتَغُوْا مِنْ فَضْلِهٖ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُوْنَ. «وَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمٰوٰتِ وَ مَا فِي الْاَرْضِ جَمِيْعًا مِّنْهُ» ط اِنَّ فِي

ذٰلِكَ لَاٰيٰتٍ لِّقَوْمٍ يَّتَفَكَّرُوْنَ﴾. [الجاثية،السورة:٤٥،الآية:١٢، ١٣]

فقوله: "منه" حال من ما أي سخر هذه الأشياء جميعا كائنة من الله تعالٰى، أو خبر لمحذوف أي هي جميعا منه تعالٰى كذا في البيضاوى، و إليه أشار الغوث الأعظم بقوله: «أي الْكُلُّ مِنْهُ» فهو موجد الكل و مُظهِره من كتم العدم إلى ساحة الوجود و فضاء الشهود و أعطى من شاء منهم عزَّ الحضور بغاية السرور برش النور «فَقَالَ» ابن عباس: «فِي كُلِّ شيءٍ اِسْمٌ مِنْ اَسْمَائِهٖ» أي ظهور اسم من أسمائه فلا يخلو ذرة من ذرات العالم من ظهور اسم من أسمائه الحسنى. و ذلك لأن الله تعالٰى خلق الأشياء فجعل جميعها مَظْهَر اسم الله والخالق و القادر والملِك و مالِك الملك والعليم والمريد والبارئ والرب، فإن الله تعالٰى إله الكل و خالقه و القادر و مَلِكُه و مالِكه و مريده و بارئه و رَبُّه، وكذا العالي والمتعالي والمتكبرو الخبير والمبدي والمعيد والقيوم والعظيم و الكبير والعليّ والحفيظ والحكيم فإن العالم كله بجميع أجزائه مالوهة و مخلوقة و مقدورة و مِلكه و مملوكه و معلومه و مراده و مربوبه و كذا علوه و تعاليه و تكبره ظاهر على الكل، و كذا أثرالإبداء والإعادة والقَيُّوميّة ظاهر في الكل.

و أما باقي الأسماء فأثرها و إن لم يظهر في جميع الأشياء لكن بعض الأشياء مَظْهر لبعض الأسماء و بعضها مَظهر لبعضها، فإن الانبياء و أممهم الصالحين مظهر اسم الهادي والشياطين والجن والإنس الكَفَرة مظهر اسم المضل.و بعض من الكل مظهر المُعِزّ والمذل، و بعضها مظهر الغنيّ والمغني، وكذا اللطف والقهر والعفو والانتقام والجبارية والقهارية والرحمانية والغفارية يوجد بعضها في بعض و بعضها في بعض آخر، و بالجملة لا يخلو شيء منها عن ظهور اسم من أسمائه العظام هذا بحسب الشريعة. و أما بحسب الحقيقة على ما ذكره أرباب الكشف والعيان فهو أن الله تجلى في جميع الأشياء بحسب ذاته و أسمائه، فإن جميع الكمالات التابعة للوجود مثل الحيوة والقدرة والإرادةوالعلم يظهر حيث مايظهر الوجود كمالًا و نقصانًا و خُصَّ البعض بالبعض باعتبار غلبة ظهوره فيه من غيره كما أن الأجسام الطبيعية كلها مركب من العناصر الأربعة و تخصيص البعض بالنارية أو بالهوائية أو بالمائية

أو بالطينية باعتبار غلبة ذلك العنصر فيه و توجه الكل إلى الله تعالى باعتبار ذلك الاسم الَّذِيْ هو في تربيته كما قال تعالى :

﴿وَ اِنْ مِّنْ شيء اِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهٖ وَ لٰكِنْ لَّا تَفْقَهُوْنَ تَسْبِيْحَهُمْ﴾.[بنى اسرائيل، السورة: ١٧،الآيه: ٤٤]

و قال تعالى:

اَ لَمْ تَرَ اَنَّ الله يُسَبِّحُ لَهٗ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَالطَّيْرُ صٰٓفّٰتٍ ط كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهٗ وَ تَسْبِيْحَهٗ.[النور،السورة: ٢٤،الآية: ٤١١]

و صرح بعضهم أن ذلك العلم قد انكشف لرسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ فقال: "اَلَمْ تَرَ" فإن المستفاد من هاتين الآيتين ظهور الحيٰوة والعلم و القدرة والإرادة و غير ذلك في جميع الأشياء لكن على قدر قابليتها، والإنسان الكامل تجلى الله تعالى فيه بذاته و جميع صفاته و لذا صار عارفا بجميع أسمائه و صار خليفة لله تعالى كما قال تعالى في حق أدم أبي البشر عليه السلام:

﴿وَ اِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ اِنِّيْ جَاعِلٌ فِي الْاَرْضِ خَلِيْفَةً﴾. [البقرة،السورة: ٢،الآية: ٣٠]

«وَ اِسْمُ كُلِّ شيء مِّنْ اِسْمِهٖ» أما في ظاهر الشريعة فلأن الأسماء كلها توقيفية كما هو مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري بمعنى أن الله تعالى خلق علما ضروريا بتلك الألفاظ و بتلك المعاني، و بأن تلك الألفاظ لتلك المعاني بدليل قوله تعالى :

﴿وَ عَلَّمَ اٰدَمَ الْاَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾.[البقرة،السورة: ٢،الآية: ٣١]

و بقوله:

﴿لَا عِلْمَ لَنَآ اِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾.[البقرة،السورة: ٢،الآية: ٣٢]

و هذا صريح في أن أدم عليه السلام والملائكة لا يعلمون إلا بتعليم الله تعالى إياهم.

وأجاب المخالفين في ذلك بأنه عدول عن الظاهر من غير ضرورة، و كان الله تعالى علم مع ذلك صفات الأشياء و نعوتها و خواصها و ما يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية، لأن اشتقاق الاسم من السمة أو من السمو، فإن كان من السمة

فالاسم هو العلامة و صفات الأشياء و خواصها دالة على ماهيتها و علامة عليها، و إن كان من السمو فدليل الشيء كالمرتفع على ذلك الشيء؛ لأن العلم بالدليل حاصل قبل العلم بالمدلول، و إنما حملنا على ذلك التعميم، لأن الفضيلة في معرفة حقائق الأشياء أتم و أكثر من الفضيلة في معرفة مجرد أسمائها.

و أما بحسب التصوف فلأن أسماء الله تعالىٰ كليات و جزئياتها لا تنحصر فكما أن ذوات الأشياء و صفاتها من ذاته المقدسة و صفاته الكاملة كذلك اسم كل شيء من أسمائه الحسنى على أن كل اسم فإنما يركب من الحروف الثمانية والعشرين و هذه الحروف أخذتها أسماء الله تعالىٰ قبل ظهور تسمية الأشياء.

«فَإِنَّمَا أنت بَيْنَ اَسْمَائِهِ وَ صِفَاتِهِ وَ اَفْعَالِهِ» أي إذا علمت من قولنا: "في كل شيء اسم من أسمائه" أن ظهور جميع الأشياء منه تعالىٰ و هو متجلى فيه ذاتا و صفة و فعلا و اسما ظَهَرَ لك أنك لستَ إلا بين هذه التجليات، فإن العالَم لا يخلو من هذه التجليات الثلثة، فإن أوّل ما يظهر من التجلي للسالك تجلي طر يق الأفعال، و هو أن لا يرى في العالم إلا فعل الله، و لا مؤثرفي الوجود غير الله تعالىٰ، و هو أول فتوحات السالكين. و ثانيها: تجلي الصفات و هو أن يرى كل قدرة مستغرقا في قدرته الشاملة، و كل علم مضمَحلًّا في علمه الكامل بل يرى كل كمال لمعة من عكس كماله. و ثالثها: تجلي الذات و هنا تنمحى الإشارة و تنطمس العبارة بل فيه محوأثارالوجود عند لَمَعان نور الشهود و حينئذ يقال: لا موجود إلا الله فظهر حقيقة قول ابن عباس رضى الله تعالىٰ عنهما: فإنما أنت بين اسمائه و صفاته و أفعاله «بَاطِنٌ بِقُدْرَتِهِ» أي يظهر عليك هذه التجليات.[1] الثلث، و أنت تتقلب فيها عروجا و

---

(1) و من كلام صاحب هذه المرتبة يعني مرتبة الفناء في الله والبقاء به وَلَدَتْ أمّي أباها أن ذا من عجبات و أنا طفل صغير في حجور المرضعات، و تفسيره أن المراد بالولادة ظهور العالم، و من الأم الأعيان الثابتة، و من الأب الوجود، و من أنا العالم، و من المرضعات الأسماء الإلهية و إليه أشارمن قال:

وجود هست پدر عين ثابته ما در
جهان شناس چو فرزند و دايكان اسماء

نزولا و ثباتا و فرارا و صيّرك باطنا بقدرته، فإن القدرة من الصفات و حين ظهور تجلى الصفات يصير العبد مستورا تحتهالا تأثير لك و لا اثر منا أصلا «وَ ظَاهِرٌ بِحِكْمَتِهِ» حيث يجري الأحكام الشرعية عليك فالخلق من الله تعالىٰ، والكسب ينسب إليك «ظَهَرَ» هو تعالىٰ فيك «بِصِفَاتِهِ» فإنها بحسب الظاهر جارية على يدك «وَ بَطَنَ» فيك «بِذَاتِهِ» فالمؤثر والموجد والخالق هو الله سبحانه، و إليه يشير قوله تعالىٰ لنبيه صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ:

﴿وَ مَا رَمَيْتَ اِذْ رَمَيْتَ وَ لٰكِنَّ اللهَ رَمٰى﴾.[الأنفال،السورة:٨،الآية:١٧]

«حَجَبَ الذَّاتَ بِالصِّفَاتِ» فمن ظهر عليه تجلي الصفات فهو أيضا محجوب عن الذات، فإن من ظهر عليه تجلي الذات أقل قليل «وَ حَجَبَ الصِّفَاتِ بِالْاَفْعَالِ» فمن ظهر عليه تجلي الأفعال فهو لا يرى إلا الأ فعال من الله تعالىٰ محجوب عن تجلي الصفات و هؤلاء أيضا قليلون، و من كشف له تجلي الأفعال فهم كثيرون بالنسبة إلى الوسطاني و قليلون بالنسبة إلى الأفراد الإنساني «وَ كَشَفَ الْعِلْمَ» الَّذِيْ هو من الصفات «بِالْإِرَادَةِ» التي هى من الأفعال، فإن الأفعال كما قال أوّلا حُجُبُ الصفات «وَ اَظْهَرَ الْإِرَادَةَ» التي هي من الأفعال «بِالْحَرَكَاتِ» أي حركات الخلائق التي هي من الآثار و اٰثار الاٰثار «وَ اَخْفى الصَّنْعَ» الذاتي في الصفة الستترة «بِالْإِرَادَاتِ» الجزئية التي هي من الأفعال «وَ هُوَ» تعالىٰ «بَاطِنٌ فِي غَيْبِهٖ» أي غيبة ذاته «وَ ظَاهِرٌ فِي حِكْمَتِهٖ وَ قُدْرَتِهٖ» اللتين الأول منهما من الأفعال، والثانى من الصفات. «لَيْسَ كَمِثْلِهٖ شيءٌ» إذ ليس لأحد هذه الصفات بأن يحجب ذاته بصفاته، و صفاته بأفعاله، و افعاله بحركات الخلائق فلما لم يصلح شيء منها لغيره لا يكون أحد مثله «وَ هُوَ السَّمِيْعُ» لمقالات الخلائق «الْبَصِيْرُ» لأعمالهم.

إن خيرا يجازي خيرا أز يد مما عملوا أضعافا مضاعفة رحمة و فضلا، و إن شرا يجازى شرا إن شاء عدلا أو يعفو عنه رحمةً و فضلا ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو فضل العظيم.

و لما كان كلام ابن عباس مُظْهِرًا لِاَسرار العرفان على الناس و إن كان تحت

اللباس لكنه دافع للوسواس و محَصِّل للاستيناس و مروّح من شدّة البأس من ر يبة التلبيس والإلباس من معاني يسمع من كلام الخواص أثنى عليه الغوث الأعظم، واستدل على ذلك بدعاء سيد العالم من أولاد بني أدم عليه الصلوة والسلام من الملك العلام فقال «وَ لَقَدْ اَظْهَرَ» الله تعالىٰ بكمال لطفه و فضله على العباد العرفاء «فِي هٰذَا الْكَلَامِ» الصادر من ابن عباس رضي الله تعالىٰ عنهما «مِنْ اَسْرَارِ الْمَعْرِفَةِ مَا» أي مرتبة «لَا يَظْهَرُ» مثله «اِلَّا مِنْ مِشْكٰوةٍ فيهَا مِصْبَاحٌ» المراد به صدرفيه مصباح التائيد الإلهي التي «هِيَ اَثَرُ رَفْعِ يَدِ الْعِصْمَةِ» النبو ية[1] لأجل الدعاء في حقه «بِابْتِهَالٍ» و توجه بال بأفصح مقال قائلا.

«اَللّٰهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّيْنِ وَ عَلِّمْهُ التَّاوِ يْلَ»[2].

روى الشيخان عن ابن عباس رضى الله تعالىٰ عنه أنه قال: إن النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ دخل الخلاء فوضعتُ له وَضُوْءً فلما خرج قال مَن وضع هذا؟ فأخبر، فقال: "اَللّٰهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّيْنِ" «اَنَالَنَا الله تَعَالىٰ» و أوصلنا «بَرَكَاتِهِمْ وَ حَشَرَنَا» و أدخلنا «فِي زُمْرَتِهِمْ».

---

(1) صفة اليد، من الشارح

(2)رواه البخاري برقم:١٤٣، ومسلم برقم:٢٤٧٧، وروى الإمام أحمد في المسند ٤/ ٢٢٥.

اَلْمَقَالَةُ الْخَامِسَةُ وَالسَّبْعُوْنَ

في الْوَصِيَّةِ بِتَقْوَى الله تَعَالٰى وَ طَاعَتِهِ وَ لُزُوْمِ ظَاهِرِ الشَّرْعِ وَ بِمَحَاسِنِ الْاَخْلَاقِ وَ فيهَا بَيَانُ حَقِيْقَةِ الْفَقْرِ وَ حَقِيْقَةِ الْغِنٰى وَ حَقِيْقَةِ التَّصَوُّفِ

قَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: اُوْصِيْكَ بِتَقْوَى الله وَ لُزُوْمِ ظَاهِرِ الشَّرْعِ وَ بِسَلَامَةِ الصَّدْرِ وَ سَخَاءِ النَّفْسِ وَ بَشَاشَةِ الْوَجْهِ وَ بَذْلِ النَّدٰى وَ كَفِّ الْاَذٰى عَنِ الْمُسْلِمِيْنَ وَ تَحَمُّلِ الْاَذٰى وَ الْفَقْرِ وَ حِفْظِ حُرُمَاتِ الْمَشَائِخِ وَ حُسْنِ الْمُعَاشَرَةِ مَعَ الْاِخْوَانِ وَالنَّصِيْحَةِ لِلْاَصَاغِرِ وَ تَرْكِ الْخُصُوْمَةِ فِي الْاِرْفَاقِ وَ مُلَازَمَةِ الْاِيْثَارِ وَ مُجَانَبَةِ الْاِدِّخَارِ وَ تَرْكِ صُحْبَةِ مَنْ لَيْسَ مِنْ طَبَقَتِهِمْ وَالْمُعَاوَنَةِ فِي اَمْرِ الدِّيْنِ.

«قَالَ رَضِيَ الله تَعَالٰى عَنْهُ» في وصية له: «اُوْصِيْكَ» يا عبدالله «بِتَقْوَى الله» في كل حال «وَ لُزُوْمِ ظَاهِرِ الشَّرْعِ» المحمدي المبلغ لك إلى ذَرْوة الكمال، فإن الخير فيه في جميع الأحوال «وَ» أوصيك «بِسَلَامَةِ الصَّدْرِ» عن الصفات الذميمة كلها من الحقد والحسد والمكر والغيبة والنميمة والكذب والافتراء والبهتان والحرص، و سلامة الصدر أصل عظيم عند المشائخ لفيضان الفيض «وَ سَخَاءِ النَّفْسِ» و يكفي في فضله ما رواه الترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ اٰلِهِ وَ سَلَّمَ: السخى قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار، والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب من النار، والجاهل سخى أحب إلى الله من عابد بخيل [1] انتهى.

«وَ بَشَاشَةِ الْوَجْهِ» و هو إظهار السرور عند الملاقاة بالإخوان والأحبة و هو مأثور و فيه أجر و في الأثر: تبسمك في وجه أخيك صدقة «وَ بَذْلِ النَّدٰى» أي

(١) رواه الترمذي في ابواب البر والصلة، باب ماجاء في السخاء، برقم: ١٩٦١.

العطية و هو ما ينتفع به الناس بل ذوي الأكباد قليلا كان أو كثيرا «وَ كَفِّ الْأَذٰى عَنِ الْمُسْلِمِيْنَ» بأيّ وجه كان حتى عن الطر يق كما وردفي الصحيحين عن أبي هر يرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

مر رجل بُغصن شجرة على ظهر طر يق فقال لَأُنْحَيَنَّ هذا عن طر يق المسلمين لا يؤذيهم فأدخل الجنة.[1]

و فيهما عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم:

غفر لأمراة مؤمنة مرّت بكلب على رأس ركية يلهث كاد يقتله العطشُ فنزعت خفها فأوثقته بخمارها فنزعت له من ماء فغفرلها بذلك، قيل: إن لنا في البهائم أجرا؟ قال في كل ذات كبد.[2]

«وَ تَحَمَّلِ الْأَذٰى» والجفا من كل أحد حتى الامرأة والوِلدان والْأَحِبَّة والإخوان والإِمَاءِ والغِلمان و عن الأجانب والأقران «وَ» أوصيك «الْفَقْرِ» المراد به الاختياري قال رويم: حرمة الفقر في السر والإخفاء فمن كشف و أظهر مع الخلق فليس بفقير و ليس في فقره كرامة.

و قد روى الترمذى عن أبي هر يرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمس مائة عام نصف يوم.

«وَ حِفْظِ حُرُمَاتِ الْمَشَائِخِ» فإن التواضع مطلقا نافع كما ورد:

"من تواضع رفعه الله".

سيما مع الكبار والمشائخ فإنه مثمر للنتائج حتى ورد فيه:

"من لم يرحم صغارنا و لم يؤقره كبارنا فليس منا".

قال شيخ الشيوخ في العوارف، احترام العلماء توفيق و هداية، و إهمال ذلك خذلان و عقوبة. و أما الاعتراض نعوذ بالله من ذلك فهو موجب للحرمان عن العرفان ذكره جمع كثير من المشائخ الكرام حتى قيل: من ترك حرمة المشائخ ابتلى

---

(1) رواه مسلم في صحيحه برقم: ١٩١٥.

(2) رواه مسلم في صحيحه

بالدعاوى الكاذبة و افتضح بها.و قيل: من شغل مشغولا بالله أدركه المقت من ساعته. و قال رو يم من أقران الجنيد: من قعد مع الصوفية و خالفهم في شئي مما يتحققون به نزع الله نور الإيمان من قلبه «وَ حُسْنِ الْمُعَاشَرَةِ مَعَ الْإِخْوَانِ» و هي عبارة عن البشر والانبساط والموافقة و بذل المعروف والإحسان و تحمل الأذى و ترك المخاصمة والمجادلة والاستهزاء والازدراء والمزاحمة والمغالبة والغيبة والوقيعة والنميمة والنقيصة «وَالنَّصِيْحَةِ لِلْاَصَاغِرِ» كالوالد بالشفقة والإرشاد والتأديب على ما يوجبه حكم المذهب و يدلّهم على ما فيه صلاحهم لا على ما يحبونه، و يزجرهم عما لا يعنيهم «وَ تَرْكِ الْخُصُوْمَةِ فِي الْإِرْفَاقِ» أي ترك الخصومة مع اللين لا مع الشدة والإعراض بالخشونة إن قرئ بكسر الهمزة، و بمعنى العطاء والأخذ في المعاملات إن قرئ بفتحها «وَ مُلَازَمَةِ الْإِيْثَارِ وَ مُجَانَبَةِ الْإِدِّخَارِ».

نقل في العوارف عن أبي حفص أنه قال: الإيثار أن يقدم حظوظ

الإخوان على حظوظه في أمرالدنيا والاخر، وأما عدم الادخار فيكفي فيه مارواه البيهقى عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه و سلم دخل على بلال و عنده صُبرة من تمر فقال: ما هذا يا بلال؟قال شيئى ادخرته لغد، فقال: أما تخشى أن ترى له غدا بخارا في نار جهنم يوم القيمة، أنفق يا بلال و لا تخشَ من ذي العرش إقلالا

«وَ تَرْكِ صُحْبَةِ مَنْ لَيْسَ مِنْ طَبَقَتِهِمْ»

قال العرفاء: ما اَوْقَعَ العقلاءَ في البلاء إلا صحبةُ السفهاء.

و قالوا: الشرف في ثلث: إجلال الكبير، و مداراة النظير، و رفع النفس عن الحقير.

و قالوا: الجلساء ثلثة: جليس تستفيد منه فالزمه، و جليس تفيده فأكرمه، و جليس لا تستفيد منه و لا تفيده فاهرب منه.

و قيل: من يصحب صاحب سوء لم يسلم، و من يدخل مدخل سوء يُتَّهَم.

و قيل: كل أحد يعرف بقرنائه و يُنسَب إلى خلطائه.

و قال فتح الموصلى: صحبت ثلثين شيخا كانوا يُعَدُّ ون جميعهم من الأبدال

كلهم أوصاني عند فراقي إياهم، فقالوا: إياك و معاشرة الأحداث.

«وَالْمُعَاوَنَةِ فِي اَمْرِ الدِّيْنِ» فإن الصحبة غرضها الإفادة والاستفادة فينبغى أن يراعى ذلك. قال الله تعالىٰ:

﴿وَ تَعَاوَنُوْا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوٰى ص وَ لَا تَعَاوَنُوْا عَلَى الْاِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ص وَاتَّقُوا الله ط اِنَّ الله شَدِيْدُ الْعِقَابِ﴾. [المائدة، السورة: ٥، الآية: ٢]

وَ حَقِيْقَةُ الْفَقْرِ اَنْ لَّا تَفْتَقِرَ اِلٰى مَنْ هُوَ مِثْلُكَ، وَ حَقِيْقَةُ الْغِنٰى اَنْ تَسْتَغْنِيَ عَمَّنْ هُوَ مِثْلُكَ، وَالتَّصَوُّفُ مَا اُخِذَ مِنَ الْقِيْلِ وَالْقَالِ لٰكِنْ بِالْجُوْعِ وَ تَرْكِ الدُّنْيَا وَ قَطْعِ الْمَأْلُوْفَاتِ وَالْمُسْتَحْسَنَاتِ. وَ لَا تَبْدَاِ الْفَقِيْرَ بِالْعِلْمِ وَابْدَاهُ بِالرِّفْقِ فَاِنَّ الْعِلْمَ يُوْحِشُهُ وَالرِّفْقَ يُوْنِسُهُ. وَالتَّصَوُّفُ مَبْنِيٌّ عَلٰى ثَمَانِ خِصَالٍ: اَلسَّخَاءُ لِاِبْرَاهِيْمَ، وَ الرِّضَاءُ لِاِسْحَاق، وَ الصَّبْرُ لِاَيُّوْب، وَ الْاِشَارَةُ لِزَكَرِيَّا، وَ الْغُرْبَةُ لِيَحْيٰى، وَ لُبْسُ الصُّوْفِ لِمُوْسٰى، وَ السِّيَاحَةُ لِعِيْسٰى، وَ الْفَقْرُ لِمُحَمَّدٍ رَسُوْلِ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ وَ عَلَيْهِمْ اَجْمَعِيْن.

«وَ حَقِيْقَةُ الْفَقْرِ اَنْ لَّا تَفْتَقِرَ اِلٰى مَنْ هُوَ مِثْلُكَ» في كونه مخلوقا بل توجه إلى الخالق الَّذِيْ خلقك و خلق من تفتقر إليه، و ترجو منه وتخاف منه و هو أعطى من ترجوه فافتقر إليه كيلا تفتقر إلى الفقير.

و في الحديث: عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم:

مَنْ قَالَ فِي الْجُمُعَةِ سَبْعِيْنَ مَرَّةً اَللّٰهُمَّ اغْنِنِيْ بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ وَ بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ ، لَمْ يَمُرَّ بِهٖ جُمُعَتَانِ حَتّٰى يُغْنِيَهُ الله تَعَالٰى.

قال غير أنس: فجربته فوجدته كذلك.

«وَ حَقِيْقَةُ الْغِنٰى اَنْ تَسْتَغْنِيَ عَمَّنْ هُوَ مِثْلُكَ» في كونه مخلوقا فإن جميع ما سوى الله تعالىٰ مثلك في كونه مخلوقا لله فالاستغناء عنه استغناء بالمكوّن عن الكونين.

«وَالتَّصَوُّفُ» هل تعرفه أنه «مَا اُخِذَ مِنَ الْقِيْلِ وَالْقَالِ» فإن القيل والقال

لا يبلغ الطالب إلى أرفع الأحوال بل اجتهد في الأعمال على وفق ذلك المقال الدال على أحسن الأحوال تبلغ إن شاء الله سبحانه مبلغ الكمل من الرجال «لٰكِنْ بِالْجُوْعِ» أي بالتزام الجوع «وَ تَرْكِ الدُّنْيَا وَ قَطْعِ الْمَألُوْفَاتِ وَالْمُسْتَحْسَنَاتِ».

سئل الشيخ الكامل أبو سعيد أبوالخير عن التصوف فقال: ضع ما في رأسك يعني الأنانية والنفسانية، و أنفق ما في يدك، و حمِّل ما يوضع عليك من غير إنكار و كراهية. و قال: ليس الحجاب بين الله و بين العبد السماء والأرض و لا العرش والكرسي إنما الحجاب ذاتك و علمك بنفسك متى خرجت عنك وصلت «وَ لَا تَبْدَإِ الْفَقِيْرَ بِالْعِلْمِ» بأن تُفَسِّرَه و تُبَيِّنَ عنده حقيقةَ الفقر و لوازمَه بل «وَابْدَاهُ بِالرِّفْقِ» أي بحسن المعاملة بالخدمة والبشاشة والإعانة «فَإِنَّ الْعِلْمَ يُوْحِشُهُ» اذ مَجرى العادة على أن الامتحان مخل بالموده و موجب لقطع الألفة «وَالرِّفْقَ يُوْنِسُهُ» إذ ليس في حسن المعاملة ما يوجب كدورة الخاطر بل ما ينشرح به الصدر.

و في حديث رواه مسلم: أن الله رفيق يحب الرفق و يعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف و ما لا معطى على ما سواه.

و في رواية: الرفق لا يكون في شيئ إلا زانه، و لا ينزع من شيء إلا شانه.

و أيضًا في حديث رواه مسلم: من يحرم الرفقَ يحرم الخلق.

«وَالتَّصَوُّفُ مَبْنِيٌ عَلٰى ثَمَانِ خِصَالٍ» مأخوذة من أنبياء الله تعالٰى و رسله صلوات الله تعالٰى عليهم أجمعين:

أولها: «اَلسَّخَاءُ» أعطاه الله تعالٰى «لِ» خليله «اِبْرَاهِيْمَ» عليه السلام حتى تصدق جميع ماله في حالة كان له مع الله تعالٰى و كان لا ياكل إلا مع الضيف.

«وَ» ثانيها: «اَلرِّضَاءُ» أعطاه الله تعالٰى «لِ» نبيه «اِسْحَاق» عليه السلام، و ذكر صاحب كشف المحجوب في وجهه أنه رضي بقضاء الله تعالٰى في ذبحه و كأنَّ هذا مبني على القول بأن الذبيح هو اسحاق عليه السلام.

«وَ» ثالثها: «اَلصَّبْرُ» أعطاه الله تعالٰى «لِ» نبيه «اَيُّوْب» عليه السلام و قصته مشهورة حتى قال تعالٰى:

﴿اِنَّا وَجَدْنٰهُ صَابِرًا ط نِعْمَ الْعَبْدُ ط﴾[صٓ،السورة:٣٨،الآية:٤٤]

«وَ» رابعها: «الْإِشَارَةُ» أعطاه الله تعالیٰ «لِ» نبيه «زَكَرِيَّا» عليه السلام، فإنه لما طلب الولد من الله تعالیٰ بشره الله تعالیٰ به فطلب اٰيةً على ذلك فأعطاه الله اٰية أن لا يقدر على التكلم ثلثة أيام بل يرمز رمزا كما ذكر في القراٰن:

﴿اٰيَتُكَ اَنْ لَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلٰثَةَ اَيَّامٍ اِلَّا رَمْزًا﴾. [اٰل عمران،السورة:٣، الآية:٤١]

والرمز: الإ شارة الخفية.

«وَ» خامسها: «الْغُرْبَةُ» أي العزلة عن النساء أعطاها الله تعالیٰ «لِ »نبيه «يَحْيٰى» عليه السلام كما وصفه الله تعالیٰ في القراٰن

﴿وَ حَصُوْرًا وَّ نَبِيًّا مِّنَ الصّٰلِحِيْنَ﴾. [اٰل عمران،السورة:٣،الآية:٣٩]

والحصور من يعتزل النساء مع القدرة عليها و كان في وطنه غر يبا و في الأقارب أجنبيا لِأُنسه بالحق تعالیٰ و وحشته عن الخلق.

«وَ» سادسها: «لُبْسُ الصُّوْفِ» أعطاه الله تعالیٰ «لِ »كليمه «مُوْسٰى» عليه السلام فإن ذلك كان لباسه مدة عمره.

«وَ» سابعها: «اَلسِّيَاحَةُ» أعطاها الله «لِ »روحه «عِيْسٰى» عليه السلام فإنه ليس له مسكن معين و لا مأوى معين يسيح في الأرض القفر، و لا يدخل البُلدان إلا أحيانا إصلاحا للخلق.

«وَ» ثامنها: «اَلْفَقْرُ» أعطاه الله تعالیٰ «لِ» حبيبه «مُحَمَّدٍ رَسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ وَ عَلَيْهِمْ اَجْمَعِيْنَ».

روي أنه يأتي عليه شهر و شهران لم توقد في بيت من بيوته نار و كان غذاءهم الماء والتمر، و مع ذلك يقول الفقر فخري. و أن الله تعالیٰ خيّره بين أن يكون نبيا ملكا و بين أن يكون نبيا فقيرا فاختارأن يكون نبيا فقيرا.

اَلْمَقَالَةُ السَّادِسَةُ وَالسَّبْعُوْنَ

فِي الْوَصِيَّةِ فِي الصُّحْبَةِ مَعَ الْاَغْنِيَاءِ بِالتَّعَزُّزِ وَ مَعَ الْفُقَرَاءِبِالتَّذَلُّلِ
وَ كَيْفِيَةِ السُّلُوْكِ فِي الْمَبْدَأِ وَالْمَعَادِ

قَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:اُوْصِيْكَ اَنْ تَصْحَبَ الْاَغْنِيَاءَ بِالتَّعَزُّزِ وَ الْفُقَرَاءَ بِالتَّذَلُّلِ وَ عَلَيْكَ بِالتَّذَلُّلِ وَالْاِخْلَاصِ وَهُوَ دَوَام وَ رُؤْيَةِ الْخَالِقِ، وَ لَا تَتَّهِمِ اللهَ عَزَّ وَ جَلَّ فِي الْاَسْبَابِ وَ تَمَسْكَنْ اِلَيْهِ فِي كُلِّ الْاَحْوَالِ وَ لَا تُضَيِّعْ حَقَّ اَخِيْكَ اِتِّكَالًا عَلٰى مَا بَيْنَهُ وَ بَيْنَكَ مِنَ الْمَوَدَّةِ. وَ عَلَيْكَ بِصُحْبَةِ الْفُقَرَاءِ بِالتَّوَاضُعِ وَ حُسْنِ الْاَدَبِ وَالسَّخَاءِ، وَ اَمِتْ نَفْسَكَ حَتّٰى تَحْيَا

«قَالَ رَضِيَ اللهُ تَعَالٰى عَنْهُ اُوْصِيْكَ» يا طالب الحق «اَنْ تَصْحَبَ الْاَغْنِيَاءَ» إن اتفق لك صحبتهم «بِالتَّعُزُّزِ» أي جَعْل ذاتك معززا عليهم و مكرما، و ذلك برفع الحاجة عنهم، و ترك التذلل لهم بقطع الأمل مما في أيديهم، و إخراج جميعهم من قلبك، و ترك الطمع فيهم، و حفظ دينك من التصنع لهم لنوالهم إذ قد ورد في الحديث: "من تصنع لغني لأجل ما في يده ذهب ثلثا دينه" «وَ» أن تصحب «الْفُقَرَاءَ بِالتَّذَلُّلِ» والتواضع والتراحم فينبغي لك أن تصاحبهم بالخدمة و إيثارهم و تقديمهم على نفسك في المأكول والمشروب والملبوس، و ترى نفسك دونهم و لا ترى لها عليهم فضلا و منةً بشيء من الأشياء البتة بل اجعل المنّة منهم عليك، فإن المنّة لمن يقبل منك العطية إذ اَدْخَلك في قبولية الله تعالٰى و مضاعفةِ اَجرك لا لك، فإن رؤ ية الفعل من النفس عجب و شرك خفي.

«وَ عَلَيْكَ بِالتَّذُلُّلِ وَالْاِخْلَاصِ» مع الله تعالٰى و مع خلقه «وَ» منشأ ه «هُوَدَوَام رُؤ يَةِ الْخَالِقِ وَ لَا تَتَّهِمِ اللهَ عَزَّ وَ جَلَّ فِي الْاَسْبَابِ» بأن تعتقدهامؤثرات

بالذات دون الله تعالیٰ، فإن فيه تهمة لله تعالیٰ لأنه خلاف الواقع، فإن المؤثر الحقيقي هو الله عَزَّ وَ جَلَّ «وَ تَمَسْكَنْ» أي كن مسكينا ففي القاموس: سَكَنَ و تَسَكَّنَ وَ تَمَسْكَنَ صار مسكينا، والمراد هنا: القرار بالغربة والتذلل بالمسكنة «اِلَيْهِ» تعالیٰ «فِي كُلِّ الْاَحْوَالِ» من السراء والضراء لا أشرا و لا بطرا في الأولیٰ، و شاكيا و بغيضا في الثانية، أو لا متكبرا فخارا في الأولیٰ، و محتاجا إلی الناس في الثانية بل توجه إلی الله تعالیٰ في جميع الأحوال شكرا و تواضعا في الأولیٰ، و ذُلًّا و احتياجا إليه في الثانية «وَ لَا تُضَيِّعْ حَقَّ اَخِيْكَ اِتِّكَالًا عَلٰى مَا بَيْنَهُ وَ بَيْنَكَ مِنَ الْمَوَدَّةِ» بأن لا تُراعِيَ حاله، و لا تَحْفَظَ ما يجب حفظه، و لا تدفع عنه عيبه و تهتك حرماتِه، و لا تطلبه في الخلوات والمجالس والمطاعم و تتركه في العطيات و إن كان المودة تسقط الاٰداب والتكلفات حتی اشهتر أنه إذا حصلتِ الاُلْفةُ بطلتِ الكلفةُ.

«وَ عَلَيْكَ بِصُحْبَةِ الْفُقَرَاءِ بِالتَّوَاضُعِ وَ حُسْنِ الْاَدَبِ وَالسَّخَاءِ» و من الاٰداب أن لا تحوجهم إلی مسألتك، و إن اتفق فاستقرض الفقيرُ منك شيئا فتقرضه في الظاهر ثم تبرئه منه في الباطن «وَ اَمِتْ نَفْسَكَ» يا طالب الحق و مريد الاستغناء عن الخلق إماتة فانية عن جميع مراداتها المردية و اَهْوِيَتِهَا المهلكة «حَتّٰى تَحْيَا» بالحيوة الأبدية، فإن الله تعالیٰ أجری العادة بأن يحی بعد الإماتة فالإماتة شرط الإحياء.

وَ اَقْرَبُ الْخَلْقِ إِلَى اللهِ تَعَالٰى اَوْسَعُهُمْ خُلُقًا، وَ اَفْضَلُ الْاَعْمَالِ رِعَايَةُ السِّرِّ عَنِ الْاِلْتِفَاتِ إِلٰى مَا سِوَى اللهِ تَعَالٰى. وَ عَلَيْكَ بِالتَّوَاصِيْ بِالْحَقِّ وَالصَّبْرِ وَ حَسْبُكَ صُحْبَةُ فَقِيْرٍ وَ خِدْمَةُ وَلِيٍّ. وَالْفَقِيْرُ هُوَ الَّذِيْ لَا يَسْتَغْنِيْ بِشيءٍ دُوْنِ اللهِ. وَ اِيَّاكَ وَ رَعُوْنَةَ النَّفْسِ اَلصَّوْلَةُ عَلٰى مَنْ هُوَ دُوْنَكَ ضُعفٌ وَعَلٰى مَنْ هُوَ فَوْقَكَ فحشٌ. وَ عَلٰى مَنْ هُوَ مِثْلُكَ سُوْءُ خُلُقٍ، اَلْفَقْرُ وَالتَّصَوُّفُ كُلُّهُ جِدٌّ لَا تُخَالِطْهُ بِشيءٍ مِّنَ الْهَزْلِ. يَا وَلِيِّيْ عَلَيْكَ بِذِكْرِ اللهِ عَلٰى كُلِّ حَالٍ فَاِنَّهُ لِلْخَيْرِ جَامِعٌ. وَ عَلَيْكَ بِالْاِعْتِصَامِ بِحَبْلِ اللهِ فَاِنَّهُ لِلْمَضَارِ دَافِعٌ. وَ عَلَيْكَ بِالتَّاَهُّبِ لِلتَّلَقِّيْ

مَوَارِدِ الْقَضَاءِ بِالرِّضَا فَإِنَّهٗ وَاقِعٌ وَالرِّضَا نَافِعٌ.

وَاعْلَمْ اَنَّكَ مَسْئُوْلٌ عَنْ حَرَكَاتِكَ وَ سَكَنَاتِكَ فَاشْتَغِلْ بِمَا هُوَ اَوْلٰى فِي الْوَقْتِ وَ اِيَّاكَ وَ فُضُوْلَ تَصَرُّفَاتِ الْجَوَارِحِ. وَ عَلَيْكَ بِطَاعَةِ اللهِ تَعَالٰى وَ رَسُوْلِهٖ وَ مَنْ وَلَّى اللهُ وَ اَدِّ اِلَيْهِ حَقَّهٗ وَ لَا تَطْلُبْهُ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِ وَادْعُ فِي كُلِّ حَالٍ.

«وَ اَقْرَبُ الْخَلْقِ إلى اللهِ تَعَالٰى اَوْسَعُهُمْ خُلْقًا» و روى البخاري عن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه و على اٰله و سلم:

"اِنَّ مِنْ اَحَبِّكُمْ إلي اَحْسَنَكُمْ خُلُقًا".

«وَ اَفْضَلُ الْاَعْمَالِ رِعَايَةُ السِّرِّ»، أي الباطن «عَنِ الْاِلْتِفَاتِ اِلٰى مَا سِوَى اللهِ تَعَالٰى» فلا يكون في باطنك توجه إلى غيره تعالٰى بل خطوره.

«وَ عَلَيْكَ بِالتَّوَاصِيْ» أي الوصية «بِالْحَقِّ وَالصَّبْرِ» كما قال تعالٰى:

﴿وَالْعَصْرِ. اِنَّ الْاِنْسَانَ﴾ أي جنسه ﴿لَفِي خُسْرٍ. اِلَّا الذينَ اٰمَنُوْا وَ عَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ وَ تَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَ تَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾. [العصر،السورة:١٠٣، الآية:١،٢،٣]

الحق: هو الخير كله من توحيد الله و طاعته واتباع كتبه و رسله و حسن الخلق و حسن المعاملة. والصبر: إما عن المعاصي و إما على الطاعات، و على ما يبلو به الله عباده. أقسم الله تعالٰى بصلوة العصر أو بعصر نبيه و حبيبه صلى الله عليه و سلم.

«وَ حَسْبُكَ» أي يكفيك في تحصيل الترقي من جهل النفس و نكرتها الٰى ذروة العلم والعرفان «صُحْبَةُ فَقِيْرٍ» من فقراء الله تعالٰى «وَ خِدْمَةُ وَلِيٍّ» من أولياء الله تعالٰى «وَالْفَقِيْرُ» عندالصوفية «هُوَ الَّذِيْ لَا يَسْتَغْنِيْ بِشيء دُوْنِ اللهِ» فإذا صحبتَ من انقطع عن الكل إلى الله تعالٰى أثر فيك انقطاعه و جذبك إلى الانقطاع فتنقطع أنت أيضًا مما سوى الله تعالي، و هو أعلى المراتب الَّذِيْ لا أعلى منه. والولى: هو العارف الكامل المعرض عن الدنيا والانهماك في اللذات والشهوات، المشتغل بذكر الله تعالٰى، المنهمك فيه، المستغرق في تفكر اٰلائه و صفاته.

«وَ اِيَّاكَ وَ رَعُوْنَةَ النَّفْسِ» فإنهم قالوا «اَلصَّوْلَةُ» أي الجرأة و الشدة و الغضب والتكبر والافتخار «عَلٰى مَنْ هُوَ دُوْنَكَ» في الظاهر والباطن كليهما أو في أحدهما «ضُعفٌ» أي ضعف العقل فإن التحمل من الأصاغر شأن الأكابر «وَ» الصولة «عَلٰى مَنْ هُوَ فَوْقَكَ» في الدرجة الدينية أوالدنياوية كليهما أو أحدهما «فحْتٌ». واعلم أنه اختلفت النسخ في هذا اللفظ والذي يناسب المقام أدنى مناسبة هوالفحت بالفاء والحاء المهملة والتاء المثناة الفوقية، أوالمحت بالميم مكان الفاء كلاهما بمعنى الشدة و يحمل الشدة على نفسه، فإن من كان فوقه لا يتضرر به بل ضرر تلك الشدة يعود إلى نفسه فيكون الصولة على من هو فوقك شدة على نفسك.

«وَ»الصولة «عَلٰى مَنْ هُوَ مِثْلُكَ سُوْءُ خُلُقٍ ،اَلْفَقْرُ وَالتَّصَوُّفُ كُلُّهٗ جِدٌّ» أي قصد إلى مقصود، و طلب إلى مطلوب بالاشتغال بما يوصل إليه «لَا تُخَالِطْهُ بِشيء مِّنَ الْهَزْلِ» فإن الهزل نقيض الجد والهازل بطال. «يَا وَلِيِّيْ» بمعنى يا محبي «عَلَيْكَ بِذِكْرِ الله» أي استمسك به و "عليك" اسم فعل إذا كان متعلقه بالباء يكون بمعنى استمسك لا بمعنى الزم كما هو المشهور، فإنه إنما يكون بمعناه إذا كان بدون الباء صرح به مولانا بدر الدين الدماميني في مطول المغني معترضا على المشهور بأن الْزمْ متعدٍ بنفسه و حمل الباء على التقوية لا يلايم، والمعنى: يا محبي استمسك بذكر الله تعالى «عَلٰى كُلِّ حَالٍ فَاِنَّهٗ لِلْخَيْرِ جَامِعٌ» كما ورد في الأحاديث، فمنها: ألا أنبئكم بخير أعمالكم و أزكاها عند مليككم و أرفعها في درجاتكم و خير لكم من إنفاق الذهب والورق و خير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم و يضربوا أعناقكم قالوا: بلى قال ذكر الله.

و منها ما ورد: أفضل الأعمال أن تفارق الدنيا و لسانك رطب من ذكر الله.

و منها ما ورد: تفضُل الذكر على النفقة في سبيل بسبع مائة الف.

«وَ عَلَيْكَ بِالْاِعْتِصَامِ بِحَبْلِ الله» كما قال:

﴿وَ مَنْ يَّعْتَصِمْ بِالله فَقَدْ هُدِىَ اِلٰى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍ﴾.[آل عمران، السورة:٣، الآية:١٠١]

و كما قال عَزَّ وَ جَلَّ:

﴿وَ اعْتَصِمُوْا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيْعًا وَّ لَا تَفَرَّقُوْا﴾.[آل عمران،السورة:٣، الآية:١٠٣]

و هو اتباع شريعة رسول الله صلى الله عليه و سلم «فَإِنَّهُ لِلْمَضَارِ» الدنيو ية والأخرو ية «دَافِعٌ».

«وَ عَلَيْكَ بِالتَّأَهُّبِ» والاستعداد «لِلتَّلَقِّيْ مَوَارِد الْقَضَاءِ بِالرِّضَا فَإِنَّهُ» أي قضاء الَّذِيْ قضى الله تعالىٰ في سابقة علمه «وَاقِعٌ» البتة ليس له دافع سواء رضي العبد أو لم يرضه «وَالرِّضَا» لذلك القضا «نَافِعٌ» لذلك العبد المقضِيّ له بالقضاء أي قضاء كان كما ورد فمن رضي فله الرضاء، و من سخط فله السخط.

«وَاعْلَمْ» أيها الطالب لأعْلَى المطالب، و أيها السالك في أحسن المسالك أنك ما خُلقت لِلَهْوٍ و لَعْبٍ و لا تُترك مُهْمَلًا بل «اَنَّكَ مَسْئُوْلٌ عَنْ حَرَكَاتِكَ وَ سَكَنَاتِكَ» فيما أفنيت عمرك «فَاشْتَغِلْ بِمَا هُوَ اَوْلٰى» لك «فِي الْوَقْتِ» الحاضر الحاصل لديك فإن مَا فَاتَكَ مَضٰى وَ مَا سَيَاتِيْكَ فَاَيْنَ، فَاغْتَنِمِ الْفُرْصَةَ بَيْنَ الْعَدَمَيْنِ.

«وَ اِيَّاكَ وَ فُضُوْلَ تَصَرُّفَاتِ الْجَوَارِحِ»، قال المشايخ: حسن الأدب مع الله تعالىٰ أن لا تَتَحَرَّكَ جارحةٌ من جوارحك في غير رضى الله تعالىٰ، فأدب اللسان أن يكون رطبا بذكر الله تعالىٰ أبدا، و بذكر الإخوان بالخير والدعاء لهم، و بذل النصيحة والوعظ والحذر عما يكرهونه أو بالصَمت تفكرا كما ورد "اِن تَكَلَّمْتَ فليقل خيرا و إلا فَلْيَصْمُتْ". و أدب السمع أن لا يستمع إلى الفحش والغيبة والنميمة و كل منكر بل يستمع إلى الذكر والوعظ والحكمة و ما يعود عليه بالفائدة دينا و دنيا. و أدب النظر الغَضُّ عن المحارم و عن عيوب الناس، فإن الله تعالىٰ يعلم خائنة الأعين و ما تخفي الصدورُ، و يكون نظره بالاعتبار والاستدال على قدرة الله و عظمته و جميل صنعه عاريا عن حظوظ النفس الأمارة بالسوء. و أدب القلب مراعاة أحوال السنية المحمودة و نفي الخواطر الردية المذمومة والتفكر في آلاء الله و نعمائه و عجائب خلقه، فورد في الحديث النبوي:

"تفكر ساعة خيرمن عبادة سنة".

و من أدب القلب حسن الظن بالله تعالىٰ و بجميع المؤمنين و تطهيره من الغل والغش والحسد والخيانة و سوء العقيدة فإنها من جنايات القلب، والأصل في ذلك ما قال الله تعالىٰ:

﴿ اِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ اُولٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤلًا﴾.[بنى اسرائيل، السورة:١٧، الآية:٣٦]

و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم:

"إن في الجسد لمضغةً إذا صلحت صلح الجسد كله و إذا فسدت فسد الجسد كله ألا و هى القلب.

«وَ عَلَيْكَ بِطَاعَةِ الله تَعَالٰى وَ» طاعة «رَسُوْلِهٖ وَ» طاعة «مَنْ وَلَّى الله» أي جَعَلَهُ واليا كما قال الله تعالىٰ:[في سورة النساء الآية:٥٩]

﴿يٰۤا اَيُّهَا الذينَ اٰمَنُوۤا اَطِيْعُوا الله وَ اَطِيْعُوا الرَّسُوْلَ وَ اُولِى الْاَمْرِ مِنْكُمْ ج فَاِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوْهُ إلى الله﴾ أي إلى القران ﴿وَالرَّسُوْلِ﴾ في حيوته و إلى القرآن و الأحاديث بعد وفاته ﴿اِنْ كُنْتُمْ تُؤمِنُوْنَ بِالله وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ ذٰلِكَ﴾ أي الرد إلى الله والرسول بالمعنى المذكور ﴿خَيْرٌ﴾ عاجلا ﴿وَ اَحْسَنُ تَاْوِيْلًا﴾ عاقبة.

والمراد من أولى الأمر أعم من الولاة الظاهرية و هم أرباب السلطنة والحكومة، والولاة الباطنية و هم العلماء والمشائخ، و هذه الطاعة للولاة لازمة ما داموا على اتباع الشريعة فإذا خرجوا منها فالرجوع إلى الله و إلى الرسول باتباع القرأن والأحاديث.

و روى مسلم عن أم حصين قالت: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: إن أُمِّرَ عليكم عبد مُجَدَّعٌ يقودكم بكتاب الله فاسمعوا و أطيعوا.

و في رواية: مجدع الأطراف.

فإن قيل: كيف يكون العبد إماما سيما مقطوع الأطراف و قد شرط في الإمام أن يكون حرا قريشيا سليم الأطراف ؟

فأجاب العلماء بوجهين:

أحدهما: أن هذه الشروط إنما هي في من يعقد له الإمامة باختيار أهل الحل والعقد فأما من قهر الناس بشوكته و قوة بأسه و أعوانه، واستولى عليهم وانتصب إماما فإن أحكامه ينفذ و يجب طاعته و يحرم مخالفته في غير معصية عبدا كان أو حرا، صالحا كان أو فاسقا بشرط أن يكون مسلما.

و ثاينهما: أنه ليس في الحديث أنه يكون إماما بل المراد به الأمير الَّذِيْ فوض إليه الإمام أمرا من الأمور كذا ذكر الإمام النووى في شرح صحيح مسلم.

«وَ اَدِّ اِلَيْهِ» أي إلى من ولى الله تعالى «حَقَّهٗ» من الاتباع لما أمرك «وَ لَا تَطْلُبْهُ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِ» من حقوقك يعني ليس لك أن تحاربه و تخالفه لطلب حقوقك.

«وَادْعُ» الخير «فِيْ كُلِّ حَالٍ» أي لوالى الأمر عادلا كان أو جائراً؛ فإن في صلاحه صلاح العالم و في فساده فساده فإن الأمير في البلد كالقلب في الجسد.

وَ عَلَيْكَ بِحُسْنِ الظَّنِّ لِلْمُسْلِمِيْنَ، وَ اِصْلَاحِ النِيَّةِ لَهُمْ وَالسَّعْيِ بَيْنَهُمْ فِي كُلِّ خَيْرٍ وَ اَنْ لَا تَبِيْتَ وَ لِاَحَدٍ فِي قَلْبِكَ شَرٌّ وَ لَا شَحْنَاءُ وَ لَا بُغْضٌ وَ تَدْعُوَ لِمَنْ ظَلَمَكَ وَ رَاقِبِ الله عَزَّ وَ جَلَّ.

«وَ عَلَيْكَ» يا محبي «بِحُسْنِ الظَّنِّ لِلْمُسْلِمِيْنَ» كافّة و احفَظْ لسانك من غيبتهم والطعن فيهم والتجسُّسِ عن سرائرهم و وضع الألقاب الحقيرة عليهم والتمسخر بهم فكل ذلك منهي في القران الكريم، قال عَزَّ وَ جَلَّ: [في سورة الحجرات،الآية:١٣]

﴿يٰاَيُّهَا النَّاسُ اِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَّ اُنْثٰى﴾ و هما أدم و حوا عليهما السلام فأنتم بالنظر إلى النسب متساوون فلا وجه للتفاخر لأنفسكم والإهانة للآخرين من إخوانكم أبا و أما ﴿وَ جَعَلْنٰكُمْ شُعُوْبًا وَّ قَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوْا﴾و تحصلوا المودة والألفة لا لتفاخروا و اكتسبوا العداوة والكلفة.

و في الحديث: لتعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، فإن صلة الرحم محبة في الأهل. ثم قال: إن أكرمكم عند الله أتقكم لا أحسنكم صورة، و لا أكثركم

مالا، و لا أوسعُكم بيتا و لا أغلبكم قوّة و لا غير ذلك من الوجوه التى ظن الناس أنها خير فمن كان اَتْقَى الله تعالٰى في امتثال الأوامر و اجتناب المناهي فهو أكرم عند الله تعالٰى مرتبةً و شرفًا و كرامةً و عزة و جزاء و قربة، و ليس ذلك بمجرد الادعاء و لا بمجرد صلاح الظاهر بل لابد فيه من صلاح الباطن، و لذا قال تعالٰى [فى سورة لقمان،الآية:٣٤]

﴿اِنَّ الله عَلِيْمٌ﴾ بظواهركم و بواطنكم ﴿خَبِيْرٌ﴾ بنياتكم و مقاصدكم.

و في الحديث: لينتهين قوم يفخرون بأبائهم أو ليكونن أهونَ على الله من الجعلان فينبغي لكل مؤمن أن يستمسك بحسن الظن مع المسلمين.

«وَ اِصْلَاحِ النِيَّةِ لَهُمْ وَالسَّعْيِ بَيْنَهُمْ فِي كُلِّ خَيْرٍ» حتى لا يقع بينهم التقاتل و لا التخالف «وَ اَنْ لَا تَبِيْتَ وَ لِاَحَدٍ فِي قَلْبِكَ شَرٌّ» أي لا تنام في الليل والحال أن في قلبك شرا مع أحد تريد في حقه «وَ لَا شَحْنَاءُ» أي لا عداوة «وَ لَا بُغْضٌ وَ» عليك بأن «تَدْعُوَ لِمَنْ ظَلَمَكَ» فإن أهل الله فعلوا ذلك حتى خلصوا من ظلمه و بلغوا المرتبة العالية. قال الله تعالٰى [في سورة حم السجدة،الآية:٣٤،٣٥]:

﴿وَ لَا تَسْتَوِى الْحَسَنَةُ وَ لَا السَّيِّئَةُ﴾ في جزئياتهما يعني أن السيئة والحسنة متفاوتان في أنفهسما فبعض الحسنة فوق بعض، وكذا بعض السيئة فوق بعض ﴿اِدْفَعْ﴾ أي السيئةَ التي ترد عليك من بعض أعدائك «بِالَّتِيْ» أي بالخصلة التي ﴿هِىَ اَحْسَنُ﴾ كما لو أساء الرجل إليك اِساءةً فالحسنة أن تعفو عنه والتي أحسن أن تحسن إليه مكان إساءته إليك ﴿فَاِذَا الَّذِيْ بَيْنَكَ وَ بَيْنَهٗ عَدَاوَةٌ كَاَنَّهٗ وَلِيٌّ حَمِيْمٌ﴾. أي فيصير عدوك كالصديق القريب في محبته إذا فعلتَ ذلك ف "الذي" مبتدأ و "كأنه" خبر، و "إذا" ظرف لمعنى التشبيه ﴿وَ مَا يُلَقّٰهَآ﴾ أي يؤتى الخصلة التي هي أحسن ﴿اِلَّا الذينَ صَبَرُوْا وَ مَا يُلَقّٰهَآ اِلَّا ذُوْ حَظٍّ﴾ ثوب ﴿عَظِيْمٍ﴾.

و هكذا كان عمل رسول الله صلى الله عليه و سلم والأنبياء عليهم السلام.

«وَ رَاقِبِ الله عَزَّ وَ جَلَّ» بقلبك في جميع الأزمنة والأمكنة.

والمراقبة. في اصطلاح الصوفية: عبارة أن يعلم العبد بقلبه أن الله تعالٰى ناظر

إلى أفعالي و سامع لأقوالي و شاهد لأحوالي.

> **وَ عَلَيْكَ بِاَكْلِ الْحَلَالِ، وَالسُّؤَالِ لِاَهْلِ الْعِلْمِ بِاللهِ فِيمَا لَا تَعْلَمُ، وَ عَلَيْكَ بِالْحَيَاءِ مِنَ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ، وَاجْعَلْ صُحْبَتَكَ مَعَ اللهِ تَعَالٰى، وَاصْحَبْ مَعَ مَنْ سِوَى اللهِ تَعَالٰى بِصُحْبَةِ اللهِ، وَ تَصَدَّقْ فِي كُلِّ صَبَاحٍ بِعِرْضِكَ**
>
> **وَ اِذَا اَمْسَيْتَ فَصَلِّ صَلٰوةَ الْجَنَازَةِ عَلٰى كُلِّ مَنْ مَاتَ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ فِي ذٰلِكَ الْيَوْمِ. وَ اِذَا صَلَّيْتَ الْمَغْرِبَ فَصَلِّ صَلٰوةَ الْاِسْتِخَارَةِ وَ تَقُوْلُ بُكْرَةً وَّ عَشِيَّةً سَبْعَ مَرَّاتٍ:**
>
> **"اَللّٰهُمَّ اَجِرْنَا مِنَ النَّارِ".**
>
> **وَ حَافِظْ عَلٰى قَوْلِ اَعُوْذُ بِاللهِ السَّمِيْعِ الْعَلِيْمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ هُوَ اللهُ الَّذِيْ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمٰنُ الرَّحِيْمُ. اِلٰى اٰخِرِ السُّوْرَةِ . وَاللهُ الْمُوَفِّقُ وَالْمُعِيْنُ لَا حَوْلَ وَ لَا قُوَّةَ اِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيْمِ.**

«وَ عَلَيْكَ» يا حبيبي «بِاَكْلِ الْحَلَالِ» فإنه أصل الأمور في الشريعة والطريقة والحقيقة باتفاق العلماء والعرفاء، فإن أكل الحلال و صدق المقال يرفعان صاحبهما إلى ذروة الكمال.

«وَالسُّؤَالِ لِاَهْلِ الْعِلْمِ بِاللهِ فِيمَا لَا تَعْلَمُ» فمن كان لا يعلم أمور الشريعة فعليه أن يسأل من أهل الشرع، و من كان لا يعلم أمور الطريقة يسألها عن أهل الطريقة، و من لا يعلم أسرار الحقيقة يسأل عن أهل الحقيقة.

«وَ عَلَيْكَ »يا حبيبي «بِالْحَيَاءِ مِنَ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ» في جميع الأعمال في جميع الأحوال حتى لا تعمل ما هو مكروه غير مرضي عند الله عَزَّ وَ جَلَّ «وَاجْعَلْ صُحْبَتَكَ مَعَ اللهِ تَعَالٰى» بذكره عَزَّ وَ جَلَّ فورد:

أنا مع عبدي إذا ذكرني و تحركت بي شفتاه.

و في بعض الأحاديث: أنا جليس من ذكرني.[1]

«وَاصْحَبْ مَعَ مَنْ سِوَى الله تَعَالٰى بِصُحْبَةِ الله» يعني واصحب من المخلوقات من كان له توجه و حضور مع الله تعالىٰ حتى تتبرك بصحبته، فإن للصحبة تأثيرا بليغا، فالصحبة مع أهل الله عَزَّ وَ جَلَّ إكسير أعظم و كبريت أحمر، والصحبة مع البطّالين يوجب قساوة القلب و قد نَبَّهَ القائل نظما على حقيقة جامعة لمعاني الصحبة بقوله :

وحدة الإنسان خير من جليس السوء عنده

و الجليس الخير خير من قعود المرء وحده

«وَ تَصَدَّقْ فِي كُلِّ صَبَاحٍ» على عباد الله «بِعِرْضِكَ» في تحصيل مقاصد هم و مآربهم على وجه لا يخل في عبادته لله و توجهه إلى الله حتى يكون صحبته مع الخلق كصحبة أبي ضميم رضي الله تعالىٰ عنه.

نقل شيخ الإسلام أبوالنجيب قدس سره في أداب المريدين: أنه روي عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال :

أيَعْجِزُ أحدكم أن يكون كأبي ضَميم كان إذا أصبح و أمسى يقول: اللّٰهم إني قد وهبت نفسى و عرضي لك. اللّٰهم إنى قد تصدقت بعرضي على عبادك فمن شتمني لا اَشْتِمُه، و من ظلمني لا اَظْلِمُه ، انتهى.

و قال روي عن زيد بن أسلم أنه قال: كان نبي الأنبياء يأخذ بركاب ملك كافر يتألفه بذلك لقضاء حوائج الناس، قيل: إنه دانيال النبي عليه السلام مع بخت نصر.

و قال: قال ابن عطاء: لأن يرائي الرجل سنين ليكتسب جاها يعيش فيه مؤمن أنجى من أن يخلص العمل لنجاة نفسه.

«وَ اِذَا اَمْسَيْتَ فَصَلِّ صَلٰوةَ الْجَنَارَةِ عَلَى كُلِّ مَنْ مَاتَ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ فِي ذٰلِكَ الْيَوْمِ» والدعاء لجميع الخلق، فإنه قد ورد فضل كثير في من يدعو لأمة محمد صلى الله عليه و سلم كل يوم ثلث مرات، و نقل عن بعض الكبار أن يصلي صلوة سراج

---

(1) انظر المقاصد الحسنة ، رقم الحديث:١٨٣ ، قال رواه الديلمي بلا سند عن عائشة مرفوعًا.

القبر لنفسه و لأبو يه و لجميع المسلمين ركعتين يقرأ فيهما الإخلاص والمعوذتين و صلوة سراج القبر تقوم مقام صلوة الجنازة، فإنها الغاية منها.

«وَ اِذَا صَلَّيْتَ الْمَغْرِبَ فَصَلِّ صَلٰوةَ الْاِسْتِخَارَةِ» القراءة المشهورة فيها الكافرون والإخلاص.

و عن شيخ الشيوخ قدس سره و من وافقه على أن يصلي وقت الإشراق ركعتين بنية الاستخارة لمايفعل في اليوم واليلة بالقراءة المذكورة و يقرأ بعده هذا الدعاء :

اللّٰهم إنى أستخيرك بعلمك، و أستَقْدِرك بقدرتك، و أسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر و لا أقدر، و تعلم و لا أعلم و أنت علام الغيوب.اللّٰهم إني لا أملك لنفسي ضرا و لا نفعا و لا موتا و حيوة، و لا نشورا، و لا أستطيع أن اٰخُذَ إلا ما أعطيتني و لا أن أتقي إلا ما وقيتني.اللّٰهم وفقني لما تحب و ترضى من القول والعمل في يُسر و عافية.اللّٰهم خِر لي واخْتَره لي و لا تكلني إلى اختياري.اللّٰهم اجعل الخيرة في كل قول و عمل أريده في هذا اليوم والليلة.

«وَ تَقُوْلُ بُكْرَةً وَّ عَشِيَّةً سَبْعَ مَرَّاتٍ» :

«اَللّٰهُمَّ اَجِرْنَا مِنَ النَّارِ» .

روى أبو داوٗد عن الحارث بن مسلم التميمي عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه اَسَرَّ إليه فقال: اذا انصرفت من صلوة المغرب فقل قبل أن تكلم أحدا:

اللّٰهم أجرني من النار، سبع مرّات، فإنك إذا قلت ذلك ثم مت في ليلتك كتب لك جواز منها[1] انتهى. أسر إليه أخفي به، والجواز: الخلاص.

«وَ حَافِظْ عَلٰى قَوْلِ اَعُوْذُ بِاللهِ السَّمِيْعِ الْعَلِيْمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ»

و هو قوله تعالى ﴿هُوَ اللهُ الَّذِيْ لَآ اِلٰهَ اِلَّا هُوَ ۚ اَلْمَلِكُ الْقُدُّوْسُ السَّلٰمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيْزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۗ سُبْحٰنَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُوْنَ. هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْاَسْمَآءُ الْحُسْنٰى ۗ يُسَبِّحُ لَهٗ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ ۚ وَ هُوَ الْعَزِيْزُ الْحَكِيْمُ﴾. [الحشر:٥٩،الآية: ٢٤،٢٥، ٢٥:٥٩. ٢٤)

(1) انظر المسنن لأبي داؤد برقم:٥٠٧٩، وكذا رواه الإمام أحمد في مسنده برقم:١٧٣٦٢.

فورد من قال حين يصبح ثلث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم فقرأ ثلث أيات من أخر سورة الحشر وكَّل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي، و إن مات في ذلك اليوم مات شهيدا، و من قالها حين يمسي كان بتلك المنزلة.

«وَاللهُ الْمُوَفِّقُ وَالْمُعِيْنُ لَا حَوْلَ وَ لَا قُوَّةَ اِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيْمِ».

اَلْمَقَالَةُ السَّابِعَةُ وَالسَّبْعُوْنَ

اَيْضًا فِي الْوَصِيَّةِ بِالْكَوْنِ مَعَ الله بِدُوْنِ الْخَلْقِ وَ مَعَ الْخَلْقِ بِدُوْنِ النَّفْسِ

قَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: كُنْ مَعَ الله عَزَّ وَ جَلَّ كَاَنْ لَا خَلْقَ، وَ مَعَ الْخَلْقِ كَاَنْ لَا نَفْسَ فَاِذَا كُنْتَ مَعَ الله عَزَّ وَ جَلَّ بِلَا خَلْقٍ وَجَدْتَّ، وَ عَنِ الْكُلِّ فَنَيْتَ. وَ اِذَا كُنْتَ مَعَ الْخَلْقِ بِلَا نَفْسٍ عَدَلْتَ وَاتَّقَيْتَ وَ مِنَ التَّبِعَاتِ سَلِمْتَ. وَ اُتْرُكِ الْكُلَّ عَلٰى بَابِ خَلْوَتِكَ وَادْخُلْ فِيهِ وَحْدَكَ تَرٰى مُؤْنِسَكَ فِي خَلْوَتِكَ بِعَيْنِ سِرِّكَ. وَ تُشَاهِدُ مَا وَرَاءَالْعِيَانِ، وَ تَزُوْلُ النَّفْسُ وَ يَاْتِيْ مَكَانَهَا اَمْرُ الله وَ قُرْبُهٗ فَاِذَا جَهْلُكَ عِلْمٌ وَ بُعْدُكَ قُرْبٌ وَ صُمْتُكَ ذِكْرٌ وَ وَحْشَتُكَ اُنْسٌ. يَا هٰذَا: مَا ثَمَّ اِلَّا خَلْقٌ وَ خَالِقٌ.

فَاِنِ اخْتَرْتَ الْخَالِقَ فَقُلْ لَهُمْ ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ الْعٰلَمِيْنَ﴾[الشعراء،السورة:٢٦، الآية:٧٧]

ثُمَّ قَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: مَنْ ذَاقَهٗ عَرَفَهٗ، فَقِيْلَ مَنْ غَلَبَتْ عَلَيْهِ مِرَارَةُ صُفْرَتِهٖ كَيْفَ يَجِدُ حَلَاوَةَ الذَّوْقِ؟ فَقَالَ: يَتَعَمَّلُ فِي الشَّهَوَاتِ مِنْ قَلْبِهٖ: يَا هٰذَا: اَلْمُؤْمِنُ اِذَا عَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا اِنْقَلَبَتْ نَفْسُهٗ قَلْبًا ثُمَّ اِنْقَلَبَ قَلْبُهٗ سِرًّا ثُمَّ اِنْقَلَبَ السِّرُّ فَصَارَ فَنَاءً ثُمَّ اِنْقَلَبَ الْفَنَاءُ فَصَارَ وُجُوْدًا. ثُمَّ قَالَ: لَيْسَ الْاَحْبَابُ يَسَعُهُمْ كُلُّ بَابٍ.

«قَالَ رَضِيَ الله تَعَالٰى عَنْهُ: كُنْ مَعَ الله عَزَّ وَ جَلَّ» يا عبد الله «كَاَنْ لَا خَلْقَ، وَ» كن «مَعَ الْخَلْقِ كَاَنْ لَا نَفْسَ» يعني كن في التوجه إلى الحق والمعاملة معه كأنه هو الموجود و لا وجود للخلق فلا تعلم للخلق وجودا يشغلك عن الحق، و كن في معاملتك مع الخلق كأن لا نفس لك حتى تطلب حقوقها منهم «فَاِذَا كُنْتَ مَعَ الله

عَزَّ وَ جَلَّ بِلَا خَلْقٍ» أي بلا عملك بوجوده «وَجَدْتَّ» الله تعالىٰ مشاهدابقلبك «وَ» تستغرق في تلك المشاهدة حتى تصير كأنك «عَنِ الْكُلِّ» أي كل ما يُتَرَآى في الوجود من الخلائق «فَنَيْتَ، وَ اِذَا كُنْتَ مَعَ الْخَلْقِ بِلَا نَفْسٍ عَدَلْتَ» أي صرت عاد لا، مُحقِّقا في أداء حقوقهم و ترك حقوقك فلا يفوت عنك من حقهم شيئ «وَاتَّقَيْتَ» أي صرت متقيا عن تضييع حق أحد من الخلائق «وَ مِنَ التَّبِعَاتِ» الدنيو ية والأخرو ية الخلقية والخالقيّة «سَلِمْتَ» لأن منشأ جميع ذلك النفس، فإذا كنت بلا نفس و خلصت عنها و ذهبت النفس منك خلصت عن جميع المكاره والأذى هذافي السلوك «وَ» إذا أردت الارتقاء من هذا الحال «اُتْرُكِ الْكُلَّ» أي جميع الموجودات «عَلٰى بَابِ خَلْوَتِكَ» و لا تصاحب شيئا منها في خلوتك «وَادْخُلْ فيهِ وَحْدَكَ تَرٰى مُؤْنِسَكَ» و هو تعالىٰ في خلوتك، فإنه تعالىٰ أنيس من لا أنيس له، و مطلوب من لا مطلوب له، و مقصود من لا مقصود له، و مراد من لا مراد له، «فِي خَلْوَتِكَ بِعَيْنِ سِرِّكَ».

السرفي اصطلاح هذه الطائفة: هو ما يخص كل شيئ من الحق عند توجه الإيجاد إليه المشارإليه بقوله تعالىٰ:

﴿اِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ اِذَآ اَرَدْنَاهُ اَنْ نَّقُوْلَ لَهٗ كُنْ فيكُوْنُ﴾. [النحل،السورة:١٦،الآية:٤٠]

و لهذا قيل: لا يَعرف الحقَ إلا الحقُ، و لا يحِبُّ الحق الاالحقُ، و لا يطلب الحقَ إلا الحقُ؛ لأن ذلك السر هوالطالب للحق والمحب له والعارف به كما قال النبى صلى الله عليه و سلم: "عَرفتُ ربّي بربي".

«وَ تُشَاهِدُ مَا وَرَاءَالْعَيَانِ» العوالم الكثير من المغيبات والمكنونات في خزائن الله عَزَّ وَ جَلَّ «وَ تَزُوْلُ» عنك «النَّفْسُ» بغلبة مشاهدة الحق «وَ يَأْتِيْ مَكَانَهَا» أي مكان النفس «اَمْرُ الله وَ قُرْبُهٗ» هذا سَتْرٌ للتوحيد حفظا للأدب و تقريبا لفهم السامعين «فَاِذَا» أي حين زالت النفس و بقي أمر الله «جَهْلُكَ عِلْمٌ» و إنما يكون الجهل علما؛ لأن العلم عبارة عن إدراك الشيء على ما هو عليه في نفس الأمر و هو يقتضي الجهل عن ظواهر الأشياء كلها، فإنها ما يُتَرَآى موجوداتٍ، و ليست كذلك

في نفس الأمر بل ليس الوجود إلا وجود الحق، و ما يترَاءىٰ فيها هو نور تجلى الحق تعالىٰ، فالجهل بهذاالوجود المشاهد في الموجودات بالاستغراق في مشاهدة وجود الحق وتلاشيها فيه هو العلم «وَ بُعْدُكَ» عن الأكوان «قُرْبٌ» من المكوّن «وَ صُمْتُكَ» أي سكوتك عن الكلام باللسان حتى التسبيح و التهليل «ذِكْرٌ» له تعالىٰ بالقلب لكن ذكر شهودي و حضوري فإن الذكر الكلامي إنما يكون عند الغيبة، و أما عندالحضور فليس إلاالمشاهدة والتحير والمحو و الاستغراق، و مثل هذا الكامل إن تكلم فبالأمر التعبدي يتكلم، و إليه يشير قول المشائخ: من عرف الحق كلَّ لسانه «وَ وَحْشَتُكَ» عن الخلق «أُنْسٌ» بالحق. «يَا هٰذَا» أي يا حاضر بالفهم افهم «مَا ثَمَّ» أي في دارالوجود والشهود في بادي النظر «اِلَّا خَلْقٌ وَ خَالِقٌ» فإن العوام ببداهة أنظارهم حكموا بوجود الخلق والخالق و إن كان هنا أي في مقام الفناء عن الخلق والنفس ليس إلا الخالق تعالىٰ فقط، و هذه فائدة إيراد كلمة ثَمَّ، فتأمل.

«فَاِنِ اخْتَرْتَ الْخَالِقَ» كما هو اللائق بحال العارف إذا تعمق النظر «فَقُلْ لَهُمْ» للخلائق الظاهرة المرئية في نظرك أي لأجل ظهور وجودهم و رؤيتهم مخاطبا لقلبك كماقال إبراهيم عليه السلام:

﴿فَاِنَّهُمْ﴾ أي هذه الخلائق الظاهرة الاشتراك مع الخالق في الوجود والشهود ﴿عَدُوٌّ لِّيْ﴾ لأنها ساترة للحق بظواهرهم ﴿اِلَّا رَبَّ الْعٰلَمِيْنَ﴾

الذي رب الكل بإفاضة ظل وجوده عليهم على حسب استعداد كل فرد منها في علمه الأزلي.

و لما وصل غوث الأعظم قدس الله روحه إلى بيان هذه المرتبة و رَاٰى أن فهمَ كلِّ أحد لا يصل إليه ولا حظ صلاح الخلق كيلا يَقَعُوْا في الإنكار استتر الكلام «ثُمَّ قَالَ مَنْ ذَاقَهٗ» أي طعم الفناء عن الخلق في الله، و لذة البقاء بالله تعالىٰ «عَرَفَهٗ» أي هذا الَّذِيْ ذكرته، و من لم يذق فهو جاهل معذور كالأعمى عن حقائق المبصرات، والأبكم عن حقائق الكلمات، والأصم عن المسموعات، والعنين عن لذة النساء، لذلك قوم آخرون أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون «فَقِيْلَ: مَنْ غَلَبَتْ

عَلَيْهِ مِرَارَةُ صُفْرَتِهِ» و فسد بها مزاجه «كَيْفَ يَجِدُ حَلَاوَةَ الذَّوْقِ» فإن الصفراوي يجد الحلو مرا فمن أين يجدالحلاوة «فَقَالَ» جوابا للسائل و إصلاحا لحال الجاهل «يَتَعَمَّلُ» و يعالج «فِي» دفع «الشَّهَوَاتِ» النفسانية المانعة عن إدراك هذه الحلاوة و إزالة الإرادات الهوائية الحاجبة عن حصول هذه اللذة «مِنْ قَلْبِهِ. يَا هٰذَا» أي يا حاضر بالفهم افهم «اَلْمُؤْمِنُ اِذَا عَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا» و تَمَرَّنَ على ذلك بملاحظة الإطاعة الشرعية الإلٰهية النبوية «اِنْقَلَبَتْ نَفْسُهُ» الخسيسة «قَلْبًا» شريفا لطيفا «ثُمَّ» إن داوم على الأعمال الصالحة بالتوجه التام إلى الله تعالى «اِنْقَلَبَ قَلْبُهُ سِرًّا» فإن السر عبارة عن القلب الصافي.

«ثُمَّ» إن داوم على ذلك «اِنْقَلَبَ السِّرُّ فَصَارَ» السر «فَنَاءً، ثُمَّ» بالدوام و التوجه والانجذاب «اِنْقَلَبَ الفَنَاءُ فَصَارَ وُجُوْدًا» أي باقيا بالله تعالى فالوجود مستتر تحت هذه الحجابات فمن أراد مشاهدة الوجود الحقيقي يجب عليه التعامل والتعالج في إزالة هذه الأَسْتار و ظهور الأنوار حتى يظهر حقيقة الوجود بأنه ليس إلا الله الواحد القهار، و صدق قول المشائخ ليس في الدار غيره دَيَّار، و لما رأى قصور الهمم عن قصد هذا الكمال تفكر «ثُمَّ قَالَ: لَيْسَ الْأَحْبَابُ يَسَعُهُمْ كُلُّ بَابٍ».

إن كان المراد بالأحباب الكاملين فالمراد بكل باب فُهُوْمُ القاصرين فإنهم لا يعرفون الكملة و لا حالاتهم، فإنهم في مقام و حال و هم في مقام و حال فالكملة في عالم الغيب والجَهَلَةُ في عالم الشهادة، و قياس الغائب على الشاهد غير صحيح، و هم يقيسون الكاملين على أنفهسم، و لا يجدون في أنفسهم شيئا من تلك الحالات فربما ينكرون حالاتهم.

و إن كان المراد بالأحباب الظاهرين الذين لم يبلغوا إلى مرتبة الفناء أطلق عليهم الأحباب تلطفا و شفقة فالمراد بالباب حالات الكاملين، فإن ذلك الباب لا يدخله إلا من هو أهل له فما لم يحصل للأحباب أهليّة دخول ذلك الباب لا يسعهم ذلك الباب إذ هو مستور بالحُجَّاب والحِجَاب فما لم يرتفع عن بصيرتهم تلك الحجاب لا يسعهم الدخول في ذلك الباب.

يَا هٰذَا: اَلْفَنَاءُ هُوَ عَدَمُ الْخَلَائِقِ وَ اِنْقِلَابُ طَبْعِكَ اِلٰى طَبْعِ الْـمَلَائِكَةِ، ثُمَّ الْفَنَاءُ عَنْ طَبْعِ الْمَلَائِكَةِ وَ لُحُوْقُكَ بِالْمِنْهَاجِ الأول فَحِ يُسْقِيْكَ رَبُّكَ مَا يُسْقِيْكَ، وَ يَزْرَعُ فيكَ مَا يَزْرَعُ اِنْ اَرَدْتَ هٰذَا فَعَلَيْكَ بِالْاِسْلَامِ ثُمَّ الْاِسْتِسْلَام ثُمَّ اَلعِلْم بِالله ثُمَّ الْـمَعْرِفَة بِهٖ ثُمَّ الْوُجُوْد.

ثم قال غوث الأعظم رضي الله تعالىٰ عنه: «يَا هٰذَا» أي يا حاضر بالفهم افهم «اَلْفَنَاءُ» في التحقيق بالنسبة إلى الخلق «هُوَ عَدَمُ الْخَلَائِقِ» عن نظر بصيرتك بالتلاشي والاستتار في ظهور وجود الحق تعالىٰ كتلاشي الهبات والذرات في كمال إشراق الشمس لا أنها تنعدم مطلقا و بالنسبة إلى نفسك فأوّلا.

«وَ اِنْقِلَابُ طَبْعِكَ اِلٰى طَبْعِ الْـمَلَائِكَةِ» والارتقاء من صفات البشرية «ثُمَّ الْفَنَاءُ عَنْ طَبْعِ الْمَلَائِكَةِ» حتى لا يبقى لك طبع أصلا بل وجود قطعا «وَ لُحُوْقُكَ بِالْمِنْهَاجِ الأول» و هو صيرورتك بالصفة التي كنت عليها قبل أن تخلق.

و إليه أشار أبو يزيد البسطامى قدس سره حيث بيَّن أحوال معراجه من الترقي من حال إلى حال حتى قال: ثم لم أزل مثل ذلك حتى صرت كما كان من حيث لم يكن التكوين و بقي الحق بلا كون و لا حيث و لا كيف و لا أين.

و قال سيد الطائفة أبوالقاسم جنيد قدس سره: هي الحالة التي تفنى الكلية في جنبها و يبقى الحق كما كان هو في الأزل قبل ما لم تكن التكوين و المكونات ثم بعد ذلك تأتيه أحوال و أوقات ما كَلَّت الألسن عن نعتها فسبحانه و لهم يشتهون.

و قوله قدس سره «فَحِ يُسْقِيْكَ رَبُّكَ مَا يُسْقِيْكَ، وَ يَزْرَعُ فيكَ مَا يَزْرَعُ» إشارة إلى ما ذكره سيد الطائفة بقوله: ثم بعد ذلك تأتيه أحوال و أوقات مَّا كَلَّت الألسن عن نعتها فسبحانه و لهم مايشتهون، و لم يرخص الكُبَراءُ عن إظهارها فالأولىٰ هناالسكوت؛ فإن الله تعالىٰ يظهر ما يريد إظهارها، و يكتم ما يريد كتمانه، فإنه يفعل ما يشاء و يحكم ما يريد «اِنْ اَرَدْتَ هٰذَا» الحال والمقام «فَعَلَيْكَ» أوّلا «بِالْاِسْلَامِ» بتصحيح العقائد الشرعية والعلم بالفقه والروايات «ثُمَّ

الْإِسْتِسْلَام» أي الانقياد و هو العمل على وفق العلم «ثُمَّ» بعد الإسلام والاستسلام «اَلْعِلْم بِالله» بأنه المؤثر في الحقيقة لا مؤثر غيره و هو توحيد الأفعال الَّذِيْ هو أو نتائج السلوك كما ورد: لا حول و لا قوة إلا بالله «ثُمَّ الْمَعْرِفَة بِهِ» أي بالله تعالىٰ بأنه قيوم للعالم، والعالم قائم به، و هو توحيد الصفات فإن ما في هذا العالم من الصفات ليست إلا أثار صفاته الجلالية والجمالية واللطفية والقهرية التي أشار إليه سيد المرسلين عليه صلوات رب العالمين بقوله : "أعوذ برضاك من سخطك".

و في الخزانة الجلالية: والمعرفة أن تعرف الله تعالىٰ بالوحدانية و تعلم أنه تعالىٰ أول كل شيء و به يقوم كل شيء و إليه يصير كل شيء و عليه رزق كل شيء فإذا أزال الاضطراب عن مقام العلم بدوام الصحة فهو معرفة.

«ثُمَّ الْوُجُوْد» بأن لا يرى في دارالوجود غيره تعالىٰ موجودا و لا في الشهود غيره مشهودا، و هو توحيد الذات الَّذِيْ أشار إليه سيد الكائنات لا زال عليه زاكيات الصلوات بقوله: "أعوذ بك منك".

و في هذا المقام قال الصديق الأكبر رضي الله عنه: "ما رأيت شيئا إلا و رأيت الله قبله".

و قال المرتضٰى كرم الله وجهه: "ما رأيت شيئا إلا و رأيت الله فيه".

و قال عارف أخر: "ما رأيت شيئا إلا و رأيت الله بعده".

و قال الأخر: "ما رأيت شيئا إلا و رأيت الله معه".

و سئل عن علي كرم الله وجهه هل رأيت الله؟ قال: أنا لا أعبد ما لا أرى

و في رواية: رأيته فعرفته فعبدته لم أعبد ربا لم أره.

و أيضًا نقل عنه: قال لو كشف الغطاء ما زدت يقينا.

و إليه يشير أبو هريرة رضي الله عنه حَفِظْتُ من رسول الله صلى الله عليه و سلم وعائَين أما أحدهما فبَثَثْتُهُ، و أما الآخر فلو بثثته لقُطِعَ هذا البَلْعُومُ.

فَإِذَا كَانَ وُجُوْدُكَ كَانَ كُلُّكَ لَهٗ اَلزُّهْدُ عَمَلُ سَاعَةٍ وَالْوَرَعُ

عَمَلُ سَاعَتَيْنِ وَالْمَعْرِفَةُ عَمَلُ الْأَبَدِ.

«فَإِذَا كَانَ وُجُوْدُكَ» يحتمل أن يكون كان تامة، والوجود بمعنى الوجدان أي إذا حصل وجدانك بالطريق المذكور «كَانَ كُلُّكَ» أي جميع وجودك قلبك و قالبك «لَهُ» تعالىٰ القلب يشاهده، والقالب يعبده، و يحتمل أن يكون ناقصة والوجود بمعنى الذات أي إذا كان الله تعالىٰ وجودك بأن تفنى عنك فيه و ما تعرف[1] أنت وجودا لم يكن ذلك وجودك بل هو وجودك كان كلك له و لا أنت في البين، فإن الوجود المطلق ليس إلا وجود الحق تعالى.

كان كل ما يرى موجودا فإنما هو الحق و ما كان يُتَرَاءٰ ى كان موهوما مُتَخَيَّلًا تلاشَت في نظر العارف المحقق فلايرى له وجودا و لا يراه موجودا، و إنما الوجود لله والموجود هو الله تعالىٰ ليس في الدارغيره ديار، لمن الملك اليوم لله الواحد القهار.

قال على كرم الله وجهه: ظهور المعلوم بمحوالموهوم.

«اَلزُّهْدُ عَمَلُ سَاعَةٍ» أراد بالزهد ترك حرام الدنيا و بالساعة مدة الدنيا لقلتها، والزهد بترك الدنيا إنما يكون في الدنيا التي مدتها ساعة فيكون عمل الزهد ساعة «وَالْوَرَعُ عَمَلُ سَاعَتَيْنِ» لأن الورع عبارة عن ترك الحلال كما روي عن الصديق الأكبر أنه قال: "نترك ألف حلال مخافة أن نقع في الحرام" فهو في الحقيقة عبارة عن قطع النظر عن الدنيا والآخرة بملاحظة العبودية للرب فيكون الورع عمل ساعتين الدنيا ساعة والعقبى ساعة «وَالْمَعْرِفَةُ عَمَلُ الْأَبَدِ» أي معرفة الله تعالىٰ لا يفني و لا يزول عن العارف أبدالآبدين و لهذا قا ل المشائخ الكرام: السير إلى الله ينقطع والسير مع الله و في الله لا انقطاع له فينبغي للطالب طلب الباقي دون الفاني اتباعا برسول الله صلى الله عليه و سلم فإنه قال:

"الدنيا لكم والعقبىٰ لكم والمولىٰ لى".

---

(1)قوله: و ما تعرف كلمة ما موصولة مع صلتها مبتدأ خبره جملة قوله لم يكن ذلك وجودك. من الشارح

اَلْمَقَالَةُ الثَّامِنَةُ وَالسَّبْعُوْنَ

فِي وَصِيَّةٍ قُدِّسَ سِرُّهٗ لِوَلَدِهِ الْاَعَزِّالْاَكْرَمِ الشَّيْخِ عَبْدِالْوَهَّابِ بَعْدَ سُؤَالِهٖ فِي مَرَضِ مَوْتِهٖ قُدِّسَ سِرُّهُمَا

قَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لَمَّا مَرِضَ مَرَضَهُ الَّذِيْ مَاتَ فيهِ قَالَ لَهٗ اِبْنُهٗ عَبْدُالْوَهَّابِ: اُوْصِنِيْ يَا سَيِّدِيْ بِمَا اَعْمَلُ بِهٖ بَعْدَكَ، فَقَالَ: عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ لَا تَخَفْ اَحَدًا سِوَى اللهِ تَعَالٰى وَ لَا تَرْجُ مِنْ اَحَدٍ سِوَى اللهِ وَ كُلّ الْحَوَائِجِ كِلْهَا إلى اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ لَا تَعْتَمِدْ اِلَّا عَلَيْهِ وَاطْلُبْهَا جَمِيْعَهَا مِنْهُ وَ لَا تَثِقْ بِاَحَدٍ غَيْرِ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ

«قَالَ رَضِيَ اللهُ تَعَالٰى عَنْهُ لَمَّا مَرِضَ مَرَضَهُ الَّذِيْ مَاتَ فيهِ، قَالَ لَهٗ اِبْنُهٗ» الشيخ «عَبْدُالْوَهَّابِ: اُوْصِنِيْ يَا سَيِّدِيْ بِمَا اَعْمَلُ بِهٖ بَعْدَكَ، فَقَالَ: عَلَيْكَ» يا ولدي «بِتَقْوَى اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ» فإنها مثمرة للقبول عند الله و عند الرسول عليه و على أله صلوات الله تعالٰى و سلامه بل محصلة للوصول «وَ لَا تَخَفْ» في وصول المكروه «اَحَدًا» من المخلوقات جنا أو إنسا أو ملكا «سِوَى اللهِ تَعَالٰى» إذ لا مؤثر في الوجود إلا الله لا تتحرك ذرة إلا بإذنه «وَ لَا تَرْجُ» رجاء أي مطلوبٍ و مقصود «مِنْ اَحَدٍ سِوَى اللهِ» لما علمتَ أن الكل مخلوق لله تعالٰى فلا يفعل إلا ما يريد «وَ كُلّ الْحَوَائِجِ» الكائنة لك «كِلْهَا إلى اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ» و قل أفوض أمري إلى الله، فإن التفويض إليه تعالٰى طريق أحبائه من أنبيائه و أوليائه «وَ لَا تَعْتَمِدْ» في أمر من الأمور جلب خير كان أو دفع ضرعلى أحد «اِلَّا عَلَيْهِ» تعالٰى «وَاطْلُبْهَا» أي الحوائج «جَمِيْعَهَا مِنْهُ» أي الله عَزَّ وَ جَلَّ «وَ لَا تَثِقْ» في حصول الحوائج جلب خير كان أو دفع ضر «بِاَحَدٍ غَيْرِ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ» فإنه حقيقة التوكل، و من يتوكل على الله فهو حسبه.

نقل في نفحات عن الشيخ عبدالوهاب أنه قال: ما من شهر من شهور السنة

إلا و يجيئ عند والدي قبل ظهوره للخلق و يخبرعما فيه من خير و شر بظهوره في صورة جميلة إن كان فيه الخير و في صورة كر يهة إن كان فيه الشر.

و كان أخر يوم الجمعة من آخر جمادي الآخرة سنة ستين و خمس مائة اجتمع عنده المشائخ إذ دخل شاب حسن الصورة و قال: السلام عليك يا ولي الله أنا شهر الرجب جئت لأهنئك و أخبرك أن الله تعالىٰ لم يقدر في شرًّا، فكان كما أخبر لم يرالناس فيه إلا خَيْرًا، فجاء يوم الأحد السلخ من ذلك الشهر رجل كر يه المنظر و قال: السلام عليك يا وليَ الله أنا شهر شعبان جئت لأهنئك أن الله تعالىٰ قدر في الموت والفناء لكثير من أهل بغداد، والقحط في الحجاز، والقتل في الخراسان فكان كما أخبر.

و قد مرض الشيخ في شهررمضان أياما فلما كان يوم السلخ و كان يوم الاثنين التاسع والعشرين جاء شخص ذو وقار و بهاء و كان عنده مشائخ منهم الشيخ على الهيتي والشيخ نجيب الدين السهروردي و قال: السلام عليك يا ولي الله أنا شهر رمضان جئت لأعتذر إليك بما قدر الله عليك في من مرض و أودعك، فإن هذا آخر اجتماعي معك و توفي الشيخ في ر بيع الأخر و لم يجد رمضان الآتي.

اَلْمَقَالَةُ التَّاسِعَةُ وَالسَّبْعُوْنَ

فِي بَيَانِ اِحَاطَةِ قَلْبِ الْعَارِفِ بِجَمِيْعِ الْاَشْيَاءِ حِيْنَ صَحَّ مَعَ الله

قَالَ رضي الله عنه: إِذَاَ صَحَّ الْقَلْبُ مَعَ الله عَزَّ وَ جَلَّ لَا يَخْلُوْ مِنْهُ شَيْءٌ وَ لَا يَخْرُجُ مِنْهُ شَيْءٌ.

«قَالَ رَضِيَ الله تَعَالٰى عَنْهُ: اِذَاَ صَحَّ الْقَلْبُ» أي قلب العبد العارف «مَعَ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ» بالتوجه التام إليه بطريقة التخلية عما سواه «لَا يَخْلُوْ مِنْهُ شَيْءٌ وَ لَا يَخْرُجُ مِنْهُ شَيْءٌ» بل يكون العارف الكامل الفاني في الله عَزَّ وَ جَلَّ والباقى به بمنزلة الروح للعالَم والعالم بكليته بدنه و قالبه.

و قد أخبر الله تعالٰى عن سعة هذا القلب:

لا يسعني أرضي و لا سمائي، و يسعني قلب عبدي المؤمن.

قالوا: إن للعاشق قلبًا منزهًا عن التعيُّنات مخيّمَ ربِّ الأرباب، و مجتمعَ بحر الغيب والشهادة و له همة لا يقف عند وِجدان شيء حتى خلّة الخليل و مكالمة موسٰى عليهما السلام بل ينادي في كل ساعة هل من مزيد.

و قد أخبر سلطان العارفين أبو يزيد البسطامى قدس سره عن سعة هذا القلب: لو أن العرش و ما دونه ألف ألف مرات ألقي في زاوية قلب العارف لما شَعُرَ به، و لـمَّا سمعه سيدالطائفة الجنيد البغدادي قدس سره قال: كيف يشعر والمحدث إذن قرن بالقديم لم يبق له أثر فإن أبا يزيد إذا نظر إلى هذا القلب الَّذِيْ لم يبق فيه للحادث أثر يرىٰ مشاهدة القديم الَّذِيْ هو الحق فلا جرم يقول بلسان الحق سبحاني ما أعظم شأني.

اَلْمَقَالَةُ الثمَانونَ

فِي بَيَانِ فَضِيْلَةِ نَفْسِهِ الشَّرِيْفَةِ وَ عُلُوِّ رُتْبَتِهِ الْمُنِيْفَةِ

قَالَ رضي الله عنه: اَنَا لُبٌّ بِلَا قُشُوْرٍ.

«قَالَ رَضِيَ الله تَعَالٰى عَنْهُ: اَنَا لُبٌّ بِلَا قُشُوْرٍ.»

القشور كناية عن قباب البشرية و أوصافها، واللب هوالبقاء بالله كما قال سلطان العارفين حين أمره الله تعالٰى بقوله: "اترك نفسك و تعال" بعد سؤاله كيف الطر يق رب إليك انسلخت من نفسي كما تنسلخ الحية من جلدها.

اَلْمَقَالَةُ الحادِيَةُ وَالثَّمَانُوْن

في بَيَانِ فَضِيْلَةِ نَفْسِهِ الشَّرِيْفَةِ وَ عُلُوِّ رُتْبَتِهِ الْمُنِيْفَةِ

قَالَ رضي الله عنه: بَيْنِيْ وَ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ بُعْدُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَلَا تَقِيْسُوْنِيْ بِاَحَدٍ وَ لَا تَقِيْسُوْا عَلَيَّ اَحَدًا.

﴿يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَآءُ وَ يُثْبِتُ ۚ وَ عِنْدَهٗۤ اُمُّ الْكِتٰبِ﴾ [الرعد، السورة:١٣،الآية:٣٩]

﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَ هُمْ يُسْئَلُوْنَ﴾ [الأنبياء،السورة:٢١، الآية:٢٣]

اَخْبَارُ الصِّفَاتِ تَمُرُّ كَمَا جَاءَ تْ.

وَ سَأَلَهٗ وَلَدُهٗ عَبْدُالْجَبَّارِ مَاذَايُوْ لِمُكَ يَا سَيِّدِي؟

قَالَ: جَمِيْعُ اَعْضَائِيْ تُوْلِمُنِيْ اِلَّا قَلْبِيْ فَمَا بِهٖ اَلَمٌ وَ هُوَ صَحِيْحٌ مَعَ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ ثُمَّ اَتَاهُ الْمَوْتُ فَكَانَ يَقُوْلُ اِسْتَعَنْتُ بِلَا اِلٰهَ اِلَّا اللهُ سُبْحَانَهٗ وَ تَعَالٰى، وَ اَلْحَيُّ الَّذِيْ لَا يَمُوْتُ وَ لَا يَخْشَى الْفَوْتَ سُبْحَانَ مَنْ تَعَزَّزَ وَ تَفَرَّدَ بِالْقُدْرَةِ وَ قَهَرَ الْعِبَادَ بِالْمَوْتِ لَا اِلٰهَ اِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُوْلُ اللهِ ، ثُمَّ خَرَجَتْ رُوْحُهُ الْكَرِيْمَةُ

تَمَّ الْكِتَابُ الْمُبَارَكُ بِحَمْدِ اللهِ تَعَالٰى وَ عَوْنِهٖ وَ حُسْنِ تَوْفِيقِهٖ وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ وَ صَلَّى اللهُ عَلٰى خَيْرِ خَلْقِهٖ مُحَمَّدٍ وَّ اٰلِهٖ وَ صَحْبِهٖ اَجْمَعِيْنَ وَ سَلَّمَ تَسْلِيْمًا كَثِيْرًا، اٰمِيْن.

«قَالَ رَضِيَ اللهُ تَعَالٰى عَنْهُ: بَيْنِيْ وَ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ» المراد به خلق ذلك الزمان باتفاق أهل العرفان «بُعْدُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَلَا تَقِيْسُوْنِيْ بِاَحَدٍ وَ لَا تَقِيْسُوْا عَلَيَّ اَحَدًا» فإنه مأمور من جانب الله أن يقول: قدمي هذه على رقبة كل

ولي الله، و انقياد الأولياء له في زمانه، و لم يقع لغير مثله في زمانه. و قد أخبر به جمعٌ كثير ممن كان سابقا عليه فمن ذلك ما أخبر به الشيخ عبدالله بن علي موسى الجوني قدس سره يقول: شهدت أنه يتولد بأرض العجم مولود له مظهر عظيم بالكرامات، و قبول تام عند الكافة يقول: قدمي هذه على رقبة كل ولي الله، و تندرج الأولياء في وقته تحت قدمه ذلك التوفيق، و تمام تحقيقه في علم الكلام، و لذا اقتصرنا بهذا القدر في هذا المقام، ثم استدل على كلتا المقدمتين بقوله تعالى:

﴿يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَآءُ وَ يُثْبِتُ﴾ أي من الأحكام شرعية كانت أو غيرها، و إنما عممنا ليشمل الصحة والمرض والغنى والفقر والعزة والذل و نحوها، فإنها مما يمحوالله و يثبت و ليست من الأحكام الشرعية ﴿وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ قيل: هواللوح المحفوظ، و قيل: المراد علم الله تعالى صرح به في التفسير المعيني و هو المراد هٰهنا فدل على ثبوت كلتا المقدمتين.

ثم أشار إلى دفع الشبهة بأنه كيف يغير الأحكام فإنه يستلزم الجهل بقوله تعالى:

﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَ هُمْ يُسْئَلُوْنَ﴾. الأنبيا،السورة:٢١،الآية:٢٣]

فإن الله تعالى سد لكل شبهة طريقها و قطع لكل متكلم كلامه بهذه الآية. و بقوله :

﴿اَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْاَمْرُ ؕ تَبٰرَكَ اللهُ رَبُّ الْعٰلَمِيْنَ﴾.[الأعراف:٧،الآية:٥٤]

«اَخْبَارُ الصِّفَاتِ تَمُرُّ كَمَا جَاءَ تْ» يعني والله أعلم بمراده أن بيان صفات الله تعالى تجري و يستمر جريانُهَا في العرف والعالم كما جاءت بالنقل والكشف فلا تعتقد خلافها و لا يجوز فيها التشكيك.

«وَ سَاَلَهُ» السيد الجيد «وَلَدُهُ عَبْدُالْجَبَّارِ» قدس سره «مَاذَا يولِمُك يَا سَيِّدِيُ» من جسمك؟

«قَالَ» رضي الله عنه: «جَمِيْعُ اَعْضَائِيْ تُوْلِمُيْ اِلَّا قَلْبِيْ فَمَا بِهٖ اَلَمٌ وَ هُوَ» أي القلب «صَحِيْحٌ مَعَ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ» لا يلتفت منه تعالى إلى مرض و لا إلى إحساس ألم و لا إلى نفس و لا إلى الخلق، و لا يخطر به خطرة حيوة و لا موت «ثُمَّ اَتَاهُ

الْمَوْتُ» أي قرب وقت الموت «فَكَانَ يَقُوْلُ: اِسْتَعَنْتُ بِلَا اِلٰهَ اِلَّا اللهُ، سُبْحَانَهٗ وَ تَعَالٰى، وَالْحَيُّ الَّذِيْ لَا يَمُوْتُ وَ لَا يَخْشَى الْفَوْتَ سُبْحَانَ مَنْ تَعَزَّزَ وَ تَفَرَّدَ بِالْقُدْرَةِ» القديمة الغالبة التي لا ينازعه فيها أحد في جر يان اٰثارها «وَ قَهَرَ الْعِبَادَ» و أفناهم «بِالْمَوْتِ لَا اِلٰهَ» أي لا معبود و لا مقصود و لا موجود «اِلَّا اللهُ» الواحد الأحد الفرد الصمد الَّذِيْ لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُوْلَدْ وَ لَمْ يَكُنْ لَّهٗ كُفُوًا اَحَدٌ المبدي للخلق بإظهار واحديته، والمغني له بإظهار أحديته، والمعيد له بإظهارواحديته ثانيا أبدالاٰباد «مُحَمَّدٌ» خاتم الأنبياء وسندالأصفياء و مقتدى الأولياء و أستاد العلماء «رَسُوْلُ اللهِ» ﴿الَّذِيْ اَرْسَلَهٗ رَسُوْلَهٗ بِالْهُدٰى وَ دِيْنِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهٗ عَلَى الدِّيْنِ كُلِّهٖ وَ لَوْكَرِهَ الْمُشْرِكُوْنَ﴾. [سورة الصف:٦١، الآية:٩]

«ثُمَّ» أي بعد هذه المقالة و إجراء الكلم الطيب على لسانه الشريفة «خَرَجَتْ رُوْحُهُ الْكَرِيْمَةُ» من الجسد الطيب بتولى الحق إلى الحق مخاطبا بقوله: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ المقر بين ﴿وادخلي جنتي﴾ الذاتي الخاصة بي التي ليس فيه حور و لا قصور مما يعلمه الخلائق، و هي جنة لا يمكن وصفها لواصف، و لا يبلغها إلا وليّ عارف، و كان وفاته رضي الله عنه يوم الحادي والعشر من شهر ربيع الثاني سنة احدى و ستين و خمس مائة على ما ذكر في النفحات، و سنة ستين وخمس مائة على ما صرح به الشيخ العارف الكامل الأبجد الشيخ أحمد إسحاق في رسالته التي ألفها في مناقب بعض المشائخ المغربيين.

تَمَّ الْكِتَابُ الْمُبَارَكُ بِحَمْدِ اللهِ تَعَالٰى وَ عَوْنِهٖ وَ حُسْنِ تَوْفِيقِهٖ وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ وَ صَلَّى اللهُ عَلٰى خَيْرِ خَلْقِهٖ مُحَمَّدٍ وَّ اٰلِهٖ وَ صَحْبِهٖ اَجْمَعِيْنَ وَ سَلَّمَ تَسْلِيْمًا كَثِيْرًا اٰمِيْن.

تم تحقيق هذاالكتاب المبارك وتخريج الآيات والأحاديث والآثار الواردة فيه بعون الملك العلام وببركة سيد الإنس والجان يوم الثلاثاء ١١/ من شعبان

١٤٤٠الهجري الموافق ١٧/ ٤/ ٢٠١٩ الميلادي،فلله الحمدوله الشكربجميع الأطراف والجنان،وأناالعبدالمفتقرإلى رحمة ربي الرحمٰن.

محمودعلى المشاهدي المصباحى ابن مقصودعلى الحشمتى

الأستاذ بالجامعة الأشرفية بمبارك فور،أعظم جراه،الهند.

المتوطن دوكم أميا [DOKAM.AMYA] ترلوك فور،

[TERILOKPUR] سدهارت نكر، [SIDDHARTH NAGAR]

فهرست